

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234862

UNIVERSAL
LIBRARY

— الحمد الثالث من التفسيرين العجيبين —

— المسبوك عليهما سطور المذهب سبك اللطيفين —

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام
الحبر النحرير حاوي فضيلتي البيان والبيان في التقرير والتحرير وكشف قناع المشكلات
وموضع دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلي أفضل الوري
علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة
شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضي
ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البضاوي الشافعي المتوفى سنة
(٦٨٥) وقيل (٦٩٣) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثاني المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة
والائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم
البغدادى الصوفى الشافعي المعروف بالخطازن فرغ من تأليفه
سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين . الاول المسمى بمدارك التنزيل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن
محمود التميمي الحنفي المتوفى سنة (٧٠١) عليه سخائب الرحمة والرحنوان
الثاني تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
الشافعي المتوفى سنة (٨١٧)

تأنيده

يتول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حامى الفره حصارى المصحح بدار الطباعة العاصرة
اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل
تحتها مفصولا بينهما بمجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق
الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بمجدول

— الطبعة الاولى —

بالمطبعة العاصرة

سنة ١٣١٧ هجرية



الجملة الثالثة

اللمم انصرنا يا خير الناصرين

* سورة الانفال مدنية وآيات وسبعون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

يسألونك عن الانفال أي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نقلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما شرطه الامام لمقتهم خطره عطية له وزيادة على سهمه

* تفسير سورة الانفال *

مدنية كلها الاسبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذيكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة وهي خمس وسبعون آية والالف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* قوله سبحانه وتعالى يسألونك عن الانفال (ق) عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا ففسر الشبان وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جائوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثروا به علينا فانا كنا نردكم لكم ولوانكشفتكم انكشفتم الينا فتنزعوا فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو اليسر بن عمرو الانصاري أخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا

سورة الانفال

مدنية وهي خمس

أوست أو سبع

وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(يسألونك عن الانفال

ومن السورة التي يذكر

فيها الانفال وهي كلها

مدنية غير قوله يا أيها النبي

حسبك الله ومن اتبعك

من المؤمنين فانها نزلت

بالبيداء في غزوة بدر قبل

القتال آياتها ست وتسعون

وكلماتها ألف ومائة وثلاثون

وحروفها خمسة آلاف

ومائتان وأربع وتسعون

حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

وبأسناده عن ابن عباس

في قوله تعالى (يسألونك عن الانفال) يقول يسألك أصحابك الغنائم يوم بدر وعن صلة

(فله)

فله كذا وكذا وانا قد قتلنا سبعين وأسروا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جن عن العدو لكن كرهنا ان نرى مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شئ فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال نجاد بن اسحق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو انا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقتاتلون العدو لولانحن ما أصبته وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما أنتم باحق منا فنزلت هذه الآية ﴿ وروى مكحول عن أبي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا عشرين أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا ﴾ عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين ﴿ وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفي صدرى من المشركين أو نحو هذا لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولالك فقلت عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائى فجاءنى الرسول فقال انك سألتنى وليس لي وانه قد صار لي وهولك فنزلت يسئلونك عن الانفال الآية أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فأيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنى هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فانطلقت به حتى أردت أن ألقيه في القبض لامتحنى نفسى فرجعت اليه فقلت أعطنيته قال فشد على صوته رده من حيث أخذته فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ وما أصاب سرايا المسلمين من سبي أتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غاؤل ﴿ وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الانفال استفتاء يعنى يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لاسؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال أى من الانفال وعن يعنى من وقيل عن صلة أى يسئلونك الانفال والانفال هى الغنائم فى قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص وأكثر المفسرين على انها نزلت فى غنائم بدر وقال عطاء هى ما شذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو امرأة أو متاع فهو للنبي صلى الله عليه

قل الانفال لله والرسول (انفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فساووا رسول (الجزء التاسع) الله كيف يشاء ومن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم

للاعتبار أم لهم جميعا فقل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها فاحكم بينهم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم ومضى الجمع بين ذلك كرامة الرسول أن حكمها يختص بالله ورسوله بأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويشمل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد (فاتقوا الله) في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله (وأصلحوا ذات بينكم) أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة وودية واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أي فاقبوا الله وكونوا اجتماعيين على ما أمر الله ورسوله بدق عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينايا عشر أصحاب بدر حين اختلفنا في الفل وساءت فبدأ خلادنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على

(قل) يا محمد لهم

قل الانفال لله والرسول أي أمرها يختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له غناء أن يذله فتسارع شانهم حتى اتوا سبيلين واسر وسبيلين ثم طابوا انفسهم وكان المال قليلا فقل الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرويات كبارا ردا لكم وفلة تعجزون اليها فنزلت تقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابى وقاص رضي الله تعالى عنه قل لما كان يوم بدر قتل اخي غير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولأنت اطرحه في القبر فطرحتته في ملائمة الا لله من قتل اخي واخذت سابي فاجاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقل لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سألتني السيف وايس لي والله قد مر لي ذهاب فخذه وقرى يسئلونك عن انفال تحذف الشهرة والله حركتها على التام واغتم نون عن فيها ويسئلونك الانفال أي بسألت الشبان ما شرطت لهم ففاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم أي اصلحوا الحال التي بينكم بالواسطة والمساعدة فيما رزقكم الله وسلي يمنع فيه ما يشاء من قتل الانفال لله والرسول أي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمها كيف يشاء واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال جماعة وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة ففسخها الله سبحانه وتعالى بالنس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله حصه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم أعطاها الله بالنس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجده منسوخة من وجد وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرايع آبائهم بأباحتها له هذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقيل عبد الرحمن بن زيدانها محكمة وهي إحدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله حصه وللرسول الآية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ففقدنا ابلا فاصاب كل واحد منا شيء عشر بعير انفلنا بعير اربع أخرجه في الخيول فبلى هذا تكون الآية محكمة وللإمام أن ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل الخمس فاتقوا الله يعني اتقوا الله بطاعته وأشوا مخالفته وتركوا المنازعة والتخاصم في الغنائم واصلحوا ذات بينكم أي اصلحوا الحال في ما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسايم أمر الغنائم إلى الله ورسوله

(الانفال لله والرسول) الغنائم يوم بدر لله وللرسول ليس لكم في شيء ويقال لله وأمر الرسول فيه جائز (واطيعوا) (فاتقوا الله) في أخذ الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) ما بينكم من المخالفة فليؤد الغنى إلى الفتير والقوى إلى الضعيف والشاب

وتسليم اسره الى الله والرسول ﴿واطيعوا الله واطيعوا رسوله﴾ فيد ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان يقتضى ذلك أو ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والالتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ﴿انما المؤمنون﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزعه عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرت أى خافت ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ لزيادة المؤمن به أولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتطاعر الادلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص

﴿واطيعوا الله واطيعوا رسوله﴾ فيما امر انكم به وينهاكم عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعد رسوله ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴿لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله فى الآية المتقدمة﴾ ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين هذه الآيات صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون واغلبة انما تنبذ الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون فى ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله اتقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عتاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الطواص لانهم يعلمون عظيمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخاضع على قدر مراتبه فى ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال فى آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف اجتمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجع هو خوف العتاب والاطمئنان انما يكون من الخ اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جعلا فى آية واحدة ومن قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلتين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر منه جلودهم من خوف عتاب الله ثم تلتين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل فى قلب المؤمنين ﴿ثم قال تعالى﴾ واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ﴿يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا لقله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شئ من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين ١ الوجد الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأعزى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه ٢ الوجد الثانى هو انهم يصدقون بكل ما تلى عليهم من عند الله

السواء (واطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كمالى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وساطعانه (واذا تليت عليهم آياته) أى القرآن (زادتهم ايمانا) اذدادوا بها يقينا وطمأنينة لان تظاهر الادلة أقوى

الى الشيخ (واطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) بالله والرسول (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله) اذا أمروا بأمر من قبل الله مثل أمر الصلح وغيره (وجلت) خافت (قلوبهم) واذ تليت (قرئت) عليهم آياته (فى الصلح) زادتهم ايمانا يقينا بقول الله ويتقال صدقا

لأنصار أم لهم جميعاً فتقبل
له قل لهم هي لرسول الله
وهو الحاكم فيها خاصة يحكم
فيها ما يشاء ليس لأحد
غيره فيها حكم ومعنى
الجمع بين ذكر الله
والرسول أن حكمها اختصاص
بالله ورسوله يأمر الله بقتلها
على ما تقتضيه حكمته
ويمثل الرسول أمر الله
فيها وليس الأمر في قسمتها
مفوضاً إلى رأي أحد
(فاتقوا الله) في الاختلاف
والخاصم وكوناً متآخين
في الله (وأصلحوا ذات
بينكم) أحوال بينكم يعني
ما بينكم من الأحوال حتى
تكون أحوال ألفة وثنية
واتفاق وقال الزجاج معنى
ذات بينكم حقيقة وصلكم
والبين الوصل أي فاتقوا
الله وكونوا اجتماعين على
ما أمر الله ورسوله بقل
عبادة بن الصامت رضى
الله عنه نزلت فينايا عشر
أحزاب بدر حين اختلافنا
في النفل وساءت فيه أخلاقنا
فنزعه الله من أيدينا فجعله
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قسمه بين المسلمين على

﴿ قُلِ الْإِنشَاءَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ أى أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما أمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم لها جرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن كان له غناء أن يناله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طابوا انشأهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردا أنكم وفئدة تنحازون اليها فنزات فتقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعى رحم الله تعالى وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتي به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولالك اطرحد فى القبض فطرحت وبى ملائمة الا الله من قتل اخى واخذ سابي فاجاوزت الا قليلا حتى نزات سورة الانشال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سألنى السيف وليس لى والله قد صار لى فاذهب فخذوه وقرئ يسئلونك عانفال بحذف الهمزة والفاء حركتهما على اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانشال أى يسألان الشبان ما شرطتاهم ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فى الاختلاف والمشاجرة ﴿ واسلكوا ذات بينكم ﴾ الحال التى بينكم بالواسطة والمساعدة فيما رزقكم الله

وسلم يمتنع فيه ما يشاء **﴿** قل الانفال لله والرسول **﴾** أى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها للرسول وله يقسمها كيف شاء واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقال جاهد وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم للرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجده منسوخة من وجد وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله لهذه الامم بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بأية الخمس وقال عبدالرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله معارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول الآية وسمع من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابالا فاصاب كل واحد منا شئ عشرين نعير بعير بعير آخر جاء في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة ولا امام أن ينقل من شاء من الجيش ما شاء قبل الخميس **﴿** فاتقوا الله **﴾** يعنى اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والخاسمة في الغنائم **﴿** وأصلحو ذات بينكم **﴾** أى اصلحو الحال في ما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم أمر الغنائم الى الله رسوله

(فاقولوا لله) في أخذ هذا الغنائم (وأصلحو أذات بينكم) ما بينكم من المخالفة فليؤد الغنى الى الفقير والقوى الى الضعيف والشباب

وتسليم امره الى الله والرسول ﴿واطيعوا الله ورسوله﴾ فيه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان يقتضى ذلك أو ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والالتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ﴿انما المؤمنون﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلالة وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرت أى خافت ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ لزيادة المؤمن به أولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص

﴿واطيعوا الله ورسوله﴾ فيما يأمركم به وينهىكم عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله فى الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين فى هذه الآيات صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تشيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون فى ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انتادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته فى ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال فى آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لامنافاة بين هاتين الحالتين لان الوجمل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من تلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا فى آية واحدة وهى قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل فى قلب المؤمنين ﴿ثم قال تعالى﴾ ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا لقله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شئ من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين * الوجه الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه * الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله

السواء (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كمالى الايمان (انما المؤمنون) الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم (فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلالة وعزه وسلاطانه) واذا تليت عليهم آياته (أى القرآن) زادتهم ايمانا اذ دادوا بها يتقينا وطمأنينة لان تظاهر الادلة أقوى

الى الشيخ (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) بالله والرسول (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله) اذا أمروا بأمر من قبل الله مثل أمر الصلح وغيره (وجلت) خافت (قلوبهم واذا تلئت) قرئت (عليهم آياته) فى الصلح (زادتهم ايمانا) يقينا بقول الله ويقال صدقا

للمدلول عليه وأثبت تقدمه { الجزء التاسع } أوزادتهم إيماناً ﴿ ٦ ﴾ بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا

بالمصيبة بنساء على ان العمل داخل فيه ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الاياه ﴿ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ﴾

ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمنا نجد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وإيماناً ومن المعلوم ان من صدق انساناً في شيء كان أكر من يصدقه في شيء واحد فقولته تعالى واذا تلّيت عليهم آياته زادتهم إيماناً معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أنوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في إيمانهم واختلف الناس في ان الإيمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الإيمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الإيمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الإيمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم إيماناً صريح في أن الإيمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الآية أوصافاً متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف داخلية في معنى الإيمان ﴿ وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان أخرجه في الصحيحين في هذا الحديث دليل على أن الإيمان فيدأ على وأدنى واذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكان له حبة ان للإيمان زيادة ونقصاً قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسنناً فمن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم أن المؤمن اذا كان وثاقاً بوعده الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبق له اعتماد في شيء من أموره الا على الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعنى الوجل عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب ﴿ ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفيتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى ﴿ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يعني يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها وأركانها في أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيدو ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر والتقربات ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ أولئك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ هم المؤمنون حقا ﴾ يعني يقينا لا شك في إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال

باحكامها قبل (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الاياه (الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون) جم بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون إيماناً حقا أو هو مصدر مؤكّد للجمله التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلاً سأله المؤمن من أنت قال ان كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون الآيات فلا أدري أنا منهم أم لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا

ويقال تكريرا (وعلى ربهم يتوكلون) لا على الغنائم (الذين يقيمون الصلوة) يقيمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها (ومما رزقناهم أعطيناهم من الاموال

(ينفقون) يتصدقون في طاعة الله ويقال يؤدون زكاة أموالهم (أولئك هم المؤمنون حقا) صدقاً يقيناً (فتادة)

لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموهم إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلاة

ثم لم يشهد أحد من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً وهذا يتشبه من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثن في إيمانك قال اتبعا لبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أو لم تؤمن قال بلى وعن إبراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقاً فان صدقت أثبت عليه وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يكن منافقاً فهو مؤمن حقاً وقد احتج عبد الله على أحد فقال إيش اسمك فقال أحد فقال أنا أقول أنا أحد حقاً وأنا أحد إن شاء الله فقال أنا أحد حقاً فقال حيث سماك والداك لا تستثن وقد سماك الله في القرآن مؤمناً

قتادة استحقوا الإيمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه * وهذا يتعلق بمسئلة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلفوا في أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقاً أم لا فقال أصحاب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين * الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمناً حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله * الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقاً فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقاً وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله وحتجوا بصحة هذا القول بوجوه * الأول أن الإيمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والإقرار والعمل وكون الإنسان آتياً بالأعمال الصالحة المقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وإن كان اعتقاده وإقراره صحيحاً وعند أصحاب أبي حنيفة أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من معنى الإيمان فلم يلزم حصول الشك * الوجه الثاني أن قولنا أنا مؤمن إن شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن إذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال إن شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار روى أن أبا حنيفة قال لقتادة لم استثنيت في إيمانك فقال قتادة اتبعا لبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أو لم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة أن يقول إن إبراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي فطلب من يداطمئنه * الوجه الثالث أن الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية أن المؤمنون ولفظة أنما تفيد الحصر يعني أنما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصافاً خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتباع بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعني أن من أتى بجميع هذه الأوصاف كان مؤمناً حقاً ولا يمكن لاحد أن يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الأولى له أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وقال ابن أبي نجیح سأل رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن إن كنت سألتني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا بها مؤمن وإن كنت

والصدق والحقافة مصدر مخدوف أو مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقاً لهم درجات عند ربهم كرامته وعلو منزلته وقل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ومغفرة لهم لما فرط منهم ورزق كريم أعادهم في الجنة لا ينقطع عنده ولا ينهي أمدته كما أخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ مخدوف

سألتني عن قوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجات قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كناناً في سفر فلقبنا قوم قتلنا من القوم فقلوا ونحن المؤمنون حقاً فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فأردتهم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئاً قال هلا قاتم لهم أمن أهل الجنة أتم أن المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم أنه مؤمن حقاً عند الله ثم لم يشهد له في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر الوجه الرابع أن قولنا أنا مؤمنون أن شاء الله للتبرك لا لشك فهو كقولهم صلى الله عليه وسلم وأنا أن شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي أنه لاحق بأهل القبور الوجه الخامس أن المؤمن لا يكون مؤمناً حقاً إلا إذا ختم له بالإيمان ومات عليه وهذا لا يحصل إلا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن أن شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء إلى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم أن المخبر لا يجوز أن يقول أنا مخبرك أن شاء الله بأن الفرق بين وصف الإنسان بكونه مؤمناً وبين وصفه بكونه مخبرك أن الإيمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجود الثاني وهو قولهم أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حتماً فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حتماً تعالى حكم للموصوفين تلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حتماً أي تلك الأوصاف الخمسة ولا يتقدر أحد أن يأتي بتلك الأوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضاً أن من أتى بتلك الأوصاف على الحقيقة كان مؤمناً حقاً ولكن لا يتقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قوله عن رجل لهم درجات عند ربهم يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لأن درجات الجنة على قدر الأعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها بأعمالهم وقال الربيع ابن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمهر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة مائة درجة ابن أبي سريته قال كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا في أحدهن لو سمعهم ومغفرة لهم يعني ولهم مغفرة لدنوبهم ورزق كريم يعني ما أعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريماً لأن منافعه حاصلة لهم دائماً عليهم مكرمة بالأكرام والتعظيم قوله سبحانه وتعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق اختلفوا في الجالب

تستثنى (لهم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال (عند ربهم ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب اسكاف في (كما أخرجك ربك) في محل النصب على اندفاع مصدر الفعل المتقدر والتقدير قل الانفاق استقرت لله والرسول وثبتت مع كرامتهم ثباتاً مثل ثبات اخراج ربك إليك من بيتك وهم كارهون (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مأوى جرد ومسكنه فهي في اختصاصها كما اختصاص البيت لساكنه (بالحق) اخرجاً ملتبساً

(لهم درجات) فضائل (عند ربهم) في الآخرة (ومغفرة) للذنوب في الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة (كما أخرجك ربك) ربك) امض يا محمد على ما أخرجك ربك (من بيتك) من المدينة (بالحق) بالقرآن ويقال

بالحكمة والصواب (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) في موضع الحال أى أخرجك في حال كراحتهم وذلك ان غير قریش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر أصحابه فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قریش بذلك فخرج أبو جهل بجميع اهل مكة وهو النفير في المثل السائر لافي العير ولا في النفير فقبل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فابى وسار عن معه الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قریشا فاستشار ﴿ ٩ ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ سورة الانفال ﴾ عليه وسلم أصحابه وقال

العير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد ابن عمرو امض لما أمرك الله فاناءك حيث أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا

تقديره هذه الحال في كراحتهم ايها الحال اخراجك للحرب في كراحتهم له أوصفت مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول أى الانفال ثبت لله والرسول صلى الله عليه وسلم مع كراحتهم ثباتاً مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجرة ومسكنه أو بيته فيها مع كراحتهم ﴿ ٩ ﴾ وأن فريقاً من المؤمنين لكارهون في موقع الحال أى أخرجك في حال كراحتهم وذلك ان غير قریش أقبلت من الشام لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحو اذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهه الن القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أى امض على الذى أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذى أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذا ر يا محمد اذ أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعنى بالوحى لطلب المشركين ﴿ ٩ ﴾ وأن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴿ ٩ ﴾ يعنى للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم

قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما (قا و خا ٢ لث) مقاتلون مادامت عين مناظر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشط قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقاً من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور روجه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقاداً ويحتمل أن يكونوا خالصين وان يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهين له

بالحرب (وأن فريقاً) طائفة (من المؤمنين لكارهون) للقتال

وفيهما تجارة عظيمة ومعهما اربعون راكبا منهم ابوسفيان وعمر بن العاص ومخرمة ابن نوفل وعمر بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقىها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول غيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفعلوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقتل ما نرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دقران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قریش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا اخرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضی الله تعالى عنهما وقالوا فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانامعك حيث ما احببت لانا لانقول لك ككالات بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل انا قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناده عباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله ❀ يجادلونك في الحق ❀ في ايثارك الجهاد باظهار

(يجادلونك في الحق) الحق
الذي جادلوا فيذر رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلقى النغير
لا يثارهم عليه تلقى العير
(يجادلونك) يخاصمونك
(في الحق) في الحرب

❀ يجادلونك في الحق ❀ وذلك ان المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا أن تلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم

الحق لا يثارهم تلقى العير عليه ﴿ بعد ماتبين ﴾ انهم ينصرون انما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾ أى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روى انهم كانوا رجالا وما كان فيهم الافارسان وفيه ايماء الى ان مجادلهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم ﴿ واذ يمدكم الله إحدى الطائفتين ﴾ على اضمار اذكر واحدى ثانى مفعولى يمدكم وقد ابدل عنهما ﴿ انها لكم ﴾ بدل الاشتمال

(بعد ماتبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلاقت لنا المستعد وذلك لكراهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالا وما كان فيهم الافارسان (واذ يمدكم الله إحدى الطائفتين) اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان (أنها لكم) بدل من إحدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير واذ يمدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم

(بعد ماتبين) لهم انك لاتصنع ولا تأمر الاما أمرك ربك (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه (واذ يمدكم الله إحدى الطائفتين) الفئتين العير أو العسكر (أنها لكم) غنيمة

﴿ بعد ماتبين ﴾ يعنى تبين لهم انك لاتصنع شيأ الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد ﴿ كأنما يساقون الى الموت ﴾ يعنى لشدة كراهتهم القتال ﴿ وهم ينظرون ﴾ يعنى الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذ يمدكم الله إحدى الطائفتين ﴿ يعنى الفرقتين فرقة أبى سفيان مع العير وفرقة أبى جهل مع النفير ﴿ أنها لكم ﴾ يعنى إحدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدى أقبل أبو سفيان ابن حرب من الشام في عير قريش في أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى ومعههم تجارة كبيرة وهى اللطيمة يريد باللطيمة الجمال التى تحمل العطر والزعير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فاندب الناس فخنق بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع أبو سفيان بعير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا فى أصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعنى وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فابقى بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الا ودخلها منها فلقه فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فظيعة فاكتمها ولا تذكرها الا حدثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا لالعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدثون

برؤيا عاتكة فغدوت اطوف فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك
فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقصالي
أبو جهل يا بني عبدالمطلب متى حدثت هذه النبوة فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت
عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبدالمطلب أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نسائكم
لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنترى بكم هذه الثلاث فان يك
ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا
بانكم أكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني
جحدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئا ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من
بنى عبدالمطلب الا أتتني فقلن أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم حتى تناول
النساء وانهت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قل قلت قد والله فمت ما كان مني
اليه من شيء وايم الله لا تعرضن له فان عادلا كفيكته قل فغدوت في اليوم الثالث من
رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب أرى اني قد فاتني شيء أحب أن أدركه منه قال فدخات
المسجد فقرأت فوالله اني لامر نحوه أعرض ليه وودا بخص ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجلا
خفيفا حديدا الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقات
في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقامني ان أشاعه قل فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع
صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي وارتفاع على بعيره وقد جدد بعيره وحول
رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أموالكم مع أبي سفيان
وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشفغني عندوشغله
عني ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا ولم يخاف من أشراف قريش أحدا الا أن
ابالهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير
ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبدمناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا
من خلفنا فكذلك ان يتيهم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقته بن مالك بن جعشم وكان
من أشراف بني بكر فقال أنا جار لكم من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه
فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ليلال مضت من شهر
رمضان حتى بلغ وادي يقال له ذا قرد فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عيناه من جهينة حليفا للانصار يدعى أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدي الطائفتين
أهل الكم اما العير واما قريش فكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحرب النضير فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال
وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول
كأقوات بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب
أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد

﴿وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقة النفيير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ ان يثبت عليه ﴿بكلماته﴾ الموحى بها في هذه الحال أو بأوامره للملائكة بالامداده وقرئ بكلمته ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين وازهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين

يعنى مدينة الحبشة لجادلنا معك من دونه حتى نبغده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خير اودعاه بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انابرآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فمنعك مما منع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرتة الامن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وععدوك اننا صبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك مناما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم (م) عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عرفوا الذى بعثه بالحق ما أخطوا الحدود التى حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجمعوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا ارواح فيها فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شىء فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ بعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم يعنى طائفة ابى سفيان مع العير وطائفة أبى جهل مع النفيير ﴿وتودون﴾ أى وتريدون وتتمنون ﴿ان غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ والمعنى وتتمنون ان العير التى ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ أى يظهر الحق ويعليه ﴿بكلماته﴾ يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعدائه التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أى ويستأصلهم

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفيير لعددهم وعدتهم أى تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله ان يحق الحق) أى يثبت عليه (بكلماته) أى بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبأمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة

(وتودون) تتمنون (ان غير ذات الشوكة) الشدة والحرب (تكون لكم) غنية يعنى غنية العير (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) ان يظهر دينه الاسلام بنصرتة وتحقيقه (ويقطع دابر الكافرين) اصل الكافرين وأثرهم

وشتان ما بين المرادين
ولذلك اختار لكم الطائفة
ذات الشوكة وكسرتهم
بضعفكم وأعزكم وأذلهم
(ليحق الحق) متعلق
ببسطه أو بحدوف تقديره
ليحق الحق (ويبطل الباطل)
فعل ذلك والمقدر متأخر
ليقيم الاختصاص أى
ما فعله الالهما وهو اثبات
الاسلام واطهاره وابطال
الكفر ومحقه وليس هذا
بتكرار لان الاول تمييز
بين الارادتين وهذا بيان
لمراد فيما فعل من اختيار
ذات الشوكة على غيرها
لهم ونصرتهم عليها (ولو
كره المجرمون) المشركون
ذلك (اذ تستغيثون ربكم)
بدل من اذ بعدكم أو متعلق
بقوله ليحق الحق ويبطل
الباطل واستغاثتهم أنهم
لما علموا أنه لا بد من القتال
طفقوا يدعون الله يقولون
أى ربنا انصرنا على عدوك
يا غياث المستغيثين أغثنا
وهى طلب الغوث وهو
التخلص من المكروه
(فاستجاب لكم) فاجاب
وأصل (أنى مدكم) باني
(ليحق الحق) ليظهر
دينه الاسلام بمكة (ويبطل
الباطل) يهلك الشرك
وأهله (ولو كره المجرمون)
وان كره المشركون أن يكون

﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ أى فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعى الى حل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ ذلك ﴿ اذ تستغيثون
ربكم ﴾ بدل من اذ بعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق أو على اضمار اذكر واستغاثتهم أنهم
لما علموا ان لا محيص عن القتال اخذوا يقولون أى رب انصرنا على عدوك اغثنا
يا غياث المستغيثين * وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم
ألف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومديديه يدعو اللهم انجزلى
ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فزال كذلك حتى سقط رداؤه
فقال ابو بكر يابى الله كفك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ما وعدك ﴿ فاستجاب
لكم انى مدكم ﴾ باني مدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل ﴿ وقرأ ابو عمرو بالكسر
على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول

حتى لا يبقى منهم أحد ﴿ ليحق الحق ﴾ يعنى ليثبت الاسلام ﴿ ويبطل الباطل ﴾
يعنى وينفي الكفر ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ يعنى المشركون وفي الآية سؤالان
* الاول ان قوله ويريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فما معناه
والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من
النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واطهار منار الشريعة
لان الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان
سببا لا عزازالدين وقوته واهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو
الشرك * السؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق
الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا
والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق
وتقويته وقمع رؤساء الباطل وقهرهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذ تستغيثون ربكم ﴿ أى
واذ كرىا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين
قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهرى والقول
الثانى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له ﴿ ثم ﴾
عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله
صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجزلى ما وعدتني
اللهم اعطنى ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض
فما زال يهتف بربه مادايديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه
فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقل يابى الله كفك مناشدتك ربك فانه
سينجزلك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم ﴿ فاستجاب لكم أنى مدكم

﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضاً من اردفته اياه اذا اجثت بعده أو متبعين بعضهم بعضاً المؤمنين أو انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أى متبعين أو متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى متردفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو بالضم على الاتباع وقرئ بألف من الملائكة ايوافق ما في سورة آل عمران ووجد التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو جوههم واعيانهم أو من قاتل منهم واختلفت في مقاتلتهم وقدروى اخبار تدل عليها ﴿وما جعله الله﴾ أى الامداد ﴿الابشرى لكم﴾ الابشارة لكم بالنصر ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾

مدمك فحذف الجار و سلاط
عليه استحباب فنصب محله
(بألف من الملائكة
مردفين) مدنى غيره بكسر

بألف من الملائكة مردفين ﴿فامده الله بالملائكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشدد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى فاجاب دعاءكم أى مددكم أصله بأنى مدمكم أى مرسل اليكم مددا ورداً لكم بألف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضاً بمعنى يتبع بعضهم بعضاً روى انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمام بيض قد أرخوا اذ انابها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابوبكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفف رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال ياأبا بكر أذاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثنائه النقع ﴿خ﴾ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سمي الملائكة يوم بدر عمام بيض ويوم حنين عمام خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً وروى عن أبى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدراً انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذى ضرب به بالسوط فحطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مدداً وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثر اوساد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿وما جعله الله الا بشري﴾ يعنى وما جعل الله الارداً بالملائكة الا بشري ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾

الدال وفتحها فالكسر على
أنهم أردفوا غيرهم والفتح
على أنه أردف كل ملك
ملكاً آخر يقال ردفه اذا
تبعه وأردفته اياه اذا اتبعته
(وما جعله الله) أى الامداد
الذى دل عليه مدمكم
(الابشرى) الابشارة لكم
بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم)
يعنى انكم استغنتم وتضرعتم
لقلبتكم فكان الامداد
بالملائكة بشارة لكم
بالنصر وتسكيناً منكم
(بألف من الملائكة مردفين)
متتابعين بالنصرة لكم
(وما جعله الله) يعنى المدد
(الابشرى) لكم بالنصرة
(ولتطمئن به) بالمدد
(قلوبكم)

وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان النصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من { الجزء التاسع } الاسباب الامن ١٦ - عند الله والمنصور من نصره الله

واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقليل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المينة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعظم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا ترى الشخص قل من قبل الملائكة قل فهم غلبونا لانهم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويشبتون المؤمنين والا فلك واحدكاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) ينصر أوليائه (حكيم) يقهر أعدائه (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذيعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذكر يغشاكم مدنى (النعاس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكى وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أى اذ تنعسون أمنة بمعنى

فنزول ما بها من الوحل لقتلكم وذلكم وما النصر الا من عند الله أن الله عزيز حكيم واعداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لاثباتها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدائها اذ يغشاكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لظاهر نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو يجعل أو باضمار اذكره وقرأ نافع يغشاكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع أمنة منه أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشاكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد به الايمان فتكون فعل المفعلى وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لا تصحبه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشاهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشاهم كقوله

يهاب النوم ان يغشى عيوننا ه تهابك فهو نفار شرود

وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام قوله عز وجل وما النصر الا من عند الله يعنى ان الله هو ينصركم أيها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكلموا على قوتكم وشدة بأسكم وفيد تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والامانة أن الله عزيز يعنى انه تعالى قوى منيع لا يتقهره شئ ولا يغلبه غالب بل هو يتقهر كل شئ ويغلبه حكيم يعنى في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده قوله سبحانه وتعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه أى واذكروا اذ باقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أى أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون الناس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلّة المسلمين وقلّة عددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقي عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا ووصله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقبل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول الناس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج

أما أى لامنتكم أو مصدر أى فامنتم أمنة فالنوم يزج الرعب ويرج النفس (منه) عفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (عن)

وما النصر بالملائكة (الامن عند الله ان الله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) حكم عليهم بالقتل والهزيمة وحكم لكم بالنصرة والغنمة (اذ يغشاكم النعاس) ألقي عليكم النوم (أمنة) لكم (منه) من الله من العدو وهو

(و ينزل) بالتخفيف مكي

وبصرى وبالتشديد غيرهم
(عليكم من السماء ماء) مطرا
(ليظهركم به) بالماء من
الحدث والجنابة (ويذهب
عنكم رجز الشيطان)
وسوسه اليهم وتخوفه
ايهم من العطش أو
الجنابة من الاحتلام لانه
من الشيطان وقدوسوس
اليهم ان لانصرة مع الجنابة
(ويربط على قلوبكم)
بالصبر (ويثبت به الاقدام)
أي بالماء اذا الاقدام كانت
تسوخ في الرمل أو بالربط
لان القلب اذا تمكن فيه
الصبر يثبت القدم في موطن
القتال (اذيوحي) بدل
ثالث من اذيعدكم أو منصوب
بيثبت (ربك الى الملائكة
أني معكم) بالنصر

منة من الله لكم (وينزل
عليكم من السماء ماء) مطرا
(ليظهركم به) بالمطر من
الاحداث والجنابة
(ويذهب عنكم رجز
الشيطان) وسوسة
الشيطان (ويربط على
قلوبكم) ويحفظ قلوبكم
بالصبر (ويثبت به) بالمطر
(الاقدام) على الرمل
أي يشد الرمل حتى يثبت
عليه الاقدام (اذيوحي ربك
الى الملائكة) ألهم ربك
ويقال أمر ربك (أني معكم)

وقرى أمنة كرجة وهي لعنة ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليظهركم به ﴾ من الحدث والجنابة
﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعني الجنابة لانها من تخيله أو وسوسته وتخوفه أيهم
من العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعقر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء ونادوا فاحتمل اكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبيين وتزعون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا
فانزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه
الاقدام وزالت الوسوسة ﴿ ويربط على قلوبكم ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم
﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى
تثبت في المعركة ﴿ اذيوحي ربك ﴾ بدل ثالث أو متعلق بيبث ﴿ الى الملائكة اني
معكم ﴾ في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرى بالكسر على ارادة القول

عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المجزة لانه أمر خارق للعادة
﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وينزل عليكم من السماء ماء ﴿ يعني المطر ﴾ ليظهركم به ﴿
وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعقر تسوخ فيه الاقدام
وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون
على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان
وقال تزعون انكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء
وانتم تصلون محدثين ومجنبيين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه
وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب
وملأوا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة
الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول
النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليظهركم به يعني
من الاحداث والجنابة ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعني وسوسته التي ألقاها
في قلوبكم ﴿ ويربط على قلوبكم ﴾ يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر
على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون لفظة على صلبة والمعنى ويربط
قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء
فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها
﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ يعني ان ذلك المطر لبد الأرض وقوى الرمل حتى تثبت عليه
الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون
ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفرو ويهرب عند اللقاء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اذيوحي
ربك الى الملائكة أني معكم ﴿ يعني ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى الملائكة الذين أمد
بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة

او اجراء الوحي مجراه ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بحاربة اعدائهم فيكون قوله ﴿ سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب أو على ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ اعاليها التي هي المذاج أو الرؤس ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ اصابع أي حزوا رقابهم

﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ أي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت ف قيل كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالبشر فكذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أي يثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك عشي في صورة رجل امام الصف ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ﴿ سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بنى آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلوة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمل بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب اعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء وبضرب البتان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان البنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن أبي داود المازني وكان شهيد بدر قال اني لاتبع رجلا من المشركين لا ضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدا نال يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذاملا كثير متفرق في قومه وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب

(فثبتوا الذين آمنوا) بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شامى وعلى (فاضربوا) أمر للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على انهم قاتلوا (فوق الاعناق) أي أعلى الاعناق التي هي المذاج تطييرا للرؤس أو أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام (واضربوا منهم كل بنان) هي الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فامرهم ان يجمعوا

معينكم (فثبتوا الذين آمنوا) في الحرب ويقال فبشروا الذين آمنوا بالنصرة (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) الخفاة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فاضربوا فوق الاعناق) رؤسهم (واضربوا منهم كل بنان)

واقطعوا اطرافهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الضرب أو الامربه والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل احد من المخاطبين قبل ﴿ بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ بسبب مشاققتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ تقرير للتعليل أو وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ﴿ ذلكم ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أى الامر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه ﴿ فذوقوه ﴾ أو غيره

بدر كبتة الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعز قال أبو رافع وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القداح وانحتهما في حجرة زمزم فوالله انى لجالس أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجله حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهره الى ظهري فيبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب الى يا ابن أخي فعندك الخبر اليقين فجالس اليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرنى كيف كانت احوال الناس قال لا شئ والله ان كان الان لقيناهم فمئخناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وإيم الله مالت الناس لقينا رجلاً بيضاء على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يتلقاهم شئ ولا يقوم لهم شئ قال أبو رافع فرفعت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة فتاورته فاحتملنى فضرب بى الارض ثم برك على صدرى وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت اليه أم الفضل بعمود من عمد الحجر فضربت به ضربة فلقت رأسه شجرة منكراً وقالت تستضعفه أن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلاً مجوعاً وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابی اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعاننى عليدرجل ما رأته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ذلك ﴿ يعنى الذى وقع من القتل والاسر يوم بدر ﴾ بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴿ يعنى بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبة كانهم صاروا فى شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ يعنى ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم من القتل والاسر شئ قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ذلكم ﴿ اشارة الى القتل والاسر الذى نزل بهم ﴿ فذوقوه ﴾ يعنى عاجلاً فى الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذى أعد الله لهم فى الآخرة

عليهم النوعين (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاققتهم أى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لان كلا المتعادين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا فى عدوة وخصم أى جانب وذا فى عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف فى ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) والواو فى

مفصل (ذلك) القتال لهم (بأنهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله) فى الدين (ومن يشاقق الله) يخالف الله (ورسوله) فى الدين (فان الله شديد العقاب) اذا عاقب (ذلكم) العذاب لكم (فذوقوه) فى الدنيا

(وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا إذا { الجزء التاسع } لقيتم الذين كفروا ﴿ ٢٠ ﴾ زحفا) حال من الذين كفروا

مثل باشرُوا أو عليكم لتكون الفاء عاطفة ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما يحل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما « وقرئ وإن بالكسر على الاستئناف ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجع على زحوف وانتصابه على الحال ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ بالانهزام فضلا عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والظاهر أنها محكمة مخصوصة بقوله حرص المؤمنين على القتال الآية ويجوز أن ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول أي إذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا أو من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ﴾ يريد الكر بعد الفرو وتغير العدو فانه من مكاييد الحرب ﴿ أو متحيزا إلى فئة ﴾ أو منحازا إلى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففروا إلى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فتتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والالغوا لعل له أو الاستثناء من المولين أي الأرجل متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفعيل لا متفعل والالكان متحوزا لانه من حاز يحوز ﴿ فقدباء بغضب من الله

والزحف الجيش الذي يرى لكثرتة كأنه يزحف أي يدب ديبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تنفروا فضلا لأن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا) مائلا (لقتال) وهو الكر بعد الفرو يحيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضمما (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في يولهم (فقدباء بغضب من الله

من العذاب وهو قوله ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالغير ليس من دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ يعني مجتمعين متزاحفين بعضكم إلى بعض والتزاحف التنادي في القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل أن يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفا لأنها تمشي كل طائفة إلى صاحبها مشيا رويدا وذلك قبل التنادي للقتال وقال ثعلب الزحف المشى قليلا قليلا إلى الشيء ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ يعني فلا تولوهم ظهرهم ظهرهم فان المنهزم يولى ظهره ودبره ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال ﴿ الا متحرفا لقتال ﴾ يعني الانقطاع إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها ومكائدها ﴿ قوله عز وجل ﴿ أو متحيزا إلى فئة ﴾ يعني أو منضمما وصائرا إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال ﴿ فقدباء بغضب من الله ﴾ يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا

(وأن للكافرين) في الآخرة (عذاب النار) يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا يوم بدر (زحفا) مزاحفة (فلا تولوهم) أي فلا تولوهم (الادبار)

منهزمين (ومن يولهم) يول عنهم (يومئذ) يوم بدر (دبره) ظهره منهزما (الا متحرفا للقتال) (في) مستطرد للقتال ويقال للكرة (أو متحيزا) أو منحاز (إلى فئة) ينصرفون ويغشون (فقدباء بغضب من الله) فقد رجع واستوجب

ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿١﴾ هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب ﴿٢﴾ فلم تقتلوهم ﴿٣﴾ بقوتكم ﴿٤﴾ ولكن الله قتلهم ﴿٥﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العققل قال عليه الصلاة

في هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله ﴿٦﴾ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿٧﴾

فصل في حكم هذه الآية ﴿٨﴾

اختلف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدرى هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا وانحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشهد الله عليهم أمر الانهزام وحرمة عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يوب الله من بعد ذلك على يشاء وقال عبد الله ابن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حيصة فانهم منا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل أنتم الكرارون انما فئة المسلمين قوله لخاص الناس حيصة يعنى جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الى كنت له فئة أنافئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولى ظهره مبهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بمعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبار الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم أن يفروا من مثلهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المثلين جاز لهم أن يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاث لم يفرو ومن فر من اثنين فقد فر ﴿٩﴾ قوله عز وجل ﴿١٠﴾ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿١١﴾ قال مجاهد سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الآخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعنى بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم

ومأواه جهنم وبئس المصير (و وزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يخوز فبناء متفعل منه متموز ولما كسروا أهل مكة وقتلوا واسروا وكان القتال منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فاتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهم مواويل بسخط من الله (ومأواه) مصيره (جهنم وبئس المصير) صار اليه (فلم تقتلوهم) يوم بدر (ولكن الله قتلهم) بجبرائيل

هذه قریش جاءت بخيالاتها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصاء فرمى بهافي وجوههم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهمزوا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلنا واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افخرتم بقتلهم فلم تقتلوههم ولكن الله قتلهم ﴿وما رميت﴾ يا محمد رميا توصله الى اعينهم ولم تقدر عليه ﴿اذ رميت﴾ أى آتيت بصورة الرمي ﴿ولكن الله رمى﴾ اتي بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم

فلم تقتلوههم أنتم ولكن الله قتلهم ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ قال أهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزولوا بدر او وردت عليهم رواياة قریش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد فأخذوهما وأتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين قریش قالاهم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا لاندري قال كم يخرجون كل يوم قالوا يوم ماعشرة ويوم ماعسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قریش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الجخثري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة ابن عدى والنضر بن حارث وأبو جهل بن هشام وأميتة بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألت اليكم أفلا ذكبتها فلما أقيمت قریش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل جاء الى الوادي فقال اللهم هذه قریش قد أقيمت بخيالاتها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاه من الحصاء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شامت الوجوه يعنى قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا و دخل في عينه وفقد ومنخرجه من ذلك التراب شئ فانهمزوا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شامت الوجوه فانهمزوا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت لكن الله رمى اذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمى كفا من الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شئ فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم

(وما رميت) يا محمد
(اذ رميت ولكن الله رمى)
يعنى ان الرمية التي رميتها
أنت لم ترمها أنت على الحقيقة
لانك لو رميتها لما بلغ أثرها
الا ما يبلغه أثر رمي البشر
ولكنها كانت رمية الله
حيث أثرت ذلك الأثر
العظيم وفي الآية بيان ان
فعل العبد مضاف اليه
كسبا والى الله تعالى خلقا
لا كما تقول الجبرية والمعتزلة
لانما أثبت الفعل من العبد
بقوله اذ ميت ثم نفاه عنه
وأثبت الله تعالى بقوله
ولكن الله رمى ولكن الله
قتلهم ولكن الله رمى
بتخفيف لكن شامى وحزة
والملائكة (وما رميت)
ما بلغت التراب الى وجوه
المشركين (اذ رميت ولكن
الله رمى) بلغ

على (وليلي المؤمنين) وابعطيهم (منه) ٢٣ ﴿بلاء حسنا﴾ { سورة الانفال } عطاء جيلا والمعنى

والاحسان الى المؤمنين
فعل مافعل ومافعل الا لذلك
(ان الله سميع) لدعائهم
(عليم) باحوالهم
(ذلكم) اشارة الى البلاء
الحسن ومحله الرفع أى
الامر ذلكم (وان الله
موهن كيد الكافرين)
معطوف على ذاكم أى
المراد ابلاء المؤمنين وتوهمين
كيد الكافرين موهن كيد
شامى وكوفى غير حفص
موهن كيد حفص موهن
غيرهم (ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح) ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر عليكم
وهو خطاب لاهل مكة
لانهم حين اردوا ان
ينفروا تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم ان
كان محمد على حق فانصره
وان كنا على الحق فانصرنا
وقيل ان تستفتحوا خطاب
للمؤمنين وان تنهوا
للكافرين أى

(وليلى المؤمنين) ليصنع
بالمؤمنين (منه) من رمى التراب
(بلاء) صنعا (حسنا)
بالنصرة والغنية (ان الله سميع)
لدعائكم (عليم) بنصرتكم
(ذلكم) النصر والغنية لكم
(وان الله) بان الله (موهن)
مضعف (كيد الكافرين)
صنع الكافرين (ان تستفتحوا)

وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه
مارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل
فى طعنة طعن بهابى بن خلف يوم احدث ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات
أورمية سهم رماء يوم خير نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابى الحقيق على فراشه والجمهور
على الاول وقرأ ابن عامر وحزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
فى الموضعين ﴿ وليلى المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر
والغنية ومشاهدة الآيات ﴿ أن الله سميع ﴾ لاستغاثتهم ودعائهم ﴿ عليم ﴾ بنياتهم
واحوالهم ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومحله الرفع أى
المقصود أو الامر ذلكم وقوله ﴿ وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ معطوف عليه
أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهمين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير
ونافع وابوعمر وموهن بالتشديد وحفص موهن كيدا بالاضافة والتخفيف ﴿ ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح ﴾ خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا
الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعدى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين

حتى انهزموا ﴿ وليلى المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ يعنى ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة
بالنصر والغنية والاجر والثواب فقد اجمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة
﴿ ان الله سميع ﴾ يعنى لدعائكم ﴿ عليم ﴾ يعنى باحوالكم ﴿ ذلكم ﴾ يعنى
الذى ذكرت من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا
ذلك الذى فعلنا ﴿ وان الله ﴾ يعنى واعلموا ان الله مع ذلك ﴿ موهن ﴾ أى مضعف ﴿ كيد
الكافر ﴾ يعنى مكرهم وكيدهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴿ هذا
خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان
أبا جهل قال يوم بدر لما اتقى الجمعان اللهم أينما كان أجفر يعنى نفسى ونفسى محمد صلى الله
عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينما كان خيرا عندك فانصره
وقيل قال اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان
أجفر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان
تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفريقين فينصر المظلوم على الظالم فقد
جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والحق على المبطل
والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال انى لواقف فى الصف
يوم بدر فنظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بغلامين من الانصار حديثا أسنانهما
فتمتيت ان أكون بين أضلع منهما فغمزنى أحدهما فقال أى عم هل تعرف
أبا جهل قلت نعم فاجبتك اليه يا ابن أخى قال أخبرته انه يسب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت

صروا (فقد جاءكم الفتح) النصر لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليكم حيث دعا أبو جهل قبل القتال والهزيمة
اللهم انصر أفضل الدينين واكرم الدينين واحبهما اليك فاستجاب الله دعاءه ونصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم

ألا يجعل منا فتعجبت لذلك قال وغزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يحول في الناس فقلت ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلتاه فقال هل مسحتما سيفيكما فقال لا لأنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين فقال كلا كما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجالان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ماصنع أبو جهل فإنطلق بن مسعود فوجده قد ضرب به ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل وفي كتاب البخاري أنت أبا جهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه أو قال قتله قوم وفي رواية فقال أبو جهل فلو غيراً كارتلني * عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أبا جهل قد أخزى الله الآخر قال ولا أهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغب شيئاً حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد أخرجه أبو داود وأخرجه البخاري مختصراً قال أنه أتى أبا جهل يوم بدروبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستفتحوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكّة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلی الجندين وأهدى الفتيين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففهد نزلات ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فتد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لاهدي الفتيين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلتبس في القتلى فقال اللهم لا يعجزك فلما سمعها جعلته من شأنى فعمدت نحوه فضربته بضربة طيرت قدمه بنصف ساقد قال وضربني ابنه عكرمة على عاتق فطرح يدي فتملقت بجلدة واجهضني القتال عند فلقد قاتلت عامة يومى واني لاسحبها خلفي فلما آذنتي جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عفير معاذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق فمربه عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بآخر رمق فعرفته فوضعف رجلى على عنقه فقلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبما ذا أخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدولة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت ياربى الغنم مرتقى صعباً ثم احتزرت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال آله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال أبى بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

﴿وان تنهوا﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿فهو خير لكم﴾ لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿وان تعودوا﴾ لمحاربتهم ﴿نعد﴾ بالنصرته عليكم ﴿ولن تغنى﴾ ولن تدفع ﴿عنكم فئسكم﴾ جاعتكم ﴿شيئاً﴾ من الاغناء أو المضار ﴿ولو كثرت﴾ فئسكم ﴿وان الله مع المؤمنين﴾ بالنصر والمعونة • وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ﴿وان الله مع المؤمنين﴾ كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهيج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكده ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه﴾ أى

الله عز وجل للمسلمين ان تستفتجوا أى تستنصروا فقد جاءكم الفتح أى النصر ﴿خ﴾ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا لا تستنصر لنا ألا تدعونا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجول نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمة وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه والله ليتقن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستجلبون قلت استدلت بغوى بهذا الحديث على مفسر به أبى بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز ما وعده من احدي الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيباً له ان تستفتجوا يعنى تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم الفتح يعنى فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى ﴿وان تنهوا فهو خير لكم﴾ فهو خطاب للكفار يعنى وان تنهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجمل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر ﴿وان تعودوا نعد﴾ يعنى وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ﴿ولن تغنى عنكم فئسكم﴾ يعنى جاعتكم ﴿شيئاً﴾ يعنى لا تغنى عنكم شيئاً ﴿ولو كثرت﴾ يعنى جاعتكم ﴿وان الله مع المؤمنين﴾ يعنى بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار ﴿قوله عز وجل﴾ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ﴿يعنى في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس﴾ ولا تولوا عنه يعنى عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول

المؤمنين بالنصرة (يا أيها الذين آمنوا) (قا و خا لث) (اطيعوا الله ورسوله) في أمر الصلح (ولا تولوا عنه) (وان تنهوا) عن الكفر والقتال (فهو خير لكم) من الكفر والقتال (وان تعودوا) الى قتال محمد عليه السلام (نعد) الى قتالكم وهزيمتكم مثل يوم بدر (ولن تغنى عنكم فئسكم) جاعتكم (شيئاً) من عذاب الله (ولو كثرت) في العدد (وان الله مع المؤمنين) (يا أيها الذين آمنوا) (اطيعوا الله ورسوله) في أمر الصلح (ولا تولوا عنه)

في فلان أو يرجع الضمير الى الامر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الامر وامثاله وأصله ولا تتولوا فحذف احدي التاءين تخفيفا (وأنتم تسمعون) أي وأنتم تسمعون أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل { الجز التاسع } الكتاب (وهم) ٢٦ لا يسمعون) لأنهم ليسوا بصدقين فكأنهم

غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليت عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي ان شر من يدب على وجه الارض البهائم وان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لا سمعهم) جعلهم سامعين حتى يسمعو سماع المصدقين (واو أسمعهم لتولوا) عنه أي ولوا أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان

عن أمر الله ورسوله (وأنتم تسمعون) مواظظ القرآن وأمر الصلح (ولا تكونوا) في المعصية ويقال في الطاعة

ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعة والذهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد اول الامر الذي دل عليه الطاعة (وأنتم تسمعون) أقرآن والمواظظ سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا (ان شر الدواب عند الله) شر ما يدب على الارض أو شر البهائم (الصم) عن الحق (اليكم الذين لا يعقلون) اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضاوا لاجله (ولو علم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات (لا سمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) وقد علم ان لا خير فيهم (لتولوا) ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون)

صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد (وأنتم تسمعون) يعني القرآن يتلى عليكم (ولا تكونوا كالذين قالوا) بألسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعني وهم لا يعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواظظ وهذه صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله (الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيهم ولا يقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عبي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عبيد وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا) لا سمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب أن يعلم الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لا سمعهم الله الحجج والمواظظ سماع تعليم وتفهم (واو أسمعهم) يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواظظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا) وهم معرضون يعني لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عند لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهدك بالنبوة فتؤمن لك فقال الله سبحانه

(الذين قالوا سمعنا) اطعنا وهم بنو عبد الدار والنضر بن الحارث وأصحابه (وهم لا يسمعون) لا يطيعون (وتعالى) ونزل فيهم أيضا (ان شر الدواب) الخلق والخالقة (عند الله الصم) عن الحق (اليكم) الذين لا يعقلون لا يفهمون امر الله وتوحيده (ولو علم الله فيهم) في بني عبد الدار (خيرا) سعادة (لا سمعهم) لا كرمهم بالايمان (ولوا سمعهم) اكرمهم بالايمان (لتولوا عنه) عن الايمان لعلم الله فيهم (وهم معرضون) مكذبون به

لنأدهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم احي لنا قضيما فانه كان شيخا مباركا حتى يشهدك فنؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي ﴿يأيها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول﴾ بالطاعة ﴿اذا دعاكم﴾ وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فجعل في صلاته ثم جاء فقال مامنك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحى الي استجبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول ﴿لما يحضركم﴾ من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل وموته وقال

لا تجبن الجهول حلتته • فذاك ميت وثوبه كفن

أومما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال أو من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون

وتعالى ولو احياءهم قصيا وسموا كلامه تلوا وعنه وهم معرضون ﴿قوله عز وجل﴾ يأيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول ﴿يعني أجبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما﴾ اذ دعاكم ﴿يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله تعالى اذ دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا لله ورسوله اليه (ح) عن ابي سعيد بن المولى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتته فقلت يا رسول الله اني كنت أصلي فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذ دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأي فالتفت ابي ولم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام مامنك يأي أن تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله الي استجبوا لله وللرسول اذ دعاكم لما يحضركم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء أحد آخر وقيل لودعاه أحد لامر مهم لا يحتمل التأخير فله ان يقطع صلاته ﴿قوله عز وجل﴾ لما يحضركم ﴿يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعزه بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء

(يأيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذ دعاكم) وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتخريض (لما يحضركم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر

لا تجبن الجهول حلتته

فذاك ميت وثوبه كفن
أولجاهدة الكفار لانهم او
رفضوها فلبوهم وتلوههم
أوللشهادة لقوله تعالى بل

(يأيها الذين آمنوا) يعني اصحاب محمد عليه السلام (استجبوا لله) أجبوا الله (وللرسول اذ دعاكم) لما يحضركم (الى ما يكرمكم ويعزكم ويصلحكم من القتال

أحياء عندهم (واعلموا)

أن الله يحول بين المرء وقلبه
أى يمتنه فتفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي
التمكن من اخلاص القلب
فغنتموا هذه الفرصة
وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله
ورسوله أو بينه وبين ما تمناه
بقائه من طول الحياة
فيفسخ عزائم (واند اليه
تخشرون) واعلموا انكم
انتم تخشرون فيشيككم على
حسب سلامة القلوب
واخلاص الطاعة
(واتقوا فتنة) عذابا
(لاتصيب الذين ظلموا
منكم خاصة) هو جواب
للأمر أى ان أصابتكم
لاتصيب الظالمين منكم
خاصة ولكنكم اتممكم وجاز
أن تدخل النون المؤكدة
في جواب الأمر لان فيه
معنى النهى كما اذا قلت انزل
عن الدابة لا تطرحك وجاز
لا تطرحك ومن في منكم

وبغيره (واعلموا) يا معشر
المؤمنين (ان الله يحول)
يحفظ (بين المرء وقلبه)
بين المؤمن بأن يحفظ قلب
المؤمن على الايمان حتى
لا يكفر ويحفظ قلب الكافر
على الكفر حتى لا يؤمن
(واند اليه) الى الله في الآخرة
(تخشرون) فيجزىكم
بأعمالكم (واتقوا فتنة) كل فتنة تكون (لاتصيب الذين ظلموا منكم خاصة) ولكن تصيب الظالم والمظالم (الظالم)

واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربته من العبد كقوله تعالى ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وتنبه على انه مطاع على مكذوبات القلوب ماعسى يغفل
عند صاحبها أو حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه
وبين قلبه بالموت أو غيره أو تصوير وتخيل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائم ويغير
مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته
وقرى بين المرء بالتشديد على حذف الهزمة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل
بحرى الوقف على لغة من يشدد فيه * وانه اليه تخشرون * فيجازيكم بأعمالكم
واتقوا فتنة لاتصيب الذين ظلموا منكم خاصة * اتقوا ذنبا يحكم اثره كقرار المنكر
بين اظهركم والمداينة في الامر بالمعروف واقتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل
في الجهاد على ان قوله لاتصيب اما جواب الأمر على معنى ان أصابتكم لاتصيب الظالمين

عندهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين
المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول
سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان
يؤمن أو يكفر الا باذنه وتدلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب
اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة
لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف
شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه
حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك
عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلوبى على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنابك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان
القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرج الترمذى وهذا الحديث
من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتزيده الله
تعالى عن الجارح والجسم وقيل في معنى الآية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى
لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا في غاية
الضعف والقلية خافت قلوبهم وضائق صدورهم فقبل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان
الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجنب جراءة * قوله عز وجل * وأنه اليه
تخشرون * يعنى في الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصى *
قوله سبحانه وتعالى * واتقوا فتنة لاتصيب الذين ظلموا منكم خاصة * لما أخبر الله عز وجل
أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم
لم تقتصر على الظالم خاصة بل تعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح وأراد بالفتنة
الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير

منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واماصفة لفتنة ولا لفتن وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى في غير القسم أوللنهي على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمدق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيين وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذئب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم * واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض * ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين

الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال سدي ومجاهد والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يتبرأوا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدي بن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا علمت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها أخرجه أبو دود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يتدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والمعاشي خير من الساعي من أشرف لها تستشرفدو من وجد ملجأ أو معاذ فليعذب فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحلة الله وكرمه أن يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية أو لانه تعالى علم اشتمل ذلك على أنواع من أنواع المصلحة والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى * واعلموا ان الله شديد العقاب * فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذر الله منها وقوله عز وجل * واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض *

للتبعيض (واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا اذ انتم قليل) اذ مفعول به لا ظرف أي واذكروا وقت كونكم أقللة أذلة (مستضعفون في الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم

(واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا) يا معشر المهاجرين (اذ انتم قليل) في العدد (مستضعفون) مهضرون (في الارض) أرض مكة

وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم ﴿ تخافون ان يتخطفكم الناس ﴾ كفار قريش أو من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم ﴿ فأواكم ﴾ الى المدينة أو جعل لكم مأوى تحصنون به من اعدائكم ﴿ وأيديكم بنصره ﴾ على الكفار أو بمظاهرة الانصار أو بامداد الملائكة يوم بدر ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من الغنائم ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ هذه النعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في المغنم وروى انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كاصالح

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين اذ أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في أرض مكة في ابتداء الاسلام ﴿ تخافون ان يتخطفكم الناس ﴾ يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم ﴿ فأواكم ﴾ يعني الى المدينة ﴿ وأيديكم بنصره ﴾ يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ يعني تشكرون الله على نعمه عليكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴿ قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على أن يسيروا الى اخوانهم الى أذرع وأريحاء من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أن تنزل على حكم سعد بن معاذ فإشار أبو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما اوجاءني لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فاني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه فكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقبل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي حلني فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة ان تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزبك الثلث ان تصدق به فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر

قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فأواكم) الى المدينة (وأيديكم بنصره) بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم (لعلمكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بان تعطلو فرائضه (والرسول) بان

(تخافون أن يتخطفكم الناس) أن يطردكم أهل مكة أو يأسروكم (فأواكم) بالمدينة (وأيديكم بنصره) يعني أعانكم وقواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلمكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته بالنصرة والغنيمة يوم بدر (يا أيها الذين آمنوا) يعني مروان وأبا لبابة بن عبد المنذر (لا تخونوا الله) في الدين (والرسول) في الإشارة الى بني قريظة أن لا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ

اخوانهم بنى النصير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعوات واريحاء بارض الشام فابى الان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل اليها بالبابة وكان مناصحهم لان عياله وماله
في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل نزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابوالبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت
فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
أو يتوب الله على فكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقبل له قد تيب عليك فحل
نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى
يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجردار قومى التى اصبحت فيها
الذنب وان اخلع من مالى فقال عليه السلام يحزبك الثلث ان تتصدق به واصل الخون
النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه ﴿ وتخونوا
اماناتكم ﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو
﴿ وانتم تعلمون ﴾ انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿ واعلموا انما
اموالكم واولادكم فتنة ﴾ لانهم سبب الوقوع فى الاثم والعقاب أو محنة من الله

من النبي صلى الله عليه وسلم فيفسونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن
عبدالله ان أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا
سفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا صاحبه ان أبا سفيان فى موضع
كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتبوا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم
فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول ﴿ وتخونوا أماناتكم ﴾
ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم ﴿ وانتم تعلمون ﴾ يعنى
انها أمانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة وأصل
الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل
فى معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال
ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا
أماناتكم قال ابن عباس هى ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال
التى ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله أمانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه
من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ومنه الحديث
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك
ولا تخن من خانك أخرجه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ قوله
عز وجل ﴾ واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة ﴿ قيل هذا مما نزل فى أبى لبابة وذلك
لان أمواله وأولاده كانت فى بنى قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام
فى جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة فى الامانة هو حجب المال والولد
نبه الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة على انه يحجب على العاقل

لا تستنوا به (وتخونوا)
جزم عطف على لا تخونوا
أى ولا تخونوا (أماناتكم)
فما بينكم بأن لا تحفظوها
(وانتم تعلمون) تبعه ذلك
ووباله أو وانتم تعلمون انكم
تخونون يعنى ان الخيانة
توجد منكم عن تعمد لا عن
سهو أو وانتم علماء تعلمون
حسن الحسن وقبح القبيح
ومعنى الخون النقص كما ان
معنى الابقاء التمام ومنه
تخونه اذا انتقصه ثم استعمل
فى ضد الامانة والوفاء
لانك اذا خنت الرجل
فى شئ فقال أدخلت عليه
النقصان فيه (واعلموا انما
اموالكم وأولادكم فتنة)
أى سبب الوقوع فى الفتنة
وهى الاثم والعذاب
أو محنة من الله ليلوكم
كيف تحافظون فيهم على
(وتخونوا أماناتكم)
ولا تخونوا فى فرائض الله
وهى أمانة عليكم (وانتم
تعلمون) تلك الخيانة
(واعلموا) يعنى به أبا لبابة
(انما أموالكم وأولادكم)
أتى فى بنى قريظة (فتنة)

حدوده (وأن الله عنده { الجزء التاسع } أجر عظيم) ﴿ ٣٢ ﴾ فليكن ان تحرصوا على طلب ذلك

وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصر الله لكم فرقانا (يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حربه والاسلام باعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويثبت صيتكم وآثاركم في أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيئاتكم) أى الصغائر (ويغفر لكم) ذنوبكم أى الكبائر (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذا عكركم

بليسة لكم (وأن الله عنده أجر عظيم) ثواب وافر في الجنة بالجهد يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله (فيصير أمركم ونهاكم) يجعل لكم فرقانا (نصرة ونجاة) (ويكفر عنكم سيئاتكم) دون الكبائر (ويغفر لكم) سائر الذنوب (والله ذو الفضل) ذو المن

(العظيم) على عباده بالمغفرة والجنة (واذا عكركم)

تعالى ليلوكم فيهم فلا يحملنكم جهنم على الخيانة كابي لبابة ﴿ وان الله عنده أجر عظيم ﴾ لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما أوردكم اليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين الحق والباطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة مما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويثبت صيتكم من قولهم بت اقل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ويسترها ﴿ ويغفر لكم ﴾ بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ﴿ واذا عكركم

أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوى بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال اما انهم مخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله وأخرج الترمذى عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجهلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذى لانعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة قوله لمن ريحان الله أى لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق ﴿ وقوله تعالى ﴾ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ يعنى لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد ﴿ وقوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله ﴾ يعنى بطاعته وترك معاصيه ﴿ يجعل لكم فرقانا ﴾ يعنى يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشيئين لكنك أدب من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أى يفرق بينكم وبين ماتخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويظفي باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ يعنى ويمح عنكم ماسلف من ذنوبكم ﴿ ويغفر لكم ﴾ يعنى ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ لانه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خائفيه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذا عكركم

(الذين)

الذين كفروا) لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكرا ذنكم بكونكم بذلك ان قريشا لما أسلمت الانصار فرقوا ان يتفارق أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس ﴿ ٣٣ ﴾ في صورة { سورة الانفال } شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم

فأردت ان أحضركم وان تعدموا مني رأيا ونحافا فقال أبو البختری رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بثس الرأي ياتيك من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على حمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحم فقال ابليس بثس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال لعنه الله صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت

الذين كفروا ﴿ ٣٤ ﴾ تذكر لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه الذين كفروا ﴿ ٣٥ ﴾ لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل ذكرني به صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكرا يحمداذ يكمرك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما أسلمت الانصار ان يتفارق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبوسفیان وطعينة بن عدى والنضر بن الحرث وأبو البختری بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبیه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختری أما أنا فأرى ان تأخذوا حمدا وتحبسوه في بيت مقيد او تشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بثس الرأي رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بين عامرين اوى فقال أما أنا فأرى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحم منه فقال ابليس لعنه الله ما هذا لكم برأى تعدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتمخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لاشيرون عليكم برأى ما أرى غيره انى أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ثم نعطي كل فتى سيفا صارم ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا القتل فتؤدى قريش دية فقال ابليس لعنه الله صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا والقول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فاتى جبريل

في مضجعه وأذن له الله في الهجرة فامر عليا (قا وخا ه لث) فنام في مضجعه وقال له اتشم يبردنى فإنه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا صاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم

في دار الندوة (الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه

من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذا كراذمكروك بك ﴿ليثبتوك﴾ بالوئاق أو الحبس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لاحتراك به ولا براح وقرئ ﴿ليثبتوك﴾ بالتشديد وليثبتوك من اليات وليثبتوك ﴿أويقتلوك﴾ بـسيوفهم ﴿أو يخرجوك﴾ من مكة وذلك انهم لما سمعوا بالسلام الانصار ومبايعتهم فرغوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصيحا فقال ابو البخترى رأيت ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشربه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيت ان تحمله على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا اري ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنوهاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأنى جبريل النبي عليهما السلام واخبره الخبر وامره بالمجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ بـمكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين

(ليثبتوك) ليحبسوك
ويوثقوك (أويقتلوك)
بسيوفهم (أو يخرجوك)
من مكة (ويمكرون) ويخفون
المكائده (ويمكر الله) ويخفي
الله ما عدلهم حتى ياتيهم

صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن يبيت في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنده فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فرأوه عليا فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري فاقتفوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا الودخله لم يكن النسج العنكبوت على بابه أثر فكش في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا مكر بك الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية ﴿ليثبتوك﴾ أي ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شديدا وأوثقه فقد أثبته لانه لا يقدر على الحركة ﴿أويقتلوك﴾ يعني كما أشار اليهم أبو جهل ﴿أو يخرجوك﴾ يعني من مكة ﴿ويمكرون﴾ يعني ويحتالون ويدبرون في أمرك ﴿ويمكر الله﴾ يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكر لانه في مقابله وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه

(ليثبتوك) ليحبسوك سجننا
وهو ما قال عمرو بن هشام
(أويقتلوك) جميعا وهو
ما قال أبو جهل بن هشام
(أو يخرجوك) طردا وهو
ما قال أبو البخترى بن هشام
(ويمكرون) يريدون قتلك
وهلاكك يا محمد (ويمكر الله)
يريد الله قتلهم وهلاكهم

بغثة (والله خير الماكرين) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر اخبار القرون الماضية في قراءته فقال التضربن الحارث لوشئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم فنزل (واذا تتلى عليهم ﴿٣٥﴾ آياتنا) أى { سورة الانفال } القرآن (قالوا قد سمعنا

لونشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الاساطير الاولين) وهذا صلب منهم ووقاحة دعوا الى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (واذا قالوا اللهم ان كان هذا (أى القرآن) هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا الاساطير الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك (فأمطر علينا حجارة من السماء) أى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب القيل (أو ائتنا بعذاب أليم) نوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبورا

يوم بدر (والله خير الماكرين) اقوى المهلكين (واذا تتلى) تقرأ (عليهم) على النضر بن الحارث وأصحابه (آياتنا) بالاسم، والنهى (قالوا قد سمعنا) ما قال محمد عليه السلام

معهم بان اخرجهم الى بدر وقتل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ﴿٣٥﴾ والله خير الماكرين ﴿٣٦﴾ اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للزواجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم ﴿٣٧﴾ واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا ﴿٣٨﴾ هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فامنعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالبحر عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انقتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ﴿٣٩﴾ أن هذا الاساطير الاولين ﴿٤٠﴾ ماسطره الاولون من القصص ﴿٤١﴾ واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿٤٢﴾ هذا ايضا من كلام ذاك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الاساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعالى اظهروه وقواه والنصره فضاع فعلهم وتديبرهم وظهر فعل الله وتديبره ﴿٤٣﴾ والله خير الماكرين ﴿٤٤﴾ فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولاخير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع أقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم في خديرتهم فقال سبحانه وتعالى في مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا ﴿٤٥﴾ قوله عز وجل ﴿٤٦﴾ واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا ﴿٤٧﴾ نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة من بنى عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رستم واسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلى فقال النضر بن الحارث قد سمعنا يعني مثل هذا الذى جاء به محمد لونشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذى لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدى وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لونشاء لقلنا مثل هذا ﴿٤٨﴾ ان هذا الاساطير الاولين ﴿٤٩﴾ يعنى أخبار الماضين ﴿٥٠﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿٥١﴾ واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿٥٢﴾ نزلت في النضر بن الحارث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحارث لوشئت لقلت مثل

(لونشاء لقلنا مثل هذا) مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم (ان هذا) ما هذا الذى يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الاساطير) أحاديث (الاولين) وأخبارهم (واذا قالوا) قال ذلك النضر (اللهم ان كان هذا) الذين يقول محمد عليه السلام (هو الحق من عندك) أن ليس لك ولد ولا شريك (فأمطر علينا) على النضر (حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وجيع فقتل يوم بدر

وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحق أن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا أن كان هذا هو الحق فاهدأله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لأنك بعثت رحمة للعالمين وسنته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو على كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفرونهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

صبرا (وما كان الله ليعذبهم) ليهلكهم أبا جهل وأصحابه (وأنت فيهم) مقيم (وما كان الله معذبهم) مهلكهم (وهم يستغفرون) يريدون أن

ويك أن كلام الله فقال ذلك والمعنى أن كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو أثنا بعذاب اليم سواء والمراد منه التهمك وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا تجوزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الأولين (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (بيان لما كان المنوجب لا مهالهم والتوقف لأجابه دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال

هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فإن محمد صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فإن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني أن كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما أمطرتها على قوم لوط أو أثنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الأمم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية فحقق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعينة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك أن الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجوه نزلت ومالههم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام (قوله عز وجل) وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (اختلافوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفروا ليعذب أمة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرتهم واستفاحتهم على أنفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى ردا عليهم ومالههم الا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب

والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم اغفر غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما ينفع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون

الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قریش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا اغفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لأعاقبك وأنت تطيعنى أى أطعنى حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أى يسلمون يعنى لو أسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أى وفى اصلاهم من يستغفر وقيل فى معنى الآية ان الكفار لما بانوا وقالوا ان كان محمد محقا فى قوله فامطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمدا محق فى قوله وانه مع ذلك لا يعطر على اعدائه ومنكرى نبوته حجارة من السماء ما دام بين أظهرهم وذلك تعظيما لصلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال فى غير هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثانى وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعانى دلت هذه الآية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن أبى موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى وما لهم الا يعذبهم الله يعنى أى شئ يمنعهم من ان يعذبهم يعنى بعد خروجك من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين فى الآية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين فى هذه الآية انه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الآخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب

من المستضعفين (وما لهم
الا يعذبهم الله) أى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وهو
معذبهم اذا فارقتهم وما لهم
الا يعذبهم الله

يؤمنوا (وما لهم الا يعذبهم
الله) ان لا يهلكهم الله بعدما

(وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية { الجزء التاسع } وإخراجهم ﴿ ٣٨ ﴾ رسول الله والمؤمنين من الصدو كانوا

يقولون نحن ولالة البيت والحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء ف قيل (وما كانوا أولياؤه) وما استحقوا مع أشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولالة أمرا الحرم (أن أولياؤه الالمتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالأكثر الجيع كما يراد بالقللة المدم (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء) صغيرا كصوت المكاء وهو طائر ملج الصوت وهو فعال من مكاء إذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله

خرجت من بين أظهرهم (وهم يصدون) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (عن المسجد الحرام) ويطوفون حوله عام الحديبية (وما كانوا أولياؤه أو لياء المسجد

﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿وما كانوا أولياؤه﴾ مستحقين ولاية امره مع شركهم وهوردلما كانوا يقولون نحن ولالة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ان أولياؤه الالمتقون﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان الله ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ان لا ولاية لهم عليه كانه نبيه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند أو اراد به الكل كما يراد بالقللة العدم ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾ أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها ﴿الامكاء﴾ صغيرا فعال من مكاء يحكوا اذا صفره وقرىء بالقصر كالبكاء ﴿وتصدية﴾ تصفيقا تفعلة من الصدى أو من الصد على ابدال احد حر فى التضعين بالياء وقرىء صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الثانى العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ يعنى وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية ﴿وما كانوا أولياء﴾ قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياؤه يعنى ليسوا أولياء المسجد الحرام ﴿ان أولياؤه الالمتقون﴾ يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك ﴿ولكن أكثرهم﴾ يعنى المشركين ﴿لا يعلمون﴾ ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية﴾ لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهوان صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء فى اللغة الصغير يقال مكأ الطير يحكو اذا صفر والمكاء اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صغير وقيل هو طائر يألف الريف سمي بذلك لكثرة مكانه يعنى صغيره والتصدية التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما انه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالجيب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التى أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدى والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون

(ان أولياؤه) ما أولياؤه (الالمتقون) الكفر والشرك والفواحش محمد عليه السلام وأصحابه (ولكن أكثرهم) (وقال)

كلهم (لا يعلمون) ذلك ولا يصدون به (وما كان صلوتهم) لم تكن عبادتهم (عند البيت الامكاء) صغيرا كصغير المكاء (وتصدية) تصفيقا

ان يصلى يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا ﴿ فذوقوا العذاب ﴾
يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد
والمعهود اثنا بعذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ اعتقادا وعملا ﴿ ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني
عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جذر اوفى ابى سفيان
استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين

عليه وسلم في صلاته يخلطون

عليه (فذوقوا العذاب)

عذاب القتل والاسر يوم

بدر (بما كنتم تكفرون)

بسبب كفركم ونزل

في المطعمين يوم بدر وكانوا

اثني عشر رجلا وكلهم

من قريش وكان يطعم كل

واحد منهم كل يوم عشر

جزور (ان الذين كفروا

ينفقون اموالهم ليصدوا عن

سبيل الله) اى كان غرضهم

في الانفاق الصد عن اتباع

محمد صلى الله عليه وسلم وهو

(فذوقوا العذاب يوم بدر

(بما كنتم تكفرون) بمحمد

عليه السلام والقرآن (ان

الذين كفروا) وهم المطعمون

يوم بدر أبو جهل وأصحابه

وكانوا ثلاثة عشر رجلا

(ينفقون اموالهم ليصدوا)

ليصرفوا الناس (عن سبيل

الله) عن دين الله وطاعته

وقال مجاهد كان نفر من بنى عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف
ويستهزئون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون فالمكء جعل الاصابع في الشدق
والتصدية الصغير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكء
وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخطوا
على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بنى عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان
المكء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم
وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمي ذلك صلاة فان قلت كيف سماها
صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكء والتصدية
صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهوان من كان المكء والتصدية
صلاته فلا صلاته فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن
جبير التصدية صددهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية
من الصد وهو المنع ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ فذوقوا العذاب ﴿ يعنى عذاب القتل
والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يعنى
بسبب كفركم في الدنيا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهى المكء والتصدية
ذكر عقبها عبادتهم المالية التى لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت
في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن
عبد شمس ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن
حزام وأبى بن خلف وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد
المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر وأسلم
من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال
الحكم بن عتبة نزلت في أبى سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين
أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن أبى رزى استأجر أبو سفيان يوم أحد ألفين
ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر
يوم أحد ألفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل

سبيل الله (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه والام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أي من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة يحشرون ليميز حزة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجعله (فيجعله في جهنم) أي الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (فسينفقونها) في الدنيا (ثم تكون عليهم حسرة) ندما في الآخرة (ثم يغلبون) يقتلون ويهزمون يوم بدر (والذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون) يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والطالح من الصالح (ويجعل الخبيث بعضه على بعض)

أوقية أو في اصحاب العير فانه لما اصاب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها كأنها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجلا قبل ذلك (والذين كفروا) أي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم الى جهنم يحشرون (يساقون) ليميز الله الخبيث من الطيب (الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة يحشرون أو يغلبون أو ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجعله ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم الى الكافر ما انفقه ايزيد به عذابه كما للكانزين (فيجعله في جهنم) كله (أولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث

لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره الى مكة مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آبائهم وأبناءهم وأخوانهم يوم بدر فكلما أباسقيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وترككم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن أصيب منا فقيم نرات ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليتقوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسينفقونها) يعني أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) يعني ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) يعني منهم لان فيهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين أموالهم (الى جهنم يحشرون) يعني يساقون الى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعني بعضه فوق بعض (فيركه جميعا) يعني فيجعله ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعني الخبيث (أولئك) اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث

(هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى أبى سفيان وأصحابه (ان ينهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقاتله (فقد مضت سنت الاولين) بالاهلاك ﴿ ٤١ ﴾ في الدنيا ﴿ سورة الانفال ﴾ والعذاب في العقي أو معناه

ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يشيهم على اسلامهم

(هم الخاسرون) المغبونون بالمقوبة (قل) يا محمد (لذين كفروا) أبى سفيان وأصحابه (ان ينهوا) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم (وقد مضت سنت الاولين) خات سيرة الاولين بالنصرة لاوليائه على أعدائه مثل يوم بدر

أو الى المنفقين ﴿ هم الخاسرون ﴾ الكاملون في الخسران لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم ﴿ قل للذين كفروا ﴾ يعنى أبى سفيان وأصحابه والمعنى قل لا جهم ﴿ أن ينهوا ﴾ عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ من ذنوبهم وقرى بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ وأن يعودوا ﴾ الى قتاله ﴿ فقد مضت سنت الاولين ﴾ الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ لا يوجد فيهم شرك ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ وتضمحل عنهم الاديان الباطلة ﴿ فان انتهوا ﴾ عن الكفر ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثباتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب

﴿ هم الخاسرون ﴾ يعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قل ﴿ يعنى قل يا محمد ﴾ للذين كفروا ان ينهوا ﴿ يعنى عن الشرك ﴾ يغفر لهم ما قد سلف ﴿ يعنى ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام ﴾ وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين ﴿ يعنى في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنت الاولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه يعنى بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفر فارجه وأن لا يجز عن هدم ما بعده من ذنب ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ قال ابن عباس يعنى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليهادعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعنى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء ﴿ فان انتهوا ﴾ يعنى الشرك وافتتان المؤمنين وابتدائهم ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ يعنى فان الله لا يخفى عليه شئ

(وقاتلوهم) يعنى كفار أهل مكة (حتى) (قا و خا ٦ لث) لا تكون فتنة (الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد عليه السلام في الحرم (ويكون الدين) في الحرم والعبادة (كله الله) حتى لا يبقى الا دين الاسلام (فان انتهوا) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم (فان الله بما يعملون) من الخير والشر (بصير

﴿وَأَنْ تُولُوا﴾ ولم يشهوا ﴿فاعلموا ان الله مولاكم﴾ ناصركم فتقوا به ولا تبالوا
بمعاداتهم ﴿نعم المولى﴾ لا يضيع من تولاه ﴿ونعم النصير﴾
لا يقلب من نصره

من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم ﴿وان تولوا﴾ يعنى وان أعرضوا عن الايمان
وأصروا على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايدائهم ﴿فاعلموا﴾ يعنى أيها المؤمنون
﴿ان الله مولاكم﴾ يعنى ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم ﴿نعم المولى﴾
ونعم النصير ﴿يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان
فى حفظه ونصره وكفايته وكلاءته فهو له
نعم المولى ونعم النصير

(وان تولوا) أعرضوا عن
الايمان ولم يشهوا (فاعلموا
ان الله مولاكم) ناصركم
ومعينكم فتقوا بولايته
ونصرته (نعم المولى)
لا يضيع من تولاه (ونعم
النصير) لا يقلب من نصره
والخصوص بالمدح محذوف
وان تولوا (عن الايمان
(فاعلموا) يامعشر
المؤمنين (ان الله مولاكم)
حافظكم وناصركم
عليهم (نعم المولى) المولى
بالحفظ والنصرة (ونعم
النصير) المانع

الجزء العاشر

اللهم ايدنا بالملائكة المقربين

﴿واعلموا ان ما غنمتم﴾ أى الذى اخذتموه من الكفار قهرا ﴿من شئ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط ﴿فان لله خسه﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فثبت ان لله خسه. وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على خسة المعطوفين ﴿وللرسول﴾

﴿قوله عز وجل﴾ واعلموا ان ما غنمتم من شئ فان لله خسه وللرسول ﴿الغنم﴾ الفوز بالشئ يقال غنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنمة والى اسمان لسمى واحداً ثم يختلفان فى التسمية فقال عطاء بن السائب الغنمة ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهى فى وقال سفيان الثوري الغنمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهد الواقعة والى ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمى الله وقبل الغنمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والى ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان النى والغنمة معناه ما واحد وهما اسمان لشئ واحد والصحيح انهما يختلفان فالنى ما أخذ من أموال الكفار بغير انجاف خيل ولا ركاب والغنمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بالانجاف خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية حكم الغنمة فقال تعالى واعلموا ان ما غنمتم من شئ يعنى من أى شئ كان حتى الخيط والخيط فان لله خسه وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهماً منه لله مفردا لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنمة تقسم

(واعلموا ان ما غنمتم) ما غنمتم من شئ (من شئ) من الاموال (فان لله خسه) يخرج خمس الغنمة لقبول الله (وللرسول)

(واعلموا) يا معشر المؤمنين (ان ما غنمتم من شئ) من الاموال (فان لله خسه) يخرج خمس الغنمة لقبول الله (وللرسول)

ولدى القربى

خسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقي لخسة أصناف
 كذا ذكر الله عز وجل للرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
 وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى
 الكعبة والقول الاول أصح أى ان خمس الغنيمة يقسم على خسة أسهم سهم لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين ومافيه قوة الاسلام
 وهذا قول الشافعى وأحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضى
 الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة
 هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس
 فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين في الآية وهم ذوو القربى واليتامى
 والمساكين وابن السبيل * وقوله سبحانه وتعالى * ولدى القربى * يعنى ان سهمها
 من خمس الخمس لذوى القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا
 فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد
 وعلى بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب
 وليس لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل منه شئ وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روى
 عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
 يا رسول الله أعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وفي رواية أعطيت بنى
 المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه
 وسلم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شئاً أخرجه البخارى وفي رواية أبى داود ان جبير
 بن مطعم جاءه هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس
 في بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لآخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا
 وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد
 وفي رواية النسائى قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى
 في بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا
 النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لانكر فضلهم للموضع الذى وضعك
 الله به منهم فما بال آخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب لانفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شئ
 واحد وشبك بين أصابعه وأختلف أهل العلم في سهم ذوى القربى هل هو ثابت
 اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم وأغنيائهم من خمس الخمس
 للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعى وذهب أبو حنيفة وأصحاب الرأى
 الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى مردود

ولدى القربى

الرسول (ولدى القربى
 ولقب قرابة النبي صلى الله
 عليه وسلم

عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب ودون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم للتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمة ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على التامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه

(والتامى) ولقبيل التامى غير يتامى بنى عبدالمطلب (والمساكين) ولقبيل المساكين غير مساكين بنى عبدالمطلب (وابن السبيل) ولقبيل الضيف والمحتاج كأنسا من كان وكان يقسم الخمس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم للنبي عليه السلام وهو سهم الله وسهم للقرابة لان النبي عليه السلام كان يعطى قرابته لقبيل الله وسهم للتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل فلأمات النبي صلى الله عليه وسلم سقط سهم

والتامى والمساكين وابن السبيل ﴿ فكأنه قال فان الله خسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غيران سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما

في الخمس فيقسم خمس الغنمية على ثلاثة أصناف التامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم وجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وألحقه الشافعى بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ والتامى ﴾ جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الخمس للتامى واليتيم الذى له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذى لأب له فيعطى مع الحاجة اليه ﴿ والمساكين ﴾ وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ﴿ وابن السبيل ﴾ وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنمية ويقسم أربعة أخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنمية فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفارسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفارس سهمين وللرجل سهما وفى رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى ومسلم وفى رواية أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل ولفارسه ثلاثة أسهم سهم له وسهمين لفارسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللرجل سهم ويرضخ للبعيد والنسوان والصبيان اذا حضر والقتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند أبى حنيفة يتخير الامام فى العقارين ان يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفا على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا فى القتال يستحق سلبه من رأس الغنمية لما روى عن أبى قتادة أن رسول الله

عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم للتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على التامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه

(والتامى) ولقبيل التامى غير يتامى بنى عبدالمطلب (والمساكين) ولقبيل المساكين غير مساكين بنى عبدالمطلب (وابن السبيل) ولقبيل الضيف والمحتاج كأنسا من كان وكان يقسم الحس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم للنبي عليه السلام وهو سهم الله وسهم للقرابة لان النبي عليه السلام كان يعطى قرابته لقبيل الله وسهم للتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل فلأمات النبي صلى الله عليه وسلم سقط سهم النبي صلى الله عليه وسلم والذي كان يعطى للقرابة بقول أبي بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (صلى الله)

والتامى والمساكين وابن السبيل ﴿ فكأنه قال فان الله خسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذبح ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما

في الحس فيقسم خمس الغنية على ثلاثة أصناف التامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وألحقه الشافعى بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ والتامى ﴾ جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الحس للتامى واليتيم الذى له سهم في الحس هو الصغير المسلم الذى لأب له فيعطى مع الحاجة اليه ﴿ والمساكين ﴾ وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ﴿ وابن السبيل ﴾ وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الحس مع الحاجة اليه فهذا مصروف خمس الغنية ويقسم أربعة أخسائها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنية فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفارسه ويعطى الرجل سهما واحدا لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفارس سهمين وللرجل سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى ومسلم وفي رواية أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل وفارسه ثلاثة أسهم سهم له وسهمين لفارسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللرجل سهم ويرضخ للبيد والنسوان والصبيان اذا حضر والقتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند أبى حنيفة يتخير الامام فى العقارين ان يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفا على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا فى القتال يستحق سلبه من رأس الغنية لما روى عن أبى قتادة أن رسول الله

فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لانكركم فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرايت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية تنزلت بعد وقيل الخمس كان في غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من

صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلاله عليه بينة فله سلبه أخرجه الترمذى وأخرجه البخارى ومسلم في حديث طويل والسبب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذى كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من سرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البدأة والثالث في الرجعة أخرجه أبو داود اختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعى وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائى وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهم الغزاة وهو قول أحمد واسحق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل وأما النى وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدون وكذلك الجزية وما أخذ من أموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للنجارة أو يموت أحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فى ومال النى كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمران الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا النى بشئ لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ عمرو ما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقى يجعله بحمل مال الله في الكراع والسلاح واختلف أهل العلم في مصرف النى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للامة بعده وللإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة الذين أثبتت أسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارباب العدو والقول الثانى انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم

كان على ستة لله والرسول
سهمان وسهم لا قارب
فأجرى أبو بكر رضى الله
عنه الخمس على ثلاثة وكذا
عمرو ومن بعده من الخلفاء
رضى الله عنهم ومعنى لله
والرسول لرسول الله كقوله
والله ورسوله أحق أن يرضوه

لكل نبي طعمة في حياته فاذا
مات سقطت فلم يكن بعده
لاحد وكان يقسم أبو بكر
وعمر وثمان وعلى في خلافتهم
الخمس على ثلاثة أسهم سهم
لليتامى غير يتامى بنى عبد
المطلب وسهم للمساكين
غير مساكين بنى عبد المطلب
وسهم لابن السبيل للضيف
والاحتاج

(ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا به وارضوا بهذه القسمة فلايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعمل (وما نزلنا) معطوف على بالله
 أى ان كنتم آمنتم بالله وبالنزل { الجزء العاشر } (على عبدنا يوم الفرقان) ٤٨ - يوم بدر (يوم لتقى الجمعان) الفرقان

شوال على رأس عشر من شهرا من الهجرة ﴿ أن كنتم آمنتم بالله ﴾ متلو بمحذوف دل
 عليه واعلموا أى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخس لهؤلاء فسلوه اليهم واقتنعوا
 بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
 والمقصود بالذات هو العمل ﴿ وما نزلنا على عبدنا ﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصره وقرى
 عبدنا بضمين أى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم بدر فانه فرق فيه
 بين الحق والباطل ﴿ يوم التقي الجمعان ﴾ المسلمون والكفار ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر
 على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة ﴿ اذا نتم بالعدوة الدنيا ﴾ بدل من يوم الفرقان
 والعدوة بالحرركات الثلاث شط الوادى . وقد قرى بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة
 ابن كثير وابى عمرو ويعقوب ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾ البعدى من المدينة تأنيث
 الاقصى وكان قياسه

فالا هم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس النى فذهب الامام الشافعى رضى
 الله تعالى عنه الى أنه يخمس وخسه لاهل الخس من الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة
 أخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يخمس بل يصرف جميعه
 مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق . عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوما النى
 فقال ما أنا أحق بهذا النى منكم وما أحدنا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا
 من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه
 والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوى بسنده عنه انه
 سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له فى هذا النى حق الا ما ملك
 أيمانكم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (ان كنتم آمنتم بالله) ﴿ يعنى واعلموا أيها المؤمنون
 ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر فى هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عند أطعامكم واقتنعوا
 بأربعة أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدايته ﴿ وما نزلنا على عبدنا ﴾ يعنى
 وآمنتم بالنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه
 وسلم والذى انزله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن الانفال الآية ﴿ يوم الفرقان ﴾
 يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل
 ﴿ يوم التقي الجمعان ﴾ يعنى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول
 مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا
 يوم الجمعة لتسع عشرة أولسبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يومئذ ثمانمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون مابين الالف والتسمائة فوزم الله
 المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأمر منهم مثل ذلك ﴿ والله على كل شئ
 قدير ﴾ يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قتلهم وكثرة أعدائكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
 ﴾ (اذ أنتم) أى اذ كنتم وانعمت الله عليكم يا معشر المسلمين اذ أنتم ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ يعنى بشفير
 الوادى الأدنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الأدنى ﴿ وهم ﴾ يعنى المشركين ﴿ بالعدوة القصوى ﴾

من المسلمين والكافرين والمراد
 ما أنزل عليه من الآيات
 والملائكة والفتح يومئذ
 وهو بدر من يوم الفرقان
 (والله على كل شئ قدير)
 يقدر على ان ينصر
 القليل على الكثير كما فعل
 بكم يوم بدر (اذ أنتم) بدل
 من يوم الفرقان او التقدير
 اذ كنتم (بالعدوة)
 شط الوادى وبالكسر فيهما
 مكى وأبو عمرو (الدنيا)
 القربى الى جهة المدينة
 تأنيث الأدنى (وهم بالعدوة
 القصوى) البعدى عن

(ان كنتم) اذ كنتم
 (آمنتم بالله وما نزلنا)
 وبما نزلنا (على عبدنا)
 محمد عليه السلام (يوم
 الفرقان) ويوم الدولة
 والنصرة لمحمد وأصحابه
 ويقال يوم الفرقان يوم
 فرق بين الحق والباطل
 وهو يوم بدر حكم بالنصرة
 والغنيمة للنبي صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه والقتل
 والهزيمة لابي جهل
 وأصحابه (يوم التقي
 الجمعان) جمع محمد عليه
 السلام وجمع أبى سفيان
 (والله على كل شئ)
 من النصر والغنيمة للنبي

صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (قديرا اذ أنتم) يا معشر المؤمنين (يعنى)
 (بالعدوة الدنيا) القربى الى المدينة دون الوادى (وهم) يعنى أبا جهل وأصحابه (بالعدوة القصوى) البعدى من

لمدينة تأنيث الاقصى وكلتاها فعلى من بنات الواو والقياس قلاب الواو ياء كالعليا تأنيث الاعلى وأما القصوى فكانت قود
في تحيينه على الاصل (والركب) أى العير وهو جـ مع راكب في المعنى (أسفل منكم) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم
يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدأ (ولوتواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم
على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم في الميعاد) خالف بعضكم بعضا فشطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وشبطهم
ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٩ سورة الانفال والمسلمين فلم يتفق لكم من

التلاقى ما وفق الله وسبب له
(ولكن) جمع بينكم بلا
ميعاد (ليقتضى الله أمرا
كان مفعولا) من اعزاز
دينه واعلاء كلمته واللام
تعلق بخذوف أى ليقضى
الله أمرا كان ينبغي ان يفعل
وهو نصر أوليائه وقهر
أعدائه بذلك قال الشيخ
أبو منصور رحمه الله القضاء
يحتمل الحكم أى يحكم ما قد علم
انه يكون كائنا أوليتم أمرا
كان قد اراده وما اراد كونه
فهو مفعول لا محالة وهو

عز الاسلام وأهله وذل الكفر
وحزبه ويتعلق بيقضى
(لهلاك من هلك عن بينة
ويحيى من حى عن بينة)
حى نافع وأبرعرو فالادغام
لاتقاء المثلين والالظهار
لان حركة الثانى غير

المدينة من خالف الوادى
(والركب) العير أبو
سفيان وأصحابه (أسفل

قاب الواو ياء كالنديا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو
أكثر استعمالا من القصياء (والركب) أى العير أو قوادها (أسفل منكم) فى مكان
اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم
على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبدلوا منتهى جهدهم
وضعت شأن المسلمين والنيث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين
فان العدو الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا عشى فيها الا بتعب ولم يكن
فيها ماء بخلاف العدو القصوى وكذا قوله (ولوتواعدتم لاختلفتم في الميعاد)
أى لوتواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة
منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الاصنع من الله
خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحالة من غير
ميعاد (ليقتضى الله أمرا كان مفعولا) حقيقة بان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه
وتوله (لهلاك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) بدل منه أو متعلق بقوله

يعنى بشفير الوادى الاقصى من المدينة بمابلى مكة والقصوى تأنيث الاقصى
(والركب أسفل منكم) يعنى أباسفيان وأصحابه وهم غير قريش التى خرجوا
لاجهلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة
أميال من بدر (ولوتواعدتم) يعنى أنتم والمشركون (لاختلفتم في الميعاد) وذلك
ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار لينعواها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد
والمعنى ولوتواعدتم أنتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقتلكم وكثرة عدوكم
(ولكن) يعنى ولكن الله جمعكم على غير ميعاد (ليقتضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى من نصر
أوليائه وعزاز دينه واهلاك أعدائه وأعداء دينه (لهلاك من هلك عن بينة) يعنى ليموت
من مات عن بينة آها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (ويحيى من حى عن بينة) يعنى
ويعيش من عاش عن بينة آها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد ابن اسحق

منكم) على شط البحر بثلاثة اميال (ولو) (قا و خا ٧ لث) تواعدتم) فى المدينة للقتال (لاختلفتم في الميعاد)
فى المدينة بذلك (ولكن ليقضى الله) ليقضى الله (أمرا كان مفعولا) كائنا بالنصرة والغلبة لانه صلى الله عليه وسلم
وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (لهلاك من هلك) يقول لهلاك على الكفر من أراد الله ان يهلك
(عن بينة) بعد البيان بالنصرة لمحمد عليه السلام ويحيى على الايمان (من حى) من أراد الله ان يثبت (عن بينة)
بعد البيان بالنصرة لمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال لهلاك ليكفر من هلك من أراد الله ان يكفر عن بينة بعد البيان بالنصرة لمحمد

لازمة لانك تقول في المستقبل يحي والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى يصدر كفر من كفر عن وضوح بيته لاعن مخالفة شبهة حتى لا يبق له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطاهما ولهذا ذكر فيها امر اكرز الفريقين وان العير { الجزء العاشر } كانت أسفل ﴿ ٥٠ ﴾ منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة لعلم

الخلق ان النصر والغلبة لانكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدو القصى الذى أتاه بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لباس بها ولا ماء بالعدو الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الاتباع ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو ومع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان (وان الله لسميع) لا قوالهم (عليم) بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه (اذيريكهم الله) نصب باضمار اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح اذ يقتلهم في عينك (في منامك قليلا) أى في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤيا قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكم كثيرا لفشلتم) لجنبتم وهبتم الافدام (ولتنزعتم في

مفعولا والمعنى يموت من يموت عن بيته عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها فلا يكون له حجة ومعدرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة وألصدر كفر من كفر وایمان من آمن عن وضوح بيته على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد عن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرى ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر ويعقوب من حي بضم الحاء على المنسقبل ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ بكفر من كفر وعقابه وایمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد ﴿ اذيريكهم الله ﴾ في منامك قليلا ﴿ مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعلم أى يعلم المصالح اذ يقتلهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ﴿ ولو أراكم كثيرا لفشلتم ﴾ لجنبتم ﴿ ولتنزعتم في الامر ﴾ امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ ولكن الله سلم ﴾

معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هى الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بيته وهتدى من اهتدى على بيته ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذيريكهم الله ﴿ يعنى واذا كر يا محمد نعمة الله عليك اذيريك المشركين ﴿ في منامك ﴾ يعنى في نومك ﴿ قليلا ﴾ قال مجاهد أراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنصابه بذلك وكان ذلك تثبيتا وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بهما تخوف عليهم من ضعفهم لعدم بما فيهم وقيل لما رأى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراءتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراء كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ﴿ ولو أراكم كثيرا لفشلتم ﴾ يعنى لجنبتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراكم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ﴿ ولتنزعتم في الامر ﴾ يعنى اختلفتم في أمر الاقدام عليهم أو الاجام عنهم وقيل معنى التنزع في الامر الاختلاف الذى تكون معه مخاصمة ومجادلة ومجادبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب أمركم واختلفت كلمتكم ﴿ ولكن الله سلم ﴾ يعنى ولكن الله سلمكم من التنزع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله

(الامر) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل (سلمكم)

صلى الله عليه وسلم ويؤمن من أراد الله ان يؤمن من بعد اليأس (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) باجابتكم ونصرتكم (اذيريكهم الله في منامك) يا محمد قبل يوم بدر (قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم) لجنبتم (ولتنزعتم في الامر) اختلفتم في أمر الحرب (ولكن الله سام) قضى

والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيهما من الجراءة والجنون والصبر والجزع (واذير يكموهم) الضميران مفعولان أى واذير يكموهم ٥١ (اياهم) (اذ { سورة الانفال } التقيمت) وقت اللقاء (فى

أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجحدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللهم فى أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثروهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلته مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيجترؤوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بأن يستر الله بعضهم بساتر

ويحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال

مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (ليقتضى الله أمرا

كان مفعولا

انعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها وما يغير من احوالها (واذير يكموهم) اذ التقيتم فى أعينكم قليلا (الضميران مفعولان يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه أراهم سبعين فقال أراهم مائة تديتاهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يقللهم فى أعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم فى أعينهم قبل التهام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثروهم حتى يروهم مثلهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظام آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط ليقضى الله أمرا كان مفعولا (كرره لاختلاف الفعل المعلن به أولان المراد بالامر

سلمكم من الهزيمة والفشل (انه عليم بذات الصدور) يعنى انه تعالى يعلم ما يحصل فى الصدور من الجراءة والجنون والصبر والجزع وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انه عليم بما فى صدوركم من الحب لله عز وجل (واذير يكموهم) اذ التقيتم فى أعينكم قليلا (يعنى ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين فى أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا فى القتال ليتأكد فى الذاكرة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة فاسرنا رجالا منهم فقللناكم كنتم قل كنا ألفا (ويقللهم فى أعينهم) يعنى ويقللهم يامعشر المؤمنين فى أعين المشركين قال السدى قل ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذبرز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما محمد وأصحابه أكلة جزور يعنى لقللهم فى أعينهم ثم قال فلا تقتلوههم واربطوهم فى الحبال يقول من القدرة التى فى نفسه والحكمة فى تقليل المشركين فى أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة فى تقليل المؤمنين فى أعين المشركين لتأهبوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن فى القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا (يعنى أمرا كأننا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال فى الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال فى هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا

(انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (واذير يكموهم) يوم بدر (اذ التقيتم

ليقتضى الله أمرا) ليقضى الله أمرا بالنصرة

والنصرة لمحمد عليه السلام وأصحابه والقتل والهزيمة لابی جهل وأصحابه (كان مفعولا) كأننا

والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحزرة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها { الجزء العاشر } لان المؤمنين ٥٢ ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب

للقاتل (فاثبتوا) لقاتلهم ولا تنفروا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب مستظهريين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (اعلمكم تفلقون) تفلقون بمرادكم من النصر والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (وأطيعوا الله ورسوله) في الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا فتفشلوا) فتجبنوا وهو منصوب باضمار ان ويدل عليه (وتذهب ريحكم) أى دولتكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذا أمره شبهت في نفوذ (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (اذالقيتم فئة) جماعة من الكفار يوم بدر (فاثبتوا) مع نبيكم فى الحرب (واذكروا الله كثيرا) بالقلب

ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال فاثبتوا لقاتلهم واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب داعين له مستظهريين بذكره مترقبين لنصره اعلمكم تفلقون تفلقون بمرادكم من النصر والمثوبة وفيه تبيين على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقابان اطفئه لا ينطفئ عنه فى شئ من الاحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر وأحد فتفشلوا جواب انتهى وقبل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والرجح مستعارة

فما معنى هذا التكرار فالتكرار من ذكره فى الآية المقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه التمهيد والغلبة يكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره فى هذه الآية لانه تعالى قال عدد الفريقين فى أعين بعضهم بعضا للحكمة التى تضاهها فلذلك قل ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يعنى فى الآخرة فيحازى كل عامل على قدر عمله فالحسن باحسانه والمسيء بأسائه أو يغفر قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فئة يعنى جماعة كافرة فاثبتوا يعنى لقاتلهم وهو أن يوطئوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولى واذكروا الله كثيرا يعنى كونوا ذاكرين لله عند لقاء عدوكم ذكرنا كثيرا بقاءكم وأستحكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بان يذكره فى أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تذكير على أن الانسان لا يجوز أن يخاف قلبه واسنانه عن ذكر الله وقبل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قل تعالى اعلمكم تفلقون يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الآية بوجوب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لآية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة فى الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدر فى حصول هذا الثبات فى المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قل تعالى مؤكدا لذلك وأطيعوا الله ورسوله يعنى فى أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا فتفشلوا يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف بوجوب الفشل والضعف والجبن قوله عز وجل وتذهب ريحكم يعنى قوتكم وقل مجاهد نصرتكم قل وذهبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقل السدى جرائكم وجحدكم

واللسان بالهليل والتكبير (اعلمكم تفلقون) لى نجو من السخط والمذاب وتصوروا (وأطيعوا الله) وقال (ورسوله) فى أمر الحرب (ولا تنازعوا) لا تختلفوا فى أمر الحرب (فتفشلوا) فتجبنوا (وتذهب ريحكم) شدتكم والريح النصر

أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها وقيل لم يكن ﴿٥٣﴾ نصر قط { سورة الانفال } الا بريح يبعثها الله وفي الحديث

نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) في القتال مع العدو وغيره (ان الله مع الصابرين) أي معيهم وحافظهم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا وأشرا ورءاء الناس) يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿٥٤﴾ بطرا فخرنا وأشرنا ورءاء الناس ﴿٥٥﴾ ليشنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما باغوا الجحفة وانا هم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال ابو جهل لا والله حتى تقدم بدرا ونشرب بها الخمر وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا ناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بنسبه ﴿٥٦﴾ ويصدون عن سبيل الله ﴿٥٧﴾ معطوف على بطرا ان جعل مصدر في موضع

للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصر لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ﴿٥٨﴾ واسبروا ان الله مع الصابرين ﴿٥٩﴾ بالكلاءة والنصر ﴿٦٠﴾ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم ﴿٦١﴾ يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿٦٢﴾ بطرا فخرنا وأشرنا ورءاء الناس ﴿٦٣﴾ ليشنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما باغوا الجحفة وانا هم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال ابو جهل لا والله حتى تقدم بدرا ونشرب بها الخمر وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا ناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بنسبه ﴿٦٤﴾ ويصدون عن سبيل الله ﴿٦٥﴾ معطوف على بطرا ان جعل مصدر في موضع

وقال مقاتل حدثكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زبيدي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قل شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود ﴿٦٦﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿٦٧﴾ واسبروا ﴿٦٨﴾ يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم ﴿٦٩﴾ ان الله مع الصابرين ﴿٧٠﴾ يعني بالنصر والمعونة ﴿٧١﴾ (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ﴿٧٢﴾ (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا ﴿٧٣﴾ قوله عز وجل ﴿٧٤﴾ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ﴿٧٥﴾ يعني فخرنا وأشرنا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكاثرتها أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ﴿٧٦﴾ ورءاء الناس ﴿٧٧﴾ الرياء اظهار الجليل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية ﴿٧٨﴾ ويصدون عن سبيل الله ﴿٧٩﴾ يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر وانهم فخر وبغي

(واصبروا) في القتال مع نبيكم (ان الله مع الصابرين) معين الصابرين في الحرب (ولا تكونوا) في المعصية (كالذين خرجوا من

ديارهم) مكة (بطرا) أشرا (ورءاء الناس) سمعة الناس (ويصدون عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

الحال وكذا ان جعل مفعولاله لكن على تأويل المصدر ﴿والله بما تعملون محيط﴾ فيجازيكم عليه ﴿واذنين لهم الشيطان﴾ مقدر باذكر ﴿اعمالهم﴾ في معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم﴾ مقالة نفسانية والمعنى انه اتى في روعهم وخيل اليهم انه لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات تحجر لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخورها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان أبا سفيان لما رأى انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لقتلنا غيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجموا فقال أبو جهل والله لا ترجع حتى نرد بدر او كان في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بهاسوق في كل عام قال فنقيم عليها ثلاثا ونخر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا زاد غيره قال فلما وافوا بدرًا سقوا أكؤس الخمر عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوايح فكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقالوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره ﴿قوله تعالى﴾ والله بما تعملون محيط ﴿فيدو عيد قومه يديعني اند تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شيء لانه محيط بأعمال الابد اكملها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ واذنين لهم الشيطان أعمالهم ﴿يعني اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين أعمالهم الخبيثة ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم﴾ قل بعضهم كان يزيد وسوسة ألقاها في قلوبهم من غير أن يدخل في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقته بن مالك بن جعشم وكان يزيد بن قريش لما أجمعت على المسيير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقته بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة فقال أبا جار لكم من أن يأنيكم من كنانة شيء تكرهونه فخر جواسرا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معدرايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقته بن مالك بن جعشم فقال للمشركين لا غالب ليكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اسطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عاياه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقته أنزع انك جار لنا فقال اني أرى ما لاترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة

(والله بما يعملون محيط) عالم وهو وعيد (واذنين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) واذا كراذنين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون وغالب مبنى نحو لارجل ولكم في موضع رفع خبر لاتقديره لا غالب كأني لكم (واني جار لكم) أي (والله بما يعملون) في الخروج على النبي صلى الله عليه وسلم والحرب (محيط) عالم (واذنين لهم الشيطان أعمالهم) ابليس خروجهم (وقال لا غالب لكم) عليكم (اليوم من الناس) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (واني جار لكم) معين لكم

مخير لكم أو همهم ان طاعة الشيطان مما يحيرهم ﴿٥٥﴾ (فلما تراءت سورة الانفال) (الفتنان) فلما تلاقى الفريقان

(نكص) الشيطان هاربا
(على عقبيه) أى رجيع
القهقري (وقل انى برى
منكم) أى رجعت عما
ضمنت لكم من الامان روى
ان ابليس تمثل لهم في صورة
سراقة بن مالك بن جهم
في جند من الشياطين معه
راية فلما رأى الملائكة
تنزل نكص فقال له الحرث
ابن هشام أتخذلنا في هذه
الحالة فقال (انى أرى مالا
ترون) أى الملائكة
وانهزموا فلما باغوا مكة
قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله
ما شعرت بمسيركم حتى
باغتني هزيمتكم فلما أسلموا
علموا انه الشيطان (انى
أخاف الله) أى عقوبته
(والله شديد العقاب)

(فلما تراءت الفتنان) الجمعان
جمع المؤمنين وجمع الكافرين
ورأى ابليس جبريل مع
الملائكة (نكص على عقبيه)
رجع الى خلفه (وقال) لهم
(انى برى منكم) ومن قتالكم
(انى أرى مالا ترون) أرى
جبريل ولم تروه (انى أخاف
الله والله شديد العقاب)
اذا عاقب خاف ان يأخذه
جبريل فيعرفه اليهم

أوصفته وليس صلته والالانتصب كقولك لا ضارب زيد عندنا ﴿٥٦﴾ فلما تراءت الفتنان
أى تلاقى الفريقان ﴿٥٧﴾ نكص على عقبيه ﴿٥٨﴾ رجيع القهقري أى بطل كيد و عاد ما خيل
اليهم انه محيرهم بسبب هلاكهم ﴿٥٩﴾ وقال انى برى منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله ﴿٦٠﴾
أى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما
اجتمعت قریش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم وانى محيركم
من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحرث بن هشام فقال له الى
اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال انى أرى مالا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا
فلما باغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى
باغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى
أخاف الله انى أخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة أو يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت
الموعود اذ رأى ما لم يرقبه والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر ﴿٦١﴾ والله شديد العقاب ﴿٦٢﴾

وقوله انى جار لكم يعنى محير لكم من كنانة ﴿٦٣﴾ فلما تراءت الفتنان ﴿٦٤﴾ أى التقي الجمعان رأى
ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء فلم يعد والله ابليس انه لا طاقت له بهم ﴿٦٥﴾ نكص على عقبيه
وقال انى برى منكم ﴿٦٦﴾ يعنى رجيع القهقري وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال
الكلبى لما التقي الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك
ابن جهم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه
فقال له الحرث أفرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم
الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغنى انكم تقولون انى
هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى باغتني هزيمتكم فقالوا أما أتيتنا في يوم كذا وكذا
فخلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله ﴿٦٧﴾ انى أرى مالا
ترون ﴿٦٨﴾ قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببردي عشى بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس
انى أرى مالا ترون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن
علم انه لا قوة له ولا منعة فآوردتهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطاعه اذا
التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فيمن هلك وقيل
خاف أن يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطموه وقيل معناه ﴿٦٩﴾ انى أخاف الله ﴿٧٠﴾
أعلم صدق وعده لا وليا له لانه كان على ثقة من أمر ربه وقيل لما رأى الملائكة قد
نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة ﴿٧١﴾ والله شديد العقاب ﴿٧٢﴾ قيل معناه انى أخاف
الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله
انى أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى
والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به ﴿٧٣﴾ عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن

أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بالثابتين الاقدام في الاسلام (غرهؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثمانمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جواما لهم (ومن يتوكل على الله) بكل اليه أمراء (فان الله عزيز) غالب يسلط القلب الضعيف على الكثير القوى (حكيم) لا يسوى بين وليد وعده (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما تردان الماضي الى معنى الاستقبال (اذ) نصب على الظرف (يتوفى الذين كفروا) يقبض أرواحهم (الملائكة)

فلا يطيعوه بعد ذلك (اذيقول المنافقون) الذين ارتدوا بيدر (والذين في قلوبهم مرض) شك وخلاف وسائر الكفار (غرهؤلاء) محمد عليه السلام وأصحابه (دينهم) نوحيدهم (ومن يتوكل على الله) في النصر (فان الله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) بالنصرة لمن توكل عليه كما نصر نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر (ولو ترى) لو رأيت يا محمد

يحوز ان يكون من كلاسده وان يكون مستأنفا اذيقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنتوا الى الايمان بعد وبق في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غرهؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حين تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثمانمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا ينل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويمجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذيقول الذين كفروا الملائكة بيدر واذا ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روى الشيطان يوما هو فيه أصفر ولا أدر ولا أحقر ولا أعظم منه في يوم عرفته وما ذاك الا لما رى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم يدر فانه قد رأى جبريل يزغ الملائكة أخرجه مالك في الموطأ وقوله ولا أدر هو بالدال والهاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والظرد مع الاهانة وقوله يزغ الملائكة أى يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابلدس على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل اذيقول المنافقون يعنى من أهل المدينة والذين في قلوبهم مرض أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قاة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غرهؤلاء دينهم يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقتلون أضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحالهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن مغيبة بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتباب فحبسهم ارتبابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غرهؤلاء دينهم ثم قال تعالى ومن يتوكل على الله يعنى ومن يسل أمره الى الله ويشق بفضله ويعول على احسانه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شئ حكيم فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى أعدائه قوله عز وجل ولو ترى اذيقول الذين كفروا الملائكة يعنى ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا عند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيما وعذابا شديدا ينالهم في

فأهل (يضربون) حال من (وجوههم) إذا قبلوا (وأدبارهم) ظهورهم وأستاههم إذا دبروا وأوجوههم عند الأقدام وأدبارهم عند الإزمام وقبل في توفى ضمير الله تعالى ﴿٤٧﴾ والملائكة { سورة الانفال } من فروع آيات البدء ويضربون

خبر والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عباس متوفى بالتاء (وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيما (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد أولنفي أنواع الظلم الكاف في (كذاب آل فرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيدأى يوم بدر (يضربون وجوههم) على وجوههم (وأدبارهم) على ظهورهم (وذوقوا عذاب الحريق) الشديد

يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيد بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين ﴿ وأدبارهم ﴾ ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما قبل منهم وما دبر وذوقوا عذاب الحريق ﴿ عطف على يضربون باضمار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهمت النار منها وجواب لو محذوف لغطيع الامر وتحويله ﴿ ذلك ﴾ الضرب والعذاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك ﴿ وإن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ عطف على ما دلالة على أن السببية متقدمة بانضمام اليد إذ لو لاه لا يمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لأن لا يعذبهم بذنوبهم فإن ترك التعذيب من مستحتمد ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد ﴿ كذاب آل فرعون ﴾ أي دأب هؤلاء مثل دأب آل

ذلك الوقت ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ اختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل أن الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون إذا قبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف وإذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جريج يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع أجسادهم ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴾ يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد ترمي بالنار يضربون بها الكفار فتلهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ﴿ ذلك ﴾ يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ يعني إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فإن قلت اليد ليست محلا للكفر وإنما محله القلب لأن الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضي أن فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك متمتع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لأن اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة وقوله عز وجل ﴿ وإن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه إلا بجرم اجتزمه لأنه لا يظلم أحدا من خلقه وإنما نفى الظلم عن نفسه مع أنه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على عصيانه لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحالة نسبة الظلم إليه فلا يتوهم متوهم أنه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فهذا قال الله سبحانه وتعالى وإن الله ليس بظلام للعبيد لأنهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ كذاب آل فرعون ﴿ يعني أن عادة هؤلاء

(ذلك) العذاب (بما قدمت) علمت (أيديكم) (قا و خا ٨ ا ث) في الشرك (وإن الله ليس بظلام للعبيد) أن يأخذهم بالجرم

داوموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله)
 فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب (والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب
 ذلك) العذاب أو الانتقام { الجزء العاشر } (ان الله لم يك) مغيرا نعمته أنعمها على قوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم) بسبب ان الله لم يسخ
 في حكمته ان يغير نعمته عند
 قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال
 نعم لم يكن لآل فرعون
 ومشركي مكة حال مرضية
 فيغيروها الى حال مسخوطة
 لكن لما تغيرت الحال المرضية
 الى المسخوطة تغيرت الحال
 المسخوطة الى أسخف منها
 وأولئك كانوا قبل بوشة
 الرسول اليهم كفرة عبدة
 أصنام فلما بشت اليهم بالآيات
 فكذبوه وسعوا في اراقة
 دمدهم وغيروا حالهم الى أسوأ
 مما كانت . فغير الله ما أنعم
 به عليهم من الامهال وعاجلهم
 بالعذاب (وأن الله سميع)
 لما يقول مكذبوا الرسل
 (عليهم) بما يفعلون (كذاب
 آل فرعون) تكرر لئلا يكيد
 أولان في الاولى الاخذ
 بالذنوب بلا بيان ذلك
 وهنا بين ان ذلك هو الاعلان
 والاستئصال (والذين
 من قبلهم

(كذاب آل فرعون)
 كصنيع آل فرعون (والذين
 من قبلهم كفروا بآيات الله)
 بكتاب الله ورسوله يقول
 كفار مكة كفروا بمحمد

فرعون وهو عليهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أي دأوا عليه (والذين من قبلهم)
 من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأب بهم (فاخذهم الله بذنوبهم)
 كما اخذ هؤلاء (ان الله قوى شديد العقاب) لا يغلبه في دفعه شيء (ذلك) إشارة
 الى ما حل بهم (ان الله) بسبب ان الله (لم يك) مغيرا نعمته أنعمها على قوم (مبدلا
 اياها بالنعمة) حتى يغيروا ما بأنفسهم (يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوأ كتغيير
 قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعريض الآيات والرسل بمعاداة الرسول
 ومن تبعه منهم والسمي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزام بها الى غير
 ذلك مما احذثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا
 حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغير وا حالهم
 واصل يك يكون تخذفت الحركة للجزم ثم الواو لانتقاء الساكنين ثم النون لشبهه
 بالحرروف اللينة تخفيفا (وان الله سميع) لما يقولون (عليهم) بما يفعلون (كذاب
 آل فرعون والذين من قبلهم

الكفار في كفرهم كمادة آل فرعون في كفرهم فجوزى هؤلاء بالمثل والاسريوم بدر كما جوزى
 آل فرعون بالاعراق وأصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا يداوم
 عليه ويتعب نفسه فيه سميت المادّة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن
 عباس معناه ان آل فرعون أداموا انهم سبوا على السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء
 لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبة كما أنزل بال آل فرعون
 (والذين من قبلهم) يعني من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) يعني ان عادة الامم السالفة
 هو كفرهم بآيات الله (فاخذهم الله بذنوبهم) يعني بسبب كفرهم وذنوبهم (ان الله قوى)
 يعني في اخذه والنعمة ممن كفر به وكذب رسوله (شديد العقاب) يعني لمن كفر به وكذب
 رسله (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمته أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني ان الله
 سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا
 صلى الله عليه وسلم فقبلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه
 وسلم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدي
 نعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى الى
 الانصار (وان الله سميع) يعني لا قال خافه لا يخفي عليه شيء من كلامهم (عليهم) يعني بما
 في صدورهم من خير وشر فيجازي كل واحد على عمله (كذاب آل فرعون) يعني ان هؤلاء
 الكفار الذين قتلوا يوم بدر وغيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم

عليه السلام وان قرآن كما كفر فرعون وقرمه والذين من قبلهم بالكذب والرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) بتكذيبهم (كذبوا)
 (ان الله قوى) بالاخذ (شديد العقاب) اذا عاقب (ذلك) العقوبة بان الله لم يك مغيرا نعمته أنعمها على قوم (بالكتاب والرسول والامم
 حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (وان الله سميع) بدعائكم (عليهم) باجابتكم (كذاب آل فرعون) كصنيع آل فرعون (والذين

كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله آيات ﴿٥٩﴾ ربهم زيادة دلالة على { سورة الانفال } كفران النعم وجحود الحق

(فاهلكناهم بذنوبهم
وأغرقنا آل فرعون)
بماء البحر (وكل) وكلهم
من غرق في القبط وقتلى قريش
(كانوا ظالمين) أنفسهم
بالكفر والمعاصي (ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا
فهم لا يؤمنون) أى أصروا
على الكفر فلا يتوقع منهم
الايان (الذين عاهدت منهم)
بذل من الذين كفروا الى الذين
عاهدتهم من الذين كفروا
او جعلهم شر الدواب لان شر
الناس الكفار وشر الكفار
المصريون وشر المصريين
النساكثون للعهود (ثم)
يتقضون عهدهم في كل مرة)
في كل معاهدة (وهم
لا يتقون) لا يخافون عاقبة
القدر ولا يبالون بما فيه

من قبلهم كذبوا بآيات
ربهم) بالكتب والرسل
كما كذب أهل مكة (فاهلكناهم
بذنوبهم) بتكذيبهم
(وأغرقنا آل فرعون)
وقومه (وكل) كل هؤلاء
(كانوا ظالمين) كافرين
(ان شر الدواب) الخلق
والخليقة (عند الله الذين
كفروا) بنو قريظة وغيرهم
(فهم لا يؤمنون) بمحمد
عليه السلام والقرآن ثم

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون ﴿٥٩﴾ تكرير لنا كيد ولما نيط به
من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه
الكفر والاخذ به والثاني لتشديد التغير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم ﴿٥٩﴾ وكل ﴿٥٩﴾ من الغرق
المكذبة أو من غرق في القبط وقتلى قريش ﴿٥٩﴾ كانوا ظالمين ﴿٥٩﴾ انفسهم بالكفر والمعاصي ﴿٥٩﴾ ان
شر الدواب عند الله الذين كفروا ﴿٥٩﴾ أصروا على الكفر ورسخوا فيه ﴿٥٩﴾ فهم لا يؤمنون ﴿٥٩﴾
فلا يتوقع منهم ايمان ولعلنا اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاطمة ط
والنبيد على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله ﴿٥٩﴾ الذين
عاهدت منهم ثم يتقضون عهدهم في كل مرة ﴿٥٩﴾ بدل من الذين كفروا بدل البعض
للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان لا يمانوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدتهم فنكثوا ومالؤهم عليه
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فخالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى
الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة ﴿٥٩﴾ وهم لا يتقون ﴿٥٩﴾ سبة الغدر ومغبتة

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم ﴿٥٩﴾ يعنى اهلكنا بعضهم بالرجعة وبعضهم بالخسف
وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالرجوع وبعضهم بالمسخ فكذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف
﴿٥٩﴾ وأغرقنا آل فرعون وكل ﴿٥٩﴾ كانوا ظالمين ﴿٥٩﴾ يعنى الاولين والآخرين فان
قلت ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام
الثاني يجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر أخذهم وفي الآية
الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى
انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى
اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا
بها مع جحدوها لها وكفروا بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفي قوله
كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان
الاخذ بالذنوب ﴿٥٩﴾ قوله عز وجل ﴿٥٩﴾ ان شر الدواب عند الله ﴿٥٩﴾ يعنى في علمه وحكمه
﴿٥٩﴾ الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴿٥٩﴾ والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصريون
على الكفر نزلت في يهود بنى قريظة رهط كعب بن الاشرف ﴿٥٩﴾ الذين عاهدت منهم ﴿٥٩﴾
قيل من صلة يعنى الذين عاهدتهم وقيل هى للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم
وهو الرؤساء والاشراف ﴿٥٩﴾ ثم يتقضون عهدهم في كل مرة ﴿٥٩﴾ قال المفسرون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بنى قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه
فتقضوا العهد وأعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الثانية فتقضوا العهد أيضا ومالوا الكفار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة
فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿٥٩﴾ وهم لا يتقون ﴿٥٩﴾ يعنى انهم لا يخافون الله

منهم ينهم فقال (الذين عاهدت) معهم مع بنى قريظة (ثم يتقضون عهدهم في كل مرة) حين (وهم لا يتقون) عن نقض العهد

في الحرب (فاماتصادفهم
وتظفرون بهم) فشردهم من
خلفهم) ففرق عن محاربك
ومناصبتك بقتلهم شر قتلة
والنكاية فيهم من وراءهم
من الكفرة حتى لا يجسر
عليك بعدهم أحدا اعتبارا
بهم واتعاطا بحالهم وقل
الزجاج افعل بهم ماتفرق
بجمعهم وتطرد به من عداهم
(اعلهم يذكرون)
اعل المشردين من وراءهم

يتعظون (واما تخافن من
قوم) معاهدين (خيانة)
نكتا بأمارات تلوح لك
(فانبذ اليهم) فاطرح اليهم
العهد (على سواء) على
استواء منك ومنهم في العلم
بنقض العهد وهو حال من
النابذ والمنبوذ اليهم أي
حاصلين على استواء في العلم
(ان الله لا يحب الخائنين)

(فاماتشفقهم) تأسرهم
(في الحرب فشردهم)
فنكل بهم (من خلفهم)
الكي يكونوا عبرة لمن خلفهم
(اعلهم يذكرون) يتعظون
فيجتنبون نقض العهد
(واما تخافن) تعلمن (من
قوم) من بني قريظة (خيانة)
بنقض العهد (فانبذ اليهم
على سواء) فنبذهم على
بيان (ان الله لا يحب

أولا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم) فاماتشفقهم) فاماتصادفهم
وتظفرون بهم) في الحرب فشردهم) ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم
والنكاية فيهم) من خلفهم) من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب
وقرى شرذ بالذال المعجمة وكأنه مقاوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه
اذا شردهم من وراءهم فقد فعل التشريد في الورا) اعلهم يذكرون) اعل المشردين
يتعظون) واما تخافن من قوم) معاهدين) خيانة) نقض عهد بأمارات تلوح لك
(فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم) على سواء) على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تنجزهم في الحرب فانه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض
العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول أي ثابتا على طريق سوى أو منه
أو من المنبوذ اليهم أو منهما على غير ذلك قوله) ان الله لا يحب الخائنين) تعليل الامر
بالنذ والنهي عن مناجزة القتال المداول عليه بالخل على طريقة الاستئناف

في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقى نقض العهد حتى يسكن
الناس الى قوله ويشقون بكلامه فيبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو
من شر الدواب) فاماتشفقهم في الحرب) يعني فاماتجدهن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرون
بهم في الحرب) فشردهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال
سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى
الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل
والتكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن
(اعلهم يذكرون) يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد) واما تخافن)
يعني واما تعلمن يا محمد) من قوم) يعني معاهدين) خيانة) يعني نقضا للعهد بما
يظهر لك منهم من آثار القدر كما ظهر من بني قريظة والنضير) فانبذ) أي فاطرح
(اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم) على سواء) يعني على طريق ظاهر ومستو
يعني أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم
في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد أولا بنصب الحرب معهم
(ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من
حير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا
انقضى العهد غزاها فنجاه رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر الله
أكبر وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو ابن عبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها
حتى ينقض أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه
الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بالزيادة رجل من حير وعنده الله أكبر مرة واحدة

الناقضين للعهود (ولا تحسبن) بالياء وقع السين شامى وحزة ويزيدو حفص وبالتاء وقع السين أبو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا وأفلتوا من ﴿٦١﴾ أن يظفروهم (انهم لا يعجزون) {سورة الانفال} انهم لا يفوتون ولا يجدون

طالبهم عاجزا عن ادراكهم أنهم شامى اى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غيران المكسورة على طريقة الاستثاف والمفتوحة تعليل صريح فن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثاني سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول

تقديره ان سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة أى انهم سبقوا فسد مسد المفعولين أو يكون الفاعل مضمرا أى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حزة بالقراءة ففيه نظر لما بينا من عدم تفرد بها وعن الزهرى انها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضى العهد أوالجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عدد هاء وفي الحديث الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا على المنبر وقيل هي

(ولا تحسبن) لا تظنن يا محمد (الذين كفروا) بنى قريظة وغيرهم (سبقوا)

فاتوا. من عذابنا بما قالوا وصيهم (انهم لا يعجزون) لا يفوتون من عذابنا (وأعدوا لهم) لبنى قريظة وغيرهم (ما استطعتم من قوة)

﴿ولا تحسبن﴾ خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ مفعولاه. وقرأ ابن عامر وحزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد أو من خلفهم اول الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف لل تكرار أو على تقدير ان سبقوا وهو ضعف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على ﴿انهم لا يعجزون﴾ بالفتح على قراءة ابن عامر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أى مفلتين والظاهر انه تعليل للنهي أى لا تحسبنهم سبقوا فالتوا لانهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستثاف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين ﴿وأعدوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لهم﴾ لناقضى العهد أو الكفار ﴿ما استطعتم من قوة﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عتبة بن عامر

وفيه جاء على دابة أوفرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا أباسفيان ومن معه من المشركين الى مظاهر تهمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فنهينا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم عر الظهران وذلك على أربع فرائخ من مكة ﴿وقوله تعالى

﴿ولا تحسبن﴾ قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ يعنى فاتوا وانهم زوا يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعنى خلاصوا من القتل والاسرى يوم بدر ﴿انهم لا يعجزون﴾ يعنى انهم هذا سبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم يتقم منهم فاعلم الله أنهم لا يعجزون ﴿وقوله عز وجل ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة أقوال * أحدها أنها جميع أنواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثاني انها الحصون والمعقل * الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عتبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم (خ) عن أبي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صفقنا القريش اذا كُشِبَوك

سمعت عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ﴿ومن رباط الخيل﴾ اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورباطة ورباطا أو وجع ربيط كفصيل وفصال وقرى رباط الخيل بضم الباء وسكونها

يعنى غشوكم وفي رواية أكثركم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا كشوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم ان يلهو باسمه (م) عن فقيم اللحى قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعاند قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى عن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخلن بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وأن ترموا أحب الى من أن تركبوا كل له وباطل ليس من الله ونحو ذلك الا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أي نبلة فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عند فانها نعمة تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا الى نبلة (خ) عن سلمة بن الأكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم يتصلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو وكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة للمأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفه وقوله الندم توبة فهذا لا ينبغي اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من افضل المقصود وأجله فكذا هنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به الا انه من فروض الكفايات وقوله تعالى ﴿ومن رباط الخيل﴾ يعنى اقتناءها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفاظ وسمى المكان الذي يخص باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به

الخصون (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل من سلاح (ومن رباط الخيل) من الخيل الروابط

جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿ترهبون به﴾ تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للاعداد ﴿عدو الله وعدوكم﴾ يعني كفار مكة

روى ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا أوصى بثلاث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيرز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند الشنات والغارات وقيل ربط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فأمر ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً لله وتصديقاً بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزان يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له أجر فرجل رباطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطل لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت له آثارها وأرواثها حسنات ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يردان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل رباطها تغنيا وتعقفا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل رباطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرف قال ما أنزل على فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفادة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي يشده الفرس وقت الرعي والاستئنان الجرى والشرف الشوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعاً الى أهله وأما حق رقابها فليل أرادبه الاحسان اليها وقيل أرادبه الحمل عليها فعبء بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعادة يقال فلأوت الرجل مناواة اذا عاديته ﴿ترهبون به﴾ يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزنون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له

وميكال (ترهبون به) بما استطعتم (عدو الله وعدوكم)
الاناث (ترهبون به)
تخوفون بالخيل (عدو الله)
في الدين (وعدوكم) بالقتل

﴿واخرين من دونهم﴾ من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس ﴿لا تعلمونهم﴾ لا تعرفونهم باعيانهم ﴿والله يعلمهم﴾ يعرفهم ﴿وماتنفقوا﴾ من شئ في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه ﴿وانتم لا تعلمون﴾ بتضييع العمل أو نقض الثواب ﴿وان جنحوا﴾ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى ﴿للسلم﴾ للصلح والاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر ﴿فاجنح لها﴾ وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال

السلم تأخذ منها مارضيت به والحرب تكفيك من انفاها جرع

مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى ﴿واخرين من دونهم﴾ يعنى وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد بن قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى ﴿لا تعلمونهم﴾ لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله ﴿والله يعلمهم﴾ يعنى انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يتناولون لظاهرهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آياتهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجنب وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا المسلمين بعداوة قريظة وفارس يعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب لثمة منين أما الجنب فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعنى يعلم احوالهم وأما كتبهم دونكم ويعن هذا القول ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجنب وان الشيطان لا يخيل احد في دأره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجنب ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ومانفقوا من شئ في سبيل الله ﴿قيل﴾ قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو أمر تام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره ﴿يوف اليكم﴾ يعنى أجره في الآخرة ويجعل لكم عوضه في الدنيا ﴿وانتم لا تعلمون﴾ يعنى وانتم لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا ﴿قوله تبارك وتعالى﴾ وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴿لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعنى مالوا الى السلم يعنى المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أى مل اليها يعنى الى المصالحة روى عن الحسن وجماعة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصلح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه صالح أهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة ﴿وقوله تعالى﴾

من دونهم (غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجنب (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم ومانفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم) يوفركم جزاؤه (وانتم لا تعلمون) في الجزاء بل تعطون على التمام (وان جنحوا مالوا جنحوا اليه مال (للسلم) للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فمل اليها

(واخرين من دونهم) من دون بنى قريظة وسائر العرب ويقال كفار الجنب (لا تعلمونهم) لا تعلمون عدتهم (الله يعلمهم) يعلم عدتهم (وماتنفقوا من شئ) من مال (في سبيل الله) في طاعة الله على السلاح والخيل (يوف اليكم) يوف لكم ثوابه لا ينقص (وانتم لا تعلمون) لا تنقصون من ثوابكم (وان جنحوا للسلم) ان مال بنو قريظة الى الصلح فارادوا الصلح (فاجنح لها) مل اليها

وتوكل على الله (ولا تخف من ابطانهم ﴿ ٦٥ ﴾ المكرفى ١ سورة الانفال ١ جنوحهم الى السلم فان الله

وقرى فاجم بالضم ﴿ وتوكل على الله ﴾ ولا تخف من ابطانهم خداغا فيه فان الله يعصمك من مكرهم وبحيقه بهم ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقوالهم ﴿ العلم ﴾ بدياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف ﴿ وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ﴾ فان محسبك الله وكافيك قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا حرا الثياب وتشبعوا

﴿ هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ جميعا ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ مع ما فهم من العصبيية والضعفينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانه ﴿ لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ﴾ أى تناهى عدواتهم الى حد لو أنفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ﴿ ولكن الله ألف بينهم ﴾ بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب

﴿ وتوكل على الله ﴾ يعنى فوض أمرك الى الله فيما عتدته معهم ليكون عونك فى جميع أحوالك ﴿ انه هو السميع ﴾ يعنى لاقوالهم ﴿ العلم ﴾ يعنى باحوالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وان يريدوا أن يخدعوك ﴿ يعنى يغدروا بك قال مجاهد يعنى بنى قريظة والمعنى وان أرادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم ﴾ فان حسبك الله ﴿ يعنى فان الله كافيك بنصره ومعونته ﴾ هو الذى أيدك بنصره ﴿ يعنى هو الذى قواك وأعانك بنصره يوم بدر وفى سائر أيامك ﴾ وبالمؤمنين ﴿ يعنى وأيدك بالمؤمنين يعنى الانصار فان قلت اذا كان الله قد أيد بنصره فإى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأيد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى أيدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذى يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم لنصره ثم بين كيف أيد بالمؤمنين فقال تعالى ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبيية والانطواء على الضعفينة من أدنى شئ حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لظمة واحدة قاتل عند أهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلب تلك الحالة فأتلفت قلوبهم واستجمعت كلمهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفى الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم فى الجاهلية حروب عظيمة ومعادة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله

واردها (وتوكل على الله)
فى نقضهم ووفائهم (انه هو السميع) لمقاتلتهم
(العلم) بنقضهم ووفائهم
(وان يريدوا) بنو قريظة
(أن يخدعوك) بالصلح
(فان حسبك الله) الله
حسبك وكافيك (هو الذى
أيدك) قواك وأعانك
(بنصره) يوم بدر (وبالمؤمنين)
بالاوس والخزرج (وألف

بين قلوبهم) جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالاسلام (لو أنفقت) (قالوا خا ٩ ا) ما فى الارض جميعا (من الذهب والفضة) (ما ألفت بين قلوبهم)

(انه عزيز) يقهر من يخدعونك (حكيم) ينصر من يتبعونك (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصر ويحوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) التحريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائة)

وكلهم (واكن الله الف بينهم) بين قلوبهم بالإيمان (انه عزيز) في ملكه وسلطانه (حكيم) في أمره وقضائه (يا أيها النبي حسبك الله) الله حسبك (ومن اتبعك من المؤمنين) الاوس والخزرج (يا أيها النبي حرض المؤمنين) حرض المؤمنين (على القتال) وحث المؤمنين (يوم بدر) ان يكن منكم عشرون صابرون (في الحرب محتسبون) يغلبوا مائة

يقلبها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريد (حكيم) يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لامدائها ووقائع هلك فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والى بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا (يا أيها النبي حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) اما في محل النصب على المفعول معه كقوله

اذا كانت الهجاء واشتجر القناح فحسبك والضحاك سيف مهند

أو الجر عطفًا على المسكنى عند الكوفيين أو الرفع عطفًا على اسم الله أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرض من الحرض (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائة)

عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألم أجدكم ضالالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد وذلك لان تلك الاتفاقية والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى اللفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب (قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فلي هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين (قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلاً (صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم (يغلبوا مائة) يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا

ان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا
بشارة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأيد ٦٧ (بانهم { سورة الانفال } قوم لا يفقهون) بسبب ان

الكفار قوم جهالة يقتاتلون
على غير احتساب وطلب
ثواب كالبهايم فيقل ثباتهم
ويعدمون لجهلهم بالله
نصرته بخلاف من يقاتل
على بصيرة وهو بر جوال نصر
من الله قيل كان عليهم
ان لا يفر واويثبت الواحد
للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك
ففسخ وخفف عنهم بمقاومة
الواحد الاثنى بقوله
(الآن خفف الله عنكم
وعلم أن فيكم ضعفا) ضعفا
عاصم وحزة (فان يكن
منكم مائة صابرة) بالياء
فيهما كوفي وافقه البصري
في الاولى والمراد الضعف
في البدن (يغلبوا مائتين
وان يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين باذن الله

(وان يكن منكم مائة يغلبوا)
يقاتلوا (ألفا من الذين
كفروا بانهم قوم لا يفقهون)
أمر الله وتوحيده (الآن)
بعد يوم بدر (خفف الله
عنكم) هو الله عليكم (وعلم
ان فيكم ضعفا) بالقتال
(فان يكن منكم مائة صابرة)
محتسبة (يغلبوا) يقاتلوا
(مائتين وان يكن منكم
يقاتلوا (ألفين باذن الله

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴿ شرط في معنى امر بمصاربة
الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأيد ٦٧ ﴾ وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة
صابرة ﴿ بانهم قوم لا يفقهون ﴾ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يشبثون
ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله
الا الهوان والخذلان ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ لما اوجب الله على
الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنى وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد
بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف
البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم

وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن
خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله
سبحانه وتعالى اوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما احسن هذا التكليف لان الله وعدهم
بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء ﴿ وان يكن منكم مائة ﴾ يعنى
صابرة ﴿ يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ فخاصه وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة
العشرة من الكفار ذلك ﴿ بانهم قوم لا يفقهون ﴾ يعنى ان المشركين لا يقتاتلون لطلب
ثواب وخوف عقاب انما يقتاتلون حمية فاذا صدقوهم في القتال فانهم لا يشبثون معكم
﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة
ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة
من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله
عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله
سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر
يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من
الكافرين فنقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم
أن فيكم ضعفا يعنى في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنى فاذا
كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفرؤا فاعما رجل فر من

ألف يغلبوا) يقاتلوا (ألفين باذن الله

وحزة والضم وهو قراءة الباقيين **والله مع الصابرين** **﴿﴾** بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون **﴿﴾** ما كان لنبي **﴿﴾** وقرئ للنبي على العهد **﴿﴾** ان يكون له اسرى **﴿﴾** وقرأ البصريان بالتاء

من ثلاثة فلم يفروا من فر من اثنين فقد فر **﴿﴾** والله مع الصابرين **﴿﴾** يعنى بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك **﴿﴾** قوله تعالى **﴿﴾** ما كان لنبي أن تكون له أسرى **﴿﴾** روى عن عبدالله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجى بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأجر بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حزة من العباس فيضرب عنقه ومكنى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبدالله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الخطب فادخلهم في دهم اضرمدهم ناراً فقال له العباس قطعت رحلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه منى ومن عصاني فلنك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً ومثلك يا عبدالله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا طمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبدالله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأرأيتني في يوم أخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهو ي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان فقامت يا رسول الله أخبرني من أى شئ تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت ابكائكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذى مختصراً وقال في الحديث قصة وهى هذه القصة التى ذكرها البغوى وأخرج مسلم فى افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى بكر وعمر ماترون فى هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو اعم والعشيرة

والله مع الصابرين)
وتكرير مقاومة الجماعة
لاكثر منها مرتين قبل
التخفيف وبعده للدلالة
على ان الحال مع القليلة
والكثرة لا تتفاوت اذا الحال
قد تتفاوت بين مقاومة
العشرين المائتين والمائة
الالف وكذلك بين مقاومة
المائة المائتين والالف
الالفين (ما كان لنبي)
ماصح له ولا استقام (ان
يكون له اسرى) ان تكون

(الفين باذن الله والله
مع الصابرين) معين
الصابرين فى الحرب
بالنصرة (ما كان لنبي)
ما ينبغي لنبي (أن يكون له
أسرى) اسارى من الكفار

بصري (حتى يثخن في الاض) الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الخيانة وهي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر باشاعة القتل في أهله ويعز الاسلام بالاستيلاء ﴿٦٩﴾ والقهر ثم الاسر { سورة الانفال } بعد ذلك روى ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم لم أنى بسبعين أسيرا فيهم العباس وعمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام أبابكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعن الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبابكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذرني على الارض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شئتم قتلتموه وان شئتم فاديتهم واشتهدوا منكم بعدتهم فقبا لو ابل تأخذ الفداء فاستشهدوا باخذ فلما اخذوا الفداء نزلت الآية (تريدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فناءه (والله يريد

حتى يثخن في الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى أهله من أثخنه المرض اذا أثقله واصله الخيانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها بأخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة وسبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه ووقع اعدائه وقرئ بجرح الآخرة على اضممار المضاف كقوله

اكل امرئ تحسبين امرأ * ونارتوقد بالليل نارا

والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ﴿حكيم﴾ يعلم ما يليق بكل حال ويخصه أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبوبكر ولكني أرى ان تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ونمكن حزة من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبوبكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت لبكا شكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنمة لهم ذكره الحميدي في مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معنهم لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يحبس كافرا قدر عليه وصار في يده أسيرا للفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجع حتى يثخن في الارض ﴿الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشده يقال أثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائماً لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى ﴿والله يريد الآخرة﴾ يعني انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائماً بلا زوال ولا انقطاع ﴿والله عزيز﴾ لا يقهر ولا يغلب ﴿حكيم﴾

الآخرة) اي ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل (والله عزيز) بقهر الاعداء (حكيم) في عتاب الاولياء (حتى يثخن) يغلب (في الارض) بالقتال (تريدون عرض الدنيا) بفداء أسارى يوم بدر والله يريد الآخرة (والله عزيز) بالقيمة من اعدائه (حكيم) بالنصرة لاوليائه

بها كما امر بالاثخان ومنع عن الاقتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن لما تحولات الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضى الله
تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخدمهم فدية تقوى بها
اصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء مكى من فلان لنسب له ومكن عليا وجزء من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى
تكون الين من الابن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان
مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لا تذرع على الارض من الكافرين ديارا

يعنى فى تدبير مصالح عباد الله قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ
قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى فى الاسارى فاما ما نابع
واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوه وان شاؤا
استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا أعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام
يوهم ان قوله فاما ما نابع واما فداء يزبل حكم الآية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر
كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاها تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ
الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون درهما فيكون
مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة
آلاف درهم

فصل

قد استدل بهذه الآية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيان من وجوه الاول ان قوله
ما كان لى أن تكون له أسرى صريح فى النهى عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر
الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين
يوم بدر فلما لم يقتلوه بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي
صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر قعدا بيكيا لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله
والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لى أن تكون له أسرى
حتى يثنى فى الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان فى الارض
وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من
عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثخان فى الارض
قتل جميع الناس فدللت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب
عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى

(لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) ان لا يعذب احد على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهاد منهم لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم ﴿٧١﴾ وان فداءهم { سورة الانفال } يتقوى به على الجهاد وخفي

عليهم ا قتلهم اعزل للاسلام واهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته أي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب هذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبر الان لولا لا يظهر خبرها أبدا (لمسكم) (لنا لكم) وأصابكم (فيما أخذتم) من فداء لاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت والاتباء كيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب الخطي في اجتهاده اولا يعذب اهل بدر أو قوما لم يصرح لهم بالنهي عنه أو ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم ﴿لمسكم﴾ ﴿لنا لكم﴾ ﴿فيما أخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾ روى انه عليه السلام

الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالتخابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم فنقول لانسلم ان أخذ الفداء كان محرما وأما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض التخابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا مغنما جعلوه للقران فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله ﴿نزول﴾ ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا من شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لو كتب من الله سبق انه لا يفضل قوما بعد اذهابهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلموا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدر الا واحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الأثخان في القتل أحب الى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء

لولا كتاب من الله سبق (لولا حكم من الله بحل الغنائم لامة محمد صلى الله عليه وسلم ونال بالسعادة لاهل بدر (لمسكم) لاصابكم (فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) شديد

قال لو نزل العذاب لما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان ﴿ فكلوا مما غنمتم ﴾ من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره اجبت لكم الغنائم فكلوا وبخو تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للإباحة ﴿ حلالا ﴾ حال من المغنوم أو صفة للمصدر رأى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿ طيبا واتفوا بالله ﴾ في مخالفته ﴿ ان الله غفور ﴾ غفر لكم ذنوبكم ﴿ رحيم ﴾ اباح لكم ما اخذتم ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ﴾ ما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ ﴿ قوله عز وجل ﴾ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴿ يعنى فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ واتفوا بالله ان الله غفور رحيم ﴿ يعنى وخافوا الله أن تعودوا وان تغفروا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعلموا أن الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قولهم واتفوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحسنة الماضية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم ﴿ نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الواقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتسأوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شئ خرجت بدلتين بدلتين بدلتين فلا أتركه لك وكلت فداء ابنى أخيه عقیل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركنى أن تكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى الله عليم وسلم فابى الله الذى دفعته أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنىه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخى قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأسر ابني أخيه عقیلا ونوفل بن الحرث فاسلما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم ﴿ من الاسرى ﴾ يعنى الذين أسرتوهم

معاذ لقوله كان الاثخان في لقتل أحب الى (فكلوا مما غنمتم) روى انهم امسكوا عن الغنائم ولم يدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبب والسبب محذوف ومعناه قد أحلت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقاب وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (طيبا) لذى هانئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع (واتفوا بالله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) فى ملككم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسير من الاسرى أبو عمرو (فكلوا مما غنمتم) من الغنائم غنائم بدر (حلالا طيبا واتفوا بالله) أخشوا الله فى الغول (ان الله غفور) تجاوز (رحيم) بما كان بينكم يوم بدر من الفداء (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى) يعنى

جمع أسرى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضاعافه أو يشيكم في الآخرة (ويغفر لكم والله غفور رحيم) روى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فاقضوا لصلاة الظهر وما صلى ﴿ ٧٣ ﴾ حتى فرقه وأمر ﴿ سورة الانفال ﴾ العباس ان يأخذ منه فاخذ منه ما

قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أدناهم ليتجر في عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) نكث ما يابعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ما ضمنوا من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فامكن منهم) فامكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيت يوم بدر فسيتمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله عليم) بالمآل (حكيم) فيما أمر فى الحبال (ان الذين آمنوا وهاجروا) من مكة حبالة ورسوله (وجاهدوا

وقرأ ابو عمرو من الاسارى ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ ايمانا واخلاصا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ من الفداء روى انها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكف قريش ما بقيت فقال اين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبني فى وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقم فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربى تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احدا الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدانى الله خيرا من ذلك الى الآن عشرين عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا ﴾ يعنى الاسرى ﴿ خيانتك ﴾ نقض ما عاهدوك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿ من قبل فامكن منهم ﴾ أى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الخيانة فسيتمكنك منهم ﴿ والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا ﴾ هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبالة ورسوله ﴿ وجاهدوا

وأخذتم منهم الفداء ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ يعنى ايمانا وتصديقا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ يعنى من الفداء ﴿ ويغفر لكم ﴾ يعنى ما سلف منكم قبل الايمان ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه ﴿ رحيم ﴾ يعنى باهل طاعته قال العباس فابدانى الله خيرا مما أخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى عز وجل وقوله تعالى ﴿ وان يريدوا ﴾ يعنى الاسارى ﴿ خيانتك ﴾ يعنى أن يكفروا بك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ يعنى فتدكفروا بالله ﴿ من قبل ﴾ وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك ﴿ فامكن ﴾ يعنى فامكن الله المؤمنين ﴿ منهم ﴾ ببدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد ﴿ حكيم ﴾ يعنى حكم بانه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

عباسا (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) تصديقوا واخلاصا (يؤتكم) يعطكم (خيرا) أفضل (مما أخذ منكم) من الفداء (ويغفر لكم) ذنوبكم فى الجاهلية (والله

غفور) متجاوز (رحيم) لمن آمن به (وان يريدوا) (قا و خا ١٠ لث) خيانتك (بالايمن يا محمد) فقد خانوا الله من قبل (أى من قبل هذا بترك الايمان والمعصية) فامكن منهم (أظهر ك عليهم يوم بدر) (والله عليم) بما فى قلوبهم من الخيانة وغيرها (حكيم) فيما احكم عليهم (ان الذين آمنوا) (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أي آووه إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القربايات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصره والمعونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليتهم في الميراث ولايتهم حصة وقيل هما واحد (من شيء حتى يهاجروا) فكان لا يرث الجزء العاشر المؤمن الذي ٧٤ لم يهاجر من آمن وهاجروا لما أبقى

للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان (وان استنصروكم) أي من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطابوا معونة فواجب عليكم ان تنصروهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (في طاعة الله) (والذين آووا) وطنوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة (ونصروا)

بأموالهم ١٠ فصر فوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاريج ١١ وأنفسهم في سبيل الله ١٢ بمباشرة القتال ١٣ والذين آووا ونصروا ١٤ هم الانصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ١٥ أولئك بعضهم أولياء بعض ١٦ في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة ١٧ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ١٨ أي من توليتهم في الميراث وقرا حجة ولايتهم بالكسر تشبها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتولية صاحبه يزاول عالا ١٩ وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر ٢٠ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين ٢١ الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ٢٢ عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم ٢٣ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ٢٤ في الميراث او الموازنة وهو يغفوه ويبدل على منع التوارث

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ٢٥ يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهاجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا أنفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه ٢٦ والذين آووا ونصروا ٢٧ يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار ٢٨ أولئك ٢٩ يعني المهاجرين والانصار ٣٠ بعضهم أولياء بعض ٣١ يعني في العون والنصر دون أقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقربائهم وذوى أرحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانتطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حينما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ٣٢ وقوله عز وجل ٣٣ والذين آمنوا ولم يهاجروا ٣٤ يعني آمنوا وأقاموا بمكة ٣٥ مالكم من ولايتهم من شيء ٣٦ يعني من الميراث ٣٧ حتى يهاجروا ٣٨ يعني إلى المدينة ٣٩ وان استنصروكم في الدين ٤٠ يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا ٤١ فعليكم النصر ٤٢ يعني فعليكم نصرهم واعانتهم ٤٣ الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ٤٤ أي عهد فلا تنصروهم عليهم ٤٥ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ٤٦ يعني في النصر والمعونة وذلك أن كفار

محمد عليه السلام يوم بدر (أولئك بعضهم أولياء بعض) في الميراث (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام (قريش) والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة إلى المدينة (مالكم من ولايتهم) من ميراثهم (من شيء) وما من ميراثك لهم من شيء (حتى يهاجروا) من مكة إلى المدينة (وان استنصروكم في الدين) استعانوكم على عدوهم في الدين (فعليكم النصر) على عدوهم (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فلا تعينوهم عليهم ولكن أصلحو ايديهم (والله بما تعملون) من الصلح وغيره (بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) في الميراث

نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثهم وإيجاب مباعدهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وإن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضهم قال (الاتقوا) أى ان لاتفعلوا ما ﴿ ٧٥ ﴾ أمرتكم به من { سورة الانفال } تواصل المسلمين وتولى

بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً للنسبة الإسلامية على نسبة القرابة ولم يجعلوا قرابة الكفار كلاً قرابة (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) تحصل فتنة في الأرض وفساد ومفسدة عظيمة لأن المسلمين مالم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامة فيه

(الاتقوا) قسمة الموارث كابين لكم لذوى القرابة (تكن فتنة في الأرض) بالشرك والارتداد (فساد كبير) بالقتل والمعصية (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا في سبيل الله) في طاعة الله (والذين آووا) وطنوا بمحدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة (ونصروا) محمداً

أو الموارزة بينهم وبين المسلمين ﴿ الاتقوا ﴾ ان لاتفعلوا ما أمرتكم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع الملائق بينكم وبين الكفار ﴿ تكن فتنة في الأرض ﴾ تحصل فتنة فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر ﴿ وفساد كبير ﴾ في الدين وقرى كثير ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصر الحق ووعدهم الموعد الكريم فقال ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ لاتبعه له ولا منة فيه ثم الحق بهم

قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعاً قال ابن عباس يعنى في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض ﴿ الاتقوا ﴾ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴿ قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به وقال ابن جريج الاتقوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الاتقوا وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير فالفتنة في الأرض هى قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ يعنى لاشك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعنى لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾ يعنى في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه الآية مامن به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع * أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقاً وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقاً يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمناً حقاً النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتذكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأى مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة سارة لجميع ذنوبهم النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في باب قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقاً لا تلحقهم فيه غضاضة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولاً الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل

عليه السلام يوم بدر (أولئك هم المؤمنون حقا) إصداقنا (لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة

بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فألثمكم) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولوا القربات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالمجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته وفي اللوح أو في القرآن وهو آية الموارث وهو دليل لنا على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم)

(والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (من بعد) من بعد المهاجرين الاولين (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا معكم) العدو (فألثمكم) جعلهم في السر والعلانية (وأولوا الارحام ذوو القربة في النسب الاول فالاول) بعضهم أولى ببعض (في الميراث) في كتاب الله (في اللوح المحفوظ نسخ بهذه الآية الآية الاولى (ان الله بكل شئ) من قسمة الموارث وصلاحكم وغيرهما (عليم)

في الامر من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا واجاهدوا معكم فألثمكم ﴾ اي من جاتكم ايها المهاجرون والانصار ﴿ وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ﴾ في التوارث من الاجانب ﴿ في كتاب الله ﴾ في حكمه وفي اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ من الموارث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا ﴿ عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفع له يوم القيامة وشاهدانه برى من النفاق واعطى عشر حسنات بعد كل منافق ومنافقة وكان العرش وجلته يستغفرون له ايام حياته

فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ والذين آمنوا من بعد وهاجروا واجاهدوا معكم ﴾ اختلفوا في قوله من بعد ف قيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد عزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة وأما من كان من المؤمنين في بلديخاف على اظهاريه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهاريه ﴿ وقوله تعالى ﴾ فألثمكم ﴾ يعنى انهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالمجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق ﴿ وقوله تعالى ﴾ وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ﴾ في كتاب الله قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالمجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أى في الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهى ان قسمة الموارث المذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك اصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية في توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقى فللعصبات ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الله بكل شئ عليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

يقضى بين عباده بما شاء من ﴿ ٧٧ ﴾ أحكامه قسم { سورة براءة } الناس أربعة أقسام قسم

آمنوا وهاجروا وقسم
آمنوا ونصروا وقسم
آمنوا ولم يهاجروا وقسم
كفروا ولم يؤمنوا

﴿ سورة التوبة مدينة
وهي مائة وتسع
وعشرون آية كوفي
ومائة وثلاثون غيره ﴾

لها أسماء براءة التوبة
المقشقة المبعثرة المشردة
الخزية الفاضحة المثيرة
الحفارة المنكلة المدممة
لان فيها التوبة على المؤمنين
وهي تقشقش من النفاق
أى تبرئ منه وتبعثر عن
أسرار المنافقين وتبحث
عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكلهم
وتشردهم وتخزيهم وتدمدم
عليهم وفي ترك التسمية في
ابتدائها أقوال فعن علي
وابن عباس رضى الله عنهم
ان بسم الله أمان وبراءة
نزلت لرفع الامان وعن
عثمان رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزلت عليه سورة
أو آية قال اجعلوها في
الموضع الذى يذكر فيه كذا

يعلم نقض عهد المشركين
والله أعلم بأسرار كتابه
﴿ ومن السورة التى يذكر
فيها التوبة وهي كلها مدنية

﴿ سورة براءة ﴾

مدنية وقيل الايتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر
التوبة والمقشقة والجوثر والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحفارة والخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدممة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقة
من النفاق وهي التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآياها مائة وثلاثون

﴿ تفسير سورة التوبة ﴾

وهي مدنية باجاءهم قال ابن الجوزي سوى آيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من
أنفسكم فانهما نزلتا بمكة وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية
وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا
ولهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران
وهي المقشقة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وهي
المبعثرة لانها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس
لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي الخزية لان فيها خزي
المنافقين وهي المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت
بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها أثارت مخازي
المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أسرارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى
أحد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل
سورة بنى النضير أخرجاه في الصحيحين

﴿ فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة ﴾

عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حكمكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى
براءة وهي من المثنين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها
في السبع الطوال ما حكمكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا
ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شئ دعا بعض
من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت
عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال
من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة
بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها أو من
غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع

قد قيل الا لايتين في آخرها فانها مائتان وكلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وستون وحروفها عشرة آلاف

وكذا وتوفي رسول الله { الجزء العاشر } صلى الله عليه وسلم ٧٨ ولم يبين لنا أين نضعها وكانت

قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهد وفي براءة نبذ العهد فلذلك قرنت بينهما وكانتا دعيان القريبتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلته كما في قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصله من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (براءة) هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) ثم نقضوا والبراءة هي نقض العهد يقول من كان بينه وبين رسول الله صلى

وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهد وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ أى هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصله من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿ الى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله برآ من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علق براءة بالله ورسوله والمعاهدة

الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر العهد وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعنى على بن أبي طالب لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رجة والرجة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبردم تفتح هذه السورة الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهد فلذلك لم تفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا أن في سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما معاً مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيهاً على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيهاً على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ يعنى هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقه وقيل معناها التبعاد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج أى قد برى الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا ﴿ الى الذى عاهدتم من المشركين ﴾ اخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى عاهدهم وعاهدهم الا أنه هو الذى عاهدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم هم عقدوا وعاهدوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى

(فسيحوا)

الله عليه وسلم عهد فقد نقضه منهم فمنهم من كان عهده أربعة أشهر ومنهم

لى فلان أو مبتدأ التخصيصها بصفته والخبر ﴿ ٧٩ ﴾ الى الذين { سورة براءة } عاهدتم كقولك رجل من

بنى تميم فى الدار والمعنى ان الله ورسوله قد برأ من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبذ اليهم (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) فسيروا فى الارض كيف شئتم والسمع السير على مهل روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب ففككوا الاناس منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين من كان عهده فوق أربعة أشهر ومنهم من كان عهده دون أربعة أشهر ومنهم من كان عهده تسعة أشهر ومنهم من لم يكن بيندوين رسول الله عهد فنعضوا كلهم الا من كان عهده تسعة أشهر وهم بنو كنانة فن كان عهده فوق أربعة أشهر ودون أربعة أشهر جعل عهده أربعة أشهر بعد النقص من يوم النحر ومن كان عهده أربعة أشهر جعل عهده بعد النقص أربعة أشهر من يوم النحر ومن كان عهده تسعة أشهر ترك على ذلك من لم يكن له عهد جعل عهده تسعة أشهر من يوم النحر الى خروج

بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما برآ منها وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب ففككوا الاناس من بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا اين شاءوا فقال ﴿ فسيحوا فى الارض أربعة أشهر ﴾ شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابابكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الرجل منى فلما دنا على رضى الله تعالى عنه سمع ابوبكر رضى الله تعالى عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله

﴿ فسيحوا فى الارض ﴾ أى فسير وافى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المشركين وأصل السياحة الضرب فى الارض والاتساع فيها والبعدهن مواضع العمارة قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمرا أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق الاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الارض وأنتم آمنون من القتل والقتال ﴿ أربعة أشهر ﴾ يعنى مدة أربعة أشهر واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين رى الله ورسوله اليهم من العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه الى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه الى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر الأنياب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام أو القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضائه الى عشر من ربيع الآخر فأما من لم يكن له عهد فأنما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خسون يوما قال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت فى شوال والقول الاول أصوب وعليه الاكثر وقيل الكللى انما كانت الاربعة أشهر عهدا لمن كان له عهد دون الاربعة أشهر فأنما الاربعة أشهر فأنما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداءها فى العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسي ثم سار فى السنة المقبلة فى العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الخدين وقال الحسن أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين

رم فقال لهم (فسيحوا فى الارض) فامضوا فى الارض من يوم النحر (أربعة أشهر) آمنين من القتل بالعهد

أين شأوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فاذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر على { الجزء العاشر } موسم سنة تسع ٨٠ ثم أتبعه عليا ركب العضباء ليقراه

على أهل الموسم فقبل له لوبعث بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عنى الأرجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر انغاء فوقف وقال هذارغاءنا فبقر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال، أميرا ومأمورا قال مأمورا فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعدهذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الاكل نفس مؤمنة وان يم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انافد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة

صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وحثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس انى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الاكل نفس مؤمنة وان يم الى ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدي عنى الأرجل منى ليس على العموم فانه

فقال تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الامن قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضموا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهروا بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى ناشد محمدا • حلف أبينا وأبيه الاتلدا
كنت لنا أبوا وكنا ولدا • ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هذاك الله نصر أبدا • وادع عباد الله يأتوا مددا
فيم رسول الله قد تجردا • فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا • ان شيم خطب وجهه تربدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تنجى أحدا • وهم أذل وأفل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة فتحملها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبابكر فى تلك السنة أميرا على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقراها على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه

والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أو منوافيهما وحرم قتلهم (وسلم) وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال فى الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدى عنه كثير الم يكونوا من عترته بل هو مخصوص باليهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الارجل منها ويدل عليه انه

وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنى شئ فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الارجل من أهلى أما ترى يا أبابكر انك كنت معى فى الغار وانك معى على الحوض قال بلى يا رسول الله ففسار أبو بكر أميرا على الحجاج وعلى بن أبى طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بسوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فاقام للناس الحج والعرب فى تلك السنة على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من أسرار الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فاذا فى الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سألتنا عليا باى شئ بعثت فى الحجة قال بعثت بربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبى هريرة ان أبابكر بعثه فى الحجة التى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم أرفد النبي صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب فأمره ان يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فاذا فى معنا فى أهل منى براءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبت أبو بكر الى الناس فى ذلك فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله فى العام الذى نبذ فيه أبو بكر الى المشركين يأياها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل

قد يتوهم متوهم ان فى بعث على بن أبى طالب بقراءة أول براءة عزل أبى بكر عن الامارة وتفضيله على أبى بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان أبابكر لم يزل أميرا على الموسم فى تلك السنة أول حديث أبى هريرة المتقدم ان أبابكر بعثه فى رهط يؤذنون فى الناس الحديث وفى لفظ أبى داود والنسائى قال بعثى أبو بكر فممن يؤذن فى يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثى أبو بكر فيه دليل على أن أبابكر كان هو الامير على الناس وهو الذى أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن فى الناس ببراءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان على بن أبى طالب أقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من أبى بكر لانه ابن عمه

(واعلموا أنكم غير معجزى { الجزء العاشر { الله) لا تفوتونه ﴿ ٨٢ ﴾ وان أمهلكم (وأن الله مخزى الكافرين)

في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الرجل من اهلى ﴿ واعلموا انكم غير معجزى الله ﴾ لا تفوتونه وان أمهلكم ﴿ وان الله مخزى الكافرين ﴾ بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿ وأذن من الله ورسوله الى الناس ﴾ أى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفع كرفع براءة على الوجهين ﴿ يوم الحج الاكبر ﴾ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من افعاله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه

ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة اراحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبابكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذا الرسالة تطيبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبي بكر ويكون جازيا مجرى التنبيه على امامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر أميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبوبكر الامام وعلى المؤتم وكان أبوبكر الخطيب وعلى المستمع وكان أبوبكر المتولى أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك اعلى فدل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ واعلموا أنكم غير معجزى الله ﴾ يعنى ان هذا الامهال لس ليجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض أربعة أشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفتوت ولا يعجزه شئ ﴿ وأن الله مخزى الكافرين ﴾ يعنى بالقتل والعذاب في الآخرة ﴿ وقوله عز وجل ﴾ وأذن من الله ورسوله ﴾ الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمنعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل ﴿ الى الناس يوم الحج الاكبر ﴾ اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذى وقال ويروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم البحرين الجرات في الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي

مذاهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذن من الله ورسوله الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايدان وهو الاعلام كان الامان والعطاء بمعنى الايمان والعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى

اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علق البراءة بالذين عوهدهوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج

(واعلموا) يامعشر الكفار (انكم غير معجزى الله) غير فائتين من عذاب الله بالقتل بعد أربعة أشهر (وان الله مخزى الكافرين) معذب الكافرين بعد أربعة أشهر

بالقتل (وأذن من الله) وهذا اعلام من الله (ورسوله الى الناس) للناس (يوم الحج الاكبر) يوم النحر (وروى)

الاصغر (أن الله برىء من المشركين) ٨٣ أي بان الله { سورة براءة } حذفت صلة الاذان تخفيفا

ورسوله عطف على المنوى
في برىء أو على الابتداء
وحذف الخبر أي ورسوله
برىء وقرىء بالنصب
عطفًا على اسم ان والجر
على الجوار أو على القسم
كقوله لعمرى وحكى
ان اعرابيا سمع رجلا
يقروها فقال ان كان الله
بريئا من رسوله فانامنه
برىء فليبه الرجل الى عمر
فحكى الاعرابى قراءته
فعندها أمر عمر بتعلم
العربية (فان تبتم) من
الكفر والغدر (فهو)
أى التوبة (خير لكم)
من الاصرار على الكفر
(وان توليتهم) عن التوبة
أو تبتم على التولى والاعراض
عن الاسلام (فاعلموا أنكم
غير معجزى الله) غير
سابقين الله ولا فائتين أخذه
وعقابه (وبشر الذين
كفروا بعذاب أليم) مكان

(أن الله برىء من المشركين)
ودينهم وعهدهم الذى
نقضوا (ورسوله) أيضا
برىء من ذلك (فان تبتم)
من الشرك وآمنتم بالله
وبمحمد عليه السلام
والقرآن (فهو خير لكم)
من الشرك (وان توليتهم)
عن الايمان والتوبة (فاعلموا)

ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ﴿ ان الله ﴾ أى بان الله ﴿ برىء ﴾ من المشركين ﴿
أى من عهدهم ﴾ ورسوله ﴿ عطف على المستكن فى برىء أو على محل ان واسمها
فى قراءة من كسرهما اجراء للاذان مجرى القول وقرىء بالنصب عطفًا على اسم ان
اولان الواو بمعنى مع ولا تكرر فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه
اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين ﴿ فان تبتم ﴾
من الكفر والغدر ﴿ فهو ﴾ فالتوب ﴿ خير لكم ﴾ وان توليتهم ﴿ عن التوبة أو تبتم على
التولى عن الاسلام والوفاء ﴾ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴿ لا تقوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا فى الدنيا ﴾ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴿ فى الآخرة ﴾

وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثورى يقول
يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك
يوم صفيان ويوم الجمل لان الحروب دامت فى تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال
عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصرى وعيد
المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين
قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهرى والشعبي وعطاء الحج
الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لقصان أعمالها عن الحج وقيل سمى
الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة
فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر فى خطبته ان الزمان قد استدار
وأبطل النسئ وجميع أحكام الجاهلية ﴿ قوله عز وجل سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ أن الله برىء
من المشركين ورسوله ﴾ فيه حذف والتقدير واذن من الله ورسوله بان الله برىء من المشركين
وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها وفى رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره
مضمرة والتقدير ان الله برىء من المشركين ورسوله ايضا برىء الثانى تقديره برىء الله ورسوله
من المشركين الثالث ان الله فى محل الرفع بالابتداء وخبره ورسوله عطف على المبتدأ
فان قلت لافرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان
الله برىء من المشركين ورسوله فافائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة
من العهد ومن الآية الثانية البراءة التى هى نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد
والذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى أولها براءة من الله ورسوله الى يعنى برىء اليهم
وفى الثانية برىء منهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فان تبتم ﴾ يعنى فان رجعت عن شرككم وكفركم
﴿ فهو خير لكم ﴾ يعنى من الإقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله فى التوبة والاقلاع
عن الشرك الموجب لدخول النار ﴿ وان توليتهم ﴾ يعنى أعرضتم عن الايمان والتوبة من
الشرك ﴿ فاعلموا أنكم غير معجزى الله ﴾ فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه
وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾

يامعشر المشركين (انكم غير معجزى الله) غير فائتين من عذاب الله (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى القتل بعد أربعة اشهر

بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله وسوله الى الذين عاهدتم من { الجزء العاشر } المشركين فقولوا ﴿ ٨٤ ﴾ لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثم لم

﴿ الا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بهذا العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ﴿ ثم لم ينقصوكم شيئاً ﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ﴿ ولم يظاهروا عليكم احداً ﴾ من اعدائكم ﴿ فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ الى تمام مدتهم ولا تجروهم بحري الناكثين ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ تعليل وتنبية على ان تمام عهدهم من باب التقوى ﴿ فاذا انسلك ﴾ انقضى واصلى الانسلاخ خروج الشيء مما لا يسد من سلخ الشاة ﴿ الاشهر الحرم ﴾ التي ابيع للناكثين ان يسحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا محل بالنظم مخالف للاجتماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾

يعنى في الآخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الا الذين عاهدتم من المشركين ﴿ هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الشتم الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى الامن عهدهم الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو خزيمه وحى من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقصوا العهد وهو قوله تعالى ﴿ ثم لم ينقصوكم شيئاً ﴾ يعنى من عهدهم التي عاهدتموهم عليها ﴿ ولم يظاهروا ﴾ يعنى ولم يعاونوا ﴿ عليكم أحداً ﴾ يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم ﴿ فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد ان امروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا اليهم عهدهم ولا تجروهم بحراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين القبيلتين يعنى الوافي بالعهد والناكث له والغادر فيه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فاذا انسلك الاشهر الحرم ﴿ يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هى شهور العهد سميت حرماً لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعنده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خسون يوماً وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوماً بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلك الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلاً بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾

ينقصوكم شيئاً) من شروط العهد أى وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرئ لم ينقصوكم أى عهدكم وهو أليق لكن المشهورة أباح لانه في مقابلة التمام (ولم يظاهروا عليكم أحداً) ولم يعاونوا عليكم عدواً (فأتوا اليهم عهدهم) فأدوه اليهم تاماً كاملاً (الى مدتهم) الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا اليهم عهدهم ولا تجروهم بحراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فأتوا الله في ذلك (فاذا انسلك) مضى أو خرج (الاشهر الحرم) التي أبيع فيها لنا كمين أن يسحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوكم وظاهروا

(الا الذين عاهدتم من المشركين) يعنى بنى كنانة بعد عام الحديبية (ثم لم ينقصوكم شيئاً) لم ينقصوا عهدهم مما كان لهم تسعة أشهر (ولم يظاهروا) ولم

يعاونوا (عليكم أحداً) من عدوكم (فأتوا اليهم) لهم (عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر (حيث) (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد (فاذا انسلك الاشهر الحرم) فاذا خرج شهر الحرم من بعد يوم النحر (فاقتلوا المشركين)

عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختزالاسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل يمر ومجاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة) ٨٥ فخلوا { سورة براءة } سبيلهم (فاطلقوا عنهم

بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجرته) أحد من رفع بفعل شرط مضمير يفسره الظاهر أي وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمنه) داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة في دارنا ويمكن من العود (ذلك) أي الامر بالاجارة في قوله فاجرته (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب

من كان عهدهم خسين يوما (حيث وجدتموهم) في الحل والحرم والاشهر

الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم وأسروهم والاختزالاسير واحصروهم واحبسوهم واحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل يمر لئلا يتسوطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايان واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة تصديقاً لتوبتهم وایمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل الامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان أحد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فاجرته فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم أبلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد

حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في أي وقت أي مكان وجدتموهم وخذوهم يعني وأسروهم واحصروهم أي واحبسوهم قال ابن عباس يريدان تحصنوا فاحصروهم امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للاعداء من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم مرصداً حتى تأخذوهم من أي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها فان تابوا عن الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا الصلوة يعني وأنتموا أركان الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة عليهم طيبة بها أنفسهم فخلوا سبيلهم يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ان الله غفور يعني لمن تاب ورجع عن الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة رحيم يعني باوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء قوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجرته حتى يسمع كلام الله يعني وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم لسمع كلام الله الذي أنزل عليك وهو القرآن فاجرته حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصر على الكفر ثم أبلغه مأمنه يعني ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون أي لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون

الحرام (وخذوهم) وأسروهم (احبسوهم) عن البيت (واقعدوا لهم كل مرصد) على كل طريق يذهبون ويحيئون فيه للتجارة (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلوة) اقرؤا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) اقرؤا باداء الزكاة (فخلوا سبيلهم) الى البيت (ان الله غفور) متجاوز لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة (وان أحد من المشركين استجارك) استأمنك (فاجرته) فانه حتى يسمع كلام الله قراءتك لكلام الله (ثم أبلغه مأمنه) وطنه الى حيثما جاء ان لم يؤمن (ذلك) الذي ذكرت (بانهم قوم لا يعلمون)

انهم قوم جهلة لا يعلمون الامان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام في معنى الاستنكار أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطعموا في ذلك ولا تحذوا به نفوسكم ولا تشكروا في قتالهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقتلواهم (فما استقاموا لكم) ولما يظهر منهم نكث أى فما أقاموا على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما شرطية أى فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم (ان الله يحب المتقين) يعنى ان التربص بهم من أعمال المتقين (كيف أمر الله وتوحيده) (كيف على وجه التعجب) يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام بعد عام الحديبية وهم بنو كنانة (فما استقاموا لكم) بالوفاء (فاستقيموا لهم) بالتام (ان الله يحب المتقين)

من ايمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم اولان ينى الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام اول للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الآخرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبين ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ سبق بيانه ﴿ كيف ﴾ تكرر لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كافي قوله وخبر تانى انما الموت بالقرى * فكيف وهاتان هضبة وقلب اى فكيف مات

الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدى ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزاعة وبنو الدئل قبائل من بنى بكر كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة ﴿ فما استقاموا لكم ﴾ يعنى على العهد ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ يعنى ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأى بلاد شاءوا فأسلموا بعد الأربعة الأشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بنى بكر وهم خزاعة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بنى بكر فامر باتعام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشيء قدمضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله تعالى ﴾ ان الله يحب المتقين ﴿ يعنى انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه ﴿ كيف

وان يظهر واعليكم) نكرار لاستبعاد ﴿ ٨٧ ﴾ ثبات المشركين {سورة براءة} على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أي

كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهر واعليكم أي

يظفروا بكم بعدما سبق لهم من

تأكيد الايمان والمواثيق

(لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا

حلفوا الاقربة (ولا ذمة)

عهدا (برضونكم بافواههم)

بالوعد بالايان والوفاء

بالعهد وهو كلام مبتدأ

في وصف حالهم من

مخالفة الظاهر والباطن

ومقرر لاستبعاد الثبات منهم

على العهد (وتأني

قلوبهم) الايمان الوفاء

بالعهد (وأكثرهم

فاسقون) ناقضون العهد

أو متردون في الكفر

لامسروءة تمنعهم عن الكذب

ولاشمائل تردعهم عن

النكث كما يوجد ذلك في

بعض الكفرة من التفادي

عنهما (اشتروا) استبدلوا

(بآيات الله) بالقرآن

(ثمنا قليلاً) عرضاً يسيراً

وهو اتباع الاهواء والشهوات

(وان يظهر واعليكم

لا يرقبوا فيكم) لا يحفظوكم

(الا) لقبل القرابة ويقال

لقبل الله (ولا ذمة) لا لقبل

العهد (برضونكم بافواههم)

بالسنتهم (وتأني

قلوبهم) أكثرهم

كلامهم

﴿وان يظهر واعليكم﴾ أي وحالهم انهم ان يظفروا بكم ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ لا يراعوا فيكم ﴿الا﴾ حلفوا قليل قرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب مالا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الال الشئ اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلاً كجبرئيل وجبرئيل ﴿ولا ذمة﴾ عهداً او حقاً يعاب على اغفاله ﴿برضونكم بافواههم﴾ استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالاً من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه ﴿وتأني قلوبهم﴾ ما يتفوه به افواههم ﴿واكثرهم فاسقون﴾ متردون لاعقيدة تزعمهم ولا مسروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن العذر والتعفف عما يجري الى احدوثة السوء ﴿اشتروا بآيات الله﴾ استبدلوا بالقرآن ﴿ثمنا قليلاً﴾ عوضاً يسيراً وهو اتباع الاهواء والشهوات

وان يظهر واعليكم ﴿﴾ قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهر واعليكم ﴿﴾ لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ﴿﴾ وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلموا عليكم لا يرقبوا أي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحا وهذا معنى قول ابن عباس أيضاً وقال قتادة الال الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد أو لاختلاف اللفظين وقال أبو مجلز ومجاهد الال هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة بيني ولا يحفظون عهداً ﴿برضونكم بافواههم﴾ وتأني قلوبهم ﴿يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم﴾ وأكثرهم فاسقون ﴿فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أخبث وأفهم من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلاً في دينه وقد يكون فاسقاً خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين انهم نقضوا العهد وبالغوا في العداوة فوسفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون أبلغ في الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلماذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً﴾ يعني استبدلوا بآيات القرآن والايمان بهاء عرضاً قليلاً من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله

(فاسقون) ناقضون العهد (اشتروا بآيات الله) بمحمد عليه السلام والقرآن (ثمنا قليلاً) عوضاً يسيراً

(فصدوا عن سبيله) فعدلوا { الجزء العاشر } عنه وصر فوا غيرهم ﴿ ٨٨ ﴾ (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى

بئس الصنيع صنيعهم
(لا يرقبون في مؤمن الا
ولا ذمة) ولا تكرار لان
الاول على الخصوص حيث
قال فيكم والثاني على العموم
لانه قال في مؤمن (وأولئك
هم المعتدون) المجاوزون
الغاية في الظلم والشرارة
(فان تابوا) عن الكفر
(وأقاموا الصلوة وآتوا
الزكاة فاخوانكم) فهم
اخوانكم على حذف المبتدأ
(في الدين) لافي النسب
(ونفصل الآيات) ونبيها
(لقوم يعلمون) يفهمون
فيتفكرون فيها وهذا
اعتراض كأنه قيل وان
من تأمل تفصيلها فهو
العالم تحريضا على تأمل
ما فصل من أحكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها

(فصدوا عن سبيله) عن دينه
وطاعته (انهم ساء ما كانوا
يعملون) بئس ما كانوا
يصنعون من الكتمان
وغيره ويقال نزلت هذه
الآية في شأن اليهود
(لا يرقبون) لا يحفظون
(في مؤمن الا) قرابة ويقال
الا هو الله (ولا ذمة) لا لقبل
العهد (وأولئك هم المعتدون)
من الحلال الى الحرام

﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه الموصل اليه او سبيل يته بحصر الحجاج والعمار والفاء
للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ علمهم هذا وما دل عليه
قوله ﴿لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة﴾ فهو تفسير لا تكرير و قيل الاول عام في المنافقين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم ﴿وأولئك
هم المعتدون﴾ في الشرارة ﴿فان تابوا﴾ عن الكفر ﴿وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة
فاخوانكم﴾ فهم اخوانكم ﴿في الدين﴾ لهم مالكم وعليهم ما عليكم ﴿ونفصل الآيات
لقوم يعلمون﴾ اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين

عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم ايها ابوسفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد
أطعم ابوسفيان حلفاء وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فصدوا عن
سبيله﴾ يعنى منعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل
الطوائف أمدهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يعنى من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس
عن الدخول في دين الاسلام ﴿لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة﴾ يعنى ان هؤلاء
المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا أنتم عليهم
كالم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ يعنى في نقض العهد
﴿قوله عز وجل﴾ فان تابوا ﴿يعنى فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن
نقض العهد الى الوفاء به﴾ وأقاموا الصلوة ﴿يعنى المفروضة عليهم بجميع حدودها
وأركانها﴾ وآتوا الزكاة ﴿يعنى وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم﴾
﴿فاخوانكم في الدين﴾ يعنى اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم
﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يعنى ونبين حجج أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم
ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود
أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يترك فلا صلاته وقال ابن زيد افترضت الصلوة والزكاة
جميعا لم يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلوة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبابكر ما كان
أفقهه يعنى بذلك ما ذكره أبوبكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين
شئين جمع الله بينهما يعنى الصلوة والزكاة (ق) عن أبى هريرة قال لما توفى النبي صلى
الله عليه وسلم واستخلف أبوبكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لا بى
بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه
على الله عز وجل فقال أبوبكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلوة والزكاة فان الزكاة
حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها في رواية عقلا كانوا يؤدونه الى رسول الله
وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرع صدر أبى بكر للقتال

(فصدوا عن سبيله) من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلوة) أقرأوا بالصلوات (وآتوا الزكاة) (فعرفت)
أقرأوا بالزكاة (فاخوانكم في الدين) في الاسلام (ونفصل الآيات) نبين القرآن بالامر والنهي (لقوم يعلمون) ويصدقون

(وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهد المؤكدة بالآيمان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر ﴿ ٨٩ ﴾ موضع ضميرهم { سورة براءة } وهم رؤساء الشرك أو

زعما قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمى في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهزتين كوفي وشامى الباقون بهزمة واحدة غير ممدودة بعد هياها مكسورة أصلها أئمة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى

فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (انهم لا أيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن عين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعى رحمه الله أنهم لا يوفون بها لان عينهم عند حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (اعلمهم يتنون) (وان نكثوا) أهل مكة

﴿ وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ﴾ وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان أو الوفاء بالعهود ﴿ وطعنوا في دينكم ﴾ بصرح التكذيب وتبجح الاحكام ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى الرئاسة والتقدم في الكفر احتفاء بالنقل وقيل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالنقص من ايمانهم قتلهم ايمهم وهم احق به أولم يمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحزة والكسائى وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والنصر على الباء لحن ﴿ انهم لا ايمان لهم ﴾ أى لا ايمان لهم على الحقيقة والالما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان عين الكافر ليست يمينا وهو ضميم لان المراد نفي الوثوق عليها لانها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا ايمان أو لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضميم لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين أوليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله ﴿ اعلمهم يتنون ﴾ متعلق بقاتلوا أى

فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وان نكثوا أيمانهم ﴾ يعنى وان نقضوا عهدهم ﴿ من بعد عهدهم ﴾ يعنى من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا تقتلواكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم ﴿ وطعنوا في دينكم ﴾ يعنى وعابوا دينكم الذى أنتم عليه وقد حوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمى اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كقريش وهو قوله تعالى ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ يعنى رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في أبى سفيان بن حرب والحريث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهو باخراج الرسول وقيل أراد جمع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والغادة ففي قتالهم قتال الانباع وقيل مجاهدتهم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآيات بعد ولم يأت أهلها واعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ انهم لا ايمان لهم ﴾ جمع عين أى لا عهد لهم وقيل معناه أنهم لا وفاء لهم باليهود وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان أى اقبلوهم حبث وجدتموهم ولا تؤمنوهم ﴿ اعلمهم يتنون ﴾ أى لكي يتنوه عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حضن المؤمنين على

(أيمانهم) عهدهم الذى بينكم وبينهم (قا و خا ١٢ لث) (من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم) عابوكم في دين الاسلام (فقاتلوا أئمة الكفر) قادة الكفر بأسمائهم وأصحابه (انهم لا ايمان لهم) لا عهد لهم (اعلمهم يتنون) لكي يتنوهوا

متعلق بنفقاتها أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أى ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من المظالم وهذا من غاية كرهه على المسمى ثم حرص على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في المعاهدة { الجزء العاشر } (وهموا باخراج ٩٠ الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول

مرة) بالقتال والبادى
أظلم فما يمنعكم من أن
تقاتلوهم وبخهم بترك
مقاتلتهم وحضهم عليها ثم
وصفهم بما يوجب الخس
عليها من نكث العهد واخراج
الرسول والبدء بالقتال
من غير موجب (أنخسونهم)
توبخ على الخشية منهم
(فالله أحق أن تخشوه)
بان تخشوه فقاتلوا أعداءه
(ان كنتم مؤمنين) فاختشوه
أى ان قضية الايمان
الكامل أن لا يخشى المؤمن
الازبه ولا يبالي بعن سواء
ولما وبخهم الله على ترك
القتال جرد لهم الامر به
بقوله (قاتلوهم) ووعدهم
النصر ليثبت قلوبهم وتصح
نياتهم بقوله (يعذبهم الله
بايديكم) قتلا (ويخزهم)
أسرا (وينصركم عليهم)
عن نقض العهد (ألا
تقاتلون قوما) ما لكم
لا تقاتلون قوما يعنى أهل
مكة (نكثوا أيمانهم)
نقضوا عهودهم التي بينكم
وبينهم (وهموا باخراج
الرسول) أرادوا قتل

ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينهوا عما هم عليه لا يصل الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين
(ألا تقاتلون قوما) تحريض على القتال لان الهمة دخلت على النفي للانكار فافادت
المبالغة في الفعل (نكثوا أيمانهم) التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين
على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) حين
تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذا عكركم الذين كفروا
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة (وهم بدؤكم أول
مرة) بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة
بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعادات والمقاتلة فاعتنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم (أنخسونهم) أن تكون قتالهم خشية ان ينالككم مكروه منهم (فالله حق
ان تخشوه) فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا امره (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان
ان لا يخشى الا منه (قاتلوهم) امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه
(يعذبهم الله بايديكم) ويخزهم وينصركم عليهم (وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم

جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يعنى
نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة
(وهموا باخراج الرسول) يعنى من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم)
يعنى بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل
محمد وأصحابه وقيل أراد به أنهم بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم (أنخسونهم) يعنى أنخأونهم أيها المؤمنون فتتركون قتالهم
(فالله أحق أن تخشوه) يعنى في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم
مصدقين بوعد الله ووعيده (قوله سبحانه وتعالى) قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
يريد بالتعذيب القتل يعنى يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله
بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعنى وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم
والمراد بقوله قاتلوهم يعنى الذين نقضوا العهد وبدؤوا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب
الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل
لا يتعدى الا الى المذنب المخالف (وقوله تعالى) ويخزهم (يعنى ويذلهم بالقهر والاسم
وينزلهم الذل والهوان) وينصركم عليهم (يعنى بان يظفركم بهم

الرسول حيث دخلوا دار الندوة (وهم بدؤكم أول مرة) ينقض العهد منهم حيث أعانوا بنى بكر (ويشف)
حلفاءهم على بنى خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم (أنخسونهم) يامعشر المؤمنين أنخسونهم قتالهم (فالله أحق أن تخشوه)
في ترك أمره (ان كنتم) مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) بسيفكم بالقتل (ويخزهم) يذلهم بالهزيمة (وينصركم عليهم)

يغلبكم عليهم) (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله ﷻ ٩١ هذه المواعد { سورة براءة } كلها فكان دليلا على صحة

نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم)

يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطع والهمزة في التوبخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا

بالغلبة (ويشف صدور قوم مؤمنين) يفرح قلوب بني خزاعة عليهم بما أحل لهم القتل يوم فتح مكة ساعة في الحرم (ويذهب غيظ قلوبهم) حنق قلوبهم (ويتوب الله على من يشاء) على من تاب منهم (والله

والتمكن من قتلهم واذلالهم) ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد اوفى الله بوعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اخمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كان سبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله اعلم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يحكم الاعلى وفق الحكمة (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبخ على الحسبان (ان تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كابرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه

(ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا يالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات الغزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا بائناهم منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بنى بكر روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوى بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل باني سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا (والله اعلم) يعني بسر أرباعه ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام (حكيم) يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل (أم حسبتم أن تتركوا) هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظنتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمسوا بالجهاد ولا تمنحوا يظهر الصادق من الكاذب (وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازى ونقل الواحدى عن الزجاج

عليه (عن تاب وعن لم يتب منهم) (حكيم) فيما حكم عليهم ويقال حكم بقتلهم وهزيمتهم (أم حسبتم) أظنتم يا معشر المؤمنين (أن تتركوا) ان تهملوا وان لا تؤمسوا بالجهاد (وما يعلم الله) ولم ير الله (الذين جاهدوا منكم) في سبيل الله

في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وايحة) أى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما { الجزء العاشر } معناها التوقع ٩٢ وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع

كأن وان الذين لم يخلصوا دينهم الله يميز بينهم وبين المحاصرين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حين الصلاة كأنه قيل ولما علم الله المجاهدين منكم والمحاصرين غير المتخذين وليحة من دون الله والمراد بنفي العلم في المعانوم كقولك ما علم الله منى ما قيل في تريد ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم ان تتركوا بالاجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خير بما تعملون) من خير أو شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمرُوا مساجد الله) مكي وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع في القراءة بالجمع لانه قبله المساجد وامامها فصاره كعاصر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمر واجنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمرُوا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو أكد اذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفي لقراءته القرآن من تصريحك بذلك

﴿ ولم يتخذوا ﴾ عطف على جاهدوا داخل في الصلاة ﴿ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وايحة ﴾ بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لسان من معنى التوقع منه على ان تبين ذلك متوقع ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ يعلم غرضكم منه وهو كالمزج لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ﴿ ما كان للمشركين ﴾ ما صح لهم ﴿ أن يعمرُوا مساجد الله ﴾ شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقبل هو المراد وانما جمع لانه قبله المساجد وامامها فصاره كعاصر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابى أى العلم الذي يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وايحة ﴾ قول الفراء الوايحة البطانة من المشركين يتخذونهم يشنون اليهم اسرارهم وقول قتادة وايحة يعنى خيانة وقول الضحاك خديعة وقول عطاء أولياء يعنى لا يتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقول أبو عبيدة كل شئ أدخلته في شئ ليس منه فهو وايحة والرجل يكون في القوم وليس منهم وايحة من الواو ج فوليحة الرجل من يتخصد بدخيلة أمره دون الناس وقول الراغب الوايحة كل ما يتخذ الانسان معتمدا عليه وليس من قوائمه فلان وايحة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذانهى المؤمنين عن موالاة المشركين وان يشعروا اليهم اسرارهم ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ يعنى من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله ﴿ يعنى به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضاً وانما ذكره بالجمع لانه قبله المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل على بن أبى طالب يوخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ونكثون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قل نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني يعنى الأسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أى ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله أو جب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافراً بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشيد هياكلها ومنها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثانى أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزروا ان دخل باذن لم يعزروا ويدل على جواز دخول

(ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين) الخالصين (وليحة) بطانة من الكفار (الله خير) (الكافر) بما تعملون) من الخير والشر في الجهاد وغيره (ما كان للمشركين) ما ينبغي للمشركين (أن يعمرُوا مساجد الله

(شاهدين على انفسهم
بالكفر) باعترافهم بعبادة
الاصنام وهو حال من الواو
في يعمر واو المعنى ما استقام
لهم ان يجمعوا بين امرين
متضادين عمارة متبعدات
الله مع الكفر بالله وعبادته
(اولئك حبطت اعمالهم
وفي النار هم خالدون)

دائمون (انما يعمر مساجد
الله) عمارتها رم ما استمر
منها وقها وتنظيفها وتنويرها
بالمصابيح وصيانتها مالم
تبني له المساجد من أحداث
الدنيا لانها بنيت للعبادة
والذكر ومن الذكر درس
العلم (من آمن بالله واليوم
الآخر) ولم يذكر الايمان
بالرسول عليه السلام لما
علم ان الايمان بالله قرينة
الايمان بالرسول لاقتراحهما
في الاذان والاقامة وكلمة
الشهادة وغيرها أو دل

شاهدين على أنفسهم)
بتلييتهم (بالكفر أولئك
حبطت أعمالهم) بطلت
حسناتهم في الكفر
(وفي النار هم خالدون)
لا يعوتون ولا يخرجون
منها (انما يعمر مساجد الله)
المسجد الحرام (من آمن
بالله واليوم الآخر)

عمر و يعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب
الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة
بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس غيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم
واغلظ له على رضى الله تعالى عنه في القول فقال ما بالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسنا
انما يعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت ﴿اولئك
حبطت اعمالهم﴾ التي يفخرون بها بماقرنها من الشرك ﴿وفي النار هم خالدون﴾
لاجله ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾

الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري
المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها ﴿قوله عز وجل﴾ شاهدين
على انفسهم بالكفر يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره
وهم شاهدون فلما حذف وهم نصب وقال ابن عباس رضى الله عنه شهادتهم على انفسهم
بالكفر سجدوهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت
الخرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم
يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يتقواوا نحن كفار ولكن كلامهم
بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني
يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرک يقول مشرك وقال
ابن عباس رضى الله عنه في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم
﴿اولئك حبطت اعمالهم﴾ يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى
الضيف وسقى الحاج وفك العاني لانهم لم تكن لله فليكن لها تأثير مع الكفر ﴿وفي النار هم
خالدون﴾ يعني من مات منهم على كفره ﴿قوله عز وجل﴾ انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الآخر ﴿لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله
بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله
شرط فحين يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا
بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وانه حق
كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة فمن أنكر
الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم يذكر الايمان برسول الله مع أن الايمان
به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله
فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم
الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة
طلب للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما ادعى الى الايمان بالله
واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك

عليه بقوله (وأقام الصلوة وآتى الزكاة) وفي قوله (ولم يخش إلا الله) تنبيه على الإخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع خوف اذا مؤمن قد يخشى المخاذير ولا يملك أن لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فاريدني تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعتهم في الانتفاع بأعمالهم لأن عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتد بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

بالبعث بعد الموت) وأقام الصلوة) أنم الصلوات الخمس (وآتى الزكاة) أدى الزكاة المفروضة (ولم يخش) ولم يعبد (إلا) الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) بدين الله وحجته وعسى من الله واجب ثم نزلت في رجل من المشركين أسير يوم بدر فافتخر على على أو على رجل من أهل بدر فقال نحن نسقى الحاج ونعمر المسجد الحرام وتعمل

وأقام الصلوة وآتى الزكاة ﴿﴾ أي انما تستقيم عمارتها هؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية و من عمارتها تزيتها بالفرش وتنويرها بالسراج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عمارتها له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتى فى ارضى المساجدون زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وانما يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتامه الايمان به ولدالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ﴿﴾ ولم يخش إلا الله ﴿﴾ أى فى ابواب الدين فان الخشية عن المخاذير جبيلة لا يكاد الرجل العاقل يملك عنها ﴿﴾ فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين ﴿﴾ ذكره بصيغة التوقع قطعاً لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداءهم دائراً بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعاً للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلموا عليها ﴿﴾ أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر ﴿﴾ وأقام الصلوة وآتى الزكاة ﴿﴾ وكان ذلك مناجاة بدرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تازم لاقامة الصلاة فيه ولا يشغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤد بالزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه ﴿﴾ قوله عز وجل ﴿﴾ ولم يخش إلا الله ﴿﴾ يعنى ولم يخف فى الدين غير الله ولم يترك أمر الله خشية الناس ﴿﴾ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴿﴾ وعسى من الله واجب يعنى وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التى تؤدى الى الجنة عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن (ق) عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد أورا ح أعد الله له فى الجنة نزلاً كلما غدا أورا ح النزل ما يهباً للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجداً يتغنى به وجه الله تعالى بنى الله له بيتاً فى الجنة وفى رواية بنى الله فى الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه الترمذى عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً يذكر الله فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه النسائى ﴿﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿﴾ أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ﴿﴾ الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى أن لأعمل عملاً بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد فى سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف { سورة براءة } محذوف تقديره أجمعتم

أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدق قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم الخبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسنا فقل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيئة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

كن آمن بالله كإيمان من آمن بالله يعنى البدرى (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (وجاهد في سبيل الله) في طاعة الله

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴿ السقاية والعمارة مصدران سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضممار تقديره أجمعتم أهل سقاية الحاج كن آمن أو أجمعتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون وأعمالهم الخبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستون عند الله ﴿ وبين عدم تساويهم بقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿ أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون في الضلالة

عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستقيمه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسرى يوم بدر لأن كنتم سبقتونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد معنية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن أبي شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدى مفتاحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليها وقال على ما أدرى ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أجمعتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهى سقى الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها فى الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعنى بناءه وتشييده وصرفته ﴿ كن آمن بالله واليوم الآخر ﴿ فيه حذف تقديره كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وجاهد في سبيل الله ﴿ أى وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أجمعتم ساقى الحاج وعمام المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴿ لا يستون عند الله ﴿ يعنى لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بخلاف من سقى الحاج وعمره المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان بد ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿ (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال استسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال استسقى فشراب مندهم أنى زمرهم وهم يستقون ويعملون فيها قال اعلموا فانكم على عمل صالح ثم قال أولاً أن تغلبوا النزل حتى أضع الحبل على هذا يعنى عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزنى قال كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه أعرابى فقال ما لى أرى بنى عمكم يستقون العسل واللبن وأنتم تستقون النبيذاً من حاجة بكم أم من نخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا

يوم بدر (لا يستون عند الله) فى الطاعة والثواب (والله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) المشركين من لم يكن اهلاً لذلك

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أولئك (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة (وأولئك هم {الجزء العاشر} الفائزون) لأنهم ٩٦ ❦ واختصون بالفوز دونكم (ببشرهم

ربهم) يبشرهم حزة (برجة منه ورضوان وجنات) تشكيرا لمبشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل

يقول لا بد ولا خيد ولا قرباته أناؤد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق بدزوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيق فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء

(الذين آمنوا) بآبائهم (عليه السلام والقرآن) (وهاجروا) من مكة إلى المدينة (رجاهدوا في سبيل الله) في طاعة الله (بأموالهم وأنفسهم) بنفقة أموالهم وبخروج أنفسهم (أعظم درجة) فضيلة (عند الله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) فازوا بالجنة ونجوا من النار

فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ❦ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ❦ أعلى رتبة وأكثر كرامة لمن لم يستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ❦ وأولئك هم الفائزون ❦ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم ❦ يبشرهم ربهم برجة منه ورضوان وجنات لهم فيها ❦ في الجنات ❦ نعيم مقيم ❦ دائم ❦ وقرأ حزة يبشرهم بالتخفيف وتشكيرا لمبشر به أشعار بأنه وراء التعيين والتعريف ❦ خالدين فيها أبدا ❦ أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل ❦ إن الله عنده أجر عظيم ❦ يستحق دونه ما استوجبوه لأجله أو نعيم الدنيا ❦ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ❦ نزلت في المهاجرين

من حاجة ولا بخل أنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتياه بانهاء من بيده فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجزتم كذا فاصنعوا فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي ذكر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فإن غلى وحض حرم ❦ قوله عز وجل ❦ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ❦ يعني أن من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام والالم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الإطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة ❦ وأولئك ❦ يعني من هذه صفاتهم ❦ هم الفائزون ❦ يعني بسعادة الدنيا والآخرة ❦ يبشرهم ربهم ❦ يعني يخبرهم ربهم بالبشارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان عند سماعه وتستبشر بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ❦ ثم ذكر الخبر الذي يبشرهم به فقال تعالى ❦ برحمة منه ورضوان ❦ وهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصودة ❦ وجنات لهم فيها نعيم مقيم ❦ يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا ❦ خالدين فيها ❦ يعني في الجنان وفي النعيم ❦ أبدا ❦ يعني لا انقطاع له ❦ إن الله عنده أجر عظيم ❦ يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله ❦ قوله سبحانه وتعالى ❦ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ❦ قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يتقوان نشدك الله أن لا تضعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وانزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء يعني بطانة

(يبشرهم ربهم برجة) بنجاة (منه) من الله من العذاب (ورضوان) برضار ربهم عنهم (وجنات) (واصدقاء) بجنات (لهم فيها نعيم مقيم) دائم لا ينقطع (خالدين فيها أبدا) لا يموتون ولا يخرجون (إن الله عنده أجر عظيم) ثواب وافر لمن آمن به (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم) الذين بمكة من الكفار (أولياء) في الدين

ان استحبوا الكفر على الايمان) اى آثروه واختاروه (ومن يتولهم منكم) أى ومن يتول الكافرين (فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) اقاربكم وعشيرتكم أبوبكر (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت ﴿ ٩٧ ﴾ نفاقها) ومساكن ﴿ سورة براءة ﴾ ترضونها أحب اليكم من

الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وهو عذاب عاجل أو عقاب أجل أو فتح

(ان استحبوا الكفر على الايمان) اختاروا الكفر على الايمان (ومن يتولهم منكم) فى الدين (فأولئك هم الظالمون)

الكافرون مثلهم ويقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم من المؤمنين

الذين بمكة الذين منعوك عن الهجرة أو ولياء فى العون والنصرة ان استحبوا الكفر

اختاروا دار الكفر يعنى مكة على الايمان على دار الاسلام يعنى المدينة ومن يتولهم منكم فى العون

والنصرة فأولئك هم الظالمون الضارون بأنفسهم (قل) يا محمد (ان كان آباؤكم

وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) قومكم الذين هم بمكة (وأموال اقترفتموها)

اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) أن لاتنفق بالمدينة (ومساكن) منازل (ترضونها) تشتهون

الجلوس فيها (أحب اليكم من الله) من طاعة الله (قا و خا ١٣ لث) (ورسوله) وجهاد) ومن

جهاد (فى سبيله) فى طاعته (فتربصوا) فانتظروا (حتى يأتي الله بأمره) بعذابه يعنى القتل يوم فتح مكة ثم هاجروا بعد ذلك

فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ ان اختاروه وحرصوا عليه ﴿ ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ بوضعهم الموالاة فى غير موضعها ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابوبكر وعشيرتكم وقرىء وعشائركم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ﴾ الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه ﴿ فتربصوا ﴾ حتى يأتي الله بأمره ﴿ جواب ووعد والامر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهى من آخر القرآن نزولا والا قرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لم يأمر المؤمنين بالتبرى من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه فى الدين واجبة فلمؤمن لا يوالى الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ يعنى ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ﴿ ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ يعنى ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بخالفه أمر الله واختار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لولاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿ ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ وقرىء على الجمع وعشيرتكم العشرة هم الاذنون من أهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ يعنى اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ يعنى بفراقكم لها ﴿ ومساكن ترضونها ﴾ يعنى تستوطنونها راضين بسكنائها ﴿ أحب اليكم من الله ورسوله ﴾ يعنى أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله ﴿ وجهاد فى سبيله ﴾ فبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار فى الدنيا لبقى الدين سليما وأخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله ﴿ فتربصوا ﴾ أى فانتظروا ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ يعنى بقضائه وهذا

الجلوس فيها (أحب اليكم من الله) من طاعة الله (قا و خا ١٣ لث) (ورسوله) وجهاد) ومن جهاد (فى سبيله) فى طاعته (فتربصوا) فانتظروا (حتى يأتي الله بأمره) بعذابه يعنى القتل يوم فتح مكة ثم هاجروا بعد ذلك

الجلوس فيها (أحب اليكم من الله) من طاعة الله (قا و خا ١٣ لث) (ورسوله) وجهاد) ومن جهاد (فى سبيله) فى طاعته (فتربصوا) فانتظروا (حتى يأتي الله بأمره) بعذابه يعنى القتل يوم فتح مكة ثم هاجروا بعد ذلك

مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا تجدد عند أروع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله في موطن كثيرة) كوقعة بدر وقرية والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان الموطن التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنون ثمانون موطناً ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم) أى واذا كروا يوم (حنين) وادبين مكة والطائف كانت فيهما الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة فسألت رسول الله عليه الصلاة والسلام

(والله لا يهدى) لا يرشد الى دينه (القوم الفاسقين) الكافرين من لم يكن أهلاً لدينه (لقد نصركم الله في موطن كثيرة) في مشاهد كثيرة عند القتال (ويوم حنين) خاصة وهو وادبين مكة والطائف

(والله لا يهدى القوم الفاسقين) لا يرشدكم الله في موطن كثيرة * يعنى موطن الحرب هي مواقفها * ويوم حنين * وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في أيام موطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله

أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعنى بفتح مكة * والله لا يهدى القوم الفاسقين * يعنى اخراج حنين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا * قوله عز وجل * لقد نصركم الله * النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم * في موطن كثيرة * يعنى أماكن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زائدة في حديثه قاتل في ثمان منهم ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في موطن كثيرة * (ويوم حنين) يعنى ونصركم الله في يوم حنين أيضاً فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف يندو بين مكة وبضعة عشر ميلاً وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفاً عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الظلقة وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفاً وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن تغلب اليوم من قلة فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلاً على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلا شديداً فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم نادوا يا حيازة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الظلقة انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن أبي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليهم يوم حنين يا أبا عمار فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ماولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرمواهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفيان بن الحرث يقود به بقلته فنزل ودعا

واستنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله إذا أحر البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسلم عن أبي اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عازرة فررت يوم حنين قال لا والله ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شـبان أصحابه وأخفاؤه حـسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب يقود به فنزل ودعا واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم جلنا عليهم فانهمزوا فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لادرع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا أحر البأس يعني اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبدالمطلب وابن عمه أبوسفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن قال يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو اسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبدالمطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفارقوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفارولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لاتسرع وأبوسفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا ليك ليك قال فاقتلوا الكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما

أرى قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياتة فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا قوله حتى الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وأنشأه والوطيس في اللغة التنوير وقوله حدهم كليلا يعني لا يقطع شيئا (م) عن سلمة بن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيننا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهات الوجوه فاخلق الله منهم انسانا لا ملاء عينيه ترا با تلك القبضة فلو امدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبيرة أمد الله بنبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وروى أن رجلا من بني نضير قال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهينة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يبقوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينما نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البعلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلتقنا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهات الوجوه ارجعوا قال فانهزمتنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنهم لم يقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي أن الزهري قال بلغني أن شيبة بن عثمان قال استدرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن أبي طلحة وكانا قد قتلنا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الى وضرب في صدرى وقال أعينك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب الي من سمى وبصرى فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأشعرين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش فصار الى أوطاس فاقتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبي المسلمون عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ مالها وأهلها فحين أخذوا قتل أبو عامر أمير المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصروهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك أن ناسا من الانصار قالوا يوم حنين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يا فخر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيفنا تقطر من دماهم قال أنس (فحدث)

حدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارس إلى الانصار فجمعهم في قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو رأينا يارسول الله لم يقولوا شيئا واما اناس منا حديثه اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيو فنانقطر من دماهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا إلى رجالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تقبلون به خير مما تقبلون به قالوا بلى يارسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدى اثره شديدا فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الخوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا اذ لم يصبرهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالته فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن قال فامنعكم أن تجيئوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أنرضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبي إلى رجالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أنجعل نهي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفدهوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم مالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث إلى أصدقته فاخاروا احدي الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدي الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثني على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تأبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يارسول الله فقال لهم في ذلك انا لاندري من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع اليناعر فأؤم أمركم فرجع الناس فكلهم عرأفهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(اذ) بدل من يوم (أعجبكم كثرتكم) فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا معه العباس آخذا بلجام دابته { الجزء العاشر } وأبوسفیان بن حرب الحارث ابن عمه آخذا بركابه فقال

لعباس صح بالناس وكان صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة وعليهم السحاب البيض على خيول بلق فآخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزم وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة بـرحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه ثياب السفر أى ملتبساً بها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم أنزل الله سكينته (رحته التي سكنوا بها وامنوا) على رسوله وعلى المؤمنين

(اذ أعجبكم كثرتكم) كثرة جوعكم وكانوا عشرة آلاف

﴿ اذ أعجبكم كثرتكم ﴾ منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين وادبين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا والعشر الذين حضر واقع مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابوبكر رضى الله عنه او غيره من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا معه العباس رضى الله عنه آخذا بلجامه وابن عمه أبوسفیان ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ﴿ فلم تغن عنكم ﴾ أى الكثرة ﴿ شيئا ﴾ من الاغناء او من امر العدو ﴿ وضاعت عليكم الارض بما رحبت ﴾ برحبها أى سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن فيه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها مكن لا يسهه مكانه ﴿ ثم وليتم ﴾ الكفار ظهوركم ﴿ مدبرين ﴾ منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ﴿ ثم انزل الله سكينته ﴾ رحته التي سكنوا بها وامنوا ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ الذين انهزموا واعادة الجبار

فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهذه الذى بلغنا من سبى هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين ﴿ اذ أعجبكم كثرتكم ﴾ يعنى حين قلتم لن تغلب اليوم من قلة ﴿ فلم تغن عنكم ﴾ يعنى كثرتكم ﴿ شيئا ﴾ يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته ﴿ وضاعت عليكم الارض بما رحبت ﴾ يعنى بسعتها وفضائها ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ يعنى منهزمين ﴿ ثم أنزل الله سكينته ﴾ يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله عز وجل ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان سكاكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر

رجل (فلم تغن عنكم) كثرتكم من الهزيمة (شيئا وضاعت عليكم الارض) من الخوف (بما رحبت) بسعتها (وانزل) (ثم وليتم مدبرين) منهزمين من العدو وكان عددهم اربعة آلاف رجل (ثم انزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين)

وأُنزل جنوداً لم تروها (يعني الملائكة) وكانوا ثمانية { سورة براءة } آلاف أو خمسة آلاف أو ستة

عشر ألفاً (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وهم الذين أسلموا منهم (والله غفور) بستر كفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أي ذوو نجس وهو مصدر يقال نجس نجساً وقدر قدر الانهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مباغلة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) ولا يعمرها كما كانوا يفعلون

وأُنزل جنوداً من السماء (لم تروها) يعني الملائكة بالنصرة لكم (وعذب الذين كفروا) بالقتل والهزيمة يعني قوم مالك بن عوف الدهماني وقوم كنانة بن عبد اليل الثقفي (وذلك جزاء الكافرين) في الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك) على القتال والهزيمة (على من يشاء) على من تاب منهم

للتنبية على اختلاف حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا * وأنزل جنوداً لم تروها * باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر الفاعلى اختلاف الاقوال * وعذب الذين كفروا * بالقتل والاسر والسبي * وذلك جزاء الكافرين * أي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء * منهم بالتوفيق للاسلام * والله غفور رحيم * يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناساً منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اما سباً ياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالا حساب شيئاً فن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى ففروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قدر ضوا * يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس * لخبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس اولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرى نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تاء بالرجس * فلا يقربوا المسجد الحرام *

وأُنزل جنوداً لم تروها * يعني الملائكة لتثبت المؤمنين وتشجيعهم وتحذيل المشركين وتجبيهم للقتال لان الملائكة تقاتل الا يوم بدر * وعذب الذين كفروا * يعني بالاسر والقتل وسبي العيال والاموال * وذلك جزاء الكافرين * يعني في الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء * يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقى من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فن عاينهم وأطلق سببهم * والله غفور * لمن تاب * رحيم * بعباده * قوله عز وجل * يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس * قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لانجاسة العين سموا نجساً على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركاً فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سموا نجساً لانهم يحبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضئون * فلا يقربوا المسجد الحرام *

(والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قذر (فلا يقربوا المسجد الحرام) بالحج

لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة اولللمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ فقراسبب منعهم من الحرم

المراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبد له ليل من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام * أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا يأذنه في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم * القسم الثانى من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين النخلة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهايم ونصفها حجازى وقيل كلها حجازى وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبل طى وطريق العراق سمى حجازا لانه حيز بين تهامة ونجد وقيل لانه حيز بين نجد والسرّة وقيل لانه حيز بين نجد وتهامة والشأم قال الحربى وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاههم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قديئس ان يعبد المفسلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبدالعزيز جزيرة العرب ما بين الوادى الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من أقصى عدن الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضا * والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكفار ان يقيم فيها بعهود وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم * قوله عز وجل ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى العام الذى حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ يعنى فقر أو فاقة وذلك ان أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يحلبون الى مكة السلام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا

في الجاهلية (بعد عامهم هذا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القران النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعى رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه (وان خفتم عيلة) أى فقراسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الارفق

والطواف (بعد عامهم هذا) عام البراءة يوم النحر (وان خفتم عيلة) الفقر والحاجة

والمكاسب (فسوف يغنيكم
الله من فضله) من الغنائم
أو المطر والنبات أو من
متاجر حبيج الاسلام (ان
شاء) هو تعليم لتعليق
الامور بعشيرة الله تعالى
لتنقطع الآمال اليه (ان
الله علم) باحوالكم
(حكيم) في تحقيق آمالكم
أو علم بمصالح العباد حكيم
فيما حكم وأرادونزل في
أهل الكتاب (قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله) لان اليهود
مثنية والنصارى مثنية (ولا
باليوم الآخر) لانهم فيه
على خلاف ما يجب حيث
يزعمون ان لا كل في الجنة
ولا شرب (ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله) لانهم
لا يحرمون ما حرم في الكتاب
والسنة أو لا يعملون بما في

(فسوف يغنيكم الله من
فضله) من رزقه من وجه
آخر (ان شاء) حيث شاء
ويعنيكم عن تجارة بركين
وائل (ان الله علم) بأرزاقكم
(حكيم) فيما حكم عليكم
(قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر)
ولا بنعيم الجنة (ولا يحرمون)
في التوراة (ما حرم الله
ورسوله

وانقطع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من
فضله من عطائه أو بفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم
مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرى عائلة على انها مصدر كالعافية اوحال
(ان شاء) قيده بالمشيئة ليتقطع الآمال الى الله تعالى وليذهب على انه متفضل
في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (ان الله علم)
باحوالكم (حكيم) فيما يعطى وينزع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر) اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فايمانهم كلا ايمان
(ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله

ذلك لرسل الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله قال عكرمة فاغناهم الله بان أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أليم
أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا
يخافون وقال الضحاك وقناة عوصهم الله منها الجزية فاغناهم بها (ان شاء) قيل انما
شرط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهاك الى الله تعالى
في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد اماله من كل أحد الا من الله عز وجل فانه
هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعظيم رعاية الادب كما
في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (ان الله علم) يعني بما
بصالحكم (حكيم) يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع
المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فتعالى
تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الآية حين
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت
في قرينة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية اصابتها اهل الاسلام وأول ذل
أصاب اهل الكتاب بأيدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
المؤمنين والمعنى قاتلوا أي المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان
قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم
أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كأيمان المؤمنين وذلك
ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الخلول ومن اعتقد ذلك فليس
بمؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو
مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى
يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كإيمان المؤمنين
وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون
فيها ولا يشربون ولا ينجسون ومن اعتقد ذلك فليس كإيمان المؤمنين وان زعم انه
مؤمن (وقوله تعالى) ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (يعني) ولا يحرمون الخمر والخنزير
وقبل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه

التوراة والإنجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذته
دينه ومعتقده (من الذين { الجزء العاشر } أوتوا الكتاب) ١٠٦ بيان للذين قبله وأما المجوس

هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا
ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها من الذين أوتوا
الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ماتقرر عليهم ان يعطوه
مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اى عن يد معاتية
بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثن بأيدي غيرهم ولذلك منع
من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم
بمعنى اذلاء عاجزين او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى
نقد امسلة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال تؤخذ

لا يعاؤون بما فى التوراة والإنجيل بل حرقوها وأتوا باحكام من قبل أنفسهم ولا
يدينون دين الحق يعنى ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق
هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم
من الذين أوتوا الكتاب يعنى أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى حتى يعطوا
الجزية وهى ما يعطى المعاهد من أهل الكتاب على عهده وهى الخراج المضروب على رقابهم
سميت جزية الاجتزاء بها فى حقن دماهم عن يد يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى
شيأ كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون
بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم
بقبولها منهم وهم صاغرون من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية
وهم اذلاء مهودون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائلون والقابض جالس وقال
ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي اذا أعطى يصفع قفاه وقيل
هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب فى لهزمته ويقال له أذحق الله يا عبد الله وقال الامام
الشافعى رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم

فصل فى بيان أحكام الآية

اجتمعت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا
لم يكونوا عربا واختلفوا فى أهل الكتاب العرب وفى غير أهل الكتاب من كفار الجهم
فذهب الشافعى الى ان الجزية على الأديان لاعلى الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب
عربا كانوا أو عجماء ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر دومة فآخذه فاتوا به فحقت دمه وصالحه
على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعى وهو رجل من العرب يقال انه من غسان
وأخذه من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذبح مالك والاوزاعى الى ان الجزية تؤخذ
من جميع الكفار الا المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ

فالمحققون باهل الكتاب فى
نول الجزية وكذا الترك
اليهود وغيرهما بخلاف
شركى العرب لما روى
ابن عمرى أن النبي عليه
السلام صالح عبدة الاوثان
على الجزية الا من كان من
العرب (حتى يعطوا
الجزية) الى ان يقبواها
وسميت جزية لانه يجب على
على أهلها أن يجزوه أى
يتضوه أو هى جزاء على
الكفر على التحميل فى
تذليل (عن يد) أى عن يد
مواتية غير متمتعة ولذا قالوا
أعطى بيده اذا انقادوا
نزع يده عن الطاعة أو حتى
يعطوها عن يد الى يد
نقد غير نسيئة لا مبعوثا
على يد أحد ولكن عن يد
المعطى الى يد الآخر (وهم
صاغرون) أى تؤخذ منهم
على الصغار والذل وهو أن
ياتى بها بنفسه ماشيا غير
راكب ويسلمها وهو قائم
والمسلم جالس وان يتلثل
تلتلة ويؤخذ بتليبيه
ويقال له ادا الجزية يا ذمى
وان كان يؤذيها وينزخ
فى قفاه وتسقط بالاسلام

ولا يدينون دين الحق)
لا يخضعون لله بالتوحيد ثم بين
من هم فقال (من الذين أوتوا
الكتاب) أعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) عن قيام من يد فى يد (وهم صاغرون) ذليلون (من)

الكتاب) أعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) عن قيام من يد فى يد (وهم صاغرون) ذليلون (من)

الجزية من الذمي وتوجأ عنه ومفهوما الآية يقتضى تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر واند قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الامن مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الامن كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقر وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على الفقير غير الكسوب

من مشركى العجم ولا تؤخذ من مشركى العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العرب كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روى عن بحالة بن عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرج به البخارى عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادرى كيف اصنع فى امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرج به مالك فى الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر اخرج به مالك فى الموطأ وفى امتناع عمر من اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا فى ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروى عن علي بن ابي طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناحكتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا فى امرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليب الحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليب التحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبراء وبخى تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم فى اهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين واما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقالت اليهود بنزير ابن الله ﴿ انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة نجت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآبنة قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهاكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزيز بالتونين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف اول اللقاء الساكنين تشبها للتون بحرف الدين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تاسيم النسب وانكار الخبر المقدر ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴿ هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب اولان يفعل ما فعله من ابراء الاكدة والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها

لما وجه الى الجن امره ان يأخذ من كل حنظل أى محتلم دينارا أو عدله من المعافرة ثياب تكون بالجن أخرجه أبو داود قال بنى صلى الله عليه وسلم أمره ان يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى أن على كل مؤسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول أصحاب الراى ويبدل عليه ما روى عن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهما ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك فى الموطأ قال أصحاب الشافعى أقل الجزية دينار لا يزداد على الدينار الا بالتراخى فاذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغنى أربعة دنانير قال العلماء انما أقر أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل الشرك حرمة لا بأهم الذين انقضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وأيضافان بأيديهم كتباً قديمة فربما تشكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فأمنهاوا لهذا المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دماهم واهمالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذاروا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخين فيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴿ الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه فى هذه الآية فاخبر عنهم انهم أثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب أخذ الجزية منهم وابقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التى بأيديهم ولعلمهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه يدروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان

(وقالت اليهود) كلهم
أو بعضهم (عزير ابن الله)
مبتدأ وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم أعجمى
ولعجمته وتعريفه امتنع
صرفه ومن نون وهو عاصم
وعلى فقد جعله عربيا
(وقالت النصارى المسيح
ابن الله

(وقالت اليهود) يهود
أهل المدينة (عزير ابن
الله وقالت النصارى)
نصارى أهل نجران (المسيح
ابن الله

ابن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فانزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فمخاص بن عازوراء وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وانما نسب ذلك إلى اليهود في وقالت اليهود جريا على عادة العرب في اتساع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوكة ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرده إليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا إلى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردّها إلى فعله وابه أعلمهم ثم مكثوا ماشاء الله ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله وقال الكلبي إن مختصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير إذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيرا ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة قال فأتى ملك بآباء فيدماء فشرّب من دم التوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا إن كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم إن رجلا منهم قال إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فأنطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادروا فافتلوا أن الله لم يذف التوراة في قلب عزير إلا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين إن هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فأخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فإن خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وعشرين سنة يصلون إلى القبلية ويعصمون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بواص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بواص لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فخن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فأتى ساحات وأضلهم حتى يدخلوا النار معنائهم انه عمد إلى فرس كان يقائل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم اندأى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بواص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تنصر وقد تبّت وأتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتا منهم لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت إن الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد إلى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور

ذلك قولهم بافواهم) أى قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فها هو اللفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهمة) يضاهون قول الذين { الجزء العاشر } كفروا من قبل (١١٠ لا بد فيه من حذف مضاف تقديره

يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب صرفوا يعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدماءهم يعنى انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم يضاهون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بانها لا تحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) أى هم أحتاء بان يقال لهم هذا (أنى يؤفكون) كيف يصرفون

ذلك قولهم بافواهم (بالسنتهم) يضاهون (قول الذين كفروا من قبل) من قبلهم يعنى أهل مكة لان أهل مكة قالوا اللات والعزى ومناة بنات الله وكذلك قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى قال بعضهم المسيح ابن الله وقال بعضهم

ذلك قولهم بافواهم * اما تأكيد نسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان * يضاهون قول الذين كفروا * أى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه * (من قبل) أى من قبلهم والمراد قدماءهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله واليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل لآتى شابهت الرجال في انها لا تحيض * قاتلهم الله * دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك وتعجب من شناعة قولهم * أنى يؤفكون *

والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في خلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من بلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى في المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقر بالى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس ففترقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام فخر الدين الرازى بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ذكر لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفسا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال * ذلك قولهم بافواهم * يعنى انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعانى لم يذكر الله قولهم قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لاحقيقة له * يضاهون * قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون * قول الذين كفروا من قبل * قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد أن من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولوهم * قاتلهم الله * قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب أى حق ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما عجب فعله * أنى يؤفكون * يعنى أنى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة

شريكاً وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) لعنهم الله (أنى يؤفكون) من أين (بان الله)

(اتخذوا) أى أهل الكتاب
(أحبارهم) علماءهم
(ورهبانهم) نساكهم
(أربابا) آلهة (من دون
الله) حيث أطاعوهم فى
تحليل ما حرم الله وتحريم
ما أحل الله كما يطاع الأرباب
فى أوامرهم ونواهيهم
(والمسيح ابن مريم) عطف
على أحبارهم أى اتخذوه

ربا حيث جعلوه ابن الله
(ومأمرؤالا يعبدوا إلها
واحدا) يجوز الوقف عليه
لأن ما بعده يصلح ابتداء
ويصلح وصفاً واحداً (لا اله
إلا هو سبحانه عما يشركون)
تنزيه له عن الإشراف
(يريدون أن يطفؤا نور
الله بأفواههم

يكذبون) اتخذوا أحبارهم
علماءهم يعنى اليهود (ورهبانهم)
واتخذت النصراني
أصحاب الصوامع (أربابا)
أطاعوهم بالمعصية (من
دون الله والمسيح ابن
مريم) واتخذوا المسيح بن
مريم إلها (وما أمرؤا)
فى جملة الكتب (الايعدوا)
ليوحدوا (إلها واحداً
لا اله إلا هو سبحانه) نزه
نفسه عما يشركون يريدون
(أن يطفؤا) يبطلوا (نور الله)
دين الله (بأفواههم) بتكذيبهم
ويقال بألسنتهم

كيف يصرفون عن الحق الى الباطل ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ بان أطاعوهم فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم ﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ بان جعلوه ابن الله ﴿ وما أمرؤا ﴾ أى وما أمر المتخذون أو المتخذون أرباباً فيكون كالديل على بطلان الاتخاذ ﴿ إلا ليعبدوا ﴾ ليطيعوا ﴿ إلها واحداً ﴾ وهو الله تعالى وأما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة الله ﴿ لا اله إلا هو ﴾ صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد ﴿ سبحانه عما يشركون ﴾ تنزيه له عن أن يكون له شريك ﴿ يريدون أن يطفؤا ﴾ يخمدوا ﴿ نور الله ﴾ حجته الدالة على وحدانيته وتقديسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ بأفواههم ﴾ بشركهم أو بتكذيبهم

بان الله واحداً أحد فجمعوا له ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فالله سبحانه وتعالى عجب نبى صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق وأصرارهم على الباطل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والأحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصراني أرباباً من دون الله يعنى أنهم أطاعوهم فى معصية الله تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالأرباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الإلهية عن عدى بن حاتم قال أنيت النبي صلى الله عليه وسلم وفى عنق صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ فى سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً حرموه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الامموك ﴿ وأحبار سوء ورهبانها (١) ﴾

﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ يعنى اتخذوه إلها وذلك لما اعتقدوا فيه النبوة والحلول اعتقدوا فيه الإلهية ﴿ وما أمرؤا ﴾ يعنى وما أمرؤا فى الكتب القديمة المنزلة عليهم على ألسنة أنبيائهم ﴿ إلا ليعبدوا إلها واحداً ﴾ لانه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره ﴿ لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ أى تعالى الله وتنزهه عن أن يكون له شريك فى العبادة والاحكام وأن يكون له شريك فى الإلهية يستحق التعظيم والاحلال ﴿ يريدون ﴾ يعنى يريد رؤساء اليهود والنصارى ﴿ أن يطفؤا نور الله بأفواههم ﴾ يعنى يريدوه لئلا يبطال دين الله الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم إياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهى أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التى ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذى نزل عليه من عند الله فهو معجزته باقية على الأبد دالة على صدقه

(١) وما بعده قوله « لقد وقع النور فى جيفة » يبين لذي العلم انسانها « قاله مصححه

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو

كره الكافرون) مثل حالهم في طلبهم أن يبطأوا نسبة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيد وبلغه الغاية القصوى من الاشراف ليطفئه بنفخه أجري ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والا لا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (هو الذي أرسل بالهدى) بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعلبه (على الدين كله) على أهل الأديان كلهم او يظهر دين الحق على كل دين

وناشأ أن دينه الذي أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والالتقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحه في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَم نوره ولو كره الكافرون ﴾ يعني ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴿ قوله عن الحق الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون ﴾ قوله عن وجل ﴿ هو الذي أرسل رسوله ﴾ يعني ان الله الذي يأبى إلا أن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ بالهدى ﴾ يعني بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هاديا ليد ﴿ ودين الحق ﴾ يعني دين الاسلام ﴿ ليظهره ﴾ يعني ليعليه ﴿ على الدين كله ﴾ يعني على سائر الأديان وقال ابن عباس الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلم شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الأديان كلها وهو أن لا يعبد الله إلا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبق أهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبق على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام اما بعز عيز أو بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيذلهم له اخرج به البخاري وغيره (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تبدل الآلات والعزى فقلت يا رسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال ان سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله رجلا طيبة تتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آباءهم قال الشافعي وقد أظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الأديان كلها بان ابا لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الأديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين

(ويأبى الله) لا يترك الله (الأن) يتم نوره (الأن يظهر دينه الاسلام (ولو كره) وان كره (الكافرون) ان يكون ذلك (هو الذي أرسل رسوله) محمدا عليه السلام (بالهدى) بالقرآن والايمان (ودين الحق) دين الاسلام شهادة أن لا اله الا الله (ليظهره على الدين كله) ليظهر دين الاسلام على الأديان كلها من قبل ان تقوم الساعة

ولو كره المشركون بإيها الذين آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس (استعار الاكل للاخذ) (الباطل)
 في الرشا في الاحكام (ويصدون) سفلتهم ١١٣ (عن سبيل الله) { سورة براءة } دينه (والذين يكنزون

الذهب والفضة) يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصاتين ذميتين فيهم اخذ الرشاش وكذا الاموال والضم بها من الاتفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكائزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس يكنزوا وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فليزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن ابن عوف وطلحة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنينة لان الاعراض اختيار للافضل والافتناء مباح لا يذم صاحبه

(ولو كره) وان كره
 (المشركون) ان يكون
 ذلك (يا أيها الذين آمنوا)
 بمحمد عليه السلام
 والقرآن (ان كثيرا من
 الاحبار) علماء اليهود
 (والرهبان) أصحاب
 الصوامع (لياكلون
 أموال الناس بالباطل)

يتم نوره ولذلك كره (ولو كره المشركين) غير انه وضع المشركون موضع الذين كفروا للدلالة على انهم ضمو الكفر بالنسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق اول رسول عليه الصلاة والسلام واللام في الدين للجنس اى على سائر الاديان فيمنعها او على اهلها فيخذلهم (يا أيها الذين آمنوا) ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل (ياخذونها بالرشا في الاحكام) سعى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة

فتمهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها آمنوا) ان كثيرا من الاحبار والرهبان (ياخذون الرشاش) وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصراني وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليل على ان الاغل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس الباطل ولعنهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى (ياكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله أكلوا أموال الناس الباطل فقل انهم كانوا يأخذون الرشاش من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساخطة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبيا بحر فونها ويبدلون بها ويقولون هذه من عند الله وبأخذون بها ثمن اقليل وهي المال كل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المأكل وقيل ان النوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذوا لاموال ومنع الناس عن الايمان بذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) معنى وينمعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكنزون الذهب والفضة) أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدى نزلت في معاني الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على اخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعد وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب

بالرشوة والحرام (ويصدون عن سبيل الله) (قاو خا ١٥ لث) عن دين الله وطاعته (والذين يكنزون) يجمعون (الذهب والفضة

أومن المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثرت على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تخرجت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر على عبد حبشي لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكثر فقل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر أنه قال له اعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كثرتها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهراً للأموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكثر ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدت زكاته فليس بكتز وإن كان مدفوناً وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكثر الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وإن لم يكن مدفوناً وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فما فوقها كتز وما دونها نفقة وقيل الكثر كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في منزله دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الإسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجه لاحتياج غيره إليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يابني الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض الموارث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا أخبرك بخير ما يكثر المرأة الصالحة اذا نظرت اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت وان الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعله لسان ذا كرو قلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الأول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر أن كل مال أدت زكاته فليس بكتز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثرت وإن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وإن قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا

ولا ينفقونها في سبيل الله ﴿١﴾ يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضمن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقتراؤه بالمرتسين من اهل الكتاب للتغليظ وبدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لطيب بها ما بقى من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعده عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه (٢) فالمراد منه من لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن

كان يوم القيامة صفائح من نار فاحى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كماردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلة واحدة تطؤه باخفا فها وتعضه بافواها كما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقضاء ولا جلاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كماردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقضاء هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثنائها لانها لا تؤلم بنطحها وكهذا الجلاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آناه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ثم يقوله أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يخجلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذوب وهي صفة أخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين والاهز متان عظيمان ناتان في الحيين تحت الاذنين ﴿٢﴾ وقوله تعالى ﴿٣﴾ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴿٤﴾ يعنى ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها لانه رد الكفاية الى المال المكنوز وهي اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها أغلب أموال

(ولا ينفقونها في سبيل الله) الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منهما دنانير ودرهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو أريد الكنوز والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهم قانون التمول وأثمان الاشياء وذكر كثرهما دليل على ماسواهما

ولا ينفقونها) يعنى الكنوز (في سبيل الله) في طاعة الله ويقال ولا يؤدون زكاتها

(٢) فالمراد منها ما لم يؤد حقها نسخته

(فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى قوله (يوم يحمى عليها في نار جهنم) ان النار تحمى عليها أى توقد وانما ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لا يقال الاسناد عن النار الى عاينها كما تقول رفعت القصص الى الامير فان لم تذكر القصص قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واية مجلس ازوروا عند تولوا باركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديعهم وما خيرههم وجنوبهم هذا ما كنزتم

(بشرهم) يا محمد (بعذاب أليم) وجميع (يوم يحمى عليها) على الكنوز ويقال على النار (في نار جهنم فتكوى بها) فتضرب بالكنوز (جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا) يقال لهم عقوبة هذا (ما كنزتم) بما جمعتم من الاموال

ابى هريرة رضى الله تعالى عنه صاحب ذهب ولافضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ هو الكى بهما ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ أى يوم توقد النار ذات حمى شديد عاينها واصله تحمى بالنار فجعل الاحياء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المتصود فانقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قل عاينها والمذكور شيان لان المراد بهما دنائير ودراهم كثيرة كما قل على رضى الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عاد وتخصيصهما بالذكر لانها قانون القول او لافضة وتخصيصها لقر بها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ لان جباههم وامساكهم اياه كان اطلب الوجهة بالغنى والتنعيم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل وعرضوا عند ولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتتة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقادير البدن وما خيره وجنباه ﴿هذا ما كنزتم﴾ على ارادة القول

الماس ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ يعنى الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبى ذر قال انتهت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى فلهم الاخسرون ورب الكعبة ذل فجت حتى جاست فلم أقنار حتى قت فقلت يا رسول الله فذاك أبى وأمى من هم قلهم لا كثرون أموالا الا ان قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يدي ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمته تنطحن بقرونها وتقره باظلافها كما تفدت آخرها عادت عاينه اولها حتى يقتضى بين الناس هذا الفظ مسلا وفرقة البخارى فى موضعين وقوله تعالى ﴿يوم يحمى عليها﴾ يعنى على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة ﴿في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ يعنى بالكنوز جباه كانوا يكرهونها وجنوبهم وظهورهم ﴿قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم فى موضع على حدة قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالسكى من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا أتا السائل فطلب منه شيئا تبدو منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يتطرب وجهه ويكلم وتجتمع أسارير وجهه فيتجمع جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح فى السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهى نهاية فى الرد والغاية فى المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانع البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالسكى يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى ﴿هذا ما كنزتم

لانفسكم (يقال لهم

هذا ما كنتم تسمونه

لتنفع به نفوسكم وما علمتم

انكم كنتم تسمونه لتستضربه

انفسكم وهو توبخ (فذوقوا

ما كنتم تكذبون) أى

وبال المال الذى كنتم

تكذبون به أو وبال كونكم

كانزين (ان عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا)

من غير زيادة والمراد بيان

ان أحكام الشرع تبنى على

الشهور القمرية المحسوبة

بالاهلة دون الشمسية (فى

كتاب الله) فثبت وأوجب

من حكمه أو فى اللوح (يوم

خلق السموات والارض

منها أربعة حرم) ثلاثة سرد

ذو القعدة للقعود عن القتال

وذو الحجة للحج والمحرم

لتحريم القتال فيه وواحد

فرد وهو رجب لترتيب

(لانفسكم) فى الدنيا

(فذوقوا ما كنتم)

ما كنتم (تكذبون) .

تجمعون (ان عدة الشهور

عند الله) يقول السنة

بالشهور عند الله يعنى شهور

السنة التى تؤدى فيها الزكاة

(اثنا عشر شهرا فى كتاب الله)

فى اللوح المحفوظ (يوم)

من يوم (خلق السموات

والارض منها) من الشهور

(أربعة حرم) رجب

وذو القعدة وذو الحجة

لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكذبون
اى وبال كنزكم او ما تكذبون وقضى تكذبون بضم البون (ان عدة الشهور اى
مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا فى كتاب الله
فى اللوح المحفوظ او فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات
والارض متعلق بما فید من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان
هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاحرام والازمنة منها أربعة حرم

لانفسكم اى يقال لهم ذلك يوم القيامة فذوقوا ما كنتم تكذبون اى
فذوقوا عذاب ما كنتم فى الدنيا من الاموال ومنعم حق الله منها (ق) عن الاحنف
بن قيس قال قدمت المدينة فبينما أنا فى حلقة فيها ملأ من قریش اذ جاء رجل خشن
التياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكافرين برضف يحمى عليه
فى نار جهنم فىوضع على حلقة ثدى أحدهم حتى يخرج من اغص كنفه ويوضع على
اغص كنفه حتى يخرج من حلقة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فمأرت أحدا
منهم رجع اليه شيأ قل فادبر فاتبته حتى جالس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء
الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيأ هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها
وزاد البخارى قلت من هذا قالوا أبو ذر قال فتمت اليه فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل
فقال ما قلت الا شيأ سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى
الاولى وجادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة
وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب
التي يعتد بها المسلمون فى سياهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم
وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور
الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتقص السنة
الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع
الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية
من أجل النسيء الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقتها وتارة
فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فأعلم الله عز وجل ان عدة شهور سنة
المسلمين التى يتدور بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى
ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح
المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يندرون وقيل أراد بكتاب
الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكيم
الذى أوجبه وأمر عباده بالآخذ به يوم خلق السموات والارض (يعنى أن هذا الحكم
حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم
من الشهور أربعة حرم وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة

واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم وفي الأشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ماروى انه عليه

العرب ايام أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم واسماعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسئ فغيروا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم أو في الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصي

متوالية وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي قاتل أبيه وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يجهد ولم جاء الاسلام لم يزلها الاحرمه وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم ذلك الدين القيم يعنى ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذى لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذى لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والمسد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا قال بلى فإى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم الحجر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يساغد أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال أأهل بلغت أهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله عز وجل فلا تظلموا فيهن أنفسكم قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الأشهر أى لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقيل فتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجمعوا احلالها حراما ولا احرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو

والحرم (ذلك الدين القيم) الحساب القائم لا يزيد ولا ينقص (فلا تظلموا) فلا تضروا (فيهن) في الشهور (أنفسكم) بالمعصية ويقال

السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بجنين في شوال وذى القعدة ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ جميعا وهى مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ بشارة وضمنان لهم بالنصرة بسبب تقواهم ﴿انما النسي﴾ اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرمو امكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسي والنساء وثلاثهما مصدر نساء اذا اخره ﴿زيادة في الكفر﴾ لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه

النسي وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجد الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ يعنى قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخرساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بجنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا أن يقاتلوا فيها ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ يعنى بالنصر والمعونة على اعدائهم قوله سبحانه وتعالى ﴿انما النسي زيادة في الكفر﴾ النسي في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسي المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معاش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متواليه تورعوا وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال ففسؤوا يعنى أخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيستحلون الحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى

(وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل أو المفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) أى ناصر لهم حثهم على التقوى بضمنان النصر لاهلها (انما النسي) بالهمزة مصدر نساء اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلولونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة في الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم

في الاشهر الحرم) وقاتلوا المشركين كافة) جميعا في الحل والحرم (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا) ياء مشعر المؤمنين (أن الله مع المتقين) الكفر والشرك والفواحش ونقض العهد والقتال في أشهر الحرم (انما النسي) زيادة في الكفر (تأخير الحرم الى صفر معصية

الى كفرهم **يضل** به الذين كفروا **كفرا** ضاللا زائدا وقرأ جزء والكسائي وحفص بضل
 ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة
 كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين
 ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقى شهور السنة فوافقت حجة ابى بكر في السنة التاسعة قبل حجة
 الوداع المرة الثانية من ذى القعدة ثم حج رسول الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع
 فوافق حجة شهر ذى الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب
 الناس في اليوم العاشر بنى وأعلمهم ان أشهر النسي قد تناهت باستدارة الزمان وعاد
 الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى
 الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث
 المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختلفوا في أول
 من نسا النسي فقال ابن عباس والضحاك وقناة ومجاهد أول من نسا النسي بنو مالك
 بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك
 رجل من بنى كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس
 بالصدر قام فخطب الناس فيقول لامرء لما قضيت أنا الذى لأعاب ولأعاب فيقول له
 المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام
 حرام فاذا قل ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال
 عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل
 يقال له جنادة بن عوف وهو الذى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد
 ابن أسلم هو رجل من بنى كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم
 وفينا ناسى الشهر القلمس

(يضل) كوفي غير أبى بكر
 (به الذين كفروا) بالنسي
 والضمير في

زيادة مع الكفر (يضل به)
 يغلط بتأخير المحرم الى صفر
 (الذين كفروا)

وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس
 ان أول من سن النسي عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذى صنع من حديث أبى هريرة
 وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سب السوائب وقال فيد النبي صلى الله عليه وسلم رأيت
 عمرو بن لحي يجر قنبيه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسي الذى ذكره الله في قوله انما
 النسي زيادة في الكفر يعنى زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا باقتناع
 كل قبل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه الى وقت
 آخر بسبب ذلك النسي فأوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة
 في كفرهم **يضل** به الذين كفروا **كفرا** قرئ **يضل** بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل
 بالنسي الذين كفروا وقرئ **يضل** بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلواهم
 وحلواهم عليه وقرئ **يضل** به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله
 به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه
 يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين

(يحلونه عاما ويحرمونه عاما) للنسئ أي اذا حلوا شهر من الاشهر لحرام عامار جعوا فحرموه في العام القابل (ليواطؤا عدة ما حرم الله) ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين واللام تتعلق بحلونه ويحرمونه أو يحرمونه فحسب وهو الظاهر (فيحلوا ما حرم الله) أي فيحلوا بواطئة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص الاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿ ١٢١ ﴾ (والله } سورة براءة { لا يهدي القوم الكافرين)

حال اختيارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا (في سبيل الله انا قلتم) تناقلتم وهو أصله الا أن التاء أدغمت في التاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لثلاثا يتبدأ بالساكن أي بتباطم (الى الارض) ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالي أي ملت إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتابعه أي ملت إلى الإقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وخط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الاورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة

يحلونه (يعني المحرم عاما)

يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى ﴿ يحلونه عاما ﴾ يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ﴿ ويحرمونه عاما ﴾ فيتركونه على حرمة قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جل في الموسم فينادى ان آلهتكم قد احدثت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجلتان تفسير للضلال او حال ﴿ ليواطؤا عدة ما حرم الله ﴾ أي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة ببحرمونه او بادل عليه مجموع الفملين ﴿ فيحلوا ما حرم الله ﴾ بواطئة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ﴿ زين لهم سوء أعمالهم ﴾ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ هداية موصلة الى الاهتداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم ﴾ تباطم وقرئ تناقلتم على الاصل واناقلتم على الاستتھام للتوبيخ ﴿ الى الارض ﴾ متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالي وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم

تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الباء وكسر الضاد ﴿ يحلونه عاما ويحرمونه عاما ﴾ يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا لغيره فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيرون فيه ﴿ ليواطؤا ﴾ يعني ليوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ يعني أنهم ما أحلوا شهر من المحرم الا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من المحرم لاجل أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لافي الحكم كذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أنهم لما سبق له في الازل انه من أهل النار ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم الى الارض ﴾ نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة

فقاتلون فيه (ويحرمونه) يعني المحرم (قا و خا ١٦ لث) (عاما) فلا يقاتلون فيه فاذا أحلوا المحرم حرموا صفر بدله (ليواطؤا) ليوافقوا (عدة ما حرم الله) أربعة بالعدد (فيحلوا ما حرم الله) (يعني المحرم) (زين لهم) (حسن لهم) (سوء أعمالهم) قبح أعمالهم (والله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الكافرين) من لم يكن أهلا لذلك وكان الذي يفعل هذا رجلا يقال له نعيم بن ثعلبة (يا أيها الذين آمنوا) أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ما لكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا مع نبيكم (في سبيل الله) في طاعة الله (وفي غزوة تبوك) اناقلتم الى الارض (اشتيتتم الجلوس على الارض)

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وَغُرُورَهَا ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ بَدَلَ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فَمَا التَّمَتُّعُ بِهَا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ ﴿الْأَقِيلُ﴾ مُسْتَحْقَرٌ ﴿الْأَتَنَفَرُوا﴾ أَنْ لَا تَتَنَفَرُوا إِلَى مَا اسْتَنْفَرْتُمْ إِلَيْهِ ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بِالْأَهْلَاكِ بِسَبَبِ فَظِيعٍ كَقَطْعِ وَظُهُورِ عَدُوٍّ ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ وَيَسْتَبْدِلُ بِكُمْ آخَرِينَ مُطِيعِينَ كَاهِلِ الْيَمَنِ وَابْنَاءِ فَارَسٍ ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أَذْلا يَقْدَحُ تَثَاقلُكُمْ فِي نَصْرَةِ دِينِهِ شَيْئًا

مِنَ الْحَرَجِينَ طَابَتْ الظَّلَالُ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ غَزْوَةَ الْإِوَرِيِّ بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرَشٍ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَاوِزَ وَعَدَدًا كَثِيرًا وَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِتَأْهَبُوا أَهْبَةً عَدُوَّهُمْ فَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ وَتَثَاقَلُوا فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ يَعْنِي قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْيْ أَخْرَجُوا إِلَى الْجِهَادِ يُقَالُ اسْتَنْفَرُ الْإِمَامُ النَّاسَ إِذَا حَثَّهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفِرُوا وَالْإِسْمُ النَّفِيرُ إِذَا قَاتَمْتُمْ أَمْيْ تَثَاقَلْتُمْ وَتَبَاطَأْتُمْ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْغَزَا إِلَى الْأَرْضِ يَعْنِي لَزِمْتُمْ أَرْضَكُمْ وَمَسَاكِنَكُمْ وَأَمَّا اسْتَنْقَلُ ذَلِكَ الْغَزْوُ لَشِدَّةِ الزَّمَانِ وَضِيقِ الْوَقْتِ وَشِدَّةِ الْحَرْبِ وَبَعْدَ الْمَسَافَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَى كَثْرَةِ الْأَسْتِعْدَادِ مِنَ الْعَدَدِ وَالزَّادِ وَكَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَقْتُ ادْرَاكِ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ وَطَيْبِ ظِلَالِهَا وَكَانَ الْعَدُوُّ كَثِيرًا فَاسْتَنْقَلُ النَّاسُ تِلْكَ الْغَزْوَةَ فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ يَعْنِي أَرْضَيْتُمْ بِخَفْضِ الْعَيْشِ وَزَهْوَةِ الدُّنْيَا وَدَعَايَا مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ الْأَقِيلُ﴾ يَعْنِي أَنَّ لِدُنْيَا الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَإِنَّ زَائِلَ يَنْفَدُ عَنْ قَلِيلٍ وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ بَاقٍ عَلَى الْأَبَدِ فَهَذَا السَّبَبُ كَانَ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ الْجِهَادِ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى نَصَّ عَلَى أَنْ تَثَاقَلْتُمْ عَنِ الْجِهَادِ أَمْرٌ مُنْكَرٌ فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْجِهَادُ وَاجِبًا لِمَا عَاتَبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّثَاقُلِ وَيُؤَكِّدُ هَذَا الْوَعِيدَ الْمَذْكُورَ الْآيَةُ الْآتِيَّةُ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿الْأَتَنَفَرُوا﴾ يَعْنِي أَنْ لَمْ تَتَنَفَرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَى مَا اسْتَنْفَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ وَقِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ احْتِبَاسُ الْمَطَرِ فِي الدُّنْيَا قَالَ نَجْدَةُ بْنُ نَفِيعٍ سَأَلَتْ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ اسْتَنْفَرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيَاةً مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَتَثَاقَلُوا فَأَمْسَكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الْمَطَرَ فَكَانَ ذَلِكَ عَذَابَهُمْ ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يَعْنِي خَيْرًا مِنْكُمْ وَأَطْوَعَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ هُمْ أَبْنَاءُ فَارَسٍ وَقِيلَ هُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ نَبِيَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتَازَ دِينَهُ فَإِنْ سَارَعُوا مَعَهُ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى حَيْثُ اسْتَنْفَرُوا حَصَلَتِ النُّصْرَةُ بِهِمْ وَوَقَعَ أَجْرُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ تَثَاقَلُوا وَتَخَلَّفُوا عَنْهُ حَصَلَتِ النُّصْرَةُ بِغَيْرِهِمْ وَحَصَلَتِ الْعُقُوبَةُ لَهُمْ لِثَلَاثِ تَوَهُمَاتٍ أَنْ اعْتَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَصْرَتَهُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِهِمْ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ قِيلَ الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

(أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (مِنَ الْآخِرَةِ) بَدَلَ الْآخِرَةِ (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (فَمَا التَّمَتُّعُ بِهَا) (فِي الْآخِرَةِ) فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ (الْأَقِيلُ) (الْأَتَنَفَرُوا) (الْأَتَنَفَرُوا) إِلَى الْحَرْبِ (يُعَذِّبُكُمْ) عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا) سَخَطَ عَظِيمٌ عَلَى الْمُتَثَاقِلِينَ حَيْثُ أَوْعَدَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُطْلَقٍ يَتَنَاوَلُ عَذَابَ الدَّارِينَ وَأَنَّهُ يَهْلِكُهُمْ وَيَسْتَبْدِلُ بِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَطْوَعَ وَأَنَّهُ غَفَى عَنْهُمْ فِي نَصْرَةِ دِينِهِ لَا يَقْدَحُ تَثَاقُلُهُمْ فِيهَا شَيْئًا وَقِيلَ الضَّمِيرُ فِي وَلَا تَضُرُّوهُ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُ أَنْ يَعْصِمَهُ مِنَ النَّاسِ وَأَنْ يَنْصُرَهُ وَوَعَدَهُ

(أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (مِنَ الْآخِرَةِ) فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ (الْأَقِيلُ) (يَسِيرٌ لَا يَبْقَى) (الْأَتَنَفَرُوا) (أَنْ لَمْ تَخْرُجُوا مَعَ نَبِيِّكُمْ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ) (يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) وَجَمِيعًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) (خَيْرًا مِنْكُمْ) وَأَطْوَعَ (وَلَا تَضُرُّوهُ) أَيْ لَا يَضُرُّ اللَّهُ جُلُوسَكُمْ شَيْئًا

كائن للاحالة (والله على كل شيء) ﴿ ١٢٣ ﴾ من التبديل { سورة براءة } والتعذيب وغيرهما (قدير

الانتصروه فقد نصره الله)
الانتصروه فسينصره من
نصره حين لم يكن معه الا
رجل واحد فدل بقوله
فقد نصره الله على انه
ينصره في المستقبل كما
نصره في ذلك الوقت (اذ
أخرجهم الذين كفروا)
أسند الاخراج الى الكفار
لانهم حين هموا باخراجه
اذن الله له في الخروج
فكانهم أخرجوه (ثاني
اثنين) أحداً اثنين كقوله
ثالث ثلاثة وهما رسوالله
وأبو بكر وانتصابه على
الحال (اذهما) بدل من
اذا أخرجه (في الفار)
هو ثقب في أعلى ثور وهو
جبل في غنى مكة على مسيرة
ساعة مكثاً فيه ثلاثاً (اذ
يقول) بدل ثان (لصاحبه لا
تحزن ان الله معنا) بالنصرة
والحفظ قليل طلع المشركون

(والله على كل شيء) من العذاب
والبدل (قدير الانتصروه)
ان لم تنصروا محمد صلى الله
عليه وسلم بالخروج معه الى
غزوة تبوك (فقد نصره الله
اذ أخرجه الذين كفروا)
كفار مكة (ثاني اثنين)
يعنى رسول الله وأبو بكر
(اذهما) رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر رضى الله

فانه الغنى عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام اى
ولا تنصروه فان الله وعدله بالعصمة والنصرة ووعد حق ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى ﴿ الا تنصروه فقد
نصره الله ﴾ أى ان لم تنصروه فينصره الله كأن نصره الله ﴿ اذ أخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين ﴾ ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه
مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصره حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن
يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لانهم باخراجه اوقته تسبب لاذن الله
له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور
في الاعراب ونصبه على الحال ﴿ اذهما في الفار ﴾ بدل من اذا أخرجه بدل البعض
اذا المراد به زمان متسع والفار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في غنى مكة على مسيرة ساعة
مكثافيه ثلاثاً ﴿ اذ يقول ﴾ بدل ثان او ظرف لثاني ﴿ لصاحبه ﴾ وهو أبو بكر رضى الله
تعالى عنه ﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾ بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلوعوا فوق الفار

يعنى ولا تنصروا الله شيئاً لانه غنى عن العالمين وانما تنصرون أنفسكم بترككم الجهاد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعنى ولا تنصروا محمداً صلى الله عليه وسلم شيئاً فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذله
﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يعنى انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصرنبيه ويعز
دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة
وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم ينفروا كأنقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ ﴿ قوله عز وجل
﴿ الا تنصروه فقد نصره الله ﴾ يعنى الانتصروا محمداً صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون
هذا خطاب لمن تناقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل
بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته أعانوه أو لم يعينوه وانه
قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد
والعدد ﴿ اذ أخرجه الذين كفروا ﴾ يعنى انه تعالى نصره في الوقت الذى أخرجه
فيه كفار مكة من مكة حين مكروبه وأرادوا قتله ﴿ ثاني اثنين ﴾ يعنى هو واحد اثنين
وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ﴿ اذ هما في الفار ﴾ يعنى اذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الفار والفار ثقب عظيم يكون في الجبل وهذا الفار
في جبل ثور وهو قريب من مكة ﴿ اذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴾ يعنى يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان
يعلموا بمكانهم فخرج من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ﴿ ان الله معنا ﴾
يعنى بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعاً في هذه الآية
غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله

عنه (في الفار اذ يقول) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) أبي بكر (لا تحزن) يا أبا بكر (ان الله معنا) معينا

فأشفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك بأثنين الله ثالثهما فأعماه الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه و قيل لما دخل الغار بعث الله جامتين فباصتا في أسفله والعنكبوت فندسجت عليه

صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النَوَوِي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لا يكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقة أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من ليلاته أماليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهى اليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكئسه ووجد في جانبه ثقبافشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فذاك أبي وأمي فقتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا تؤدى الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأناحي أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال اذكر الطلب فامشى خلفك واذكر الرصد فامشى بين يديك فلما انتهى الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان أقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تعصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك بأثنين الله ثالثهما و قيل لما دخل الغار بعث الله جامتين فباصتا في أسفله والعنكبوت فندسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفتنون قدأخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك اسائر الصحابة

﴿ ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخارى ﴾

عن عائشة قالت لم أعقل أبى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبابكر فقال أبو بكر أخرجنى قومى فاريدان أسيع فى الارض فاعبد ربى فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبابكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانالك جار فارجم واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم ان أبابكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفى رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا بأببكر وقالوا لابن الدغنة مرأ بأببكر فليعبد ربه فى داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فاننا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذ فيه نساء المشركين وأبناءؤهم وهم يحبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجركنا بأببكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشنا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر فقال قد علمت الذى عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وأما أن ترجع الى ذمتى فانى لأحب أن تسمع العرب انى أخفرت فى رجل عقدت له فقال أبو بكر فانى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى رأيت دار هجرتكم سبعة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى قال نعم فخبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصعبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبى وأمى والله

ما جاء به في هذه الساعة الأمر قالت نجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قل فاني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجھزناهما أحث الجھاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكنما فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصيح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به الاوعاء حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منخبة من غنم فريحيهما عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالى الثلاث وأستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدى هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعنا ليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدبلي فاخذهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم ان أباه أخبره انه سمع سراقه بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يحملون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقه اني قد رأيت أنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقه فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يتبعون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قت فدخلت فامرت جاريقي أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها على وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسى فخررت عنها فقممت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذى أكره فركبت فرسى وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى في الارض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لثريديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع في نفسى حين اتميت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني ولم يسألاني الا أن قالا اخف عنا ما استطعت فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فظفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذا مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول

هذا الحلال لاحال خير * هذا ابرر بنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر اُجر الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة * فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخاري بطوله

﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾

قولها لم أعقل أبوى الا وهما يدينان الدين يعنى أنهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغمام بفتح الباء من برك وكسر الغين المجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قلب ماء لبنى ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حق

المعدوم الذى يتعذر كسبه على غيره والقول الثانى انه يملك الشئ المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه ففيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام باسر العيال واقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده اُنالك جارأى حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهـار الخفى وقوله فينقذ النساء عليه يعنى يزدجن عليه والذمة العهد والامان واخفـارها نقضها واللابـة الجبل والحرة الارض التى تعلوها بحجارة سود يقال افعـل الشئ على رسلك بكسر الراء أى على هينتك والراحلة البعير القوى على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق جبل أو نحوه تشدبه المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى اسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلـاج تخفيف الدال سير أول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسـل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعى بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه فى الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا فى آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنسانة هى الجعبة التى تجمل فيها السهام والازلام القداح التى كانوا يستقسمون بها عند طلب الخواج كالغـال والعشـان الغبار يقال مارزأت فلانا شياً أى ما أصبت منه شياً والمراد أنهم لم يأخذوا منه شياً وقوله أو فى أى أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أى هم ذوو ثياب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الجمال هو بالحاء المهملة يعنى هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله واطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة فى الآخرة لاحـال خير يعنى ما يحمل من خير من التمر والزيت والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذى نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خير وقد روى هذا الجمال بالجيم من التـجمل ورواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا فى أسفل النقب ونسجت العنكبوت يتناول قبل أتت يمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعل الطلب يضربون يميناً وشمالاً حول الغار يقولون لودخل هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت فى بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرنى * ونحن فى سدف فى ظلمة الغار

لاتخش شيئاً فان الله ثالثنا * وقد تكفل لى منه باظهار

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ الَّتِي تَسْكُنُ عِنْدَهَا الْقُلُوبُ ﴾ عليه السلام على النبي أو على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزجها وأيده بجنود لم تروها ﴿ يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه

وانما كيد من تخشى بواذره • كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرابعا صنعوا • وجاعل المنتهى منهم الى النار
﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴿ يعني فَأَنْزَلَ اللَّهُ الطمأنينة والسكون
على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه
وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

﴿ فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل ﴾

﴿ سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ﴾

منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر
الصديق في سره واعلانياته من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختره صحبته
في ذلك المكان الخوف لعدم بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله
بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل
على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل الارض بقوله
تعالى ألا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان
سيدنا أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يزل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا
حضر بل كان ملازمه وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته ومنها مؤانسته للنبي
صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه
وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار
وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبا بكر كان
ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
دعا الخلق الى الايمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر الى الايمان بالله ورسوله
فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يدى أبي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وأبو بكر معه
في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه
ومنها انه ثانيه في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق ومنها
ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول
لصاحبه لا تحزن • ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله
وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على أبي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله
أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴿ يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال
الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل أتى الرعب في قلوب الكفار
حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) ما ألقى
في قلبه من الامنة التي
سكن عندها وعلم انهم
لا يصلون اليه (عليه) على
النبي صلى الله عليه وسلم
أو على أبي بكر لانه كان
يخاف وكان عليه
السلام ساكن القلب
(وأيده بجنود لم تروها) هم
الملائكة صرفوا وجوه
الكفار وأبصارهم عن أن
يروه وأيده بالملائكة يوم
بدر والاحزاب وحنين
(فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ)
طمأنينته (عليه) على نبيه
(وأيده) أعانه يوم بدر
ويوم الاحزاب ويوم حنين
(بجنود لم تروها) يعني

في الغار أوليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني الشرك أودعوة الكفر ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ يعني التوحيد أودعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له أو بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضره وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفًا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿والله عزيز حكيم﴾ في امره وتدييره ﴿انفروا خفافا﴾ لنشاطكم له ﴿وثقالا﴾ عند ملشقته عليكم أواقلة عيالكم ولكثرتها أوركبانًا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعل أن انفروا قل نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج

ودرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة ﴿وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للذي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقا وصدقا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ يعني انفروا على الصفة التي تحب عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يتحمل عليكم فيها وهذا ان الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني أغنياء وقال ابن زيد الخليل الذي لا ضيعة له والثقل الذي له الضيعة يكره أن يدع ضيعته ويروي عن ابن عباس قال خفافا أهل اليسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أخصاء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من الخاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو وساعة سماع النفي وثقالا يعني بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلية تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على أي حال كنتم فيهما فان قلت فلي هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزم والفقير وليس الامر كذلك فاما معنى هذا الامر قلت من العلماء من جملة على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أبا أيوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخاف عن غزوة غزاها

(وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم الى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هي) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أو جهاذهي لم نزل كانت عالية (والله عزيز) يعز بنصره أهل كلفه (حكيم) يدل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور لنشاطكم له (وثقالا) عند ملشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا

الملائكة (وجعل كلمة) دين (الذين كفروا السفلى) المغلوبة المذمومة (وكلمة الله هي العليا) الغالبة الممدوحة (والله عزيز) بالنقمة من اعدائه (حكيم) بالنصرة لا وليائه (انفروا) اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك (خفافا وثقالا) شبانا وشيوخا ويقال نشاطا وغير نشاط ويقال خفافا من المال والعيال وثقالا

على حسب الحال والحاجة
(في سبيل الله ذلكم) الجهاد
(خير لكم) من تركه (ان
كنتم تعلمون) كون ذلك
خيرا فبادروا اليه ونزل في
المخلفين عن غزوة تبوك
من المنافقين (لو كان
عرضا) هو ما عرض لك من
منافع الدنيا يقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه
البر والفاجر أي لو كان ما
دعوا اليه مغنا (قريبا)
سهل المأخذ (وسفرا
قاصدا) وسطا مقاربا
والقاصد والقصد المعتدل
(لاتبعوك) لوافقوك في
الخروج (ولكن بعدت
عليهم الشقة) المسافة
الشاقة الشاقة (وسيحلفون
بالله لو استطعنا

﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما
﴿ ذلكم خير لكم ﴾ من تركه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير علمتم انه خير أو ان كنتم تعلمون
انه خير اذا أخبر الله به صدق فبادروا اليه ﴿ لو كان عرضا ﴾ أي لو كان مادعوا اليه
نفعا دنويا ﴿ قريبا ﴾ سهل المأخذ ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ متوسطا ﴿ لاتبعوك ﴾ لوافقوك
﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ المسافة التي تقطع بمشقة وقرى بكسر العين والشين
﴿ وسيحلفون بالله ﴾ أي المخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين ﴿ لو استطعنا ﴾

المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا
ولا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى
عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استغفر الله الخفيف والثقل فان لم يمكن
الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حصص
فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت
يا عم أنت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استغفرنا الله خفافا وثقالا لانه
من يحبه يتلوه الصحيح هو القول الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل
عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة
في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس
على الأعيان والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ﴿ فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات
الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني أن
من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه
غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ﴿ ذلكم ﴾ يعني ذلكم
الجهاد ﴿ خير لكم ﴾ يعني من القعود والتثاقل عند وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم
ثوابه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عند ﴿ ثم نزل في المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ﴾ قوله عز وجل ﴿ لو كان
عرضا قريبا ﴾ فيه اضممار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة
التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر
يأكل منه البر والفاجر ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ يعني سهلا قريبا ﴿ لاتبعوك ﴾ يعني اخرجوا معك
﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ أي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان
سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا
في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم
لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ﴿ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي
عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو قوله تعالى ﴿ وسيحلفون بالله ﴾ يعني
المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ﴿ لو استطعنا

بالمال والعيال (وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله) في طاعة الله
(ذلكم) الجهاد (خير لكم)
من الجلوس (ان كنتم)
اذ كنتم (تعلمون) وتصدقون
ذلك (لو كان عرضا قريبا)
غنيمة قريبة (وسفرا قاصدا)
هينا (لاتبعوك) الى غزوة
تبوك بطيبة الانفس
(ولكن بعدت عليهم
الشقة) السفر الى الشام
(وسيحلفون بالله) لكم اذا

جمعتم من غزوة تبوك عبد الله بن أبي وجديد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو استطعنا)

لخرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه أخبر بما سيكون بعد القول فقالوا كما أخبر أو بالله متعاقب سيخلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيخلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيخلفون { الجزء العاشر } بالله يقولون ﴿ ١٣٢ ﴾ لو استطعنا وقوله لخرجنا سادس

جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا (يهلكون أنفسهم) بدل من سيخلفون أو حال منه أي مهلكين والمعنى أنهم يهلكونها بالخلف الكاذب أو حال من لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم أنهم الكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ماله أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتزلوا لك بعلمهم وهالا استأنيت بالأذن

بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) إلى غزوة تبوك

يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقري لو استطعنا بضم الواو تشبيهها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة ﴿ لخرجنا معكم ﴾ سادس جواب القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه أخبر عما وقع قبل وقوعه ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ بانقاعها في العذاب وهو بدل من سيخلفون لأن الخلف الكاذب ابتاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله ﴿ والله يعلم أنهم الكاذبون ﴾ في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن خطئه في الأذن فإن العفو من روادف ﴿ لم أذنت لهم ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو ومما تبه عليه والمعنى لاى شئ أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتزلوا لخرجنا معكم ﴾ يعنى إلى هذه الغزوة ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها ﴿ والله يعلم أنهم الكاذبون ﴾ يعنى في إيمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿ قوله عز وجل ﴿ عفا الله عنك ﴾ لم أذنت لهم ﴾ قول الطبري هذا عتاب من الله عز وجل نائب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أى في أذنه لمن أذنه في التخلف عند المنافقين حين شخص إلى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في أذنتك لهؤلاء المنافقين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك قل عمرو بن ميمون الأودي اثنا فعملهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما أذنت للمنافقين وأخذ الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

فصل

استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الأنبياء وبيان من وجهين أحدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت لهم وهذا استغفارهم معناه الانكار والجواب عن الاول انا لأنسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظماله عفا الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفراك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام واقتضاها تدل على تعظيم المخاطب بد قال على بن الجهم يخاطب المتوكل عفا الله عنك الاحرمة * تعود بفضلك ان أبعدا

ألم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى

أقلنى أذاك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثانى أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيان

(يهلكون أنفسهم) بالخلف الكاذبة (والله يعلم أنهم الكاذبون) لأنهم كانوا يستطيعون الخروج مع (أما) النبي صلى الله عليه وسلم (عفا الله عنك) يا محمد (لم أذنت لهم) للمنافقين بالجلوس

(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم ﴿١٣٣﴾ الكاذبين) يتبين لك { سورة براءة } الصادق في العذر من

الكاذب فيه وقيل شيان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما أخذن للمنافقين وأخذن الفدية من الأسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنه عليه السلام إنما فعل ذلك بالاجتهاد وإنما عوتب مع أنه ذلك تركه الأفضل وهم يعاتبون على تركه الأفضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا (بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الشواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتاب قلوبهم) شكوا في دينهم

(حتى يتبين لك الذين صدقوا) في إيمانهم بالخروج معك (وتعلم الكاذبين) في إيمانهم بالخلف عن الخروج بالأذن (لا يستأذنك) بعد غزوة تبوك (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) في السر والعلانية (أن يجاهدوا) أن لا يجاهدوا (بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين)

بأكاذيب وهلا توفقت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل إنما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذه للغداء وأذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإنه الخلف من يبادرون اليد ولا يتوقفون على الأذن فيه فضلا أن يستأذنوك في الخلف عند أوان يستأذنوك في الخلف كراهة أن يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك في الخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الأيمان بالله عز وجل واليوم الآخر في الموضوعين للاشعار بأن الباعث على الجهاد والوازع عند الأيمان وعدم الأيمان بهما وارتابت قلوبهم

أما أن يكون قد صدر عند ذنب في هذه الواقعة أولا فإن كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق بقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه وإن لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الإنكار عليه فثبت بهذا أن الإنكار يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم أنه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلظوا من ذهب إلى ذلك قال نسطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان خيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقتلوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للتشبيير قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنب قال الداودي أنها تكرر وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكي السمرقندي أن معناه عفاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعني في الخلف عنك وهذا يحمل على ترك الأولى والأكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في اعتذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة قوله سبحانه وتعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي في أن يجاهدوا وإنما حسن هذا الحذف لظهوره والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون إلى طاعته انما يستأذنك يعني في الخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم المنافقون لقوله وارتابت قلوبهم يعني شك قلوبهم في الأيمان وإنما أضاف الشك والارتياب إلى القلب لأنه محل المعرفة والأيمان أيضا فإذا دخله الشك

الكفر والشك (انما يستأذنك) بالجلوس عن الخروج (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) في السر (وارتاب) شك قلوبهم

واضطربوا في عقيدتهم

(فهم في ريبهم يترددون)
 يتحيرون لان التردد دين
 المتحير كما أن الثبات دين
 المستبصر (ولو أرادوا
 الخروج لاعدوا له)
 للخروج أو لاجل الله (ستة)
 أهبة لاهل الباطن مياسير
 ولما كان ولو أرادوا الخروج
 معطيا معنى نفى خروجهم
 واستعدادهم للغزو قيل
 (ولكن كره الله انبعاثهم)
 نبوضهم للخروج كانه قيل
 ماخرجوا ولكن تثبطوا
 عن الخروج لكرهه
 انبعاثهم (تثبطهم) فكسالمهم
 وضعف رغبتهم في الانبعاث
 والتثييط التوقيف عن
 الامر بالتزهد فيه (وقيل
 اعدوا) أى قال بعضهم
 لبعض أو قاله الرسول
 عليه السلام غضبا عليهم
 أو قاله الشيطان بأوسوسة
 (مع القاعدين) هو ذم لهم
 فهم في ريبهم (في شكهم
) يترددون (يتحيرون
) (ولو أرادوا الخروج)
 معك الى غزوة تبوك
 (لاعدوا له) للخروج
 (عدة) قوة من السلاح
 والنزاد (ولكن كره الله
 انبعاثهم) خروجهم معك
 الى غزوة تبوك (تثبطهم)
 فحبسهم عن الخروج

فهم في ريبهم يترددون أى يتحيرون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له للخروج عدة
 أهبة وقرئ عدة بحذف التاء عند الاضافة كقوله

ان الخليط اجدوا البين فأنجدوا • واخلفوك عدا الامر الذى وعدوا

وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو
 ارادوا الخروج كأنه قل ماخرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم أى نبوضهم للخروج
 تثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اعدوا مع القاعدين تثبيلا لاقاء الله كراهة
 الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالامر بالقعود أو حكاية قول بعضهم لبعض أو اذن
 الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم

كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم يترددون يعنى أن المنافقين متحيرون لامع الكفار ولا
 مع المؤمنين وقد اختلف علماء النسخ والمنسوخ في هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية
 التي في سورة النور وهي قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
 بالله ورسوله فاذا استأذنونك لبعض شأهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل
 انها محكمات كلها وجد الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله
 وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحد منهم عذر استأذن في التخلف فكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما
 المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فغيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان
 لكونه بغير عذر ولو أرادوا الخروج يعنى الى الغزو معكم لاعدوا له عدة
 لتبؤله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ولكن كره الله
 انبعاثهم يعنى خروجهم الى الغزو معكم تثبطهم يعنى منعهم وحبسهم عن الخروج
 معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم
 عندهم هنا بتوجيه سؤال وهوان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يكون
 فيه مفسدة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فيقال ولكن كره الله انبعاثهم تثبطهم وان كان
 فيه مفسدة فلم يأت بنبذ صلى الله عليه وسلم في اذنه بل بالقعود والجواب عن هذا السؤال
 ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر
 عن تلك المفسدة بقوله تعالى لوخرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقى فلم تأت الله رسوله
 صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص
 واكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه
 لاجل انه اذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالقعود وقيل اعدوا مع القاعدين
 معناه انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان
 والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اعدوا
 مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل
 الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اعدوا مع القاعدين فاختلفوا ذلك وقعدوا وقيل
 ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان ألقى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين
 الى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى

والحاق بالنساء والصبيان والزمن الذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخروجهم معكم (الاخلال) الفساد وشرا والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه ﴿١٣٥﴾ في هذا الكلام { سورة براءة } غير مذكور واذا لم يذكر

وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعينه (ولا اوضعوا خلالكم) واسعوا بينكم بالتضريب والتأنيب وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعاً اذا اسرع واوضع اذا ساعد والمعنى ولا اضعوا كائناً بكم وبينكم والمراد الاسرار بالتأنيب لان الراكب اسرع من الماشي وخط في المصحف ولا اضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفاقبل الخط العربي والخط العربي اختراع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من تلك الالف اثر في الطباع فكاتبوا صورة الهمزة الفاقفهما الفاخري ونحوه ولا اذبحنه (يبغونكم) حال من الضمير في اضعوا (الفتنة) اي يطالبون ان يفتنوك بان يوقوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نيائكم في مغزائكم (وفيكم سماعون لهم) أي نمامون يسمعون حديثكم فيمقلونهم اليهم (والله عليم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابغوا الفتنة) بصد الناس او بان يشكوا به عليه السلام لئلا العقبة او بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك

﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم﴾ بخروجهم شيئا ﴿الاخلال﴾ فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعاً وليس كذلك لانه لا يكون مفرداً ﴿ولا اضعوا خلالكم﴾ ولا سراعوا كائناً بكم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعاً اذا اسرع ﴿يبغونكم الفتنة﴾ يريدون ان يفتنوك باقناع الخلاف فيما بينكم أو الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اضعوا ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم ﴿لقد ابغوا الفتنة﴾ تشبعت امرك وتضريق اصحابك ﴿من قبل﴾ يعني يوم احد فان ابن ابي واصله كاتخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم

﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا﴾ يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد واقناع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم ﴿ولا اضعوا خلالكم﴾ يعني ولا سراعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم ﴿يبغونكم الفتنة﴾ يعني يطلبون لكم ما تشفتون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تحبب وقيل معناه يطالبون العيب والشر ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقل قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعاً من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم ة فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين ة قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولاً ربما أثر ذلك القول في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وهذا وعد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين قوله سبحانه وتعالى ﴿لقد ابغوا الفتنة﴾ من قبل ﴿يعني لقد طلبوا صد اصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبدالله ابن أبي بن سلول يوم أحد حين انصرف باصحابه عنكم

قلوبهم (لو خرجوا فيكم) معكم (ما زادوكم الا خبالا) شر او فسادا (ولا اضعوا خلالكم) لساروا على الابل وسملكم (يبغونكم الفتنة) يطلبون فيكم الشر والفساد والذلة والعيب (وفيكم) معكم (سماعون لهم) جواسيس للكفار (والله عليم بالظالمين) بالمنافقين عبدالله بن أبي واصله (لقد ابغوا الفتنة) بغوا لك الغوائل يعني طلبوا لك الشر (من قبل) من قبل غزوة تبوك

(وقابوا لك الامور) ودبروا لك الخيل والمكاند ودوروا الآراء في ابطال امرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر امر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول أئذني ولا تقتني) ولا توقعي في الفتنة وهي الاشهاد بان لا تأذني لافني (الجزء العاشر) ان تخلفت بغير اذنك ١٣٦ أئمت أو لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت

معك هلك مالي وعيالي وقبل
قال الجدي بن قيس المنافيق
قد علمت الانصار اني مستهتر
بالنساء فلا تقتني بنات
الاصفر يعني نساء الروم
ولكني أعينك على فتركتني
(ألا في الفتنة سقطوا)
يعني ان الفتنة هي التي
سقطوا فيها وهي فتنة
التخلف (وان جهم خبيطة
بالكافرين) الآن لان
اسباب الاحاطة معهم
او هي تحيط بهم يوم القيامة
(ان تصيبك) في بعض الغزوات
(حسنة) ظفرو غنية (تسوءهم
وان تصيبك مصيبة) نكبة
وشدة في بعضها نحو
ما جى يوم أحد (يتولوا
قد أخذنا امرنا) الذي
نحن متممون بدم الحذر
والتيقن والعمل بالحزم
(وقلبوا لك الامور)
ظفروا البطن وبطنوا الظهر
(حتى جاء الحق) كثر
المؤمنون (وظهر امر الله)
دين الله الاسلام (وهم
كارهون) ذلك (ومنهم
من المنافقين) من يقول
وهو جدي بن قيس (أئذني
بالجلوس) ولا تقتني
بنات الاصفر (ألا في

احد من قلوبك الامور) ودبروا لك المكاند والخيل ودوروا الآراء في ابطال امرك
(حتى جاء الحق) النصر والتأييد الالهي (وظهر امر الله) وعلا دينه (وهم
كارهون) أي على رغم منهم والآثان لتسليم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين
على تخلفهم وبيان ما ثبتهم الله لاجله ركره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم
وازاحة اعتذارهم تداركا لمساووت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن
ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول أئذني ولا تقعود) ولا تقتني (ولا توقعي
في الفتنة أي العصيان والتخلف بان تأذني وفيد اشعار بان لا محالة تخلف اذن له ولم يأذن
أو في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى أو في الفتنة بنساء الروم لما روى
ان جدي بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولى بالنساء فلا تقتني بنات الاصفر ولكني
اعينك على فتركتني (ألا في الفتنة سقطوا) أي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة
التخلف أو ظهور النفاق لا ما احتزوا عنه (وان جهم خبيطة بالكافرين) جامعة لهم
يوم القيامة أو الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها (ان تصيبك) في بعض غزواتك
(حسنة) ظفرو غنية (تسوءهم) لفرط حسدهم (وان تصيبك) في بعضها
(مصيبة) كسر أو شدة كما صاب يوم أحد (يتولوا) قد أخذنا امرنا

(وقابوا لك الامور) يعني وأجاز افيك وفي امرنا وفي ابطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيل
الناس عنك وقصدهم تشتيت امرنا (حتى جاء الحق) يعني النصر والظفر (وظهر
امر الله) وهما كارهون (يعني ذلك) قوله عز وجل (ومنهم من يقول أئذني ولا تقتني)
نزلت في الجدي بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة
تبوك قال للجدي بن قيس يا أبا وهب هل لك في جبالديني الاصفر يعني الروم فتخذ منهم
سراري ووصفاء فقال الجدي بن رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء
واني اخشى ان رأيت بنات بني الاصفر ان لا يبرعنني أئذني في القعود ولا تقتني بين
وأعينك على قال ابن عباس اعتل الجدي بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أئذنت لك فانزل الله عز وجل فيد ومنهم يعني
ومن المنافقين من يقول أئذني في النفاق والقعود في المدينة ولا تقتني يعني بنات
بني الاصفر وهم الروم (ألا في الفتنة سقطوا) يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي
النفاق والتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عند (وان جهم خبيطة
بالكافرين) يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها (قوله سبحانه وتعالى) ان
تصيبك حسنة تسوءهم يعني ان تصيبك يا محمد حسنة من نصر وغنية تحزن المنافقين
(وان تصيبك مصيبة) يعني من هزنا أو شدة (يتولوا) يعني المنافقين (قد أخذنا امرنا)

الفتنة) في الشرك والنفاق (سقطوا) وقعوا (وان جهم خبيطة) سخيطة (بالكافرين) يوم القيامة (يعني)
(ان تصيبك حسنة) الخيعة والغنيمة مثل يوم بدر (تسوءهم) ساءهم ذلك يعني المنافقين (وان تصيبك مصيبة)
القتل والهزيمة مثل يوم أحد (يتولوا) أي يقول المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه (قد أخذنا امرنا) حذرنا

(من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أى قضى من خير أو شر (هو مولانا) ١٣٧ أى الذى يتولانا سورة براءة { وتولاه (وعلى الله

من قبل) تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في الخلف (ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا) الا ما اختصنا بآياته وإيجابه من النصرة والشهادة أو ما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بما افقتكم ولا يخافتم وقضى هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم بصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصده وقيل من الصوب (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امرنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسينين) الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة (ونحن نترصد بكم) أيضا احدى السوآيين (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (أوبأيدينا) أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر (فتربصوا) ما هو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم

يعنى أخذنا أمرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل) يعنى من قبل هذه المصيبة (ويتولوا) وهم فرحون (يعنى مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها) قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا (يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه ان يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعاً أراد لم يقدر له (هو مولانا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى في جميع أمورهم (قل هل تربصون بنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أم المنافقون (الا احدى الحسينين) يعنى اما النصر والغنية واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنية والاجر العظيم في الآخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهى الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج به الاجهاد في سبيله وإيماني وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنية أخرجه في الصحيحين * قوله سبحانه وتعالى (ونحن نترصد بكم) يعنى ونحن ننتظر بكم احدى السوآيين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعنى فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الخالية (أوبأيدينا) يعنى أو يصيبكم بأيدى المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهروا عليكم (فتربصوا) انا معكم متربصون (قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه)

(أوبأيدينا) بسيفونا لقتلكم (فتربصوا) (قا و خا ١٨ لث) فانتظروا بنا (انا معكم متربصون) منتظرون لهلاككم

(قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعا أو كرها) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الخبر ومعناه (ان يتقبل منكم) أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسيئ بنا أو أحسن لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان قلت أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت وقد جازعك { الجزء العاشر } في قولك رحم الله ﷺ ١٣٨ زيدا ومعنى عدم القبول انه

﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها ان يتقبل منكم ﴾ امر في معنى الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدة المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يتخونوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جدين قيس واعينك بعلى وفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله ﴿ انكم كنتم قوما فاسقين ﴾ تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له ﴿ وما منهم ان يتقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم . وترأجزة والكسائي ان يتقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي . وقرئ يقبل على ان الفعل لله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ متشاكلين ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا ﴿ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ﴾ فان ذلك استدراج ووبال لهم كاقال

﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها ﴾ نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عند وقال أنا أعطيك مالى فأ نزل الله عز وجل رد عليه قل أي قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعا أو كرها يعني أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم أو مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق ﴿ لن يتقبل منكم ﴾ لان هذا الانفاق انما وقع اغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله اغير وجه الله بل أنفق رياء وسمعة فانه لا يتقبل منه ﴿ ثم علل بسبب منع القبول بقوله ﴾ انكم ﴾ أي لانكم ﴿ كنتم قوما فاسقين ﴾ والمراد بالفسق هنا الكفر وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما منعهم أن يتقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ جمع كسلان يعنى متشاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنا ﴿ فلا تعجبك ﴾ يا محمد ﴿ اموالهم ولا اولادهم ﴾ هذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشئ مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس بغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشئ ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان أن لا يعجب بشئ من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثرت ماله وولده فيكثر اعجابه بماله وولده فيطر ويكفر

عليه السلام يردها عليهم ولا يتقبلها ولا يشيها الله وقوله طوعا أي من غير الزام من الله ورسوله وكرها أي ملزمين وسمى الانزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم قوما فاسقين) مقردين عاتين (وما منعهم أن يتقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حزة وعلى (الا انهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعول لاى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم (بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلب عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبدلون من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار (فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم)

(قل) يا محمد للمنافقين (انفقوا) اموالكم (طوعا) من قبل أنفسكم (أو كرها) جبرا مخافة القتل (لن يتقبل منكم) ذلك (انكم كنتم قوما فاسقين) منافقين (وما منعهم أن يتقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) في السر (ولا يأتون الصلوة) الى الصلاة (الا وهم كسالى) متشاقلون (ولا ينفقون) شيئا في سبيل الله (الا وهم كارهون) ذلك (فلا تعجبك) يا محمد (اموالهم) كثرة اموالهم (ولا اولادهم) كثرة

انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا (الاعجاب بالشئ ان تدبره سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما أتوا من زينة الدنيا فان الله انما أعطاهم ما أعطاهم ﴿١٣٩﴾ ليعذبهم بالمصائب { سورة براءة } فيها أو بالانفاق منه في أبواب

الخير وهم كارهون له أو ينهب أموالهم وسي أولادهم أو يجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وتزهد أنفسهم وهم كافرون) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصح لانه أخبر أن اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الامانة على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركون فيظاهرون بالاسلام تقية (لويجدون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو

اولادهم (انما يريد الله ليعذبهم بها) في الآخرة (وتزهد أنفسهم) تخرج أنفسهم (في الحياة الدنيا

﴿انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاع وما يرون فيهما من الشدائد والمصائب ﴿وتزهد أنفسهم﴾ وهم كافرون ﴿فيوتوا كافرين﴾ مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم﴾ انهم لمن جملة المسلمين ﴿وما هم منكم﴾ لكفر قلوبهم ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظاهرون الاسلام تقية ﴿لويجدون ملجأ﴾ حصنا يلجئون اليه ﴿أو مغارات﴾ غير انا

نعم الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تنجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاع والمشاق في تحصيلهما فاذا حصل ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بنى آدم مؤمنهم وكافرهم فافائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا اليراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدّة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم بهما في الدنيا أخذ الزكاة منهم او النفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد بالمنافق على قتل ولد ذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكراهة في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمدّه ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يمدّره ﴿وتزهد أنفسهم﴾ يعني وتخرج أنفسهم ﴿وهم كافرون﴾ والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ ويحلفون بالله ﴿يعني المنافقين﴾ انهم لمنكم ﴿يعني على دينكم وملتكم﴾ وما هم منكم ﴿يعني انهم كاذبون في أيمانهم﴾ ولكنهم قوم يفرقون ﴿يعني انهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق﴾ لويجدون ملجأ ﴿يعني حرزا وحصنا ومقلا يلجئون اليه وقيل لو وجدوا مهربا هربوا اليه وقيل لويجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولفسار قوكم﴾ أو مغارات ﴿يعني غير انا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الانسان

وهم كافرون) مقدم ومؤخر (ويحلفون بالله) عبد الله بن أبي وأصحابه (انهم لمنكم) معكم في السر والعلانية (وما هم منكم) معكم في السر والعلانية (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون من سيوفكم (لويجدون ملجأ) حرزا يلجئون اليه (أو مغارات)

﴿ أو مدخلا ﴾ نفقا يخرجون فيه مفتعل من الدخول * وقرأ يعقوب مدخلا من دخل * وقرأ مدخلا أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم ومتدخلا ومتدخلا من تدخل واندخل ﴿ لولوا إليه ﴾ لا قبلوا نحوه ﴿ وهم يحمكون ﴾ يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجوح وقرأ يحمزون ومنه الجازة ﴿ ومنهم من يلزك ﴾ يعيبك * وقرأ يعقوب يلزك بضم واين كثير يلزمك ﴿ في الصدقات ﴾ في قسمتها ﴿ فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال لا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رغبة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك

أي يستتر ﴿ أو مدخلا ﴾ يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجهه يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لولوا إليه ﴾ والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكة وأضيقتها لولوا إليه أي لرجعوا إليه وتحرزوا فيه ﴿ وهم يحمكون ﴾ يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم من يلزك في الصدقات ﴾ نزلت في ذى الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج ﴿ ق ﴾ عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتقسم فيا أئنا ذوا الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذ لم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقسم ذهباً وفضة فقال يا محمد والله لأئن كان الله أمرك أن تعدل فاعدت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من يهواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد أي عابه ﴿ فان أعطوا منها ﴾ يعني من الصدقات ﴿ رضوا ﴾ يعني رضوا عنك في قسمتها ﴿ وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا

غيرانا (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لولوا إليه) لا قبلوا نحوه (وهم يحمكون) يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجوح (ومنهم من يلزك في الصدقات) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) اذا للمفاجأة أي وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لالدين وما فيه صلاح أهلها لانه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم في الجبل (أو مدخلا) سربا في الارض (لولوا إليه) لذهبوا إليه (وهم يحمكون) يهرولون هرولة والجوح مشى بين مشيين (ومنهم من المنافقين أبو الاحوص وأصحابه) من يلزك في الصدقات) يطعن عليك في قسمة الصدقات يقولون لم يقسم بيننا بالسوية (فان أعطوا منها) من الصدقات حظا وافر (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) من الصدقات حظا وافر (اذاهم يسخطون)

فصبر المنافقون منه (ولو

أنهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبن الله

سيؤتينا الله من فضله

ورسوله انا الى الله راغبون)

جواب لو محذوف تقديره

ولو أنهم رضوا لكان خيرا

لهم والمعنى ولو أنهم رضوا

ما أصابهم به الرسول من

الغنمة وطابت به نفوسهم

وان قل نصيبهم وقالوا كفا

فضل الله وضعه وحسبنا ما

قسم لنا سيرزقنا غنمة

أخرى فيؤتينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم أكثر

مما آتانا اليوم انا الى الله في

أن يغفنا ويحولنا فضله

لراغبون ثم بين مواضعها

التي توضع فيها فقال (انما

الصدقات للفقراء والمساكين)

قصر جنس الصدقات على

بالقسمة (ولو أنهم) يعني

المنافقين (رضوا ما آتاهم الله)

بما أعطاهم الله من فضله

(ورسوله وقالوا حسبن الله)

ثقتنا بالله (سيؤتينا الله من

فضله) سيغفينا الله من فضله

برزقه (ورسوله)

بالعطية (انا الى الله راغبون)

رغبنا الى الله لوقالوا هكذا

لكان خيرا لهم ثم بين لمن

الصدقات فقال (انما

الصدقات للفقراء) لأصحاب

الصفة (والمساكين)

للطوافين

ان لم يعدل فمن يعدل واذا المفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ﴿ ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله ﴾ ما أعطاهم الرسول عليه السلام من الغنمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه
على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره ﴿ وقالوا حسبن الله ﴾ كفانا فضله
﴿ سيؤتينا الله من فضله ﴾ صدقة أو غنمة أخرى ﴿ ورسوله ﴾ فيؤتينا أكثر مما آتانا
﴿ انا الى الله راغبون ﴾ في ان يغفينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة
والسلام فقال ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون
غيرهم وهو دليل على ان المراد بالملزمهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له

﴿ ولو انهم رضوا ﴾ يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا
﴿ ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبن الله ﴾ أي كافينا الله ﴿ سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾
يعني ما محتاج اليه ﴿ انا الى الله راغبون ﴾ يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغفينا
عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم
وأعود عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴿ الآية ﴾ اعلم
ان المنافقين لما لزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله
عز وجل في هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم
ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلزونه
ويعيبون عليه فلامطمعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات ﴿ عن زياد بن الحرث الصدائي
قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال أعطني من الصدقة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى
حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقا أخرجه أبو داود
﴿ فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى ﴾

في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك
من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة
الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق
القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله
عز وجل فانقضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد
عن الله فيصير سببا للتقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة
المال تؤجّب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فواجب الله سبحانه
وتعالى الزكاة ليقول ذلك المال الذي هو سبب لتساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب
الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال
مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة أصحاب
الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة نفسها من العاصي المانع لها الوجه الرابع أن

ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين

المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزائنه الذين هم أغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيشيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ ويربما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به أحد المتصدقين * الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بأيدي الاغنياء فوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم * الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية

المسئلة الثانية

الآية تدل على أنه لاحق لاحد في الصدقات الا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمتي انما تفيدان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلما ان للاثبات وكلمة ما لا نفى فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية

المسئلة الثالثة

في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أتقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شئ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين المحتجج وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمانا كان أو غير زمن والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفائته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لافرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيل مصالحهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلولم تكن حاجتهم أشد من حاجة المساكين لم يبدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال ليبد

لما رأى لبس النصور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم أحبني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى

الاصناف المعدودة أى هى مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هى لهم لا لغيرهم كقولك انما خلافة لقريش تريد لا تعدهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزاءك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من

وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا
 في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ
 حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالا
 من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
 فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوى دنائير كثيرة ولان الغنى
 والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالا من المسكين
 وحجة أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالا من الفقير قوله أو مسكينا ذامترتبة
 وصف المسكين بكونه ذامترتبة هو الذى لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة
 ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما
 جعلها له واحتج أيضا بقول الراعى

أما الفقير الذى كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتج أيضا بقول الاصمعى وأبي عمرو بن العلاء ان الفقير الذى له ما يأكل والمسكين
 الذى لا شئ له وكذا قال القتيبي الفقير الذى له البلغة من العيش والمسكين الذى لا شئ له وقيل
 الفقير الذى له المسكن والخادم والمسكين الذى لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شئ فهو مفقر
 اليدوان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء الى الله فأثبت لهم اسم الفقر
 مع وجودان المال والجواب عن هذه الحجج أما قوله أو مسكينا ذامترتبة فهو حجة لمذهب الامام
 الشافعى رضى الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامترتبة فدل على أنه
 قديور جد مسكين لا بهذه الصفة والالم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات
 للمسكين انه هو الفقير الذى لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال
 ببیت الراعى أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جازا طلاق المسكين عليه
 فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن
 عباس وغيره من المفسرين وبالجمل ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف
 الحال فالفقير هو الذى كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذى ضعف نفسه وسكنت
 عن الحركة فى طلب القوت * عن عبدالله بن عمر وابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله فى
 رواية أخرى ولا لذى مرة قوى * عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال أخبرني رجلان
 أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى حجة الوداع وهو يقسم الصدقات
 فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ
 فيها لغنى ولا لقوى مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي * وأخرجه الشافعى
 ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان
 شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لذى قوة مكتسب واختلف العلماء فى حد الغنى
 الذى يمنع من أخذ الصدقة فقال الا كثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله
 سنة وهو قول مالك والشافعى وقال أصحاب الراى حده أن يملك مائتى درهم وقال

صرفها الى الاصناف وهو
 المروى عن عكرمة ثم الفقير
 الذى لا يسأل لان عنده
 ما يكفيه للحال والمسكين
 الذى يسأل لانه لا يجد شيا
 فهو أضعف حالا منه وعند
 الشافعى رحمه الله على
 العكس

ذامترية ﴿ والعاملين عليها ﴾ الساعين في تحصيلها وجمعها ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف قديرت قرب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس كذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فإنه عليه الصلاة

قوم من ملك خسين درهما أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسلته في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأجد واسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أو قوة فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان أربعين درهما ﴿ الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى ﴾ والعاملين عليها ﴿ وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمرو به قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح أن الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فازاد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وإن مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي ﴿ الصنف الرابع قوله تعالى ﴾ والمؤلفة قلوبهم ﴿ وهم قسيمان قسم مسلمون وقسم كفار فأما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهو لاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشراف قومهم مثل عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنمية والفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازاءهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة

(والعاملين عليها)

هم السعاة الذين يتقبضونها

(والمؤلفة قلوبهم) على

الاسلام أشراف من العرب

كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يتألفهم على أن

يسلموا وقوم منهم أسلموا

فيعطهم تقريراً لهم على

(والعاملين عليها) لجابي

الصدقات (والمؤلفة

قلوبهم) بالعطية أبي سفيان

وأصحابه نحو خمسة عشر

والاسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاس ماله وقد عد منهم من يؤايب قلبه بشئ منها على قتال الكفار وما نعى الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة للكثير سواد الاسلام فلما اعز الله واكثر اهله سقط **وفي الرقاب** * وللشرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يتباع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحد اوبان ينفذ الاسارى والعدول عن الام الى في الدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل

قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطونهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء ابا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قوم فاعطاه ابا بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطى من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناء عن ان يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشركا تألفا بحال وقد قل بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك * الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى **وفي الرقاب** * قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعرق الرقاب فيشتري به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويومان بهما كاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضى التبعية الصنف الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد ممن صلوأوصأوا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي أن الاصناف الاربعة المتقدمة ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا وأما الرقاب فيوضع نصيبهم في تحليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين

الاسلام (وفي الرقاب) هم
المكاتبون يعانون منها
رجالا (وفي الرقاب)
المكاتبين

أو الحجاج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة للابيدان بانهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره لان في اللوعاء فنبه على أنهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المناقطين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لا طمعاهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فالهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجاء الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى

(والغارمين) لاصحاب الديون في طاعة الله .

للأيدان بانهم احق بها * والغارمين * المدينون لانفسهم في غير معصية ومن غير اسراف اذالم يكن لهم وفاء أو لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عايد الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغنى الا الخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أو لعامل عليها * وفي سبيل الله * وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتاع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناتير والمصانع * وابن السبيل * المسافر المنقطع عن ماله

فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه * الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى * والغارمين * أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المدينون وهم قيمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذالم يكن لهم مال في بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقتضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا تحل الصدقة لغنى الا الخمسة لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل أسير ائانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أخرجه أبو داود مرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا * الصنف السابع قوله عز وجل * وفي سبيل الله * يعني وفي النفقة وفي سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحوالة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وغارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه * الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى * وابن السبيل * يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لما لزمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتي وليدا * الى ان شئت واكتهت لداقي

﴿ فريضة من الله ﴾ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء ووقري بالرفع على تلك فريضة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وخدمتهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف

فكل مرید سفر ارباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه مؤونة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع ﴿ قوله عز وجل ﴾ فريضة من الله ﴿ يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة ﴿ والله عليم ﴾ يعني بمصالح عباده ﴿ حكيم ﴾ يعني فيما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل

المسئلة الرابعة

في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلف ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاة بنفسه ثم حصص كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلوفاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصته ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفشل شيء رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا يجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبد قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز أن يضعها في صنف واحد وتقرئها أولى وقال إبراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسم على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتجرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلعة والحاجة فان رأى الخلعة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيئا وان كان محترفا لكنه لا يجد آلة

(فريضة من الله) في معنى
المصدر المؤكد لان قوله انما
الصدقات للفقراء معناه
فرض الله الصدقات لهم
(والله عليم) بالمصلحة
(حكيم) في القسمة

(فريضة) قسمة (من الله)
لهؤلاء (والله عليم) هؤلاء
(حكيم) فيما حكم لهؤلاء

واحد وبقول الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخنا ووالدي رحمهما الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم ❀ ومنهم الذي يؤذون النبي ويقولون هو أذن ❀ يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارية للباغة كأنه من فرط استمعه صار جلتة آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن إذا نادى استمع كأنه وشال روى أنهم قالوا الحمد أذن ساءمة نقول ما شئنا ثم نأبده فيصدقنا

حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فلا اعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهما وقال أبو حنيفة أكثره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أجزأ فان أعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجوز ان يعطى صدقة لمن تلزمه نفقته به قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والدان ولا ولاد وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداها وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبني المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شئ أقوله صلى الله عليه وسلم ان آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليما نقوله صلى الله عليه وسلم اننا وبني المطلب شئ واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالى بني هاشم وبني المطلب أقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعاقب قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال وأقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذوا علمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حبات من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾ نزات في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تنفوا فانا نأخاف أن يبلغنا ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم تأييد وننكر ما قلنا ونخاف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن أى يسمع كل ما يقال له ويقبله وقبل معنى هو أذن أى ذو أذن سماعة وقال محمد بن اسحق نزات في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أزنم ثائر الشعر أحر العينين أسفع الخدين مشوه الخلق وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم تأييد ونخاف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعبد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى

(ومنه الذين يؤذون النبي
ويقولون هو أذن) الأذن
الرجل الذي يصدق كل
ما يسمع ويقبل قول كل
أحد سمي بالجارحة التي
هي آلة السماع كأن جلته
أذن سامعة وإذاؤهم له
هو قولهم فيه هو أذن قصدوا
به المذمة وأنه من أهل
سلامة القلوب والغرة
ففسره الله تعالى بما هو
مدح له وشاء عليه فقال

(ومنه) من المنافقين جذام
ابن خالد وإياس بن قيس
وسماك بن يزيد وعبيد بن
مالك (الذين يؤذون
النبي) بالطعن والشتم
(ويقولون) بعضهم لبعض
(هو أذن) يسمع منا ويصدقنا
إذا قلنا له ما قلنا فك شأ

(قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويتقبل من المؤمنين الخالص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به ﴿١٤٩﴾ التصديق بالله الذي { سورة براءة } هو ضد الكفر به والى

المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقوه لكونهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينهى عن الباء (ورجة) بالعطف على أذن ورجة حزة عطف على خير أي هو أذن خير وأذن رجة لا يسمع غيرهما ولا يقبله (الذين آمنوا منكم) أي وهو رجة للذين آمنوا منكم أي أظهروا الايمان أيها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رجة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن

بما نقول ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لاعلى الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويتقبله ثم فسر ذلك بقوله ﴿ يؤمن بالله ﴾ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾ ويصدقهم لما علم من خاوصهم واللام مزيدة للترقية بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ﴿ ورجة ﴾ أي وهو رجة ﴿ للذين آمنوا ﴾ منكم ﴿ لمن أظهر الايمان ﴾ حيث يقبله ولا يكشف سره وفيد تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وترجاء عليكم وقرأ حزة ورجة بالجر عطفاً على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير أي يأذن لكم رجة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له أو خبر ثان ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ بايذائه ﴿ يحلفون بالله لكم ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ﴿ ليرضوكم ﴾ عنه بقوله ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ يعني انه يصدق المؤمنين ويتقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو تقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله أنتم له ﴿ ورجة ﴾ أي وهو رجة ﴿ للذين آمنوا منكم ﴾ وانما قل منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رجة للمؤمنين الخالصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رجة لانه يجري أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴿ قال قتادة والسدى اجمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديع بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقاً فتمن شرم من الحميم وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحتموه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله

أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالخلف ليعذروهم ويرضوا عنهم ف قيل لهم

(قل) لهم يا محمد (اذن خير لكم) لا الشراى يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب ويقال اذن خير ان كان اذنا فهو خير لكم (يؤمن بالله) يصدق قول الله (ويؤمن للمؤمنين) يصدق قول المؤمنين المخلصين (ورجة) من العذاب (الذين آمنوا منكم) في السر والعلانية (والذين يؤذون رسول الله) بالتخلف عنه في غزوة تبوك جلاس بن سويد وسمالك بن عمرو وخشى ابن حير وأصحابهم (لهم عذاب أليم) وجميع في الدنيا والآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) بالتخلف

(والله ورسوله أحق أن

ترعون فاحق من أرضهم
الله ورسوله بالهداية والوفاء
وانما وجد الضمير لانه
لا تفاوت بين رضا الله
ورضا رسول الله فكأنما
في حكم شيء واحد كقولك
احسان زيد واجاله رفعني
أو والله أحق أن يرضوه
ورسوله كذلك (ألم يعلموا
أنه) أن الامر والشأن
(من يحادد الله ورسوله)
يجاوز الحد بالخطأ وهي
مفاعلة من الحد كالمشافة
من الشق (فأله) على
حذف الخبر أي فحق أن
له نار جهنم خالد فيها ذلك
الخزي العظيم يحذر
المنافقون (خبر عن الامر
أي يحذر المنافقون) أن
تنزل عليهم سورة (تنزل
بالتحفيز مكي ومصرى
(تنبيههم بما في قلوبهم) من
الكفر والنفاق والفتنة
للمنافقين لأن السورة إذا

الجزء العاشر { يرضوه ان كانوا ١٥٠ (مؤمنين) أي ان كنتم مؤمنين كما

لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله أحق أن يرضوه أحق بالارضاع بالطاعة
والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أولان الكلام في إيذاء الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وأرضائه أولان التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين)
صدقا (ألم يعلموا) ان الشأن وقري بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة
من الحد (فإن له نار جهنم خالد فيها) على حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم
ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا لتقديره من يحادد الله ورسوله
بذلك وقري (فإن له نار جهنم) ذلك الخزي العظيم (يعني الإهلاك الدائم) يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبيههم بما في قلوبهم وتهتك عليهم

ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الخير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم
فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامرانهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال
مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتوه يعتذرون ويخلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يخلف لكم أي المؤمنون هؤلاء
المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله
أحق أن يرضوه (اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى
لأن في رضا الله رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة
والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر
وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسول الله (ان كانوا مؤمنين) يعني ان كان
هؤلاء المنافقون مصدقين برعد الله ورعيده في الآخرة (فأله نار جهنم) أي ألم يعلموا
أنه قال أهل المعاني ألم تعلموا خطاب لمن علموا أنه أو أنكره فمات له ألم تعلم الله من
كذا كذا ولما كان مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم
من أكلهم الدين ما يحتاجون إلى خطاب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرع الدين
التي علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحادد الله ورسوله يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل
الحد في اللغة النفاضة والجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يصل حد فلان إذا اذاما
في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى يحادد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله فاحد
الله ورسوله (فإن له نار جهنم) أي لحق أن له نار جهنم (خالد فيها) أي لم يعلموا
أن ذلك الخزي العظيم (يعني ذلك الخطر) في نار جهنم هو الضمير (فأله نار جهنم)
عن وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على
المؤمنين (تنبيههم) يعني تخبر المؤمنين (بما في قلوبهم) يعني بما في قلوب المنافقين من
الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء
ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة
كانت تسمى الفاشحة والمبعثرة والمثيرة يعني أنها فضحت المنافقين وبعثت عن
أخبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين
رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسمائهم آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين

عبد الله بن أبي واحبائه (ان تنزل عليهم) على نبيهم (سورة تنبيههم) تخبرهم (بما في قلوبهم) من النفاق (لئلا)

الاولان للمؤمنين والثالث
للمنافقين وصح ذلك لان
المعنى يتقود اليه (قل
استهزؤا) أمر تهديد (ان
الله مخرج ما تحذرون)
مظهر ما كنتم تحذرونه
أى تحذرون اظهاره من
نفسكم وانما تحذرون أن
يفضدكم الله بالوحى فيهم
في استهزؤهم بالاسلام
وأوله حتى قال بعضهم
وددت انى قدمت فجاءت
مائة وانه لا ينزل فينا شئ
يفضدنا (ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب) بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير في
غزوة تبوك وركب من
المنافقين يسرون بين يديه
فقالوا انظروا الى هذا الرجل
يريد أن يفتح قصور الشام
وحصونها هيهات هيهات
فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فانهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا
يايى الله لا والله ما كنا فى شئ
من أسرك ولا من أمر أصحابك
ولكن كنا فى شئ مما نخوض
(قل) يا محمد اوديعه بن
جندام وجند بن قيس
وجهير بن حير (استهزؤا)
يحسد على السلام والقرآن
(ان الله مخرج) مظهر
(ما تحذرون) ما كنتم

استهزؤهم ويحوز ان تكون الشتماء للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه
مقرر ومنتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكرهوا على بيت
في امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا
يقولون فينا ينهم استهزاء لقوله ﴿ قل استهزؤا ان الله مخرج ﴾ مبرز أو مظهر
﴿ ما تحذرون ﴾ أى ما تحذرون من انزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساوكم
﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ روى ان ركب المنافقين مسوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح
لنا يعير بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين ﴿ قل استهزؤا ﴾ أمر تهديد فهو
كقوله اعملوا ما شئتم ﴿ ان الله مخرج ﴾ أى مظهر ﴿ ما تحذرون ﴾ والمعنى ان الله
سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال
ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا الرسول الله صلى
الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا بها اذا علاها وتكروا له في
ليلة مظلمة فاجبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمر والله وأمره أن يرسل
اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة
حتى نحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم
أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عددهم
كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر
باصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار
أرأيت قتالك أربأ رأيتوه فان رأى يخطئ ويصيب أم عهدا عهدا اليكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شئاً لم يعهده
الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربان في أمي قال شعبة وأحسبه
قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمي اثني عشر منافقا
لا يدخلون الجنة ولا يخرجون ربحها حتى يبلغ اجل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم
الدبيلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ الآية وسبب نزولها على ما قال
زيد بن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائننا غنا بطونا
وأكذبنا ألسنتنا واجبننا عند اللقاء فقال لعوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولا خبرن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد
القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعنى الى المنافق متعلقا بحقب
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيد قال محمد بن

من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ولئن سألتهم) يا محمد عما ذا ضحكتم (ليقولن انما كنا نخوض) نتحدث عن الركب (ونلعب)

قصور الشأم وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما نخوض فيه الركب ليقتصر بعضنا على بعض السفر ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ توبخنا على استهزائهم عن لا يصح الاستهزاء به والزما للحنة عليهم ولا يعاب باعتذارهم الكاذب ﴿ لا تعتذروا ﴾ لا تشغلوا باعتذار انكم فانها معلومة الكذب ﴿ قد كفرتم ﴾ قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والظعن فيه ﴿ بعد ايمانكم ﴾ بعد اظهاركم الايمان

اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بن نيار رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشأم وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما يسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزؤان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه أنزل في اصحابنا قرآن انما هو فوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق بالعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلوين وأذى ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد هؤلاء المنافقين ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ فيد توبخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف بقدر محمد على أخذ حصون الشأم قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانماذكروا ذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ﴾ يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع الائمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلماذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتفون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم

فيه الركب ليقتصر بعضنا على بعض السفر أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب (قل) يا محمد (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعاب باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزاء به على حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تشغلوا باعتذار انكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سرهم (قد كفرتم) قد اظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) فضحك فيما بيننا (قل) يا محمد لهم (أبالله وآياته القرآن ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا) بقولكم (قد كفرتم بعد ايمانكم)

بعد اظهاركم الايمان (ان نغف عن طائفة منكم) بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصريين على النفاق غير تأبين مندان يعذب ١٥٣ تعذب طائفة غير (سورة براءة) عاصم (المنافقون والمنافقات)

الرجال المنافقون كانوا اثلاثمائة

والنساء المنافقات مائة

وسبعين (بعضهم من

بعض) أي كانوا هم نفس

واحدة وفيدني ان يكونوا

من المؤمنين وتكذيبهم في

قوالهم ويخافون بالله انهم

لكنهم يتقربون لقوله وما هم

منكم ثم وصفهم بما يدل على

مضادة حالهم لحال المؤمنين

فقال (يأمرسون بالمنكر)

بالكفر والعصيان (ويؤنون

عن المعروف) عن الطاعة

والايمان (ويتبعضون

أي يبتعدون) ثم بالمبار والصدقات

والانفاق في سبيل الله

(نسوا الله) تركوا أمره

أو أغفلوا ذكره (ففسدهم

فتركهم من رحمة وفضله

مع ايمانكم (ان نغف

عن طائفة منكم) جدير بن

جدير لانه لم يستهزأ بهم

ولكن ضحك معهم (نعذب

طائفة) ودبعة بن جذام

وجد بن قيس (بانهم كانوا

مجرمين) مشركين في السر

(المنافقون) من الرجال

(والمنافقات) من النساء

(بعضهم من بعض) على

دين بعض في السر (يأمرسون

بالمنكر) بالكفر وخالفه

فإن يعذب عن طائفة منكم أنوبتهم واخلاصهم أوليهم عن الايذاء والاستهزاء تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصريين على النفاق أو مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهم ما وقرئ بالياء وبناء الفعل فيهما وهو الله وان تعذب بالياء والبناء على المفعول ذهابا إلى المعنى كأنه قال ان ترجم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كأبعض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم انكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعد كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله (يأمرسون بالمنكر) بالكفر والمعاصي (ويؤنون عن المعروف) عن الايمان والطاعة (ويتبعضون أي يبتعدون) عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته (ففسدهم) فتركهم من فضله وأطلقه قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان نغف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثمائة واحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني عن رجل واحد وهو مخاشن بن حير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي بجانبهم ويذكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخب فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لأزال أسمع آية تقرأ أعني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفت أنا دفنت فأصيب يوم القيمة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه قوله عز وجل (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) يعني انهم على أمر واحد دين واحد شفقة معون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان الغيرة انا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه (يأمرسون بالمنكر) يعني يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمصيبة وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (ويؤنون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويتبعضون أي يبتعدون) يعني عن الانفاق في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله ففسدهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لأننا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذمنا عليه لأن النسيان ليس في وسع البشر دفعه وأيضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان يصيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته فيخرج على مزاجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فبين ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لأن من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله

الرسول (ويؤنون عن المعروف) (قا و خا ٢٠ لث) عن الايمان وموافقة الرسول (ويتبعضون) يسكون يدي (عن النفقة في الخير) (نسوا الله) تركوا طاعة الله في السر (ففسدهم) خذلهم في الدنيا وتركهم في الآخرة في النار

(ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلج بجايكسبه هذا الاسم { الجزء العاشر } الناحش الذي ١٥٤ وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم

(وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هي) أى النار (حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وأنه بحيث لا يزداد عليه (ولعنهم الله) وأهلهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشیاطين الملائعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم في العاجل لا ينفك كون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر الخائف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم الكاف في (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم

(ان المنافقين هم الفاسقون) الكافرون في السر (وعد الله المنافقين) من الرجال (والمنافقات) من النساء (والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقيمين في النار (هي) حسبهم (مصيرهم) (ولعنهم الله) عذبهم الله

ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عذابا وجزاء وفيد دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابدتهم من رحمة وأهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم أى انتم مثل الذين أوفتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كنوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا بيان تشبيههم بهم وتشبيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم فصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم

والإيمان بد تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمة في العقبي ان المنافقين هم الفاسقون يعنى هم الخارجون عن الطاعة وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار يقال وعده بالخير وعدا ووعد به بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر نار جهنم خالدين فيها فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعنى مقيمين فيها هي حسبهم يعنى هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الإيمان والطاعة ولعنهم الله يعنى وابعدهم من رحمة وطردهم عن بابد ولهم عذاب مقيم أى دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها يعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فناء منادى قلت ليس ذلك تكرارا وبيان التفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الدلى بالنار والمقابل أرى قول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قول في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شئ آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمنع ان يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المجلل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم قوله سبحانه وتعالى كالذين من قبلكم هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعاتم كفاعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوولهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طلب الدنيا عن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا فقال تعالى كانوا أشد منكم قوة يعنى بعلمنا ومنعة واكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعنى فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضائها عوضا عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق الله للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلاقكم وهذا خطاب للحاضرين يعنى فتمتعتم أيها المنافقون

(ولهم عذاب مقيم دائم) كالذين (كعذاب الذين) من قبلكم (من المنافقين) كانوا أشد منكم قوة (بالكافرون) (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) فاكلوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا (فاستمتعتم بخلاقكم) فاكلتم بنصيبكم من الآخرة

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) محلها رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو وأنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أي تلذذوا بلاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق الإنسان بمعنى قدر من خير ﴿١٥٥﴾ (وخضتم) في الباطل { سورة براءة } (كالذي خاضوا) كالفوج

الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل واللغو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم معن عند ليذم الاولين بالاستمتاع بماوتوا من حظوظ الدنيا والتهائم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال مخاطبين بمحالهم (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في مقابلة قوله وآتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هوبدل من الذين (وعاد وثمود وقوم إبراهيم)

في الدنيا (كما استمتع) كأكل (الذين من قبلكم) من المنافقين (بخلاقهم) بنصيبهم من الآخرة في الدنيا (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) وكذبتم محمد صلى الله عليه

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ﴿ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخداجة من الشهوات الفانية والتهائم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم ﴾ وخضتم ﴿ ودخلتم في الباطل ﴾ كالذي خاضوا ﴿ كالذين خاضوا أو كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه ﴾ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴿ لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين ﴾ وأولئك هم الخاسرون ﴿ الذين خسروا في الدنيا والآخرة ﴾ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح ﴿ اغرقوا بالطوفان ﴾ وعاد ﴿ أهلكوا بالريح ﴾ وثمود ﴿ أهلكوا بالرجفة ﴾ وقوم إبراهيم ﴿ أهلكوا نمرود ببعوض وأهلكوا اختاه

والكافرون بخلاقكم ﴿ كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ﴾ فان قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم إعادة ذكره في حق الاولين ثالثا ؟ قلت فائدة انه يذم الاولين بالاستمتاع بماأتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال مخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على فجع ظلمة فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل التكرير هنا لأكد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم ﴿ وقوله تعالى ﴾ وخضتم كالذي خاضوا ﴿ معطوف على ما قبله ومستند اليه يعنى وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رساله والاستهزاء بالمؤمنين ﴿ وأولئك حبطت أعمالهم ﴾ يعنى بطلت أعمالهم ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ يعنى ان أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴾ والمعنى انه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ﴿ ق ﴾ عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتوهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم يأتهم ﴿ رجع من الخطاب الى الغيبة يعنى ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أى قد أتاهم ﴿ ربنا ﴾ يعنى خبر ﴿ الذين من قبلهم ﴾ يعنى الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى ﴿ قوم نوح ﴾ يعنى أنهم أهلكوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴾ أهلكوا بالريح العقيم ﴿ وثمود ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿ وقوم إبراهيم ﴾ أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة

وسلم في السر كالذين خاضوا وكذبوا أنبياءه يعنى انبياء الله (أولئك حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم (في الدنيا والآخرة) وأولئك هم الخاسرون (المغبونون بالعقوبة) (ألم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم) كيف أهلكناهم (قوم نوح) أهلكناهم بالغرق (وعاد) قوم هود أهلكناهم بالريح (وثمود) قوم صالح أهلكناهم بالرجفة (وقوم إبراهيم) أهلكناهم بالهدم

وأصحاب مدين (وأهل مدين وهم قوم شعيب) (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وأتفكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر (أنتهم) الجزء العاشر { رسالهم بالبينات } ١٥٦ فإكان الله ليظلمهم (فاصح منه

وأصحاب مدين (وأهل مدين وهم قوم شعيب أهل كوا بال نار يوم الظلة) (والمؤتفكات) قريات قوم لوط أتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وأتفكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر (أنتهم رسالهم) يعني الكل (بالبينات) فإكان الله ليظلمهم (أي لم يكن من عادته ما يشاهد ظلم الناس كالعقوبة بالاجرم) ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (حيث عرضوها لعقاب بالكفر والكذب) (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرسون بالمعروف وينهون عن المنكر) ويقبضون الصلوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله (في سائر الأمور

وأصحاب مدين (وهم قوم شعيب أهل كوا بعذاب يوم الظلة) (والمؤتفكات) معنى المنقلبات التي جعل الله عليها سافلها وهي مدائن قوم لوط (وأما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يمررون عليهم ويعرفون أخبارهم) (أنتهم رسالهم بالبينات) يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجلب لكم النعمة كما عجزت لهم (فإكان الله ليظلمهم) يعني بتجلب العقوبة عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني أن الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم (قوله عز وجل) (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالأعمال الشنيعة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي المولاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة (فإن قلت استخانة وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما كان اتفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهو النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة (وقوله سبحانه وتعالى) (يأمرسون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعني بالآيمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة (وينهون عن المنكر) يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقبضون الصلوة) يعني الصلاة المفروضة ويطمئنون أركانها وحدودها (ويؤتون الزكاة) يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويطمئنون أيديهم (ويطيعون الله ورسوله)

أن يظلمهم بأهلادكم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التماسر والترامح (يأمرسون بالمعروف) بالطاعة والايان (وينهون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ريتهمون الصلوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله

(وأصحاب مدين) قوم شعيب أهل كواهم بالرجفة (والمؤتفكات) المكذبات المنحسفات يعني قوم لوط أهل كواهم بالخسف والنجاسة (أنتهم رسالهم بالبينات) بالأمرو والنهي والعلامات فإؤمنوا بهم فهاككم الله (فإكان الله ليظلمهم) بأهلادكم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الأنبياء (والمؤمنون) المصدقون من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من النساء (بعضهم أولياء بعض) على دين بعض في السر والعلانية (يأمرسون بالمعروف) بالتوحيد

واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المنكر) عن الكفر والشرك وترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (يعني) (ويقبضون الصلوة) يمتثلون الخمس (ويؤتون الزكاة) يعطون زكاة أموالهم (ويطيعون الله ورسوله) في السر والعلانية

الوعد في سائتكم منك يوما
(ان الله عزيز) غالب على
كل شيء قادر عليه فهو يتقدر
على الثواب والعقاب (حكيم)
واضع كلاما موضع (وعد)
الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومسكن
طيبة (يطيب فيها العيش
وعن الحسن رحمه الله
قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الاحمر والزبرجد) في
جنات عدن) هو علم بدليل
قوله جنات عدن التي
وعد الرحمن وقد عرفت
ان الذي والى وضع الوصف
المعارف بالجل وهي مدينة

(أولئك سيرجهم الله)
لا يعذبهم الله (ان الله عزيز)
في ملكه وسلطانه (حكيم)
في أمره وقضائه (وعد الله
المؤمنين) المصدقين
من الرجال (والمؤمنات)
المصدقات من النساء
(جنات) بساين (تجري
من تحتها) من تحت شجرها
ومساكنها (الانهار)
أنهار الخمر والماء والعسل
واللبن (خالدين فيها)
متممين في الجنة (ومساكن
طيبة) منازل حسنة قديها
الله بالمسك والريحان ويقال

﴿ أولئك سيرجهم الله ﴾ لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ﴿ ار الله عزيز ﴾ غالب على كل
شيء لا يتمتع عليه ما يريد ﴿ حكيم ﴾ يضع الاشياء مواضعها ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومسكن طيبة ﴾ تستطيها النفس أو يطيب
فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر ﴿ في جنات
عدن ﴾ اقامته وخلود وعند عليه الصلاة والسلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك ومراجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعد لكل واحد أو للجميع

يعنى فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فأنسيهم ﴿ أولئك ﴾ يعنى المؤمنين والمؤمنات
الموصوفين بهذه الصفات ﴿ سيرجهم الله ﴾ لما ذكر الله ما وعده المنافقين من العذاب
في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان
والسين في قوله سيرجهم الله للمبالغة والتوكيد ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ وهذا يوجب
المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذى لا يتمتع عليه شيء اراده فهو قادر على
ايصال الرحمة لمن اراد وايصال العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذى يدبر عبادته على ما يقتضى
العدل والانصاف ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ﴾ لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم
من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعده المؤمنين من الخير والثواب
والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتخير في حسناتها الناظر لانه
سبحانه وتعالى قال ومسكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغابرا للمعطوف
عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات
عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخر هي البساتين التي يتزهون فيها فهذه
فائدة المغيرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما ﴿ ومسكن طيبة ﴾ يعنى
ومنازل يسكنونها طيبة ﴿ في جنات عدن ﴾ يعنى في بساتين خلدوا اقامة يقال عدن بالمسكن
اذا أقام به ﴿ روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومسكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك
القصر سبعون دارا من ياقوتة حراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الخور العين
وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون
وصيفة تعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع ﴿ وروى بسنده
عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التي لم ترها
عين ولا تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين
والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية
فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعنى دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن

على سبيل التوزيع أو الى تغاير وصفه وكأنه وصفه أو لابلانه من جنس ما هو أبهى
الاماكن التي يعرفونها لتقبل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماءهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب
العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى
الانفس وتلد الاعين ثم وصفه بأنه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها
فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ﴿ ورضوان من الله اكبر ﴾ لانه المبدأ
لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز بالقاء وعنده عليه الصلاة والسلام
ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضىتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطينا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون وأى شئ افضل من
ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ﴿ ذلك ﴾ أى الرضوان أو جمع
ما تقدم ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ الذى يستحقه دونه الدنيا وما فيها ﴿ يا أيها النبي جاهد
الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالزمام الحجة واقامة الحدود

في الجنة (ورضوان من
الله) وشئ من رضوان الله
(أكبر) من ذلك كله لان
رضاه سبب كل فوز وسعادة
(ذلك) اشارة الى ما وعدوا
الى الرضوان (هو الفوز
العظيم) وحده دون ما بعده
الناس فوزا (يا أيها النبي
جاهد الكفار) بالسيف
(والمنافقين) بالحجة

دار أصفاء الله التي أعدها لاولياءه وأهل طاعته والمقربين من عبادہ ﴿ عن أبي موسى الاشعري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبيراء على وجهه في جنة
عدن أخرجه البخارى ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج له
خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر
في الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم
والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء
والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قسور الدر والياقوت والذهب
فتهب ربح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كشيان المسك الابيض قال الامام فخر
الدين الرازى حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن فولين أحدهما أنداسم علم الموضع معين
في الجنة وهذه الاخبار والآثار تتوى هذا القول قل صاحب الكشاف وعدن علم يدل
قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثانى أنه صفة للجنة قال الازهرى
العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به عدو ناف بهذا الاشتقاق قالوا الجنات
كلها جنات عدن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ورضوان من الله أكبر ﴿ يعنى ان رضوان الله
الذى ينزله عليهم أكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ اشارة الى
ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون
لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يدك فيقول هل رضىتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا
وقد اعطينا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول ألا اعطيكم افضل من ذلك فيقولوا ونأى شئ
افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط بعهده عليكم أبدا ﴿ قوله سبحانه
وتعالى ﴾ يا أيها النبي جاهد الكفار ﴿ يعنى بالسيف والمخاربة والقتال ﴿ والمنافقين ﴾

(ورضوان من الله أكبر)
رضا ربهم أعظم مما هم فيه
(ذلك) الذى ذكرت
(هو الفوز العظيم) النجاة
الوافرة (يا أيها النبي جاهد
الكفار) بالسيف
(والمنافقين) باللسان

(واغلظ عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمى من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لاخواننا الذين خلفناهم وهم ١٥٩ ساداتنا فنحن { سورة براءة } شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس

أجل والله ان محمد اصادق وأنت شر من الحمير وبأن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فخاف بالله ما قال فرفع عامريده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعني ان كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير أو هي استهزأواهم فقال الجلاس يا رسول الله والله لقد قلت وصدق عامر قتال الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اسلامهم

(واغلظ) اشد (عليهم) على كلا الفريقين بالقتول والفعل (ومأواهم جهنم) مصيرهم جهنم (وبئس المصير) صاروا اليه (يخلفون بالله ما قالوا) خالف بالله جلاس بن سويد ما قلت الذي قال على عامر ابن قيس (ولقد قالوا كلمة

﴿واغلظ عليهم﴾ في ذلك ولا تحابهم ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ مصيرهم ﴿يخلفون بالله ما قالوا﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقاً لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فستحضره فختلف بالله ما قاله فنزلت قتال الجلاس وحسنت توبته ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم﴾ وأظهروا الكفر

يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لظهوره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرقيق عنهم وهذا قول الضحاك أيضاً وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفره في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون له هذا تعلق بالنفاق وانما قل الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقدمات الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقدمات الله لا تل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرقيق بهم تارة وبالانهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود ﴿واغلظ عليهم﴾ يعني شدد عليهم بالجهاد والارهاب ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ يعني ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهره مع علمهم وبجالتهم قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقداً غير ذلك في الباطل لان الله سبحانه وتعالى أمر بأجراء الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنفقتين على ظواهرهم ووكل سرأثرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون ﴿قوله عز وجل﴾ يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ﴿اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فتعال عروبة بن

(الكفر) كلمة الكفار لقوله حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عيب المنافقين وما فيهم قال والله لئن كان محمد صادقاً فيما يقول في اخواننا لنحن أشر من الحمير فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن قيس عن قوله فخالف بالله ما قلت فكذب الله وقال ولقد قالوا كلمة الكفر (وكفروا بعد اسلامهم)

بعد اظهر الاسلام وهموا بالم ينالوا من فتنك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم
 انزير نزلت في الجلاس بن -ويد اقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس
 ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من حرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله
 يا عبد الله لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القرآن أو
 ان تصيبني قارعة أو ان أخطأ بخطيئته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
 أقمت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان أخطأ بخطيئته أو تصيبني
 قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب تخاف ما قال
 فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل جرة فقال انسيأتكم انسان فينظر اليكم
 بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فليلبثوا أن طلع رجل أزرق فدنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء مصعب فحلفوا بالله
 ما قالوا ومفعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم نعمتهم جميعا
 الى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهنمة والآخر من
 غفار وكانت جهنمة حائفا لانصار فظهر الغفاري على الجهنمي فقال عبد الله بن أبي
 اسلول الاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمعك كلك
 أ كلك وقال ابن رجعة الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بهارجل من المسلمين
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه
 روايات الطبري وذكر البيهقي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن -ويد وذلك ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا
 وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمر فلما أنصرف رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب
 يا رسول الله على فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس
 عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر
 فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال
 اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
 آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان تبوءوا بك خيرا
 لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس
 فيما قاله لقد قلت وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه
 فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
 الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي
 سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن -ويد لئن كان محمد صادقا لنحن
 شر من الحمر وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي بن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
 الاعز منها الاذل وستأني القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى قوله
 سبحانه وتعالى وهموا بالم ينالوا قال مجاهد هم الجلاس بن -ويد سمع مقالته خشية

الاسلام وفيه دلالة على
 ان لايمان والاسلام واحد
 لان قال وكفروا بعد اسلامهم
 (وهموا بالم ينالوا) من قبل
 محمد عليه الصلاة والسلام أو قبل
 عامر لردده على الجلاس
 وقيل أرادوا أن يتوجوا
 ابن أبي وان لم يرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهموا بالم ينالوا (أرادوا
 قتل الرسول واخراج الرسول
 ولم يقدروا على ذلك

(وما نقيموا) وما أنكروا

وما عابوا (الآن أغناهم الله

ورسوله من فضله) وذلك

أنهم كانوا حين قدم

رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة في ضنك من العيش

لا يركبون الخيل

ولا يجوزون الغنم فأتروا

بالغنم وقتل للجلاس

مولى فامر رسول الله

صلى الله عليه وسلم بديته

اثني عشر ألفا فاستغنى

(فان يتوبوا) عن النفاق

(يك) الثواب (خير الهم)

وهي الآية التي تاب عندها

الجلاس (وان يتولوا)

يسروا على النفاق (بمذهبهم

الله عذابا أليما في الدنيا

والآخرة) بالقتل والنار

(وما لهم في الأرض من ولي

ولا نصير) نجيبهم من العذاب

(وما نقيموا) وما طعنوا على

النبي صلى الله عليه وسلم

وأعجابه (الآن أغناهم

الله ورسوله من فضله)

بالغنم (فان يتوبوا) من

الكفر والنفاق (يك خيرا

لهم) من الكفر والنفاق

(وان يتولوا) عن التوبة

(يعذبهم الله عذابا أليما)

وجيعا (في الدنيا والآخرة

وما لهم في الأرض من

ولي) حافظ يحفظهم (ولا

نصير) مانع يمنعهم مما يراد

توافقوا عند سر جمعه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ
عمار بن ياسر بخطام راحلته يتقودها وحذيفة خلفها يسوقها فيبينهما كذلك اذا سمع حذيفة يتوقع
اخفاف الابل وقمعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وأخرجوا خراج المؤمنين
من المدينة أربابا توجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وما نقيموا وما أنكروا وما وجدوا ما يورث نعمتهم (الآن ان اغناهم الله ورسوله من فضله)
فان أكثر أهل المدينة كانوا شيوخا في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل الجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بديته
اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل أو المال (فان يتوبوا يك
خير الهم) هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب (وان يتولوا)
بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم
في الأرض من ولي ولا نصير) فينجيهم من العذاب

ان يشهدوا عليه وقتلهم عبد الله بن ابي بن سائل وكان همه قوله ان رجعا الى المدينة
فلما بلغه وقتلهم اثنا عشر رجلا من المنافقين يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا
على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان
يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون
اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن ابي بن سائل تاجا نياصوا اليه (وما
نقيموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم شيئا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا
موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نعموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنعموا أشرا
وبطروا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيئا ولا يعترفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر
ما نقيم الناس من أمة الا ما انهم يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وانما أراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فاول من قراع الكتاب

اي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك
من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنم فعلى هذا القول يكون الكلام
عاما وقال عمروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بديته
فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم له وقال عكرمة ان مولى ابني عدي قتل رجلا من الانصار فقتضاه النبي صلى الله
عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما نقيموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
(فان يتوبوا يك خيرا لهم) يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم
في العاجل والآجل (وان يتولوا) يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويعصروا
على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) يعني بالخزي والاذلال
(والآخرة) أي ويعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير)

(ومنه من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيراً من كثير لا تطيقه { الجزء العاشر } فراجعته ١٦٢ وقال والذي بعثك بالحق ان رزقني

وما لا أعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنماً فمت كما ينبغي الدود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة فسأل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل كثر ماله حتى لا يسمع ود فقال يا وى ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لآخذ الصدقات فاستقبها الناس بصدقاتهم ومراب ثعلبة فسلأه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعوا حتى أرى رأيي فلما رجعوا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا وى ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك فجعل السراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ان بكر رضى الله عنه فلم يقبها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه في خلافته فلم يقبها وهلك في زمن عثمان رضى الله عنه (ان آتانا من فضله) أى المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لنصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد اقرها من

وما لا أعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنماً فمت كما ينبغي الدود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة فسأل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل كثر ماله حتى لا يسمع ود فقال يا وى ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لآخذ الصدقات فاستقبها الناس بصدقاتهم ومراب ثعلبة فسلأه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعوا حتى أرى رأيي فلما رجعوا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا وى ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك فجعل السراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ان بكر رضى الله عنه فلم يقبها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه في خلافته فلم يقبها وهلك في زمن عثمان رضى الله عنه (ان آتانا من فضله) أى المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لنصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد اقرها من

يعنى وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة * قوله سبحانه وتعالى ومنهم من عاهد الله ان آتانا من فضله لنصدقن * الا يتروى البغوى بسند الثعالبى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى ما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيراً من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى ما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهباً وفضة أسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى ما لا والذي بعثك بالحق ان رزقنى الله ما لا أعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا قال فاتخذ غنماً فمت كما ينبغي الدود فضاقت عليه المدينة ففتحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنهى كما ينبغي الدود فكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر والبصر وحلى في غنم سائر الصاوت ثم كثرت ونبت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونبت حتى تباعد عن المدينة أيضاً حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج فتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله أخذ ثعلبة غنماً ما يسمعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا وى ثعلبة يا وى ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بنى ساييم ورجلاً من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقول لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بنى ساييم فخذوا صدقتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسلأه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية انطلقا حتى تنفرا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأياها قالا ما هذه عليك قال خذاها فان نفسى بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذوا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية اذهبا حتى أرى رأيي قال فاقبل فلما آههما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلم يا وى ثعلبة يا وى ثعلبة ثم دعا السلمى بخير فآخبراه بالذى صنع ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله ان آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلأه ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان أقبل

بهم (ومنه) من المنافقين (من عاهد الله) حاطب بالله يعنى ثعلبة بن حاطب بن أبى بلتعبة (ان آتانا) أعطانا (منك) (من فضله) المال الذى له بالشام (لنصدقن) فى سبيل الله لنؤدين منه حق الله ولنصلن به الرحم

ولنكونن من الصالحين ﴿ نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لنن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعاه فأتخذ غنما فبعت كما ينمي الدرود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقل كثير ماله حتى لا يسمعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لآخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا ثعلبة فسألاه الصدقة وافرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ماهذه الاجزية ماهذه الاخت الجزية فارجعا حتى اري رأي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يمشو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها

منك صدقتك فجعل يمشو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلا تطعني فلما أبى أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أبا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانالا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر أناه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فانالا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فأتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانته على قوله انما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه واهانته وليعتبر غيره به فلا يمنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يشاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لنن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقته منه ووصلت القرابة فأت ابن عمه فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود فقالا لنن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخالده وقال ابن السائب ان ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فاحلف بالله لنن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولا أصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لنن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيدفعوا لخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لنن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ونخرجن من ذلك المال صدقته ﴿ ولنكونن من الصالحين ﴾ يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم

(ولنكونن من الصالحين)

باخراج الصدقة

(ولنكونن من الصالحين)

من الحامدين

الى عمر رضى الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها وهاك في زمان عثمان رضى الله تعالى عنه ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلاوا به ﴾ منعوا حق الله منه ﴿ وتولوا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وهم معرضون ﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض عنها ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويحوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه ﴿ يلقون الله بالموت أو يلقون علمه أى جزاءه وهو يوم القيامة ﴾ بما خلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصديق والصالح ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ ويكونهم كاذبين فيدوان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من

من صلة الارحام والاتفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذى يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من العسالحين اشارة الى كل ما يشعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلاوا به ﴾ يعنى فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا ﴿ وتولوا ﴾ يعنى عما عهدوا الله عليه ﴿ وهم معرضون ﴾ يعنى عن العهد ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ يعنى فاعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقبت فلانا ندامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حرّمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه ﴿ بما أخلفوا الله ما وعدوه ﴾ يعنى الصدقة والاتفاق في سبيله ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ يعنى في قواهم لنصدقن ولنكونن من العسالحين ﴿ عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أئتمن خان ﴾ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالسا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلته من كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجره قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذى ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يتحكم عليه بكفر ولا هو منافق بخلافه في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام هم وهذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا أو كما قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلاف العلماء في معناه فالذى قاله المحققون والاكثرين وهو الصحيح الاختار أن معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتحقق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافة وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعد وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لأنّه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلفين في الدرك الاسفل من النار وقوله

(فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا منهاهم (بخلاوا به) منعوا حق الله ولم ينفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) معرضون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصديق والصالح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف

(فلما آتاهم) الله أعطاهم (من فضله) المال الذى له بالشام (بخلاوا به) بما وعدوا من حق الله (وتولوا) عن ذلك (وهم معرضون) معرضون (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فجعل عاقبته على النفاق (الى يوم يلقونه) الى يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه) بما أخلف وعده (وبما كانوا يكذبون)

الوعد ثلث النفاق (ألم يعلموا) يعني ١٦٥ المنافقين { سورة براءة } (ان الله يعلم سرهم) ما

أسروه من النفاق بالعزم
على اخلاف ما وعدوه
(ونجواهم) وما يتناجون
به فيما بينهم من المطاعن
في الدين وتسمية الصدقة
جزية وتديبير منعها (وأن
الله علام الغيوب) فلا يخفى
عليه شيء (الذين) محله
النصب أو الرفع على الذم
أو الجر على البذل من
الضمير في سرهم ونجواهم
(يلزون المطوعين)
يعيون المطوعين المتبرعين
(من المؤمنين في الصدقات)
متعلق يلزون روى ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف
باربعة آلاف درهم وقال
كان لي ثمانية آلاف
فاقرضت ربي أربعة
وأمسكت أربعة لعمالي
فقال عليه السلام بارك
الله لك فيما أعطيت وفيما
أمسكت فبارك الله حتى
صولت تماخر امرأته
عن ربع الثمن على ثمانين

وبكذب بما قال (ألم يعلموا)
يعني المنافقين (ان الله يعلم
سرهم) فيما بينهم (ونجواهم)
خلوتهم (وان الله علام
الغيوب) ما غاب عن العباد
(الذين يلزون المطوعين)

الوجهين أو المقال مطلقاً وقرئ يكذبون بالتحديد (ألم يعلموا) أي المنافقون أو من عاهد الله
وقرئ بالتاء على الالتفات (ان الله يعلم سرهم) ما أسروه في انفسهم من النفاق أو العزم
على الاخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية
(وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلزون) ذم مرفوع أو منصوب
أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلزون بالضم (المطوعين) المتطوعين (من المؤمنين
في الصدقات) روى انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي أربعة وأمسكت لعمالي
اربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله
له حتى صولت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق

صلى الله عليه وسلم كان منافقاً خالصاً معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال
قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه فأما من نذر ذلك منه فليس ذلك
حاصلاً فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فأنهم حدثوا في إيمانهم فكذبوا أو أعتنوا على دينهم فخانوا
ووعدوا في أمور الدين ونصره فآخفوا وفجروا في خصوصياتهم وهذا قول سعيد بن
جبيرة وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي
عن ابن عباس وابن عمر ورواه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليد
مال أكثر أئمتنا وحكي الخطابي قولاً آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال
وحكي أيضاً عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم
ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الآية
يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز
عند هذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعني
هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم)
يعني ويعلم ما يتناوض به بعضهم بعضاً فيما بينهم والنجوى هو الخفى من الكلام يكون بين القوم
والمن انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شيء منها (وان الله علام
الغيوب) وهذا ما يغتفى في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف في علم احوالهم قوله
عز وجل (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي
مسعود البصري رضى الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق
بشيء كثير فقالوا امراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله اغنى عن صاع هذا فنزلت
الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجحدون الاجهدهم الآية
وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم

من المؤمنين في الصدقات) يطعنون على عبد الرحمن وأصحابه في الصدقات يقولون ما جاء هؤلاء بالصدقات الارياء وسمعة

ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجحدون الاجهدهم) طاقهم وعن نافع جهدهم وهما احد وقيل { الجزء العاشر } الجهد الطاقة **١٦٦** والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع

من تمر فقال بت ليلتي أجز بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعمالي وجئت بصاع فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلزمهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه اعطى من الصدقات فنزلت **﴿والذين لا يجحدون الاجهدهم﴾** الاطاعتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه **﴿فيسخرون منهم﴾** يستهزئون بهم **﴿سخر الله منهم﴾** جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم **﴿ولههم عذاب اليم﴾** على كفرهم **﴿استغفر لهم﴾** اولاستغفر لهم يريد به التساوى بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله **﴿ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾** روى ان جئت بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت أربعة آلاف اعياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجاهلي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجز بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعمالي وأنيك بالآخر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلزمهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكن احب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين لمزوني يعيرون المطوعين يعنى المتبرعين من المؤمنين يعنى عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه **﴿والذين لا يجحدون الاجهدهم﴾** يعنى أباعقل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهى لغة أهل الحجاز وبالفتح اغيهرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذى يأتي به فيصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذى يأتي به فيصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذى أخرج القليل انما أخرج جده عن ضعف وجهه وقديور احتاج الى المال غيره وجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى وبؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **﴿فيسخرون منهم﴾** يعنى ان المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذى يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به **﴿قوله سبحانه وتعالى﴾** سخر الله منهم **﴿يعنى انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم﴾** ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى **﴿ولههم عذاب اليم﴾** يعنى في الآخرة **﴿قوله سبحانه وتعالى﴾** استغفر لهم اولاستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي أجز بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعمالي وجئت بصاع فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلزمهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه اعطى من الصدقات فنزلت **﴿والذين لا يجحدون الاجهدهم﴾** الاطاعتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه **﴿فيسخرون منهم﴾** يستهزئون بهم **﴿سخر الله منهم﴾** جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم **﴿ولههم عذاب اليم﴾** على كفرهم **﴿استغفر لهم﴾** اولاستغفر لهم يريد به التساوى بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله **﴿ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾** روى ان جئت بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت أربعة آلاف اعياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجاهلي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجز بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعمالي وأنيك بالآخر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلزمهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكن احب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين لمزوني يعيرون المطوعين يعنى المتبرعين من المؤمنين يعنى عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه **﴿والذين لا يجحدون الاجهدهم﴾** يعنى أباعقل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهى لغة أهل الحجاز وبالفتح اغيهرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذى يأتي به فيصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذى يأتي به فيصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذى أخرج القليل انما أخرج جده عن ضعف وجهه وقديور احتاج الى المال غيره وجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى وبؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **﴿فيسخرون منهم﴾** يعنى ان المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذى يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به **﴿قوله سبحانه وتعالى﴾** سخر الله منهم **﴿يعنى انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم﴾** ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى **﴿ولههم عذاب اليم﴾** يعنى في الآخرة **﴿قوله سبحانه وتعالى﴾** استغفر لهم اولاستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

الله لهم بابا الى الجنة (ولههم عذاب اليم) وجميع في الآخرة (استغفر لهم) يقول ان تستغفر لعبد الله بن أبي (قال) وجد بن قيس ومعتب بن قشير واجحابهم نحو سبعين رجلا (أولاستغفر لهم) سواء عليهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفروا لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر بالمعنى وان بالغت سورة ١٦٧ في الاستغفار فان يغفر الله {سورة براءة} لهم وقد وردت الاخبار

بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لاعلى التحديد والغاية ووجد تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فافوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاء غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشباع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيه أوتار ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اعاشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر هاتلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاء فبحاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك)

عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخاضين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض امه ان يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لا يزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاسل فبحوز ان يكون ذلك حدا يخالف حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعين والسبعين والسبع مائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانت العدد بأسرها ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله * اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لخلل منار لا تصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر العسارف عنها * والله لا يهدي القوم الفاسقين * المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج شرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فان يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حنيفة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعته وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقايم سبع والنجوم سبع والسيارة سبع فلها خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فساؤلين على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصا يكفن فيه أباه ثم سأله أن يعطيه قميصا يكفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهى ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأزبد على السبعين قل اندمنافق فبصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات أبدا ولا تنتم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم * وقوله سبحانه وتعالى * ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله * يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفو عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله * والله لا يهدي القوم الفاسقين * يعني والله لا يوفق للايمان بد ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله * قوله عز وجل

اشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) لا يغفرن للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) انما جاز ذلك (العذاب) (بانهم كفروا بالله ورسوله) في السر (والله لا يهدي) لا يغفر (القوم الفاسقين) المنافقين عبد الله بن ابي

عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح الخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخافهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خافهم كسلبهم ، نفقاهم والشیطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفته وهو مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (وكرهوا) أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (لم يفعلوا) الجزء العاشر { ما فعله المؤمنون } ١٦٨ من بذل أموالهم وأرواحهم

في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم مافي المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايمان (وقالوا) لا تنفروا في الحر (قال بعضهم) لبعض أوقاوا للمؤمنين تبيطان (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقرون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقت بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان أجمل من كل جامل (فليضحكوا قليلا وليكوا كثيرا) أي فيضحكون قليلا على فرحهم بخلافهم في الدنيا ويكون كثير اجزاء في المقي الا انه اخرج على لفظة الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يكون في النار غير الدنيا يرفأ لهم دمع لا يكتحلون ينوم

وأصحابه (فرح الخلفون) رضى المنافقون (بمقعدهم) بخلافهم عن غزوة تبوك (خلاف رسول الله) خاف رسول الله (وكرهوا أن

لا ينقل ولا يهتدى والتنبه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم مالم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والمنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فرح الخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال قام خلاف الحى أى بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إشارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضا به بذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر أى قاله بعضهم لبعض أوقاوه للمؤمنين تبيطا قل نار جهنم أشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفتقرون ان ما بهم اليها وانها كيف هي ما اختاروها بإثارة الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليكوا كثيرا

فرح الخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله يعنى فرح الخلفون عن غزوة تبوك والخلف المتروك بمقعدهم يعنى بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعنى بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والمعنى أنهم فرحوا بسبب الخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى اثار الراحة والقعود مع الاعل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقرون يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر أن نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قل ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يذهبوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا في الحر فقال عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقرون فأمر الله تعالى بالخروج فليضحكوا قليلا يعنى فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا القانية بمقعدهم خلافه وليكوا كثيرا يعنى مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله في طاعة الله (وقالوا) وقال بعضهم لبعض (لا تنفروا في الحر) (معناه) لا تخرجوا مع محمد صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك في الحر الشديد (قل) لهم يا محمد (نار جهنم أشد حرا) جرا (لو كانوا يفتقرون) يفهمون ويصدقون (فليضحكوا قليلا) في الدنيا (وليكوا كثيرا) في الآخرة

(جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) أي ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك) ١٦٩ (للخروج) الى غزوة (سورة براءة) بعده غزوة تبوك (فقتل ان

تخرجوا معي أبدا) يسكنون الياء غزوة وعلى وأبو بكر (وان تقاتلوا معي عدوا) معي حفص (انكم رضيتم القعود أول مرة) أول ما دعيتهم

الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم أباء في قيصة ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنت أرجو أن يؤمن يد ألف من قومه فزول (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روى انه أسأله ألب من الخرج لما رآه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لأحد (أبدا) ظرف

(جزاء بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون من المعاصي (فان رجعت الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) من المنافقين بالمدينة (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى (فقتل) لهم يا محمد (ان تخرجوا معي أبدا) بعد غزوة تبوك (ولمن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم

جزاء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤل اليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضمك والبكاء كناية عن السرور والفرح والمراد من القلة العدم (فان رجعت الله الى طائفة منهم) فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المخالفين يعني منافقهم فان كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقي منهم فكانت المتخلفون اثني عشر رجلا (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى بعد تبوك (فقتل ان تخرجوا معي أبدا) وان تقاتلوا معي عدوا (اخبار في معنى النهي للمبالغة) انكم رضيتم بالقعود أول مرة (تعليلا له) وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول مرة هي الخرج الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا)

وهنا الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الثاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزاء بما كانوا يكسبون) يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتبكوا فان أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدوع فتسيل السماء فتفرغ العيون فلوان سفنا أجريت فيها الجريت لا قرأه سبحانه وتعالى (فان رجعت الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه (الى طائفة منهم) يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعذار (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحقق نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى (فقتل ان تخرجوا معي أبدا) يعني فقتل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم ان تخرجوا معي أبدا الى غزوة (ولا الى سفر) وان تقاتلوا معي عدوا انكم (يعني لانكم رضيتم بالقعود أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين يقال صاحبه خالف اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكروه وخداع وبدعة يجب الانتطاع عنه وترك صاحبه لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكروهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات (قوله عز وجل) (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا)

بالقعود) بالجاء (أول مرة) في أول مرة من (قا و خا ٢٢ لث) غزوة تبوك (فاقعدوا) عن الجهاد (مع الخالفين) مع النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين بعد عبد الله بن أبي (مات أبدا) ويقال على عبد الله بن أبي

روى ابن أبي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قيصه ليكفن فيه وذهب
ليصلي عليه فنزات وقيل صلى عليه ثم نزات وانما لم يندعن التكفين في قيصه ونهى عن الصلاة
عليه لان العنة بالقيص كانت مخالفا لكرم ولائها كان مكافاة لآبائسه

الآية قول قتادة بعث عبدالله بن أبي بن ساول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مريض ليأتيه فلما جاءه عمر عن ذلك فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبى الله
صلى الله عليه وسلم قال أهلك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤنبنى ولكن
بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قيصه أن يكفن فيه فأعطاه إياه واستغفر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمات فكفنه في قيصه صلى الله عليه وسلم ونش في جلمه ودلاه في قبره فانزل الله
سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (بخ) عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لما مات عبدالله بن أبي بن ساول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فمات يارسول الله أتصلي على بن أبي
ابن ساول وقد قل يوم كذا وكذا أعدد عليه قوله فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أخر عني يا عمر فلما كثرت عليه قل اني خيرت فاخترت نواصي اني زدت على السبعين
يغفر له لزدت عليه اقول فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يكث
الا يسير احتى نزات الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى
قوله وهم فاسقون قال ففجيت بعد من جرأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله
ورسله أعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق
ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر رضي الله عنه قال أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه
ونش فيه من ريقه وألبسه قيصه والله أعلم وكان كساعبسا قيصا قال سفيان وقال
أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصان فقال له ابن عبدالله يارسول الله ألبس
عبدالله قيصك الذي يلي جلمه قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبدالله
قيصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالعباس
ولم يكن عليه ثوب فظفر النبي صلى الله عليه وسلم له قيصا فوجدوا قيص عبدالله بن أبي بقدر
عائده فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قيصه الذي ألبسه

فصل

قد وقع في هذه الأحاديث التي تتضمن قصة موت عبدالله بن أبي بن ساول
المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انما توفي عبدالله
ابن أبي بن ساول أتى ابنه عبدالله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قيصه
ليكفنه فيه وأن يصلي عليه فأعطاه قيصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من أفراد
البحارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونش

لتصل وكان عليه السلام
اذا دفن الميت وقف على قبره
ودعاه فقيل

العباس قبيصة حين امر ببدن والمراد من الصلاة الدعاء للبيت والاستغفر له وهو ممنوع في حق الكفار ولذلك رتب النبي على قوله مات ابد اي

عليه من ريقه وألبسه قبيصة ووجد الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم أعطاه قبيصة فكأن قبيصة ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما دخل حفرته فاخرجه منها ونزع عند التيميم الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قبيصة بيده الكريمة ففعل هذا كله بعبد الله بن أبي تلميذ لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله في مرعته وانده سألته أن يستغفر له وأن يعطيه قبيصة وأن يصلي عليه فاعطاه قبيصة واستغفر له وصلى عليه ونفث في جده ودلاه في حفرته فهذه جل من القوم ظاهرها التزيب وبما المراد بهذا التزيب الا نفي قايين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جده ودلاه في قبره جلة منقطعة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما أعطاه التيميم وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم بن عبد الله بن أبي بن سلوة ان سير الخرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخرج وغيرهم حسده وناصره العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فوافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرًا وكان المنافقون كثيرًا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولده عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة وأشهرهم صدرًا وكان أبر الناس بابيهم ومع ذلك فقد قال يومئذ النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك تعلم أني من أبر الناس بابي وأن أمرتني أن أتيتك برأسك فقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تعفو عند وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات أبوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قبيصة ليكفنه فيدفن في ناله من بركته فاعطاه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا في له واطلقت وقول عمر تصلي عليه وقد نهى الله أن تصلي عليه يحتمل أن يكون قبل زول ولا تصلي على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهى عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والحديث الذي شهد به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم ولا تستغفر لهم وهذا التاويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلوة دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي

الموت على الكفر فإن أحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي أول تأييد الموت ولا تعجبك أموالهم وأولادهم

وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيدشئ من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزبد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن ابن عمر فإن فيدشئ أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تنقيح لذلك الرد المطلق فإن الأحاديث يفسر بعضها بعضها ويقيدها بعضها فذلك قالوا علم أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عند استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لأولئك المنافقين اخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراياتهم فان فصل الاستغفار المنهي عنه من اخير فيدوار ترفع الاشكال بحمد الله والله اعلم قال الشيخ محي الدين النووي انما أعطاه قيصة ليكتفئ فيه تطييبا للقلب ابند عبد الله فإنه كان حجابا صالحا وقد سأله ذلك فأجاب بالدوقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لأنه ألبس العباس حين أسري يوم بدر قيصة وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاءه وقبله بالحسنى وألبس قيصة كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خالق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له بدعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافئه بها ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عن قيصة وصلاقي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلمه ألب من قومك فيروي انه أسلم ألب من قومك لما رآوه ينبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وتعالى ولا تقم على قبره يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيدشئهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذا تعليل اسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعد هاهنا قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحت الفسق وغيره فمما الفائدة في وصفه بكونه فاسقا بعدما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقيم عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر قوله سبحانه وتعالى ولا تعجبك أموالهم وأولادهم

(ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهي اى انهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم)

(ولا تقم على قبره) ولا تقف على قبره (انهم كفروا بالله ورسوله) في السر (وماتوا وهم فاسقون) منافقون (ولا تعجبك) يا محمد (أموالهم) كثرة أموالهم (وأولادهم) ولا كثرة أولادهم

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهدق أنفسهم وهم كفرون * تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول * واذا انزلت سورة * من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها * ان آمنوا بالله * بان آمنوا بالله ويجوز ان يكون ان مفسرة * وجاهدوا مع رسوله

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهدق أنفسهم وهم كفرون * الكلام على هذه الآية في مقامين * المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدوا النزول له شأن في تقرير ما نزل اولاً وتأكيده وارادة ان يكون الخطاب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينسأه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل أيضاً انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالآية الاولى قوم من المنافقين كان لهم أموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى اقواما آخرين منهم * المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك ان قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهمذا أتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا أن يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وانه أئما ورد حرف اللام فعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمر والى ليعبدوا الله ومعناه وما أمر والى بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الحسنة الى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنذرها على كمال دناءتها فهذه جل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله عز وجل * واذا أنزلت سورة * يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايان والامر بالجهد * أن * أى بان * آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله * فان قلت كيف يأمرهم بالايان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهد في المستقبل وقيل ان الامر بالايان يتوجه على كل أحد في كل

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهدق أنفسهم وهم كفرون (التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من الخطاب لا ينسأه وأن يعتقد أنه مهم ولأن كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة تمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بان آمنوا أو هي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله) انما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة (وتزهدق أنفسهم) تخرج أرواحهم (في الدنيا وهم كفرون) مقدم ومؤخر (واذا انزلت سورة) من القرآن وأمر فيها (ان آمنوا بالله) صدقوا بأيمانكم بالله (وجاهدوا مع رسوله)

استأذنك أولو الطول منهم (ذوو الفضل والسعة) وقالوا ذرنا نكنا مع الفاعدين (مع الذين لهم عذر في التخلف
كالمرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالب) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر
والنفاق (فهم لا يفقهون) الجزء العاشر { ما فى الجهاد ١٧٤ } من الفوز والسعادة وما

فى التخلف من الهلاك
والشقاوة (لكن الرسول
والذين آمنوا معه جاهدوا
بأموالهم وأنفسهم) أى
أن تخلف هؤلاء فقد نهض
الى الغزو من خير منهم
(وأولئك لهم الخيرات)
تناول منافع الدارين
لا طلاق لللفظ وقيل
الخور لقوله فيهن خيرات
(وأولئك هم المفلحون)
الفائزون بكل مطاوب
(أعد الله لهم جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم)
استأذنك (يا محمد
(أولو الطول) ذوو الغنى
(منهم) من المنافقين عبد الله
ابن أبى وجدة بن قيس ومعتب
ابن قشير (وقالوا ذرنا)
يا محمد (نكنا مع القاعد)
بغير عذر (رضوا بأن يكونوا
مع الخوالب) من النساء
والصبيان (وطبع) ختم
(على قلوبهم فهم لا يفقهون)
لا يصدقون أمر الله (لكن
الرسول) محمد صلى الله عليه
وسلم (والذين آمنوا)
فى السر والعلانية (معه
جاهدوا بأموالهم وأنفسهم)

استأذنك أولو الطول منهم (ذوو الفضل والسعة) وقالوا ذرنا نكنا مع القاعد (والذين
قدموا لعذر (رضوا بأن يكونوا مع الخوالب) مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى
لا خير فيه (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما فى التخلف عند من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم) أى أن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم (وأولئك
لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنى فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة
وقيل الخور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك
هم المفلحون) الفائزون بالمطاب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الآخروية

ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون
والمعنى ان اخاصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر
بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يغيد أصلاً فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم
ان تؤمنوا بالله أولاً وتجاهدوا مع رسوله ثانياً حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع
عليكم نفعها فى الدنيا والآخرة (قوله سبحانه وتعالى) استأذنك أولو الطول منهم (
قل ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من ائمة وقيل هم
رؤساء المنافقين وكبرائهم وفى تخصيص أولى الطول بالنذر كقولان أحدهما ان النذر
لهم أنزى لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول
بالنذر لان المأجر عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى
الطول (ذرنا نكنا مع القاعد) يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى
والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالب) قيل الخوالب النساء اللائى تخلفن فى البيوت
فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالب
جمع خالفة وهم أدياء الناس وسفاههم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع
على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون
مراد الله فى الامر بالجهاد (قوله سبحانه وتعالى) لكن الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا بأموالهم وأنفسهم (أى أن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير
منهم يعنى الرسول والمؤمنين) وأولئك لهم الخيرات (منافع الدارين النصر والغنى
فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الخور لقوله فيهن خيرات حسان وهى
جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالمطاب (قوله
سبحانه وتعالى) أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (

فى سبيل الله) (وأولئك لهم الخيرات) الحسنات المقبولات فى الدنيا ويقال الخوارى فى الآخرة (وأولئك) بيان (
هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (أعد الله لهم جنات) بساتين (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الأنهار)
أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ذلك) الذى ذكرت (الفوز العظيم)

قوله أعيد دليل على أنها مخلوقة (وجاء ١٧٥) المعذرون من الاعراب (سورة براءة) ليؤذن لهم) هو من عذر

في الامر اذا قصر فيدري تواني
حقيقته أريوهم ان له عذرا فيما
فعل ولا عذر له أو المعذرون
بادغام التاء في الذال ونقل
حركتها الى العين وهم الذين
يعتذرون بالباطل قيل هم
أسدو غطفان قالوا ان لنا عيالا
وان بنا جهدا فأذن لنا
في التخاصم (وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله) هم
منافقوا الاعراب الذين
لم يحيوا ولم يعتذروا فظهر
بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الايمان (سيصيب
الذين كفروا منهم) من
الاعراب (عذاب أليم) في
الدنيا بالقتل وفي الآخرة
النجاء الوافرة فازوا
بالجنة وما فيها ونجوا من
النار وما فيها (وجاء اليك
يا محمد) المعذرون (مخففة
من كان له عذر) (من الاعراب)
من بني غفار وان قرأت
المعذرون مشددة
يعني من لم يكن له عذر
(ليؤذن لهم) لكي يأذن لهم
رسول الله بالتخلف عن
غزوة تبوك (وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله)
في السر ويقال خالفوا الله
ورسوله في السر في الجهاد
بغير اذن (سيصيب الذين
كفروا منهم) من المنافقين عبد الله بن ابي وأصحابه
(عذاب أليم) وجميع

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدو غطفان استأذنوا في التخلف معتذرين
بالجهد وكثرة اعيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهلنا
ومواشينا والمعذر امان عذر في الامر اذا قصر فيه موها ان له عذرا ولا عذر له أو من
اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من عذر اذا
استعمل في العذر وقرأ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو الخ
اذا التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله
ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاو اين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا
منهم من الاعراب أو من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسبه لا لكفره عذاب أليم

بيان لما لهم من الخيرات الاخرية قوله سبحانه وتعالى وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم يعني وجاء المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون اليه في التخاصم عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاءوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك
تغير اعراب طي على خلائنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أباأني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء
ابن رخصت وقيل هم من أسدو غطفان وقال ابن عباس هم الذين تخفوا بعذر فأذن لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعذرون أي المتصرون يعني أنهم قصروا
ولم بالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا
اللفظ عند الحاجة المعتذرون أدغمت التاء في الذال لقرب مخارجيهما والاعتذار في كلام
العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم
بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فبقوله يقال اعتذر اذا أتى بعذر صحيح
ومنه قول لبيد ومن يراك حولا كان لا فقه اعتذره

يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذر الذي هو التفسير يقال عذر تعذر اذا قصر ولم يبلغ
فعلى هذا المعنى فحمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من
قال أنهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن
أبي عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكفوا عذرا بباطل فهم الذين
عذبهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا معذر ولا شبهة عذر جرأة
على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين
ما جازأوما اعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب أليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم

كفروا منهم) من المنافقين عبد الله بن ابي وأصحابه

بالبقتل والنار ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ﴾ كالهرمي والزمني
﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ أفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة
﴿ حرج ﴾ أثم في التأخر ﴿ اذ انصحوهم ﴾ بالآيمان والطاعة في السر والعلانية
كما يفعل المولى الناصح أو بما قدر وأعليه فعلاً أو قولاً يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح
﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك
﴿ والله غفور رحيم ﴾ لهم أو للمسيء فكيف المحسن

لأنه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في إيمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين
أصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ لما ذكر الله
سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة عقبه بذكر
أصحاب الأعذار الحقيقة الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه
وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق
السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخلقة ضعيفاً نحيفاً
ويدل على أن هؤلاء الأصناف هم الضعفاء أن الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى
فقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا على المرضى ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى
فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفاً بمرض يمنعه من التمكن
من الجهاد والسفر للغزو ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ يعني الفقراء العاجزين
عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنات السفر لأن العاجزين
عن نفقة الغزو معذور ﴿ حرج ﴾ أي ليس على هؤلاء الأصناف الثلاثة حرج أي أثم
في التخلف عن الغزو وقال الإمام فخر الدين الرازي ليس في الآية أن يحرم عليهم الخروج
لأن الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة أما بحفظ متاعهم أو بتكثير
سوادهم بشرط أن لا يحمل نفسه كلاً وبالأعلى فإن ذلك طاعة مقبولة أثم الله تعالى شرط
على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطاً معيناً وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذ انصحوهم ﴾
ورسوله ﴿ ومعناه أنهم اذ أقاموا في البلد احتزوا عن إفشاء الأراجيف وأثارة الفتن
وسعوا في إيصال الخير إلى أهل المجاهدين الذين خرجوا إلى الغزو وقاموا بمسالح بيوتهم
واخلصوا الأيمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فإن جللة هذه الأمور
تجبر مجرى النصيحة لله ورسوله ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أي ليس على من أحسن فنصح
لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب
عليه والمعنى أنه سد بأحسنه طريق العقاب عن نفسه ويستتبط من قوله ما على المحسنين
من سبيل أن كل مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه ليس عليه
سبيل في نفسه وماله إلا ما أباحه الشرع بدليل منفصل ﴿ والله غفور ﴾ يعني لمن تخلف
عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع ﴿ رحيم ﴾ يعني أنه تعالى رحيم بجميع عبادته قال قتادة

بالنار (ليس على الضعفاء)
الهرمي والزمني (ولا على
المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون) هم
الفقراء من مزينة وجهينة
وبني عذرة (حرج) أثم
وعيق في التأخر (اذ انصحوهم
لله ورسوله) بأن آمنوا في
السر والعلن وأطاعوا كما
يفعل الناصح بصاحبه (ما
على المحسنين) المعذورين
الناصحين (من سبيل) أي
لا جناح عليهم ولا طريق
للعتاب عليهم (والله غفور)
يعتذر لهم تخلفهم (رحيم) هم
(ليس على الضعفاء)
من الشيوخ والزمني (ولا على
المرضى) من الشباب (ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون)
في الجهاد (حرج) أثم
بالتخلف (اذ انصحوهم لله)
في الدين (ورسوله) في السنة
(ما على المحسنين) بالقول
والفعل (من سبيل) من
خرج (والله غفور) يتجاوز
لمن تاب (رحيم) لمن مات
على التوبة

(ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) تهطيم ﴿١٧٧﴾ (الحجولة) قلت (سورة براءة) { حال من الكاف في أتوك وقد

قبله منشرة أي إذا ما أتوك
قائلا (لا أجد ما أحلکم
عليه تولوا) هو جواب إذا
(واعينهم تفيض من الدمع)
أي تسيل كقولك تفيض
دمعا وهو أبلغ من تفيض
دمعها لأن العين جعلت كأن
كلها دمع فأنش ومن
ليان كقولك أفديك من
رجل ومحل الجار والمجرور
النصب على التمييز ويجوز
أن يكون قلت لا أجد
استثناء كأنه قيل إذا ما أتوك
لتحملهم تولوا قليل ما لهم
تولوا باكين قليل قلت
لا أجد ما أحلکم عليه لأنه
وسط بين الشرط والجزاء
كالاغتراض (حزنا) مفعول
له (لا يجحدوا ما ينفقون)
للايجحدوا وما ينفقون ومحله
نصب على أنه مفعول له
وناعبه حزنا والمستحملون
أبو موسى الأشعري وأصحابه
أو البكاؤون وهم ستة نفر
من الانصار (انما السبيل
(ولا على الذين إذا ما أتوك
لتحملهم) إلى الجهاد بالنفقة
عبد الله بن مغفل بن يسار المزني
وسالم بن عبيد الانصاري
وأصحابهما (قلت) لهم
(لا أجد ما أحلکم عليه)
إلى الجهاد من النفقة (تولوا)
خرجوا من عندك (أو أعينهم

ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ﴿ عطف على الضمياء أو على المحسنين وهم البكاؤون
سبعة من الانصار مغفل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عبيد وثعلبة بن غنمة
وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج
فأجلنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة نفز معك فقال عليه السلام لا أجد ما أحلکم
عليه تولوا وهم يكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه
﴿ قلت لا أجد ما أحلکم عليه ﴾ حال من الكاف في أتوك يا خنساء قد ﴿ تولوا ﴾
جواب إذا ﴿ واعينهم تفيض ﴾ تسيل ﴿ من الدمع ﴾ أي دمعها فإن من للبيان وهي
مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على أن العين
صارت دمعاً فياضاً ﴿ حزنا ﴾ نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه
ما قبله ﴿ أن لا يجحدوا ﴾ لئلا يجحدوا متعلق بحزنا أو بتفيض ﴿ ما ينفقون ﴾ في
مغازهم ﴿ انما السبيل ﴾ بالمعابة

نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم
وكان شري البصر ﴿ ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المذورين أتبعه
بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك ﴾ يعني ولا حرج ولا اثم
في الخفاف عندك على الذين إذا ما أتوك ﴿ لتحملهم ﴾ يعني يسألونك الحلال لينفقوا إلى
غزو عدوك وخدمهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكاؤون وكانوا سبعة
ونقل الخبر عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستحملونهم فقال لا أجد ما أحلکم عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني
عمرو بن عوف سالم بن عبيد ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار
عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليل ومن بني المعل سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن
ابن زيد وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عذمة وعبد الله
ابن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سمو البكاؤون معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عبيد وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن
مغفل المزني قال أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل
قد نسبنا إلى الخروج معك فأجلنا فقال لا أجد ما أحلکم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن
من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرياض
ابن سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوهم أن يحملهم على الدواب
وقيل بل سألوهم أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا أجد ما أحلکم عليه فولوا وهم يكون ولذلك سمو البكاؤون فذلك قوله
سبحانه وتعالى ﴿ قلت لا أجد ما أحلکم عليه تولوا ﴾ وأعينهم تفيض من الدمع ﴿ قال
صاحب الكشف هو كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت
كأن كلها دمع فأنش ومن لبيان كقولك أفديك من رجل ﴿ حزنا ﴾ لا يجحدوا ما ينفقون ﴿
يعني على أنفسهم في الجهاد ﴿ انما السبيل ﴾ لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من

تفيض) تسيل (من الدمع حزناً لا يجحدوا) (قا و خا ٢٣ ث) بأن لم يجحدوا (ما ينفقون) في الجهاد (انما السبيل) الخرج

﴿ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ﴾ واجدون للآهبة ﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾ استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذروهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايشارا للدعة ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿ فهم لا يعلمون ﴾ مغيبته

سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولاعذرله انما السبيل يعني انما تتوجه الطريق بالعقوبة ﴿ على الذين يستأذنونك ﴾ يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك ﴿ وهم أغنياء ﴾ يعني قادرين على الخروج معك ﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾ يعني رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والعمود معهم ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ يعني ختم عليها ﴿ فهم لا يعلمون ﴾ ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فالنور بالغنية والظفر بالعدو واما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع

على الذين يستأذنونك (في التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بان يكونوا مع الخوالف) أى بالانتظام في جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) فهم لا يعلمون

(على الذين يستأذنونك) بالتخلف (وهم أغنياء) بالمال عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب ابن قشير واصحابهم نحو سبعين رجلا (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء والصبيان (وطبع الله) ختم الله (على قلوبهم) فهم لا يعلمون (امر الله ولا يصدقون

(يعتذرون اليكم) يقيمون

لأنفسهم عذرا باطلا

(أذا رجعت إليهم) من هذه

السفرة (قل لا تعتذروا)

باللذات (إن تؤمن لكم)

إن تصدقكم وهوالة لهم

عن الاعتذار لأن غرض

المعتذر أن يصدق فيما

يعتذره (قد نبأنا الله عن

أخباركم) علة لا تنفاه

تصدقهم لأنه تعالى إذا

أوحى إلى رسوله الأعلام

بأخبارهم وما في ضمايرهم

لم يستقم مع ذلك تصديقهم

في معاذيرهم (وسير الله علمكم

ورسوله) أنبيون أم يثبتون

على كفركم (ثم تردون إلى

عالم الغيب والشهادة)

أي تردون اليد وهو علم كل

سرو علانية (فينبئكم بما

كنتم تعملون) فيجازيكم

على حسب ذلك

(يعتذرون اليكم إذا

رجعتم) من غزوة تبوك

(إليهم) إلى المدينة فأنام

تقدرا أن تخرج معك (ول)

ياخذهم (لا تعتذروا)

بالخلف (إن تؤمن لكم)

إن تصدقكم بما تقولون

من العلى (قد نبأنا الله)

أخبارنا الله (من أخباركم)

من أسراركم ونفاسكم

(وسير الله علمكم ورسوله)

الحزب الحادي عشر

يا أيها المعتذرين قبل اعذارنا

يعتذرون اليكم في الخلف إذا رجعت إليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لأنه إن تؤمن لكم إن تصدقكم لأنه قد نبأنا الله من أخباركم
اعلمنا بلوحى إلى نبيكم بعض أخباركم وهو ما في ضمائرهم من الشر والفساد وسيرى الله
علمكم ورسوله أنبيون عن الكفر أم يثبتون عليه فكان استنبأنا وأمهل لتوبة ثم
تردون إلى عالم الغيب والشهادة أي اليد فوضع الوصف موضع الضمير لأنه لا لالة على
أنه مطلع على سرهم وعانهم لا يفوت عن علم شيء من ضمائرهم وأعمالهم فينبئكم
بما كنتم تعملون بالوحي والعقاب عليه

قوله سبحانه وتعالى يعتذرون اليكم إذا رجعت إليهم يعني يعتذرون هؤلاء
المنافقون المتخلفون عنك يا محمد إليك وإنما ذكره بالفظ الجع تعظيما له صلى الله
عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا لليد وإلى المؤمنين فلهذا قل تعالى يعتذرون اليكم يعني
بالاعذار الباطلة الكاذبة إذا رجعت إليهم يعني من سفرهم قل أي قل لهم يا محمد
لا تعتذروا قل البعوى روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا
بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا إن تؤمن لكم يعني لن تصدقكم فيما
اعتذرتكم به قد نبأنا الله من أخباركم يعني قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم وسيرى
الله علمكم ورسوله يعني في المستأنف أنبيون من نفاقكم أم يقيمون عليه وقل يحتمل
أنهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قل وسير الله علمكم ورسوله هل
تفون بما قسمتم أم لا ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم يعني فيخبركم بما كنتم
تعملون لأنه هو المطلع على ما في ضمائرهم من الخيانة والكذب وإخلاف الوعد قوله

بعد ذلك إن يقيم (ثم تردون) في الآخرة (إلى عالم الغيب) ما غاب عن العباد ويقال الغيب ما لم يعلم العباد (عن)
ويقال ما يكون (والشهادة) ما علمه العباد ويقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير

(سيحافون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لترضوا عنهم) لتتركوهم ولا توبخوهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس)
 تعليل اترك ما تبتم أى ان المعاملة لا تنفع ١٨١ فيهم ولا تصليهم لانهم { سورة براءة } ارجاس لاسيلا الى تطهيرهم

(وماؤاهم جهنم) ومصيرهم
 النار يعنى وكفتهم النار عتابا
 وتوبخا فلا تشكفوا عتابهم
 (جزاء بما كانوا يكسبون)
 أى يجزون جزاء كسبهم
 (يحافون لكم لترضوا عنهم)
 أى عرضهم بالخلف بالله
 طلب رضاكم لينفعهم ذلك
 فى دنياهم (فان ترضوا عنهم
 فان الله لا يرضى عن القوم
 الفاسقين) أى فان رضاكم
 وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله
 ساخطا عليهم وكانوا عرضة
 لعاجل عقوبته وآجلها
 وانما قيل ذلك لئلا يتوه
 ان رضا المؤمنين يقتضى
 رضا الله عنهم (الاعراب)
 أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا)
 من أهل الحضر لحفائهم
 وقسوتهم وبعدهم عن العلم
 والشر (سيحافون بالله)
 عبد الله بن أبى واحسانه
 (لكم اذا انقلبتم) اذارجعتهم
 من غزوة تبوك (اليهم)
 بالمدينة (لترضوا عنهم)
 لتصفحوا عنهم ولا تعاقبوهم
 (فاعرضوا عنهم) ولا
 تعاقبوهم (انهم رجس)
 نجس قدر (وماؤاهم)
 مصيرهم (جهنم جزاء
 بما كانوا يكسبون) يقولون

سيحافون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لترضوا عنهم فلا تعاقبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود مند التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاملة وماؤاهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تشكفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحافون لكم لترضوا عنهم يحلفهم فتستدعوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أى فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاعتذار بما ذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل

عز وجل سيحافون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم يعنى اذارجعتهم من سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين لترضوا عنهم يعنى لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعنى فسدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعنى لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعانى ان هؤلاء المنافقين طردوا اعراض الصنيع فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى انهم رجس يعنى ان بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة وماؤاهم يعنى مسكنهم فى الآخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يعنى من الأعمال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكلموهم ولا تجالسوهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى سلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخاف عنه بعدها وطاب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية والى بعدها يحافون لكم لترضوا عنهم يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم يعنى فان رضيتهم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقاتم عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعنى انه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا وقوله سبحانه وتعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبى فى العرب وجمد العرب ورجل أعربى اذا كان بدوى يطلب مساقط الغيث والكلا ويجمع الاعرابى على الاعراب والاعراب

ويعملون من الشر يحافون لكم لترضوا عنهم بالخلف (فان ترضوا عنهم) بالخلف الكاذب (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)
 المنافقين (الاعراب) أشد كفرا ونفاقا هم أشد على الكفر والنفاق من

والعلماء (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعني حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله عليه السلام إن الجفاء والقسوة في الفدادين يعني الأكره لانهم يقدون أي يصيحون في حروثهم والقديد الصباح (والله عليم) الجزء الحادي عشر { بأحوالهم } ١٨٢ (حكيم) في أمهالهم (ومن الأعراب

من يتخذ ما ينفق) أي يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لأنه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء الثبوتية عنده (ويترصد بكم الدوائر) أي دوائر الزمان وتبطل الاحوال بدور الأيام تذهب غلبتكم غلبة في تخلف من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أي عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين السوء مكي وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة قولك رجل صدق (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليهم) بما يضرهم (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

غيرهم (وأجدر) أخرى أيضا (ألا يعلموا) حدود ما أنزل الله (على رسوله) في الكتاب (والله عليم) بالمتأقنين (حكيم) فيما حكم عليهم بالعقوبة ويقال عليم

العلم وقسلة استقامتهم للكتاب والسنة (وأجدر أن لا يعلموا) وأحق بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) من الشرائع فرائضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل احد من اهل الوبور والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا (ومن الأعراب من يتخذ) يعد (ما ينفق) يصرفه في سبيل الله ويتصدق به (مغرما) غرامة وخسرانا اذا لا يحاسبه قربته عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء أو تقية (ويترصد بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الاتفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بخو ما يترصدونه أو اخبار عن وقوع ما يترصدون عليهم والدائرة في الاصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمي به عقببة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرا أبو عمرو وابن كثير السوء هنا وفي الفتح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عند الاتفاق (عليهم) بما يضرهم (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الأعراب فالاعراب اذا قيل له يا عرابي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا عرابي غضب والعرب أفضل من الأعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الأعراب أشد كفر وانفاقا بعدهم عن مخالسة العلماء وسماع القرآن والسنة والمواظ و هو قوله سبحانه وتعالى (وأجدر) يعني واسطق وأحرى (ألا يعلموا) يعني بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعني الفرائض والسنن والأحكام (والله عليم) يعني بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا أو رياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الأعراب من يعتقده ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين او مراآة لهم ولم يرد بذلك الاتفاق وجه الله وثوابه (ويترصد بكم الدوائر) يعني وينتظر (بكم الدوائر) يعني بالدوائر تقابل الزمان وصروفه التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشقاء قال يمان بن رباب يعني تقابل الزمان فيوت الرسول ويظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعني بل يتقلب عليهم الزمان ويدبر السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) يعني لا قوا لهم (عليهم) يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش واردة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية في اعراب أسد وعطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مكرن من مزينة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال

يجهل من ترك التعلم حكيم حكم ان من لا يتعلم العلم يكون جاهلا (ومن الأعراب) يعني أسد وعطفان (من) (رسول) يتخذ (يحتسب ما ينفق في الجهاد) (مغرما) غرما (ويترصد) ينتظر (بكم الدوائر) الموت والهلاك (عليهم دائرة السوء) منقلبة السوء وعاقبة السوء (والله سميع) لما قالهم (عليهم) بعقوبتهم (ومن الأعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) في السر

ويتخذ ما ينفق (في الجهاد والصدقات) قربات (أسباباً للقربة) (عند الله) وهو مفعول ثانٍ ليتخذ (وصلوات الرسول) أي دعاءه
بسمه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ﴿ ١٨٣ ﴾ بالخير والبركة { سورة براءة } ويستغفر لهم كقوله اللهم

صل على آل أبي أوفى (الأنبا) أن النفقة أو صلوات
الرسول (قربة لهم) قربة
نافع وهذا شهادة من الله
للمتصدق بصحة ما اعتقد
من كون نفقته قربات
وصلوات وتصديق لرجائه
على طريق الاستئناف
مع حرفي التنييه والتحقيق
المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه
وكذلك (سيدخلهم الله في
رحمته) جنته وما في السين
من تحقيق الوعد وما أدل
هذا الكلام على رضا الله
عن المتصدقين وأن الصدقة
منه بمكان إذا خلصت النية
من صاحبها (إن الله غفور)
يستريح المحمل (رحيم)
يقبل جهده المقل
(والسابقون) مبتدأ
(الآه لون) صفة لهم (من
المهاجرين) تبين لهم وهم
الذين صلوا إلى القبليتين أو
الذين شهدوا بدر أو بيعة
الرضوان (والانصار)
والعلائية (ويتخذ ما ينفق
في الجهاد) قربات (عند الله)
قربة إلى الله في الدرجات
(وصلوات الرسول) دعاء
الرسول (الأنبا) يعني
النفقة (قربة لهم) إلى الله
في الدرجات (سيدخلهم

ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ﴿ سبب قربات وهي أن مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف
ليتخذ ﴾ وصلوات الرسول ﴿ وسبب صلواته لأنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو
للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته
لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى لأنه منصب
فله أن يتفضل به على غيره ﴿ إلا أنها قربة لهم ﴾ شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق
لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنييه والحقيقة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش
قربة بضم الراء ﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾ وعدلهم بأحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحقيقه وقوله ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ لتقريره قيل الأولى في اسد وغطفان وبني
تميم والثانية في عبد الله ذي الجهادين وقومه ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين ﴾
هم الذين صلوا إلى القبليتين أو الذين شهدوا بدر أو الذين أسلموا قبل الهجرة
﴿ والانصار ﴾ واهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة واهل بيعة العقبة الثانية

رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت أن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيراً من بني
تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا
قال نعم هم خير من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة
وفي رواية أن الأقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعك سراق الحجيج من
أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت أن كان
أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيراً من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان قال
خابوا وخسروا قال نعم ﴿ ق ﴾ عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها
الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له أما ما نلّم أقبالها لكن الله قالها ﴿ ق ﴾ عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم
وأشجع وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله ﴾ جمع قربة أى يطلب بما ينفق القربة إلى الله تعالى ﴿ وصلوات
الرسول ﴾ يعنى ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على آل أبي أوفى ﴿ إلا أنها قربة لهم ﴾ يحتمل أن يعود الضمير في أنها إلى صلوات
الرسول ويحتمل أن يعود إلى الانفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى
للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة
عند الله لأن الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنييه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق
وهو قوله تعالى أنها قربة لهم ﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾ وهذه النعمة هي النصر
سراهم ﴿ إن الله غفور ﴾ للمؤمنين المنتقين في سبيله ﴿ رحيم ﴾ يعنى بهم حيث وقع
لهذه الطاعة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ﴿

الله في رحمته) في جنته (إن الله غفور) مجاوز (رحيم) لمن تاب (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار) بالآيمان الذين

وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابوزرارة الصعبي بن عميرة وقرى
 اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقناة وابن سيرين وجاعة
 هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة
 الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة
 لانهم حصل لهم السبق بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حيد بن زياد قلت يوما
 لمحمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم
 وارتدت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة في كتابه
 فقلت له في أي موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله ألا تقرأ والسابقون الاولون
 الى آخر الآية فوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في
 قوله والذين اتبعوههم باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوههم في اعمالهم
 الحسنة دون السيئة قال حيد فكأنني لم اقرأ هذه الآية وقد اختلف العلماء في أول الناس
 اسلاما بعد اتفاهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما واول من سلى مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة على بن أبي طالب وهذا قول جابر بن
 عبد الله ثم اختلفوا في سنده وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل أقل من ذلك وقيل
 أكثر وقيل كان بالغوا الصحيح أنه لم يكن بالغ وقت اسلامه وقال بعضهم أو من أسلم بعد خديجة
 أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير
 أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان امتهن
 ابن ابراهيم الحنفلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن
 النساء خديجة ومن الصبيان على بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله تعالى
 عنهم فهؤلاء الاربعة سبقوا الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه
 ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محيا سهلا وكان أنسب قرشي لقريش واعلمها بما كان
 فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومده يأتونه ويألفونه
 لعلمه وحسن حاله فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من فومه فاسلم على يد عثمان بن
 عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله
 فحشاهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يده وصالوا معه فكان هؤلاء نفر الثلاثة
 أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون
 من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى
 وكانوا ستة نفر (٢) أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن
 وجابر بن عبد الله بن رباب ثم اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم
 اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو
 جابر وسعد بن جابر وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سبقوا الانصار ثم بعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة امامهم القرآن قائما على

عطف على المهاجرين أي
 ومن الانصار وهم أهل
 بيعة العقبة الاولى وكانوا
 سبعة نفر وأهل العقبة
 صلوا الى قبلتين وشهدوا
 بدرا

(٢) قوله ستة نفر المعداد هنا
 خمسة والسادس عقبة بن عامر
 كافي المواهب وقوله في الهامش
 سبعة تبع فيه الكشف وهو
 مخالف لما في المواهب وما عدا
 اس

اتبعوهم باحسان)
 من المهاجرين والانصار
 فكانوا سائر الصحابة وقيل
 هم الذين اتبعوهم بالايان
 والطاعة الى يوم القيامة
 والخير (رضى الله عنهم)
 باعمالهم الحسنة (ورضوا
 عنه) بما أفاض عليهم من
 نعمته الدينية والدينية
 (وأعدلهم) عطف على
 رضى (جنات تجري تحتها
 الانهار) من تحتها مكي
 (خالدين فيها أبدا ذلك
 النور العظيم ومن حولكم)
 يعنى حول بلدكم وهى
 المدينة (من الانصار
 منافقون) وهم جهينة
 (والذين اتبعوهم
 باحسان) بأداء الفرائض
 واجتناب المعاصى الى يوم
 القيامة (رضى الله عنهم)
 باحسناتهم (ورضوا عنه)
 بالثواب والكرامة
 (وأعدلهم جنات) بساكنات
 (تجري تحتها) من تحت
 شجرها ومسكنها
 (الانهار) أبحار الماء والخمر
 والعسل واللبن (خالدين
 فيها) مقيمين فى الجنة
 لا يموتون ولا ينجسون منها
 (أبدا ذلك) الرضوان
 والجنان (الفوز العظيم)
 النجاة الوافرة (ومن
 حولكم من الاعراب)
 أسد وعطفان (منافقون

بالرفيع عطفًا على والسابقون ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ اللاحقون بالسابقين
 من الغيبتين أو من اتبعوهم بالايان والطاعة الى يوم القيامة ﴿ رضى الله
 عنهم ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بما أفاض من نعمته الدينية
 والدينية ﴿ وأعدلهم جنات تجري تحتها الانهار ﴾ وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار
 كما هو فى سائر المواضع ﴿ خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ ومن حولكم ﴿ أى ومن
 حول بلدكم يعنى المدينة ﴾ من الاعراب منافقون ﴿ هم جهينة ومنبئة واسلم

يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة
 والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقى اللفظ مجازا
 فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف
 اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا ان الهجرة طاعة عظيمة
 ومربية عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس مفارقة الوطن والعشير وكذلك
 النصر فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك أثنى الله عز وجل عليهم
 ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ قوله
 عز وجل ﴾ والذين اتبعوهم باحسان ﴿ قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى
 السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجمع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل
 المهاجرين والانصار فى الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين
 يذكرون المهاجرين والانصار فيترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق)
 عن عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم
 ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبى سعيد
 الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا وفى رواية أحدكم
 أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدأ أحدكم ولا نصيفه أراد بالقرن فى الحديث الاول أصحابه
 والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا فى مدته من الزمان ف قيل من
 عشرين سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور فى الحديث
 الثانى هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن أحدا عمل مهم ما قدر عليه من اعمال البر
 والانفاق فى سبيل الله ما بلغ هذا القدر السير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم
 أنفقوا وبذلوا الجهد وفى وقت الحاجة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ رضى الله عنهم ورضوا
 عنه ﴿ يعنى رضى الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليه من الثواب وهذا اللفظ
 عام يدخل فيه كل الصحابة ﴿ وأعدلهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك
 الفوز العظيم ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن حولكم من الاعراب منافقون ﴾ ذكر
 جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوى والواحدي وابن الجوزى انهم من اعراب منبئة

وأسلم وأشجع وغفار كانوا { الجزء الحادي عشر } نازلين حولها ١٨٦ (ومن أهل المدينة) عطف على خبر

واشجع وغفار كانوا نازلين حولها * ومن أهل المدينة * عطف على من حولكم
أو خذوا من صفته * مردوا على النفاق * ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقام قوله

أما بن جلا وطلاع الثنايا هـ حتى اضاع العمامة تعرفوني
وعلى الاول صفة للمنافقين فعلى بنها ويند بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان
تميزهم وتمهرهم في النفاق * لا تعلمهم * لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتوقعهم
في تحامي مواقع النفاق عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك * نحن
نعلمهم * ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يتقدروا أن يلبسوا علينا
* سنعذبهم مرتين * بالفضيحة والقتل أو باحدهما وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهك
الابدان * ثم يردون الى عذاب عظيم * الى عذاب النار

وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب
منافقون وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا هؤلاء القبائل ومدحهم
فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون
على القبائل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم هم على الاكثر
والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما
الطبري فانه أطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الآية
من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم
أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي * ومن أهل المدينة * من الاوس والخزرج
منافقون * مردوا على النفاق * فيد تدعيم وتأخير تقديره ومن حولكم من الاعراب
ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مردوا عليه يقال تمرء فلان على ربه
اذا عتاه وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته أي مرن وثبت عليها وأعتاها ولم يتب
منها قال ابن اسحق لجوافيه وابو غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه * لا تعلمهم *
يعني أنهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعتك على الاسرار
* نحن نعلمهم * يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت * سنعذبهم مرتين *
اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر
بدليل قوله * ثم يردون الى عذاب عظيم * وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا
انه سبحانه وتعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة
أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم
خطيبا في يوم جعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فخرج
من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا
القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلم الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال
لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم وقال بجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي
وهذا القول ضعيف لان أحكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم
يسواو عن بجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة مرة الاولى هي

المبتدأ الذي هو من حولكم
والمبتدأ منافقون ويجوز
أن يكون جلة معطوفه على
المبتدأ والخبر اذا قدرت
ومن أهل المدينة قوم
(مردوا على النفاق) أي
تمهروا فيه على أن مردوا
صفة موصوف محذوف
وعلى الوجه الاول لا يخلو
من أن يكون كلاما مبتدأ
أو صفة لمنافقون فصل بينها
وبينه بمعطوف على خبره
ودل على مهارتهم فيه بقوله
(لا تعلمهم) أي يخفون
عليك مع فطنتك وصدق
فراستك ففرط تنوقهم
في تحامي ما يشكك في
أمرهم ثم قال (نحن
نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله
ولا يطالع على سرهم غيره
لانهم يطنون الكفر في
سويداء قلوبهم ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر الخالصين
من المؤمنين (سنعذبهم
مرتين) هما القتل وعذاب
القبر أو الفضيحة وعذاب
القبر أو أخذ الصدقات
من أموالهم ونهك أبدانهم
(ثم يردون الى عذاب
عظيم) أي عذاب النار

ومن أهل المدينة) عبد الله
ابن أبي واصحابه (مردوا)
ثبتوا وجمعوا (على النفاق
لا تعلمهم) لا تعلم نفاقهم
(نحن نعلمهم) نعلم نفاقهم

(سنعذبهم مرتين) مرة عند قبض أرواحهم ومرة في القبور (ثم يردون الى عذاب عظيم) عذاب جهنم (الدبيلة)

(وآخرون) أى قوم
آخرون سوى المذكورين
(اعترفوا بذنوبهم) أى لم
يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة كغيرهم
ولكن اعترفوا على أنفسهم
بانهم بشئ ما فعلوا نادمين
وكانوا عشرة فسبعة منهم
لمباغهم ما نزل في المتخلفين
او ثقلوا أنفسهم على سوارى
المسجد فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل
المسجد فصلى ركعتين وكانت
عادته كلما قدم من سفر
فرآهم موثقين فسأل عنهم
فذكر له انهم أفسهوا أن لا
يحلوا أنفسهم حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الذى يحلهم فقال
وأنا أقسم أن لا أحلهم
حتى أومر فيهم فنزلت
فاطمة فقالت يا رسول الله
هذه أموالنا التى خلفتنا
عك فتصدق بها وطهرنا
فقال ما أمرت أن آخذ
من أموالكم شيئاً فنزل
من أموالهم صدقة

(وآخرون) ومن اهل
المدينة قوم آخرون وديعة
ابن جذام الانصارى وابو
لبابة بن عبد المنذر الانصارى
وأبو ثعلبة (اعترفوا) أقروا
(بذنوبهم) يتخلفهم عن غزوة
تبوك

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة
من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر
له انهم افسهوا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى
الديعة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى
تجهم من صدورهم يعنى تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هى المصائب فى الاموال
والاولاد فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم
فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هى ما يدخل عليهم من غيظ
الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب
الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى
احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه
وتعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعنى عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل ﴿ وآخرون
اعترفوا بذنوبهم ﴾ فيه قولان أحدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا
وحجة هذا القول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله ومن حولكم من الاعراب
منافقون وانطت موهم ويعضده ما نقله الطبرى عن ابن عباس انه قال هم الاعراب
والقول الثانى وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت فى جماعة من المسلمين من اهل المدينة
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون
فى عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه انهم كانوا
خسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال
قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر
وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أنكون من الضلال ومع النساء ورسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد والأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فربطوا أنفسهم فى سوارى المسجد فلما
رجع النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء هؤلاء الذين تخلفوا عنك
فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم رغوا عنى
وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فarsل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا
عك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت
أن آخذ من أموالكم شيئاً فانزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوه نزلت

او امر فيهم فنزلت فاطلمهم ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ خلطوا
العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو
التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كافي قولهم بعث الشاء

هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت
في أبي لبابة حين قال ابني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على
ذلك وربط نفسه بسارية وقل والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت
أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله
هذه الآية فقبل له قديب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو الذي يحلني فجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلده بيده فقال أبو لبابة يا رسول الله
ان من توبتي ان أهجرد ارجلتي التي أصبت فيها الذنب وان أنخاع من مالي كله صدقة الى الله
والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يحزبك الثالث يا أبا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قل خذ من أموالهم
ولم يقل خذ أموالهم لان لفظة من تقتضي التبعض وقال الحسن وقادة هؤلاء سوى
الثلاثة الذين تخافوا وسيأتي خبرهم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا
بذنوبهم قل اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء ومعناه انهم أقرؤا بذنوبهم وفيه
دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعتذار باطله كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا
على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان كانت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم
لا قلت بمجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي
من الذنب والعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿ قوله سبحانه
وتعالى ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب
وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل
العمل الصالح هو خروجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيء هو
تخلفهم عن غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة والسيء
ما كان ضده على هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى وان
كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى
الطبري عن أبي عثمان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون
اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فاخلط
بده قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المخلق فاما قولك خلطته فانما يحسن في الموضع الذي
يخرج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء بالبن
وخلطت الماء والبن فتتوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي وقال اللائق بهذا الموضع الجمع
المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصل معا بقى كل واحد منهما على حاله كما هو

(خلطوا عملا صالحا)
خروج الى الجهاد (وآخر
سيئا) تخلفا عنه أو التوبة
والاثم وهو من قولهم بعث
التساء شاة ودرهم إلى
شاة بدرهم قالوا بمعنى الباء
لان الواو للجمع والياء
اللاصاق فيتناسبان أو
المعنى خلط كل واحد منهما
بالآخر فكل واحد منهما
مخلوط ومخلوط بكقولك
خلطت الماء والبن تريد
خلطت كل واحد منهما
بصاحبه بخلاف قولك
خلطت الماء بالبن لانك
جعلت الماء مخلوطا والبن
مخلوطا به واذا قلته بالواو
فقد جعلت الماء والبن
مخارطين ومخلوطا بهما
كانت قلت خلطت الماء بالبن

(خلطوا عملا صالحا) خرجوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم
مرة (وآخر سيئا) تخلفوا

شاه ردرهما أو للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله
ان يتوب عليهم * ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا
بذنوبهم * ان الله غفور رحيم * يتجاوز عن التائب ويفضل عليه * خذ من
اموالهم صدقة * روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلقتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئاً فنزلت * تطهرهم *
من الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اظهره بمعنى طهره
وتطهرهم بالجزم جواب الامر * وتزكهم بها * وتتمى بها حسناتهم وترفعهم الى
مذهبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية
تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيه تنبيه
على في القول بالمحاطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر أحدهما بالآخر
فليس الا لجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن
كما تقول جمعت زيداً وعمرًا والواو في الآية أحسن من الباء لانه أريد معنى الجمع لاحقيقة الخلط
الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما * وقوله
سبحانه وتعالى عسى الله ان يتوب عليهم * قال ابن عباس وجهور المفسرين عسى من الله
واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني
لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه بعد من الانكسار والاهمال وقيل ان الله سبحانه
وتعالى لا يحب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر
لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى
نيل ما يرجوه مند أقرب لانه ختم الآية بقوله * ان الله غفور رحيم * وهذا يفيد
انجاز الوعد * قوله سبحانه وتعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها *
قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالباقه وصاحبه انطلق ابوالباقه
وصاحبه فأتوا باوالباقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخذوا من اموالنا وتصدق بها عنا وصل
علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ شيئاً منها
حتى أومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد
ابن جبيرة وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع
الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فوجب الله سبحانه وتعالى اخذها
وصار ذلك معتبراً في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول
يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما
تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب
أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب
أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان تكون منتظمة

واللبن بالماء (عسى الله ان
يتوب عليهم ان الله غفور
رحيم) ولم يذكر توبتهم
لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم
وهو دليل على التوبة
(خذ من اموالهم صدقة)
كفارة لذنوبهم وقيل هي
الزكاة (تطهرهم) عن
الذنوب وهو صفة لصدقة
والثناء للخطاب أو اغنية
المؤمنين والتأني في (وتزكهم)
للخطاب لا محالة (بها)
بالصدقة والتركية مبالغة
في التطهير وزيادة فيه
أو بمعنى الانماء والبركة

مرة (عسى الله) وعسى
من الله واجب (ان يتوب
عليهم) ان يتجاوز عنهم
(ان الله غفور) لمن تاب منهم
(رحيم) لمن مات على التوبة
ثم بين للنبي صلى الله عليه وسلم
ما يأخذ من اموالهم لقولهم
خذ من اموالنا نأخذ خلفنا عن
غزوة تبوك لقبل الاموال
فلم يأخذ النبي صلى الله عليه
وسلم حتى بين الله له فقال
(خذ من اموالهم) اموال
المتخلفين (صدقة) ثلثا
(تطهرهم) من الذنوب
(وتزكهم بها) تصلحهم بها

منازل المخلصين ﴿ وصل عليهم ﴾ واعطف عليهم بالدعاء والا ستغفر لهم

متناسبة فلو حملناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزلها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف هو حب المال أمروا باخراج الزكاة التي هي طهارة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلا يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطايا فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أى خذ يا محمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة فيجوز للامام أو نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثانى قوله من أموالهم والفظظة من تقتضى التبعيض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة يفيد العموم فحبب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاذه الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهارة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبى حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعى بأنه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وللماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم باخذها من دنس الآثام القول الثانى أن يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهارة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا اخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكهم بها منقطعاعن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكهم أنت بها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكهم يعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكهم أى تنمى أموالهم ببركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿ وصل عليهم ﴾ يعنى ادع لهم واستغفر لهم لان أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السنة للامام اذا اخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما بقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال

في المال (وصل عليهم)
واعطف عليهم بالدعاء لهم
وترجم والسنة ان يدعو
المصدق لصاحب الصدقة
اذا أخذها

(وصل عليهم) استغفر لهم
وادع لهم

﴿ان صلواتك سكن لهم﴾ تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم ووجهها لعدد المدعو لهم وقرأ حزة والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿والله سميع﴾ باعترافهم ﴿عالم﴾ بنسبهم ﴿ألم يعلموا﴾ الضمير اما المكتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتماد بصدقاتهم أو غيرهم والمراد به التخصيص عليهما ﴿ان الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله

بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأناه أبو أوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجاه في الصحيحين * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ان صلواتك﴾ وقرئ صلواتك على الجمع ﴿سكن لهم﴾ يعني أن دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم ﴿والله سميع﴾ يعني لا قوالهم أولدعائك لهم ﴿عالم﴾ يعني بنيتهم ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ هذه صيغة استفهام الا أن المقصود مند التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصه وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين رعبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فبالهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لافرق بين عن عباده ومن عباده اذ لافرق بين قولك أخذت هذا العلم منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يعني يقبلها ويشب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السائل هو الآخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق ﴿ق﴾ عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمره فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيلة لفظ مسلم * وفي البخاري من تصدق بعدل تمره من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى

(ان صلواتك) اي صلواتك
كوفي غير أبي بكر قيل الصلاة
كثرت من الصلوات لانها للجنس
(سكن لهم) يسكنون اليه
وتطمئن قلوبهم بان الله قد
تاب عليهم (والله سميع)
لدعائك أو سميع لاعتراهم
بذنوبهم ودعائهم (عالم) بما في
ضمايرهم من الندم والغم
لما فرط منهم (ألم يعلموا)
المراد المتوب عليهم أي ألم
يعلموا قبل أن يتاب عليهم
وتقبل صدقاتهم (ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده)
اذا صحت (ويأخذ الصدقات)
ويقبلها اذا صدرت عن
خلوص النية وهو
للتخصيص أي ان ذلك
ليس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما الله هو الذي
يقبل التوبة ويردها
(ان صلواتك) استغفارك
ودعائك (سكن لهم)
طمأنينة لقلوبهم بان تقبل
توبتهم (والله سميع) لمقاتلهم
خزمتنا أموالنا (عالم)
بتوبتهم ونيتهم (ألم يعلموا)
ان الله هو يقبل التوبة عن
عن عباده (من عباده) (ويأخذ
الصدقات) ويقبل الصدقات

فأقصدوه بها ووجهها إليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بعفو الحوبة (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) الجزء الحادى عشر أى فان عملكم لا يخفى ١٩٢ خير كان أو شرا على الله وعباده

﴿ وان الله هو التواب الرحيم ﴾ وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم ﴿ وقل اعملوا ﴾ ما شئتم ﴿ فسيرى الله عملكم ﴾ فانه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ فانه تعالى لا يخفى عنهم كرايم وتبين لكم ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ بالموت ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمجازاة عليه ﴿ وآخرون ﴾ من المتخلفين ﴿ مرجون ﴾ مؤخرون أى موقوف امرهم من أرجاءه اذا اخرته وقرأ نافع وحزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان ﴿ لاسر الله ﴾

يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربها لخدمكم كما يرى أحكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويحقق الله الربوا ويرى الصدقات وقوله من كسب طيب أى حلال وذكر ليمين والكسب فى الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطى لان من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته فى القبول والائابة وقوله فترأى تكبر يقال ربنا شئى ربوا اذا زاد وكبر والفقر بضم الفاء وقبحها لغتان المهورول ما بولد والفصيل ولد الناقة الى أن يفصل عنها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وان الله هو التواب الرحيم ﴿ تأكد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشيرهم بان الله هو التواب الرحيم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء التائبين ﴿ اعملوا ﴾ أى الله بطاعته وأداء فرائضه ﴿ فسيرى الله عملكم ﴾ فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا فى العمل فى المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويحاسبكم عليها ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ أى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا لما رؤيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على اعمالكم وأما رؤيت المؤمنين فيما يقذف الله عز وجل فى قلوبهم من محبة الصالحين وبعض المذنبين ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ أى وسترجعون يوم القيامة الى من علم سرهم وعلايتكم ولا يخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم ﴿ فينبئكم ﴾ أى فيخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أى فى الدنيا من خيرا وشرا فيحاسبكم على اعمالكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وآخرون مرجون ﴿ أى مؤخرون والارجاء التأخير ﴿ لاسر الله ﴾ أى لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المتأفقون وهم الذين سددوا على النفاق واستمروا عليه . والقسم الثانى التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبولابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لاسر الله والفرق بين القسم الثانى والقسم الثالث ان القسم الثانى سارعوا الى التوبة

كرايم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى انه لمايت عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنالا يكلمون ولا يجالسون فإلهم فترلت وقوله تعالى فسيرى الله وعيدهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لاسر الله) غيرهم من مدنى وكوفى غير أى بكر مرجون غيرهم من أرجيته وأرجائه اذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر (وان الله هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (وقل) لهم يا محمد (اعملوا) خيرا بعد التوبة (فسيرى الله عملكم ورسوله) ويرى الله (والمؤمنون) ويرى المؤمنون (وستردون) بعد الموت (الى عالم الغيب) ما غاب عن العباد ويقال

ما يكون (والشهادة) ما علمه العباد ويقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (فقبل الله) (وآخرون) وقوم آخرون من أهل المدينة كعب بن مالك ومرة بن الربيع وهلال أمية (مرجون لاسر الله) موقوفون محبوسون

أمر الله فيهم (أما يعذبهم) أن أصرروا ولم يتوبوا (وأما يتوب عليهم) أن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليم) برجائهم (حكيم) في أراجئهم وأمال لشك وهو راجع إلى العباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السوارى وأظهروا الجزع والغم فلما علموا أن ١٩٣ أحدا لا ينظروا إليهم { سورة براءة } فوضوا أمرهم إلى الله

وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغيروا ومدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم روى أن بنى عمرو ابن عوف لما بنوا مسجدا قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على وقالوا بنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال

في شأنهم ﴿ أما يعذبهم ﴾ ان اصرروا على النفاق ﴿ وأما يتوب عليهم ﴾ ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الأمرين بإرادة الله تعالى ﴿ والله عليم ﴾ باحوالهم ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعل بهم * وقرئ ﴿ والله غفور رحيم ﴾ والمراد بهؤلاء كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ﴾ عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أى وفين وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص * وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ﴿ ضرارا ﴾ مضارة للمؤمنين روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجدا قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاناهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة واليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى تتخذ مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بكالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة ﴿ وكفرا ﴾

فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع وستأتى قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أما يعذبهم ﴾ وأما يتوب عليهم ﴿ يعنى أن أمرهم إلى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم ﴾ والله عليم ﴿ يعنى بما في قلوبهم ﴾ حكيم ﴿ يعنى بما يقضى عليهم ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ﴾

أتى على جناح سفر واذا قد من تبوك (قا و خا ٢٥ لث) ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه أتيان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضرارا) مفعول له وكذا ما بعده أى مضارة لآخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا)

أنفسهم لا أمر الله (أما يعذبهم) بتخلفهم عن غزوة تبوك (وأما يتوب عليهم) بتجاوز عنهم بتخلفهم (والله عليم) بتوبتهم وتخلفهم (حكيم) فيما حكم عليهم (والذين اتخذوا) بنوا (مسجدا) عبد الله بن أبى وجدة بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم نحو سبعة عشر رجلا (ضرارا) مضرة للمؤمنين (وكفرا) في قلوبهم

وتقوية للكفر الذى يضمرونه ﴿ وتفرقا بين المؤمنين ﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء ﴿ وارصادا ﴾ ترقبا ﴿ لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقتلونك الا قتلتك معهم فلم يزل يقتاله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بخنود يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا

نزلت فى جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق ودیعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء جمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيفة أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الازعر ونبيل بن الحرث وبجاذ بن عثمان وبجوز بنوا هذا المسجد ضارا يعنى مضارة للمؤمنين وكفرا يعنى ليكفروا فيد بالله ورسوله ﴿ وتفرقا بين المؤمنين ﴾ لانهم كانوا جميعا يصلون فى مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلى بهم فيه جمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية واننا نحب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أينناكم فصلينا فيه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وارصادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ يعنى انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارسادا يعنى انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ من قبل ﴾ يعنى من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبی صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذى جئت به فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت فى الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم آمين

وتقوية للنفاق (وتفرقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباحاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق

ثباتا على كفرهم يعنى النفاق (وتفرقا بين المؤمنين) لكي يصلى طائفة فى مسجدهم وطائفة فى مسجد الرسول (وارصادا) انتظارا (لمن حارب الله ورسوله) لمن كفر بالله ورسوله (من قبل) من قبلهم أبو عامر الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسقا

على جناح سفر واذ قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت ﴿ وليلحن ان اردنا
الا الحسنى ﴾ ما اردنا ببناءه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر
والتوسعة على المصلين ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ فى حلفهم ﴿ لاتقم فيه ابدا ﴾

(ويلحن) كاذبين
(ان اردنا الا الحسنى)
ما اردنا ببناء هذا المسجد
الا الخصلة الحسنى وهى
الصلاة وذكر الله والتوسعة
على المصلين (والله يشهد
انهم لكاذبون) فى حلفهم
(لاتقم فيه ابدا) للصلاة

(ويلحن ان اردنا) ما اردنا
بناء المسجد (الا الحسنى)
الا الاحسان الى المؤمنين
لكى يصلى فيه من فاته صلاته
فى مسجد قباء (والله يشهد)
يعلم (انهم لكاذبون) فى حلفهم
(لاتقم فيه) لاتصل فى مسجد
الشقاق (ابدا)

وسماء الناس أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي
صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك
الى يوم حنين فلما انهزم هوازن يئس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل
الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وانبوا الى مسجد فاني ذاهب الى قيصر
ملك الروم فأتى بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد
قباة فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعنى انتظار المن حارب الله ورسوله يعنى أبا عامر
الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشام من قبل يعنى ان أبا عامر الفاسق حارب الله
ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار ﴿ وليلحن ﴾ يعنى الذين بنوا المسجد
﴿ ان اردنا ﴾ يعنى ما اردنا ببناءه ﴿ الا الحسنى ﴾ يعنى الا الفعلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين
والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة فى مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ يعنى فى قيلهم وخلفهم روى أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي أوان وهو موضع قريب من المدينة
فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بميصه ليلبسه ويأتهم فأرسل الله هذه الآية
وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن
الدخشم ومعين بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط
مالك بن الدخشم فقال مالك أنظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فأخذ
من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فاحرقوه
وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع
كناسة تلقى فيها الحيف والنين والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غربيا وحيدا
وروى ان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب فى خلافته
فسألوه ان يأذن لجمع بن جارية ان يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ونعمة عين أليس هو
امام مسجد الضرار قال جمع يا أمير المؤمنين لاتجمل على فوالله لقد صليت فيه وأنا لأعلم
ما أضمر وا عليه ولو علمت ماصليت معهم فيه وكنت غلاما قارئاً للقرآن وكانوا شيوخا
لا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب الا أنهم يتقربون الى الله ولم أعلم ما فى أنفسهم فعذره
عمر فصدقه وأمره بالصلاة فى مسجد قباء قال عطاء لما قبح الله على عمر بن الخطاب الامصار
أمر المسلمين ان يبنوا المساجد وأمرهم ان لا يبنوا فى موضع واحد مسجدين يضار
أحدهما الآخر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لاتقم فيه ابدا ﴿ قال ابن عباس معناه
لاتصل فيه ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى مسجد الضرار

للصلاة **مسجد أسس على التقوى** **يعنى** مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه فقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة **من اول يوم** **من** أيام وجوده ومن يوم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر • اقوين من حجج ومن دهر

أحق ان تقوم فيه **اولى بان تصلى فيه** **فيه** رجال يحبون ان يتطهروا **من المعاصى والخصال**

مسجد أسس على التقوى **اللام** فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد
أسس **يعنى** بنى أصله ووضع أساسه على التقوى **يعنى** على تقوى الله عز وجل **من اول يوم**
يعنى من اول يوم بنى ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى **أحق ان تقوم فيه**
يعنى مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو
سعيد الخدرى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم **يعنى** مسجد المدينة ويدل عليه
ماروى عن أبى سعيد الخدرى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت
بعض نسائه فقلت يا رسول الله أى المسجدين أسس على التقوى قال فأخذ كففا من حصى
فضر به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم **(ق)** عن أبى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى
على حوضى **(ق)** عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى
ومنبرى روضة من رياض الجنة **عن أم سلمة** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
قوائم منبرى هذا روايت في الجنة أخرجه النسائي وقوله روايت **يعنى** ثوابت يقال رتب
بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير
وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل على انهم أهل قباء ماروى عن أبى هريرة قال
نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا
يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه ابو داود والترمذى وقل حديث غريب
هكذا ذكره صاحب جامع الاصول برواية ابى داود والترمذى موقوفا على ابى هريرة
ورواه البغوى من طريق ابى داود مرفوعا عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال
كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذا لا يتوعدا يدل على فضل مسجد قباء ماروى عن ابن عمر
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكبا وما شيا زاد في رواية فيصلى فيه
ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وما شيا
وكان ابن عمر يفعله أخرجه الرواية الاولى والزيادة البخارى ومسلم وأخرج الرواية الثانية
البخارى عن سهل بن خنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد
مسجد قباء فيصلى فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن اسد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى **فيه** رجال
يحبون ان يتطهروا **يعنى** من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين
قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبرى بسنده

(المسجد أسس على التقوى)
اللام الابتداء وأسس
نمت له وهو مسجد قباء
أسسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصلى فيه أيام
مقامه بقباء وهى يوم
الاثنين والثلاثاء والاربعاء
والخمس وخرج يوم الجمعة
أو مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمدينة
(من اول يوم) من أيام
وجوده قيل القياس فيه
مذلا لانه لا ابتداء الغاية
في الزمان ومن لا ابتداء
انغاية في المكان والجواب
ان من عام في الزمان
والمكان (أحق أن تقوم
فيه) مصليا (فيه) رجال
يحبون أن يتطهروا

مسجد) وهو مسجد قباء (أسس
على التقوى) بنى على طاعة
الله وذكره (من اول يوم)
دخل النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة ويقال اول
مسجد بنى بالمدينة (أحق)
أصوب (ان تقوم) تصلى
(فيه) في مسجد قباء (فيه)
رجال يحبون ان يتطهروا
ان يغسلوا ادبارهم بالماء

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقالوا مؤمنون انتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم ﴿١٩٧﴾ قال أتصبرون على البلاء {سورة براءة} قالوا نعم قال أتشكرون

في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون انتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فيما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الا حجار الثلاثة ثم نتبع الا حجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص الحب للشئ ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أفمن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه

(والله يحب المطهرين)

المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ﴿والله يحب المطهرين﴾ يرضى عنهم ويدنيه من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام مؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا فقال نعم عليه الصلاة والسلام انتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فيما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الا حجار الثلاثة ثم نتبع الا حجار الماء فتلا فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ ببيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان خير﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾

عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني اسمع الله عز وجل قد أثنى عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا الا أن جيراننا من اليهود رأيناهم يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أثنى عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا اننا نفصل عنا أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بعصارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء ﴿والله يحب المطهرين﴾ فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباقي لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ الشفا هو

بالماء من الانسان (أفمن أسس بنيانه) بني اساسه (على تقوى من الله) على طاعة الله وذكره (ورضوان) بنوا ارادة رضوان ربهم وهو مسجد قباء (خير أم من أسس بنيانه) بني اساسه وهو مسجد الشقاق (على شفا جرف) على طرف هوى وليس له أصل (هار) غار

لوضوحه والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثياب والاستسك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجاز الجزء الحادى عشر { عايناه فى التقوى } ١٩٨ والشفاء الجرف والشفير وجرف الوادى

على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها ﴿ فانهار به فى نار جهنم ﴾ فأدى به لخوره وقلة استسكاه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهار به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته الى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة . وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول . وقرأى اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثها جمع اس وتقوى بالتثنية على ان الالف للحاق لا للتأنيث ككترى . وقرأ ابن عامر وحزة وابو بكر جرف بالتخفيف ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم ﴿ لا يزال بنيانهم الذى بنوا ﴾ بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ﴿ ربة ﴾

الشفير وشفاء كل شئ حرفه ومنه يقال أشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذى أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيخفر بالماء فيبقى واهيا هار أى هائر وهو ساقط فهو من هار هور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذى تداعى بعضه فى أثر بعض كإيهار الرمل والشئ الرخو ﴿ فانهار به ﴾ يعنى سقط بالبانى ﴿ فى نار جهنم ﴾ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴿ والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فهو باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد بقاء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط فى نار جهنم ولان البانى الاول قصد بنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والبانى الثانى قصد بنيانه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ماتناهم بناؤهم حتى وقع فى النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرأى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ﴿ لا يزال بنيانهم الذى بنوا ﴾ ربة ﴿

جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهائر الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفد ليس بالف فاعل انما هي عينه واصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفن أسس بنيانه من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وحزة ويحي هار بالامالة أبو عمرو وحزة فى رواية ويحي ﴿ فانهار به فى نار جهنم ﴾ فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجئى بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو فى قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار

(والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ربة) (يعنى)

(فانهار به) فعار به يعنى بانيد (فى نار جهنم) والله لا يهدى القوم الظالمين (لا يغفر للمنافقين ولا يجهم) (لا يزال بنيانهم) بعد ما هدمت (الذى بنوا ربة)

في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظمهم من ذلك وعظم عليهم (الا ان تقطع قلوبهم) شامى وحزة وحفص أى تقطع ﴿١٩٩﴾ غيرهم تقطع ﴿سورة براءة﴾ أى الا ان تقطع قلوبهم قطعا

وتفرق أجزاء فحينئذ يسئلون عنه وأما مادامت سالمة مجمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصوير الحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار أو معناه الا أن يتوبوا توبة

تقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفریطهم (والله عليم) بعزائمهم (حكيم) في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل الله اثابهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن الحسن

حسرة ندامة (في قلوبهم) الا ان تقطع قلوبهم (الا ان يموتوا) (والله عليم) بنيانهم مسجد الضرار وبنيانهم (حكيم) فيما حكم من هدم مسجدهم وحرقة بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من غزوة تبوك عامر بن قيس ووحشبا مولى مطعم بن عدى حتى أحرقاه وهدماه (ان الله

في قلوبهم) أى شكوا ونفاقا والمعنى ان بنيانهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزائد نفاقهم فانه حلهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزال وسمه عن قلوبهم ﴿الا ان تقطع قلوبهم﴾ قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تقطع وهو قراءة ابن عامر وحزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب ولو قطعت وقطعت على البناء للفا عل أو المفمول ﴿والله عليم﴾ بنيانهم ﴿حكيم﴾ فيما امر بهدم بنيانهم ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ تمثيل

يعنى شكاً ونفاقاً ﴿في قلوبهم﴾ والمعنى ان ذلك البنيان صار سبباً لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بنائه كما حبيب الجمل الى بنى اسرائيل فلما أمر رسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لأى سبب أمر بتخريبه وقال السدى لا يزال هدم بنيانهم ريبة أى حرارة وغيظا في قلوبهم ﴿الا أن تقطع قلوبهم﴾ أى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى أن يموتوا عليها ﴿والله عليم﴾ يعنى باحوالهم وأحوال جميع عبادهم ﴿حكيم﴾ يعنى فيما حكم به عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿الآية﴾ قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فالتنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيأ هوله في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء بما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع

اشترى من المؤمنين (المخلصين) أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة (بالجنة

أنفسا هو خلقها وأموالها ورزقها ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله مريح
لأنفيله ولا نستقيه فخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أى تارة يقتلون
العدو وطورا يقتلهم { الجزء الحادى عشر } العدو فيقتلون ٢٠٠ ويقتلون حزة وعلى (وعدا عليه)

مصدر أى وعدهم بذلك
وعدا (حقا) صفته أخبر
بان هذا الوعد الذى وعده
للمجاهدين في سبيله وعد
ثابت قد أثبتته (في التوراة
والانجيل والقرآن) وهو
دليل على ان اهل كل ملة
أمروا بالقتال ووعدوا عليه
ثم قال (ومن أوفى بعهده
من الله) لان اخلاف الميعاد
قبح لا يقدم عليه الكريم
منافكيف باكرم الاكرمين
ولا ترى ترغيبا في الجهاد
أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا
بيدكم الذى بايعتم به)
فأفرحوا به غاية الفرح
فانكم تبعون فانيا بابق
(وذلك هو الفوز العظيم)
قال الصادق ليس لابدانكم
ثمن الا الجنة فلا تتبعوها الا
بها (التائبون) رفع على المدح
أى هم التائبون يعنى
المؤمنين المذكورين او هو

(يقاتلون في سبيل الله)
في طاعة الله (فيقتلون)
العدو (ويقتلون) ويقتلهم
العدو (وعدا عليه)
على الله (حقا) واجبا
ان يؤمنهم (في التوراة

لا ثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله (يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون) استئناف ببيان ما لاجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الامر
وقرأ حزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب
وان فعل البعض قد يسند الى الكل (وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه
الشراء فانه في معنى الوعد (في التوراة والانجيل والقرآن) مذكور فيهما كما
اثبت في القرآن (ومن أوفى بعهده من الله) مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا
(فاستبشروا بيدكم الذى بايعتم به) فأفرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم
عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح أى هم
التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى
أو خبره ما بعده أى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال

وجوه البر والطاعة (يقاتلون في سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر
قاتلوا في سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعنى فيقتلون أعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله
(وعدا عليه حقا) يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعد على الله حقا (في التوراة والانجيل
والقرآن) يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أثبتته في التوراة
والانجيل كما أثبتته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع
ومكتوب على جميع اهل الملل (ومن أوفى بعهده من الله) يعنى لأحد أوفى بالعهده من الله
فاستبشروا (بيدكم الذى بايعتم به) يعنى فاستبشروا واية المؤمنين بهذا البيع الذى
بايعتم الله به (وذلك) يعنى هذا البيع (هو الفوز العظيم) لان رايح في الآخرة
قال عرين الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة
ربحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة
بعضها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم (قوله سبحانه وتعالى) التائبون (قال الفراء
استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج
التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمير والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان
لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة
جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا الاول كان الوعد بالجنة
خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين
المذكورين في قوله ان الله اشترى (وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا
من الشرك وبرؤ امن النفاق وقبل التائبون من كل معصية فيدخل التوبة من الكفر والنفاق فيه

والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) ومن أفر بوفاء عهده من الله (فاستبشروا بيدكم الذى (وقيل)
بايعتم به) الله يعنى الجنة (وذلك هو الفوز العظيم) النجا الوافر ثم بين من هم فقال (التائبون) أى هم التائبون من الذنوب

مبتدأ خبره (العابدون)

أى الذين عبدوا الله وحده
وأخلصوا له العبادة وما بعده
خبر بعد خبر أى النابون
من الكفر على الحقيقة
الجامعون لهذه الخصال
وعن الحسن هم الذين تابوا
من الشرك وتبرؤا من
النفاق (الحامدون) على

نعمه الاسلام (السائحون)
السائحون لقوله عليه السلام
سياحة أمى الصيام أو طلبه
العلم لانهم يسبحون في
الارض يطبونه في مظانه
أو السائحون في الارض
للاعتبار (الراكعون)
الساجدون (المحافظون
على صلوات) (الآمرون
بالمعروف) بالايان
والمعرفة والطاعة
(والناهون عن المنكر)
عن الشرك والمعاصي
ودخلت الواو للاشعار
بان السبعة عقد تام وللتضاد
بين الامر والنهي كافي قوله

(العابدون) المطيعون
(الحامدون) الشاكرون
(السائحون) الصائمون
(الراكعون) الساجدون
في الصلوات الخمس
(الآمرون المعروف)
بالتوحيد والاحسان
(والناهون عن المنكر)
عن الكفر ومالا يعرف
في شريعة ولا سنة

وقرى بالياء نصباً على المدح أو جراً صفة للمؤمنين ﴿ العابدون ﴾ الذين
عبدوا الله مخلصين له ﴿ الحامدون ﴾ لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء
﴿ السائحون ﴾ الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة أمى الصوم شبه بها
من حيث انه يعوق عن الشهوات أو لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع
على خفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم ﴿ الراكعون ﴾
الساجدون ﴿ في الصلاة ﴾ الآمرون بالمعروف ﴿ بالايان والطاعة ﴾ والناهون
عن المنكر ﴿ عن الشرك والمعاصي والعاطف فيدل الدلالة على انه بما عطف عليه من حكم
خسلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى

وقيل النابون من جميع المعاصي لان لفظ النابين لفظاً عاماً فيتناول الكل واعلم أن التوبة
المقبولة انما تحصل بامور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم
على فعلها فيامضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على
التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع
مذمتهم فليس بمخلص في توبته ﴿ العابدون ﴾ يعنى المطيعين لله الذين يرون عبادة الله
واجبة عليهم وقيل هم الذين أنابوا للعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وعلى أن تكون
العبادة خالصة لله تعالى ﴿ الحامدون ﴾ يعنى الذين يحمدون الله تعالى على كل حال
في السراء والضراء * روى البغوى بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء
وقيل هم الذين يحمدون الله ويقدمون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى
﴿ السائحون ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة
انما سمي الصائم سائحاً لتركه اللذات كلها من المنعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى
قيل للصائم سائح لان الذى يسبح في الارض متعبداً لازادته فكان ممسكاً عن الاكل وكذلك
الصائم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استقرار الذهاب في الارض كالماء الذى يسبح
والصائم مستقر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون
في سبيل الله ويدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ائتنى في السياحة
فقال ان سياحة أمى الجهاد في سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة
السائحون هم طلبه العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة أثر
عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لابد أن يلقى أنواعاً من الضر والبؤس
ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عابداً من
بركتهم وبرى الجباب وأثار قدرة الله تعالى فيستفكر في ذلك فيدله على وحدانية الله
سبحانه وتعالى وعظيم قدرته ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ يعنى المصلين وانما عبر عن الصلاة
بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبما يقين المصلى من غير المصلى بخلاف حالة
القيام والقعود لانهما حالة المصلى وغيره ﴿ الآمرون بالمعروف ﴾ يعنى يأمرين الناس
بالايان بالله وحده ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ يعنى عن الشرك بالله وقبل انهم يأمرون

والحافظون لحدود الله ﴿ أى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله فصل الفضائل وهذا مجملها وقبل ان هذا الايدان بأن التعداد قد تم بال سبع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجعل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عند فترات وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبره ثم قال مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر اى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين ﴿ ولو كانوا اولى قربى

ثبات وأبكارا (والحافظون لحدود الله) أو امره ونواهيد أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام ان يستغفر لابي طالب فنزل (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى) أى ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته

الناس بالحق فى أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنده وأنهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن أمانهم لم يأمرسوا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وفتح أبوابها وقيل فيه وجد آخروها وان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون يعنى هم الامررون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون يعنى هم الامررون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ قال ابن عباس يعنى القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون لفرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيأ من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عند ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى بشرى محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بان له الجنة وان لم يغز ﴿ قوله عز وجل ﴾ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى ﴿ الآية واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزات فى شأن أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد على وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب ابن حزن قال لما حضرت أباطالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أباجهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لاله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال أبوجهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب

(والحافظون لحدود الله) لفرائض الله (وبشر المؤمنين) بالجنة (ما كان للنبي) ما جاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان يستغفروا) ان يدعو للمشركين لو كانوا اولى قربى (فى الرحم

آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبي ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي وأنزل الله في أبي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء أخر جاء في الصحيحين * فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا * قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فنفع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فأبى فانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لا قررت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن ابن سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعمه تنفذه شفاعتي يوم القيامة فيمجعل في ضمضاح من نار يبلغ كعبيه تغلي مندأمة دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضمضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك ويحصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضمضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنه فوقف حتى حبت الشمس رجاء ان بأذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبره أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فما رؤى باكي أكثر من يومئذ وحكي ابن الجوزي عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكك قال مسرت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سارا لاهنية حتى قامت الناقة لتقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لي

من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿١﴾ بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر فقال ﴿٢﴾ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴿٣﴾ وعدها إبراهيم إياه بقوله لا أستغفرن لك أبى لأطأبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله وبطل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها إبراهيم أبوه وهو الوعد بالإيمان ﴿٤﴾ فلما تبين له أنه عدو لله ﴿٥﴾ بأن مات على الكفر وأوحى فيه بأنه لن يؤمن ﴿٦﴾ تبرأ منه ﴿٧﴾ فزوروا القبور فأنزلهم من أكنان الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا أستغفرن لآبى كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله إن من آباءنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام وينك العاني ويوفى بالدم أفلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لا أستغفرن لآبى كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله إبراهيم فقال تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلاً يستغفر لأبيه وهما مشركان فقالت له أتعرف إبراهيم لأبيك وهما مشركان فقال استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فأنزل الله عز وجل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يغفره فنفى الله عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قرى لأن النبي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ﴿٨﴾ ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى ﴿٩﴾ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿١٠﴾ يعني تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضاً فقد قال تبارك وتعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يغفر وعده ﴿١١﴾ أما قوله سبحانه وتعالى ﴿١٢﴾ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴿١٣﴾ فمناه وما كان طاب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء إسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبراً عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ربى سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان فقالت أتعرف إبراهيم لأبيك وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله الاقوال إبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك يعني أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لأنه إنما استغفر لأبيه وهو مشرك لمكان الموعد الذي وعده أن يسلم ﴿١٤﴾ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴿١٥﴾

(من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر إبراهيم فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أى وعد أبوه إياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لا أستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الإسلام الذى به يغفر له (فلما تبين) من جهة الوحى (له) لإبراهيم (أنه) أن أباه (عدو لله) بأن يموت كافراً وانقطع رجاءه عند (تبرأ منه) وقطعه استغفاره (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أى الترابى ماتوا على الكفر (وما كان استغفار إبراهيم) أى دله إبراهيم (لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله) أى حين مات على الكفر (تبرأ منه) ومن دينه

قطع استغفاره ﴿ ان ابراهيم لأواه ﴾ لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترجمه ورقة قلبه ﴿ حلیم ﴾ صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفاره مع

فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من أبيد وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم أن يسلم فقال ابراهيم سأستغفرك ربى يعنى اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفرك ربى ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباء بالباء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعنى فلما ظهر لابراهيم وبأنه ان أباه عدو لله يعنى بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان أباه عدوله فتبرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى

ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة فيقول ابراهيم ألم أقل لك لا تعصنى فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى فيقول الله تبارك وتعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ماتحت رجلك فينظر فاذا هو بذئج متطلع فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخارى زاد غيره فتبرأ منه والقاترة غبرة يعلوها سواد والذئج بذال معجمة ثم ياء مشناة من تحت ثم خاء معجمة هو ذكر الغناباع والانشى ذئجة ﴿ وقوله تبارك وتعالى ﴾ ان ابراهيم لأواه حلیم ﴿

جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه رحيم بعبد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذى يكثر

التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل ان لا ينفع أوه وقال عقبه بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعند انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شققا وفرقا المتضرع انقانا ولزوما لاطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبى عبيدة جميع ما قيل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس السعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحلیم فعناه ظاهر وهو الصفوح عن سب أو آتاء بمكروه ثم يقابله بالاحسان والالطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لئن لم تنته لأرجنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفرك ربى وقال ابن عباس الحلیم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليين

(ان ابراهيم لأواه) هو المتأوه شققا وفرقا ومعناه انه لفرط ترجمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حلیم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه كان يستغفر لابيده هو يقول لارجنك

(ان ابراهيم لأواه) دعاء ويقال رحيم ويقال سيد ويقال كان يتأوه على نفسه فيقول أوه من النار قبل دخول النار (حلیم) عن الجهل

(و ما كان الله ليضل
أى ما أمر الله بالتقائه
واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغيره مما نهى
عنه وبين انه محظور لا يؤخذ
به عباده الذين هدهم
للاسلام ولا يخذلهم الا اذا
قدموا عليه بعد بيان
خطره وعلهم بانه واجب
الاجتناب واما قبل العلم
والبيان فلا وهذا بيان
لعذر من خاف المؤاخذه
بالاستغفار للمشركين
والمراد بما يتقون ما يجب
التقائه للنبى فاما ما علم
بالعقل فغير موقوف على
التوقيف (ان الله بكل شئ
عليم ان الله له ملك السموات
والارض يحيى ويميت وما
لكم من دون الله من ولى ولا
نصير

(وما كان الله ليضل قوما)
ليترك قوما بمنزلة الضلال
ويقال ليضل عمل قوم
(بعد اذهداهم) للايمان
(حتى بين لهم ما يتقون)
المنسوخ بالناسخ (ان الله
بكل شئ) من المنسوخ
والناسخ (عليم ان الله له ملك
السموات) خزائن
السموات الشمس والقمر
والنجوم وغير ذلك
(والارض) وخزائن
الارض مثل الشجر
والدواب والحيوان والبحار
وغیر ذلك (يحيى) نابض

شكاسته عليه ﴿ وما كان الله ليضل قوما ﴾ أى ليسيم ضاللا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
﴿ بعد اذهداهم ﴾ الاسلام ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ حتى بين لهم خطره ايجب
التقائه وكان بيان عذر للرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل
المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة
دليل على ان الغافل غير مكلف ﴿ ان الله بكل شئ ﴾ عليم ﴿ فيعلم امرهم في الخالتين ﴾
﴿ ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى
ولا نصير ﴾ لما منهم عن الاستغفار للمشركين لو كانوا اولى قربى وتضمن ذلك
وجوب التبرى عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب
عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا

سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبعد لما ظهر له اصراره
على الكفر فاقتدوا به أنتم في هذه الحالة أيضا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وما كان
الله ليضل قوما بعد اذهداهم ﴾ يعنى وما كان الله ليضل عليكم بالضللال بسبب
استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله
وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع
خافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ يعنى
ما يأتون وما يندرون وهو أن يقدم اليهم النهى عن ذلك الفعل فاما قبل النهى فلا
خرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى عن الاستغفار
للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك
فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤاخذهم بعمل الابدان أن بين لهم ما يجب
عليهم أن يتقوه ويتركوه وقل سبحانه بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين
خاصة وبما لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليغضب قوما حتى
يبين لهم ما يأتون وما يندرون وقل مقاتل والكلبي هذا في أمر المنسوخ وذلك ان قوما
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا قبل تحريم الخمر وصرفت القبلة الى
الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى
الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت
والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره
فتحن على ضلال فانزل الله عز وجل ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم ﴾ يعنى
وما كان الله ليضل عمل قوم قد علموا بالمنسوخ حتى بين الناسخ ﴿ ان الله بكل شئ ﴾
عليم ﴿ يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عندما نهاكم عن
الاستغفار للمشركين ويعلم ما بين لكم من أوامره ونواهيه ﴿ ان الله له ملك السموات
والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها
عبده ومملكه يحكم فيهم بما يشاء ﴿ يحيى ويميت ﴾ يعنى انه تعالى يحيى من يشاء
على الايمان ويميت عليه ويميت عن الكفر ويميت عليه لا اعتراض لاحد عليه
في حكمه وعبيده ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ يعنى انه تعالى هو ولىكم

لقد تاب الله على النبي)

أي تاب عليه باذنه للمنافقين في التخليف عند كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيد بعث لأمؤمنين على التوبة وأنه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعمله في معنى الزمان المطابق وكانوا في عسرة من الظهور يعتقب العسرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم القمرة اثنان ورباعها الجماعة ليشرّبوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا كرشها وشرّبوه وفي شدة زمان من جارة القيظ ومن الجذب والقحط

(لقد تاب الله على النبي)

تجاوز الله عن النبي (والمهاجرين والانصار) الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا ثم بينهم فقال (الذين اتبعوه) اتبعوا النبي في غزوة تبوك (في ساعة العسرة) في حين

معداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون وينزرون سواه ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴾ من اذن المنافقين في التخليف أو برأهم عن علة الذنوب كقوله يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى مامن احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ مامن احد الاوله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واطهار لفضائلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده ﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهور تعتقب العسرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا

وناصرهم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصرهم عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴿ الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخليف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لأنه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان الله خسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشریف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان الله خسه وللرسول فهو تشریف له وأما معنى توبته الله على المهاجرين والانصار فلاجل ماوقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لأنها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتأب الله عليهم وعفا عنهم ماوقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغار واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحمّلوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحمّلوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تبيينا على عظم مصائبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ في تلك غزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا مابين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل ﴿ في ساعة العسرة ﴾ يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهور والزاد والماء قال الحسن كان عشرة منهم يخرجون على بعير واحد

العسرة والشدة وكانت لهم عسرة من الزاد وعسرة من الظهور وعسرة من الحرو وعسرة من بعد الطريق

يقتسمان ثمرة والماء حتى شربوا اللفظ ﴿ من بعد ما كاد تزيع قلوب فريق منهم ﴾
عن الثبات على الايمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد
عليه الضمير في منهم وقرأ جزء و حفص يزيع بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى
وقرى من بعد ما زاعت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ تكرير
للتأكيد وتنبه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة أو المراد انه تاب
عليهم لكي يودتهم ﴿ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة ﴾ وتاب على الثلاثة كعب بن
مالك وهلال بن أمية ومسرة بن الربيع ﴿ الذين خلفوا ﴾ تخلفوا عن الغزو أو خلف
امرهم فانهم المارجون

يعتقون انهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القرامسوس
والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وماءهم الا القمرا اليسيرة بينهم فاذابغ الجوع من
أحدهم أخذ القمرة فلا كها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب
عليها جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من القمرة الا النواة
فمنسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم و يقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش
شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلقم الماء فلا يرجع حتى يظن
ان رقبتة ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء
خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى ارسل الله
سحابة فطمرت فلو امامهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر أسنده
الطبري عن عمر ؓ قوله عز وجل ﴿ من بعد ما كاد تزيع قلوب فريق منهم ﴾ يعنى من بعد
ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالهم والزيع في اللغة
الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالهم لكنهم
صبروا واحتسبوا واندما على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال تعالى ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ يعنى
انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فزرعهم الانابة والتوبة * فازاقت قد ذكر
التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فافادة التكرار انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر
الذنوب تفضلا منه وتطبيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردف بذكر التوبة مرة
أخرى تعظيما لشأنهم ولعلموا أنه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أنبع بقوله
﴿ انه بهم رؤف رحيم ﴾ تأكيد لذلك ومعنى الرؤف في صفته الله تعالى انه الرفيق بعباده
لانهم يحسبهم مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا
في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرؤفة تكون
مع الكراهة قوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ هذا معطوف على ما قبله
تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا
الطعن بان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومسرة بن الربيع وكلهم من الانصار

(من بعد ما كاد تزيع قلوب
فريق منهم) عن الثبات
على الايمان أو عن اتباع
الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير
الشأن والجملة بعده في موضع

النصب وهو كقولهم ليس
خلق الله مثله أى ليس شأن
خلق الله مثله يزيع جزء
وحفص (ثم تاب عليهم)
تكرير لتوكيد (انه بهم
رؤف رحيم وعلى الثلاثة)
أى وتاب على الثلاثة وهم
كعب بن مالك ومسرة بن
الربيع وهلال بن أمية
وهو عطف على النبي
(الذين خلفوا) عن الغزو

(من بعد ما كان يزيع)
يعل (قلوب فريق منهم)
من المؤمنين المخلصين
عن الخروج مع النبي
صلى الله عليه وسلم (ثم تاب
عليهم) تجاوز عنهم وثبت
قلوبهم حتى خرجوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم
(انه بهم رؤف رحيم) على
الثلاثة الذين خلفوا)
وتجاوز عن الثلاثة الذين
خلف توبتهم كعب بن مالك
واحداه

وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك أنهم لم يخضعوا لخاضع أبو لبابة وأصحابه فتاب الله على أبي لبابة وأصحابه وآخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب وكان قائد كعب بن نضلة حين عي قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أنخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاه قط الا في غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير معاهد لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثنا على الاسلام وما أحب أن لي بهامشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها إني كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جئت قبلها رحلتين قط حتى جمعنا في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجاء للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقتل رجل يريد أن يتغيب الاظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا إليها أصعب فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معدة فطقت أعذولكي أنجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فاقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم ينزل ذلك فمادى بي حتى استقر بالناس الجدف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معدون أفن من جهازى شيئا ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم ينزل ذلك فمادى بي حتى أمر عوا وتشارط الغزو فهمت أن أرتحل نادركم فيا ليتني فعلت ثم لم تقدر لي ذلك فطغقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لأأرى إلى أسوة الأرجل مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذر الله من النعماء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ بن جبل بلئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خير أفسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما هو كذلك رأي رجلا مبيضا يزول به المراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بئى فطفقت أنذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا واستغنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادم ازاح عنى الباطل حتى عرفت انى لن أنجومنه بشئ أبدا فاجعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادم ما كان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم على نيهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرأثرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المفضب ثم قال لى تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابعت ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيدى لارجو فيه عفى الله وفى رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فىك فقمتم وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك أذبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لى هذا أخدمى قالوا نعم لقيدهم معك رجلان قال امثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا امرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا ففيهما أسوة قال فضيت حين ذكر وهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عند قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فهاهى بالارض التى عرف فلبننا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحبائى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظرت الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم انى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عينائى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الى حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً

فقرأته فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضية فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء فقيمت بها التنوير فسجرتة حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك قال فقلت أطلعها أم ماذا أفعل قال لا بل اعزلها ولا تقربها قال وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحق باهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك فقالت إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لأستأذن فيه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فأكمل لنا خسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فيدنا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت على نفسي وضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج قال وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقاني الناس فوجا فوجا ينهوني بالتوبة ويقولون إيهك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أأمن عندك يا رسول الله أأمن عند الله فقال لا بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم إذا سراسنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخير قال وقلت يا رسول الله إن الله إنما أنجانى بالصدق وإن من توبتي أن لأحدث الأصدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث

منذ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله ووالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانسار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدى الى الاسلام اعظم فى نفسه من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قل للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيجلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جبهتهم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أو تلك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قل الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخلفه ايانا وارجأه أمرنا عن حلفه واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية روى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم يند عن كلام أحد من المخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يصلى على قل وأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة نائمة فى شأى معينة بأمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم اليوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخارى ومسلم

شرح غريب هذا الحديث

قوله حديث تواترنا على الاسلام التواتر تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل أو التافئة القويان على الحبل والسفرة وقوله ورى بغير هاء يقال ورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفارقة البرية الفقراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها وقوله فجلا هو بالخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافرين قوله فانا اليها أصعر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل وقوله وتشارط الغزو أى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموض المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر فى عطفه اذا كان محببا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعدو السراب

﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ أى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور ﴿ وظنوا ﴾ وعلموا ﴿ أن لا ملجأ من الله ﴾ من سخطه ﴿ الا اليه ﴾ الا الى استغفاره ﴿ ثم تاب عليهم ﴾

هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الياء لا بس البياض. قوله كن أباً خيثة معناه أنت أبو خيثة وقيل معناه اللهم اجعله أباً خيثة أى لتوجد يا هذا الشخص أباً خيثة حقيقة قوله الذى لمزه المنافقون يعنى عبوه واحتقروه والتأمل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرنى بنى اثبث أشد الحزن كأنه لشدة يظهر قوله زاح عنى الباطل أى زال وذهب عنى وأجمت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدلاً أى فصاحة وقوة في الكلام بحيث أخرج عن عهدة ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح المضاد هو الغضبانه قوله فما زالوا يئبوني أى يلووننى أشد اللوم. قوله حتى تنكرت لى في نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض وتوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها. وقوله فلما صاحبى فاستكانا يعنى خضعنا وسكننا قوله تسورت حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح. قوله فقيمت بها التنور فسجرت به أى فقصدت بالحييفة التى أرسل بها ملك غسان فاحرقها في التنور وسمع جبل بالمدينة معروف. وقوله وانطلقت أنا ثم يعنى أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور. قوله انخلع من مالى أى اخرج منه جميعه وأنصديق به كما يخلع الانسان قميصه. قوله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله في صادق الحديث أحسن مما أبلانى البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا اطلق كان في الشر غالباً فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلانى أى أنعم على. قوله أن لا كون كذبه هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظ لا زائدة ومعناه أن كون كذبه. وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه أمرنا تأخيره. وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس أى يظؤكم ويزدحجون عليكم وأصل الوطء الكسر. وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل. وقوله وآذن بتوبة الله علينا أى اعلم والاذان الاعلام والله أعلم. ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴿ يعنى بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاقت عليهم المكان بعد ان كان واسعا ﴾ وضاقت عليهم أنفسهم ﴿ يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم ﴾ وظنوا ﴿ يعنى وأيقنوا وعلموا ﴾ أن لا ملجأ ﴿ يعنى لا مفرج ولا مفر ﴾ من الله الا اليه ﴿ ولا عاصم من عذابه الا هو ﴾ ثم تاب عليهم ﴿ فيه اضممار وحذف

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أى مع -- بها وهو مثل الحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه فلقوا جزءاً (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه) وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بعد خسران يومنا

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) بسعتها (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم بتأخير التوبة (وظنوا) علموا وأيقنوا (أن لا ملجأ من الله) أن لا نجاة لهم من الله (الا اليه) الا بالتوبة اليه من تخلفهم عن غزوة تبوك (ثم تاب عليهم) تجاوز عنهم وعفا

بالتوفيق للتوبة ﴿ ليتوبوا ﴾ أو انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين أو رجع عليهم بالتبول وارجحة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿ ان الله هو التواب ﴾ لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة ﴿ الرحيم ﴾ المتفضل عليه بالنعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ فيما لا يرزأ ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعلما وفريء من الصادقين أى في توبتهم وانابهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرا بهم ﴿ ما كان لاهل المدينة ومن

تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا ﴿ وقوله تعالى ﴿ ليتوبوا ﴾ معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويدأوموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى معنى الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ﴿ ان الله هو التواب ﴾ يعنى على عبادہ ﴿ الرحيم ﴾ بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴿ يعنى في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين ﴾ يعنى مع صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه في الغزوات ولا تكونوا مع المخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعنى مع أبي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعتذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شئاً ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى أن أبابكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار في يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منأ أميرو منكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار أنتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وأنتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما كان لاهل المدينة ﴾ يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار ﴿ ومن

(ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (ان الله هو التواب الرحيم) عن أبي بكر الوراق انه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) في إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعلما والآية تدل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (ما كان لاهل المدينة ومن

عنهم) ليتوبوا (لكي يتوبوا) من خلفهم (ان الله هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (يا أيها الذين آمنوا) عبد الله بن سلام واحبائه وغيرهم من المؤمنين (اتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم (وكونوا مع الصادقين) مع أبي بكر وعمر وأتباعهم في الجلوس والخروج بالجهاد (ما كان لاهل المدينة) ماجاز لاهل المدينة (ومن

حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله (المراد بهذا النفي النهى وخص هؤلاء بالذكر وان استوى كل الناس في ذلك لفرهم منه ولا يخفى عليهم خروجهم (ولا يرغبوا) ولا أن يضنوا (بأنفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أى لا يختاروا البقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) النهى عن التخلف (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (في سبيل الله) في الجهاد (ولا يطؤون موطئا) سورة براءة ٢١٥ موطئا (ولا يدوسون مكانا من أمكنة

الكفار بحوافر خيولهم
واخفاف رواحلهم وأرجلهم
(يغيط الكفار) بغضبهم
ويضيق صدورهم (ولا
ينالون من عدو نيلا)
ولا يصيبون منهم أصابة
بقتل أو أسر أو جرح
أو كسر أو هزيمة (الا كتب
لهم به عمل صالح) عن ابن
عباس رضى الله عنهما
لكل روعة سبعون ألف
حسنة يقال نال من اذا
رأه ونقصه وهو عام
في كل ما يسوءهم وفيه دليل
على أن من قصد خيرا كان
سعيه فيه مشكورا من قيام
وقعود ومشى وكلام وغير
ذلك وعلى ان المدد يشارك
الجيش في الغنيمة بعد
انقضاء الحرب لان وطء
ديارهم مما يغنيهم وقد أسهم
النبي صلى الله عليه وسلم
لابنى عامر وقد قدما بعد
تقضى الحرب والموطى

حولهم من الاعراب (أن
مزينة وجهينة واسلم)

حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله (عن حكمه نهى) عن عند بصيغة النفي للمبالغة
(ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) ولا يصنوا أنفسهم عالما يصن نفسه عند ويكابوا
معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصى وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الضح والريح
ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومسك كالحمر فدر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقتل كن ابا خيثمة
فكانت له فرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يحوز
النصب والجزم (ذلك) اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف
أو وجوب المشايعة (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) شئ من العطش
(ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (في سبيل الله) ولا يطؤون موطئا
ولا يدوسون مكانا (يغيط الكفار) يغضبهم ووطؤه (ولا ينالون من عدو نيلا) كالقتل
والاسر والنهب (الا كتب لهم به عمل صالح) الاستوجوابه الثواب وذلك مما وجب

حولهم من الاعراب (يعنى سكان البوادي من مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار
وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم أولى) أن يتخلفوا عن
رسول الله (يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعه النهى أى ليس أنهم أن يتخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعنى ولا ان يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه)
يعنى ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختارونه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه
ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبتة والجهاد معه في حال الشدة
والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم)
في سفرهم وغزواتهم (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) يعنى
مجاعة شديدة (في سبيل الله) ولا يطؤون موطئا يغيط الكفار (يعنى ولا يضعون قدما على الارض
يكون ذلك القدم سببا يغيط الكفار وغنهم وحزنهم) ولا ينالون من عدو نيلا (يعنى
أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا) الا كتب لهم به عمل
صالح (يعنى الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح

يتخلفوا عن رسول الله) في الغزوة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) لا يكونوا على أنفسهم أشفق من نفس النبي صلى الله
عليه وسلم ويقال ولا يرغبوا بانفسهم بصحبة أنفسهم عن نفسه عن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد (ذلك) الخروج
بأنهم لا يصيبهم ظمأ عطش في الذهاب والمجيء (ولا نصب) ولا تعب (ولا مخمصة) ولا مجاعة (في سبيل الله) في الجهاد
ولا يطؤون موطئا (لا يحوزون مكانا يظهرون عليه) (يغيط الكفار) بذلك (ولا ينالون من عدو نيلا) قتلا أو هزيمة
الا كتب لهم به عمل صالح (ثواب عمل صالح في الجهاد

المتابعة ﴿ ان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلا انه سعى في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب مداوى للمجنون واما في حق المؤمنين فلا انه صيانته لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ﴾ ولو علاقة ﴿ ولا كبيرة ﴾ مثل ما انفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ في مسيرهم وهو كل منفرج بنفذ السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض ﴿ الا كتب لهم ﴾ الا ثبت لهم ذلك ﴿ ليجزئهم الله ﴾ بذلك احسن ما كانوا يعملون ﴿ جزاء احسن اعمالهم أو احسن جزاء اعمالهم

قد اراد تضاهيهم وقبل منهم ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمر به أو نهى عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات الا ان يغفرها الله بنفضله وكرمه ﴿ واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعدد فاما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون في هذه الآية انها لاول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباحت التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة قاوا اذا ندبوا أو عينوا لاننا لو سوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم وقوله عن وجل ﴿ ولا ينفقون ﴾ يعني في سبيل الله ﴿ نفقة صغيرة ولا كبيرة ﴾ يعني تمرة فما دونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقباين أو مدبرين فيسده ﴿ الا كتب لهم ﴾ يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم ﴿ ليجزئهم الله ﴾ يعني يجازيهم أحسن ما كانوا يعملون ﴿ قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازى فيه وجهان الاول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدى ان

مكان فان كان مكانا فمضى غنط الكفار فيغنطهم وطؤوه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) فى سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرصاف ذهابهم ونجسهم وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذ السيل وهو فى الأصل فاعل من ودى اذا سال ومنه لودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجزئهم الله) متعلق بكتب أى أثبت فى محاشيهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق بدونه توفيرا (ان الله لا يضيع) لا يبطل (اجر المحسنين) ثواب المؤمنين فى الجهاد (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) قليلة ولا كبيرة فى الذهاب والرجوع (ولا يقطعون واديا) فى طاب العدوى (الا كتب لهم) ثواب عن صالح (ليجزئهم الله) احسن ما كانوا يعملون (

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو
غزو أو طلب علم كالا يستقيم لهم ان يتبسطوا جميعا فانه يخل بأمر المعاش

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل
الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الاجهادا في سبيل
وايمانابي وتصديقا برسلي فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي
خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله
الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده
لولا ان أشق على المسلمين ما قدمت خلافا سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا جد
سعة فاجلهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت
ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق)
عن أبي سعيد الخدري قال أنى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل
قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب
يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايماننا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه
وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (خ) عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما غبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابى مسعود
الانصاري البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها
مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله
كتب الله له سبع مائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما
كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناس من المنافقين هلك من
تخلف فزات هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست
في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجذبت بلادهم
فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون
فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فانزل الله عز وجل الآية
يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
عشائريهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم اذا رجعوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق
من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونهم عما يريدون من

لا جرهم (وما كان المؤمنون
لينفروا كافة) اللام
لتأكيد النفي أى أن نفي
الكافة عن أوطانهم لطلب
العلم غير صحيح للافضاء الى

في الجهاد (وما كان المؤمنون)
ماجاز للمؤمنين (لينفروا كافة)
يخرجوا جميعا في السرية
ويتركوا النبي صلى الله عليه
وسلم في المدينة وحده

﴿ فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ ﴿ فلولانفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ﴾ ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ ﴿ ليتكفوا الفقه فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ﴾ ﴿ ولينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم ﴾ ﴿ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقه ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيदान يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد ﴾ ﴿ لعلمهم يحذرون ﴾ ﴿ ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة نفر دوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتهما كي يتذكروا ويحذروا فلولم يعتبر اخبار الآحاد

امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ماتا مرسنا ان نفعله وأخبرنا عما نقول امشأرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعتهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا أتوا قومهم نادوا من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وان ينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويبشروهم الجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل ﴿ فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ ﴿ يتفقهون الخيرو قعد طائفة ﴾ ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ ﴿ ليسمعوا ما أنزل الله ﴾ ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ ﴿ من الناس ﴾ ﴿ اذ رجعوا اليهم امامهم يحذرون ﴾ ﴿ وقال ابن عباس ما كان المؤمنون ليغفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصابة يعنى السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلم القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تلعناه فتكث السرايا ليتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذ رجعت اليهم لعلمهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وقضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى

المفسدة (فلولانفر) فحين لم يكن نفي الكافة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكتفونهم النفي (ليتفقهوا في الدين) ليتكفوا الفقه فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا حرمي هممتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم (اذ رجعوا اليهم) دون الاعراض الخسيسة من التصدر والترويس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس (لعلمهم يحذرون) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة

(فلولانفر) فهلا خرج (من كل فرقة) جماعة (منهم طائفة) وبقي طائفة بالمدينة (ليتفقهوا في الدين) لكي يتعلموا أمر الدين من النبي صلى الله عليه وسلم (ولينذروا) ليخبروا وليعلموا (قومهم) اذ رجعوا اليهم (من غزواتهم) لعلمهم يحذرون (لكي يعلموا) أمروا به وما نهوا عنه ويقال

ما لم تتواتر لم يند ذلك وقد اشبهت القول فيه تقريراً واعتراضاً في كتابي المرصاد وقد قيل
للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفي وانقطعوا
عن التفقه فأمروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الا كبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي
رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذ ارجعوا اليهم بما حصلوا ايام

ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة يكونون مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين
لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئاً بعد شيء فالمازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون
معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا يعني فهنا نفر من كل فرقة منهم طائفة
للجهاد وقد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ ارجعوا
اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة
وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بمأمرهم الله
من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم ومعنى ذلك ان
الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله اهلهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه
صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جما كثير فاذا ارجعوا من ذلك النفي الى
قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم
يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقهاً
في الدين ويمكن أن يحجب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقربهم على عدوهم كان
ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقهاً في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان
هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد اناساً من أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفاً ودعوا من وجدوا من الناس
الى الهدى فقال الناس اهلهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم
من ذلك حرجاً فاقبلوا كلهم من البداية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله
هذه الآية والمعنى هانف من كل فرقة طائفة وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا
ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني بأمر الله ونعمته
اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب ان يكون المتصود من العلم والتفقه دعوة
الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا
القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا
كان من الاخسرين أعمالاً الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

تبرك بعد ما نزل في المتخلفين
من الآيات الشداد استبق
المؤمنون عن آخرهم الى
النفي وانقطعوا جميعاً عن
التفقه في الدين فأمروا أن
ينفر من كل فرقة منهم
طائفة الى الجهاد ويبقى
سائرهم يتفقهون حتى
لا ينقطعوا عن التفقه الذي
هو الجهاد الا كبر اذا الجهاد
بالحجج أعظم أثر من
الجهاد بالنصال والضمير
في ليتفقهوا للفرق الباقية
بعد الطوائف النافرة من
بينهم ولينذروا قومهم
ولينذر الفرق الباقية
قومهم النافرين اذ ارجعوا
اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم
من العلوم وعلى الاول
الضمير للطائفة النافرة الى
المدينة للتفقه

نزات هذه الآية في بني أسد
أصابتهم سنة فجاؤا الى
النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فاغلا أسعار المدينة
وأفسدوا طرقها بالعذرات
فنهاهم الله عن ذلك

غيبهم من العلوم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أمر وابتقتال
الاقرب منهم فالاقرب كما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أولا بانذار عشيرته
الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة

يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة
مستقيا حتى تقوم الساعة وحتى يأتى أمر الله (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا
فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان
من ألف عابد أخرجه الترمذى وأصل الفقه فى اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه
فقاهة اذا صار فقيها وقبل الفقه هو التوصل الى علم غائب يعلم شاهد فهو أخص من العلم
وفى الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض
عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الظاهرة وأحكام الصلاة والصوم فلى
كل مكلف معرفة ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره
البعوى بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف يحكم الشرع بحجب عليه معرفة علمها مثل
علم الزكاة اذا صار له مال يجب فى مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه أو ما فرض الكفاية
من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قدم أهل بلد عن تعلمه عضوا
جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فليعلم حتى يبلغ درجة الفتيا يسطح الفرض عن الباقيين وعاليهم
تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضلى على أدناكم أخرجه الترمذى مع الزيادة فيها عن أبى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة
أخرجه الترمذى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج فى طلب العلم
فهو فى سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة أخرجه أبو داود الآية المحكمة هى التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف
فى حكمها أو ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هى المستمرة الدائمة التى العمل بها متصل
لا يترك والفريضة العادلة هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها قال الفضيل بن عياض
عالم عامل معلم يدعى عظيما فى ملكوت السموات وأخرجه الترمذى موقوفا وقال الامام
الشافعى رضى الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة قوله سبحانه وتعالى
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أمر وابتقتال الاقرب فالاقرب اليهم
فى الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والتخضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم
الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم
وقال ابن زيد كان الذين يلوهم من الكفار العرب فقاتلوه حتى فرغوا منهم فأمروا
بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا ويعطوا الجزية عن يد وتقل عن بعض العلماء انه قال

(يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يلونكم) يقربون منكم (من
الكفار) القتال واجب
مع جميع الكفرة قريبهم
وبعيدهم ولكن الاقرب
قالا قرب أو جب وقد حارب
النبى صلى الله عليه وسلم
قومه ثم غيرهم من عرب
الحجاز ثم الشام والشام
أقرب الى المدينة من العراق
وغیره وهكذا المفروض
على أهل كل ناحية ان
(يأيها الذين آمنوا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن
(قاتلوا الذين يلوونكم
من الكفار) من بنى قريظة
والتخضير

يقاتلوا من أوليهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنف في المقال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (واذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فمنهم) فن ٢٢١ المنافقين (من يقول) بعضهم { سورة براءة } لبعض (أيكم زادته هذه)

السورة (إيماناً) انكاراً واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يقيناً وثباتاً وخشية أو إيماناً بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلاً (وهم يستبشرون) يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن (فزادتهم رجساً إلى رجسهم)

وفدك وخير (وليجدوا فيكم) منكم (غلظة) شدة (واعلموا) يأمروا المؤمنين (أن الله مع المتقين) مع المؤمنين محمد عليه السلام وأصحابه بالنصرة على أعدائهم (واذا ما أنزلت سورة) آية فيقرأ عليهم محمد صلى الله عليه وسلم (فمنهم) من المنافقين (من يقول) أي يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة والآية (إيماناً) خوفاً ورجاءاً ويقيناً بما قال محمد (فأما الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام وأصحابه (فزادتهم إيماناً) خوفاً ورجاءاً ويقيناً (وهم

والنضير وخير وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة * وليجدوا فيكم غلظة * شدة وصبراً على القتال * وقرى * بفتح القين وضماً وهما لغتان فيها * واعلموا أن الله مع المتقين * بالحراسة والإعانة * وإذا ما أنزلت سورة فمنهم * فن المنافقين * (من يقول) * انكاراً واستهزاء * أيكم زادته هذه * السورة * إيماناً * وقرى * أيكم بالنصب على اضممار فعل يفسره زادته * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً * بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم * وهم يستبشرون * بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم * وأما الذين في قلوبهم مرض * كفر * فزادتهم رجساً إلى رجسهم * كفراً بها مضموماً إلى الكفر بغيرها

نزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجد للنسخ لأنه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الأصوب الأصح وهو أن يبدأ بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لأن قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم انتقل إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة ونضير وخير وفدك ثم انتقل إلى غز الروم في الشام فكان قمع الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار لأنه إذا قاتل الأقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الأبعد * وقوله سبحانه وتعالى * وليجدوا فيكم غلظة * يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبراً على جهادهم * واعلموا أن الله مع المتقين * يعني بالعون والنصرة * قوله عز وجل * وإذا ما أنزلت سورة فمنهم * أيكم زادته هذه إيماناً * يعني وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن فن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة إيماناً يعني تصديقاً ويقيناً وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً * يعني تصديقاً ويقيناً وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء إلى آخر من جنس مما هو في صفته فالمؤمنون إذا أفرأ بنزل سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا أنها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الإيمان في أول سورة الانفال * وهم يستبشرون * يعني أن المؤمنين يفرحون بنزل القرآن شيئاً بعد شيء لأنهم كلما نزل ازدادوا إيماناً وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الإيمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى * وأما الذين في قلوبهم مرض * أي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضاً لأنه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كالمرض في البدن إذا حصل يحتاج إلى العلاج * فزادتهم * يعني سورة من القرآن * رجساً إلى رجسهم *

يستبشرون) بما أنزل من القرآن (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) شكاً إلى شكهم بما

كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أولايرون) يعنى المنافقين وبالثاء حزة
خطاب للمؤمنين (انهم {الجزء الحادى عشر} يفتنون) يتلون ٢٢٢ بالقحط والمرض وغيرهما (فى كل

عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين انصرف فانا لا نصبر على استماعتهم ويغلبننا الضحك فتخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة فى عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم)

انزل من القرآن (وماتوا وهم كافرون) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فى السر (أولايرون) يعنى المنافقين (أنهم يفتنون) يتلون باظهار مكرهم وخيانتهم ويقال ينقض عهدهم (فى كل عام مرة

وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (أولايرون) يعنى المنافقين وقرأ حزة بالثاء (أنهم يفتنون) يتلون باصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيعانون ما يظهر عليه من الآيات (فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم (ولا هم يذكرون) ولا يعتبرون (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم (هل يراكم من أحد) أى يقولون هل يراكم من أحد ان قتم من حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان لم يره أحد قاموا وان رآهم أحد أقاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن الايمان وهو

يعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس فى اللغة الشئ المستقذر (وماتوا) يعنى هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعنى وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد فى هذا الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزيد ايماننا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء فى القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان الفاق بدو لمعة سوداء فى القلب كلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لو جدموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لو جدموه أسود قوله سبحانه ونعالى (أولايرون) قرئ ترون بالثاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين فى قوله فى قلوبهم مرض (أنهم يفتنون) يعنى يتلون (فى كل عام مرة أو مرتين) يعنى بالامراض والشدائد وقيل بالقحط والجذب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتنسون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم فى السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله (ولا هم يذكرون) يعنى ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) يعنى فيها عيب المنافقين وتوبخهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعنى هل أحد من المؤمنين يراكم ان قتم من مجلسكم فان لم يره أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحدا براهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعنى عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التى يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعنى عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم

أمرتين ثم لا يتوبون) من صيغهم ونقض عهدهم (ولا هم يذكرون) يتعظون (واذا ما أنزلت سورة) (على) جبريل بسورة فيها عيب المنافقين وكان يقرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم (نظر) المنافقون (بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد) من الخلفين (ثم انصرفوا) عن الصلاة والخطبة والحق والهدى (صرف الله قلوبهم) عن الحق والهدى

يحتمل الاخبار والدعاء ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قوم لا يفقهون﴾ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ من جنسكم عربى مثلكم وقرى من أنفسكم أى من أشرفكم ﴿عزيز عليه﴾ شديد شاق ﴿ماعتكم﴾ عنتكم ولقاؤكم المكروه

على فعالهم ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ يعنى لا يفقهون عن الله دينه ولا شياً فيه نفعهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم ايها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عايد السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدني الانكاح كنكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء فى تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعنى من مضرها وريعتها وعماها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه الى عرب الين وهم القحاطنة فان أمنة لها نسب فى الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب الين من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب فى نصره والايمان بدفانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه (م) عن وائلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة فى كدبة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير فريقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً أخرجه الترمذى وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام لحمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم ايها الناس رسول من أنفسكم يعنى من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عند ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿عزيز عليه ماعتكم﴾ أى شديد عليه عنتكم يعنى مكروهكم وقيل يشق

عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم (عزيز عليه ماعتكم) شديد عليه شاق لكونه بعضاً منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع فى العذاب ويقال مالوا عن الحق والهدى فأمال الله قلوبهم عن ذلك الانصراف (بأنهم قوم لا يفقهون) أمر الله ولا يصدقونه (لقد جاءكم) يا أهل مكة (رسول من أنفسكم) عربى هاشمى مثلكم (عزيز عليه) شديد عليه (ماعتكم) ما أعتكم

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان اعرضوا الجزء الحادى عشر ٢٢٤ و ناصبوك (فقل حسبي الله) فاستعن

بالله وفوض اليه امورك فهو كافيك معرفتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت امرى اليه (وهو رب العرش) هو اعطاه خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجرو قرى بالرفع على نعت الرب جل وعزه عن ابي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

(سورة يونس عليه

الصلاة والسلام) مائة

وتسع آيات مكية وكذا

ما بعدها الى سورة النور

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) بجميع المؤمنين (رؤف رحيم) فان تولوا (عن الايمان والتوبة وما قلت لهم) (فقل حسبي الله) ثقتى بالله (لا اله الا هو) لاحافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) اتكلت ووثقت (وهو رب العرش) السرير

(العظام) الكبير

ومن السورة التي يذكر فيها يونس عليه السلام وهي كلها مكية الآية واحدة عند رأس الاربعين فانها نزلت في اليهود في مدينة

حريص عليكم * أى على ايمانكم وصلاح شأنكم * بالمؤمنين * منكم ومن غيركم * رؤف رحيم * قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على القواصل * فان تولوا * عن الايمان بك * فقل حسبي الله * فانه يكفيك معرفتهم ويعينك عليهم * لا اله الا هو * كالدليل عليه * عليه توكلت * فلا ارجو ولا اخاف الا منه * وهو رب العرش العظيم * الملك العظيم او الجسم العظيم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير * وقرى العظيم بالرفع وعن ابي رضى الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان * وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما نزل القرآن على الآية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهم ما نزلنا على ومعهم ما سبعون الف صف من الملائكة والله أعلم

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية وهي مائة وتسع آيات

عليه ضالككم * حريص عليكم * يعنى حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله * بالمؤمنين رؤف رحيم * يعنى أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الخاشع الذي يخشع الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيا قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم * قوله سبحانه وتعالى * فان تولوا * يعنى فان اعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصروك للحرب * فقل حسبي الله * يعنى يكفيني الله وينصرني عليكم * لا اله الا هو عليه توكلت * يعنى لا على غيره وبدو ثقت * وهو رب العرش العظيم * انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه أعظم الخلوقات فيدخل مادونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونه أو يكون خصه بالذكر كتر شريفه كما يقال بيت الله * روى عن ابي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام

نزلت بمكة الاثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قال ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيهما من المدنى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الآيتين وهي قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والى تليها وهي مائة وتسع آيات وألث وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

وهي قول الله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية آياتها مائة وتسع آيات وكلما تألث (في)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر﴾ ففهمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لآلئ الرءاء مجرى المنقلبة عن الياء ﴿تلك﴾ آيات الكتاب الحكيم ﴿اشارة الى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أولانه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شئ منها ﴿أكان للناس عجباً﴾ استفهام أنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسم ﴿وان أوحينا﴾ وقرئ بالرفع على أن الامر بالعكس أو على أن كان تامه وان أوحينا بدل من عجبنا واللام للدلالة على أنهم جملاوه اعجوبة لهم يوجهون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قوله عن وجل﴾ قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الر وحى ون حروف الرحمن مقطعة وقال به سعيد بن جبير وسلم بن عبد الله وقال قتادة أراسم من أسماء القرآن وقيل هى اسم للسورة وقد تقدم الكلام فى معنى الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة بما فيد كفاية ﴿تلك﴾ آيات الكتاب ﴿المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة فى هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هى آيات الكتاب وهو القرآن الذى أنزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتابا لا يعجوه الماء ولا يغيره الدهور وقيل ان لفظه تلك للاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هى آيات الكتاب الحكيم وفى قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التى قبل القرآن حكاى الطبرى عن قتادة وروى عن مجاهد أنها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة فى هذه السورة هى الآيات المذكورة فى التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة فى هذه السورة وهذا وان كان له وجده وضعيف لان التوراة والانجيل لم يحجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التى منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور وسر القرآن ﴿الحكيم﴾ يعنى المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فاعل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيد بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وقيل ان الحكيم هو الذى يفعل الحكمة والصواب فمن حيث أنه يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم فى نفسه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿أكان للناس عجباً﴾ قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال سبحانه وتعالى أكان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا آية والهمزة فى أكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجباً ﴿أن أوحينا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) ونحوه مال حزة
وعلى وأبو عمرو وهو تعديد
للحروف على طريق التحدى
(تلك آيات الكتاب)

اشارة الى ما تضمنته السورة

من الآيات والكتاب السورة

(الحكيم) ذى الحكمة

لاشتماله عليها أو المحكم عن

الكذب والاقتراف والهمزة

فى (أكان للناس عجباً)

لانكار التعجب والتعجب

منه (أن أوحينا) اسم كان

وعجبا خبره واللام فى الناس

متعلق بمحذوف هو صفة

لعجبا فلما تقدم صار حالا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس

فى قوله تعالى (الر) يقول

أنا الله أرى ويقال قسم اقسام به

(تلك آيات الكتاب الحكيم)

ان هذه السورة آيات القرآن

المحكم بالحلال والحرام

(أكان للناس) لاهل مكة

(عجباً أن أوحينا) بان

(إلى رجل منهم أن أنذر الناس) بأن أنذر أو هي مفسرة اذا لاجاء فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا أنهم) بأن لهم ومعنى الام في الناس انهم جعلوه لهم أعجوبة تتعجبون منه والذي تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم { الجزء الحادى عشر } فقد كانوا ٢٢٦ يقولون العجب ان الله لم يجد

رسولا يرسله الى الناس الايتيم أبى طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار للنبوّة من جيع أسبابها والغنى والتقدم في الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف تكون عجايبا العجب والمنكر في القول تعطيل الجزاء (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السمع والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يد لانها تعطى باليد وبعالان صاحبها يسوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واصنافها الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة أو مقام

نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افشاء زجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الايتيم أبى طالب وهو من فرط حقاقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهاهم بحقيقة الوحي والنبوّة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شئ في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام { ان أنذر الناس } ان هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول او حينئذ وبشر الذين آمنوا { عم الانذار اذ قلنا من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به حقيقة } ان لهم بان لهم { قدم صدق عند ربهم } سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واصنافها الى الصدق لتحقها والتنبيه على انهم

الى رجل منهم { والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعترى الانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعنى من أهل مكة من قریش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته { أن أنذر الناس } يعنى خوفهم بعقاب الله تعالى ان أصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى { وبشر الذين آمنوا أنهم قدم صدق عند ربهم } اختلف عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعنى في اللوح المحفوظ وقال زيد بن أبل هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم الى الصدق وهو نعت كقوله سبحانه والجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شئ أضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق في خير أو شرف فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام و قدم في الخير و لفلان عندى قدم صدق و قدم سوء قال حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع

أوحينا (الى رجل منهم)

أدى مثلهم (ان أنذر الناس) ان خوف أهل مكة بالقرآن (وبشر الذين آمنوا أنهم قدم صدق) ثواب خير (وقال) ويقال ايمانهم في الدنيا قدمهم في الآخرة عند ربهم ويقال ان لهم صدق يقال شفيع صدق (عند ربهم)

صدق أو سبق السعادة (قال الكافرون ان هذا) ﴿٢٢٧﴾ الكتاب (السحر { سورة يونس } مبین) مدنی وبصری

وإنا ينالونها بصدق القول والنية ﴿٢٢٧﴾ قال الكافرون ان هذا ﴿٢٢٧﴾ يعنون الكتاب وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿٢٢٧﴾ لسحر مبین ﴿٢٢٧﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة * وقرئ ما هذا الاسحر مبین ﴿٢٢٧﴾ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض ﴿٢٢٧﴾ التى هى اصول الممكنات ﴿٢٢٧﴾ فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ﴿٢٢٧﴾ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيم ﴿٢٢٧﴾ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لنجى ﴿٢٢٧﴾ محجودة العاقبة ﴿٢٢٧﴾ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴿٢٢٧﴾ تقرير لعظمته وعز جلاله

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذوالرمة وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدالانها تعطى باليد وقال ذوالرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على البحر معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لذي العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار والزلل

﴿٢٢٧﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿٢٢٧﴾ قال الكافرون ان هذا لسحر مبین ﴿٢٢٧﴾ وقرئ لساحر مبین وفيه حذف تقديره أكان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم وإنا نسبوه الى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التى لا يقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها ومن قرأ السحر فأنهم عنوا به القرآن المنزل عليه وإنا نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك ﴿٢٢٧﴾ قوله عز وجل ﴿٢٢٧﴾ ان ربكم الله الذى خالق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ﴿٢٢٧﴾ تقدم تفسير هذا فى سورة الاعراف بما فيه كفاية ﴿٢٢٧﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿٢٢٧﴾ يدبر الامر ﴿٢٢٧﴾ قال مجاهد يقتضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى ادبار الامور وعواقبها لا يدخل فى الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث فى العالم العلوى ولا فى العالم السفلى الا بأمره وتدبيره وقضائه وحكمته ﴿٢٢٧﴾ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴿٢٢٧﴾ يعنى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الامن بعد ان يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة فى تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا أذن له فى الشفاعة كان له أن يشفع فحين يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فاجاب الله سبحانه وتعالى أنه لا يشفع أحد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق

سبع الملائكة بالوحي والتنزيل والمصيبة (مامن شفيع) مامن ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لاحد (الامن بعد اذنه) (الاباذن الله

وإنا ينالونها بصدق القول والنية ﴿٢٢٧﴾ قال الكافرون ان هذا ﴿٢٢٧﴾ يعنون الكتاب وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿٢٢٧﴾ لسحر مبین ﴿٢٢٧﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة * وقرئ ما هذا الاسحر مبین ﴿٢٢٧﴾ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض ﴿٢٢٧﴾ التى هى اصول الممكنات ﴿٢٢٧﴾ فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ﴿٢٢٧﴾ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيم ﴿٢٢٧﴾ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لنجى ﴿٢٢٧﴾ محجودة العاقبة ﴿٢٢٧﴾ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴿٢٢٧﴾ تقرير لعظمته وعز جلاله

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذوالرمة وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدالانها تعطى باليد وقال ذوالرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على البحر معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لذي العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار والزلل

﴿٢٢٧﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿٢٢٧﴾ قال الكافرون ان هذا لسحر مبین ﴿٢٢٧﴾ وقرئ لساحر مبین وفيه حذف تقديره أكان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم وإنا نسبوه الى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التى لا يقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها ومن قرأ السحر فأنهم عنوا به القرآن المنزل عليه وإنا نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك ﴿٢٢٧﴾ قوله عز وجل ﴿٢٢٧﴾ ان ربكم الله الذى خالق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ﴿٢٢٧﴾ تقدم تفسير هذا فى سورة الاعراف بما فيه كفاية ﴿٢٢٧﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿٢٢٧﴾ يدبر الامر ﴿٢٢٧﴾ قال مجاهد يقتضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى ادبار الامور وعواقبها لا يدخل فى الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث فى العالم العلوى ولا فى العالم السفلى الا بأمره وتدبيره وقضائه وحكمته ﴿٢٢٧﴾ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴿٢٢٧﴾ يعنى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الامن بعد ان يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة فى تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا أذن له فى الشفاعة كان له أن يشفع فحين يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فاجاب الله سبحانه وتعالى أنه لا يشفع أحد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق

سبع الملائكة بالوحي والتنزيل والمصيبة (مامن شفيع) مامن ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لاحد (الامن بعد اذنه) (الاباذن الله

(ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذي يستحق العبادة (فاعبدوه) وحدود ولا تشركو به بض خلقه من انسان او ملك فمضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع (أفلاتدكرون) أفلاتدبرون فستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المسخ النافع (اليد { الجزء الحادى عشر } مرجعكم ٢٢٨ } جميعا) حال أى لا ترجعوا في العقابة

الايد فاستعدوا للقاءه
والرجوع أو المرجع مكان
الرجوع (وعد الله) مصدر
مؤكد لقوله اليد مرجعكم
(حقا) مصدر مؤكد لقوله
وعد الله (ان يبدأ الخلق
ثم يعيده) استئناف معناه
التعليل لوجوب المرجع اليد
(ليحزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) أى الحكمة
بابتداء الخلق واعادته هو
جزاء المكلفين على أعمالهم
(بالقسط) بالعدل وهو
متعلق ليحزى أى ليحزنهم
بقسطه ويوفهم أجورهم
أو بقسطهم أى بما أفسدوا
وعملوا ولم يظلموا حين
آمنوا والذين كفروا بالشر
الظلم العظيم وهذا أو وجد لمقابلة
قوله (والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون)
(ذلكم الله ربكم) الذى يفعل
ذلك هو ربكم (فاعبدوه)
فاحدوه (أفلاتدكرون)
أفلاتدعون (اليد مرجعكم
بعد الموت) جميعا وعد الله
حقا (صدقا كما أن) انه

ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم
الله أى الموصوف بلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره
اذلا يشاركه احد في شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلاتدكرون
تفكرون ادنى تشكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه
مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقاءه وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه لان قوله اليد مرجعكم وعدم الله حقا مصدر آخر مؤكدا لغيره
وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بده واهلاكه ليحزى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط أى بعدله أو بعدالته وقيامهم على العدل في
امورهم أو بإيمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون فان معناه
ليحزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكن الله غير الظلم
للمباغة في استحقاقهم للعقاب والتنبية على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو
الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه
ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكان داء ماسقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم

في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعنى الذى خلق هذه الاشياء وود برها عور بكم وسيدكم لارب
لكم سواء فاعبدوه أى فاجعلوا عبادتكم له لا غيره لانه المستحق للعبادة بما أنعم عليكم
من النعم العظيمة أفلاتدكرون يعنى أفلاتدعون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات
التي تبدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله سبحانه وتعالى اليد مرجعكم جميعا
يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا أيها الناس يوم القيامة والمرجع
يعنى الرجوع وعد الله حقا يعنى وعدكم الله ذلك وعدا حقا ان يبدأ الخلق
ثم يعيده أى يحيزهم ابتداء ثم يعيدهم ثم يحيزهم وهذا معنى قول مجاهد انه قل يحيد ثم يحيد ثم يحيد
وفي هذه الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وسخة وقوعه ورد على منكرى
البعث وموتهم لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير
مثل سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركبا
ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكالم يتبع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى
لم يتبع تعلقها بالبدن مرة اخرى واذا ثبت القول بحقة المعاد والبعث بعد الموت كان
المقصود من ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصى وهو قوله سبحانه وتعالى ليحزى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط يعنى بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا والذين
كفروا لهم شراب من حميم هو ماء حار قد انتهى حره هو ماء خارج قد انتهى حره وعذاب أليم بما كانوا يكفرون

يبدأ الخلق من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت (ليحزى الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما (هو)
بينهم وبين ربهم (بالقسط) بالعدل الجنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لهم شراب من حميم) من
ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم) مرجع يخاص وجمع الى قلوبهم (بما كانوا يكفرون) بمحمد عليه السلام والقرآن

والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكافئين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح أى لانه ويجوز ان يكون منصوبا أو مرفوعا بما نصب وعدا الله أو بما نصب حقا **﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء ﴾** أى ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضياء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين **﴿ والقمر نورا ﴾** أى ذات نور أو سمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها **﴿ وقدره منازل ﴾** الضمير لكل واحد أى قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازلهم واناطة احكام الشرع به ولذلك علمه بقوله **﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾** حساب

واوجد كلامى (هو الذى جعل الشمس ضياء) الياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكسرة ما قبلها وقلبها قبل همزة لانها للحركة أجل (والقمر نورا) والضمياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وقدره) وقدر القمر أى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذات منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتغالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدره

(هو الذى جعل الشمس ضياء) للعالمين بالنهار (والقمر نورا) اهم بالليل (وقدره منازل) جعل له منازل (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الشهور

هو الذى جعل الشمس ضياء **﴿ يعنى ذات ضياء ﴾** والقمر نورا **﴿ يعنى ذات نور ﴾** واختلف العلماء أصحاب الكلام فى أن الشعاع الفاضل من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانهما أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر **﴿ وقدره منازل ﴾** قيل الضمير فى وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل أو قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها فى السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير فى وقدره لا يجاز أو اكتفى بذلك أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة فى الشرع مبنية على رؤية الالهة والسنة المعتبرة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشرطين والبطين والثريا والدبران والمهجة والمهنة والذراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة والعواء والسمك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد باع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الداو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والداو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل وينزل القمر كل ليلة منزل منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة **﴿ لتعلموا عدد السنين ﴾** يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين وقت دخولها وانقضائها **﴿ والحساب ﴾** حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها

بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبساً (بالحق) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص والنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان في اختلاف الليل والنهار) في مجي كل واحد منهما خلف الآخر أو في اختلاف لونهما (وما خلق الله في السموات والارض) من الخلاق (آيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون { الجزء الحادى عشر } الآخرة ٢٣٠ فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين

لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق اولاً يؤملون حسن لقاءنا كأيوم له السعداء ولا يخافون سوء لقاءنا الذي يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثرو القليل الفانى على الكثير الباقي (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعم عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يفكرون فيها ولا وقف عليهم خبر ان

والايام (ما خلق الله ذلك الا بالحق) لبيان الحق والباطل (يفصل الآيات) بين الآيات من القرآن لعلامات لوحيدانية (لقوم يعلمون) يصدقون (ان في اختلاف الليل والنهار) في تقابل الليل والنهار وزادوا نقصانها وذهابها وسجيئتها (وما خلق الله في السموات) وفيما خلق الله من الشمس

الافاق من الاشهر والايام في معاملانكم وتصرفانكم (ما خلق الله ذلك الا بالحق) الامتسباً بالحق مراعيًا فيه مقتضى الحكمة البالغة (يفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض) من انواع الكائنات (آيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكير والتدبر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (واطمأنوا بها) وسكنوا اليها مقصرين همهم على اذائتها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعم عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يفكرون فيها لانهم ما كرم فيما يضادها والعطف اما للغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلاً واما للغاير الفريقيين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياه الدنيا وبالأخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعتداله

(ما خلق الله ذلك الا بالحق) يعنى للحق وظاهر قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثاً (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى بين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض) آيات لقوم يتقون (تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها) ان الذين لا يرجون لقاءنا يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أبى ذؤيب الهذلي اذا سمعته النعل لم يرج اسمها أى لم يخفد والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطعمون في ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها أزلت عن قلوبهم الوجيل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس آياتنا يعنى عن محمد

والقمر والنجوم وغير ذلك (والارض) من الشجر والدواب والحيال والبحار وغير ذلك (آيات) (صلى) لعلامات لوحيدانية الرب (لقوم يتقون) يطعمون (ان الذين لا يرجون لقاءنا) بالبعث بعد الموت ويقال لا يقرون بالبعث بعد الموت (ورضوا بالحياة الدنيا اختاروا) ما في الحياة الدنيا على الآخرة (واطمأنوا بها) رضوا بها (والذين هم عن آياتنا) عن محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن (غافلون) جاحدون تاركون لها

أى يدعون الله بقولهم سبحانك { الجزء الحادى عشر } اللهم تلى ذاك ذكره ﴿ ٢٣٢ ﴾ لآعبادة (وتحيتهم فيها سلام) أى

يحى بعضهم بعضا بالسلام
أوهى تحية الله
وأضيف المصدر الى المفعول
أوتحية الله لهم (وآخر
دعواهم) وخاتمة دعائهم
الذى هو التسبيح (ان الحمد
لله رب العالمين) أن يقولوا
الحمد لله رب العالمين ان مخففة
من الثقيلة وأصله انه الحمد لله
رب العالمين والضمير للشأن
قل أول كلامهم التسبيح
وأخره التحميد فيبتدئون
بتمظيم الله وتزييده ويختتمون
بالشكر والثناء عليه
ويشكلمون بينهما بما أرادوا
(ولو يعجل الله للناس الضر
استعجالهم بالخير) أصله ولو
يعجل الله للناس الشر تعجيله
لهم الخير فوضع تعجيله لهم
بالخير موضع تعجيله لهم
الخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم والمراد أهل مكة وقولهم
فأمطر علينا حجارة من السماء
أى ولو يعجلنا لهم الشر
الذى دعوا به كما تعجل لهم
الخير ونحييهم اليه (لقضى
اليهم أجلهم) لا ميتوا
وأهلكوا لقضى اليهم أجلهم
شامى على البناء للفعل
وهو الله عز وجل

الخدام بما يشتهون (وتحيتهم
فيها سلام يحى بعضهم بعضا
بالسلام (وآخر دعواهم)
قواهم بعد الأكل والشرب
(ان الحمد لله رب العالمين

اللهم اناسبحك تسبيحا ﴿ وتحيتهم ﴾ ما يحى به بعضهم بعضا أوتحية الملائكة
ايهم ﴿ فيها سلام وآخر دعواهم ﴾ وآخر دعائهم ﴿ ان الحمد لله رب العالمين ﴾
أى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعانوا عظمة الله وكبرياءه عجبوه
ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى فحمدوه واشنوا عليه بصفات الاكرام وانهى مخففة من
الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر ﴾ ولو يسرع اليهم
﴿ استعجالهم بالخير ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير
حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطرنا علينا
حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه
استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه ﴿ لقضى اليهم
أجلهم ﴾ لا ميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعتوب لقضى على البناء للفعل وهو الله

جشاء ورشح كرشع المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية
التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا وقوله
سبحانه وتعالى ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ يعنى يحى بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييتهم
الملائكة بالسلام وقيل تأنيبهم من عند ربهم بالسلام ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين ﴾ قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل
الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتها شيا قالوا سبحانك اللهم فيحضر
ذلك الشئ واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج
أعيا الله ان أهل الجنة يبتدئون بتمظيم الله وتزييده ويختتمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم
يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر فى الحديث ﴿ قوله
سبحانه وتعالى ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر ﴾ يعنى ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر بما لهم
فيه مضرة ومكروه فى نفس أو مال قال ابن عباس هذا فى قول الرجل لاهله وولده عند
الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله
وولده بما يكره أن يستجاب له فيه ﴿ استعجالهم بالخير ﴾ يعنى كاستعجالهم بالخير وكما يحبون
أن يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير ﴿ لقضى اليهم أجلهم ﴾ يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا
جميعا والتعجيل تقديم الشئ قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتبية ان الناس
عند الغضب والضجر قديعون على انفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء
كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقول لو اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذى
يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعنى لفرغ من هلاكهم ولكن الله
عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له فى الشر وقيل ان هذه
الآية نزلت فى النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب

ولو يعجل الله للناس الشر) دعاهم بالشر (استعجالهم بالخير) كاستعجال دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) لهلكوا (كا)

(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهون) يترددون ووجد اتصاله بما قبله ان قوله ولو يجعل الله متضمن معنى نفي التعميل كأنه قيل ولا نجعل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فمهلهم ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحجة عليهم (واذا مس الانسان) أصابه والمراد بالكافر (الضر دعانا) أي دعا الله لازالته (جنبه) في موضع الحال ﴿ ٢٣٣ ﴾ بدليل { سورة يونس } عطف الخالين أي (أوقاعدا

أوقائماً) عليه أي دعانا مضطجعا أوقائماً ذكراً هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالته كلها كان مضطجعا عاجزاً عن النهوض أوقاعدا لا يقدر على القيام أوقائماً لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا ما به (مسكأن لم يدعنا الى ضره مسه) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فحفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك (التزين) زين للمسرفين (زين للمجاهدين الحدي الكفر) زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر

(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث بعد الموت

تعالى * وقرى لقضينا ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ عطف على فعل محذوف دل عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نجعل ولا نقضى فنذرهم امهالاً لهم واستدراجاً ﴿ واذا مس الانسان الضر دعانا ﴾ لازالته مخاصفاً ﴿ جنبه ﴾ ملقاً جنباً أي مضطجعا ﴿ أوقاعدا أوقائماً ﴾ وفائدة التردد تعميم الدعاء لجميع الاحوال أو لاصناف المضار ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ يعني مضى على طريقته واستقر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ كأنه لم يدعنا فحفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون * كأن ندياه حقان

﴿ الى ضره ﴾ الى كشف ضره ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التزين ﴿ زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ من الانهماك

كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لجعل قضاء آجالهم ولهمكوا جميعاً ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعني فنذر الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿ في طغيانهم ﴾ يعني في تمردهم وعتوهم ﴿ يعمهون ﴾ يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهداً ان تخلفني فاما أنا بشرا غضب كما يغضب البشر فأما رجل من المسلمين سبته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقرب به اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا مس الانسان الضر ﴿ أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر ﴿ دعانا جنبه ﴾ أي على جنبه مضطجعا ﴿ أوقاعدا أوقائماً ﴾ يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن إحدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعياً في جميع حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أوقاعدا أوقائماً وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر جنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ يعني فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه ﴿ مس ﴾ يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما أسقط الضمير على سبيل التخفيف ﴿ الى ضره ﴾ والمعنى انه استقر على حاله الاولى قبل أن يسه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر ﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ يعني مثل ما زين له هذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان

(في طغيانهم) في كفرهم وضلالهم (يعمهون) (ق) (٣٠) ثالث) يمضون عجلة لا يبصرون (واذا مس الانسان الضر) اذا أصاب الكافر الشدة أو المرض وهو هشام بن المغيرة المخزومي (دعانا جنبه) مضطجعا (أوقاعدا أوقائماً) فلما كشفنا عنه ضره رفعنا ما كان به من الشدة والبلاء (مسه) استقر على ترك الدعاء (كأن لم يدعنا الى ضره) الى شدة (مسه) أصابه (كذلك) هكذا (زين للمسرفين) للمسركين (ما كانوا يعملون) في الشرك من الدعاء في الشدة وترك

واتباع الكفر (واتعدأهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو في (وجاءتهم رسالتهم) للحال أى ظلموا بالكذب (الجزء الحادى عشر) وقد جاءتهم ﴿ ٢٣٤ ﴾ رسالتهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا

ليؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا أو اعتراض واللام لتأكيد النفي يعنى أن السبب فى اهلاكهم تكذيبهم للرسول وعلم الله أنه لا فائدة فى امهالهم بعد ان أزموا بالحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزء يعنى الالهلاك (نجزى القوم المجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناها (لننظر كيف تعملون) أى

الدعاء فى الرخاء (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) حين كفروا (وجاءتهم رسالتهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (وما كانوا يؤمنوا) يقول لم يؤمنوا بما كذبوا به يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نجزى القوم المجرمين) المشركين بالهلاك (ثم جعلناكم) يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم

فى الشهوات والاعراض عن العبادات ﴿ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ﴾ يا اهل مكة ﴿ لما ظلموا ﴾ حين ظلموا بالكذب واستعمال القوى والجوارح لاعلى ما ينبغي ﴿ وجاءتهم رسالتهم بالبينات ﴾ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلموا ﴿ وما كانوا يؤمنوا ﴾ وما استقام لهم ان يؤمنوا فساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلم بانهم يتوتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسول واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم ﴿ نجزى القوم المجرمين ﴾ نجزى كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كل جرهم وانهم اعلام فيه ﴿ ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم ﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يجتبر ﴿ لننظر كيف تعملون ﴾ أتعلمون خيرا أو شرا فنعاملكم

وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسررف هو الجاوز الحد فى كل شئ وانما سمي الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه وضيعها فى عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه فى البحائر والسوائب وما كانوا يتفتونه على الاصنام وسدتها يعنى خدامها وقل ابن جريج فى قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من الدعاء عند المعصية وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين لكم اعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانس قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع فى جميع حالاته مجتهدا فى الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكر الله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء فى جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببليّة أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقاب عنه بل يكون شاكر الله عز وجل فى جميع أحواله ويعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم فى جميع افعاله وله التصرف فى خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاء على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ﴾ يعنى اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة ﴿ لما ظلموا ﴾ يعنى لما أشركوا ﴿ وجاءتهم رسالتهم بالبينات ﴾ يعنى فكذبوهم ﴿ وما كانوا يؤمنوا ﴾ يعنى هذه الامم برسالتهم ويصدقوهم عما جاؤا به من عند الله ﴿ كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ يعنى كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسالتهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم ﴾ الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء فى الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم ﴿ لننظر كيف تعملون ﴾ يعنى خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم

(خلائف) استخلفناكم (فى الارض من بعدهم) من بعد هلاكهم (لننظر كيف تعملون) ماذا تعملون (والنظر)

لننظر أتعلمون خيراً أو شراً فنعاملكم على ﴿ ٢٣٥ ﴾ حسب عملكم { سورة يونس } وكيف في محل النصيب

بتعلمون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بمافيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون (و اذا تتلى عليهم آياتنا

بينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظمهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الضالين (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظنا من ذلك تنبئك (أو بدله) بأن تجعل مكان آية عذاب آية راحة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية راحة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي)

من الخير (و اذا تتلى عليهم) تقرأ على المستهزئين الوليد بن المغيرة وأصحابه (آياتنا بينات) مبينات بالامر والنهي (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث بعد الموت وهم مستهزؤون (ائت) يا محمد (بقرآن غير هذا) أو بدله (غيره

على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ماقبله وفائدة الدلالة على ان المتعبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لاهي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى ﴿ و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى المشركين ﴿ ائت بقرآن غير هذا ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معائب آلهتنا ﴿ أو بدله ﴾ بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى واهلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه ﴿ قل ما يكون لي ﴾ ما يصح لي ﴿ ان أبدله من تلقاء نفسي ﴾ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفاً وانما اكتفى بالجواب عن التبديل

والنظر هنا بمعنى العلم يريد لفتتكم اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله سبحانه وتعالى اظهاراً للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليلوكم أيكم احسن عملاً ذكره الواحدي والرازي (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء آخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ يعنى و اذا قريء على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات يعنى واضححات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك ﴿ قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكراً للبعث فانه لا يرجون ثواباً ولا يخاف عقاباً ﴿ ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ قال قتادة قل ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبيد الله بن أمية الخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز ابن حفص وعمر بن عبد الله بن أبى قيس العامري والعاص بن عاصم بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأنت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية راحة ومكان حلال حرام قال الامام فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتباس بحتمل وجهين * أحدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لوجئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لا منابك وغرضهم السخرية والاستهزاء * الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذباً في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد هؤلاء ﴿ ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس

فاجعل آية الرجة آية العذاب وآية العذاب آية الرجة (قل) لهم يا محمد (ما يكون لي) ما يجوز لي (أن أبدله) أن أغیره (من تلقاء نفسي)

من قبل نفسي (ان أتبع الامايوحى الى) لأتبع الاوحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى أتيت به من عند الله لا من عندى قابله (انى أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة واما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء انلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغيرهم { الجزء الحادى عشر } فى هذا الاقتراح ﴿ ٢٣٦ ﴾ الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن

ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله قابله للقرآن مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلك الله فينجوا منه أولا يهلك فيسخر وا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصيحوا لاقتراده على الله (قل لو شاء الله ماتلوتة عليكم) يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واطهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أى لم يعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصحيا بغرب كل كلام فصيح ويعلو على كل منشور ومنظوم مشعونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التى لا يعلمها الا الله (ولا ادراككم به) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أى فقد أمت فيما بينكم أربعين

لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ﴿ ان اتبع الامايوحى الى ﴾ تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى أخاف ان عصيت ربي ﴾ أى بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لو شاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ماتلوتة عليكم ﴾ ولا ادراككم به ﴿ ولا أعلمكم به ﴾ على لسانى * وعن ابن كثير ولا ادراككم به بلام التأكيد أى لو شاء الله ماتلوتة عليكم ولا أعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا يحصى عنه لولم ارسل به لا رسل به غيرى * وقرىء ولا ادراككم ولا ادراككم بالهمزة فيهما على لغة من يقبل الالف المبدلة من الياء همزة أو على انه من الدرء بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرونى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا ﴾ مقدار عمر أربعين سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن لا تلاوته ولا علمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد علما ولم ينشئ

الى وما ينبغي لى ان أغيره من قبل نفسي ولم أوسر به ﴿ ان أتبع الامايوحى الى ﴾ يعنى فيما أوسر به أو أنها كم عنه وما أخبركم الامايخبرنى الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندى ﴿ انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ أى قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعمييته بذلك أن يعذبني بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ أى قل يا محمد انهؤلاء المشركين الذين طابوا منك تغيير القرآن وتبديله ﴿ لو شاء الله ماتلوتة عليكم ﴾ يعنى لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم ﴿ ولا ادراككم به ﴾ قال ابن عباس ولا ادراككم الله به ولا أعلمكم به ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ﴾ يعنى فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشئ * ووجد هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبثته وعلوا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أربعون سنة ثم بعد الاربعين

سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتهمونى باختراعه (جاءهم)

من قبل نفسي (ان أتبع الامايوحى الى) ما أقول وما أعمل الا بما يوحى الى فى القرآن (انى أخاف) أعز (ن عصيت ربي) فبدلته ان يكون على (عذاب يوم عظيم) شديد (قل) يا محمد (لو شاء الله) ان لا أكون رسولا (ماتلوتة عليكم) ما قرأت القرآن عليكم (ولا ادراككم به) يقول ولا أعلمكم به بالقرآن (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن

قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحته كل منطق وعلا عن كل منشور
ومنظوم واحتوى على قواعد على الاصول والفروع واعرب عن اقصيص الاولين
واحاديث الآخريين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى ﴿أفلاتعقلون﴾ أي أفلا
تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير فيه لتعلموا انه ليس الا من الله ﴿فمن أظلم ممن

جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيد من الاحكام
والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته
فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحى من الله تعالى لا من
عند نفسه وهو قوله ﴿أفلاتعقلون﴾ يعنى ان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى لا من
قبل نفسى (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن أربعين سنة فكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالمجرة فهاجر الى المدينة
فكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء
سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفى وهو ابن خمس
وستين سنة أخرجه في الصحيحين (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت توفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجه في الصحيحين (م) عن أنس رضى الله عنه قال
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث
وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن
رضى الله عنه قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من
القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم
ليس بمحمد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة
عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس
في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجه في الصحيحين * قال الشيخ محي الدين
النووى ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم
توفى وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى
أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على
ان أحكمها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على
القيود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع
الصوت يعنى صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعنى نور الملائكة أو نور آيات
الله حتى رأى الملك بعينه وشافه بالوحى من الله عز وجل * وقوله ليس بالابيض
الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كره المنظر وربما توهم الناظر أنه
برص والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحمرة * قوله عز وجل ﴿فمن أظلم ممن

(أفلاتعقلون) فتعلموا انه

ليس الا من عند الله لا من

مثلى وهذا جواب عما

دسوه تحت قوله أثبت بقرآن

غير هذا من اضافة الافتراء

اليه (فمن أظلم ممن

ولم أقل من هذا شيئا) أفلا

تعقلون (أفليس لكم ذهن

الانسانية انه ليس من تلقاء

نفسى (فمن أظلم) اعنى واجرا

على الله (ممن

وعقاب (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أى آية من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) أى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بما لا يعلمون من انزال الجزء الحادى عشر من الآيات ٢٤٠ المقترحة لا غير (فانتظروا) نزول ما

اقترحتوه (انى معكم من المنتظرين) لما يذل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (واذا أذقنا الناس أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة) من بعد ضراء مستهم) يعنى التقط والجوع (اذلهم مكر فى آياتنا) اى مكروا بآياتنا بدهمها وانكارها روى الله تعالى سلط التقط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدون فذا الاولى للشرط والثانية جوابا وهى للمناجاة وهو كقوله وان تصبهم سيلا فاقدمت أيديهم اذاهم يقتظون أى وان تصبهم سيلا فخطوا واذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطية من الجارية المذكورة المطوية الخفاق ومعنى مستهم خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم (ويقولون) يعنى كفار مكة (لولا أنزل عليه) هلا أنزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) على ما يقول (فقل) يا محمد (انما الغيب)

مقر ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أى من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فاعلمه يعلم فى انزال الآيات المقترحة مفسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول ما اقترحتوه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقترحكم غيره (واذا أذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضراء مستهم) كتحط ومرض (اذا لهم مكر فى آياتنا) بالظعن فيها والاحتيايل فى دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم فى الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤخذ أحدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التى سبقت من الله هى قوله ان رحمتى سبقت غضبى ولولا لرحمة لجعل لهم العقوبة فى الدنيا ولكن أخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم قضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعنى فى الدنيا (ويقولون) يعنى كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعنى هلا نزل على محمد ما اقترحه عليه من الآيات (فقل) أى فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعنى ان الذى سألتونى به هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزول الآية الا هو (فانتظروا) يعنى نزولها (انى معكم من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل (انى معكم من المنتظرين) قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس رحمة) يعنى رخاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعنى من بعد شدة وبلاء وضيق فى العيش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والتقط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخضبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا لهم مكر فى آياتنا) قال مجاهد أى تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب أخرجاه فى الصحيحين قوله على أثر سماء كانت من الليل أى مطر كان قد وقع فى الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر

بنزول الآية (لله فانتظروا) هلاكى (انى معكم من المنتظرين) لهلاككم (واذا أذقنا الناس) أعطينا الكفار (رحمة) (من) نعمة (من بعد ضراء) شدة (مستهم) أصابهم (اذا لهم مكر) تكذيب (فى آياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن

وانما قال (قل الله أسرع مكرًا) ﴿ ٢٤١ ﴾ ولم يصفهم بسرعة { سورة يونس } المكر لان كلمة المفاجأة

دلت على ذلك كانه قال واذا رجسناهم من بعد ذرأه فاجزوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الغرأ (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلام بان ما تظنون خافيا لا تخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياه سهل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يحملكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلأ الجارية فى البحار أو تخلق فيكم السيرة سركم شامى (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (برح طيبة) لينتالهبوب لالاسفة ولاضيفة

(قل الله أسرع مكرًا) أشد عقوبة أهلأهم الله يوم ينزل (ان رسلنا) الحفظة (يكتبون ما تمكرون) ما تقولون من الكذب وتعملون من المعاصى (هو الذى يسيركم) يحفظكم اذا سافرتكم (فى البر) على الدواب (والبحر) وفى البحر فى السفن (حتى اذا كنتم فى الفلك) (ركبتم فى السفن) (قا و خا ٣١ لث) (وجرين بهم) جرت السفن بأهلها (برح طيبة) لينتالسا كنة

يقدر حزن فى آيات الله ويكردون رسوله ﴿ قل الله أسرع مكرًا ﴾ منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدهم وانما دل على سرعتهم المغفل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذالشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج الجزاء على المكر ﴿ ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ تحقيق الانتقام وتنبه على ان مادبروا فى اخفائه لم يخب على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يكررون بالياه ليوافق ما قبله ﴿ هو الذى يسيركم ﴾ يحملكم على السير ويحكمكم منه ﴿ فى البر والبحر ﴾ حتى اذا كنتم فى الفلك ﴿ فى السفن ﴾ وجرين بهم ﴿ بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكركم لغبرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿ برح طيبة ﴾ لينتالسا

من السماء والانواء عند العرب هى منازل القمر اذا طلع نجم سقطت نظيره وكانوا يعتمدون فى الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فن العرب من يجعل ذلك التأثير للمطلع لانه ناء أى ظهر وطاع ومنهم من ينسبه للغارب ففى النبى عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التى يجوز انحرافها فقد ذكره قوم وحرمد قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمت الله والله أعلم وتسمى تكذيبهم بآيات الله مكرًا لان المكر عبارة عن صرف الشئ عن وجهه المأهر بنوع من الخيلة وكان كفار مكة يحتسبون فى دفع آيات الله بكل ما يقدرون عائد من المفسد ﴿ قل الله أسرع مكرًا ﴾ أى قل لهم يا محمد الله أنجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء وان عذابه فى هلاككم أسرع اليكم مما يأتى منكم فى دفع الحق ولما قابلوا نعمت الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ﴿ ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ يعنى الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم ﴿ قوله تعالى ﴾ هو الذى يسيركم فى البر والبحر ﴿ يعنى هو الله الذى يسيركم يعنى يحكمكم فى البر على ظهور الدواب وفى البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادى لكم فى السير فى البر والبحر طابا للمعاش أو هو المهي لكم أسباب السير فى البر والبحر ﴿ حتى اذا كنتم فى الفلك ﴾ يعنى السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مخفان فان أريد بها الواحد كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لنواه تعالى ﴿ وجرين بهم ﴾ يعنى وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغبرهم حالهم ليجبرهم منها ويستدعى منهم مزيد الانكار والتقبح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام الخطيب حمن منه ان يرد الى الغائب وقيل ان الالفاظ فى الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فسخ كلام العرب ﴿ برح طيبة ﴾

كنتم فى الفلك) ركبتم فى السفن (قا و خا ٣١ لث) (وجرين بهم) جرت السفن بأهلها (برح طيبة) لينتالسا كنة

(و فرحوا بها) بتلك الريح اليها واستقامتها (جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أي شديدة الهبوب. (وجاءهم الموج) هو { الجزء الحادي عشر } ماء أعلى ٢٤٢ الماء (من كل مكان) من البحر أو من

جميع أماكن الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعلوا أحاطة العدو بالحي مثلًا في الإهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ مع غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الأحوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك فمستكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتفسير في البحر ولكن مضنون بالجنة الشرطية الزائفة بعد حتى بما في جزائها كالمقليل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكانت كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن والهلاك والدماء بالإنجاء وجواب أن جاءها ودعوا بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض) يفسدون فيها (بغير الحق)

(و فرحوا بها) اعجب الملاحون بالريح الساكنة (جاءتها) أي السفن (ريح عاصف) ذات عصف شديد (وجاءهم الموج) ركبهم الموج (من كل مكان) ناحية (وظنوا) علموا بوقوعها (أنهم

الهبوب و فرحوا بها بتلك الريح وجاءتها جواب لا إذا الضمير للفلك أو الريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يحى الموج منه وظنوا أنهم أحيط بهم (أهلكوا) وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لأن دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن أنجيتنا من هذه) لنكونن من الشاكرين (على إرادة القول أو بفعل دعوا) لأن من جملة القول (فلما أنجاهم) أجابته لدعائهم (إذا هم يبغون في الأرض) فاجأوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فسد وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلاع أشجارهم

يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة و فرحوا بها يعنى وفرح ركبها بتلك الفلك بتلك الريح الطيبة لأن الإنسان إذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرّة العظيمة بذلك (جاءتها) ربح عاصف قيل إن الضمير في جاءتها يرجع إلى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ربح عاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع إلى الفلك يعنى جاءت الفلك ربح عاصف يقال ربح عاصف وعاصفة ومعنى عصف الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وإنما قال عاصف لأنه أراد به ذات عصف أو لاجل أن لفظ الريح قديماً (وجاءهم الموج من كل مكان) يعنى وجاء ركب السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعنى وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحرق وقيل المراد من الظن اليقين أى وأيقنوا أنه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والإشراف عليه (دعوا الله مخلصين له الدين) يعنى أنهم أخلصوا في الدعاء لله عن وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الإخلاص العبادة الحقيقية للإخلاص الإيمان لأنهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجيهم من جميع الشدائد أو البلاء إلا الله تعالى فكانوا إذا وقعوا في شدة وضروب البلاء أخلصوا لله الدعاء (لئن أنجيتنا) أى قائلين لئن أنجيتنا ياربنا (من هذه) يعنى من هذه الشدائد التي نحن فيها وهى الريح العاصفة والأمواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعنى من الشاكرين لك على أنعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعنى فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) يعنى أنهم أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الأرض فتجاوزوا فيها إلى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي

(أحيط بهم) أهلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) مفردين له بالدعاء (لئن أنجيتنا من هذه) الريح والشدة (لنكونن) مجاوزة (من الشاكرين) من المؤمنين المطيعين (فلما أنجاهم) من الريح والفرق (إذا هم يبغون) يتناولون (في الأرض بغير الحق)

باطلا أى مبطلين (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) أى ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن
 أساء فلها (متاع الحياة الدنيا) حفص أى تمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم غيره بالرفع على أنه خبر بغيكم
 وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ﴿ ٢٤٣ ﴾ ومعناه انما بغيكم سورة يونس على أمثالكم أو هو خبر

ومتاع خبر بعد خبر
 أو متاع خبر مبتدأ مضمرة
 أى هو متاع الحياة الدنيا
 وفي الحديث أسرع الخير
 ثوبا صلوة الرحم وأجمل
 الشر عتقا البني واليمن
 الفاجرة وروى ثنشان
 يعجها ما الله في الدنيا البغي
 وعقوق الوالدين وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما
 لو بغى جبل على جبل
 لدك الباغى وعن محمد بن
 كعب ثلاث من كن فيه
 كن عليه البغي والنكث
 والمكر قال الله تعالى انما
 بغيكم على أنفسكم ولا
 يحقيق المكر السيئ الا
 بأهله ومن نكث فانما
 ينكث على نفسه (ثم الينا
 مرجعكم فننبئكم بما كنتم
 تعملون) فنخبركم بدو تجازيكم
 عليه (انما مثل الحياة الدنيا
 كماء انزلناه من السماء من
 السحاب فاختلط به بالماء
 نبات الارض) أى
 فاشتبك بسيد حتى خالط
 بعضه بعضا (مما يأكل
 الناس) يعنى الحبوب
 والثمار والبقول (والانعام)
 بالاحق (يا أيها الناس)
 يا أهل مكة (انما بغيكم)

فانها افساد بحق ﴿ يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ﴾ فان وباله عليكم أو انه على
 أمثالكم وابتداء جنسكم ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها
 ورفع على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ مخذوف تقديره ذلك
 متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم ونسب حفص على أنه مصدر مؤكداً
 تمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البغي لأنه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر
 مخذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا مخذور أو ضلال أو مفعول فعل دل عليه
 البغي وعلى أنفسكم خبره ﴿ ثم الينا مرجعكم ﴾ فى القيامة ﴿ فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾
 بالجزاء عليه ﴿ انما مثل الحياة الدنيا ﴾ حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب
 نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها ﴿ كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
 الارض ﴾ فاشتبك بسيد حتى خالط بعضه بعضا ﴿ مما يأكل الناس والانعام ﴾

مجاوزه الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما مجرود وهو مجاوزة
 العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى
 الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشف فان قلت مامعنى قوله بغير الحق والبغي
 لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم
 دورهم واحراق زروعهم وقمع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ببني قريظة ﴿ يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ﴾ يعنى ان وبك بغيكم راجع
 عليكم ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغي بعضكم على بعض
 هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لاداء الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس
 انما بغيكم على أنفسكم لا يتهى أن يبغى بعضكم على بعض الا بما قليلة وهى مدة حياتكم مع
 قصرها فى سرعة انقضائها والبغى من منكرات الذنوب العظام قل بعضهم لو بغى جبل
 على جبل لانك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يثقل بدققل
 يا صاحب البغي ان البغى مضرعة فارجع فخير مقال المرء أعدله
 فلو بغى جبل يوما على جبل لا نك من أعاله وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ثم الينا مرجعكم ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ فننبئكم ﴾ أى
 فنخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فى الدنيا من البغى والمعاصى فنجازيكم عليها ﴿ قوله
 عز وجل ﴾ انما مثل الحياة الدنيا ﴿ يعنى فى فنائها وزوالها ﴾ كماء انزلناه من السماء ﴿
 يعنى المطر ﴾ فاختلط به أى بالمطر ﴿ نبات الارض ﴾ قال ابن عباس نبات
 بالماء من كل لون ﴿ مما يأكل الناس ﴾ يعنى من الحبوب والثمار ﴿ والانعام ﴾ يعنى
 وما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه

ظلمكم وتطاولكم فيما بينكم (على أنفسكم) جناية (متاع الحياة الدنيا) منافع الدنيا تفسى ولا تبقى (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت
 (فننبئكم) نخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (انما مثل الحياة الدنيا) فى بقائها وفنائها (كماء انزلناه من السماء)
 يعنى المطر (فاختلط به نبات الارض) اختلط بنبات الارض (بما يأكل الناس) الحبوب والثمار (والانعام) العكوش

واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الزاء وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على القليل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فكتبتها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الارض (أنها قادرون عليها) متكونون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أنها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أن هم واستيقامهم انه قد سلم (ايلا أونهارا فجعلائها) فجعلائنا زرعها (حصيدا) شيئا بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لابد منه ليستقيم المعنى (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن

من النبات والحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) زينتها (وازينت) بالاحمر والاصفر والاخضر (وظن أهلها) الخراثون (أنهم قادرون عليها) على غلاتها (أنها أمرنا) عذابنا (ايلا أونهارا) كأنما داست

من الزروع والبقول والحشيش ❦ حتى اذا أخذت الارض زخرفها ❦ حسنهما وبهجه ❦ وازينت ❦ تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب ولزين وتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وتقدرى على الاصل وازينت على انعت من غير ابدال كغيات والمضى صارت ذات زينة وازينت كلباضت ❦ وظن أهلها أنهم قادرون عليها ❦ فمكتون من حصدها ورفع غلتها ❦ أنها أمرنا ❦ ضرب زرعها ما يحتاج ❦ ايلا أونهارا فجعلائها ❦ فجعلائنا زرعها ❦ حصيدا ❦ شيئا بما يحصد من اصله ❦ كأن لم تغن ❦ كأن لم يغن زرعها أي لم تلبث حذف المضاف في الوقت القريب والمثل به مخبون الحكاية وهو زول خضرة النبات فجأة

❦ حتى اذا أخذت الارض زخرفها ❦ يعني حسنهما ونضارتها وبهجه وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور ❦ وازينت ❦ أي وتزينت ❦ (وظن أهلها) يعني أهل تلك الارض ❦ أنهم قادرون عليها ❦ يعني على جدداءها ونطاقاتها وحصدها هاردا لكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقبل رده الى الثمرة والغلة وقبل الى الزينة ❦ أنها أمرنا ❦ أي تضوئنا بها ❦ ايلا أونهارا ❦ يعني في الليل أو النهار فجعلائها حصيدا ❦ يعني محصودة مقطوعة ❦ كأن لم تغن بالامس ❦ يعني كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غنى فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضرب الله سبحانه وتعالى للمتشبهين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قول يا أيها الناس انما نغنيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن غنى في الارض ونجى فيها وركز الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النبات في أول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فإذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسب كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الارض آخذة زخرفها على التشبيد بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاءه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الارض صاعقة أبرد أو ريحا فجعلائها حصيدا كان لم تكن من قبل قل فتادة ان المتشبه بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المالك بالدنيا اذا نال منها بغيته أنه الموت بغتة فسا به ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا

الغنم في حفافها فافسد زروع الزراعين (فجعلائها حصيدا) كحصيد الصيف (كأن لم تغن بالامس) لم تكن (انتهى)

لم تمنع أنفا (كذلك فصل الآيات لقوم يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافها وذهاب حطامها بعد ما تنف ونكاف وزين الارض بخضرته ورفيعة والتبديد على حكمة التشبيه ان الحياة صفة وهاشبيتها وكدرها شبيتها كما أن صفو الماء في أعلى الاناء قل ألم تر ان العمر كاس سلافة فاوله صفو وآخره كدر وحققة تدزين جنة الطيبين بصالح الدين والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالجنة الطيبة تنبت بساكنين الانس ورياحين ﴿٢٤٥﴾ الروح وزهرة الزهد ﴿سورة يونس﴾ وكروم الكرم وحبوب

الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخاف وتنام الانم وشوك الشرك وشبح الشبح وخطب العطب واعاع اللعب ثم يدعو معاده كما يحين للحرث حصاده فتزايه الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفرا فتغيب جنته في الرمس كأن لم تمنع بالامس الى ان يعود ربيع البعث وموعده العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كالابد من أخذ الزاد وأخذ المال لا يحاو من زلة كما ان خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه وانساكه تاف صاحبه واهلاكه فادون النصاب بضخاض ماء يجاوز بلا احتواء والنصاب كنه حائل بين المجتاز والجواز الى المفاز لا يمكن الا بقنطرة وهي الزكاة وعارثها بذل الصلاة فتختل القنطرة غرق قدام واج القناطر

وذهابه حطاما بعد ما كان خضا والنف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لالماء وان وليد حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب ﴿كذلك فصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ فانهم المنتفعون به ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾ دار السلام من التقوى والآية أودار الله وتخصيص هذا الاسم للتبنيه على ذلك أودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿ويهدى من يشاء﴾ بالتوفيق ﴿الى صراط مستقيم﴾

انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية ان تصوى أنتد آفة فاف بالكنية ثمان لله سبحانه وتعالى قادر على اعدته كما كان أول مرة فغضب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ايدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الآخرة ايجازهم على اعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي ﴿كذلك فصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يعني كما ينالكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وأدلتنا ان تفكر واعتبر لكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ والله يدعوا الى دار السلام ﴿لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لاحالة دعالي دار دار السلام قل فتادة الله هو السلام ودار الجنة قل في هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين من المكار والافات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والماء من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتهب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ملائكة رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يحف الاعظما وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه ﴿ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يعني والله

المقنطرة وعن هذا قل عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الامجاد كان الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكد البخل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم ينفى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف (والله يدعوا الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسمها تعظيما لها أو السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الاقيا لاسلاما سلاما (ويهدى من يشاء) ويوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى

بالامس (كذلك) هكذا (فصل الآيات) نبين القرآن في فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) في امر الدنيا والآخرة (والله يدعوا) الخلق بالتوحيد (الى دار السلام) والسلام هو الله والجنة داره (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) دين قائم برضاء

وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى﴾ المثوبة الحسنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل

يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثالا فاضربوا له مثالا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها بنقها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس * وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت فى المنام كان جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثالا * وعن النواس ابن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثالا صراطا مستقيما على كفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على ابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التى على كفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله عز وجل ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى﴾ قال ابن عباس للذين شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عند الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ اختلاف المفسرون فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعرى وعبادة بن صامت رضى الله عنهم وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدى ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول فما روى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم

الاسلام أو طريق السنة
فالدعوة عامة على لسان
رسول الله بالدلالة والهداية
خاصة من لطف المرسل
بالتوفيق والعناية والمعنى
يدعوا العباد كلهم الى دار
السلام ولا يدخلها الا المهديون
(لَّذِينَ أَحْسَنُوا) آمنوا
بالله ورسوله (الحسنى)
المثوبة الحسنى وهى الجنة
(وَزِيَادَةٌ) رؤية الرب
عز وجل كذا عن أبى بكر
وحذيفة وابن عباس وأبى
موسى الاشعرى وعبادة
ابن الصامت رضى الله
عنهم وفى بعض التفاسير
أجمع المفسرون على ان
الزيادة النظر الى الله تعالى
وعن صهيب ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا دخل
أهل الجنة الجنة يقول الله
تبارك وتعالى أريدون شيأ
أزيدكم فيقولون ألم تبيض
وهو الاسلام (لَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحَسَنَى) وحدوا
الحسنى الجنة (وَزِيَادَةٌ)
يعنى النظر الى وجه الله

حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة

من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذي أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذي أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجهه الله الكريم وعن أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجهه الله الكريم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجهه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادى هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيتجلى لهم عن وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجهه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هو الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب حل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكده ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة أمرين أحدهما النظرة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجهه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضها فوجب حل الحسنى على الجنة ونعيمها وحل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتهى ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشييد ولا احاطة واجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه بان المزيد عليه اذا كان

وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله تعالى فأعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشف انه ذكر هذا الحديث لانه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع انه مدفوع قدأورده صاحب المصابيح في الصحاح وقيل الزيادة المحبة في قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان

ويقال الزيادة في الثواب

من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هى اللغز ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمضى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو والذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى ان يجازى سيئة بسيئة مثله الا يزداد عليه او فيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل أو التضمين أو كما نأغشيت وجوههم أو أولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة بمبتدأ خبره محذوف أى فجزاء

(ولا يرهق وجوههم)
ولا يغشى وجوههم (قتر)
غبرة فيها سواد (ولا ذلة)
ولا أثر هوان والمعنى
ولا يرهقهم ما يرهق اهل
النار (أولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون
والذين كسبوا) عطف
للذين احسنوا أى وللذين
كسبوا (السيئات) فنون
الشرك (جزاء سيئة بمثلها)
الباء زائدة كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلاً أو التقدير
جزاء سيئة مقدرة بمثلها

بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالمدكور فى الآية لفظ الحسنى وهى الجنة ونعيمها غير متقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئاً مغايراً لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤبة وأوجب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين جلو الزيادة على غير الرؤبة بانه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هى الرؤبة والمثبت مقدم على النافي والله أعلم القول الثانى فى معنى هذه الزيادة ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال الزيادة غرة من أولوة واحدة لها أربعة أبواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضمين الى تمام العشرة والى سبع مائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يحزنهم بعملهم وزيدهم بن فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هى الجنة والزيادة ما أعظمها فى الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى ولا يرهق وجوههم معنى ولا يغشى وجوه اهل الجنة قتر أى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه ولا ذلة أى كآبة ولا هوان قال ابن أبى ليلي هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون يعنى ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبداً قوله سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامة شرح فى هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعنى والذين عملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصى جزاء سيئة بمثلها يعنى فلهم جزاء السيئة التى عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى أضغاف كثيرة وذلك تفضلاً منه وتكرماً وأما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها

(ولا يرهق) لا يغشى
(وجوههم قتر) سواد ولا
كسوف (ولا ذلة) ولا كآبة
(أولئك اصحاب الجنة)
اهل الجنة (هم فيها خالدون
والذين كسبوا السيئات)
الشرك بالله (جزاء سيئة
بمثلها) بقول قصاص الشرك
بالله النار

(وترهقهم ذلة) ذل وهو ان (مالهم من الله) من عتبه (من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً) أى جبال عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعاً مكي وعلى من قوله بقطع ﴿٢٤٩﴾ من الليل وعلى هذه {سورة يونس} القراءة مظهراً صفة لقطع

وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف والجور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل وقراء ابن كثير والكشاف ويعقوب قطعا بالسكون فولى هذا يصح ان يكون مظهراً صفة له او حالاً منه ﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ مما يخرج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لا تشمل السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة لا يتناولهم فيه ﴿وبوم نحشرهم جميعاً﴾ بمعنى الفرقتين جميعاً ﴿ثم نقول للذين اشركوا مكانكم﴾ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿انتم﴾ أى كيد الضمير المنتقل اليه من عامله ﴿وشركاؤكم﴾ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه ﴿فزبلنا بينهم﴾ ففرقنا بينهم وقولهنا الوصل التي كانت بينهم ﴿وقام شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون﴾ عدلاً منه سبحانه وتعالى ﴿وترهقهم ذلة﴾ قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهو ان اصاب الله اياهم ﴿مالهم من الله من عاصم﴾ يعنى مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذ انزل بهم ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً﴾ يعنى كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم ﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿وبوم نحشرهم جميعاً﴾ الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى وبوم نجتمع الخلائق جميعاً لموقف الحساب وهو يوم القيامة ﴿ثم نقول للذين اشركوا مكانكم﴾ أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين ﴿انتم وشركاؤكم﴾ يعنى انتم اية المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ﴿فزبلنا بينهم﴾ يعنى ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من النواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى ﴿فزبلنا بينهم﴾ على لفظ الماضي بعيد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فافوجه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن ﴿قوله تعالى﴾ وقال شركاؤهم ﴿يعنى الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم اولاً لانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ﴿ما كنتم ايانا تعبدون﴾ تبرأ المعبدون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام

سببته بمثلها واقع أو مثلهما على زيادة الباء وتقدير مقدر بمثلها ﴿وترهقهم ذلة﴾ قرئ بالياء ﴿مالهم من الله من عاصم﴾ ما من احد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله ومن عتبه كما يكون للمؤمنين ﴿كأنما أغشيت﴾ غطيت ﴿وجوههم قطعا من الليل مظلماً﴾ لفرط سوادها وظلمتها ومظلمة حال من الليل والعامل فيها أغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل وقراء ابن كثير والكشاف ويعقوب قطعا بالسكون فولى هذا يصح ان يكون مظهراً صفة له او حالاً منه ﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ مما يخرج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لا تشمل السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة لا يتناولهم فيه ﴿وبوم نحشرهم جميعاً﴾ بمعنى الفرقتين جميعاً ﴿ثم نقول للذين اشركوا مكانكم﴾ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿انتم﴾ أى كيد الضمير المنتقل اليه من عامله ﴿وشركاؤكم﴾ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه ﴿فزبلنا بينهم﴾ ففرقنا بينهم وقولهنا الوصل التي كانت بينهم ﴿وقام شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون﴾ عدلاً منه سبحانه وتعالى ﴿وترهقهم ذلة﴾ قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهو ان اصاب الله اياهم ﴿مالهم من الله من عاصم﴾ يعنى مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذ انزل بهم ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً﴾ يعنى كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم ﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿وبوم نحشرهم جميعاً﴾ الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى وبوم نجتمع الخلائق جميعاً لموقف الحساب وهو يوم القيامة ﴿ثم نقول للذين اشركوا مكانكم﴾ أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين ﴿انتم وشركاؤكم﴾ يعنى انتم اية المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ﴿فزبلنا بينهم﴾ يعنى ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من النواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى ﴿فزبلنا بينهم﴾ على لفظ الماضي بعيد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فافوجه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن ﴿قوله تعالى﴾ وقال شركاؤهم ﴿يعنى الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم اولاً لانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ﴿ما كنتم ايانا تعبدون﴾ تبرأ المعبدون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام

(وترهقهم ذلة) تعلوهم كآبة وكسوف (مالهم من الله) من عذاب الله (من

عاصم) من مانع (كأنما) من الحزن (أغشيت) (قا و خا ٣٢ لث) ألبست (وجوههم قطعا من الليل) من السواد (مظلماً أولئك اصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون (وبوم نحشرهم) الكفار وآلهتهم (جميعاً ثم نقول للذين أشركوا) بالله الاوثان (مكانكم) كفوا (انتم وشركاؤكم) آلهتكم (فزبلنا) فرقنا (بينهم) وبين آلهتهم فقال الكافرون أمرنا هؤلاء ان نعبدهم من دونك (وقال شركاؤهم) آلهتهم رداعليهم (ما كنتم ايانا تعبدون) بأمرنا فقالوا بلى أمرتونا

انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله أنداداً فاطعموهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا { الجزء الحادى عشر } يعبدون الجن ٢٥٠ ﴿ فكفى بالله شهيداً بينا وبينكم ﴾

محاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما شر كوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشر كاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين ﴿ فكفى بالله شهيداً بينا وبينكم ﴾ فانه العالم بكنهه الحال ﴿ ان كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ ان هي الخففة من المثقلة واللام هي الفارقة ﴿ هنالك ﴾ في ذلك المقام ﴿ تبلوا كل نفس ما أسلفت ﴾ تختبر ما قدمت من عمل فتعاین نفعه وضره * وقرأ جزء والكسائي تتلوا من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلاوة تتبع علمها فيقودها الى الجنة او الى النار * وقرئ تبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما مندو والمعنى نخبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض ﴿ وردوا الى الله ﴾ الى جزائه اياهم بما أسلفوا ﴿ مولا هم الحق ﴾ ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه

وهي جاد لاروح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام * فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يفهمهم أو يقيهم * قلت الكل تحتل ولا اعتراض على الله في شئ من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة * فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها * قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة ﴿ فكفى بالله شهيداً بينا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت ﴾ فهو كاللزمة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام أو ذلك الموقب أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا قراءات قرئ بقاءين ولها معنيان أحدهما انه من تلاه اذا تبعه أي تتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب أو العتاب الثاني أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير أو شر وقرئ تبلوا بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تختبر وتعلم والبوا الاختبار ومعناه اختبارها ما أسلفت يعني أنه ان قدم خيراً أو شراً قدم عليه وجوزي به ﴿ وردوا الى الله ﴾ مولا هم الحق ﴿ الرد عبارة عن صرف الشئ الى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكمهم ومتولى أمرهم * فان قلت قد قال الله سبحانه

أي كفى بالله شهيداً وهو تميز (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان مخففة من المثقلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أفيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت تتلو حزة وعلى أي تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة أو النار أو تقرأ في صحيفها ما قدمت من خير أو شر كذا عن الاخفش (وردوا الى الله مولا هم الحق) ربهم في ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العبد

بعبادتكم فقالت الآلهة (فكفى بالله شهيداً بينا وبينكم ان كنا) قد كنا (عن عبادتكم) ايانا (لغافلين) لجاهلين لم نعلم من ذلك شيئاً (هنالك) عند ذلك تبلوا تعلم وان قرات بالتاء يقول

تقرأ (كل نفس ما أسلفت) ما علمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولا هم الحق) (وتعالى)

الذى لا يظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيها أدنى شيء (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة ﴿٢٥١﴾ والحب والكافر ﴿سورة يونس﴾ والجاهل وعكسها (ومن

يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فسيجيئونك عند سؤالك ان القادر هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك في العبودية اذا اعتزقتم بالروبية (فذلكم الله) أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبته ثباتا لا ريب فيه

(وضل عنهم) بطل عنهم واشتغل عنهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب (قل) يا محمد لكفار أهل مكة (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار (أم من يملك السمع والابصار) يقول من يقدر أن يخلق السمع والابصار (ومن يخرج الحى من الميت) من يقدر ان يخرج الحى من الميت من الميت يعنى النسيمة والدواب من النطفة ويقال الطير من البيضة

مولى وقرى الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد ﴿وضل عنهم﴾ وضاع عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من ان آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون انها آلهة ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ أى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من اهل السماء والارض ﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ ومن يحيى ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿ومن يدبر الامر﴾ ومن يلى تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص ﴿فسيقولون الله﴾ اذ لا يقدرون من المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه ﴿فقل أفلا تتقون﴾ انفسكم عقابه بأشراككم إياه ما لا يشاركه فى شيء من ذلك ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ أى المتولى وتعالى فى آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى فى اللغة يطلق على المالك ويطلق على اناصر فعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعنى وبطل وذبح ما كانوا يكذبون فيه فى الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات ﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ يعنى ومن أعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة ﴿ومن يدبر الامر﴾ يعنى ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله ﴿فسيقولون الله﴾ يعنى أنهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقولون بذلك ﴿فقل﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿فأفلا تتقون﴾ يعنى أفلا تتخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ يعنى فذلكم الذى

ويقال السنبلة من الحب (ويخرج الميت من الحى) النطفة من النسيمة والدواب ويقال البيضة من الطير ويقال الحبة من السنبلة (ومن يدبر الامر) من يقدر أن يدبر أمر العباد وينظر فى أمر العباد ويبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (فسيقولون الله فقل) يا محمد (أفلا تتقون) تطيعون الله (فذلكم الله ربكم) فالذى يفعل ذلك هو ربكم (الحق) هو الحق وعبادته

لمن حقق النظر (فإذا بعد الحق الا الضلال) أى لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) كلمات شامى وهدنى أى كالحق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كالحق أنهم مصروفون عن الحق وكذلك حققت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى { الجزء الحادى عشر } الحد الاقصى ٢٥٢ فيهِ (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة

أى حق عليهم انتفاء الايمان اوحق عليهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعاليل أى لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكرهم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جمل أمرا مسلما على ان فيهم من يقر بالاعادة أو يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر بيده بان ينوب عنهم في الجواب يعنى أنهم لاندعهم مكابرتهم أن يخطئوا بكلمة الحق فتسلكم عنهم (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يرشد الحق (فإذا بعد الحق الا الضلال) فإذا بعد الحق الا الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) كلمات شامى وهدنى أى كالحق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كالحق أنهم مصروفون عن الحق وكذلك حققت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى { الجزء الحادى عشر } الحد الاقصى ٢٥٢ فيهِ (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة

لهذه الاور المستحق لعبادة هور بكم الثابت رويته لانه الذى انشأكم واحباكم ورزقكم ودير اوركم فإذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار أى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك) حقت كلمت ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة او تعاليل حقيقتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها وان ذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال (قل لله يبدؤ الخلق ثم يعيده) لان الجحيم لا يدعهم ان يترموها (فأنى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) ينصب الحجج وارسل الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للتفكر والتدبر وهدى كما يهدى بالى تضمنه معنى الانتهاء بهدى بالام للدلالة على

يفضل هذه الاشياء ويتدرعها هو لله ربكم الحق لذي يستحق العبادة لاهذه الاصنام (فإذا بعد الحق الا الضلال) يعنى اذا ثبت بهذه البراهين لواخها ولدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ماسواه دالا وباطلا (فأنى تصرفون) يعنى اذا عرفت هذا الامر الظاهر الواضح وكيف تستغيثون العدول عن الحق الى الضلال الباطل (كذلك) أى كما ثبت أنه ليس بعد الحق الا الضلال (حققت كلمت ربك) أى وجبت (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة او تعاليل حقيقتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها وان ذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال (قل لله يبدؤ الخلق ثم يعيده) لان الجحيم لا يدعهم ان يترموها (فأنى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) ينصب الحجج وارسل الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للتفكر والتدبر وهدى كما يهدى بالى تضمنه معنى الانتهاء بهدى بالام للدلالة على

هكذا (حققت) وجبت (كلمت ربك) بالعذاب (على الذين فسقوا) كفروا (انهم لا يؤمنون) فى علم الله (قل) (قل)

لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يبدؤ الخلق) من النطفة ويجعل فيه الروح (ثم يعيده) بعد الموت يوم القيامة فان أجابوك والا ف (قل الله يبدؤ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) ثم يحييه يوم القيامة (فأنى تؤفكون) فمن اين تكذبون ويقال انظر يا محمد كيف يصرفون بالكذب (قل) لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يهدى الى الحق) والهدى

اليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي) يقال هداة للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شربى بمعنى اشتربى ومنه قراءة حرة و على أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لا يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش باشمام ﴿ ٢٥٣ ﴾ الهاء فتححة ﴿ سورة يونس ﴾ أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح

الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهو قراءة عبدالله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحى لاتباع ما بعدهما وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمدنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من من شركائكم الذين جعلهم أنداداً لله أحد يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حالة الى أن يجعله حياً ناطقاً فيهديه فإلحكم كيف

ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسنده الى الله ﴿ قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدي ﴾ ام الذى لا يهتدى إلا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا هتدى أو لا يهدى غيره إلا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع ابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ إلا أن يهدى للمباغة ﴿ فإلحكم كيف تحكمون ﴾ بما يقتضى صريح العقل بطلانه ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

﴿ قل ﴾ أى قل لهم أنت يا محمد ﴿ الله يهدي للحق ﴾ يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره ﴿ أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدي ﴾ يعنى ان الله هو الذى يهدى الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا تهتدى إلا أن تهتدى . فان قلت الاصنام جاد لاتتصور هدايتها ولأن تهتدى فكيف قال إلا أن يهدى . قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوهاً الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر إلا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه الخجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فآله سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرين على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهديته أولى من اتباع غيره ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فإلحكم كيف تحكمون ﴾ قال الزجاج فإلحكم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجوارحين تزعمون ان مع الله شريكاً وقيل معناه بئسما حكمتكم اذ جعلتم لله شريكاً من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم الاصنام انها آلهة وأنها شفعاء عند الله والمراد فان اجابوك والا (قل الله يهدي للحق) والهدى (أفمن يهدي الى الحق) والهدى (أحق ان يتبع) أن يعبد ويطاع (أمن لا يهدى) الى الحق والهدى (الا ان يهدى) يحمل فيذهب به حيث يشاء (فإلحكم كيف تحكمون) بئس ما تقضون به لانفسكم (وما يتبع) يعبد (أكثرهم)

فيما يعتقدون ﴿الاظنا﴾ مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع أو من ينتمى منهم الى تمييز ونظرولا يرضى بالتقليد الصرف ﴿ان الظن لا يغنى من الحق﴾ من العلم والاعتقاد الحق ﴿شيأ﴾ من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولاً به ومن الحق حالا مندوفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ﴿ان الله عليم بما يفعلون﴾ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان ﴿وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله﴾ افتراء من الخلق ﴿ولكن تصديق الذى بين يديه﴾ مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه مجزاً دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر أو علة لفعل محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الذى وقرى بالرفع على تقديره ولكن هو تصديق ﴿وتفصيل الكتاب﴾ وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع

الاظنا ﴿يعنى وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وربته وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء﴾ ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ﴿يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيأ ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيأ ﴿ان الله عليم بما يفعلون﴾ يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿قوله تعالى﴾ وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ﴿يعنى وما كان ينبغي لهذا القرآن ان يخلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فأخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله ﴿ولكن تصديق الذى بين يديه﴾ يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المجز وفيد أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقد حوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يشدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله أنزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزه صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر ﴿وتفصيل الكتاب﴾ يعنى وتبين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض

بغير دليل وهو اقتداؤهم بأسلافهم ظنا منهم انهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيأ) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صمح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره وعجازه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وتفصيل الكتاب) وتبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من آلهة (الاظنا) الا بالظن (ان الظن) عبادتهم بالظن (لا يغنى من الحق) من عذاب الله (شيأ ان الله عليم بما يفعلون) فى الشرك من عبادة الاوثان وغير ذلك (وما كان هذا القرآن) الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (أن يفترى) ان يخلق (من دون الله) ولكن تصديق الذى بين يديه (موافق التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعتة) (تفصيل الكتاب) تبيان القرآن بالحلال والحرام والامر

قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من ﴿ ٢٥٥ ﴾ رب العالمين) { سورة يونس } داخل في حيز الاستدراك

كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الرب كأننا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلي في العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)

والنهي (لاريب فيه) لاشك فيه (من رب العالمين) من سيد العالمين (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراه) اخلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) هم يا محمد (فأتوا بسورة مثله) مثله سورة القرآن (وادعوا من استطعتم) استعينوا على ذلك من عبدتم

﴿ لاريب فيه ﴾ منتفيا عنه الرب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استثناء ﴿ من رب العالمين ﴾ خبر آخر تقديره كأننا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولاريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلن بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب أو من الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب أتباعه والبرهان عليه ﴿ أم يقولون ﴾ بل أيقولون ﴿ افتراه ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه الانكار ﴿ قل فأتوا بسورة مثله ﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والبارة ﴿ وادعوا من استطعتم ﴾ ومع ذلك فاستعينوا عن امكنكم ان تستعينوا به ﴿ من دون الله ﴾ سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ انه اختلقه ﴿ بل كذبوا ﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿ بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ بالقرآن اول سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر

والاحكام ﴿ لاريب فيه من رب العالمين ﴾ يعني ان هذا القرآن لاشك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعني أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قلت قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ ولم يكتب وأنى بهذا القرآن العظيم كان معجزا في نفسه فقبل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني ما انسان أمي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أي فأتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ يعني القرآن أي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل

(من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمدا عليه السلام يختلفه من تلقاء نفسه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) بما لم يدرك

ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنهه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشراذمهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى النوقع في ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البدهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد الآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علوشأته وأعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسالهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما الجزء الحادى عشر { يأتهم تأويله ولم } ٢٥٦ يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار

بالغيوب أى عاقبت حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمته ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمته وبلوغ حد الإعجاز وقبل أن يجربوا أخباره بالمعجزات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالنبي أو بالقرآن أى يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيقصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندن

ما يخالف دينهم { ولما يأتهم تأويله } ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبغ اذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق أو كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل أن يتدبروا وانظروا ويفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما قد ظهر لهم بالآخرة أعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها أولما شاهدوا وقوع ما خبره طبقا لأخباره سارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا { كذلك كذب الذين من قبلهم } انبيائهم { فانظر كيف كان عاقبة الظالمين } فيده وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم { ومنهم } ومن المكذبين { من يؤمن به } من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره { ومنهم من لا يؤمن به } في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر { وربك أعلم بالمفسدين } بالمعاندن أو المصرين { وان كذبوك }

على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها { ولما يأتهم تأويله } يعنى أنهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤل اليه ذلك الوعد الذى توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى أنهم لم يعلموا ما تؤل اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه أنهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لأنهم جهلوا القرآن وعلموه على تأويله { كذلك كذب الذين من قبلهم } يعنى كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به { فانظر كيف كان عاقبة الظالمين } الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففقه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله { قوله عز وجل } ومنهم من يؤمن به { يعنى ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن } ومنهم من لا يؤمن به { أعلم الله السابق } فيده أنه لا يؤمن { وربك أعلم بالمفسدين } يعنى الذين لا يؤمنون { وان كذبوك }

(يعنى)

أو المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك

علمهم) (ولما يأتهم) لم يأتهم (تأويله) عاقبة ما وعدهم في القرآن (كذلك) كما كذبك قومك بالكتب والرسل (كذب الذين من قبلهم) بالكتب والرسل (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) كيف صار آخر أمر المشركين المكذبين بالكتب والرسل من عبادة الله شيئا ويقال وهذا تعزية من الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم كي يصبر على أذاهم (ومنهم) من اليهود (من يؤمن به) بمحمد عايد الصلاة والسلام والقرآن قبل موته (ومنهم) من اليهود (من لا يؤمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) باليهود عن يؤمن وعن لا يؤمن ويقال نزلات هذه الآية في المشركين (وان كذبوك

ويؤت من اجابتهم (فقل لي على) جزاء على (ولكم عليكم) جزاء اعمالكم (انتم بريئون مما اعمل وأنا بريء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفانت تسمع الصم ولو لم يسمع الصم ولو لم يسمع الصم ولو لم يسمع الصم)

أنك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى سمعهم عدم عقولهم لان لا صم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صم اخذ دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفانت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) أنحسب أنك تقدر على هداية

وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لي على) ولكم عليكم (فبئرا منهم فقد اعذرت والممنى لي جزاء على) ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا (انتم بريئون مما اعمل وأنا بريء مما تعملون) لا تؤاخذون بعلمي ولا تؤاخذ بعلمكم ولما فسد من ايها الاعراض عنهم وتحلية سبلهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالصم الذي لا يسمع اصلا (أفانت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون (وان انضم الى سمعهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤونة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذرا ففهمهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينفخوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك (أفانت تهدي العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لا يبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحسد الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحق والآية كالتعليل الامر بالتبري

العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحسد واما العمى مع الخلق فحسد البلاء يعني انهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر

يعني وان كذبت قومك يا محمد (فقل) أي فقل لهم (لي على) يعني الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عليكم) يعني الشرك وجزاء عقابه (انتم بريئون مما اعمل وأنا بريء مما تعملون) قيل المراد مند الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا (قوله سبحانه وتعالى) ومنهم (يعني ومن هؤلاء المشركين) من يستمعون اليك (يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك) أفانت تسمع الصم (يعني كما أنك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من أصم الله سمع قلبه) ولو كانوا لا يعقلون (يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقههم لذلك فهم بمنزلة الجاهل اذا لم يتفهموا بما لم يسمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق) ومنهم من ينظر اليك (يعني بابصارهم الظاهرة) أفانت تهدي العمى (يريد عمى القلوب) ولو كانوا لا يبصرون (لان الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر ولا تقدر أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن

يا محمد قومك بما تقول لهم (فقل لي على) وديني (ولكم عليكم) ودينكم (انتم بريئون مما اعمل) وأدين (وأنا بريء مما تعملون) وتدينون (ومنهم) من اليهود (من يستمعون

اليك) الى كلامك وحديثك ويقال من مشركي (قا و خا ٣٣ لث) العرب من يستمع الى كلامك وحديثك (أفانت تسمع) يا محمد (الصم) من كانه أصم (ولو كانوا لا يعقلون) ومع ذلك لا يريدون أن يعقلوا (ومنهم) من اليهود ويقال من المشركين (من ينظر اليك أفانت تهدي) (العمى) من كانه أعمى (ولو كانوا لا يبصرون) ومع ذلك لا يريدون أن يبصروا

(ان الله لا يظلم الناس شيئاً) الجزء الحادى عشر { ولكن الناس } ٢٥٨ أنفسهم يظلمون (ولكن الناس حرة على أى

لم يظلمهم بسلب آله الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جاداهم أحياء (ويوم نحشهم) وبالباء حفص (كأن لم يلبثوا الساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا أو فى قبورهم لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا الا قليلاً وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كأن لم يلبثوا حال من هم أى نحشهم مشبهين بمن لم يلبثوا الساعة وكأن مخففة من الثقلات واسمها محذوف أى كأنهم ويتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) على ارادة القول أى يتعارفون الحق والهدى (ان الله لا يظلم الناس شيئاً) لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد على سيئاتهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بالكفر والشرك والمعاصى (ويوم نحشهم) يعنى اليهود والنصارى والمشركين (كأن لم يلبثوا فى القبور) الساعة من النهار يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً فى بعض المواطن ولا يعرف بعضهم بعضاً فى بعض المواطن (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) بالبعض بعد الموت بذهاب (الباقى)

والاعراض عنهم هو ان الله لا يظلم الناس شيئاً بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتقويت منافعها عليهم وفيدليل على ان للعبد كسباً وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيد الله بمعنى ان ما يحق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم نحشهم) كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا أو فى القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال أى نحشهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة أو مفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف أى حشراً كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا الا قليلاً وهذا قول مانسروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهى حال اخرى مقدرة أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشهم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله للشهادة على خسراتهم والتعجب منه ويجوز ان

(ان الله لا يظلم الناس شيئاً) ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقاوة بالشقاوة لقضائهم وقدره السابق فيهم أخبر فى هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلاً منه لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف فى ملكه لا يكون ظالماً وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشهم) يعنى واذكر يا محمد يوم نجتمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكائهم (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعنى كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا فى قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجد الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء فى عدم المعرفة بمقدار لبثهم فى القبور الى وقت الحشر فتعين حله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا بأعمارهم فى الدنيا استقلوا بها والمؤمن لما انتفع بعمره فى الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم فى الدنيا انهم لما ضيعوا أعمارهم فى طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم فى الدنيا لان مقامهم فى الدنيا فى جنب مقامهم فى الآخرة قليل جداً يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون فى الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفى بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هيبه وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلفة ففى بعضها يعرف بعضهم بعضاً وفى بعضها ينكر بعضهم بعضاً لهول ما يعاينون فى ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله يعنى أن من باع آخرته الباقية بدنياه القانية قد خسر لانه آثر الفانى على

ولا يعرف بعضهم بعضاً فى بعض المواطن (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) بالبعض بعد الموت بذهاب (الباقى)

بينهم قائلين ذلك أوهى شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وسعيهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين)
للتجارة عارفين ما هو واستأناف فيه معنى ﴿ ٢٥٩ ﴾ التجب كانه قليل ما { سورة يونس } أخسرهم (واما نرينك

بعض الذي نعدهم) من
العذاب (أو نتوفينك)
قبل عذابهم (فاليناصر جمعهم)
جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف أي واما
نرينك بعض الذي نعدهم
في الدنيا فذاك أو نتوفينك
قبل أن نريك فحن نريك في
الآخرة (ثم الله شهيد على
ما يفعلون) ذكرت الشهادة
والمراد مقتضاها وهو
العقاب كانه قليل ثم الله
معاقب على ما يفعلون وقيل
ثم هنا بمعنى الواو (ولكل
أمة رسول) يبعث اليهم
لينبهم على التوحيد ويدعوهم
الى دين الحق (فاذا جاء
رسولهم) بالبينات فكذبوه
ولم يتبعوه (قضى بينهم) بين
النبي ومكذبيه (بالقسط)
بالعدل فانجى الرسول وعذب
المكذبين أو واكل أمة من
الامم يوم القيامة رسول تنسب
اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم
الموقب يشهد عليهم بالكفر
والايمان قضى بينهم بالقسط
(وهم لا يظلمون) لا يعذب
الدنيا والآخرة (وما كانوا
مهتدين) من الكفر
والضلالة (واما نرينك)
يا محمد (بعض الذي نعدهم)
من العذاب (أو نتوفينك) قبل
أن نرينك يا محمد ما نعدهم
من العذاب (فاليناصر جمعهم)

يكون حالا من الضمير في يتهـ ارفون على ارادة القول ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ اطرق
استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى
الردى والعذاب الدائم ﴿ واما نرينك ﴾ نبصرنك ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ من العذاب
في حياتك كما اراه يوم بدر ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل أن نريك ﴿ فاليناصر جمعهم ﴾ فنريكه
في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ﴿ ثم الله شهيد
على ما يفعلون ﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة واراد تنجيها ومقتضاها ولذلك رتبها على
الرجوع بثم أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة ﴿ ولكل أمة ﴾ من الامم لماضية
﴿ رسول ﴾ يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ بالبينات فكذبوه
﴿ قضى بينهم ﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل فانجى الرسول واهلك
المكذبون ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ وقيل معناه اكل أمة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء
الباقى ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ يعنى الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار ﴿ واما
نرينك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ يعنى ما نعدهم به من العذاب في الدنيا
فذاك ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة
وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فالينا مرجعهم ﴾ يعنى في الآخرة وفيه دليل على أن الله
يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذللهم وخزيمهم في حال
حياته في الدنيا وقد أراه ذلك يوم بدر وغيره من الايام وسيره ما أعدلهم من العذاب
في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ﴿ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ فيه وعيد وتهديد
لهم يعنى انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها
يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكل أمة رسول ﴿ لما بين الله عز وجل حال محمد
صلى الله عليه وسلم مع قومه بين احوال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل
أمة يعنى قد خاتمت قبلكم رسول يعنى مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى
طاعته والايمان به ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم
رسولهم وبلغهم ما رسل به اليهم فكذبوه قوم وصدقه آخرون ﴿ قضى بينهم ﴾ بالقسط ﴿
يعنى حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان احدهما أنه
في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة
الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسلهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسلهم
في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسلهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان
قبل مجيء الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثانى ان وقت القضاء في الآخرة
وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن
والكافر والطائع والمعاصى جىء بالرسول لتشهد عليهم والمراد من ذلك المباعدة في
اظهار العدل وهو قوله تعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعنى من جزاء أعمالهم شيئا ولكن

بعد الموت (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من الخير والشر (واكل أمة) لكل أهل دين (رسول) يدعوهم الى الله والى دينه (فاذا جاءهم)
(رسولهم) فكذبوا (قضى بينهم) وبين الرسول (بالقسط) بالعدل بهلاك القوم ونجاة الرسول (وهم لا يظلمون) لا ينقص

أحد بغير ذنب ولما قل وأما نرينك بعض الذي نعدهم أي من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (إن كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولأنفعا) من حجة أو غنى والسبب (إلا ما شاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم {الجزء الحادي عشر} الضر وجلب العذاب ٢٦٠ (لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا

يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل) رأيتم أن أنا كم عذابه الذي تستعجلونه (بيانا) نصب على الظرف أي وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون (أونهارا) وأنتم مشغولون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أي من العذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأي شيء تستعجلون

من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) وقال كل أهل دين لرسولهم (متى هذا الوعد) الذي تعدنا (إن كنتم صادقين) أن كنت من الصادقين (قل) لهم يا محمد (لا أملك) لا أقدر (لنفسى ضرا) دفع الضر (ولأنفعا) جبر النفع (إلا ما شاء الله) من الضر والنفع (لكل أمة) لكل أهل دين (أجل)

رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بأنحاء المؤمنين وعقاب الكفار أقوله وجىء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم ﴿١﴾ ويقولون متى هذا الوعد ﴿٢﴾ استبعاد له واستهزاء به ﴿٣﴾ إن كنتم صادقين ﴿٤﴾ خطاب منهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمنين ﴿٥﴾ قل لا أملك لنفسي ضرا ولا أنفعا ﴿٦﴾ فكيف أملك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم ﴿٧﴾ إلا ما شاء الله ﴿٨﴾ إن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن ﴿٩﴾ لكل أمة أجل ﴿١٠﴾ مضروب لهم لاكم ﴿١١﴾ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿١٢﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحسب وقتكم وينجز وعدكم ﴿١٣﴾ قل رأيتم أن أنا كم عذابه ﴿١٤﴾ الذي تستعجلون به ﴿١٥﴾ بياتا ﴿١٦﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿١٧﴾ أونهارا ﴿١٨﴾ حين كنتم مشغولين بطلب معاشكم ﴿١٩﴾ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴿٢٠﴾ أي شيء من العذاب يستعجلون وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق

بجأزي كل أحد على قدر عمله وقيل معناه أنهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ﴿١﴾ ويقولون ﴿٢﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿٣﴾ متى هذا الوعد ﴿٤﴾ يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ﴿٥﴾ إن كنتم صادقين ﴿٦﴾ يعني فيما تعدونابه وإنما قالوا بلفظ الجمع لأن كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى أن كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ﴿٧﴾ قل ﴿٨﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿٩﴾ لا أملك لنفسي ضرا ولا أنفعا ﴿١٠﴾ يعني لا أملك لنفسي دفع ضرا وجلب نفع ولا أقدر على ذلك ﴿١١﴾ إلا ما شاء الله ﴿١٢﴾ يعني أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى أن أنزل العذاب على الأعداء وأظهار النصر للأولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه إلا الله فتعين الوقت إلى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم إذا حضر ذلك الوقت الذي وقده الله لحدوث هذه الأشياء فإنه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿١٣﴾ لكل أمة أجل ﴿١٤﴾ أي مدة مضروبة ووقت معين ﴿١٥﴾ إذا جاء أجلهم ﴿١٦﴾ يعني إذا انقضت مدة أعمارهم ﴿١٧﴾ فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿١٨﴾ يعني لا يتأخرون عن ذلك الأجل الذي أجل لهم ولا يستقدمونه ﴿١٩﴾ قل ﴿٢٠﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ﴿٢١﴾ رأيتم أن أنا كم عذابه ﴿٢٢﴾ بياتا ﴿٢٣﴾ يعني ليلا يقال بات يفعل كذا إذا فعله بالليل والسبب فيه أن الإنسان في الليل لا يكون إلا في البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل ﴿٢٤﴾ أونهارا ﴿٢٥﴾ يعني في النهار ﴿٢٦﴾ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴿٢٧﴾ يعني ما الذي يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحققة المعنى أنهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم إن كان هذا هو الحق من

مهلة ووقت (إذا جاء أجلهم) وقت هلاكهم (فلا يستأخرون ساعة) قدر ساعة بعد الأجل (عندك) (ولا يستقدمون) قبل الأجل (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتم أن أنا كم عذابه) عذاب الله (بيانا) ليلا (أونهارا) كيف تصنعون (ماذا يستعجل) بماذا يستعجل (منه) من عذاب الله (المجرمون) المشركون قالوا نؤمن بقل لهم يا محمد

منه وليس شيء منديوب الاستعجال والاستفهام في ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المحرمون وجواب الشرط محذوف وهو تقدموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أرادت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المحرمون جواب الشرط نحو ان أنيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو (أثم اذا ما وقع) ﴿٢٦١﴾ العذاب { سورة يونس } (آمنتم به) جواب الشرط

وماذا يستعجل منه المحرمون
اعتراض والمعنى ارأناكم
عذابه آمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان
ودخول حرف الاستفهام
على ثم كدخوله على الواو
والفاء في أقام من أهل القرى
أو آمن أهل القرى (الآن)
على إرادة القول أي قيل
لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم به (وقد كنتم به
تستعجلون) أي بالعذاب
تكذيبا واستهزاء الان
يحذف الهمزة التي بعد
اللام والقائه حركتها على اللام
نافع (ثم قيل للذين ظلموا)
عطف على قبل المضمر قبل
الآن (ذوقوا عذاب
الخلد) أي الدوام (هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون)
من الشرك والتكذيب
(ويستنبئونك) يستخبرونك
فيقولون (أحق هو)
وهو استفهام على جهة
الانكار والاستهزاء والضمير
للعذاب الموعود (قل يا محمد
(أي وربي) نعم والله (انه
لحق) ان العذاب كائن

بأرأيتم لانه بمعنى أخبروني والمحرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من جحي الوعيد لان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تقدموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ارأيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله ﴿أثم اذا ما وقع آمنتم به﴾ بمعنى ان اناكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير ﴿الآن﴾ على إرادة القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وعن نافع الان يحذف الهمزة والقائه حركتها على اللام ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ تكذبا واستهزاء ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ عطف على قيل المقدر ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ المؤلم على الدوام ﴿هل تجزون الا بما كنتم تكسبون﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ويستنبئونك﴾ ويستخبرونك ﴿أحق هو﴾ أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجدأ باطل تهزل به قاله حي بن اخطب لما قدم مكة والظاهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل وأحق مبتدأ والضمير مر تفع به سادس الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب يستنبئونك ﴿قل أي وربي انه لحق﴾ ان العذاب لكائن أو ما أدعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن وأي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المحرمون بمعنى أي شيء يعلم المحرمون ما يظلمون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك ﴿أثم اذا ما وقع﴾ يعني اذا ما نزل العذاب ووقع ﴿آمنتم به﴾ يعني آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع ﴿الآن﴾ فيه اضممار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون أي حين وقع العذاب ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ يعني تكذبا واستهزاء ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ يعني ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴿يعني في الدنيا من الاعمال﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ يعني ويستخبرونك يا محمد أحق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة ﴿قل أي وربي﴾ أي قل لهم يا محمد نعم وربي ﴿انه لحق﴾ يعني ان الذي

(أثم اذا ما وقع) يقول اذا ما أنزل عليكم العذاب (آمنتم به) قالوا نعم قل لهم يا محمد يقال لكم (الآن) تؤمنون بالعذاب (وقد كنتم به) بالعذاب (تستعجلون) قبل هذا الاستهزاء به (ثم قيل للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب الخلد) هل تجزون في الآخرة (الا بما كنتم تكسبون) تقولون وتعملون في الدنيا (ويستنبئونك) يستخبرونك يا محمد (أحق هو) يعني العذاب والقرآن (قل أي وربي) نعم وربي (انه لحق) صدق

لا محالة (وإن أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لا حق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو عذابه نفس أى ولو أن لكل نفس ظلمة (مافى الارض) فى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لأفدت به) لجملة فدية لها يقال فداء فاقضى ويقال اقتداء { الجزء الحادى عشر } أيضا معنى فداء ﴿ ٢٦٢ ﴾ (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب)

وأظهروها من قولهم أسر الشئ إذا أظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بأن له الملك كله بقوله (ألا) ان لله مافى السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وإنه الميثب المعاقب وما وعد من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله (ألا ان وعد الله بالثواب أو بالعذاب حق) كائن ولكن أكثرهم لا يعلمون

كأن معنى العذاب (وما أنتم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله (ولو أن لكل نفس ظلمت) أشركت بالله (مافى الارض لأفدت به) لفادت به نفسها من عذاب الله (وأسروا الندامة) أخفوا الندامة الرؤساء من السفلة (لما رأوا العذاب) حين رأوا العذاب (وقضى بينهم) وبين السفلة (بالقسط) بالعدل (وهم لا يظلمون)

فيقال أى والله ولا يقال أى وحده ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ بفائتين العذاب ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ بالشرك أو التعدى على الغير ﴿ مافى الارض ﴾ من خزائنها وأموالها ﴿ لأفدت به ﴾ لجملة فدية لها من العذاب من قولهم اقتداء بمعنى فداء ﴿ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهو لم يقدروا ان ينطقوا وقيل أسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها أو لانه يقال سر الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل أظهر وهما من قولهم سر الشئ وأسره اذا أظهره ﴿ وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم للدلالة الظلم عليهم ﴿ ألا ان لله مافى السموات والارض ﴾ تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب ﴿ ألا ان وعد الله حق ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم

أعدكم به حق لا شك فيه ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ يعنى أشركت ﴿ مافى الارض ﴾ يعنى من شئ ﴿ لأفدت به ﴾ يعنى يوم القيامة والافتداء يعنى البذل لما يشجوبه من العذاب إلا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه ﴿ وأسروا الندامة ﴾ يعنى يوم القيامة واما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الامور المستقبلية لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا فى قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخنوا يعنى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ يعنى حين عاينوا العذاب وأبصروه ﴿ وقضى بينهم بالقسط ﴾ يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لا يحتمل ان بعضهم قد ظلم بعضا فؤخذ للمظلوم من الظالم وهو موله سبحانه وتعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعنى فى الحكم اهتم وتليهم بار يخفف من عذاب المظلوم ويشدد فى عذاب الظالم ﴿ ألا ان لله مافى السموات والارض ﴾ يعنى ان كل شئ فى السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للدارى شئ يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو أيضا ملك له فكيف يفتدى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه ﴿ ألا ان وعد الله حق ﴾ يعنى ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصى حق لا شك فيه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

لا ينقص من حسناتهم شئ ولا يزداد على سيئاتهم (ألا ان لله مافى السموات والارض) من الخلق (يعنى) والعجائب (ألا ان وعد الله حق) كائن البعث بعد الموت (ولكن أكثرهم لا يعلمون)

هو يحيى ويميت (هو القادر ﴿ ٢٦٣ ﴾ على الاحياء { سورة بونس } والامانة لا يقدر عليهما

غيره (واليد ترجعون) والى
حسابه و جزائه المرجع
فيخاف ويرجى (يا أيها الناس
قد جاءكم موعظة من ربكم)
أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه
انوار من موعظة وتبنيه
على التوحيد والموعة التي
تدعو الى كل مرغوب
وتزجر عن كل مرهوب
فان القرآن من الاوامر
والنواهي داع الى كل
مرغوب وزاجر عن كل
مرهوب اذا لم يقتض
حسن المأمور به فيكون
مرغوبا وهو يقتضي النهي
عن ضده وهو قبح ر على هذا
في النهي (وشفاء لما
في الصدور) أي مدوكم
من العقائد الفاسدة (وهدي)
من الضلالة (ورحمة
للمؤمنين) لمن آمن به منكم
(قل) يا محمد (بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا)
لا يصدقون (هو يحيى)
للبعث (ويميت) في الدنيا
(واليد ترجعون) بعد الموت
(يا أيها الناس) يا اهل مكة
(قد جاءكم موعظة) نهي
(من ربكم) مما أنتم فيه (وشفاء)
بيان (لما في الصدور) من
العمى (وهدي) من الضلالة
(ورحمة) من العذاب
(للمؤمنين قل) يا محمد لا تحزن

الظاهر من الحياة الدنيا ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقي
لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا ﴿ واليه
ترجعون ﴾ بالموت أو النشور ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في
الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة
عن محاسن الاعمال ومقاييسها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقاييس والحكمة النظرية
التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدي الى الحق واليقين ورحمة
للمؤمنين حيث انزل عليهم فحجابه من ظلمة الضلال الى نور الايمان وتبدلت
مقاعد من طبقات النيران بمقاعد من درجات الجنان والتذكير فيها للتعظيم ﴿ قل بفضل
الله وبرحمته ﴾ بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ فان
يعنى حقيقة ذلك ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ يعنى الذى يملك ما في السموات والارض قادر
على الاحياء والامانة لا يتعذر عليه شئ مما أراد ﴿ واليد ترجعون ﴾ يعنى بعد الموت للجزاء
﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ﴿ قيل اراد بالناس قريشا
وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعنى قرآن
والوعظ جرم مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة
ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصالح بهذا
الطريق ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ يعنى ان القرآن ذر شفاء لما في القلوب من داء
الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي
الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض
كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير
فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع
القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه ﴿ وهدي ﴾ يعنى
وهو هدى من الضلالة ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين
انتفعوا بالقرآن دون غيرهم ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ الباء في بفضل الله متعلقة
بضمير استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم
والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم
وارادته الخير لكم ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴾ فبذلك فليفرحوا ﴿ أشار بذلك
الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل
فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام
فليفرحوا قال الواحدى الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر * فاذا
هلكت فعند ذلك فاجزعى * فالفاء في قوله فاجزعى زائدة وقال صاحب الكشف
في معنى الآية بفضل الله ورحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد

(بفضل الله) القرآن الذى أكرمكم به (وبرحمته) الاسلام الذى وفقكم به (فبذلك) بالقرآن والاسلام (فليفرحوا

أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا وبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد { الجزء الحادى عشر } الدنيا فحذف ﴿ ٢٦٤ ﴾ أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء

داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام فى الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفارقة كتب الله الفقر بين عيني الى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالنسبة شامى فلتفرحوا يعقوب (قل أرأيتم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بانزل أو بأرسيتم أى أخبروني (فجعلتم منه حراما وحلالا) فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من الارزاق تخرج من الارض ولكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذى به تثبت الارض النبات والشمس التى بها النضج وينعم الثمار أضيف انزالها الى السماء (قل الله) أذن لكم (متعلق بأرأيتم وقل تكرر للتوكيد والمعنى هو خير) يعنى القرآن والاسلام (مما يجمعون) مما يجمع اليهود والمشركون من الاموال (قل) يا محمد

اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا وبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءكم وذلك اشارة الى مصدره أى فبجميعها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فبهم فليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على ان محيى الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا هلكت فمنذ ذلك فاجزعى وعن يعقوب

فالتفرح حوالا لئلا على الاصل المرفوض وقد روى مسفر ما يؤيد انه قرئ فافر حوا وهو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه ايها الخاطبون ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل أو بأرأيتم فانه بمعنى أخبروني ولكم دل على ان المراد من هذا محل ولذلك وينج على التبعض فقال ﴿ فجعلتم منه حراما وحلالا ﴾ مثل هذه انعام وحرج حرج ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿ قل الله اذن لكم ﴾ فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه

والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفرح يدأ حق منهما والفرح لذة فى القلب بادر المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا دركت المأول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرحة فى اللذات البدنية والدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية فليفرح المؤمنون بفضل الله وبرحمته أى ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثج اليقين بالامان وسكون النفس اليه ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ يعنى من متاع الدنيا ولذاتها القالمة هذا مذهب أهل المعانى فى هذه الآية واما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه فى قلوبنا وقل بفضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقل بفضل الله القرآن ورحمته السان فعلى هذا البناء فى فضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لكفار مكة ﴿ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ يعنى من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما فى الارض بالانزال لان جميع ما فى الارض من خير رزق فانما هو من بركات السماء ﴿ فجعلتم منه ﴾ يعنى من ذلك الرزق ﴿ حراما وحلالا ﴾ يعنى ما حرموه على أنفسهم فى الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله ذرا من الحرث والانعام نصيبا ﴿ قل الله اذن لكم ﴾ يعنى قل لهم يا محمد الله اذن لكم فى هذا التحريم والتحليل

لاهل مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم) ما خلق الله لكم (من رزق) من حرث وانعام (فجعلتم منه) فقلتم وفعلتم (أم) (حراما) على النساء منفعتها يعنى منفعة البحيرة والسائبة والحام (وحلالا) للرجال (قل) لهم يا محمد (الله اذن لكم) أمس ربكم بذلك

أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه أو الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أنتم تفترون على الله تقريراً للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسئل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط ﴿٢٦٥﴾ فيه وأن ﴿سورة يونس﴾ لا يقول أحد في شيء جائز

أو غير جائز إلا بعد ايقان واتقان والا فهو مفتر على الديان (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) ينسبون ذلك إليه (يوم القيمة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيدأى أى شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره (إن الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعايم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه (وماتكون في شأن) مانافية والخطاب انبي صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وماتلوا) من التزليل كأنه قيل (وماتلوا من التزليل) من قرآن (لان كل جزء منه قرآن والا ضمائر قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل

(أم على الله) بل على الله (تفترون) تحتلقون الكذب (وما ظن الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب)

﴿أم على الله تفترون﴾ في نسبة ذلك اليه ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بأيتهم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لا افتراءهم على الله ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ أى شيء ظنهم ﴿يوم القيمة﴾ يحسبون ان لا يجاوزوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كأن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ هذه النعمة ﴿وماتكون في شأن﴾ ولانكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في ﴿وماتلوا منه﴾ له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام أولان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تملو ﴿من قرآن﴾ على ان من تبعية متاومة مزيدة لتأكيد النفي اول القرآن ﴿أم على الله تفترون﴾ يعنى بل أنتم كاذبون على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا ﴿وما ظن الذى يفترون على الله الكذب يوم القيمة﴾ يعنى اذا القوه يوم القيامة يحسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب ﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ يعنى ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعنى لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ومانكون في شأن ومانتلوا منه من قرآن ﴿الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذى يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أى ماحاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذى في هذه الآية يجوز أن يكون المراد بد الاسم قال ابن عباس معناه ومانكون يا محمد في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوادثك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعنى قصد الشيء ومانتلوا منه من قرآن اختلفوا في الضمير في منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى ومانكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى ومانتلوا من القرآن من قرآن يعنى من سورة وشىء منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى ومانتلوا من الله من قرآن نازل عليك

ماذا يفعل بهم (يوم القيمة ان الله لذو فضل) (قا و خا ٣٤ لث) من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) بذلك ولا يؤمنون (وماتكون) يا محمد (في شأن) في أمر (وماتلوا) عليهم (منه من قرآن) سورة

(ولا تعملون) أنتم جميعاً (من عمل) أى عمل (الا كنا عليكم شهوداً) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض في الامر { الجزء الحادى عشر } اذ اندفع فيه ٢٦٦ (وما يعزب عن ربك)

وما يبعد وما يغيب بكسر الزاء على حيث كان (من) مثقال ذرة (وزن غلظة صغيرة) في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر (رفعهما حزة على الابتداء والخبر) (الا في كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفي سائر آيات السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (الا ان أولياء الله) هم الذين يتولونه بانطاعة ويتولاهم بالكرامة او هم الذين تولي الله هداية بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بمحمد والرحمة خلقه اؤهم المحبون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها او هم المؤمنون المتمتعون بدليل الآية الثانية (لا خوف عليهم)

أو آية (ولا تعملون من عمل) ن خير أو شر (الا كنا عليكم) وعلى أمركم وتلاوتكم وعملكم (شهوداً) علماء (اذ تفيضون) تخوضون (فيه) في القرآن بالتكذيب (وما يعزب) ما يغيب (عن ربك) من مثقال ذرة (وزن غلظة الجبراء من أعمال العباد) في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك (لا أخصب) ولا أثقل (ولا أكبر)

واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له وأولاه **ولا تعملون من عمل** * تعميم للخطاب بعد تخصيصه عن هورأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير **الا كنا عليكم شهوداً** * رقباء مطلعين عليه * اذ تفيضون فيه * تخوضون فيه وتندفعون * وما يعزب عن ربك * ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء هنا وفي سائر * من مثقال ذرة * موازن غلظة صغيرة أو هباء * في الارض ولا في السماء * أى في الوجود والامكان فان العمامة لا تعرف بمكانها غير ههنا ليس فيهما ولا متعلقا بهما * وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلهما والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بهما * ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين * كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغراسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل القمع بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ **ألا ان أولياء الله** * الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة * لا خوف عليهم *

* وأما قوله سبحانه وتعالى **ولا تعملون من عمل** * فانه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمتة داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى **ولا تعملون من عمل** على صيغة الجمع فدل على أنهم داخلون في الخطابين الاولين * قوله سبحانه وتعالى **الا كنا عليكم شهوداً** * يعنى شاهدين لأعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه * اذ تفيضون فيه * يعنى أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه وتنسبطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه * وما يعزب عن ربك * يعنى وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه وأصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيداً المطلوب * من مثقال ذرة * يعنى وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة الغلظة الصغيرة الجراء وهى خفيفة الوزن جداً * في الارض ولا في السماء * فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء أن يقدم على الارض كما في سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر في هذا الآية شهادته على أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع لهذه الفائدة * ولا اصغر من ذلك * يعنى من الذرة * ولا أكبر * يعنى منها * الا في كتاب مبين * يعنى في اللوح المحفوظ * قوله سبحانه وتعالى **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم**

(الا في كتاب مبين) مكتوب في اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله) المؤمنين (لا خوف عليهم) فيما (ولا)

من لحوق مكروه ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ لفوات مأمول والآية كمجمل فسر قوله
 ولا هم يحزنون ﴿ اعلمنا نحتاج أولاً في تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية
 ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه
 الآية هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير رسالة
 قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله
 وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم
 المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان من عباد الله لانا سماهم بالنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
 يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يارسو الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على
 غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعللى نور
 لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان اولياء
 الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول
 صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم
 أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالى لهم من نور يغبطهم
 النبيون والشهداء أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن أبي مالك الاشعري
 قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عبيد اليوسا بالنبياء ولا شهداء يغبطهم
 النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعصابى
 فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يارسو الله عنهم من هم قال فرأيت فى وجه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل
 شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل
 الله وجوههم نورا ويجعل لهم من اواؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون
 ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك
 وتعالى ان اوليائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى واذا ذكر بذكرهم هكذا ذكره
 البغوى بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يارسو الله لعنا
 نجبهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر
 من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان اولياء الله
 لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا أن الحسد مذموم والغبطة
 محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتقنى زوال ما على المحسود من النعمة
 ونحوها والغبطة هى أن يتقنى الغابط مثل تلك النعمة التى هى على المغبوط من غير زوال
 عنه وقال أبو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق
 العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولى الله هو

اذا خاف الناس (ولا هم
 يحزنون) اذا حزن الناس
 يستقبلهم من العذاب (ولا
 هم يحزنون) على ما خلفوا
 من خلفهم ثم بين من هم
 فقال

﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم إياه ﴿ لهم ﴾ البشرى فى الحياة الدنيا ﴿ وهو ما بشر به المتقين ﴾ فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسخ لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ﴿ وفى الآخرة ﴾ بتلقى الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم

الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشغلا بالله مستغرق القلب فى معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله ولىه وناصره ومعينه قال الله تعالى والذين آمنوا وقال المتكلمون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ماوردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقى العبد كل مانهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعنى فى الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعنى على شئ فاتهم من نعم الدنيا ولذا تمها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم فى الآخرة لان الدنيا لا تخاو من هم وغم وأنكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شئ ولا يحزن على شئ لان مقام الولاية والمعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ﴿ واما قوله سبحانه وتعالى ﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿ فقد تقدم تفسيره وانه صفة لأولياء الله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴿ اختلفوا فى هذه البشرى فروى عن عباد بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذى وله عن رجل من اهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال مأسأنى عنها أحد من سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال مأسأنى عنها أحد غيرك منذ أنزلت هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة لفظ البخارى ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا اذا جلنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لا تحمل هذه الحالة الا لهم

(الذين آمنوا) منصوب باضمار أعنى أولانه صفة لاولياء أو مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين آمنوا (وكانوا يتقون) الشرك والمعاصى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهذا لان مدة الوحى ثلاث وعشرون سنة وكان فى ستة أشهر منها يؤمر فى النوم بالانذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا أو هى حبة الناس له والذكر الحسن أولهم البشرى عند النزع بان يرى مكانه فى الجنة (وفى الآخرة)

(الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وكانوا يتقون) الكفر والشرك والفواحش (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) بالرؤيا الصالحة برونها أو ترى لهم (وفى الآخرة) بالجنة

لهم ومحمل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ أى لا تغيير لأقواله ولا اختلاف لمواعيده ﴿ ذلك ﴾ إشارة الى كونهم مبشرين في الدارين ﴿ هو الفوز العظيم ﴾

وذلك لانولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد الحق والصدق فاذا رأى الولي رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث تأكيد لاصر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءاً من أجزاء النبوة في خلق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لانهما جزء من النبوة وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهمى جزء من ستة وأربعين جزءاً وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب أبداً فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءاً من النبوة لانه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روى عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخر له في الآخرة بقوله بشرىكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنده ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم بوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض من الحمد والافتراض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلائوا نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشرى بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهري وقناة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأنيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يخرج بها الى الله تعالى وبشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ يعنى لا خلف لوعده الله الذي وعده أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعنى ما وعدهم به في الآخر

هي الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لأقواله ولا اختلاف لمواعيده (ذلك) إشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب انه يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلغ وتسكت

(لا تبديل لكلمات الله) بالجنة (ذلك) البشرى (هو الفوز العظيم) النجاة الوافر فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها

(ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لأحزن فقيل { الجزء الحادى عشر } ان العزة (لله) ٢٧٠ ان الغلبة والقهر فى ملكه لا يملك

هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك قولهم ﴿ اشركهم وتكذيبهم وتهديدهم ﴾ وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبالي بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرهم عليهم ﴿ هو السميع ﴾ لا قوالهم ﴿ العليم ﴾ بعزمتهم فيكافئهم عليها ﴿ ألا ان الله من فى السموات ومن فى الارض ﴾ من الملائكة والنفلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احدهم للربوبية فلا يعقل منها الحق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ أى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ أى ما يتبعون يقينا

﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ يقول الله لنبيد محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرهم عليهم والمنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى فى آية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذى يعز من يشاء ويدل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك لله وفى ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز ﴿ هو السميع ﴾ لا قوالكم ودعائكم ﴿ العليم ﴾ بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الا ان الله من فى السموات ومن فى الارض ﴿ ألا كلمة تنبيه معناه انه لا مالك لاحد فى السموات ولا فى الارض الا الله عز وجل فهو مالك من فى السموات ومن فى الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى فى الآية التى قبل هذه ألا ان الله ما فى السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى فى هذه الآية بلفظة من فافاد ذلك قلت ان لفظه ما تدل على لا ما يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل مالك جميع من فى السموات ومن فى الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفى ملكه وقيل ان لفظه من لمن يعقل فيكون المراد بمن فى السموات الملائكة العقلاء ومن فى الارض الانس والجن وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون فى ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا فى ملكه اذا ثبت هذا فيكون الاصنام التى يعبدونها المشركون أيضا فى ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا فى جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونهم ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ لفظه ما استفهام معناه أى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تنبيه فاعلمهم يعنى انهم ليسوا على شئ لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ يعنى ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع

أحد شيئا منهما لاهم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرهم عليهم كتب الله لأغلب أنا ورسلى ان النصر رسلنا أوبه يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار (جميعا) حال (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعززون عليه وهو مكافئهم بذلك (ألا ان الله من فى السموات ومن فى الارض) يعنى العقلاء وهم الملائكة والنفلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفى ملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولان يكون شريكه فيها فإوراءهم عما يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافذ أى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال (ان يتبعون الا الظن) الا ظنهم انهم

(ولا يحزنك) يا محمد (قولهم) تكذيبهم اياك (ان العزة) والقدرة والمنعة (لله جميعا) بها لاكم (هو السميع) لمقاتلهم

(العليم) بفعلهم وعقوبتهم (ألا ان الله من فى السموات ومن فى الارض) من الخلق يحولهم كيف يشاء (وما يتبع) يعبد (لهم) (الذين يدعون) يعبدون (من دون الله شركاء) آلهة من الاولئان (ان يتبعون) ما يعبدون (الا الظن) الا بالظن بغير

شركاء الله (وان هم الايخرسون) يحزرون ويقدررون أن يكونوا شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على أحدهما للدلالة والمخزوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كانه قليل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على ٢٧١ عظيم قدرته وشمول {سورة يونس} نعمته على عباده بقوله

(هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار (والنهار مبصرا) مضئيا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع مذكر معتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيهه عن اتخاذ الولد وتجب من كلمتهم الحقاء (هو الغنى) علة لثني الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به أو لكل أمانة الحاجة فن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد يستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج الى الغير فكان حادئا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له ما في السموات وما في الارض) ملكا ولا يجتمع النبوة معه (ان عندكم

وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة يتبع أو موصولة معطوفة على من * وقري تدعون بالتاء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين أى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فالحكم لا يتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة فيكون الزما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم * (وان هم الايخرسون) يكذبون فيما ينسبون الى الله أو يحزرون ويقدررون انها شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرد به باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب * ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون * سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) أى تبناه سبحانه تنزيهه عن التبني فانه لا يصح الايمن يتصور له الولد وتجب من كلمتهم الحقاء * هو الغنى * علة لثني الولد اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة * له ما في السموات وما في الارض * تقرير لغناه * ان عندكم

لهم وانما تقر بهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقة له * (وان هم الايخرسون) يعنى ان هم الايكذبون * قوله عز وجل (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) يعنى هو الله ربكم الذى خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وايزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضئيا لتهتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معاشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير * لقد ملت بايام غيلا في سرى * ونمت وما ليل لطى بنائم فاضاف النوم الى الليل ووصف به وانما عني نفسه وان لم يكن نائما هو ولا غيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء * قوله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) يعنى يسمعون سماع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود والمقدر دبالو حدانية في الوجود (قالوا) يعنى المشركين (اتخذ الله ولدا) يعنى به قولهم الملائكة بنات الله سبحانه نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغنى) يعنى انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يائق بحال له اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها (له ما في السموات وما في الارض) يعنى انه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه هو محدثهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتفريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم

يقين (وان هم) ما هم معنى الرؤساء (الايخرسون) يكذبون لسفلة (هو الذى)

أى الحكم هو الذى (جعل لكم) خلق لكم (الليل لتسكنوا فيه) لتستقروا فيه (والنهار مبصرا) مضئيا للذهاب والنجى (ان في ذلك) فيما ذكر (لآيات) ابرات (لقوم يسمعون) مواعظ القرآن ويطيعون (قالوا) كفار مكة (اتخذ الله ولدا) من الملائكة الاناث (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (هو الغنى) عن الولد والشريك (له ما في السموات وما في الارض) من الخلق والجناب (ان عندكم)

من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزكاً نذير ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله { الجزء الحادى عشر { الكذب } ٢٧٢ باضافة الولد اليه (لايفلحون) لاينجون

من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر ومناسبة النبي صلى الله عليه وسلم بالنظار به (ثم) اليها مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد (المخلد) (بما كانوا يكفرون) بكفرهم واتل عليهم) واقرأ عليهم (نبا نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذلو وصل اصدار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر

ما عندكم (من سلطان) من كتاب ولا حجة (بهذا) بما تقولون على الله من الكذب (أتقولون على الله) بل تقولون على الله (مالا تعلمون) ذلك من الكذب (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) يخلقون (على الله الكذب لايفلحون) لاينجون من عذاب الله ولا يأمنون (متاع في الدنيا) يعيشون في الدنيا قليلا (ثم اليها) مرجعهم (بعد الموت) ثم نذيقهم العذاب

من سلطان بهذا) نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعددكم كأنه قيل ان عندكم في هذا من سلطان) أتقولون على الله مالا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيد دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ) قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد باضافة الشريك اليه) لايفلحون) لاينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) خبر مبتدأ محذوف أى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر أو حياتهم أو تغلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم تمتع في الدنيا ثم اليها مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد) ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم) واتل عليهم نبا نوح) خبره مع قومه

من سلطان بهذا) يعنى انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى) أتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى أتقولون على الله مالا تعلمون حقيقة وصحته وتضيفون اليه مالا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان) قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين يخلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا) لايفلحون) يعنى لايسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقت تام يعنى قوله لايفلحون ثم ابتداء فقال تعالى) متاع في الدنيا) وفيه اضمحار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهى أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى) ثم اليها مرجعهم) يعنى بعد الموت) ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفون بما لا يليق بجلاله) قوله سبحانه وتعالى) واتل عليهم نبا نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتبليغ له ليخف عليه ما يلقى من اذى قوم وادان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا يخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وأنه أهلكهم بالعرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى وتل عليهم نبا نوح يعنى واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح

الشديد) الغليظ (بما كانوا يكفرون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويكذبون على الله (واتل عليهم) اقرأ (اذ) عليهم (نبا) خبر (نوح) بالقرآن

اذقال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم (عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين) (مقامى) مكانى يعنى نفسه كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان اى خاف ﴿٢٧٣﴾ ربه اوقامى ومكثى { بين أظهركم ألب سنة لا

خسنيين عاما أو مقامى
(وتذكيرى بآيات الله)

لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة

قاموا على أرجلهم بعظونهم

ليكون مكانهم بيننا وكلامهم

مسموعا (فعلى الله توكلت)

أى فوضت أمرى اليه

(فاجعوا أمركم) من اجمع

الامر اذ انواه وعزم عليه

(وشركاءكم) الواو بمعنى

مع أى فاجعوا أمركم مع

شركائكم (ثم لا يكن أمركم

عليكم غمة) أى غما عليكم

وهما والغم والغمة كالكرب

والكربة أو ملتبساً في خفية

والغمة السترة من غم اذا

ستره ومنه الحديث لا غمة

في فرائض الله أى لا تستر

ولكن يجاهر بها والمعنى

ولا يكن قصدكم الى هلاكى

مستورا عليكم ولكن مكشوفاً

مشهوراً بجاهر ونفى بد (ثم

اقضوا الى) ذلك الامر

الذى تريدون بى أى ادوا

الى ما هو حق عندكم من

هلاكي كما يشئى الرجل

غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم

(ولا تنظرون) ولا تعملوني

(اذقال لقومه يا قوم ان كان

كبر عليكم) عظم عليكم

(مقامى) طول مقامى ومكثى

(وتذكيرى) وتذكيرى اياكم

(بآيات الله) من عذاب الله

﴿اذقال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم﴾ عظم عليكم ﴿وشق﴾ مقامى ﴿نفسى﴾ كقوله فعات كذا
لمكان فلان أو كوني واقامتي بينكم مدة مديدة أو قامي على الدعوة ﴿وتذكيري﴾ اياكم ﴿بآيات﴾
الله ﴿فعلى الله توكلت﴾ وثقت به ﴿فاجعوا أمركم﴾ فاعزموا عليه ﴿وشركاءكم﴾ اى مع شركائكم
ويؤيد القراءة بالرفع عطف على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكده الفصل وقيل انه معطوف
على امركم بخذف المضاف اى وامر شركائكم وقبل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركائكم وقد قرئ به وعن نافع فاجعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده
والسعى في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة بمبالاة بهم ﴿ثم لا يكن امركم﴾ فى قصدى
﴿عليكم غمة﴾ مستورا واجملوه ظاهرا مكشوفاً من غم اذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم
غماً اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيري ﴿ثم اقضوا﴾ ادوا ﴿الى﴾ ذلك
الامر الذى تريدون بى * وقرئ ثم افضوا الى بالفاء اى انتهوا الى بشركم وأبرزوا الى
من افضى اذا خرج الى الفضاء ﴿ولا تنظرون﴾ ولا تعملوني

﴿اذقال لقومه يا قوم﴾ وهم بنو قاتيل ﴿ان كان كبر﴾ يعنى ثقل ﴿عليكم مقامى﴾
يعنى فيكم ﴿وتذكيري﴾ بآيات الله ﴿يعنى﴾ ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان
ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم
ألف سنة الاخسنيين عما يدعوههم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو
قوله وتذكيري بآيات الله يعنى ووعظى بآيات الله وحججه وبيانه فعزمت
على قتلى وطردي ﴿فعلى الله توكلت﴾ يعنى فهو حسبي وثقتى ﴿فاجعوا أمركم﴾
يعنى فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء الاجاع الاعداد والعزيمة على الامر
وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لاتدعوا من
أمركم شيئاً الا حضرتموه ﴿وشركاءكم﴾ يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا
بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على
مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده أنها جاد لاتضر ولا تنفع فهو كالتبكي
والتوبخ لهم ﴿ثم لا يكن امركم عليكم غمة﴾ يعنى لا يكن أمركم عليكم خفياً مبهماً ولكن
ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على
الناس ﴿ثم اقضوا﴾ ثم امضوا ﴿الى﴾ بما فى أنفسكم من مكروه وماتوعدوني به
من قتل وطردي وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذامات ومضى وقيل معناه ثم
اقضوا ما أنتم قاضون ﴿ولا تنظرون﴾ أى ولا تؤخروني ولا تعملوني بعد اعلامكم
اى ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التيجيز لهم أخبر الله
عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقاً
بنصره اياه غير خائف من كيدهم علماً منه بأنهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضرر وان

(فعلى الله توكلت) وثقت وفوضت (قا و خا ٣٥ لث) أمرى الى الله (فاجعوا أمركم) فاجعوا على قول واحد (وشركاءكم)
استعينوا بآلهتكم (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) لا تلبسوا أمركم وقولكم على أنفسكم (ثم اقضوا الى) امضوا الى (ولا تنظرون) ولا ترقبون

(فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيري ونهيي (فاسألتكم من أجر) فاجب التسولي أو فاسألتكم من أجر ففانئذ ذلك بتوليكم (ان أجرى الاعلى الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الله لا أغرض من أغراض الدنيا وفيدلالة على منع أخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الديني (وأمرت ان أكون من المسلمين) من المستسلمين لا وامرء ونواهيته ان أجرى بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فداموا على تكذيبه (فنجيناه) من الفرق (ومن معد في الفلك وجعلناهم) الجزء الحادي عشر / خلائف (٢٧٤) يخافون الهالكين بالغرق في السفينة (واغرقنا

الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المذنبين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسليته (ثم بعثنا من بعده) من بعده (رسالا الى قومهم) أي هودا وصالحا وبراھيم ولوطا وشعيبا (فجاءهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فاصروا على

(فان توليتم) عن الايمان بما جئكم به (فاسألتكم) على الايمان (من أجر) من جعل (ان أجرى) ما ثوابي بما دعوتكم الى الايمان (الاعلى الله) وأمرت ان أكون من المسلمين (مع المسلمين) دينهم (فكذبوه) يعني نوحا بما أتاهم (فنجيناه) من الفرق (ومن معد)

فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فاسألتكم من أجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم أي لا جله أو يفوتني لتوليكم ان أجرى ما ثوابي على الدعوة والتذكير الاعلى الله لا تعلق له بكم يثيبني به أنتم أو توليتم وأمرت ان أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اختلف امره ولا راجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين ان توأيمهم ليس الالعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الفرق ومن معد في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المذنبين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسليته ثم بعثنا رسلا من بعده من بعده نوح رسالا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاءهم بالبينات والمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فاستقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيتهم

مكرهم لا يصل اليه فان توليتم يعني فان أعرضتم عن قولي وقبول نصحي فاسألتكم من أجر يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان أقوى تأثيرا في النفس ان أجرى الاعلى الله أي ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسلمين يعني أني أمرت بدين الاسلام وأنماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت أن أكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام فنجيناه ومن معد في الفلك يعني في السفينة وجعلناهم خلائف يعني وجعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المذنبين أي فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ثم بعثنا من بعده يعني من بعد نوح رسلا الى قومهم لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل فجاءهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا

من المؤمنين (في الفلك) في السفينة (وجعلناهم خلائف) خلفاء وسكان الارض (واغرقنا الذين) (بما) كذبوا بآياتنا بكتبنا ورسولنا نوح (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المذنبين) كيف صار آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده) من بعد هلاك قوم نوح (رسلا الى قومهم فجاءهم بالبينات) بالامرو والنهي والعلامات (فما كانوا ليؤمنوا) ليصدقوا

الكفر بعد الجحى* (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريدانهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فواقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر ﴿٢٧٥﴾ أن يتهاون ﴿سورة يونس﴾ العبيد برسالة ربهم بعد

تبينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفار اذ سوى إثم أعظم فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا السحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف أى هذا ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى

(بما كذبوا به من قبل) من قبل يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نطبع) نختم (على قلوب المعتدين) من الحلال والحرام (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) رؤسائه (بآياتنا) بكتابتنا ويقال بآياتنا التسع اليد والعصا والظوفان

في الكفر وخذلان الله أيهم ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ أى بسبب تهودهم تكذيب الحق وتعمد منهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ بخذلانهم لانهم اكرم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد وقدره تحقيق ذلك ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعده هؤلاء الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا﴾ بالآيات التسع ﴿فاستكبروا﴾ عن اتباعهما ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترأوا على ردها ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزالة للشك ﴿قالوا﴾ من فرط تمردهم ﴿ان هذا لسحرمبين﴾ ظاهرانه سحر وفائق في فنه واضع فيما بين اخوانه ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ انه لسحر فحذف المحكى المقول للدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون ﴿اسحر هذا﴾ لانهم يتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكركهم فيستغنى عن المفمول ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر

بما كذبوا به من قبل ﴿يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عنهم فيه من الكفر والتكذيب﴾ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴿يعنى مثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب﴾ قوله عز وجل ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ يعنى من بعد الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه﴾ يعنى أشرف قومه ﴿بآياتنا فاستكبروا﴾ يعنى عن الايمان بما جاء به موسى وهارون ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ يعنى مستكسبين للآثم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله ﴿قالوا ان هذا السحر مبين﴾ يعنى ان هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا﴾ فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ يعنى حاصل

والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات ويقال الطمس (فاستكبروا) عن الايمان بالكتاب والرسول والآيات (وكانوا قوما مجرمين) مشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا) الكتاب والرسول والآيات (قالوا ان هذا) الذى جاء به موسى (لسحرمبين) كذب بين وان قرأت بالالف أرادوا به موسى ساحرا كذا (قال) لهم (موسى أتقولون للحق) الكتاب والرسول والآيات (لما جاءكم) حين جاءكم (أسحر هذا ولا يفلح) لا ينجو ولا يأمن (الساحرون) من عذاب الله

لا يظفر (قالوا أجنبتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (وتكون لكمما الكبرياء) أى الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فى الارض) أرض مصر (وما نحن لكمما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتم به ويكون { الجزء الحادى عشر } حادويحيى ٢٧٦ ﴿ (وقال فرعون اثبتونى بكل

ساحر علم) سحر حزة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ما موصولة واقعة مبتدأ وجئتم به صلتها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومده سحرا من آيات الله السحر بعد وقف أبو عمرو على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شئ جئتم به أى السحر (ان الله سيظهره) يظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبت به بل يدمره (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضائيه أو يظهر الاسلام بعدائه بالنصرة (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن موسى) فى أول أمره (قالوا) لموسى (أجنبتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاوثان (وتكون لكمما الكبرياء) الملك والسلطان (فى الارض) مصر (وما نحن لكمما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون اثبتونى بكل ساحر علم) حاذق (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون)

لا يسحر أو من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا حكيا كأنهم قالوا أجنبتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ﴿ قالوا أجنبتنا لتلفتنا ﴾ لتصرفنا واللفت والقتل اخوان ﴿ عما وجدنا عليه آباءنا ﴾ من عبادة الاصنام ﴿ وتكون لكمما الكبرياء فى الارض ﴾ الملك فيها سمي بها لان تصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم ﴿ وما نحن لكمما بمؤمنين ﴾ بمصدقين فيما جئتم به ﴿ وقال فرعون اثبتونى بكل ساحر ﴾ وقرأ حزة والكسائى بكل سحر ﴿ علم ﴾ حاذق فيد ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ﴾ أى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآ السحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف أى السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره أى شئ اتيم ﴿ ان الله سيظهره ﴾ سيمحقه أو سيظهر بطلانه ﴿ ان الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ لا يثبت ولا يقويه وفيد دليل على ان السحر افساد وتوهم لا حقيقة له ﴿ ويحق الله الحق ﴾ ويثبت ﴿ بكلماته ﴾ بأوامره وقضائيه ﴿ وقرئ بكلمته ﴾ ولو كره المجرمون ﴿ ذلك ﴾ فما آمن موسى ﴿ فى مبدأ أمره

السحر تمويه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح أبدا ﴿ قالوا ﴾ يعنى قل قوم فرعون لموسى ﴿ أجنبتنا لتلفتنا ﴾ يعنى احصرفنا وتلوينا ﴿ عما وجدنا عليه آباءنا ﴾ يعنى من الدين ﴿ وتكون لكمما الكبرياء ﴾ يعنى الملك والسلطان ﴿ فى الارض ﴾ يعنى فى ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قل الزجاج سمي الملك كبرياء لانه أكبر ما يطالب من أمر الدنيا ﴿ وما نحن لكمما بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين ﴿ وقال فرعون اثبتونى بكل ساحر علم ﴾ يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التلبيس ليظهر ان ما أتى به موسى سحر ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ انما أمرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد ﴿ فلما ألقوا ﴾ يعنى ما معهم من الحبال والعصى ﴿ قل موسى ما جئتم به السحر ﴾ يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم ﴿ ان الله سيظهره ﴾ يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ﴿ ان الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ يعنى لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ﴿ ويحق الله الحق ﴾ يعنى يظهر الله الحق ويقويه ويعليه ﴿ بكلماته ﴾ يعنى بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فما آمن موسى

ملقون) من العصي والحبال (عصيهم وحبالهم) قال لهم (موسى ما جئتم به) ما طرحتم (السحر) (الاذرية) هو السحر (ان الله سيظهره) يهلكه (ان الله لا يصلح) لا يرضى (عمل المفسدين) الساحرين (ويحق الله) يظهر الله لدينه (الحق بكلماته) بتحقيقه (ولو كره المجرمون) وان كره المشركون ان يكون ذلك (فما آمن) فما صدق (موسى) بما جاء به

(الاذرية من قومه على خوف ﴿ ٢٧٧ ﴾ من فرعون) الاطائفة من { سورة يونس } ذراري بني اسرائيل كأنه قيل

الأولاد من أولاد قومه
وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه
خوفاً من فرعون وأجابته
طائفة من أبنائهم مع الخوف
أو الضمير في قومه لفرعون
والذرية مؤمن آل فرعون
وآسية امرأته وخازنه
وما شطه والضمير في
(و ملئهم) يرجع الى
فرعون بمعنى آل فرعون
كما يقال ربعة ومضر
أولاده ذو أصحاب يأتمرون
له أو الى ذرية أي على خوف
من فرعون وخوف من
أشراف بني اسرائيل
لأنهم كانوا ينعون أعقابهم
خوفاً من فرعون عليهم
وعلى أنفسهم دليله قوله
(أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم
فرعون (وان فرعون لعال
في الارض) لغالب فيها
قاهر (وانه لمن المسرفين)
في الظلم والفساد وفي الكبر
والعتو بادعائه الربوبية

(الاذرية من قومه) من قوم
فرعون كان آباؤهم من القبط
وامهاتهم من بني اسرائيل
فأمنو بموسى (على خوف
من فرعون وملئهم) رؤسائهم
(أن يفتنهم) أن يقتلهم (وان
فرعون لعال) لمخالف
(في الارض) لدين موسى (وانه لمن المسرفين) المشركين

﴿ الاذرية من قومه ﴾ الأولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه
خوفاً من فرعون الاطائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وأسرأته آسية وخازنه وزوجته وما شطه
﴿ على خوف من فرعون وملئهم ﴾ أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجعد على ما
هو المعتاد في ضمير العظماء أو على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربعة ومضر أو للذرية
أول القوم ﴿ ان يفتنهم ﴾ ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وافراده بالضمير
للدلالة على ان الخوف من الملائكة كان بسببه ﴿ وان فرعون لعال في الارض ﴾ لغالب فيها
﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

الاذرية من قومه ﴿ لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من
المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى
الاذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسمية لئيبه محمد صلى الله عليه
وسلم لانه كان كثير الاهتكام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به
واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم
الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امراء عظيمي
ومع ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس
الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قومه فقيل
انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر
من اولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقي
الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بني
اسرائيل كانت المرأة في بني اسرائيل اذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً عليه من
القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال
ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعني
لاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا
امهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأته خازنه وما شطه قول الفراء سموا
ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهم من بني اسرائيل فكان الرجل
يتبع أمه وأخواله في الايمان وذلك كما يقال لا اولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن
الابناء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء ﴿ على خوف من فرعون وملئهم ﴾ الملائكة
الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرافهم وهم
ملائكة الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وأمهم من بني اسرائيل وقيل أراد بالملائكة
فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفضيل
﴿ أن يفتنهم ﴾ أي يصرفهم ويصددهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل أن يفتنهم
لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره ﴿ وان فرعون لعال في الارض ﴾ يعني
انه لغالب قهار متكبر فيها ﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ يعني من المجاوزين الحد لانه كان

(وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه اسندوا أمركم في العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله أى يجعلوه الهه سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط (فقالوا على الله توكلنا) {الجزء الحادى عشر} انما قالوا ذلك ٢٧٨ لان القوم كانوا مخلصين لاجرم ان

الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة للقوم الظالمين أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى يذنب له ان يتوكل اولاً ليجاب دعوته وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوأ بيوتكم بمصر لئلا يرجعوا اليها للعبادة واجعلوا بيوتكم بيوتكم تلك البيوت مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو

وقال موسى لما رأى خوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فتقوابه واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعائك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى يذنب له ان يتوكل اولاً ليجاب دعوته وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوأ بيوتكم بمصر لئلا يرجعوا اليها للعبادة واجعلوا بيوتكم بيوتكم تلك البيوت مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو

عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل وقال موسى يعنى لقومه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا يعنى فبد فتقوابه ولامره فسلموا فانه ناصر اوليائه ومهلك أعدائه ان كنتم مسلمين يعنى ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره فقالوا يعنى قال قوم موسى محبين له على الله توكلنا يعنى عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منافقتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعنى وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل وأوحينا الى موسى وأخيه هارون أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً يعنى اتخذنا لقومكما بمصر بيوتاً للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتاً اذا اتخذ مباءة أى وطن والمعنى اجعلوا بمصر بيوتكم بيوتكم هذه البيوت مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا

(وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) اذ كنتم مسلمين (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) المشركون أى (الكلام) لا تسلطهم علينا فيفتنونا انهم على الحق ونحن على الباطل (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من فرعون وقومه (وأوحينا الى موسى وأخيه هارون أن تبوأ) أن اتخذوا (لقومكما بمصر بيوتاً) مساجد في جوف البيت (واجعلوا بيوتكم) مساجدكم (قبلة) نحو القبلة

في أول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهر عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الاسلام بمكة (واقموا الصلوة) في بيوتكم حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) ياموسى ثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما له والى المبعشرين بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملئه زينة) هو ما يزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا) أى نقدا ونعما وضيعة (في الحياة الدنيا

القبلة يعنى الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلى اليها واقموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير والاول لان التبول للقوم اتخاذ المعابد مما تعطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملئه زينة) ما يزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (وأموالا فى الحياة الدنيا

الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لانستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أى مقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قالت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهارون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون بان يتبوأ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (واقموا الصلوة) يعنى في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فامرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهارون وأظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر المؤمنين) يعنى بانه لا يصل اليهم مكروه (وقوله سبحانه وتعالى) وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملئه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا (لما أتى موسى عليه السلام بالمجرات الباهرات ورأى أن القوم مصررون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدمه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت

(واقموا الصلوة)
أتبوا الصلوات الخمس
(وبشر المؤمنين)
بالنصرة والنجاة والجنة
(وقال موسى ربنا) ياربنا
(انك آتيت) أعطيت
(فرعون وملئه) رؤساءه
(زينة) زهرة (وأموالا)
كثيرة (فى الحياة الدنيا

ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآيت ربنا تكرر
الاول للالاح في التضرع { الجزء الحادى عشر } قال الشيخ ٢٨٠ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم انهم

يضلون الناس عن سبيله
آتاهم ما آتاهم ليضلوا
عن سبيله وهو كقوله انما
نملى لهم ليزدادوا اثما فتكون
الآية حجة على المعتزلة (ربنا
اطمس على اموالهم) أى
أهلكها واذهب آثارها
لانهم يستعينون بنعمتك
على معصيتك والطمس
الحو والهالك قبل صارت
دراهمهم ودنانيرهم حجارة
كهيا آتاهم منقوشة وقيل
وسائر أموالهم كذلك
(واشدد على قلوبهم) اطع
على قلوبهم واجعلها قاسية
(فلا يؤمنوا) جواب
الدعاء الذى هو اشدد
(حتى يروا العذاب الالم)
الى ان يروا العذاب الالم
وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا
الى الغرق وكان ذلك ايمان
يأس فلم يقبل وانما دعا
عليهم بهذا لما ايس من
ايمانهم وعلم بالوحى انهم
لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم
بانهم لا يؤمنون فلا يسمع له
أن يدعو بهذا الدعاء لانه
أرسل اليهم ليدعوهم الى
الايمان وهو يدل على ان
الدعاء على الغير بالموت على
الكفر لا يكون كفرا

وانواعا من المال ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم
من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى
متعلقة بآيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سبباً للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكرر الاول تأكيداً
وتنبيهاً على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمه لقوله ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾
أى اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ أى واقسها
واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان ﴿ فلا يؤمنوا ﴾ حتى يروا العذاب الالم ﴿ جواب للدعاء

فرعون وملاءه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس
والدواب والعلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال مازاد على هذه
الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ اختلفوا
فى هذه اللام فقال القراء هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه
الاموال سبباً لضلالهم لانهم بطروا وطفوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال
الاخفش انما هى لما يؤل اليه الامر والمعنى انك أثبتت فرعون وملاءه زينة
فى الحياة الدنيا فضلوها فعلى هذا هى لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن
الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون
المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ الطمس ازالة
اثر الشئ بالحو ومعنى اطمس على اموالهم أزل صورها وحياتها وقال مجاهد
أهلكها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيرها عن هبتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم
وحروهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظى صارت
صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصارا حجراين والمرأة قائمة تحبز
فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع
على انفسهم بالمسح وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة
كهيتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبدالعزيز دعا بخريطة فيها شئ
من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهى حجارة وقال
السدى مسح الله اموالهم حجارة النخل والتمر والدقيق والاطعمة وهذا الطمس
هو أحد الآيات التسع التى أوتيتها موسى عليه السلام ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ يعنى
اربط على قلوبهم واطبع عليها واقسها حتى لا تلتين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على
القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله
سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا
السؤال ﴿ فلا يؤمنوا ﴾ حتى يروا العذاب الالم ﴿ يعنى الغرق قاله ابن عباس وقال ابن
عباس فى رواية أخرى عنه قال موسى قبل ان يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الالم فاستجاب الله له دعاءه فحال بين فرعون وبين الايمان

اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم (واحفظ قلوبهم) (فلا يؤمنوا) (فلان يؤمنوا) (حتى يروا العذاب الالم) (حتى)

(قال قد أجيب دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء يمكن اخفاؤه أولى والمعنى ن دعاء كما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن ﴿ ٢٨١ ﴾ في وقته { سورة بونس } (فاستقيما) فابتنا على

ما أتما عليه من الدعوة والتبليغ (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرهما لالتقاء الساكنين تشبيها بنون الثنية شامى وخطاه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الافعال (فاتبعهم فرعون وجنوده) فلحقهم يذل تبعته حتى أتبعته (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظما وانتعسا على الحال

الفرق (قال) الله لموسى وهارون (قد أجيب دعوتكما فاستقيما) على الايمان والطاعة لله وتبليغ الرسالة (ولا تتبعان سبيل) الذين لا يعلمون (توحيد الله ولا يصدقونه) يعنى فرعون وقومه (وجاوزنا بنى اسرائيل) عبرنا (البحر

أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض ﴿ قال قد أجيب دعوتكما ﴾ يعنى موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن ﴿ فاستقيما ﴾ فائتيا على ما أتما عليه من الدعوة والزمام الحجة ولا تستجلا فان ما طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ طريق الجهلة فى الاستجبال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرهما لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا ﴿ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴾ أى جاوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم * وقرئ جاوزنا وهو من فعل المراف لفاعل كضعف وضاعف ﴿ فاتبعهم ﴾ فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته ﴿ فرعون وجنوده بغيا وعدوا ﴾ باغين وعادين أولبغى

حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم فى الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم ﴿ قال ﴾ الله عز وجل لموسى وهارون ﴿ قد أجيب دعوتكما ﴾ انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى فى الدعاء فلذلك قال تعالى قد أجيب دعوتكما ﴿ فاستقيما ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لامرى الى أن يأتيهم العذاب ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلا تستجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون سنة قال امام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه ﴿ قوله عز وجل ﴾ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴿ أى وقطعنا بنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه ﴾ فاتبعهم فرعون وجنوده ﴿ يعنى لحقهم وأدركهم ﴾ بغيا وعدوا ﴿ أى ظما وعدوانا وقيل البغى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقبل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألب وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهارون امرهما بالخروج بنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجوا فيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والمخرج البحر أما مننا وفرعون وراءنا وقد كننا نلقى من فرعون البلاء العظيم فإوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق

تابعهم فرعون وجنوده (فذهب خلفهم) (قا و خا ٣٦ لث) فرعون وجنوده (بغيا) فى المقالة (وعدوا) أرادوا وقتلهم

أو على المفعول له (حتى إذا أدركه الفرق) ولا وقف عليه لان (قال آمنت) جواب اذا (انه) حزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت و بالفتح { الجزء الحادى عشر } غيرهما على حذف ﴿ ٢٨٢ ﴾ الباء التى هى صلة الايمان (لاله

والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الفرق ﴿ لحقه ﴾ قال آمنت انه ﴿ اى ﴾ بانه ﴿ لاله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ﴾ وقرأ حزة والكسائى انه بالكسر على اضممار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لا آمنت فنكبت عن الايمان أو ان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل ﴿ الآن ﴾ اتؤمن الآن وقد ايسست من نفسك ولم يبق لك اختيار ﴿ وقد عصيت قبل ﴾ قبل ذلك مدة عرك ﴿ وكنت من المفسدين ﴾ الضالين المضلين عن الايمان

كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأبىس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أثنى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ربح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فقتل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولاهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أدرك فرعون الفرق أتى بكلمة الاخلاص ظنانه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى ﴿ حتى اذا أدركه الفرق قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ آمنت أنه لاله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ﴾ قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة عند معاناة الملائكة والعذاب غير مقبولين و يدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع مانزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لاله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك فى ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابهما بحضور الموت ومعاناة الملائكة قيل له ﴿ الآن ﴾ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴿ يعنى الآن تتوب وقد أضعت التوبة فى وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمحاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول أشهر ويعضده ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت انه لاله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحة أخرججه الترمذى

الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقد وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (الآن) أتؤمن بالساعة فى وقت الاضطراب حين أدركك الفرق وأيسست من نفسك قيل قال ذلك حين أُلجِه الفرق والعامل فيه أتؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين انضلين عن الايمان روى ان جبريل عليه السلام أنه بفتيا ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد ابن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يفرق فى البحر فلما أُلجِه الفرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فمرفه

(حتى اذا أدركه) أُلجِه

(الفرق قال آمنت أنه لاله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل) موسى وأصحابه (وأنا من المسلمين) مع المسلمين (وقال) على دينهم فقال له جبريل (الآن) أن تؤمن بعد الفرق (وقد عصيت) كفرت بالله (قبل) اى من قبل الفرق (وكنت من المفسدين) فى أرض مصر بالانتل والشرك والدعاء الى غير عبادة الله

وقال حديث حسن * وفي رواية أخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

﴿ فصل في الكلام على هذا الحديث لأنه في الظاهر مشكل ﴾

﴿ فيحتاج الى بيان وايضاح ﴾

فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس في الطريق الاول عن ابن زيد بن جدهان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخاً نبيلاً صدوقاً ولكنه كان سيئ الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وإنما يخشى من حديثه إذا لم يتابع عليه وأخالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لأن في الطريق الآخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وإن كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فأنما يخاف منه ما انفرد به أو خواف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا أن لهذا الحديث أصلاً وإن رواه ثقات ليس فيهم متهم وإن كان فهم من هوسى الحفظ فقد تابعه عليه غيره * فإن قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لأنه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم * قلت ليس بشك في رفعه إنما هو جزم بأن أحداً من الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب وعدي بن ثابت وكلاهما ثقة فإذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث * وقوله من حال البحر أى من طين البحر كما في الرواية الأخرى

﴿ فصل ﴾

ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ عملاً فبه بالطين لثلاثين يوماً غضباً عليه * والجواب الأقرب أنه لا يصح لأن في تلك الحالة إما أن يقال التكليف هل كان ثابتاً أم لا فإن كان ثابتاً لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت فيحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضاً لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضاً فكيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الايمان ولو قيل أن جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما ننزل إلا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض أن الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام أن التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فإن كان ثابتاً لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة فإن هذا القول لا يستقيم على اصل

المثبتين للقدر القائمين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلظ بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فآخبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان ولا فدى الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائمين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يصله ويطيع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق ورده للايمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فاما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذى منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الايم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر انه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبق لهذا الذى نسب الى جبريل فائدة * فجوابه أن يقال ان للناس في تعليل أفعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثانى ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فاعلمها وكذا أوامره ونواهيها لها غاية محبوبة لاجلها أمرها ونهى عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقيق معانيته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدى الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عندها محكما بحيث لا يبق للرجة فيه منفذ ولا يبق من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعاربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الايم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاناة العرق استجبل جبريل فدى الطين

(فالיום نجيك) نلقيك
 بنجوة من الارض فرماه
 الماء الى الساحل كأنه ثور
 (ببدنك) في موضع الحال
 أى في الحال التى لاروح فيك
 وانما أنت بدن أو ببدنك
 كاملا سويا لم يقص منه
 شئ ولم يتغير أو عريانا لست
 الابدنا من غير لباس أو
 بدرع وكانت له درع من
 ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة
 رضى الله عنه بابدانك وهو
 مثل قواهم هو باجرامه أى
 ببدنك كله وافيا باجزائه
 أو بدرعك لانه ظاهر
 بينها (لتكون لمن خلفك
 آية) لمن وراءك من الناس
 علامة وهم بنو اسرائيل
 وكان في أنفسهم ان فرعون
 أعظم شانا من ان يفرق و قيل
 أخبرهم موسى بهلاكه
 فلم يصدقوه فالفاه الله على
 الساحل حتى عاينوه وقيل
 لمن خلفك لمن يأتى بعدك
 من القرون ومعنى كونه آية
 أن يظهر للناس عبوديته وانما
 كان يدعيه من الربوبية محال
 (فالיום نجيك ببدنك)
 نلقيك على النجاة بدرعك
 (لتكون) لكى تكون
 (لمن خلفك) من الكفار
 (آية) عبرة لكى لا يقتدوا
 بمقاتك ويعلموا

﴿ فاليوم نجيك ﴾ نبعذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على
 نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل * وقرأ يعقوب نجيك من انجى وقرى نجيك
 بالحاء أى نلقيك بناحية الساحل ﴿ ببदनك ﴾ في موضع الحال أى ببدنك عاريا عن
 الروح أو كاملا سويا أو عريانا من غير لباس أو بدرع وكانت له درع من ذهب يعرف
 بها وقرى بابدانك أى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه أو بدرعك كأنه كان مظاهرا
 بينها ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم

في فيديلياس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التى وعد الله موسى
 بقوله قد أجيت دعوتكما فيكون سعى جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعل ما يكون
 سعى جبريل في مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذا لما أمره به وقدره وقضاه على فرعون وأما
 قوله لو منعه من التوبة لكان قدرضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فنجوابه ما تقدم
 من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما
 أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالمأمور به
 فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا فى حقنا لانما مأمورون بازالته
 بحسب الامكان فاذا اقررنا الكافر على كفره ورضيناه كان كفرا فى حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به
 وامان ليس مأمورا كما مرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه اذا نفذ ما
 أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا فى حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما
 دس الطين فى فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال
 العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء
 الله وقدره فى فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بحلال الله ان
 يأمر جبريل بان عنعه من الايمان فنجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما
 يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فنجوابه انه انما
 فعل ذلك بأمر الله منفذا لأمر الله والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله سبحانه وتعالى
 ﴿ فالיום نجيك ببدنك ﴾ أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع قال اهل
 التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه وأخبر موسى قومه بهلاك فرعون
 وقومه فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل فى
 قلوبهم من الرعب لاجله فأمر الله عز وجل البحر فأتى فرعون على الساحل أحر قصيرا
 كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله
 ببدنك يعنى نلقيك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء
 كأنه قيل له نجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع
 وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رآه فى درعه ذلك عرفوه
 ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ يعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت
 أبدا فأظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان

من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بفرقه الى ان عاينوه مطروحا على محرهم من الساحل أولم يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا ما ل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية * وقرى لمن خلقت أى خالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك باللقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور ﴿ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿ ولقد بوأنا ﴾ انزلنا ﴿ بنى اسرائيل مبوأ صدق ﴾ منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ من اللذائذ ﴿ فاختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ فاختلفوا فى امر دينهم الامن بعدما قرؤوا التوراة وعلموا احكامها أو فى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الامن بعدما علموا صدقه بنعوته وتظاهره ومعجزاته ﴿ ان ربك

فى غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد ﴾ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ﴾ يعنى أسكنناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشئ اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفى المراد بالمكان الذى بوؤا قولنا أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورش بنى اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثانى انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعنى تلك المنافع والخيرات التى رزقهم الله تعالى ﴿ فاختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ يعنى فاختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم مقررين به بحججهم على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغياء وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فاختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفى كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغياء وحسدا واثير البقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثانى أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون ﴿ وقوله تعالى ﴾ ان ربك

وانه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره الى ماترون لعصيانه ربه فالظن بغيره (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات فاختلفوا) فى دينهم (حتى جاءهم العلم) أى التوراة وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلفهم فى صفته انه هو أم ليس هو بعدما جاءهم العلم انه هو (ان ربك

انك لست باله) وان كثيرا من الناس (يعنى الكفار) (عن آياتنا) عن كتابنا ورسولنا (لغافلون) لجاهلون (ولقد بوأنا) أنزلنا (بنى اسرائيل مبوأ صدق) أرضا كريمة أردن وفلسطين (ورزقناهم من الطيبات) المن والسلوى والغنائم (فاختلفوا) اليهود والنصارى فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (حتى جاءهم العلم) البيان ما فى كتابهم فى محمد عليه السلام بنعته وصفته (ان ربك

يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿ ٢٨٧ ﴾ فيميز الحق من ﴿ سورة يونس ﴾ المبطل ويجزى كلا جزاءه (فان

كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وبالبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقدير اوسيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلتها وبمباحثة العلماء فسل علماء اهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

يا محمد (يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيمة فيما كانوا فيه) يختلفون (يخالفون) (فان كنت) يا محمد (في شك مما أنزلنا اليك) مما أنزلنا جبريل به يعني القرآن فاسأل الذين يقرؤون الكتاب

﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ فيميز الحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق يعني يا محمد ﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود أمارتين أولهما الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شك فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فعنا توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ يعني علماء اهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبى يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أوفى نبوته حتى يسأل اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضى عياض في كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجله بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا تم كلام القاضى عياض رحمه الله . ثم اختلفوا في معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين . أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب « اياك اعنى واسمعى يا جاره » فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤون الكتاب يخبروك بصحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من دى الآيات فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره أولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل

يعنى التوراة (من قبلك) عبد الله بن سلام وأصحابه فلم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بذلك شاكا انما أراد الله بما قال له قومه

لما فيها أو وصف أهل كتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما نزل اليه أو تهيج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة تثبيته لا مكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته أو لكل من يسمع أى ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالفته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ بالترزل عما انت عليه من الجزم واليقين ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ﴾ ايضا من باب التهيج والتثيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين

ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهيج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لأشك يا رب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجد حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك لا تنفي ومعناه ومأنت في شك مما أنزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والنول الثانى ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الساكون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تبحر وتعالى فان كنت أم الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد اجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل أراد اجمع واختلفوا في المسؤول عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هو الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنون وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعمته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضحاك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ هذا كلام مبتدأ منتطع عما قبله وفيد معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ يعنى من الشاكين في صحة ما أنزلنا اليك ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾ يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة ﴿ فتكونن من الخاسرين ﴾ يعنى الذين خسروا أنفسهم وعالم ان هذا كله

(لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما أتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين) أى

(لقد جاءك) يا محمد (الحق من ربك) يعنى جبريل بالقرآن من ربك فيد خبر الاولين (فلا تكونن من الممترين) الشاكين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) كتاب الله ورسوله (فتكونن من الخاسرين) من الغبونين بنفسك

فأثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المزية عنك والتكذيب بآيات الله أو هو على طريقة التهيج والالهاب كقولاه
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدقنك عن آيات الله بعداذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام
عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهد انه الحق أو خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمتة أى وان كنتم فى شك
مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا غلب أخوك فنهين
أوان للنفي أى فما كنت فى شك فسل أى ولا تأمر بك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقيننا كما زداد ابراهيم عليه السلام
بمعينة احياء الموتى فان قلت انما ٢٨٩ يجيء ان للنفي { سورة يونس } اذا كان بعده الاكقوله

ان الكافرون الا فى غرور
قلت ذلك غير لازم ألا ترى
الى قوله ان أمسكهم ما من
أحد من بعده فان للنفي
وليس بعده الا (ان الذين
حققت عليهم كلمت ربك)
ثبت عليهم قول الله الذى
كتبه فى اللوح وأخبر به
الملائكة انهم يموتون كفارا
أو قوله لا ملأن جهنم الاية
ولا وقف على (لا يؤمنون)
لان (ولو جاءتهم كل آية)
تتعلق بما قبلها (حتى يروا
العذاب اليم) أى عند
اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم
أو عند القيامة ولا يقبل
منهم (فلو لا كانت قرية آمنت)
فها لا كانت قرية واحدة
من القرى التى أهلكتها
تابت عن الكفر وأخلصت
الايمان قبل المعينة ولم
تؤخر كما أخر فرعون الى

ان الذين حققت عليهم ٢ ثبتت عليهم ٢ كلمت ربك ٢ بانهم يموتون على الكفر ويخلدون
فى العذاب ٢ لا يؤمنون ٢ اذ لا يكذب كالدمد ولا ينقض قضائوه ٢ ولو جاءتهم
كل آية ٢ فان السبب الاعلى لا يمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود ٢ حتى يروا
العذاب الاليم ٢ وحينئذ لا ينفعهم كالاينفع فرعون ٢ فلو لا كانت قرية آمنت ٢
فها لا كانت قرية من القرى التى أهلكتها آمنت قبل معينة العذاب ولم يؤخرها
كما أخر فرعون ٢ فنفعها ايمانها ٢ بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ٢ الا قوم
يونس ٢ لكن قوم يونس عليه السلام ٢ لما آمنوا ٢ اول مارأوا أماراة العذاب
ولم يؤخروه الى حلوله ٢ كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ٢ ويجوز

على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده
شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله
فثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم ٢ قوله سبحانه وتعالى ٢ ان الذين حققت عليهم ٢
يعنى وجبت عليهم ٢ كلمت ربك ٢ يعنى حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت
هو لا النار ولا أبالى وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم
وقضاه فى الازل ٢ لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ٢ فانهم لا يؤمنون بها ٢ حتى يروا
العذاب الاليم ٢ فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرهم
عن الايمان فلا ينفعهم شئ ٢ قوله سبحانه وتعالى ٢ فلو لا ٢ يعنى فها لا كانت
قرية ٢ وقيل معناه فها كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان فى الاستفهام معنى الحجة
والمراد هل كانت قرية ٢ آمنت ٢ يعنى عند معينة العذاب ٢ فنفعها ايمانها ٢ يعنى
فى حال اليأس ٢ الا قوم يونس ٢ هذا استثناء منقطع يعنى لكن قوم يونس فانهم
آمنوا فنفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت وهو قوله ٢ لما آمنوا ٢ يعنى لما أخلصوا الايمان
٢ كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا

أن أخذ بحتفه (فنفعها ايمانها) بان تقبل الله (قا و خا ٣٧ لث) ايمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار (الا قوم يونس)
استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أو متصل والجملة فى معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم
يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا

(ان الذين حققت) وجبت (عليهم كلمت ربك) بالعذاب (لا يؤمنون) فى علم الله (ولو جاءتهم كل آية) طلبوا منك فلا يؤمنوا (حتى
يروا العذاب الاليم) يوم بدر يوم أحد يوم الاحزاب (فلو لا كانت) هلا كانت (قرية آمنت) هل قرية آمنت عند نزول العذاب
(فنفعها ايمانها) يقول لم ينفع ايمانهم عند نزول العذاب (الا قوم يونس) نفع ايمانهم (لما آمنوا) حين آمنوا (كشفنا) سرفنا (عنهم عذاب
الخزي) الشديد (فى الحياة الدنيا

ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض موصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجبوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبقي من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يضع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا من منازلهم الى شيوخ من بقيتهم علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لاحي ويا حي متى ويا حي لا اله الا انت فقالوا فكشف الله عنهم وعن النصيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجات وأنت أعظم منها وأجل اهل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ومتعناهم الى حين) تركناهم بلا عذاب الى حين الموت

ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التخصيص معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهلها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البديل ومتعناهم الى حين * الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غما سودا داخنا شديدا فهبط حتى غشى مدينهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فائقوا صدقه ومتعناهم الى حين * يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختافوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الا كثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره تبارك الله بن مسعود وسعيد

ابن جبير ووهب وغيرهم

قال ابن قوم يونس كانوا قرية نينوى من أرض الموصل وكان أهل كفر وشرك فإرسى الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فهابوا عليه فقبل له أخبرهم ان العذاب مصيحبهم الى ثلاث واخبرهم بذلك فقالوا ان لم نجرب عيبه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصيحبكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلث ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقتل وهب غامت السماء غما أسود داخنا شديدا فهبط حتى غشى مدينهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والده وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحن الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وآبوا الى الله واخلفوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعدما أظاهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن أبي الجلد خيلان قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيوخ من بقيتهم علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فاترى قولوا يا حي حين لاحي ويا حي متى ويا حي لا اله الا انت فقالوا فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين

(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم) ﴿٢٩١﴾ على وجهه ﴿سورة يونس﴾ الاحاطة والشمول (جميعا)

مجتبئين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فبدأ خبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته لو شاء لآمن من في الأرض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر من علمه يختار الكفر ولا يؤمن به وقبول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والاجاء أى لو خلق فهم الايمان جبورا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دايمة (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أى ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان اما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وفعاله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفوا أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علمهم انهم لا يؤمنون فلم يعلمهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أفانت بمعنى النفي أى لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله

فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والد وولدها فن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجاج واخلصوا التوبة واطهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم﴾ بحيث لا يشذ منهم احد ﴿جميعا﴾ مجتبيين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم فان من شاء ايمانه يؤمن لا بخالته والتقيد بمشيئة الاجاء خلاف الظاهر ﴿ أفانت تكره الناس﴾ بما يشأ الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾ وترتيب الاكراه على المشيئة بالغاء وايلائها حرف الاستفهام الانذار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تخصيصه بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فزلت ولذلك قرر بقوله ﴿وما كان لنفس أن تؤمن﴾ بالله ﴿الا باذن الله﴾ الابارادة والطفافة وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم انذرنا قد عظمت وجبت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تمل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فليل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذبا لو كان من كذب ولا بينة له قل فانصرف عنهم فمساء غامض غلبت عليه الحزن وسألى القصص في سورة الاسافات ان شاء الله تعالى فان قالت كيف كتب العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكتب العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته قلت أجاب العلماء عن هذا باجوبة أحدها ان ذلك كان خاسا بقوم يونس ولما فعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشروهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا أخاس فلم يقبل منه ايمانه والله أعلم ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ يقول الله عز وجل لنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الأرض كلهم جميعا ولكن لم يشأ ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرض ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبقت له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يفضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا نسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تعب لنفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يعنى ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه وتحرض عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئتنا وقضائنا وقد رنا ليس ذلك لاحد سوانا ﴿وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله﴾ يعنى وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن

(ولو شاء ربك) يا محمد

(لا آمن من في الأرض كلهم

جميعا) جميع الكفار (أفانت تكره الناس) تجبر الناس (حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس) كافرة (أن تؤمن) بالله (الا باذن الله)

عشيته أو بقتضائه أو بتوفيقه أو بعلمه (ويجعل الرجس) أى أذاب أو السخط أو الشيطان أى ويسلط الشيطان (على الذين لا يؤمنون) لا يفتقرون (الجزء الحادى عشر) يقولهم ويجعل (٢٩٢) هادويحيى (قل انظروا) نظرا استدلال

واعتبار (ماذا فى السما
والارض) من الآيات
والعبر باختلاف الليل
والنهار وخروج الزروع
والثمار (وما تنفى الآيات)
مانافية (والنذر) والرسول
المندرون أو الانذارات (عن)
قوم لا يؤمنون (لا يتوقع
إيمانهم وهم الذين لا يفتقرون
(فهل ينتظرون الا مثل
أيام الذين خلوا من قباهم)
يعنى وقائع الله فيهم كما يقال
أيام العرب لوقائعها (قل
فانتظروا انى معكم من المنتظرين
ثم نجى رسلنا) معطوف
على كلام محذوف يدل عليه
الا مثل أيام الذين خلوا من
قبلهم كأنه قيل نهلك الامم
ثم نجى رسلنا على حكاية
بارادة الله وتوفيقه (ويجعل
الرجس) بترك الكذب
(على الذين) فى قلوب
الذين (لا يعقلون) توحيد
الله نزلت هذه الآية فى شأن
أبى طالب حرص النبي
صلى الله عليه وسلم على إيمانه
ولم يرد الله أن يؤمن (قل)
لهم يا محمد (انظروا ماذا
فى السماوات) من الشمس
والقمر والنجوم (والارض)

وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانها الى الله * ويجعل الرجس * العذاب أو
الخذلان فانها سبيده وقرى بالزاء وقرأ أبو بكر ونجمل بالنون * على الذين لا يعقلون *
لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع ويؤيد الاول قوله * قل انظروا * اى تنكروا * ماذا فى السماوات والارض *
من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية عقلت
انظروا عن العمل * وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون * فى علم الله وحكمه
وما نافية أو استفهامية فى موضع النصب * فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا
من قبلهم * مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يتحتمون غيره من قولهم أيام العرب
لوقائعها * قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين * لذلك أو فانتظروا هلاكى انى معكم
من المنتظرين هلاككم * ثم نجى رسلنا

تؤمن وتصديق الابتضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن
عباس معنى باذن الله بامر الله وقال عطاء بعشيته الله * قوله تعالى * ويجعل * قرى
بالنون على سبيل التعظيم أى ونجمل نحن وقرى بالياء ومعناه ويجعل الله * الرجس * يعنى
العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط * على الذين لا يعقلون * يعنى لا يفهمون عن الله أمره
ونهيته * قوله عز وجل * قل انظروا * أى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين يسألونك
الآيات انظروا يعنى انظروا ابتقوا بكم نظرا اعتبارا وتفكروا تدبروا * ماذا فى السماوات والارض *
يعنى ماذا خالق الله فى السماوات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته فى السماوات
الشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سخرها طاعة وغاربه وانزال
المطر من السماء وفى الارض الجبال والبحار والسادن والانهار والاشجار والنبات كل
ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانذخالها كقال الشاعر
وفى كل شىء له آية • تدل انه واحد

* وما تنفى الآيات والنذر * يعنى الرسل * عن قوم لا يؤمنون * وهذا فى حق
أقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم فى الازل من الشقاء * فهل ينتظرون * يعنى
يعنى مشركى مكة * الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم * يعنى من مضى من قبلهم من الامم
السالفة المكذبة لرسول قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب
أياما والنعم أياما كقوله تعالى وذكرهم بأيام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك
يا محمد الا يوم ما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا
ينتظرون ذلك العذاب * قل فانتظروا * يعنى قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب * انى معكم من
المنتظرين * يعنى هلاككم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم
أنجى الله رسوله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى * ثم نجى رسلنا

وماذا فى الارض من الشجر والوداب والجبال والبحار كلها آية لكم ثم قال (وما تنفى الآيات والنذر) الرسل (عن قوم) (و)
لا يؤمنون (فى علم الله) فهل ينتظرون) فهل بقى لهم آية (الا مثل أيام الذين خلوا) عذاب الذين مضوا (من قبلهم) من الكفار
(قل) يا محمد (فانتظروا) بنزول العذاب وبهلاكى (انى معكم من المنتظرين) بنزول العذاب عليكم وبهلاكم (ثم نجى رسلنا

الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن ﴿٢٩٣﴾ آمن معهم { سورة نونس } (كذلك حقا علينا نجي

المؤمنين) أى مثل ذلك
الانجاء نجي المؤمنين منكم
ولهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض أى وحق ذلك
علينا حقا نجي بالتخفيف
على وحفص (قل يا أيها
الناس) يا أهل مكة (ان
كنتم فى شك من دىنى)
وصحتة وسدادة فهذا دىنى
فاستموا وصفدتم وصف
دينه فقال (فلا أعبد الذين
تعبدون من دون الله) أى
الاصنام (ولكن أعبد الله
الذى يتوفاكم) بميتكم وصفد
بالتوفى ليرىهم انه الحقيق
بان يخاف ويتقى ويعبدون
ما لا تقدر على شى (وأمرت
أن أكون من المؤمنين)
أى بأن أكون بى ان الله
أمرنى بذلك بما ركب فى
من العقل وبما أوحى الى

والذين آمنوا) بالرسول
بعد هلاك قومهم (كذلك)
هكذا (حقا) واجبا (علينا نجي
المؤمنين) مع الرسل (قل)
يا محمد (يا أيها الناس) يا أهل
مكة (ان كنتم فى شك
من دىنى) الاسلام (فلا
أعبد الذين تعبدون) تدعون
(من دون الله) من الاوثان
(ولكن أعبد الله الذى
يتوفاكم) يقبض أرواحكم
ثم يحسبكم بعد ان يميتكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

والذين آمنوا) عطف على مخذوف دل عليه الاصل الذين خلوا عن دقل نهلك الامم
ثم نجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية ﴿كذلك حقا علينا نجي المؤمنين﴾
كذلك الانجاء أو انجاء كذلك نجي محمد أعبد الصلاة والسلام وصحبدين نهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائى نجي
المؤمنين مخففا ﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لاهل مكة ﴿ان كنتم فى شك من دىنى﴾ وصحته ﴿فلا
أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم﴾ فهذا خلاصة دىنى اعتقادا
وعلافا عن ضوها على العقل الصرف وانظر وافيهما بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اى لا أعبد
ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذى هو بوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى
بالذكر للتهديد ﴿وأمرت ان أكون من المؤمنين﴾ بمادل عليه العقل ونطق بدالوحى
حذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله

والذين آمنوا) يعنى من العذاب والهلاك كذلك ﴿حقا علينا نجي المؤمنين﴾ يعنى كما أنجينا
رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك نجيكم يا محمد والذين آمنوا معكم وصدقوك
من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان
تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بأنه حق واجب من
حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على
خالق شىء ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿قل يا أيها الناس﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اى قل يا محمد اهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرى ولم يؤمنوا بك ﴿ان كنتم فى شك
من دىنى﴾ يعنى الذى أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمره صلى الله عليه وسلم
لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك
فقال ان كنتم فى شك من دىنى الذى أدعوكم اليه فلا يذنبى لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم
عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما يذنبى لكم أن تشكوا فى عبادتكم
لهذه الاصنام التى لأصل لها البتة فان أسررتهم على ما أنتم عليه ﴿فلا أعبد الذين تعبدون
من دون الله﴾ يعنى هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا الذنى لان العبادة هى غاية العظم
للمعبود فلا تليق لآخس الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها
ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله
سبحانه وتعالى ﴿ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم﴾ والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى
فى هذا المقام بهذه الصفة أن المراد ان الذى يستحق العبادة فاعبده أنا وأنتم هو الذى
خلقكم أولا ولم تكونوا شىء ثم عيتمكم ثانيا ثم يحسبكم بعد الموت ثالثا فاكفى بذكر الوفاة
تنبيه على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر فى هذا المقام ليكون أقوى
فى الزجر والردع وقيل انهم لما استجلبوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذى
هو قادر على اهلاككم ونصرى عليكم ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ يعنى وأمرنى
ربى أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لماذا ذكر العبادة وهى من أعمال الجوارح

ثم يحسبكم بعد ان يميتكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

في كتابه (وان أقم وجهك للدين) أي وأوحى إلى أن أقم ليشاكل قوله أمرت أي استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله وأستقم إليه ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً {الجزء الحادي عشر} (حقيقاً) حال ٢٩٤ من الدين أو الوجه (ولا تكونن من

المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوتك (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنت عند بائس ايجازاً (فانك اذا من الظالمين) اذا اجزاء لا شرط وجواب لسؤال مقدر كان سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان لا ظلم أعظم من الشرك دافع (وان عيساك الله) يصيبك (بضر) مرض (فلا تأسف له) لذلك الضر (الاهو) الا الله (وان يردك بخير) فلا اراد لنفسه (فلا اراد لاراده) (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع هذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد مع المؤمنين على دينهم (وان أقم وجهك للدين) اخذ من دينك وعلمك الله (حقيقاً) مسلماً (ولا تكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (ولا تدع) لا تعبد (من دون الله ما لا ينفعك) في الدنيا والآخرة ان عبت (ولا يضرك) ان لم تعبد (فان فعلت) عبت (فانك اذا من الظالمين) من الضارين

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به • فقد تركت ذامال وذانس
﴿وان أقم وجهك للدين﴾ عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكمة بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستعداد فيه باداء الفرائض والانهاء عن القبائح أو في الصلاة باستقبال القبلة ﴿حقيقاً﴾ حال من الدين أو الوجود ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴿بنفسه﴾ ان دعوته أو خذلته ﴿فان فعلت﴾ فان دعوته ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة ليداء ﴿وان عيساك الله بضر﴾ وان يصيبك ﴿فلا تأسف له﴾ يدفعه ﴿الاهو﴾ الا الله ﴿وان يردك بخير ولا اراد﴾ فلا دفع ﴿الفضل﴾ الذي اراد به واعلم ذكر الارادة مع الخير والمسلم مع الضر مع تلازم الامرين لتقليد على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما يصح بالاعتقاد الاول ودفع الفضل موضع الصيرورة لانه على الله متفضل بما يريد به من الخير لا استحقاق له عليه ولم يشأ لان مراد الله لا يمكن رده ﴿يصيب به﴾ بالخير ﴿من يشاء من عباده﴾
أشبهها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ الواو في قوله وان أقم وعطف معناه وأمرت ان أقيم وجهي يعني أقم نفسك على دين الاسلام حقيقاً معي مستقيماً عليه غير موهج عند الدين الخرو قيل معناه أقم نفسك على الدين الحنفي وقيل اراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكلية الى طاب الدين الحنفي غير مائل عنه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة غيره فيملك وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وأنه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له أن يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفي ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾ يعني ان عبت ودعوتك ﴿ولا يضرك﴾ يعني ان تركت عبادة الله ﴿فان فعلت﴾ يعني ما نهيتك عنه فعبت غيري أو طلبت النفع ودفع الضر من غيري ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطأ وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لان صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئاً البته فيكون المعنى ولا تدع أمراً الانسان من دون الله ما لا ينفعك الآية ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وان عيساك الله بضر﴾ يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء ﴿فلا تأسف له﴾ يعني لذلك الضر الذي أزاله بك ﴿الاهو﴾ يعني لا غيره ﴿وان يردك بخير﴾ يعني بسعة ورخاء ﴿فلا اراد لفضله﴾ يعني فلا دفع لرزقه ﴿يصيب به﴾ يعني بكل واحد من الضر والخير ﴿من يشاء من عباده﴾ قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى

لنفسك (وان عيساك) يصيبك (الله بضر) بشدة وأمر تكرر (فلا تأسف له) فلا دفع للضر (الاهو) انه وان يردك (يصيبك) بخير) بنعمة وأمر تكرر (فلا اراد لفضله) لا مانع لعطيته (يصيب به) يخص بالفضل (من يشاء من عباده) من

الا عليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافي بالعطاء اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجناد الذي لا مشور به وكذا ارادك بخير لم يرد أحد ما يريدك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق اذ بان توجده اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل من كاشفات خيره أو ارادني برحمة هل من ممسكات رحمته وانما ذكر المس في أحدهما والارادة في الآخر كانه ﴿ ٢٩٥ ﴾ اراد ان يذكر في سورة قونس الامرين الارادة والاصابة

في كل واحد من الضر والخير وانه لا اراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأو جز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فانه نفع باختياره الانفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن أثر الضلال فاضر الانفسه ودل الالام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكل الى أمركم (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدائهم (حتى يحكم الله)

وهو الغفور الرحيم ﴿ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تأسوا من عقرانه بالمعصية ﴾ ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴾ ﴿ رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر ﴾ ﴿ فمن اهتدى ﴾ ﴿ بالايمن والمتابعة ﴾ ﴿ فانما يهتدى لنفسه ﴾ ﴿ لان نفعه لها ﴾ ﴿ ومن ضل ﴾ ﴿ بالكفر ﴾ ﴿ فانما يضل عليها ﴾ ﴿ لان وبال الضلال عليها ﴾ ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ ﴿ بحفيظ موكل الى أمركم وانما أنا بشير ونذير ﴾ ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴾ ﴿ بالامثال والتبليغ ﴾ ﴿ واصبر ﴾ ﴿ على دعوتهم وتحمل اذيتهم ﴾ ﴿ حتى يحكم الله ﴾ ﴿ بالنصرة أو بالامر بالتقتال ﴾ ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ ﴿ اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاع على السرار اذ لا يعد على الظواهر ﴾ ﴿ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ ﴿ وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجع جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا اراد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذي يفيض جمع الخيرات على عباده وعنده بقوله وهو الغفور يعني السائر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴾ ﴿ يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل ﴾ ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴾ ﴿ لان نفع ذلك يرجع اليه ﴾ ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ ﴿ أى على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء أبدا ﴾ ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ ﴿ يعني وأما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف ﴾ ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴾ ﴿ يعني الامر الذي يوحيه الله اليك يا محمد ﴾ ﴿ واصبر ﴾ ﴿ يعني على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك ﴾ ﴿ حتى يحكم الله ﴾ ﴿ يعني ينصررك عليهم باظهار دينك ﴾ ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ ﴿ يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه لك بالنصرة عليهم والغلبة ﴾ ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ لانه المطلاع على السرار فلا يحتاج الى بينة وشهود

كان أهلا لذلك (وهو الغفور) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) الكتاب والرسول (من ربكم فمن اهتدى) بالكتاب والرسول (فانما يهتدى لنفسه) يعني ثوابه (ومن ضل) كفر بالكتاب والرسول (فانما يضل عليها) يعني عليها جناية ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بكفيل نسختها آية القتال (واتبع) يا محمد (ما يوحى اليك) ما يؤمر لك في القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ذلك (حتى يحكم الله) بينكم وبينهم بقتلهم وهلاكهم يوم بدر (وهو خير الحاكمين)

﴿سورة هود عليه السلام﴾ { الجزء الحادى عشر } مكية وهى ٢٩٦ - مائة وثلاث وعشرون آية ﴿

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿
(أر كتاب) أى هذا كتاب
فهو خبر مبتدأ محذوف
(أحكمت آياته) صفته لادى
نظمت نظماً رصيناً محكمالاً
يقع فيه نقش ولا خال
كالبناء المحكم (ثم فصلت)
كما تفصل القلائد بالفرائد
من دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والقصاص
أوجعت فصولاً سورة
سورة وآية آية وأفرقت
فى التزليل ولم تنزل جملة
أوفصل فيها ما يحتاج اليه
العباد أى بين وخلص وليس
معنى ثم التراخي فى الوقت
ولكن فى الحال

أقوى الحاكين بهلاكهم
ونصرهم
ورمى السورة التى يذكر فيها
هرد وهى كلها مكية آياتها
اثنتان وعشرون كلمة ألف
وستة وخمسة وعشرون
مصدراً ستة آلاف
وتسعمائة وخمسة ﴿

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿
باسناده عن ابن عباس فى
قوله تعالى (أر) يقول
أنا الله أى أرى ويقال قسم
أقسم به (كتاب) أن هذا
كتاب يعنى القرآن (أحكمت
آياته) بالاحلال والحرام
والامر والنهى فلم تنسخ

من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به
وبعد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أر كتاب﴾ مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت
نظماً محكمالاً لا يعترده اختلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فإن
المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أوجعت حكيمته منقول
من حكم بالضم اذا صار حكيمالاً لأنها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية
﴿ثم فصلت﴾ بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار أو يجعلها سوراً

واظهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم
والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾

وهى مكية فى قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة
وفى رواية عن ابن عباس أنها مكية غير آية وهى قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة
طرفى النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هى مكية الا قوله سبحانه وتعالى فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان الحسنان
يذهبن السيئات وهى مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستة وخمسة آلاف
وخمسمائة وسبعة وستون حرفاً عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شئت
قال شيتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية غيره قال قلت يارسول الله عجل
اليك الشيب قال شيتنى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أذاك
حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور
المذكورة فى الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله
أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عن وجل﴾ أر كتاب أحكمت آياته ﴿قال ابن عباس لم ينسخها كتاب
كما نسخت هى الكتب والشرائع﴾ ثم فصلت ﴿يعنى بينت وقال الحسن أحكمت
آياته بالامر والنهى وفصلت بالثواب والعقاب وفى رواية عنه بالعمس قال أحكمت
بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهى وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها
بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها

أوبالانزال نجما أو فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثمرت للفتاوت في الحكم أوللتراخي في الاخبار ﴿ من لدن حكيم خبير ﴾ صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكام أو فصلات وهو تقرير لأحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد أو الامر بالنهي عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوه هاتركا ﴿ انى لكم منه ﴾ من الله ﴿ نذير وبشير ﴾ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ﴿ وان استغفروا ربكم ﴾ عطف على ان لا تعبدوا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ ثم توبوا الى مطـ لوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا

تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذى ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثمر في قوله ثم فصلت ليست هى للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل * فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات * قلت ان الاحكام الذى عم به هنا غير الذى خص به هناك فعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أى معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعام زيد وانما أكلت بمضيه * وقوله تعالى ﴿ من لدن حكيم ﴾ يعنى أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله ﴿ خبير ﴾ يعنى باحوال عباده وما يصلحهم ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام ﴿ انى لكم منه ﴾ أى قل لهم يا محمد انى لكم من عند الله ﴿ نذير ﴾ يندركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه ﴿ وبشير ﴾ يعنى وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة

(من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكام أو فصلات أى من عنده أحكامها وتفصيلها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أى لئلا تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انى لكم منه نذير وبشير) أى من الله (وان استغفروا ربكم) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أى استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة

(من لدن) من عند (حكيم) حاكم أمران لا يعبد غيره (خبير) عن يعبد وعن لا يعبد (ألا تعبدوا) بان لا توحّدوا (الا الله انى لكم منه) من الله (نذير) من النار (وبشير) بالجنة (وأن استغفروا ربكم) وحدوا ربكم (ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين
 ﴿يمتعكم متاعا حسنا﴾ يعيشكم فى امن ودعة ﴿الى اجل مسمى﴾ هو آخر اعماركم
 المقطرة اولاً يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
 بالاعمال لكنهما مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ﴿ويؤت كل ذى فضل فضله﴾
 ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا وفى الآخرة وهو وعد للوحد التائب
 بخير الدارين ﴿وان تولوا﴾ وان تولوا

لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طيب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع
 عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على
 التوبة وقيل منه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه فى المستقبل وقال
 الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد
 ﴿يمتعكم متاعا حسنا﴾ يعنى انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة
 وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به
 فى أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور
 ﴿الى اجل مسمى﴾ يعنى يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم
 فان قلت قد ورد فى الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقديضيق على الرجل
 فى بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقته على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين
 قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى . قلت أما قوله صلى الله عليه
 وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من الثواب الجزيل
 والنعيم المقيم فانه فى سجن فى الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدل وأما كون الدنيا جنة
 الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذى لا ينقطع
 فهو فى الدنيا فى جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له فى الآخرة وأما ما يضييق على
 الرجل المؤمن فى بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان
 الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن فى جميع أحواله فى عيشة حسنة لانه راض
 عن الله فى جميع أحواله ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ويؤت كل ذى فضل فضله ﴿أى﴾
 ويعط كل ذى عمل صالح فى الدنيا أجره وثوابه فى الآخرة قال أبو العالية من كثرت
 طاعته فى الدنيا زادت حسناته ودرجاته فى الجنة لان الدرجات تكون على قدر
 الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته
 على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم
 يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة
 كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التى عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات
 وان لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات
 ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه
 الله فى المستقبل لطاعته ﴿وان تولوا﴾ يعنى وان أعرضوا عما جئتم به من الهدى

(يمتعكم متاعا حسنا) يطول
 نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة
 مرضية من عيشة واسعة
 ونعمة متتابعة (الى اجل
 مسمى) الى أن يتوفاكم
 (ويؤت كل ذى فضل فضله)
 ويعط فى الآخرة كل من
 كان له فضل فى العمل وزيادة
 فيه جزاء فضله لا ينحس منه شيئا
 (وان تولوا) وان تولوا

(يمتعكم متاعا) يعيشكم عيشا
 (حسنا) بلا عذاب (الى اجل
 مسمى) الى وقت معلوم يعنى
 الموت (ويؤت) ويعط
 (كل ذى فضل) فى الاسلام
 (فضله) ثوابه فى الآخرة
 (وان تولوا) عن الايمان

(فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على اعادتكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عندلان من اقبل على الشئ استقبله بصدرة ومن ازور عنه ﴿٢٩٩﴾ وانحرف ﴿سورة هود﴾ ثنى عنه صدره وطوى عنه

كشحه (ليستخفوا منه)

ليطابوا الخفاء من الله فلا

يطلع رسوله والمؤمنون

على ازورارهم (الأحين

يستغشون ثيابهم) يتغطون

بها أى يريدون الاستخفاء

حين يستغشون ثيابهم

كراهة لاستماع كلام الله

كقول نوح عليه السلام

جعلوا أصابعهم في آذانهم

واستغشوا ثيابهم (يعلم

مايسرون ومايعلمون) أى

لا تفاوت في علمه بين

اسرارهم و اعلانهم فلا

وجه لتوصلهم الى ما

يريدون من الاستخفاء

والله مطلع على ثنيهم

صدورهم واستغشائهم

ثيابهم ونفاقهم غير نافع

عنده قيل نزلت في المنافقين

والتوبة (فانى أخاف

عليكم) أعلم ان يكون عليكم

(عذاب يوم كبير) عظيم

(الى الله مرجعكم) بعد

الموت (وهو على كل شئ)

من الثواب والعقاب

(قديرا لانهم) يعنى أخنس

ابن شريق وأصحابه (يثنون

﴿فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الحيف وقرئ وان تولوا من ولى ﴿الى الله مرجعكم﴾ رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم ﴿ألا انهم يثنون صدورهم﴾ يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أو يعطفونها على الفكر وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنوى وهو بناء المبالغة واثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثنى من اثنان كبايض بالهمزة وتثنوى ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا رخصنا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذا الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ﴿الأحين يستغشون ثيابهم﴾ الأحين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم ﴿يعلم مايسرون﴾ في قلوبهم ﴿ومايعلمون﴾ بافواههم يستوى في علمه سرهم وعلمهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهره

﴿فانى أخاف عليكم﴾ أى فقل لهم يا محمد انى أخاف عليكم ﴿عذاب يوم كبير﴾ يعنى عذاب النار في الآخرة ﴿الى الله مرجعكم﴾ يعنى في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ يعنى من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ألا انهم يثنون صدورهم ﴿قال ابن عباس نزلت في اخنس بن شريق وكان رجلا حلوا الكلام حلوا المنظرو كان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فنزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعنى يخفون ما فى صدورهم من الشحنة والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبدالله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخنون صدورهم كي لا يسموا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرضى ستره ويخفى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى وقال السدى يثنون صدورهم أى يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عنانى ﴿ليستخفوا منه﴾ يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا ﴿الأحين يستغشون ثيابهم﴾ يعنى يغطون رؤسهم بثيابهم ﴿يعلم مايسرون ومايعلمون﴾

صدورهم) يضمرون في قلوبهم بغض محمد صلى الله عليه وسلم وعداوة (ليستخفوا منه) ليستروا من محمد صلى الله عليه وسلم بغضه وعداوة باظهار المحبة له والمجالسة معه (الأحين يستغشون ثيابهم) يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم مايسرون) فيما بينهم وما يضمرون في قلوبهم (ومايعلمون) من القتال والخفاء ويقال من المحبة والمجالسة

﴿ انه علم بذات الصدور ﴾ بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب واحوالها

انه علم بذات الصدور ﴿ ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أضمرُوا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم فى كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخارى فى افراده عن محمد بن عياش بن جعفر المخزومى انه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم

انه علم بذات الصدور
عافيا

انه علم بذات الصدور بما
فى القلوب من الخير والشر

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)
تفضلا لا وجوبا (ويعلم مستقرها) مكانه من الارض ومسكنه (ومستودعها) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب و رزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح ! يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذي خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة)

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)
قائم برزقها (ويعلم مستقرها) حيث تأوى بالليل (ومستودعها) حيث تموت فتدفن (كل) أي رزق كل دابة واجلها وأثرها (في كتاب مبين) مكتوب في اللوح المحفوظ مبين معلوم مقدور ذلك عليها (وهو الذي) والهمك هو الذي (خلق السموات والارض في ستة)

الجزء الثاني عشر

فتم خير الرازقين

﴿ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ﴾ غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحلا على التوكل فيه ﴿ ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ اماكنها في الحياة والممات أو الاصلاب والارحام أو مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ﴿ كل ﴾ كل واحد من الدواب واحوالها ﴿ في كتاب مبين ﴾ مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولمسبق من الوعد والوعيد ﴿ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وما من دابة في الارض ﴿ الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذى أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه آدمي وغيره من جميع الحيوانات ﴿ الا على الله رزقها ﴾ يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لاعلى سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أى من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فن الله وربما لم يرزقها فتوت جوعا ﴿ ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوى اليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر ﴿ كل في كتاب مبين ﴾ أى كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة

أيام * أي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف أو ما في جهتي العلو والسفل وجـع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات * وكان عرشه على الماء * قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على

ايام وكان عرشه على الماء * يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوته خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سجع الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاها من سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشري يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقالوا اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لتنفق في الدين ولتسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم * عن أبي رزين العقيلي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عاء ما فوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحد يريد بالعاء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عاء وجدته في كتاب عاء مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فعناه سبحانه رقيق ويريد بقوله في عاء أي فوق سبحانه مدبره وطالبا عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال تعالى لأصلبنكم في جذوع النخل

(أيام) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قبل بدأ بخلق ياقوته خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فاقر الماء على متته ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

(أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (وكان عرشه) قبل ان خلق السموات والارض (على الماء) وكان الله قبل العرش والماء

متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقبل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ﴿ ليلوكم ايكم احسن عملا ﴾ متعلق بخلق أى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لأحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائماً في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلاً وأورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علماً وعملاً ﴿ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ﴾

يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء أى ماتحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصوراً فمعناه لاشئ ثابت لانه مما عى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أى ليس فوق العمى الذى هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغرابين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصاراً كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف وبدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم في العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعتبر عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فمحن نؤمن به ولا نكفي صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن الماص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لأنه كان مشغولاً ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمر اذ أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ليلوكم ﴿ يعني ليعتبركم وهو أعلم بكم منكم ﴾ ايكم احسن عملاً ﴿ يعني بطاعة الله وأورع عن محارم الله ﴾ ولئن قلت ﴿ يعني ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك ﴾ انكم مبعوثون من بعد الموت ﴿ يعني

(ليلوكم) أى خلق السموات والارض وما بينهما للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (ايكم احسن عملاً) أكثر شكراً وعنه عليه السلام أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت)

(ليلوكم) ليعتبركم بين الحياة والموت (ايكم احسن عملاً) أخلمس عملاً (ولئن قلت) لاهل مكة (انكم مبعوثون) محيون (من بعد الموت)

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين (أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره سحار حرة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (إلى أمة) إلى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم (ليقولن ما يحبسهم) ما يمنعهم من النزول استعجاله على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصرفا عنهم) ويوم منصوب ﴿ ٣٠٥ ﴾ بمصرفوا ﴿ سورة هود ﴾ أى ليس العذاب مصرفا

عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منا رحمة) نعمة من صحة وامن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوقة قاطع رجاء من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من القلب فى نعمة

ليقولن الذين كفروا (كفار مكة) (ان هذا) ما هذا الذى يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الاسحر مبين) كذب بين لا يكون (ولئن أخرنا عنهم

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين ﴿ أى ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره الا كاسحر فى الخديعة والبطلان وقرأ حرة والكسائى الاسحر على ان الاشارة الى القائل وقرى انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو ان تكون ان بمعنى على أى ولئن قلت عليكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لاحقيقة له مبالغة فى انكاره ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب ﴾ الموعود ﴿ الى امة معدودة ﴾ الى جماعة من الاوقات قليلة ﴿ ليقولن ﴾ استهزاء ﴿ ما يحبسهم ﴾ ما يمنعهم من الوقوع ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ كيوم بدر ﴿ ليس مصرفا عنهم ﴾ ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها ﴿ وحاق بهم ﴾ واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ﴿ ولئن أذقنا الانسان منارحة ﴾ ولئن اعطيناه نعمة بحيث يحدتها ﴿ ثم نزعناها منه ﴾ ثم سلبنا تلك النعمة منه ﴿ انه ليؤس ﴾ قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به ﴿ كفور ﴾ مبالغ فى كفران ما سلف له

للحساب والجزاء ﴿ ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين ﴾ يعنون القرآن ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ﴾ يعنى الى أجل محدود وأصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكانه قال سبحانه وتعالى الى اقراض امة ومحبة امة أخرى ﴿ ليقولن ما يحبسهم ﴾ يعنى أى شئ يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشئ قال الله عز وجل ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ يعنى العذاب ﴿ ليس مصرفا عنهم ﴾ أى لا يصرفه عنهم شئ ﴿ وحاق بهم ﴾ ما كانوا به يستهزئون ﴿ يعنى ونزل بهم وبأل استهزأهم ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولئن أذقنا الانسان منارحة ﴾ يعنى رخاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ﴿ ثم نزعناها منه ﴾ يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به ﴿ انه ليؤس كفور ﴾ يعنى ينال قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور أى مجود لنعمتنا عليه ولا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن

العذاب الى امة معدودة) الى وقت معلوم (قا و خا ٣٩ لث) يوم بدر (ليقولن) يعنى أهل مكة (ما يحبسهم) عناغدا استهزاء به (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس مصرفا عنهم) لا يصرف عنهم العذاب (وحاق) دار ووجب ونزل (بهم) ما كانوا به يستهزئون) عذاب ما كانوا به يستهزئون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منارحة) نعمة (ثم نزعناها منه) أخذناها منه (انه ليؤس) يصير آيس شئ واقنط شئ من رحمة الله (كفور) كافر بنعمة الله

الله نساء له (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله (ليقولن ذهب السيآت عني) أي المصائب التي ساءتني (انه لفرح) أشربطر (فخور) على الناس بما أذقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) في الجنة والبلاء { الجزء الثاني عشر } (وعملوا الصالحات) ٣٠٦ وشكروا في النعمة والرخاء

(أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة كانوا يقترحون عليه آيات . تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقترحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهمجه لاداء الرسالة وطرح المبالة بردهم واستهزاءهم واقتراحهم بقوله (فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك) أي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم (وضائق به صدرك) بان تتلوهم عليهم ولم يقل ضيق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أسمع الناس صدرا ولانه أشكل تارك

من النعمة ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ كصححة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ﴿ ليقولن ذهب السيئات عني ﴾ أي المصائب التي ساءتني ﴿ انه لفرح ﴾ بطربا لنعم مغتر بها ﴿ فخور ﴾ على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقوقها وفي لفظ الاذقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول ﴿ الا الذين صبروا ﴾ على الضراء اي انا بالله تعالى واستسلا ما لقضائه ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ شكرا لا لأنه سابقها ولا حقهها ﴿ أولئك لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجففس فاذا كان محلي باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا ﴿ فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك ﴾ تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزاءهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعوه اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعا ﴿ وضائق به صدرك ﴾ وعارض لك

وسعة وعافية فاشكرها ولا تحجدها فان نزعتك عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ يعني ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش ﴿ ليقولن ﴾ يعني الذي أصابه الخير والسعة ﴿ ذهب السيآت عني ﴾ يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يصف الاشياء كلها الى الله وانما أضافها الى العوائد فهذا ذمه الله تعالى فقال ﴿ انه لفرح فخور ﴾ أي انه أشربطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعدد المناقب وذلك منهى عنه ﴿ ثم استثنى فقال تبارك وتعالى ﴾ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿ قال الفراء هذا الاستثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكر واعياها ﴿ أولئك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ يعني الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك ﴿ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انبيد محمد صلى الله عليه وسلم فاعلمك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبأغه الى من أمرك ان تبأغه ذلك اليه ﴿ وضائق به صدرك ﴾ يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبأغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم

الكافر (ذهب السيآت) الشدة (عني انه لفرح) بطر (فخور) بنعمة الله غير شاكر (الا) محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه (الذين صبروا) على الايمان (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم فانهم لا يفعلون ذلك ولكن يصبرون بالشدة ويشكرون بالنعمة (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (وأجر كبير) ثواب عظيم في الجنة (فاعلمك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) أمراك في القرآن من تبليغ الرسالة وسب آلهتهم وعبادتها (وضائق به) بما أمرت (صدرك) قلبك

احيانا ضيق صدرك بأن تلوهم مخافة ﴿ ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز ﴾ ينفقه في الاستتباع كالمملوك ﴿ أو جاء معه ملك ﴾ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا ﴿ انما أنت نذير ﴾ ليس عليك الا الانذار بما أوحى اليك ولا عليك ردوا

ظاهراً فأنزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لاختطاً ولا عداً ولا سهواً ولا غلطاً والله صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكتف منه شيئاً وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول احدلان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك شيئاً آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئاً مما يوحى اليه اشفاقاً من مودة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم متابعة البلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال بأيتها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثانية ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصيته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون به فامرهم الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وأن لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شئ من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الحقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي القول والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئاً من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة رددهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بأن تلوهم عليهم ﴿ أن يقولوا ﴾ يعني مخافة ان يقولوا ﴿ لولا أنزل عليه كنز ﴾ يعني يستغنى به وينفقه ﴿ أو جاء معه ملك ﴾ يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقاً في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدره على كل شئ وأنت عزيز عنده مع انك تغير فها أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكاً يشهدك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل ﴿ انما أنت نذير ﴾ تنذر بالعقاب

(ان يقولوا) مخافة ان
يقولوا (لولا أنزل عليه
كنز أو جاء معه ملك) هلا
أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز
لننفقه والملائكة لنصدقه
ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا
نقترحه (انما أنت نذير)
أي ليس عليك الا أن تنذرهم
بما أوحى اليك وتبلغهم ما
أمرت بتبليغه ولا عليك ان
ردوا أو تهاونوا

(أن يقولوا) بان يقولوا كفار
إمكانة (لولا أنزل) هلا أنزل
(عليه) على محمد (كنز)
مال من السماء فيعيش به (أو
جاء معه ملك) يشهد له (انما
أنت) يا محمد (نذير) رسول

(والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفاههم واستهزائهم (أم يقولون) أم مقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك { الجزء الثاني عشر } (قل فأتوا ﴿ ٣٠٨ ﴾ بعشر سور) تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة

واحدة كما يقول المخبر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مائة كل واحدة منها له (مفتريات) صفدة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واخترتته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اخترتته من عند نفسي فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلف من عند أنفسكم فأتتم عرب فصحاء مثلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم

مخوف (والله على كل شيء) من مقالهم وعذابهم (وكيل) كفيل ويقال شهيد (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه فأتانا به (قل) لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله)

أو اقترحوا فإياك يضيق به صدرك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أم مقطعة والهاء لما يوحى ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله ﴾ في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد ﴿ مفتريات ﴾ مختلفات من عند أنفسكم ان صحت انى اخترتته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل انتم أقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ الى المعاونة على المعارضة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ انه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ باتيان مادعوتهم اليه

لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ أم يقولون افتراه ﴿ يعنى بل يقول كفار مكة اخترتته يعنى ما وحي اليه من القرآن ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ لما قالوا له افتريت هذا القرآن واخترتته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخى لهم العنان وقاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا أنى اخترتته من عند نفسي ولم يوح الى شيء وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلى من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب اللسان فأتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جئتكم به مخلق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فى مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بان يأتوا بسورة مثله فلم يقدر واعلى ذلك وعجزوا عند فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وان تحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعنى مثله فى الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله فى سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعنى مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بان يقول لهم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ حتى يعينوكم على ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنى فى قولكم انه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ اعلم انه لما شملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى أمر وخطاب للكفار وهو

مثل سور القرآن مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس (قوله) هود (مفتريات) مختلفات من تلقاء أنفسكم (وادعوا من استطعتم) استعينوا بمن عبدتم (من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمد صلى الله عليه وسلم يختلقه من تلقاء نفسه فسكتوا عن ذلك فقال الله (فان لم يستجيبوا لكم) لم يجبك الظلمة

فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو) أى أنزل ملتبساً بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لاسبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله ﴿ ٣٠٩ ﴾ وحده وان توحيدة واجب { سورة هود } والاشراك به ظلم عظيم

وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم أولان الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عند فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى باذنه أو بأمره (فهل أنتم مسلمون) متبعون للاسلام بهذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها

وجع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أولان المؤمنين كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متساو لالهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ما خصه الدليل والتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فاعلموا انما أنزل بعلم الله ﴾ ملتبساً بما لا يعلم الا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره وظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الشابت صدقه بعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يحيرهم من بأس الله آلهتهم ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقاً ويجوز ان يكون الكل خطاباً للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم أى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لايعله الا الله وانه منزل من عنده وان مادعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ باحسانه وبره ﴿ نوف اليهم أعمالهم فيها ﴾

قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احمق ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة فهذا السبب اختلف المفسرون فى معنى الآية على قولين * أحدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدثون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه ﴿ فاعلموا انما أنزل بعلم الله ﴾ يعنى فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثباتاً لانهم كانوا عالين بانه منزل من عند الله وقبل الخطاب فى قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم والى القول الثانى أن قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى قال فى الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل فى هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوك فاعلموا انما أنزل بعلم الله وانه ليس مفتربى على الله بل هو أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ يعنى الذى أنزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو لا من تدعون من دونه ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ فيه معنى الامر أى أسلموا وأخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الترغيب أى دو موا على ما أنتم عليه من الاسلام ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ يعنى بعمله الذى يعمل به من أعمال البر نزلت فى كل من عمل عملاً يتبغى به غير الله عز وجل ﴿ نوف اليهم أعمالهم فيها ﴾ يعنى أجور

(فاعلموا) يامعشر الكفار
(انما أنزل) جبريل بالقرآن
(بعلم الله) وأمره (وأن لا اله الا هو) فهل أنتم مسلمون
مقرون بمحمد عليه السلام
والقرآن (من كان يريد

الحياة الدنيا) بعلمه الذى افترض الله عليه (وزينتها) زهرتها (نوف اليهم أعمالهم) ثواب أعمالهم (فيها) فى الدنيا

نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرى يوف بالياء أى يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقولهم

وان اتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم
 * وهم فيها لا ينجسون * لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل
 في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم * اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار *
 مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار
 العزائم السيئة * وحبط ما صنعوا فيها * لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة أو لم يكن
 لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص وبحوزة تعليق
 الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا * وباطل * في نفسه * ما كانوا يعملون * لانه لم
 يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرى باطلا على انه مفعول

أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم
 المكروه في الدنيا ونحو ذلك * وهم فيها لا ينجسون * يعنى انهم لا ينقصون من أجور أعمالهم
 التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة * أولئك الذين ليس لهم
 في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها * يعنى وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر * وباطل
 ما كانوا يعملون * لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية قروى قتادة عن أنس
 أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى
 يعنى من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رحا أو يعطى سائلا
 أو يرحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيجعل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع
 عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكروه في الدنيا وليس له
 في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله أولئك الذين ليس
 لهم في الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين
 الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا
 لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حل الآية على العموم أولى فيسدرج الكافر
 والمنافق الذي هذه صفته المؤمن الذي يأتى بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء
 والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه
 وتعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا
 ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلمها الوعيد الشديد
 وهو عذاب النار * ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا
 أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه أخرجه مسلم * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه
 الترمذى * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يتبغى

وهم فيها لا ينجسون) نوصل
 اليهم أجور أعمالهم وافية
 كاملة من غير نجس في الدنيا
 وهو ما رزقون فيها من
 الصحة والرزق وهم الكفار
 أو المنافقون (أولئك
 الذين ليس لهم في الآخرة
 الا النار وحبط ما صنعوا
 فيها) وحبط في الآخرة
 ما صنعوه أو ضيعهم أى لم يكن
 لهم ثواب لانهم لم يريدوا به
 الآخرة انما أرادوا به
 الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا
 (وباطل ما كانوا يعملون)
 أى كان علمهم في نفسه باطلا
 لانه لم يعمل لغرض صحيح
 والعمل الباطل لا ثواب له

(وهم فيها) في الدنيا
 (لا ينجسون) لا ينقص من
 ثواب اعمالهم (أولئك الذين)
 عملوا لغير الله (ليس لهم في
 الآخرة الا النار) وحبط
 ما صنعوا فيها (رد عليهم
 ما عملوا في الدنيا من الخيرات
) (وباطل ما كانوا يعملون)
 ولا يثابون في الآخرة بما
 كانوا يعملون في الدنيا من
 الخيرات لانهم عملوا لغير الله

يعملون وما لهم اية اوفى معنى المصدر كقوله

ولا خارجا من في زور كلام

وبطل على الفعل * أفن كان على بينة من ربه * برهان من الله يدل على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكمهم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب * ويتلوه * ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل * شاهد منه * شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن

(أفن كان على بينة من ربه)
أمن كان يريد الحياة الدنيا
كمن كان على بينة من ربه أى
لا يعقبونهم في المنزلة ولا
يقاربونهم يعنى ان بين
الفريقين تبائنا بينا وأراد
بهم من آمن من اليهود كعبد
الله بن سلام وغيره كان
على بينة من ربه أى على
برهان من الله وبيان ان
دين الاسلام حق وهو دليل
العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك
البرهان (شاهد) يشهد
بصحته وهو القرآن (منه)
من الله أو من القرآن فقد
مر ذكره آنفا

(أفن كان على بينة من ربه)
على بيان نزل من ربه يعنى
القرآن (ويتلوه) يقرأ
عليه القرآن (شاهد منه)
من الله يعنى جبريل

بدوجه الله لا يتعلمه الا يصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى
ريحها أخرجه أبو داود * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا
بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال وادفى جهنم تتعوذ منه جهنم
كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراءون باعمالهم أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب * قال البغوى وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال
الرياء أخرجه بغير سند * والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس
عليها أو ليعتقدوا فيه الصلاح أو ليقصدوه باعطاء فهذا العمل هو الذى لغير الله نعوذ
بالله من الخذلان قال البغوى وقيل هذا في الكفار يعنى قوله من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبية فيجأى بحسناته
في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة
وأما الكافر فيطمع بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى
بها خيرا أخرجه البغوى بغير سند * قوله سبحانه وتعالى * أفن كان على بينة من
ربه * لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا
وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجده الله تعالى والدار الآخرة فقال
سبحانه وتعالى أفن كان على بينة من ربه أى كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم
في الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه
أفن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة
وكفرو المراد بالبينة الدين الذى أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة
اليقين يعنى أنه على يقين من ربه أنه على الحق * ويتلوه شاهد منه * يعنى ويتبعه
من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم
ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل
يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان
النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعنى على ابن أبى

﴿ ومن قبله ﴾ ومن قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعنى التوراة فانها ايضا تنلوه فى التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له أو من التلوه والشاهد ملك يحفظه والضمير فى يتلوه اما لمن أول البينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جلة مبتدأة وقرئ كتابا بالنصب عطفًا على الضمير فى يتلوه أى يتلو القرآن شاهد من كان على بيته دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة ﴿ اماما ﴾ كتابا مؤتمابه فى الدين ﴿ ورجة ﴾ على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من كان على بيته ﴿ يؤمنون به ﴾ بالقرآن ﴿ ومن يكفر به ﴾ من الاحزاب ﴿ من اهل مكة ﴾ ومن تحزب معهم على رسول طالب رضى الله عنه أنت التالى قال وماتعنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما فى الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبى صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمته يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن أبى طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وأنت أى آية نزلت فيك فقال على ماتقرأ الآية التى فى هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن أبى طالب وقوله منه يعنى من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا الشاهد وهو على لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعنى الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القرآن فى التصديق بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ومن قبله ﴾ يعنى ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كتاب موسى ﴾ يعنى التوراة ﴿ اماما ورجة ﴾ يعنى انه كان اماما لهم يرجعون اليه فى أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رجة لانه الهادى من الضلال وذلك سبب حصول الرجة ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ يعنى ان الذين وصفهم الله بأنهم على بيته من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كمحمد بن سلام وأصحابه ﴿ ومن يكفر به ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من الاحزاب ﴾ يعنى من جميع الكفار وأصحاب الاديان

(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماما) كتابا مؤتمابه فى الدين قدوة فيده (ورجة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أى من كان على بيته (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الاحزاب) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومن قبله) من قبل القرآن (كتاب موسى) توراة موسى قرأ عليه جبريل (اماما) يقتدى به (ورجة) لمن آمن به (أولئك) من آمن بكتاب موسى (يؤمنون به) بمحمد عليه السلام والقرآن وهو عبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) بمحمد عليه السلام والقرآن (من الاحزاب) من جميع الكفار

(فالنار موعده) مصيره

ومورده (فلاتك في مريبة)

شك (منه) من القرآن أو من

الموعد (انه الحق من ربك

ولكن أكثر الناس

لا يؤمنون ومن أظلم ممن

افتري على الله كذبا أولئك

يعرضون على ربهم

يعرضون في الموقف وتعرض

أعما لهم (ويقول

الشهاد هؤلاء الذين كذبوا

على ربهم) ويشهد عليهم

الشهاد من الملائكة

والنبيين بانهم الكاذبون

على الله بأنه اتخذ ولدا

وشريكا (اللعنة الله على

الظالمين) الكاذبين على

ربهم والشهاد جمع شاهد

كشاهد وصاحب أو شهيد

كشريف وأشراف

(فالنار موعده) مصيره

(فلاتك) يا محمد (في مريبة)

في شك (منه) من مصير من كفر

بالقرآن (انه الحق من ربك)

أن مصير من كفر بالقرآن

النار ويقال فلاتك في مريبة

في شك منه من القرآن انه

الحق من ربك نزل به جبريل

(ولكن أكثر الناس) أهل

مكة (لا يؤمنون ومن أظلم)

أعنى وأجراً (من افتري)

اختلق (على الله كذبا

أولئك يعرضون على ربهم)

يساقون الى ربهم (ويقول

الشهاد) الملائكة والأنبياء

(هؤلاء) الكفار (الذين

كذبوا على ربهم) (اللعنة الله) عذاب الله (على الظالمين)

(قا و خا ٤٠ لث)

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿فالنار موعده﴾ يردها لاحالة ﴿فلاتك في مريبة منه﴾ من الموعد أو القرآن. وقرئ مريبة بالضم وهمما الشك ﴿انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ لقلة نظرهم واختلاف فكرهم ﴿ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا﴾ كأن اسند اليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ في الموقف بأن يحسبوا وتعرض أعمالهم ﴿ويقول الشهاد﴾ من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كاستحاب أو شهيد كاشراف جمع شريف ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ ألعنة الله على الظالمين ﴿تهويل عظيم مما يحقيق بهم

المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء ﴿فالنار موعده﴾ يعنى في الآخرة روى البغوى بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب أهل الملل كلها ثم قال سبحانه وتعالى ﴿فلاتك في مريبة منه انه الحق من ربك﴾ فيه قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراء والقول الثانى أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده يعنى فلاتك في شك من ان النار موعده من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلاتك في مريبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ يعنى لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعده الكفار النار ﴿قوله عز وجل﴾ ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا ﴿يعنى أى الناس أشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا وفى الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا ورد في معرض المبالغة ﴿أولئك﴾ يعنى المفتريين على الله الكذب ﴿يعرضون على ربهم﴾ يعنى يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا ﴿ويقول الشهاد﴾ يعنى الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الشهاد الخلق كلهم ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ يعنى في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله ﴿ألعنة الله على الظالمين﴾ يعنى يقول الله

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يوجوا بالارتداد { الجزء الثاني عشر } (وهم بالآخرة) ٣١٤ (هم كفرون) هم الثانية التأكيد كفرهم

بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا) أى ما كانوا (معجزين فى الأرض) بمعجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويعنهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) لانهم أضلوا الناس عن دين الله يضعف مكي وشامى (ما كانوا يستطيعون السمع) أى استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق

المشركين (الذين يصدون) يصرفون (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (ويبغونها عوجا) يطلبونها زيفا ويقال غيرا (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كفرون) جاحدون (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض) بفائتين من عذاب الله (وما كان لهم من دون الله من عذاب الله) من أولياء (من أولياء) تحفظهم (يضاعف لهم العذاب) يعنى الرؤساء (ما كانوا يستطيعون السمع)

حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالامحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كفرون والحال انهم كفرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض أى ما كانوا معجزين الله ان يعاقبهم فى الدنيا وما كان لهم من دون الله من أولياء يعنونه من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشداً وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصاصهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة فى مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب

ذلك يوم القيامة فيأمنهم ويطردهم من رحته (ق) عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا كذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسنة وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسنة وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفى رواية فينادى ربهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعنى يمنعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو دين الاسلام ويبغونها عوجا يعنى يطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وترويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام وهم بالآخرة هم كفرون يعنى وهم مع صدهم عن سبيل الله يحجدون البعث بعد الموت وينكرونه أولئك يعنى من هذه صفتهم لم يكونوا معجزين فى الأرض قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين فى الأرض والمعنى انهم لا يجزئون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يتقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يعنى وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار يمنعونهم من دون الله اذا أرادهم سوا أو عذابا يضاعف لهم العذاب يعنى فى الآخرة يزداد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة حموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى

الاستماع الى كلام محمد صلى الله عليه وسلم من بغضه ويقال وما كانوا لا يستطيعون السمع الاستماع الى كلام محمد صلى الله عليه وسلم (وما كانوا يبصرون) الى محمد عليه السلام من بغضه ويقال وما كانوا يبصرون محمداً صلى الله عليه وسلم (انه)

(أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون) بالصد والصدود وفي لاجرم أقوال أحدها ان لاردلكلام سابق ﴿٣١٥﴾ أى ليس سورة هود { الامر كما زعموا ومعنى

جرم كسب وفاعله مضمير وانهم في الآخرة في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسروا في الآخرة وثانيها أن لاجرم كتمان ركبنا فصار معناها حقاً وأن في موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسروا ثم وثالثها ان معناه للاحالة (ان الذي آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع)

من بغضه (أولئك) الرساءهم (الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم وأهاليهم ومنازلهم وخدمهم في الجنة وورثه غيرهم من المؤمنين (وضل عنهم) بطل واشتغل عنهم بانفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون من دون الله بالكذب (لاجرم) حقاً (أنهم في الآخرة هم الآخسرون) المغبونون بذهاب الجنة

اعتراض ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ﴿ لاجرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون ﴾ لا احداً بين وأكثر خسروا انفسهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم ﴾ اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دائمون ﴿ مثل الفريقين ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ كالاعمى والاصم والبصير والسميع ﴾ يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لعدم امي

انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعائهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم ﴿ لاجرم ﴾ يعنى حقاً وقال الفراء للاحالة ﴿ أنهم في الآخرة هم الآخسرون ﴾ لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم ﴿ لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والابخسات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولغظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جمع أعمال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهى الخضوع والخشوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالنواب والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع ﴿ أولئك ﴾ يعنى الذين هذه صفتهم ﴿ أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ أخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من اهل الجنة التى لا انقطاع لعيمها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى

وما فيها (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (واخبتوا الى ربهم) اخلصوا الربهم وخضعوا للربهم وخشعوا من ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) مقيمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم) يقول مثل الكافر كالاعمى لا يبصر الحق والهدى وكالاصم لا يسمع الحق والهدى (والبصير والسميع)

شبه فريق الكافرين بالاعى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيهاهما ونصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتدفعون {الجزء الثانى عشر} بضرب ٣١٦ المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه

عن آيات الله وبالا صم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله

الصالح فالغافم فالآيب

وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا أى تشبهاً أو صفةً أو حالاً أفلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحزرة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجد الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم أو مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير أى اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المذهب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جدجده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملائكة الذين كفروا من قوم مد ما نراك لابشرا مثلنا

أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماع وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعنى فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعى وهو الذى لا يهتدى لرشده والاصم وهو الذى لا يسمع شيأ ألبته والبصير وهو الذى يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذى يسمع الاصوات ويحسب الداعى فمثل المؤمنين كمثل الذى يسمع ويبصر وهو الكامل فى نفسه ومثل الكافر كمثل الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص فى نفسه هل يستويان مثلا قال الفراء لم يقل هل يستويان لان الاعى والاصم فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن أفلا تذكرون يعنى فتعظنون قوله عز وجل ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين يعنى أن نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم انى لكم ايها القوم نذير مبين يعنى بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم اليم يعنى مؤلم موجه قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة فقال الملائكة الذين كفروا من قومه يعنى الاشراف والرؤساء من قوم نوح ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا يعنى

انى لكم نذير مبين (أى باني والمعنى أرسلناه ملتصقا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحزرة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير (أنى أخاف عليكم عذاب يوم اليم) وصف اليوم باليم من الاسناد الخجازى لوقوع الالم فيه (فقال الملائكة الذين كفروا من قوم مد) يريد الاشراف لانهم يملكون القلوب هيبية والمجالس أهبة أولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الابشرا مثنا) أرادوا انه كان ينبغي أن يكون ملكا

يقول ومثل المؤمن كمثل البصير يسمع الحق والهدى وكالسميع يسمع الحق والهدى (هل يستويان مثلا) فى المثل يقول هل يستوي الكافر مع المؤمن فى الطاعة والشواب (أفلا تذكرون) أفلا تعظنون بامثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) فلما جاءهم قال لهم (انى لكم) من الله (نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلونها

(أن لا تعبدوا) ان لا توحدا (الا الله انى أخاف عليكم) اعلم بان يكون عليكم ان لم تؤمنوا (عذاب يوم (آدميا) أليم) وجيع وهو الغرق (فقال الملائكة) الرؤساء (الذين كفروا من قومه) من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (الابشرا) آدميا (مثلنا)

أوملكا (ومنازك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخسأؤنا جمع الارذل (بأدى) وبالهمزة أبو عمرو (الرأى) وبغير همز أبو عمرو أى اتبعوك ظاهر الرأى أو أول الرأى من بدايبدو واذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا فعل الشئ أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ٣١٧ ذلك وأقيم المضاف { سورة هود } اليه مقامه أرادوا أن

اتباعهم لك شئ عن لهم بدية من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلو المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب النبوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاء ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (ومنازى لكم علينا من فضل) في مال ورأى عنوا نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أى نوحا في الدعوة ومتبعيه في الاجابة والتصديق يعنى تواطئهم على الدعوة والاجابة تسببا للرياسة (قال يا قوم أرايتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وأتانى رجة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى ومنازك اتبعك (آمن بك) (الا الذين هم أراذلنا)

لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة * ومنازك اتبعك الا الذين هم أراذلنا أخسأؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبأ وأرذل جمع رذل * (بأدى الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدأ وأول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها * وقرأ أبو عمرو وبالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أى وقت حدوث بأدى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك أول فقرهم فانهم للملم يعلموا الاظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل * ومنازى لكم * لك ولمتبعيك * علينا من فضل * يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة * بل نظنكم كاذبين * اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين * قال يا قوم أرايتم * أخبرونى * ان كنت على بينة من ربي * حجة شاهدة بصحة دعواى * وأتانى رجة من عنده * بإتاء البينة أو النبوة * فعميت عليكم * فحفيت عليكم فلم تهديكم

آدميا مثلنا لافضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يتمتع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهالا منهم لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المجزة الدالة على صدقه ولايتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى عباده * ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح * ومنازك اتبعك الا الذين هم أراذلنا * يعنى سفلتنا وارذل الدون من كل شئ قيل هم الحاكمة والاساكفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهالا منهم أيضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين * (بأدى الرأى) يعنى انهم اتبعوك في أول الرأى من غير تثبت وتفكر في أمرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقبل معناه ظاهر الرأى يعنى انهم اتبعوك ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا * ومنازى لكم علينا من فضل * يعنى بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة * بل نظنكم كاذبين * قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم * قال * يعنى نوحا * يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي * يعنى على بيان ويقين من ربي بالذى أنذرتكم به * وأتانى رجة من عنده * يعنى هديا ومعرفة ونبوة * فعميت عليكم *

سفلتنا وضعفأؤنا (بأدى الرأى) ظاهر الرأى الضيف ويقال سوء رأيهم حملهم على ذلك (ومنازى لكم علينا من فضل) بما تقولون تأكلون وتشربون كما ناكل ونشرب (بل نظنكم كاذبين) بما تقولون (قال) نوح (يا قوم أرايتم ان كنت) يقول انى (على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (وأتانى رجة من عنده) اكرمنى بالنبوة والاسلام (فعميت) التبت وان قرأت فعميت يقول البست (عليكم)

خفيت فعميت حزة وعلى وحفص أى أخفيت أى فعميت عليكم البينة فلم تهكم كما وعى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا
بغير هاد وحقيقته أن الحجة كاجملت بصيرة ومبصرة جعلت عياء لان الاعى لا يهدى ولا يهدى غيره (أنزل مكموها)
أى الرخذ (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها والواو دخلت هنا تلاميم وعن أبى عمرو واستان الميم ووجهه ان الحركة
لم تكن الاخسة خفيفة فظنهم الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة لاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر (ويا قوم
لا أسئلكم عليه) على الجزء الثانى عشر ١ تبليغ الرسالة ٣١٨ لانه مدلول قوله انى لكم نذير

(مالا) أجرا يثقل عليكم
ان أد يتم أو على ان
أبتم (ان أجرى) مدنى
وشامى وأبو عمرو وحفص
(الا على الله وما أنا بطارد
الذين آمنوا) جواب
لهم حين سألوا طردهم
ليؤمنوا به أنفة من الجحالة
معه (انهم ملاقوارهم)
فيشكرونى اليه ان طردتهم
(ولكنى أراكم قوما
تجهلون) تتسافهون على
المؤمنين وتدعونهم أراذل
أو تجهلون لقاء ربكم
أو انهم خير منكم (ويا
قوم من ينصرنى من الله)
من يمنعنى من انتقامه
(ان طردتهم أفلا تذكرون)
تتعظون (ولا أقول لكم
عندى خزائن الله) فادعى
فضلا عليكم بالغنى حتى
تجحدوا فضلى بقولكم
وما نرى لكم علينا من
نبوتى ودينى (أنزل مكموها)
انلهم مكموها ونعرفكموها

وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة أولان خفاءها يوجب خفاء النبوة وأعلى
تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أولانه لكل واحدة منهما * وقرأ حزة
والكسائى وحفص فعميت أى أخفيت وقرئ فعمها على ان الفعل الله * أنزل مكموها *
أنزلكم على الاهتداء بها * وأنتم لها كارهون * لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث
اجتمع ضميران وليس احدهما مسنوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل
والوصل * ويا قوم لا أسألكم عليه * على التبليغ وهو وان لم يذكر معلوم مما ذكر
* مالا * جملا * ان أجرى الأعلى الله * فانه المأمول منه * وما أنا بطارد الذين
آمنوا * جواب لهم حين سألوا طردهم * انهم ملاقوار بهم * فيخاصمون طردهم
عنده أو انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم * ولكنى أراكم قوما تجهلون *
بلقاء ربكم أو باقدارهم أو فى التماس طردهم أو تتسافهون عايمهم بان تدعوهم اراذل
* ويا قوم من ينصرنى من الله * يدفع انتقامه * ان طردتهم * وهم تلك الصفة
والمثابة * أفلا تذكرون * لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس
بصواب * ولا أقول لكم عندى خزائن الله * خزائن رزقه وامواله حتى جمعتم
يعنى خفيت وألبست عليكم * أنزل مكموها * الهاء عائدة على الرحمة والمعنى أنزلكم أياها
القوم قبول الرحمة يعنى أنا لا أقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا * وأنتم لها كارهون *
وهذا استفهام معناه الانكار أى لا أقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن أدعوكم الى الله
وليس لى أن أضطرركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نى الله لآلزمها قومى ولكنى لم
يملك ذلك * ويا قوم لا أسألكم عليه مالا * يعنى لا أسألكم ولا أطلب منكم على تبليغ
الرسالة جملا * ان أجرى الأعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا * وذلك انهم طلبوا
من نوح أن يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون
* انهم ملاقوار بهم * فلا أطردهم * ولكنى أراكم قوما تجهلون * يعنى عظمة الله
ووحدايته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم * ويا قوم
من ينصرنى من الله ان طردتهم * يعنى من يمنعنى من عذاب الله ان طردتهم عنى لانهم مؤمنون
مخلصون * أفلا تذكرون * يعنى فتتعظون * ولا أقول لكم عندى خزائن الله * هذا
عطف على قوله لا أسألكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندى خزائن

(وأنتم لها كارهون) جاحدون (ويا قوم لا أسئلكم عليه) على التوحيد (مالا) جملا (ان أجرى) ما ثوابى (الله)
(الأعلى الله) وما أنا بطارد الذين آمنوا (بقولكم) (انهم ملاقوا) معانيو (ربه) فيخاصموننى عنده (ولكنى أراكم قوما تجهلون)
أمر الله (ويا قوم من ينصرنى) من يمنعنى (من الله) من عذاب الله (ان طردتهم) بقولكم (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون
بما أقول لكم فتؤمنوا (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) مفاتيح خزائن الله

فضل (ولا أعلم الغيب) حتى أطلع على ﴿ ٣١٩ ﴾ مافي نفوس { سورة هود } أنبأني وضمائر قلوبهم

فمن لي ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ عطف على عندي خزائن الله أي ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعاداً أو حتى أعلم أن هؤلاء التبهوني بادي الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ﴿ ولا أقول أني ملك ﴾ حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلاً ﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾ ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقركم ﴿ لن يؤتيهم الله خيراً ﴾ فان ما عدا الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا ﴿ الله أعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين ﴾ ان قلت شيئاً من ذلك والازدراء به افتعال من زري عليه اذا عابه قلبت تأوه دالاً لتجانس الزاء في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم

الله يعني التي لا يفنيها شيء فادعوكم الى اتباعي عليهما لا عطيتكم منها وقال ابن الانباري الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوع عن الخلق وانما وجب أن يكون هذا جواباً من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وادعوا أن المؤمنين انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال بحبيالهم ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوي عايد عباده وما يظهر ونه الا هو وانما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ يعني ولا أدعي علم ما يغيب عني مما يسرونه في نفوسهم فسيبلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم مافي ضمائرهم الا الله ﴿ ولا أقول اني ملك ﴾ وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشراً مثلاً أي لا ادعي اني من الملائكة بل أنا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وأبلغكم ما أرسلت به اليكم

فصل

استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه الصلاة والسلام قال ولا أقول اني ملك لان الانسان اذ قال أنا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشراً مثلاً لما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول اني ملك ولم يردان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾ يعني تحتقر وتستصغر أعينكم يعني المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أراذلنا من الرذال فهو هي الخسة ﴿ لن يؤتيهم الله خيراً ﴾ يعني توفيقاً وهداية وإيماناً وأجراً ﴿ الله أعلم بما في أنفسهم ﴾ يعني من الخير والشر ﴿ اني اذا لمن الظالمين ﴾ يعني ان طردتهم مكذباً لظاهرهم ومبطلاً لايمانهم يعني اني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فأنانا من الظالمين

وهو معطوف على عندي خزائن أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أعلم الغيب) حتى تقولوا ما أنت الا بشر مثلاً (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) حتى تقولوا لي ما أنت الا بشرى مثلاً (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقركم (لن يؤتيهم الله خيراً) في الدنيا والآخرة لهم وانهم عليه مساعدة لكم ونزولاً على هواكم (الله أعلم بما في أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطلع على خفي أسرارهم (اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيئاً من ذلك والازدراء افتعال من ذري عليه اذا عابه وأصله تزري في الرزق (ولا أعلم الغيب) متى نزول العذاب وما غاب عني (ولا أقول اني ملك) من السماء (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) لا تأخذهم أعينكم يقول يحتقرون في أعينكم (لن يؤتيهم الله خيراً) لن يكرمهم الله بتصديق الايمان (الله أعلم بما في أنفسهم) بما في قلوبهم من التصديق (اني اذا) ان طردتهم (لمن الظالمين) الضارين بنفسي

فأبدت التاء دالا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاعمتنا (فاكثرت جدالنا فأنشأنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال أنا يا نوح بد الله ان شاء) أى ليس الاتيان بالعذاب الى أنا وهو الى من كفرتم به (وما أنتم بمعجزين) أى لم تقدروا على الهرب منه (ولا ينفعكم نصيحى) هو اعلام موضع النجى ليقبى والرشد ليقبى ولكنى انى نصيحى مسدى وأبوعمر (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقديما فى الحكم لما عرف تقديره { الجزء الثانى عشر } ان كان الله يريد ❦ ٣٢٠ ❦ أن يغويكم لا ينفعكم نصيحى أن أردت

أن أنصح لكم وهو دليل
بين لنا في إرادة المعاصي
(هو ربكم) فيتصرف
فيكم على قضية إرادته
(والله ترجعون) فيجازيكم
على أعمالكم (أم يقولون
افتراه) بل أيقولون
افتراه (قل إن افتريته
فعلى إجرأى) أى إن
صح أنى افتريته فعلى
عقوبة إجرأى أى افترائى
يقال أجرم الرجل إذا
أذنب (وأنا برى) أى
ولم يثبت ذلك وأنا برى
منه ومعنى (مما تجرمون)

(قالوا يا نوح قد جادلتنا)
 خاضعتمنا ودعوتنا الى دين
 غير دين آباءنا (فأكثر
 جدالنا) خصوصتنا ودعاءنا
 (فأنسأ بآئدنا) من
 العذاب (ان كنت من
 الصادقين) انه يأتينا (قال)
 نوح (انما أتاكم به الله
 يقول يا أتكم الله بعد اياكم) (ان شاء)
 فيعذبكم (وما أنتم بمحجزين)
 لنا من عذاب الله (ولا

وكلما لانهم ﴿١﴾ قالوا يا نوح قد جاد علينا ﴿٢﴾ فاصمتنا ﴿٣﴾ فاكثرت جدالنا ﴿٤﴾ فاطلته أو آتيت بانواعه ﴿٥﴾ فأتينا بما تعدنا ﴿٦﴾ من العذاب ﴿٧﴾ ان كنت من الصادقين ﴿٨﴾ في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ﴿٩﴾ قال انما يأتيكم به الله ان شاء ﴿١٠﴾ عاجلا أو آجلا ﴿١١﴾ وما انتم بمعجزين ﴿١٢﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه ﴿١٣﴾ ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ﴿١٤﴾ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ﴿١٥﴾ ان كان الله يريد ان يغوبكم ﴿١٦﴾ وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغوبكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما وهموه من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغوبكم ان يهلككم من غوى الفصل غوى اذا بشم فهلك ﴿١٧﴾ هو ربكم ﴿١٨﴾ خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته ﴿١٩﴾ واليه ترجعون ﴿٢٠﴾ فيجأزيكم على اعمالكم ﴿٢١﴾ أم يقولون افتراء قل ان افتريته فعلى اجرامى ﴿٢٢﴾ وبالله وقرء اجرامى على الجمع ﴿٢٣﴾ وانابرى مما تجرمون ﴿٢٤﴾ من اجرامكم في اسناد

﴿قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَاءَ لَنَا لُبًّا﴾ يعني خاصمتنا ﴿فَاكْثُرَتْ جِدَالُنَا﴾ يعني خصومتنا ﴿فَأَنبَأْنَا نَعْدَانَا﴾ يعني من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني في دعواك أنك رسول من الله إلينا ﴿قَالَ أَنبَأْتُكُمُ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ يعني قال نوح لقومه حين استجلبوه بأنزال العذاب إن ذلك ليس إلى انما هو إلى الله ينزل متى شاء وعلى من يشاء إن أراد أنزال العذاب بكم ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يعني وما أنتم بفاعلين إن أراد الله نزول العذاب بكم ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ﴾ يعني ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى إياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ يعني يضللكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى إلى الهلاك ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه ﴿وَالِيهِ تَرْجِعُونَ﴾ يعني فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أى اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود إلى الوحى الذى جاءهم به ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ﴾ أى اختلقته ﴿فَعَلَىٰ أَجْرَامِي﴾ أى اثم اجرامى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنه اكتسب الذنب وافتعله ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾ يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين

يَنْفَعُكُمْ فَصَحَى) دعائى وتحذيرى اياكم من عذاب الله (ان أردت ان أنصح لكم) أحذرکم من عذاب الله (على)
وأدعوکم الى التوحيد (ان كان الله) قد كان الله (يريد أن يغويكم) ان يضلکم عن الهدى (هوربکم) أولى بکم منى (واليه
ترجعون) بعد الموت فيحزيكم باعمالکم (أم يقولون) بل يقولون قوم نوح (افتراء) اختلق نوح بما أنابہ من تلقاء نفسه
(قل) لهم يا نوح (ان افتريته) اختلقته من تلقاء نفسى (فعلى اجرامى) آثامى (وأنا برىء مما تجرمون) تأثمون ويقال

من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلاوجه لاعراضكم ومعادانكم) وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (افراط من ايمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على أن الايمان حكم النجدة كأنه قال ان الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج ﴿ ٣٢١ ﴾ الزيادة التي ذكرت في سورة هود في الايمان بالقرآن (فلا

الافتراء الى ﴿ وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا يتبئس بما كانوا يفعلون ﴾ افطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه ان يغم بما فعلوه من النكذيب والايذاء ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة الالف الحس الذي يحفظه الشيء ويراعى عن الاختلال والزيف عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التثليل ﴿ ووحينا ﴾ اليك كيف تصنعها ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ﴿ انهم مغرقون ﴾ محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفة

على أن هذا من محاوره نوح قومه فهم من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ﴿ ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى ﴿ وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴾ قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله ويروي ان شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ الجنون فقال يا أبت أمكنني من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجده شجدة منكرا فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿ فلا يتبئس ﴾ يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا وحكي محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمر الميثي انه بلغه انهم كانوا يسهطون نوحا فينحقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجليل بعد الجليل فلا يأتي قرن الا كان أنحس من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوننا فلا يقبلون منه شيئا فشكا نوح الى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ﴿ واصنع الفلك ﴾ يعني السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع ﴿ بأعيننا ﴾ قال ابن عباس بمراي منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ يعني بأمرنا ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرقون ﴾ يعني بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنتك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست بنجارا

(قد آمن فلا يتبئس) فلا تحزن بهلاكهم (بما كانوا) (قا و خا ٤١ ث) يفعلون في كفرهم (واصنع الفلك) خذ في علاج السفينة (بأعيننا) بنظر منا (ووحينا) بأمرنا (ولا تخاطبني) لا تراجعني (في الذين ظلموا) في نجاة الذين كفروا (انهم مغرقون) بالسوفان

﴿ ويصنع الفلك ﴾ حكاية حال ماضية ﴿ وكلما مر عليه ملاء من قومه سخر وامنه ﴾ استهزؤا به لعمله السفينة فند كن عاها في برية بعيدة من الماء أو ان عزته فكناوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا ﴿ قل ان تسخر وامننا فاناسخرون منكم كما تسخرون ﴾ اذا اخذكم النار في لدنسا والحرق في الآخرة وقبل المراد بالسخرية الاستهجال فقال ان ذلك يقول اصنع ذلك باعيننا فاخذ القدوم وجعل نجرا ولا يخطى فصنعها مثل جوجي الطير ودو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويصنع الفلك ﴾ يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قل أهل الديار ما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة أقبل على عاها واما عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهي القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يعرون به وهو في عمله فيسخر من قومه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولده قال البغوي وزعم أهل التوراة ان لله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعليها وأن يجعل فيه كوى فصنع نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح السفينة في سنين فكان طواها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قل قتادة وكان بابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طواها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثلاثمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للاناس والطبقة العليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغز ذنب الفيل فغمزه فوقه منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فأكوه فلما افسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي الفطة والقط فاقبلا على الفأر فأكلاه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وكلما مر عليه ملاء من قومه ﴿ أي جماعة من قومه ﴾ سخر وامنه ﴿ يعني استهزؤا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قل اصنع بيتا عشي على الماء فضحكوا منه ﴿ قال ﴾ يعني نوحا لقومه ﴿ ان تسخر وامننا فاناسخرون منكم كما تسخرون ﴾ يعني ان تسجهلوننا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه ﴿ فان قلت السخرية لا تليق بمنصب

الفلك ﴾ حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملاء من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان عاها في برية في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (قل ان تسخر وامننا فاناسخرون منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) من عند رؤية الفلك روى ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طواها ثلاثمائة ذراع أو ألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وجعل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا

(ويصنع الفلك) أخذ في علاج السفينة (وكلما مر عليه ملاء) رؤساء (من قومه سخر وامنه) هزؤا به بمعالجته السفينة (قال ان تسخر وامننا) اليوم (فاناسخرون منكم) بعد اليوم (كما تسخرون) اليوم منا

تعملون من يأتيه) من في محل نصب بتعلمون أي فسوف تعملون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويهني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الفرق (ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملا من قومه سخر وأمنه وجواب كلما سخر وأقال استئناف على تقدير سؤال سائل أوقال جواب وسخر وأبدل من سأرو صفة للأول (إذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التور) هو كناية عن اشداد الأمر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه

(فسوف تعملون من يأتيه عذاب يخزيه) يناله ويهلكه (ويحل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم في الآخرة (حتى إذا جاء أمرنا)

﴿ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ يعني به إياهم وبالعذاب الفرق ﴿ ويحل عليه ﴾ وينزل أو يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه ﴿ عذاب مقيم ﴾ دائم وهو عذاب النار ﴿ حتى إذا جاء أمرنا ﴾ غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبدأ بعدها الكلام ﴿ وفار التور ﴾ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتور تنور الخبز ابتدئ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجد أوفى الهند أو بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل

النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخر وامننا فاننا نسخر منكم كما تسخرون * قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثله او المعنى انما يرى غيب سخرية بكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى ﴿ فسوف تعلمون ﴾ يعني فسترون ﴿ من يأتيه ﴾ يعني ايأيا يأتيه محن أو أنتم ﴿ عذاب يخزيه ﴾ يعني يهينه ﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ يعني في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الفرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى إذا جاء أمرنا وفار التور ﴿ يعني وعلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتور فارسى معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربى وعجمى وقيل ان لفظ التنور أصله أعجمى فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك لما قيل نوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فولى هذا يكون قد جمل فوران التنور علامة لنوح على هذا الأمر العظيم وقال على فار التنور أى طلع الفجر ووالصبح شبد نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن وخجاء هو الشيء ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وهذا القول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والحجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه * فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الأمر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوءه ويقوى فاحج بنفوسك ومن معك * قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار إلى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من تنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحارب بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشأم بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند

وقت عذابنا (وفار التنور) نبع الماء من التنور ويقال

الارض (قلنا اجل فيها)
في السفينة (من كل زوجين اثنين) تفسيره في سورة المؤمنين (وأهلك الامن سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واحل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا لعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع في الكون خلاف ما أراد (وما آمن معه الا قليل) قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونسائهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال ونسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونسائهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء

طلع الفجر (قلنا اجل فيها) في السفينة (من كل زوجين) من كل صنفين (اثنين) ذكر وأنثى (وأهلك الامن سبق عليه) وجب عليه (القول) بالعذاب (ومن آمن) معك أيضا اجل معك في السفينة (وما آمن معه الا قليل) ثمانون انسانا

التنور وجه الارض أو اشرف موضع فيها (قلنا اجل فيها) في السفينة (من كل) من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكر وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى اجل اثنين من كل زوجين أى من كل صنف ذكر وصنف أنثى (وأهلك) عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونسائهم (الامن سبق عليه القول) بأنه من المغرقين يريدانه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونسائهم واثمان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة

قال والفوران الغليان (قلنا اجل فيها) يعنى قلنا لنوح اجل في السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغنى احدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه في كل جنس منها فيقع الذكور في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة (وأهلك) أى واحل أهلك ولدك وعيالك (الامن سبق عليه القول) يعنى بالهلاك وأراد به امرأته واعلة وولده كنعان (ومن آمن) يعنى واحل معك من آمن من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا في عدد من حل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونسائهم وقال الاعشى كانوا سبعة نوحا وبنوه وثلاث كنان لمه وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل (وما آمن معه الا قليل) فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقليلة ولم يحدد عددا بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقسمه نوحا جميع الدواب والطيور ليحميها قال ابن عباس رضى الله عنهما أول ما حل نوح الذرة وآخر ما حل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فعلق ابليس بطنه فلم تثقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمته زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عدو الله قال ألم تثقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال لا بد من أن تحملى معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها المان ٣٢٥ المجرى والمرسى { سورة هود } للوقت واما لانهما مصدران

كلا جراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان مجراها ومرساها نذ كر اسم الله أى بسم الله اجرائها وارسائها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا أرد ان ترسو قال بسم الله فرست تجرى بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت حزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (ان ربي لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلاصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كمترومة (وقال) لهم (اركبوا

في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها أى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالركوب في الارض بسم الله مجريها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أى اجرائها بسم الله على ان بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضية لاتعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء * وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وقرأ حزة والكسائي وعاصم براوية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم أى لو لا مغفرته لغفرتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهى تجرى بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال

وقال الامام فخر الدين الرازى وأما الذى يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم نارى أو هوأى فكيف يضر من الفرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا اهلكما فقالتا اجلنا فحقن نضمن لك أن لانضر أحداذكرك فن قرأ حين يخاف مضرتهم ما سلام على نوح فى العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الا ما يلدو ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيأ قوله سبحانه وتعالى وقال اركبوا فيها يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة بسم الله تجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم يعنى بسم الله اجرائها وارسائها وقال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله فتجى وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو أى تقف وهذا تعليم من الله لعباده أنه من أراد أمرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور وهى تجرى بهم فى موج كالجبال الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء

فيها) فى السفينة (بسم الله مجريها) حيث تجرى (ومرساها) حيث تحبس وان قرأت مجريها ومرسيها يقول الله مجريها حيث شاء ومرسيها حيث شاء (ان ربي لغفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (وهى تجرى بهم) باهاها (فى موج) فى غمر الماء (كالجبال) كجبل عظيم

وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنة) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلي وقيل كان ابن امرأته (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعول من عزله {الجزء الثاني عشر} عنه اذا نجاه ٣٢٦ وأبدء أو في معزل عن دين أبيه (يا بني)

بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يا بني اغيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) في السفينة أي اسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) ألجأ (الى جبل يعصمى من الماء) ينعنى من الفرق (قال لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أول عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أي الامكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحم الله فهو

في ارتفاع (ونادى نوح) دعا نوح (ابنه) كنعان (وكان في معزل) في ناحية من السفينة ويقال في ناحية الجبل (يا بني اركب معنا) انج معنا بالاله الا الله (ولا تكن مع الكافرين) على دينهم ففرق بالطوفان (قال سآوى)

في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علاشوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صرح ففعل ذلك قبل التطبيق * ونادى نوح ابنه * كنعان * وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيده وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذا لانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابنه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف * وكان في معزل * عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعول للمكان من عزله عنه اذا ابدء * يا بني اركب معنا * في السفينة والجمهور كسروا الياء لبدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول بانفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما * ولا تكن مع الكافرين * في الدين والانزال * قال سآوى الى جبل يعصمى من الماء * ان يغرقنى * قال لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم * الا الراحم وهو الله تعالى أو الامكان من رحمهم الله وهو المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم الاذن به الامتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذاعصمة كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي لكن

بالسير أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى انه لما كثرت المياه في السلك خافت أم صبي على ولدها من الفرق وكانت تحبه جبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقته المياه فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها المياه ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبته هارت الصبي بيدها حتى ذهب بها الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي * ونادى نوح ابنه * يعنى كنعان وكان كافرا * وكان في معزل * يعنى عن نوح لم يركب معه * يا بني اركب معنا * يعنى في السفينة * ولا تكن مع الكافرين * يعنى فتهلك معهم * قال * يعنى قال كنعان * سآوى * يعنى سأنجي وأصير * الى جبل يعصمى * يعنى ينعنى * من الماء قال * يعنى قال له نوح * لا عاصم * يعنى لا مانع * اليوم من أمر الله * يعنى من عذابه * الامن رحم * يعنى الامن رحمه الله فينجيه من الفرق

سأذهب (الى جبل يعصمى) ينعنى (من الماء) من الفرق (قال) نوح (لا عاصم اليوم) لا مانع اليوم (من) (و حال) أمر الله (من عذاب الله الفرق) (الامن رحم) الله

المصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرئين) نصار أو دكان في علم الله (وقيل يا أرض اباهي ماءك) انشقي وتشربي والبلع النشف (ويا سماء اقلعي) امسكي (وغضب الماء) نقص من غاضه اذ انتقصه وهو لازم ومتعمد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا لقوم الغافرين) أي سمحة القوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر في هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من الحجاز والاستعارة والكنية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا ان نردما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان تقطع طوفان ﴿٣٢٧﴾ السماء ﴿سورة هود﴾ فانقطع وان نغضب الماء

النازل من السماء فغضب وان نقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقطضى وان نسوى السفينة على الجودي فاستوت وأبتقينا الظلمة غرق بني الكلام على تشبيه المراد بالامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيئته العاصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الحزم النافذ في تكون المقصود تصورا لاقتداره العظيم وأن السموات والارض منقادة لشكواه فيها ما يشاء غير متممة لارادته فيها تغييرا وتبدلا كأنها عقلاء يميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامر والاذعان

من رحمة الله بعصمه ﴿وحال بينهما الموج﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ﴿فكان من المغرئين﴾ نصار من المهلكين بالماء ﴿وقيل يا أرض اباهي ماءك ويا سماء اقلعي﴾ نوديا بما نادى بها او اعلم وأمر بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظيمته وخشيته من ألم عقابه والبلع النشف والافلاخ الامساك ﴿وغضب الماء﴾ نقص ﴿وقضى الامر﴾ وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ﴿واستوت﴾ واستقرت السفينة ﴿على الجودي﴾ جبل بالموصل وقيل بالشأم وقيل بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة ﴿وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ هلاكهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية

﴿وحال بينهما الموج﴾ كان من المغرئين ﴿يعني كنعان﴾ وقيل ﴿يعني بعد ما تنهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح﴾ يا أرض اباهي ماءك ﴿أي اشربه﴾ ويا سماء اقلعي ﴿أي امسكي﴾ وغضب الماء ﴿أي نقص ونضب﴾ يقال غاض الماء اذا نقص وذهب ﴿وقضى الامر﴾ يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح ﴿واستوت﴾ يعني واستقرت السفينة ﴿على الجودي﴾ وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وقيل بعدا﴾ يعني هلاكاً ﴿للقوم الظالمين﴾ قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بنجر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين

لحكمه وتجهت بطل المجاهد عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل الحجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة الحجاز الخطاب للجماد هو يا أرض ويا سماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المظوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي

من المؤمنين (وحال بينهما) بين كنعان ونوح ويقال بين كنعان والسفينة (الموج) فكبه (فكان) فصار (من المغرئين) بالطوفان (وقيل يا أرض اباهي ماءك) (ويا سماء اقلعي) احبسي ماءك (وغضب) نقص (الماء وقضى الامر) وفرغ من هلاك القوم أي هلك من هلك ونجى من نجا (واستوت) السفينة (على الجودي) وهو جبل بنصيبين في أرض موصل (وقيل بعدا) سحقا من رحمة الله (للقوم الظالمين) المشركين قوم نوح

ثم استعار الماء لافذاء تشبيهه بالافذاء لتقوى الارض بالماء في الانبات كتنقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لا اتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالملك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التاني ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا كالم يصرح بقائل يأرض ويأسماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويأسماء ألقى ولا أن يكون الغائص والقاضى والمسوى غيره ثم حتم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختيار يادون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلائها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبييد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يأرضى لزيادة التهاون اذا الاضافة تستدعي القرب ولم يقل يأيتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسما لكونهما أخف وادور واختير ابلعي على ابتلي لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين { الجزء الثانى عشر } أقلعى ٣٢٨ وقيل أقلعى ولم يقل عن المطر

وكذا لم يقل يأرض ابلعي ماءك فبلعت ويأسماء أقلعى فأقلت اختصارا واختير غيض على غيض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على

في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحسان مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وإيراد الأخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره لعل بان مثل هذه الافعال فلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يأبى البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعاها بالامان فن ثم تألف البيوت ووروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر وصرت بالبيت الحرام قد رفعه الله من الفرق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبى قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى ونوا

الجودي أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهى تجرى بهم إرادة (قرية)

للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليعدا القوم طلبا للتأكيده مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يأرض ابلعي ويأسماء أقلعى ولم يقل ابلعي يأرض وألقى يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقبيه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيع ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذ بحجرتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعد من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبره ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كاترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبدئة لاتعتمد على الفكر في طلب المراد ولا التواء يشبك الطريق الى المرتاده ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلاك كل منها كالماء في السلسلة وكالعسل في الخلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية والله در شأن التزليل لا يتأمل العالم آية من آياته الادراك لطائف لاتسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على المذكور فلعن المتروك أكثر من المستور

(ونادى نوح ربه فقال رب) ناداه ربه دعؤه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تجديده (ان ابنى من أهلى) أى بعض أهلى لانكار ابنه من صلبه وكان ربياله فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجى أهلى فبال ولى (وأنت أحكم الحاكمين) أى اعلم الحاكم وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غرق فى الجهل والجور من مثلى الحكومه فى زمانك قد لبس القضاة وعداء احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال نوح) انه ليس من أهلك ثم على لانقضاء كونه من أهله قوله

قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهى أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحملة عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك * فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم * قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطيور وغير ذلك من الحيوان وبره على ذلك أيضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع آباءهم غير قوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله عز وجل * ونادى نوح ربه * أى دعاه وسأله * فقال رب ان ابني من أهلى * يعنى وقد وعدتني أن تبجيني وأهلى * وان وعدك الحق * يعنى الصدق الذى لا خلف فيه * وأنت أحكم الحاكمين * يعنى انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك * قال * يعنى قال الله تعالى * يانوح انه * يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاته * ليس من أهلك * اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلى ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبیر والضحاك رضى الله عنهم وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صرح عن ابن عباس انه قال ما بعت امرأة نبى قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يابنى اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لايحوز وانما خالف هذا الظاهر من مخالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبى كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه

(انه عمل غير صالح) وفيه ايدان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان حبشيا وكنيت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وان { الجزء الثاني عشر } كان أمس أقاربك ﴿ ٣٣٠ ﴾ رجافهـ وأبعد بعيد منك

وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها
• فأنما هي اقبال وادبار •
أو التقدير انه ذو عمل وفيه
اشعار بأنه انما أنجى من
أنجى من أهله لصلاحتهم
لأنهم أهله وهذا الماتقي
عند الصالح لم تنفعه أبوته
عمل غير صالح على قال
الشيخ أبو منصور رحمه الله
كان عند نوح عليه السلام
ان ابنه كان على دينه لانه
كان يوافق والا لا يحتمل
أن يقول ابني من أهلي
ويسأله نجاته وقد سبق
منه النهي عن سؤال مثله
بقوله ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغر قون فكان
يسأله على الظاهر الذي
عنده كما كان اهل الفسق
يظهرون الموافقة لبيننا عليه
السلام ويضمرون الخلاف
له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه
الله عليه وقوله ليس من
أهلك أي من الذين وعدت
النجاة لهم وهم المؤمنون
حقيقة في السر والظاهر
(فلا تسئلن) اجتزأ
بالكسرة عن الياء كوفي
تسألني بصرى تسألني
مدني تسألني شامي فحذف

وأشار اليه بقوله ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ فانه تعليل لنفي كونه من أهله واصله انه
ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقه
ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت • فأنما هي اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة
لمن نجا من أهله عنه • وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غيراي عمل عملا غير صالح
﴿ فلا تسئلن ما ليس لك به علم ﴾ مالا تعلم أصواب هو أم ليس بصواب وأنما سمي
نداءه سؤالاً لضمين ذكر الوعد بنجاة أهله

وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله
سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين
الأنبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى اخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو
نبي وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبي وكان كافرا فكذلك
أخرج كنعان وهو كافرا من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء
• فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا • قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة
والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما حمله
على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من
الفرق فأجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعني أنه ليس من أهل دينك
لان أهل الرجل من يجمعهم واياهم نسب أو دين أو ما يجزى مجراهما ولما حكمت
الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قل الله سبحانه
وتعالى لنوح انه ليس من أهلك ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ قرأ الكسائي ويعقوب
عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك
والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقر من القراء عمل بفتح الميم
ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان أنجيه من الفرق عمل
غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه
وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير في انه على ابن نوح أيضا ويكون
التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف
كما قالت الخنساء • فأنما هي اقبال وادبار • قال الواحدي وهذا قول أبي اسحق يعني
الزجاج وأبي بكر بن الانباري وأبي على الفارسي قال أبو علي ويجوز أن يكون ابن نوح
عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر
زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعلى هذا لا حذف ﴿ فلا تسئلن ما ليس لك به علم ﴾
وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الفرق وهو من كمال شفقة الوالد

الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيذ تسألن مكى (ما ليس لك به علم) بجواز مسئلته (على)

(انه عمل) في الشرك (خير صالح) غير مرضى وان قرأت انه عمل غير صالح يقول دعاؤك اياي بنجاته غير مرضى
(فلا تسئلن) نجاة (ما ليس لك به علم) أنه أهل للنجاة

(انى أعظك أن تكون من
الجاهلين) هو كأنه
رسولنا بقوله فلا تكون من
الجاهلين (قال رب انى
أعوذ بك أن أسألك ما ليس
لى به علم) أى من أن أطلب
منك فى المستقبل ما لا أعلم
لى بصحته تأدباً بآدابك واتعظاً
بعظمتك (والاتفغلى)

ما فرط منى (وترجى)
بالعصمة عن العود الى مثله
(أكن من الخاسرين قيل
يانوح اهبط بسلام منا)
بتحية منا أو بسلامة من
الفرق

(انى أعظك) (أن تكون)
(من الجاهلين) بسؤالك
ايأى مالم تعلم (قال)
نوح (رب) يارب (انى
أعوذ بك) امتنع بك (أن
أسألك) نجاة (ما ليس لى به
علم) أنه أهل للنجاة (والا
تغفرلى) يقول ان لم تغفرلى
يعنى ان لم تجاوز عنى
(وترجى) ولا ترجى
فتعذبنى (أكن من
الخاسرين) بالعقوبة (قيل
يانوح اهبط) انزل من
السفينة (بسلام منا) بسلامة منا

استبحازه فى شأن ولده أو استفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماء جهلا وزجر عنه
بقوله ﴿ انى أعظك ان تكون من الجاهلين ﴾ لان استثناء من سبق عليه القول من
اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر
عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسروا
النون على اصله تستلنى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء
ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية رويس اثباتها فى الاصل ﴿ قال رب
انى اعوذ بك ان اسألك ﴾ فيما يستقبل ﴿ ما ليس لى به علم ﴾ مالا علم لى بصحته
﴿ والاتفغلى ﴾ وان لم تغفرلى ما فرط منى من السؤال ﴿ وترجى ﴾ بالتوبة
والتفضل على ﴿ أكن من الخاسرين ﴾ اعمالا ﴿ قيل يانوح اهبط بسلام منا ﴾
انزل من السفينة مسلماً من المكارة من جهتنا أو مسلماً عليك

على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محذور لا صرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى
عن مثل هذه المسئلة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألنى ما ليس لك به علم يجوز
مسئلته ﴿ انى أعظك ﴾ يعنى أنهلك ﴿ أن تكون من الجاهلين ﴾ يعنى لمثل هذا
السؤال ﴿ قال ﴾ يعنى قال نوح ﴿ رب انى أعوذ بك ﴾ يعنى ألجأ اليك وأعتذر
اليك ﴿ ان أسألك ما ليس لى به علم ﴾ يعنى انك أنت علام الغيوب وانا لا أعلم ما غاب
عنى فاعتذر اليك من مسئلتى ما ليس لى به علم ﴿ والاتفغلى ﴾ يعنى جهلى واقدمى
على سؤال ما ليس لى به علم ﴿ وترجى ﴾ يعنى برجتك التى وسعت كل شئ
﴿ أكن من الخاسرين ﴾

فصل

وقد استدلل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه
السؤال وهو محذور فلهم هذا نهاه عنه بقوله فلا تسألنى ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى
أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب
المغفرة والرجة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه
السلام بأن ينجيهم وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ وأنبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب
عنده ولم يشك وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل
على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير
صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مفروق مع الذين ظلموا وانه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من
اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل
وخشع له وعاذبه وسأله المغفرة والرجة لان حسنات الابرار سيئات المقربين وليس
فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدامه
على سؤاله مالم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ قيل يانوح اهبط ﴾ أى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض ﴿ بسلام ﴾ أى

(وبركات عليك) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته واتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله (وعلى أمم من معك) من الليسان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تشعب منهم أو لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة من معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (سنتهم) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر مخدوف تقديره ومن معك أمم سنتهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم يسهم مناعذاب أليم) أي في الآخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك ومن معك أمم مقتمون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أباً للانبياء وخلق بعد الطوفان منه ومن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة الجزء الثاني عشر وفيما بعده ٢٣٢ من المتاع والعذاب كل كافر (تلك)

إشارة الى قصة نوح عليه السلام ونقلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهي (من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحة اليك جبهولة عندك وعند قومك (من قبل ههنا) الوقت أو من

وبركات عليك ومباركك عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدمانيا . وقرى اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامي وعلى امم من معك وعلى امم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب الامم منهم أو على امم ناشئة من معك والمراد بهم المؤمنون اقولهم وأمم سنتهم أي ومن معك امم سنتهم في الدنيا ثم يسهم مناعذاب أليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب منازل بهم تلك إشارة الى قصة نوح عليه السلام وغلبها الرفع بالابتداء وخبرها من أنباء الغيب أي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها أي موحة اليك أو حال من الانبياء أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا

(وبركات) سعادات (عليك وعلى أمم) جماعة (ممن معك) في السفينة من أهل السعادة (وأمم) جماعة في أصلهم (سنتهم) ستمتهم بعد خروجهم من أسلاب آبائهم (ثم يسهم) يسديهم (مناعذاب أليم) وجع بعدما كفروا وهم أهل الشقاوة قل ابن عباس رضي الله عنهما أوحى الله الى

بأمن وسلامه منا وبركات عليك البركة هي ثبوت الخير ونمائه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم وعلى أمم ممن معك يعني وعلى ذرية أمم ممن كانوا معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجي من بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قل محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة وأمم سنتهم هذا ابتداء كلام أي وأمم كافرة يحدثون بعدك سنتهم يعني في الدنيا الى منتهى آجالهم ثم يسهم مناعذاب أليم يعني في الآخرة تلك من أنباء الغيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أنباء الغيب يعني من أخبار الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة

نوح عليه السلام وهو ابن أربع مائة وثمانين سنة ودعا قومه مائة وعشرين سنة وركب في السفينة وهو ابن (في) سقاية سنة وعاش بعد ما ركب في السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة وبقى في السفينة خمسة أشهر وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراعاً بذراعهم وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض حل في الباب الأسفل السباع والهوام وحل في الباب الأوسط الوحوش والبهائم وحل في الباب الأعلى بنى آدم وكانوا ثمانين انساناً ربعون رجلاً وأربعون امرأة وكان بين الرجال والنساء جسد آدم صلوات الله عليه وكان معه ثلاثة بنين سام وحام وياث (تلك) هذه (من أنباء الغيب) من أخبار الغائب عنك (نوح اليك) نوح اليك يا محمد بأخبار الامم الماضية (ما كنت تعلمها) يعني أخبار الامم (أنت ولا قومك من قبل هذا) القرآن

قبل ايجائي اليك واخبارك بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا أى وأرسلنا ﴿ ٣٣٣ ﴾ الى عاد أخاهم (هو دا) عطف { سورة هود } بيان (قال يا قوم اعبدوا

الله) وحدوه (مالكم من الله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ (ان أنتم الامفوترون) تفوترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لا أسئلكم عليه أجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى) ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضها الا حسن المطامع وما دام يتوهم شئ منهم لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره

خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايجائنا اليك أو حال من الهاء في نوحها أو الكاف في اليك أى جاءلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم ﴿ فاصبر ﴾ على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح عليه السلام ﴿ ان العاقبة ﴾ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز ﴿ للمتقين ﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿ والى عاد أخاهم هودا ﴾ عطف على قوله نوحا الى قومه وهو دا عطف بيان ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقرى بالجر جملا على المجرور وحده ﴿ ان أنتم الامفوترون ﴾ على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء ﴿ يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى ﴾ خاطب كل رسول به قومه اذاحة للتهمة وتحريض للنصيحة فانها لا تنجع مادامت مشوبة بالمطامع ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة

في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت بحتم ان يكون كانوا يعلمونها مجملته فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميالا يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصيح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى مشركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه ﴿ ان العاقبة ﴾ يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الآخروية ﴿ للمتقين ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى عاد ﴿ يعنى وأرسلنا الى عاد ﴾ أخاهم هودا ﴿ يعنى أخاهم ﴾ فى النسب لافى الدين ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شئاً فى العبادة ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ يعنى انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ﴿ ان أنتم الامفوترون ﴾ يعنى ما أنتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره ﴿ يا قوم لا أسئلكم عليه ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة ﴿ أجرا ﴾ يعنى جعللا أخذه منكم ﴿ ان أجرى ﴾ يعنى ما ثوابى ﴿ الاعلى الذى فطرنى ﴾ يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويثيبنى فى الآخرة ﴿ أفلا تعقلون ﴾ يعنى فتعظون ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ أى آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم

(فاصبر) يا محمد على أذاهم وتكذيبهم اياك (ان العاقبة) آخر الامر بالنصرة والجنة (للمتقين) الكفر والشرك

والغوا حش (والى عاد) وأرسلنا الى عاد (أخاهم) نبيهم (هودا) قال يا قوم اعبدوا الله (وحدوا الله) مالكم من اله غيره (غير الذى أمركم أن تؤمنوا به) (ان أنتم) ما أنتم بعبادة الاوثان (الامفوترون) كاذبون على الله لم يأمركم بعبادتها (يا قوم لا أسئلكم عليه) على التوحيد (أجرا) جعللا (ان أجرى) ما ثوابى (الاعلى الذى فطرنى) خلقنى (أفلا تعقلون) أفلا تصدقون أفليس لكم ذهن الانسانية (ويا قوم استغفروا ربكم) وحدوا ربكم (ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

(يرسل السماء) أى المطر عليكم مدرارا (حال أى كثرة الدور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نساءهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حبابه انى رجل ذو مال ولا يولدلى علمنى شيئاً لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار { الجزء الثانى عشر } حتى ربما استغفر ﴿ ٣٣٤ ﴾ فى يوم واحد سبع مائة مرة فولد له

عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هالأسأتهم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويزدكم بأموال وبنين (ولا تتلوا) ولا تعرضوا عني واما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم واثامكم (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) كذب منهم وجحد كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثال أن يصدقوا مثلك فيما يدعوههم اليه اقناطاله من الاجابة (ان تقول الاعتراف)

فما عنده ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ كثير الدر ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ ويضاعف قوتكم وانما رغبتهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نساءهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ﴿ ولا تتلوا ﴾ ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه ﴿ مجرمين ﴾ مصرين على اجرامكم ﴿ قالوا يا هود ما جئنا ببينة ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك وهو فرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المجزات ﴿ وما نحن بتاركى الهتنا ﴾ بتاركى عبادتهم ﴿ عن قولك ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ اقناطاله من الاجابة والتصديق ﴿ ان تقول الاعتراف ﴾ مانقول الا قولنا اعترافك أى اصابك من عمراه يعرفه اذا اصابه ﴿ بعض آلهتنا بسوء ﴾ يجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتشكلم بالخرفات والجللة مقول القول ولا لغولان الاستثناء مفرغ

﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ يعنى ينزل المطر عليكم متابعاً مرة بعد مرة فى أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوا برسول الله اليهم المطر فأحياه بلادهم كما كانت أول مرة ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم يقولكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نساءهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون مالا وبعيداً أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قرة الابدان ﴿ ولا تتلوا مجرمين ﴾ يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصيحى حال كونكم مشركين ﴿ قالوا يا هود ما جئنا ببينة ﴾ أى يبرهان وجهة واضحة على صحة ما تقول ﴿ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ﴾ يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين ﴿ ان تقول الاعتراف ﴾ بعض آلهتنا بسوء ﴿ يعنى أنك يا هود لست تتعاطى ما تعاطاه

بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نى فنى جميع القول الا قولاً واحداً وهو قولهم اعترافك اصابك بعض آلهتنا بسوء (من) يجنون وخبل وتقديره ما تقول قوله الالهة المقالة أى قولنا اعترافك بعض آلهتنا بسوء

(يرسل السماء عليكم مدرارا) مطر اذا تدريرا كلما احتاجون اليه (ويزدكم قوة الى قوتكم) شدة الى شدتكم بالمال والبنين (ولا تتلوا) عن الايمان والتوبة (مجرمين) مشركين بالله (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) ببيان ما تقول (وما نحن بتاركى آلهتنا) عبادة آلهتنا (عن قولك) بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين بالرسالة (ان تقول) مانقول فيما نهاك (الاعتراف) يصيبك (بعض آلهتنا بسوء) نخبل لانك تشتمها

(قال انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه) أى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى انى أشهد الله انى برى مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا أنى برى من ذلك وجىء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى يئنه وبينه اشهد على أنى لأجبك كعابه واستهانة ﴿ ٣٣٥ ﴾ بحاله { سورة هود } (فكيدونى جميعا) أنتم

والآلهةكم (ثم لا تنظرون) لا تنظرون ﴿ اجاب به عن مقالتهم الحقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلا كه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جاد لا تنضر ولا تنفع لا تمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى ارافقه دمه بهذا الكلام ليس الا لثقتة بالله وتبطلهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ تقرير له والمعنى انكم وان بذاتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحسب بى ما لم يرده ولا تقدرن على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ﴿ ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ﴾ أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن بعض آلهتنا أصابك بخبل وجنون لانك سيدتهم فانتقموا منك بذلك ولا تحمل أمرك الا على هذا ﴿ قال ﴾ يعنى قال هود مجيبا لهم ﴿ انى أشهد الله ﴾ يعنى على نفسى ﴿ واشهدوا ﴾ يعنى واشهدوا أنتم أيضا على ﴿ انى برى مما تشركون من دونه ﴾ يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿ فكيدونى جميعا ﴾ يعنى احتالوا فى كيدى وضرى أنتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضرو وتنفع فانها لا تضرو ولا تنفع ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ يعنى ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فما قال لهم هذه المقالة ولم يهيبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقتة بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه ﴿ ما من دابة ﴾ يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحیوان لانهم يدبون على الارض ﴿ الا هو آخذ بناصيتها ﴾ يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدمة الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكور لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا أسروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته لينموا عليه ويعتقدوا بذلك فخرا عليه فخطابهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ يعنى ان ربي وان كان قادرا وأنتم فى قبضته كالعبد

﴿ قال انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ﴾ اجاب به عن مقالتهم الحقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلا كه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جاد لا تنضر ولا تنفع لا تمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى ارافقه دمه بهذا الكلام ليس الا لثقتة بالله وتبطلهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ تقرير له والمعنى انكم وان بذاتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحسب بى ما لم يرده ولا تقدرن على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ﴿ ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ﴾ أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن بعض آلهتنا أصابك بخبل وجنون لانك سيدتهم فانتقموا منك بذلك ولا تحمل أمرك الا على هذا ﴿ قال ﴾ يعنى قال هود مجيبا لهم ﴿ انى أشهد الله ﴾ يعنى على نفسى ﴿ واشهدوا ﴾ يعنى واشهدوا أنتم أيضا على ﴿ انى برى مما تشركون من دونه ﴾ يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿ فكيدونى جميعا ﴾ يعنى احتالوا فى كيدى وضرى أنتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضرو وتنفع فانها لا تضرو ولا تنفع ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ يعنى ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فما قال لهم هذه المقالة ولم يهيبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقتة بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه ﴿ ما من دابة ﴾ يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحیوان لانهم يدبون على الارض ﴿ الا هو آخذ بناصيتها ﴾ يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدمة الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكور لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا أسروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته لينموا عليه ويعتقدوا بذلك فخرا عليه فخطابهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ يعنى ان ربي وان كان قادرا وأنتم فى قبضته كالعبد

على الله (فوضت أمرى اليه) ربي خالق ورازق (وربكم) خالقكم ورازقكم (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) يمتيتها ويحييها ويقال فى قبضته يفعل ما يشاء (ان ربي على صراط مستقيم)

ان ربي على الحق لا يعدل عنه وان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقد ابلغتم ما ارسلت به اليكم) هو في موضع فقد ثبتت الحججة عليكم { الجزء الثاني عشر } (ويستخلف ربي قوما غيركم) كلام مستأنف أي ويهلككم

الله ويحيى بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قطاذلا يجوز عليه المضار واعا تضرون أنفسكم (ان ربي على كل شئ حفيظ) رقيب عليه مهين فاتخفى في عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقبيا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفقورة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل منا لا بعملهم أو بالايمان الذي أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد (الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه) (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم عليه ثم الخلق ويقال يدعو الخلق الى صراط مستقيم دين قائم برضاه وهو الاسلام (فارتولوا) أعرضوا عن الايمان والتوبة (فقد ابلغتم ما ارسلت به اليكم) من الرسالة ويهلككم (ويستخلف ربي قوما غيركم) خيرا منكم بأطوع (ولا

معتصم ولا يفتوته ظالم) فان تولوا (فقد ابلغتم ما ارسلت به اليكم) فقد ادبت ما على من الابلاغ والزمام الحججة فلا تقريظ مني ولا عذر لكم فقد ابلغتم ما ارسلت به اليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تولوا يعذرنى ربي ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربي على كل شئ حفيظ) رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ (ولما جاء أمرنا) عذابنا أو أمرنا بالعذاب (ونجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا أربعة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) تكرار بيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم أو المراد به تجيبتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) ان اسم الاشارة باعتبار الدليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اختصار تقديره ان ربي يحملك على صراط مستقيم (فان تولوا) يعنى تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم (فقد ابلغتم ما ارسلت به اليكم) يعنى انى لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلف ربي قوما غيركم) يعنى أنكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم يوحدهونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرونه شيأ) يعنى بتوليكم انما تضرون أنفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيأ اذا هلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربي على كل شئ حفيظ) يعنى أنه سبحانه وتعالى الى حافظ لكل شئ فيحفظنى من أن تناوئى بسوء (قوله سبحانه وتعالى) (ولما جاء أمرنا) يعنى باهلاكهم وعذابهم (ونجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قديم المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعنى الرجز التى أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على عاد نوحا نبيا غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهى الايام الخمسات فاهلكهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا فلم تضربهم شيأ وتبيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى ان الله تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك أنجىهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانما أعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد

تضرونه شيأ) ولا يضر الله هلاككم شيأ (ان ربي على كل شئ) من أعمالكم (حفيظ) حافظ شديد (ولما جاء أمرنا) (مجدوا) عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة) نعمة (منا) ونجيناهم من عذاب غليظ (شديد) (وتلك عاد) وهذه عاد

أمر كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (واتبعوا في هذه الدنيا العنة ويوم القيمة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت للعنة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعد العاد) تكرر الألفاظ للدعاء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء بعد ادب هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (فوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادات الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصد فيهم والاخرى ارم (والى عمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره جحدوا بآيات ربهم) التي أناهم بها هود (وعصوا رساله) بالتوحيد (واتبعوا أمر كل جبار) قول كل قتال على الغضب (عنيد) معرض عن الله (واتبعوا في هذه الدنيا العنة) أهلكوا في الدنيا بالريخ (ويوم القيمة) لهم لعنة

القبيلة أولأن الإشارة الى قبورهم وآثارهم ﴿ جحدوا بآيات ربهم ﴾ كفروا بها ﴿ وعصوا رسله ﴾ لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امسوا بطاعة كل رسول ﴿ واتبعوا أمركل جبار عنيد ﴾ يعنى كبراهم الطاغين وعينهم عند عندا وعنودا وعندا ظنى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يريدهم ﴿ واتبعوا فى هذه الدنيا لمنة ويوم القيمة ﴾ أى جعلت اللمنة تابعة لهم فى الدارين نكبتهم فى العذاب ﴿ ألان عادا كفروا ربهم ﴾ جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار ﴿ ألابعدا لعاد ﴾ دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر ألا واعاد ذكرهم تعظيما لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم ﴿ قوم هود ﴾ عطف ببيان لعاد وفائدة تمييزهم عن عاد الثانية عادارم والايماء الى ان استحقاقهم للعبد بما جرى بينهم وبين هود ﴿ والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ﴿١﴾ لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أنى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما أنى به بلفظ الجمع امالة عظيمة أولان من كذب برسول فقد كذب كل الرس ﴿٢﴾ واتبعوا أمركل جبار عنيد ﴿٣﴾ يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتحذ على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه ﴿٤﴾ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ﴿٥﴾ يعني أردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله ﴿٦﴾ ويوم القيمة ﴿٧﴾ يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى ﴿٨﴾ ألا ان عادا كفروا ربهم ﴿٩﴾ أى كفروا بربهم ﴿١٠﴾ ألا بعد العاد ﴿١١﴾ يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة * فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فالفائدة في قوله ألا بعد العاد لان الثانى هو الاول بعينه * قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيدهم كانوا مستحقين له ﴿١٢﴾ قوم هود ﴿١٣﴾ عطف بيان لعاده فان قلت هذا البيان حاسل مفهوم فالفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عادا الاولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فأنى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد ﴿١٤﴾ قوله عز وجل ﴿١٥﴾ والى عمودأحاهم صالحا ﴿١٦﴾ يعني وأرسلنا الى عمودهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعنى في النسب لافى الدين ﴿١٧﴾ قال يا قوم اعبدوا الله ﴿١٨﴾ أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة ﴿١٩﴾ ما لكم من الله غيره ﴿٢٠﴾ يعنى هو الهكم المستحق للعبادة لاهذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى

أخرى وهى النار (ألا ان عاد اكفروا ربهم) (قا و خا ٤٣ لث) جحدوا برهم (الأبعدا عادة) قوم هود من رحمة الله (والى ثمود) وأرسلنا الى ثمود (أخاهم) نبهم (صالحا قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من الغيره) غير الذى آمنكم أن تؤمنوا به

هو أنشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشأوهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها وأرأى منكم عمارتها واستعمركم من العمرأى أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلاثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من أبناء زمانهم ربه عن سبب تعييرهم فأوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى (فاستغفروه) فأسألوامغفرته بالاعان (ثم توبوا اليه ان ربي قريب) { الجزء الثانى عشر } داني الرحة ﴿ ٣٣٨ ﴾ (محجب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت

فينا) فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) لسياد والمشاورة في الامور وكنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (أنها نأ أن نعبد ما يعبد آبائنا) حكاية حال ماضية (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مرئ) موقع في الرية من أراهه اذا أوقعه في الرية وهى قلق النفس وانتفاء الظمأينة (قال يا قوم أريتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رجة) نبوة اتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قد قدر وانى نحي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي فى أوامره (فمن ينصرني من الله) فمن هو أنشأكم من الارض) خلقكم من آدم وآدم من الارض (واستعمركم فيها) عمركم في الارض وجعلكم

هو أنشأكم من الارض ﴿ هو كونكم منها لاغيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب ﴾ واستعمركم فيها ﴿ عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعماركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ﴾ فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب ﴿ قريب الرحة ﴾ محجب ﴿ لداعيه ﴾ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ﴿ لما ترى فيك من مخال الرشيد والسداد ان تكون لنا سيذا أو مستشارا في الامور أو ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجائنا عنك ﴾ أنها نأ ان نعبد ما يعبد آبائنا ﴿ على حكاية الحال الماضية ﴾ واننا لفي شك مما تدعونا اليه ﴿ من التوحيد والتبرئ من الاثنان ﴾ مرئ ﴿ موقع في الرية من أراهه او ذى رية على الاسناد المجازى من ارباب في الامر ﴾ قال يا قوم اريتم ان كنت على بينة من ربي ﴿ بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار مخاطبين ﴾ وآتاني منه رجة ﴿ نبوة ﴾ فمن ينصرني من الله ﴿ فن يعنى من عذابه

الدلائل الدالة على وحدانيته وكال قدرته فقال تعالى ﴿ هو أنشأكم من الارض ﴾ يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك أنهم من بنى آدم وآدم خلق من الارض ﴿ واستعمركم فيها ﴾ يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من العمرى أى جماعها لكم ما عشتم ﴿ فاستغفروه ﴾ يعنى من ذنوبكم ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من الشرك ﴿ ان ربي قريب ﴾ يعنى من المؤمنين ﴿ محجب ﴾ لداعهم ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ﴾ يعنى قبل هذا القول الذى جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيذا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويعفى فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما ظهر دعاءهم الى الله وغاب الاصنام انقطع رجائهم منه ﴿ أنها نأ أن نعبد ما يعبد آبائنا ﴾ يعنى الآلهة ﴿ واننا لفي شك مما تدعونا اليه ﴾ يعنى من عبادة الله ﴿ مرئ ﴾ يعنى انا مرئون في قولك من أراهه اذا أوقعه في الرية وهى قلق النفس ووقعها في التهمة ﴿ قال ﴾ يعنى قال صالح محبب القومه ﴿ يا قوم أريتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ يعنى على يقين وبرهان ﴿ وآتاني من رجة ﴾ يعنى نبوة وحكمة ﴿ فمن ينصرني من الله ﴾ أى فن يعنى من عذاب الله

(ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالوحيدة والتوبة والاخلاص (ان ربي قريب) بالاجابة (محجب) لمن وحده (قالوا يا صالح) (ان) قد كنت فينا مرجوا (قبل هذا) قبل ان تأمرنا بدين غير دين آبائنا (أنها نأ ان نعبد ما يعبد آبائنا) من الاوثان (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من دينك (مرئ) ظاهر الشك به (قال يا قوم أريتم ان كنت على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (وآتاني من رجة) أكرمى بالنبوة والاسلام (فمن ينصرني) يعنى (من) عذاب (الله)

عليكم رزقها مع أن لكم
نفعها (ولا تمسوها بسوء)
عقرأونحجر (فيأخذكم عذاب
قريب) عاجل (فمقروها)
يوم الاربعاء (فقال) صالح
(تتمتعوا) استمتعوا بالعيش
(في داركم) في بلدكم وتسمى
البلاد الديار لانه يدار فيها
أى يتصرف أو فى دار الدنيا
(ثلاثة أيام) ثم تهلكون
فهلكوا يوم السبت (ذلك
وعد غير مكذوب) أى
غير مكذوب فيه فأتسع
فى الظرف بحذف الحرف
واجرائه مجرى المفعول به
أو وعد غير كذب على ان
المكذوب مصدر كالمقول
(فلما جاء أمرنا) بالعذاب
ان عصيته) وتركت أمره
(فما تريدوننى غير تخدير)
الزاد الا بصيرة فى خسارتكم
(ويا قوم هذه ناقة الله لكم
آية) علامة (فذروها)
تركوها (تأكل فى أرض الله)
فى ارض الحجر ليس عليكم
مؤنتها (ولا تمسوها بسوء)

وَيَوْمَ شَهِدْنَا سَلِيمًا وَعَامِرًا
أَوْغَيْرَ مَكْتُوبٍ عَلَى الْمَجَازِ وَكَأَنَّ الْوَاعِدَ قَالَ لَهُ أَفِيكَ فَنَ وَفِيهِ سِدْقُهُ وَالْأَكْذِبَةُ
أَوْ وَعْدَ غَيْرِ كَذِبٍ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ كَالْجُلُودِ وَالْمَعْقُولِ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا

﴿ان عصيته﴾ يعني ان خالفت أمره ﴿فما تزيدوني غير تحسير﴾ قال ابن عباس
معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى
يقول فما تزيدوني غير تحسير وانما المعنى فما تزيدوني بما تقولون الانسبى الى الخسارة
﴿وياقوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من
صخرة كانت هناك أشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة
عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبدالله
فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام ﴿فذروها تأكل
يعني من العشب والنبات﴾ في أرض الله ﴿يعني فليس عليكم مؤنتها﴾ ولا تمسوها
بسوء ﴿يعني بعقر﴾ فإخذكم ﴿يعني ان قتلتموها﴾ عذاب قريب ﴿يعني في الدنيا﴾
﴿فنعقروها﴾ يعني فحالفوا أمر ربهم فمعقروها ﴿وقال﴾ يعني فقال لهم صالح ﴿تمتعوا﴾
يعني عيشوا ﴿في داركم﴾ أي في بلدكم ﴿ثلاثة أيام﴾ يعني ثم تهلكون ﴿ذلك﴾ يعني
العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة أيام ﴿وعد غير مكذوب﴾ أي هو غير كذب
روى انه قال لهم يأتكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم
مصفرة وفي اليوم الثاني حمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأتاهم العذاب
في اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿فلما جاء أمرنا﴾ يعني العذاب

بمقر (فيأخذكم عذاب قريب) بعد ثلاثة أيام (فمقروها) قتلوها قتلها أقدار بن سالف ومصدع بن زهر وقسموا الجحما على ألف وخمسمائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (فمقروها) عيشوا (في داركم) في مدينتكم (ثلاثة أيام) ثم يأتيكم العذاب اليوم الرابع قالوا يا صالح ما علامة العذاب قال ان تصبحوا اليوم الاول وجوهكم مصفرة وتصبحوا اليوم الثاني وجوهكم حمراء وتصبحوا اليوم الثالث وجوههم مسودة ثم يأتيكم العذاب اليوم الرابع (ذلك) الذاب (وعذغير مكذوب) غير مردود (فلما جاء أمرنا) عذابنا

أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجى انما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) باضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة و بفهمه مدني وعلى لانه مضاف الى اذ هو مرفى وظروف الزمان اذا اضيفت الى الاسماء المهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البناء { الجزء الثاني عشر } من المضاف اليه ﴿ ٣٤٠ ﴾ كقوله * على حين عاتبت المشيب

على الصبا * والوالاء طف
وتقديره ونجيناهم من
خزي يومئذ أى من ذله
وفضيخته ولاخزي أعظم
من خزي من كان هلاكه
بغضب الله وانقامه وجاز
أن يريد يومئذ يوم القيامة
كما فسر العذاب الغليظ
بعذاب الآخرة (ان ربك
هو القوى) القادر على
تجنية أوليائه (العزيز)
الغالب باهلاك أعدائه
(وأخذ الذين ظلموا الصيحة)
أى صيحة جبريل عليه
السلام (فصبحوا في ديارهم)
منازلهم (جاثين) ميتين
(كأن لم يغنوا فيها) لم يقيموا
فيها (ألا ان ثمودا كفروا
رهم) ثمود حزة وحنص
(ألا بعد الثود) على فالصرف
لهذه الى الحى أو الاب
الاكبر ومنعه للتعريف
والثأيت بمعنى القبيلة
(ولقد جاءت رسلنا) جبريل
وميكايل واسرافيل
أوجبريل مع أحد عشر

نجينا صالحا ولذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ أى ونجيناهم من
خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذله. وفضيختهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح
على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المارج في قوله من عذاب يومئذ ان
ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ والغالب عليه وأخذ الذين ظلموا الصيحة
فصبحوا في ديارهم جاثين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها
ألا ان ثمودا كفروا رهم نونه ابو بكر ههنا وفي الهم والكسنى في جبع القرآن
وابن كثير ونافع وابن عمر وابوعمر وفي قوله (ألا بعد الثود) ذهابا الى الحى
أو الاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقبل ثلاثة
جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام بالبشرى بشارة الولد وقيل بهلاك

﴿ نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ أى بنعمة منابان هديناهم الى الايمان فامنوا
﴿ ومن خزي يومئذ ﴾ يعنى ونجيناهم من عذاب يومئذ يعنى خزي لان في خزي الكافرين
﴿ ان ربك ﴾ الخطب لاني صلى الله عليه وسلم يعنى ان ربك يا محمد ﴿ هو القوى ﴾
يعنى هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين ﴿ العزيز ﴾ يعنى القاهر الذى
لا يغلبه شئ ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى ﴿ وأخذ الذين ظلموا ﴾
يعنى أنفسهم بالكفر ﴿ الصيحة ﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا
جميعا وقيل اتهم صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شئ في الارض فتطاعت
قلوبهم في صدورهم فأتوا جميعا ﴿ فصبحوا في ديارهم جاثين ﴾ يعنى صرعى هلكى ﴿ كأن لم
يغنوا فيها ﴾ يعنى كان لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت
بالمكان اذا أتيت وأقيمت به ﴿ ألا ان ثمودا كفروا بهم ﴾ ألا بعد الثود وهذه القصص
قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى ﴿ أراد بالرسـل الملائكة واختافوا في عددهم فقال ابن عباس
وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقول الضحاك كانوا تسعة وقول مقاتل
كانوا اثني عشر ملكا وقول محمد بن كعب القرظى كن جبريل ومعه سبعة أملاك
وقول السدى كانوا أحد عشر ملكا على صور الغلمان الحسنان الوجوه وقول ابن
عباس هو الاولى لان أنزل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيعمل على الاقل وما بعده
غير مقطوع به بالبشرى يعنى بالبشارة باسمحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط

(قالوا)

ملكا (ابراهيم بالبشرى) هى البشارة بالولد أو بهلاك

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة) بنعمة (منوا من خزي يومئذ) من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى) بنجاة أوليائه (العزيز)
بنعمة أعدائه (وأخذ الذين ظلموا) أشركوا (الصيحة) العذاب (فصبحوا في ديارهم) مساكنهم (جاثين) ميتين لا يتحركون في أى
صاروا رمادا (كأن لم يغنوا فيها) كان لم يكونوا في الارض قط (ألا ان ثمودا) قوم صالح (كفروا بهم) كفروا ببرهم (ألا بعد الثود)
لقوم صالح من رحمة الله (ولقد جاءت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة اثنا عشر ملكا (ابراهيم) الى ابراهيم (البشرى) بالبشارة

قَوْمَ لُوطَ وَالْأُولَى أَظْهَرَ (قَالُوا سَلَامًا) سَلَّمْنَا عَلَيْكَ سَلَامًا (قَالَ سَلَامٌ) أَمْرُكُمْ سَلَامٌ سَلِمَ حِزْبُهُ عَلَى بَعْضِ السَّلَامِ (فَقَابِثُ أَنْ جَاءَ بِجَلْ) فَقَابِثُ فِي الْجَبِيِّ بِدَلِّ عَجَلٍ فِيهِ ﴿٣٤١﴾ أَوْ قَابِثُ حَبِيبُهُ ﴿سُورَةُ هُودٍ﴾ وَالْجَلُّ وَلَدُ الْبَقْرَةِ وَكَانَ

مَالُ إِبْرَاهِيمَ الْبَقَرِ (حَنِيدٌ) مَشَى بِالْحِجَارَةِ الْحِمَاةِ (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ) نَكَرَ وَأَنْكَرَ بِمَعْنَى وَكَانَتْ عَادَتُهُمْ أَنَّهُ إِذَا مَسَّ مِنْ بَطْرِ قَوْمٍ طَعَامَهُمْ أَمْنُوهُ وَالْأَخْفَوهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَحْسَنَ بَانَهُمْ مَلَائِكَةً وَنَكَرَهُمْ لِأَنَّهُ تَخَوَّفَ أَنْ يَكُونَ نَزْوَاهُمْ لِأَمْرٍ أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوَّلَ تَعْذِيبِ قَوْمِهِ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) أَيْ أَضْمَرَ مِنْهُمْ خَوْفًا (قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ) بِالْعَذَابِ وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِمَنْ عَرَفَهُمْ وَلَمْ يَعْرِفْ فِيمَ أُرْسِلُوا وَإِنَّمَا قَالُوا لَا تَخَفْ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَثَرَ الْخَوْفِ وَالتَّغْيِيرِ فِي وَجْهِهِ (وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ) وَرَاءَ السِّتْرِ تَسْمَعُ تَحَاوُرَهُمْ أَوْ عَلَى رُؤُسِهِمْ تَخْدُمُهُمْ (فَضْحَكْتَ) سُرُورًا بِزَوَالِ

لَهُ بِالْوَلَدِ (قَالُوا سَلَامًا) سَلَّمُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ حِينَ دَخَلُوا عَلَيْهِ (قَالَ سَلَامٌ) رَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَأَنْ قَرَأَتْ سَلَّمَ يَقُولُ أَمْرِي سَلَامٌ مِنَ السَّلَامَةِ (فَقَابِثُ) مَكَثَ إِبْرَاهِيمَ (أَنْ جَاءَ بِجَلْ) سَمِينٌ (حَنِيدٌ) مَشَى فَوْضَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ) إِلَى طَعَامِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْتَاجُوا

قَوْمَ لُوطَ ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سَلَّمْنَا عَلَيْكَ سَلَامًا وَيَجُوزُ نَصْبُهُ بِقَالُوا عَلَى مَعْنَى ذَكَرُوا سَلَامًا ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أَيْ أَمْرُكُمْ سَلَامٌ أَوْ جَوَابِي سَلَامٌ أَوْ وَعَلَيْكُمْ سَلَامٌ رَفَعَهُ أَجَابَةً بِأَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِمْ وَقَرَأَ حِزْبَهُ وَالْكَسَائِيُّ سَلَّمَ وَكَذَلِكَ فِي الذَّارِيَاتِ وَهُمَا لِقَتَانِ كَحَرَمٍ وَحَرَامٍ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاحُ ﴿فَقَابِثُ أَنْ جَاءَ بِجَلْ حَنِيدٌ﴾ فَمَا أَبْطَأَ حَبِيبُهُ بِهِ أَوْ فَمَا أَبْطَأَ فِي الْجَبِيِّ بِهِ أَوْ فَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُ وَالْجَارُ فِي أَنْ مَقْدَرٌ أَوْ مَحْذُوفٌ وَالْحَنِيدُ الْمَشْوِيُّ بِالرُّضْفِ وَقِيلَ الَّذِي يَقْطُرُ وَدَكُهُ مَنْ حَنَذَتْ الْفَرَسَ إِذَا عَصَرَتْهُ بِالْجَلَالِ لِتَوَلُّهِ بِجَلْ سَمِينٌ ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لَا يَمْسُونَ إِلَيْهِ أَيْدِيَهُمْ ﴿نَكَرَهُمْ﴾ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴿أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَخَافَ أَنْ يَرِيدُوا بِهِ مَكْرًا وَهَذَا نَكَرَ وَأَنْكَرَ وَاسْتَنْكَرَ بِمَعْنَى وَالْإِيحَاسُ الْإِدْرَاكُ وَقِيلَ الْإِضْمَارُ ﴿قَالُوا﴾ لَهُمُ الْحَسْوَامُنْ أَثَرَ الْخَوْفِ ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ﴾ أَنَا مَلَائِكَةُ مَرْسَلَةِ إِلَهُكُمْ بِالْعَذَابِ وَإِنَّمَا لَمْ يَمْدُ إِلَيْهِ أَيْدِيَنَا لِأَنَّا نَأْكُلُ ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ﴾ وَرَاءَ السِّتْرِ تَسْمَعُ تَحَاوُرَهُمْ أَوْ عَلَى رُؤُسِهِمْ لِلْخِدْمَةِ ﴿فَضْحَكْتَ﴾ سُرُورًا بِزَوَالِ الْخِيفَةِ

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ بِمَعْنَى أَنْ الْمَلَائِكَةَ سَلَّمُوا سَلَامًا ﴿قَالَ﴾ يَعْنِي لَهُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴿سَلَامٌ﴾ أَيْ عَلَيْكُمْ أَوْ أَمْرُكُمْ سَلَامٌ ﴿فَقَابِثُ أَنْ جَاءَ بِجَلْ حَنِيدٌ﴾ يَعْنِي مَشْوًى وَالْحَنِيدُ هُوَ الْمَشْوِيُّ عَلَى الْحِجَارَةِ الْحِمَاةِ فِي حَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ مِنْ فَعَلَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ وَكَانَ سَمِينًا يَسِيلُ مِنْهُ الْوَدَكُ قَالَ قَتَادَةُ كَانَ عَامَةً مَالُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَقَرُ وَقِيلَ مَكَثَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَسَّ شَجَرَةً أَيْلَةً لَمْ يَأْتِهِ ضَيْفٌ فَاعْتَمَ لَذَلِكَ وَكَانَ يَحِبُّ الضَّيْفَ وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مَعَهُ فَلَمَّا جَاءَتْ الْمَلَائِكَةُ رَأَى أَضْيَافًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُمْ قَطْ فَجَلَّ قَرَاهِمَ وَجَاءَهُمْ بِجَلْ سَمِينٌ مَشْوًى ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ﴾ يَعْنِي أَيْدِيَ الْأَضْيَافِ ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يَعْنِي إِلَى الْمَشْوِيِّ ﴿نَكَرَهُمْ﴾ يَعْنِي أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرَ حَالَهُمْ وَإِنَّمَا أَنْكَرَ حَالَهُمْ لِامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ يَعْنِي وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ خَوْفٌ مِنْهُمْ وَالْوَجَسُ هُوَ رَعِبَ الْقَلْبُ وَإِنَّمَا خَافَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ نَاحِيَةً مِنَ النَّاسِ فَخَافَ أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ مَكْرًا لِامْتِنَاعِهِمْ مِنْ طَعَامِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ وَقِيلَ أَنْ إِبْرَاهِيمَ عَرَفَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ وَإِنَّمَا خَافَ أَنْ يَكُونُوا نَزَلُوا بِعَذَابٍ قَوْمَهُ فَخَافَ مِنْ ذَلِكَ وَالْأَقْرَبُ أَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدَّمَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامَ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ لَمَا قَدَّمَهُ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُ أَنْ الْمَلَائِكَةَ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَئِنْ خَافَهُمْ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ لَمَا خَافَهُمْ فَلَمَّا رَأَتْ الْمَلَائِكَةُ خَوْفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ يَا إِبْرَاهِيمَ ﴿إِنَّا﴾ مَلَائِكَةُ اللَّهِ ﴿أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ وَأَمْرَاتِهِ﴾ يَعْنِي سَارَةَ زَوْجَةَ إِبْرَاهِيمَ وَهِيَ ابْنَةُ هَارَانَ بْنِ نَاحُورَ أَوْ هِيَ ابْنَةُ عَمِّ إِبْرَاهِيمَ ﴿قَائِمَةٌ﴾ يَعْنِي مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ تَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَقِيلَ كَانَتْ قَائِمَةً فِي خِدْمَةِ الرِّسْلِ وَإِبْرَاهِيمَ جَالِسٌ مَعَهُمْ ﴿فَضْحَكْتَ﴾

إِلَى طَعَامِ (نَكَرَهُمْ) أَنْكَرَهُمْ ذَلِكَ (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) أَوْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ خَوْفًا مِنْهُمْ وَظَنَّ أَنَّهُمْ لَصُوصٌ حَيْثُ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ فَلَمَّا عَلِمُوا خَوْفَهُ (قَالُوا لَا تَخَفْ) مَنَّا يَا إِبْرَاهِيمَ (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ) لَنَهْلِكَهُمْ (وَأَمْرَاتِهِ) سَارَةَ (قَائِمَةٌ) بِالْخِدْمَةِ (فَضْحَكْتَ) تَجَبَّتْ مِنْ خَوْفِ

أوبهلاك اهل الفساد أوبإصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضم اليك لوطافاني
اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت لحاضت قال
وعهدى بلسى ضاحكا في لبابة * ولم تعد حقا ئديها ان تحملما
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها * وقرى بفتح

أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس واظهار الاسنان عنده سميت
مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد أيضا
وللعلماء في تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر
المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام
الى أضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال ألتأكلون فقالوا انا لآكل
طعاما الا بئس قال فان له ثمنا قالوا ومائند قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه
على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ ربه خليلا فلما رأى
ابراهيم وسارة ايديهم لاتصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبنا لاضيفنا نخدعهم
بانفسنا تكرمه لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط
وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو
فيما بين خدمه وحشمه وخواصده وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم
وذلك انها خافت خوفه فحين قالوا لاتخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا
بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها
وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق
فضحكت يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضم اليك ابن أخيك لوطا
فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك
وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد
أى حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت
ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى
حاضت وانما ذكر ذلك تنصيحا لحالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحيضها
في الوقت لتعلم أن حملها ليس بمنكر لان المرأة مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء
ضحكت بمعنى حاضت لم نسمة من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت
وقال ابن الانبارى قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد
عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

فالأراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أى طمئت وحيى
الازهرى عن بعضهم في قوله فضحكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحك
الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

الخيفة أوبهلاك أهل
الخبائث أو من غفلة قوم
لوط مع قرب العذاب
أو فحاضت

ابراهيم من اضيافه

(فبشرناها باسمحق)

وخصت بالبشارة لان النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسمحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامى وحيزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناهاى فبشرناها باسمحق ووهبناها يعقوب من وراء اسمحق وبالمرغ غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قالت ياويلتا) الانف مبدلة

من ياء الاضافة وقرأ الحسن ياويلتى بالياء على الاصل (ألدوانا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلى شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدأ وبعلى خبر وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التى دلت عليه ذأ ومعنى التنبيه الذى دل

(فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب) ولد الولد فضحككت فحاضت مقدم ومؤخر (قالت ياويلتى ألدوانا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة للعجوز الكبيرة ولد كيف هذا (وهذا بعلى) زوجى ابراهيم (شيخا) ابن تسع وتسعين سنة

الحاء ﴿ فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب ﴾ نصبه ابن عامر وحيزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسمحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسمحق أو على لفظ اسمحق وقته للجرفانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف أى ويعقوب مولود من بعده وقيل وراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسمحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيجي ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسمياه وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد ﴿ قالت ياويلتا ﴾ يا عجبا واصله فى الشر فاطلق على كل امر فطبع وقرئ بالياء على الاصل ﴿ ألد وانا عجوز ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين ﴿ وهذا بعلى ﴾ زوجى واصله القائم بالامر ﴿ شيخا ﴾ ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف أى هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلى بدل

تضحك الضبع من دماء سليم * اذراتها على الحراب تمور وقال فى المحكم ضحككت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحككت فبشرناها باسمحق وضحككت الارنب ضحكا يعنى حاضت حيضا قال

وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم القا يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكر أن يكون الضحك بمعنى الحيض قل كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشرا لا كل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فهز بعضها على بعض فجعل هزيزها ضحكا وقيل لانها تسرهم فجعل سرورها ضحكا فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحككت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك قاله أعلم أى ذلك كان * وقوله سبحانه تعالى ﴿ فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب ﴾ يعنى ومن بعد اسمحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا ﴿ قالت ياويلتا ﴾ نداء ندبة وأصلها ياويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا ﴿ ألدوانا عجوز ﴾ وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسمحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة ﴿ وهذا بعلى ﴾ يعنى زوجى والبعلى هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائما باسمها سمي بعل لذلك ﴿ شيخا ﴾ وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن اسمحق

عليه هذا (ان هذا شئ عجب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أنجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادة فكان عليها أن تنور ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتحمده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته { الجزء الثاني عشر } عليكم أهل البيت) ﴿ ٣٤٤ ﴾ أرادوا ان هذه وأمثالها مما يكرمكم

بدر العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه جيد) محمود بتجليل النعم (مجيد) ظاهر الكرم بتأجيل النعم (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (بجادلنا في قوم لوط) أى لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملى سرورا بسبب البشرى فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل بجادلنا أو بجادلنا جواب لما وانما جى به مضارعا لحكاية الحال والمعنى بجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انهم يهلكوا أهل

﴿ ان هذا شئ عجب ﴾ يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قالوا أنجبين من أمر الله ﴾ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴿ منكرين عليها ﴾ فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلاء من نشأت وشابت في ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايها العصاة ﴿ انه جيد ﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد ﴿ مجيد ﴾ كثير الخير والاحسان ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروح ﴾ أى ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم ﴿ وجاءته البشرى ﴾ بد أن الروح ﴿ بجادلنا في قوم لوط ﴾ بجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جى به مضارعا على حكاية الحال أولانه في سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو أدليل جوابه المحذوف مثل

وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة ﴿ ان هذا شئ عجب ﴾ لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجب من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما ﴿ قالوا ﴾ يعنى قالت الملائكة لسارة ﴿ أنجبين من أمر الله ﴾ معناه لا تعجبى من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شئاً كان سريعا ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته ﴿ انه جيد ﴾ يعنى هو المحمود الذى يحمد على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال ﴿ مجيد ﴾ ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل الحمد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذوالشرف والكرم قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروح ﴾ يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل ﴿ وجاءته البشرى ﴾ يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءت به وبشارة بالولد ﴿ بجادلنا ﴾ فيه اضممار تقديره أخذ بجادلنا أو جمل بجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا ﴿ في قوم لوط ﴾ لان العبد لا يتقدر أن يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه بجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرايتم

هذه القرية فقال أرايتم لو كان فيها اخسون مؤمنات هل يكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ (لو كان) العشرة قالوا لا قال أرايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم هل يكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها نجينه وأهله (ان هذا شئ عجب) عجب (قالوا) لها (أنجبين من أمر الله) من قدرة الله (رحمة الله وبركاته) سعاداته (عليكم أهل البيت) ابراهيم (انه جيد) بإعمالكهم (مجيد) كريم بكرمكم بولد صالح (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) الخوف (وجاءته البشرى) البشارة بالولد (بجادلنا) يخاصمنا (في قوم لوط) في هلاك قوم لوط

(ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه أو كثير الاحتمال من آذاه الصفوح عن عصاه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب) نائب راجع الى الله وهذه ٣٤٥ الصفات دالة { سورة هود } على رقة القلب والرافة

والرحمة فيبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويعملوا العلمهم يحذثون التوبة كما حمله على الاستغفار لاسبه فقات الملائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك (انه قد جاء أمر ربك) قضاؤه وحكمه (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم ثم تقديره وانهم يأتهم ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى هياتهم وجالهم (سئ بهم) أحزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبت قومه وأن يحجز عن مقاصد متهم ومدافعهم (وضاق بهم ذرعا) تمييزاً أي وضاق بمكانهم صدره

(ان ابراهيم لحليم) عن الجهل (أواه) رحيم (منيب) مقبل الى الله (يا ابراهيم أعرض عن هذا) عن جدالك هذا (انه قد جاء أمر ربك)

اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ أو اقبل بمجادلنا ﴿ان ابراهيم لحليم﴾ غير عجول على الانتقام من المسمى اليه ﴿أواه﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس ﴿منيب﴾ راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترجمه ﴿يا ابراهيم﴾ على ارادة القول أي قالت الملائكة يا ابراهيم ﴿اعرض عن هذا﴾ الجدال ﴿انه قد جاء أمر ربك﴾ قدره بمقتضى قضائه الا زل بعبادهم وهو اعلم بحالهم ﴿وانهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ مصروف بجدال ولادعاء ولا غير ذلك ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم﴾ ساءه مجيئهم لانهم جاؤه في صورة غلمان انهم انس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعهم ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض

لو كان في مدائن قوم لوط خسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فزال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال رأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الامر أنه كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج كان في قرى قوم لوط أربعة آلاف مقاتل ﴿ان ابراهيم لحليم أواه منيب﴾ تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم ﴿يا ابراهيم أعرض عن هذا﴾ يعني أعرض عن هذا المقال وارك هذا الجدال ﴿انه قد جاء أمر ربك﴾ يعني ان ربك قد حكم بعبادهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وانهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم ﴿قوله عز وجل﴾ ولما جاءت رسلنا لوطا ﴿يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه﴾ سئ بهم ﴿يعني أحزن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه﴾ وضاق بهم ذرعا ﴿قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سرعة خطوه فاذا حل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومدعنفه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرعا اذ لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدره ولا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوه وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروه

عذاب ربك بهلاك قوم لوط (وانهم آتيهم) (قاو خاء ع لث) يأتهم (عذاب غير مردود) غير مصروف عنهم (ولما جاءت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة (لوطا) الى لوط (سئ بهم) ساءه مجيئهم (وضاق بهم) اغتم بمجيئهم (ذرعا) اغتما ما شديدا خاف عليهم من

(وقال هذا يوم عصيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما { الجزء الثاني عشر } بلغكم ٣٤٦ أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم

قال أشهد بالله انها لشرقية في الارض عملا قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى صرنا عليها وقل عندهم استباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتي) فتزوجهن أراد أن يبي أخافيد بناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمين من الكفار جائز في ذلك الوقت كاجاز في الابتداء في هذا الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد لوط أن يزوجهما ابنتيه

صنيع قومه (وقال) في نفسه (هذا يوم عصيب) شديد على (وجاءه قومه) قوم لوط

للعجز عن مدافعة المكروه والاحتياط فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفع الطلب الفاحشة من أضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فمزنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قل يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن أضيافه كرم وحمية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائتهم لالحمة المسلمات على الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغته في تناسي خبث ما يروونه حتى ان ذلك اهون منه اواظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابواته من حيث

أوفاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم وقال يعني لوطا هذا يوم عصيب أي شديد كأنه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده مأخوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرضه وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشرقية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتعاضوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتعاضوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا مارأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابن عباس وقيادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاحراع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجز يعني ومن قبل يعني ومن قبل مجيئ الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون السيئات يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أديارهم قال يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا انهم غلمان من بني آدم يا قوم هؤلاء بناتي يعني أزواجكم ايهاهن وفي أضيافه بناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لان كل نبي أبواته وهو كالوالد لهم وهذا

(يهرعون اليه) يسرعون الى داره ويهرولون هرولة (ومن قبل) أي ومن قبل مجيئ جبريل (كانوا يعملون) (القول) (السيئات) علمهم الخبيث (قال) لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتي) ويقال بنات قومي

(هن أظهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبنائي عطف بيان وهن فصل وأظهر خبر المبتدأ أو بناتي خبر وهن أظهر مبتدأ وخبر (فاتقوا الله) بإيثار هن عليهم (ولا تخزون) {سورة هود} ولا تهنئوني ولا تفضحوني من الخزي

أو ولا تخجلوني من الخزية وهي الحياء وبالياء أبو عمرو في الوصل (في ضيفي) في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) أي رجل واحد يهتدى الى طريق الحق وفعل الجليل والكف

الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهواب لهم ﴿هن أظهر لكم﴾ انظف فعلا أو اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المفصوب واحل منده وقرئ اظهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها ﴿فاتقوا الله﴾ بترك الفواحش أو بإيثار هن عليهم ﴿ولا تخزون﴾ ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزية بمعنى الحياء ﴿في ضيفي﴾ في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزأوه ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة ﴿وانك لتعلم ما نريد﴾ وهو اتيان الذكران ﴿قال لو ان لي بكم قوة﴾ لو قويت بنفسى على دفعكم ﴿أو آوى الى ركن شديد﴾ الى قوى اتنعم به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخي لو طاك كان ياوى الى ركن شديد وقرئ

القول هو الصحيح وأشهد بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليست ابكافيتين للجماعة وليس من المروءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله ﴿هن أظهر لكم﴾ سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أظهر لكم من باب أو لم التفضيل فيقتضى أن يكون الذى يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن أظهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعلى وأجل اذ لا مائلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة ﴿وقوله﴾ ﴿فاتقوا الله﴾ يعنى خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان ﴿ولا تخزون﴾ في ضيفي يعنى ولا تسوؤنى في أضيافي ولا تفضحوني معهم ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ أى صالح شديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ يعنى ليس لنا بهن حاجة ولانا فيهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا بازواج ولا مستحتمين نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك ﴿وانك لتعلم ما نريد﴾ يعنى من اتيان الرجال في أدبارهم فعند ذلك ﴿قال﴾ لوط عليه السلام ﴿لو ان لي بكم قوة﴾ أى لو انى أقدر أن أتقوى عليكم ﴿أو آوى الى ركن شديد﴾ يعنى أو أنضم الى عشيرة يمنعونى منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة

(هن أظهر لكم) أنا أزوجكم (فاتقوا الله) فاحشوا الله في الحرام (ولا تخزون في ضيفي) لا تفضحوني في أضيافي (أليس منكم رجل رشيد) يدلهم على الصواب ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (قالوا لقد علمت)

يا لوط (مالنا في بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم ما نريد) يعنون علمهم الخبيث (قال) لوط في نفسه لو أن لي بكم قوة (بالبدن والولد) (أو آوى) أقدر أن أرجع (الى ركن شديد) الى عشيرة كثيرة لمنعت نفسى منكم فلما علم

بنفسى أو أوبت الى قوى أستند اليه وأتتمعه به فيجمنى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روى انه أغلق بابيه حين جاؤا وجعل { الجزء الثانى عشر } يرادهم ماحكى ﴿ ٣٤٨ ﴾ الله عنه ويحادلهم فتسوروا الجدار

أو آوى بالنصب على اضممار ان كأنه قال لو ان لى بكم قوة أو أوىا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتم روى انه أغلق بابيه دون اضيافه واخذ يحادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب ﴿ قالوا يا لوط انارسل ربك ان يصلوا اليك ﴾ ان يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرِب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة ﴿ فاسر باهلك ﴾ بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى ﴿ بقطع من الليل ﴾ بطائفة منه ﴿ ولا يلتفت منكم احد ﴾ ولا يتخلف أو لا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى اللوط ﴿ الامرأتك ﴾ استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ

لا انضمت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا فى منعة من عشيرته (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولولبت فى السجن ما لبث يوسف ثم أتانى الداعى لاجبته قال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركار وأقواها وأمنها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فطلب ذلك عليه فقال فى تلك الحال لو أن لى بكم قوة فى الدفع بنفسى أو آوى الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتى فى موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابيه والملائكة معه فى الدار وجعل ينظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت الملائكة مالى لوط بسبهم ﴿ قالوا يا لوط ﴾ ركنك شديد ﴿ انا رسل ربك لن يصلوا اليك ﴾ يعنى بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل فى عقوبتهم فاذن له فحول الى صورته التى يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه كالثلج بياضا وقدماه الى الخصرة فضرِب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض قد سحر ونا وجعلوا يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وسترى ماتقى مناغدا يوعدهونه بذلك ﴿ فاسر باهلك ﴾ يعنى ببيتك ﴿ بقطع من الليل ﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضى أوله وقيل انه السحر الاول ﴿ ولا يلتفت منكم احد ﴾ يعنى ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه ﴿ الامرأتك ﴾ فانها

فلما رأت الملائكة مالى لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انارسل ربك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فاذن له فضرِب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان بيت لوط قوما سحرة (لن يصلوا اليك) جملة موضحة للقى قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدرُوا على ضرره (فاسر) بالوصل مجازى من سرى (باهلك بقطع من الليل) طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم احد) بقلبه الى ما خلفه أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم احد (الامرأتك)

جبريل والملائكة خوف لوط من تهديد قومه (قالوا يا لوط انارسل ربك لن يصلوا اليك) بالهلاك نحن نهلكهم (فاسر بأهلك) فسر بأهلك ويقال أدجهم (بقطع من الليل) فى بعض

من الليل آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) لا يتخلف منكم (أحد الامرأتك) واعلة المناقفة (من)

مستثنى من فاسر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد وفي آخرها مع أهله روايتان روى أنه أخرجهما معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحدا لاهى فلما سمعت ﴿٣٤٩﴾ هدة العذاب {سورة هود} التفتت وقالت يا قوماء فادر كما

حجر فقتلها وروى أنه أمر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسربها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (انه مصيبيها ما أصابهم) أى ان الامر وروى أنه قال لهم متى موعدهم هلاكهم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أى أسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وأمرنا عليها حجارة من سجيل) هى كلمة معربة من «سككل» بدليل قوله

(انه مصيبيها) سيصيبها
(ما أصابهم) ما يصيبهم
من العذاب (ان موعدهم)
بالهلاك (الصبح) عند
الصبح قال لوط الآن
يا جبريل قال جبريل يا لوط
(أليس الصبح بقريب)
لاندرآه ولم ير لوط (فلما
جاء أمرنا) عذابنا الهلاكهم
(جعلنا عاليها سافلها) قلبنا

فاسر بأهلك بقطع من الليل الامر أنك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالخلف فانه ان فسر بالنظر الى الورا في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وبنى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز جل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها أو أخرجهما فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماء فادر كما حجر فقتلها لان القواطع لا يصح جعلها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الاصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيهما عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله ﴿انه مصيبيها ما أصابهم﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ﴿ان موعدهم الصبح﴾ كأنه علة الامر بالاسراء ﴿أليس الصبح بقريب﴾ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب ﴿فلما جاء أمرنا﴾ عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسيئا عنه بقوله ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها أى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم ﴿وامطرنا عليها﴾ على المدن أو على شذاذها ﴿حجارة من سجيل﴾ من طين متعجر لقوله حجارة من طين واصله «سككل» فعرّب وقيل انه من اسجله اذا ارسله أو ادر عطيت

من الملتفات قتلهم مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿انه مصيبيها ما أصابهم﴾ فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ﴿ان موعدهم الصبح﴾ قال لوط انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له ﴿أليس الصبح بقريب﴾ فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامرأته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماء فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم ﴿فلما جاء أمرنا﴾ يعنى أمرنا بالعذاب ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى المؤنفسكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربعة آلاف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ﴿وامطرنا عليها﴾ يعنى على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعدما قلبها أمطر عليهم ﴿حجارة من سجيل﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة معناه «سككل» فارسى معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسى صارغة للعرب ولا يضاف الى الفارسى مثل قوله سندنس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسىة تكلمت بها العرب واستعملتها فى ألفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله

وجعلنا أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها (وامطرنا عليها) على شذاذها ومسافريها (حجارة من سجيل) من سجن ووحل مثل الآجر ويقال

حجارة من طين (منضود) { الجزء الثاني عشر } نعت السجيل ٣٥٠ أي متابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة)

نعت للحجارة أي معلة للعذاب
 قيل مكتوب على كل واحد
 اسم من يرمى به (عند ربك)
 في خزائنه أو في حكمه
 (وماهى من الظالمين ببعيد)
 بشئ بعيد وفيه وعيد
 لاهل مكة فان جبريل
 عليه السلام قال لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم يعنى
 ظالمى أمتك ما من ظالم منهم
 الا وهو بعرض حجر يسقط
 عليه من ساعة الى ساعة
 أو الضمير للقرى أى هى
 قريبة من ظالمى مكة يمرون
 بها في مسائرهم (والى
 مدين أخاهم شعيبا) هو
 اسم مدينتهم أو اسم جدهم
 مدين بن ابراهيم أى
 وأرسلنا شعيبا الى ساكنى
 مدين أو الى بنى مدين (قال
 يا قوم اعبدوا الله مالكم
 من اله غيره ولا تنقصوا
 المكيال) أى المكيال
 بالمكيال (والميزان)

من سماء الدنيا (منضود)
 متابع بعضها على أثر بعض
 (مسومة) مخططة بالسواد
 الحرة والبياض ويقال مكتوب
 عليها اسم من هلك بها (عند
 ربك) من عند ربك يا محمد تأتى
 تلك الحجارة (وماهى)
 يعنى الحجارة (من الظالمين
 ببعيد) لم تخطهم بل أصابهم

والمعنى من مثل الشئ المرسل أو من مثل العطية فى الادرار أو من السجيل أى مما كتب الله
 ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين أى من جهنم فابدلت نونه لاماً (منضود) نضد معدا
 لعذابهم أو نضد فى الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أو نضد بعضه على بعض
 وألصق به (مسومة) معلة للعذاب وقيل معلة ببياض وجرة أو بسما تميزه عن حجارة
 الارض أو باسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزائنه (وماهى من الظالمين ببعيد)
 فانهم بظلمهم حقيق بان يعطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه
 سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط
 عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها
 فى اسفارهم الى الشام وتذكر البعيد على تأويل الحجر أو المكان (والى مدين أخاهم
 شعيبا) أراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو اهل مدين وهو ببلد بناء فسمى باسمه
 (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) امرهم

فى موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل
 الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعنى الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل
 هو جبل فى سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متابع يتبع بعضها بعضا مفعول
 من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) صفة للحجارة
 يعنى معلة قال ابن جريج عليها سيما لا تشا كل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة
 عليها خطوط حر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مختومة عليها أمثال
 الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أى على كل حجر اسم صاحبه الذى يرمى به (وماهى)
 يعنى تلك الحجارة (من الظالمين) يعنى مشركى مكة (ببعيد) قال قتادة وعكرمة
 يعنى ظالمى هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظلما بعده وفى بعض الآثار ما من ظالم
 الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ
 قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا فى السماء أربعين يوما
 حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه (قوله عز وجل
 (والى مدين) يعنى وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم
 اخليل عليه السلام ثم صار اسم القبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين
 ابن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا الى أهل مدين فحذف المضاف لدلالة
 الكلام عليه (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) يعنى وحدوا الله ولا تعبدوا
 معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت
 الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله مالكم من اله غيره
 ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرح فيما هم فيه ولما كان المعتاد من أهل مدين البنس
 فى الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهى تطفيف الكيل والوزن
 فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص فى الكيل والوزن على وجهين أحدهما

ويقال ماهى من ظالمى أمتك ببعيد من يقتدى بهم أى بفعلهم (والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم) نبهم (شعيبا) قال (ان)
 يا قوم اعبدوا الله (وحدوا الله) (مالكم من اله غيره) غير الذى أمركم ان تؤمنوا به (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أى حقوق الناس

والموزون بالميزان (انى أراكم بخير) ﴿ ٣٥١ ﴾ بثروة وسعة { سورة هود } تغنيكم عن التطفيف

أو أراكم بنعمة من الله
حقها أن تقابل بغير ما تفعلون
(وانى أخاف عليكم عذاب
يوم محيط) مهلك من قوله
وأحيط بثمره وأصله
من احاطة العدو والمراد
عذاب الاستئصال في الدنيا
أو عذاب الآخرة (وياقوم
أوفوا المكيال والميزان)
أتموهما (بالقسط) بالعدل نوا
أولاً عن عين القبيح الذى
كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان ثم ورد الامر
بالإيفاء الذى هو حسن
في القول لزيادة الترغيب
فيدوجىء به مقيداً بالقسط
أى ليكن الإيفاء على وجه
العدل والتسوية من غير
زيادة ولا نقصان (ولا
تبخسوا الناس أشياءهم)
البخس النقص كانوا
ينقصون من أثمان ما
يشترون من الأشياء فنهوا

بالكيل والوزن (انى
أراكم بخير) بسعة ومال
ورخص السعر (وانى
أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا به
ولم توفوا بالكيل والوزن
(عذاب يوم محيط) يحيط بكم
ولا ينفلت منكم أحد من
القحط والجذوبة وغيره
ذلك (وياقوم أوفوا المكيال
والميزان) أى أتموا الكيل

بالتوحيد أو لافانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة
التعاض ﴿ انى أراكم بخير ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها ان تفضلوا على
الناس شكراً عليها لان تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة
علة النهى ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب
مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف
اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾
صرح بالامر بالإيفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم
التطفيف بل يلزمهم السعى في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل
والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة إيفاء وهو مندوب غير مأثور به وقد
يكون محظوراً ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون

ان يكون الاستنقص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصاً والوجه الآخر هو استيفاء
الكيل والوزن لانفسهم زائداً عن حقهم فيكون نقصاً في مال الغير وكلا الوجهين
مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿ انى أراكم
بخير ﴾ قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة
فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النعمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا
وهو قوله ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ يعنى يحيط بكم فيهلاككم
جميعاً وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه
وتعالى وان جهنم لمحيطه بالكافرين ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾ أى أتموهما
ولا تطففوا فيهما ﴿ بالقسط ﴾ أى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل
المكيال ﴿ ولا تبخسوا الناس ﴾ أى ولا تنقصوا الناس ﴿ أشياءهم ﴾ يعنى اموالهم فان
قلت وقد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان
ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين
ما تقدم فالفائدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو
تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه الى المبالغة في التأكيد والتكرار
يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل
ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر
بإيفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم
على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بإيفاء الكيل
والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحلك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الامر والنهى
وأما قوله ثانياً ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرار أيضاً لانه سبحانه وتعالى لما خصص
النهى عن التنقيص والامر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عم الحكم في جميع الأشياء التى يجب
إيفاء الحق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار

والوزن (بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) لا تنقصوا حقوق الناس

عن ذلك (ولا تعشوا في الارض مفسدين) العثى والعبث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل الجنس والتطفيف عثما منهم في الارض (بقيت الله) ما يسبق لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلون معهم من تبعه الجنس والتطفيف الا ان فائدتها تظهر مع الايمان من حصول { الجزء الثاني عشر } الثواب مع النجاة ﴿ ٣٥٢ ﴾ من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانعماس

صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبه على جلالة شأنه أو المراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به اياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم فاخفظوها بترك الجنس (قالوا يا شعيب أصلوا) وبالتوحيد كوفي غير أبي بكر (تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالحسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلوا تترك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أو أن نترك التبسط في أموالنا ما نشاء من ايفاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا بالكيل والوزن (ولا تعشوا في الارض مفسدين) لا تعملوا في الارض بالفساد

في المقدار أو في غيره وكذا قوله ﴿ ولا تعشوا في الارض مفسدين ﴾ فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالجنس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعشو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصده به الاصلاح كإفعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعشوا في الارض مفسدين امر دينكم ومضالح آخرتكم ﴿ بقيت الله ﴾ ما بقى الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم ﴿ خير لكم ﴾ مما تجمعون بالتطفيف ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أو ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقيت الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ احفظكم عن القبائح أو احفظ عليكم اعمالكم فجازيكم عليها وانما أنا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لولم تتركوا سوء صنيعكم ﴿ قالوا يا شعيب أصلوا تترك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهمك بصلواته والاشعار بان مشله لا يدعوا اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جعوا وخصوا الصلوة بالذكر وقرأ حجة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى أصلوا تترك تأمرك بتكليف ان تترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره ﴿ أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ عطف على ما أي وان نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان تترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء

والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تعشوا في الارض مفسدين ﴾ يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم ﴿ بقيت الله خير لكم ﴾ قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما بقى الله لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعني مصدقين بما قلت لكم و أمرتكم به ونهيتكم عنه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم ﴿ قالوا يا شعيب أصلوا تترك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ يعني من الاصنام ﴿ أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يعرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن

وبعبادة الاوثان ودعاء الناس اليها وبنس الكيل والوزن (بقيت الله) ثواب الله على وفاء الكيل والوزن (به) (خير لكم) ويقال ما سبق الله لكم من الحلال خير لكم مما تبخسون بالكيل والوزن (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بما أقول لكم (وما أنا عليكم بحفيظ) بكفيل احفظكم لانه لم يكن مأمورا بقتالهم (قالوا يا شعيب أصلوا تترك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الاوثان (أو ان نفعل) لا نفعل (في أموالنا ما نشاء) من الجنس في الكيل والوزن

(انك لانت الحليم الرشيد) أي السفيفه الضال ٣٥٣ وهذه تسمية { سورة هود } على القلب استهزاء أو انك

حليم رشيد عندنا ولست
تفعل بشا ما يتضميد حالك
(قال يا قوم أرايتم ان كنت على
بينه من ربي ورزقني منه)
من لدنه (رزقا حسنا)
يعني النبوة والرسالة أو
مالا حلالا من غير بخس
وتطفيف وجواب أرايتم
مخدوف أي اخبروني ان
كنت على حجة واضحة من
ربي وكنت نبيا على الحقيقة
أيصح لي أن لا آمركم بترك
عبادة الاوثان والكف
عن المعاصي والانبياء
لا يسمعون الا لذلك يقال خالفني
فلان لي كذا اذا قصده
وأنت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولي عنه وأنت قاصده
ويلقاك الرجل صادرا عن الماء
فتسأله عن صاحبه فيقول
خالفني الى الماء يريدانه قد
ذهب اليه واردا وأنا
ذاهب عنه صادرا ومنه
قوله (وما أريد أن أخالفكم
الى ما انهاكم عنه) يعني أن
أسبقكم الى شهوراتكم

(انك لانت الحليم الرشيد)
السفيفه الضال استهزاء به
(قال يا قوم أرايتم ان كنت)
يقول اني (على بينه من ربي)
على بيان نزل من ربي
(ورزقني منه رزقا حسنا)
أكرمني بالنبوة والابلام
وأعطاني مالا حلالا (وما

وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك ﴿انك لانت الحليم الرشيد﴾
تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعدوا به موسوم
بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك ﴿قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينه
من ربي﴾ اشارة الى ما آناه الله من العلم والنبوة ﴿ورزقني منه رزقا حسنا﴾ اشارة
الى ما آناه الله من المال الحلال وجواب الشرط مخدوف تقديره فهل يسع لي مع هذا
الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره
ونفيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في
منه لله أي من عنده وباعثه بلا كد مني في تحصيله ﴿وماريد ان أخالفكم الى ما انهاكم
عنه﴾ أي وماريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبدبه دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم
اعرض عنه فضلا عن ان انهي عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصده وهو مول عنه

به ويقولون هذه المقالة وقال الاعشى أقرأئك لان الصلاة تطلق على القراءه والدعاء وقيل
المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك يا مسك أن نترك ما يعبد آباؤنا وأن نعمل في أموالنا منشاء
وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك
وينحبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم شعائر الدين ﴿انك لانت الحليم
الرشيد﴾ قال ابن عباس أرادوا السفيفه الفاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون
للدبيع سليم وللغلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه
انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحمذك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم ﴿قال﴾ يعني
قال لهم شعيب ﴿يا قوم أرايتم ان كنت على بينه من ربي﴾ يعني على بصيرة وهداية وبيان
﴿ورزقني منه رزقا حسنا﴾ يعني حلالا قليل كان شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق
الحسن ما آناه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية مخدوف تقديره
أرايتم ان كنت على بينه من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني
مع هذه النعمة أن اخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو أبخس الناس اشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى
فكيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة ﴿وقوله﴾ وما أريد أن
أخالفكم الى ما انهاكم عنه ﴿قال صاحب الكشف﴾ يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت
مول عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن
صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريدانه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
﴿وما أريد أن أخالفكم الى ما انهاكم عنه﴾ أي أن أسبقكم الى شقوتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها
دونكم ﴿قال الامام فخر الدين الرازي﴾ وتحقيق الكلام في ان القوم اعترفوا فيها بانهم حليم
رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصبوب
الاصلح فكان عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا أن الذي اخترته لنفسى هو

أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه (قا وخاه ٤ لث) يقول ما يريدان افعل ما انهاكم عنه من البخس في الكيل والوزن

التي نهيتكم عنها الاستبد بها
دونكم (ان أريد الا
الاصلاح) ما اريد الا أن
أصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وأمرى بالمعروف
ونهي عن المنكر (ما استطعت)
ظرف أى مدة استطاعتى
للاصلاح وما دمت متمكنا
منه لا آلو فيه جهدا
(وما توفيقى الا بالله) وما
كونى موفقا لاصابة الحق
فيما آتى وأزر الا بمعونته
وتأييده (عليه توكلت)
اعتمدت (واليه أنيب)
أرجع في السراء والضراء
جرم مثل كسب في تعديه
الى مفعول واحد والى
مفعولين ومنه قوله (ويا قوم
لا يجرمكم شقاقى أن
يصدىكم) أى لا يصدىكم
خلافى اصابة العذاب
(مثل ما أصاب قوم نوح
أوقوم هود أوقوم صالح
(ان أريد) ما أريد (الا
الاصلاح) العدل بالكيل
والوزن (ما استطعت وما
توفيقى) بوفاء الكيل والوزن
(الا بالله) من الله (عليه
توكلت) فوضت أمرى
اليه (واليه أنيب) اقبل
(ويا قوم لا يجرمكم)
لا يجرمكم (شقاقى) بغضى
وعداوى حتى لا تؤمنوا
ولا توفوا بالكيل والوزن
(أن يصدىكم) فيصدىكم
(مثل ما أصاب قوم نوح)

وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس * ان اريد الا الاصلاح ما استطعت * ما اريد الا ان
أصلحكم بأمرى بالمعروف ونهي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الاصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه * ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو
التنبية على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة أهمها
واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم
بما أمرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل
من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته أو اصلاح ما استطعته فحذف المضاف * وما
توفيقى الا بالله * وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الابهدياته ومعونته * عليه
توكلت * فانه القادر المتمكن من كل شئ * وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ
* واليه أنيب * اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا فيفيد الحصر بتقديم الصلة على الله
وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة
به فى مجامع امره والاقبال عليه بشرائره وحسم اطماع الكفار واطهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء * ويا قوم لا يجرمكم *
لا يصدىكم * شقاقى * معاداتى * ان يصدىكم مثل ما أصاب قوم نوح * من الفرق
* أوقوم هود * من الريح * أوقوم صالح * من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى

أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البغى والنقصان فأما مواظب
عليها غير تارك لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها الاما أنتم عليه وقل الزجاج
معناه أى لست أنهاركم عن شئ * وأدخل فيه انما اختار لكم ما أختار لنفسى وقال ابن الانبارى
بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البغى والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه
ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محسن النصيحة لهم * ان أريد * معنى ما أريد فيما أمركم به وانهاكم
عنه * الا الاصلاح * معنى فيما يبنى ويبنكم * ما استطعت * معنى ما استطعت الا الاصلاح
وهو الا بلاغ والانداز فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدى
من يشاء ويضل من يشاء * وما توفيقى الا بالله * التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة
على العبد ولا يتقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقى الا بالله * عليه توكلت *
يعنى على الله اعتمدت فى جميع أمورى * واليه أنيب * يعنى واليه أرجع فيما ينزل
من النوائب وقيل اليه ارجع فى معادى روى ان رسواله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر
شعبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعتهم * وقوله تعالى * ويا قوم لا يجرمكم
شقاقى * أى لا يجرمكم خلافا وعداوى * أن يصدىكم * يعنى عذاب العاجلة على كفركم
وأفعالكم الخبيثة * مثل ما أصاب قوم نوح * يعنى الفرق * أوقوم هود * يعنى الريح التى
أهلكتهم * أوقوم صالح * يعنى ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا

يعنى عذاب قوم نوح من الفرق والطوفان (أوقوم هود) الهلاك بالريح (أوقوم صالح) الصيحة (وما)

في الزمان فهم أقرب
الهالكين منكم أو في المكان
فنازلهم قريبة منكم أو فيما
يستحق به الهلاك وهو

الكفر والمساوي وسوى
في قريب وبعيد وقليل
وكثير بين المذكر والمؤنث
لورودها على زنة المصادر
التي هي الصهيل والنهيق
ونحوهما (واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه ان ربي رحيم)

يفغر لاهل الجفاء من المؤمنين
(ودود) يحب أهل الوفاء
من الصالحين (قالوا يا شعيب

مانفقه كثيرا مما تقول) أي
لانفهم صحة ما تقول والا
فكيف لانفهم كلامه وهو

خطيب الانبياء (وانا
لنراك فينا ضعيفا) لا قوة
لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر

على الامتناع منا ان أردنا
بك مكروها (ولولا رهطك
لرجناك) ولولا عشيرتك

لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة
وكان رهطه من أهل ملتهم
(وماقوم لوط) ما خبر قوم لوط

(منكم بعيد) قد بلغكم
ما أصابهم (واستغفروا ربكم)
وحدوا ربكم (ثم توبوا

اليه) اقبوا اليه بالتوبة
والاخلاص (ان ربي رحيم)
بعباده المؤمنين (ودود)
متودد اليهم بالمغفرة والثواب

جرم فانه يعدى الى واحد الى اثنين ككسب وعن ابن كثير تجر منكم بالضم وهو منقول من
المتعدى الى مفعول والاول افسح فان اجرهم اقل دورانا على السنة الفخاء وقرىء مثل
بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت * حامة في غصون ذات اوقال
وماقوم لوط منكم بعيد * زمانا أو مكانا فان لم تعذبوا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
أوليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وافراده البعيد لان المراد
وما أهلاكم أو وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها
على زنة المصادر كالصهيل والشهيق * واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه * علانتم عليه
* ان ربي رحيم * عظيم الرحمة للتائبين * ودود * فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودعة من بوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار * قالوا يا شعيب
مانفقه * مانفهم * كثيرا مما تقول * كوجوب التوحيد وحرمة الخس وما ذكرت
دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكيرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أولانهم
لم يلقوا اليه اذ هانهم لشدة نفرتهم عنه * وانا لنراك فينا ضعيفا * لا قوة لك فتمتنع منا ان
اردنا بك سوءا أو مهينا لا عز لك وقيل اعنى بلغة حير وهو مع عدم مناسبتة يرده التقيد
بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعنى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين
* ولولا رهطك * قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا خوف من شوكتهم فان
الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة * لرجناك * لقتلناك برمي الاجار أو باصعب

وماقوم لوط منكم بعيد * وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم
لوط منكم بعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم * واستغفروا
ربكم * يعنى من عبادة الاصنام * ثم توبوا اليه * يعنى من الخس والنقصان في الكيل
والوزن * ان ربي رحيم * يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا * ودود * قال ابن عباس الرود
المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أوده اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون
ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه
اليهم وقال الخليلي هو الواداهل طاعة أى الراضى عنهم باعمالهم والحسن اليهم لاجلها والمادح
لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه * قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا
مما تقول * يعنى مانفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تبص
ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون * وانا لنراك فينا ضعيفا * قال
ابن عباس وقتادة كان أعنى قال الزجاج ويقال ان حير كانوا يسمعون المكفوف ضعيفا وقال
الحسن وأبو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعنى
ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف
وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله
* ولولا رهطك * يعنى جاعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل
الى السبعة * لرجناك

مانفقه) مانعقل (كثيرا مما تقول) مما تأمرنا (وانا لنراك فينا ضعيفا) ضير البصر (ولولا رهطك) قومك (لرجناك) لقتلناك

فلذلك أظهروا الميل إليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزيز) أي لاتعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لافي الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح { الجزء الثاني عشر } هذا الجواب ٣٥٦ وانما قال ارهطى أعز عليكم من الله

والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطاً أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهرياً) ونسيتوه وجعلتموه كالشيء المنبذ وراء الظهر لا يعاب به والظهر منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس امسى (ان ربي بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علماً فلا يخفى عليه شيء منها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) هي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشيء يعني اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي

وجه ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي أيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لافي تبوت العزة وان المانع لهم عن ايدائه عزة قوميه ولذلك ﴿قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ وجعلتموه كالمسئ المنبذ وراء الظهر بأشراككم به والاهانة برسوله فلا يتبعون على الله ويتبعون على لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهر ما منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ﴿ان ربي بما تعملون محيط﴾ فلا يخفى عليه شيء منها فيجازى عليها ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعملون﴾

يعنى لقتلتك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتتكم وأغظناك القول ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ يعنى بكريم وقيل بمتمنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم يذنبوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمته عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسموه بالكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتزمين ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله ﴿قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله﴾ يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظونى فى الله ولاجل الله لالرهطى لان الله أعز وأعظم ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ يعنى ونبتذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء الملقى الذى لا يلتفت اليه ﴿ان ربي بما تعملون محيط﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعاً لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم بهايوم القيامة ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ يعنى على تؤدتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدرة من الشر ﴿انى عامل﴾ يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيد وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿سوف تعملون﴾ أينما الجانى على نفسه المخطئ فى فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله سوف تعملون قلت ادخال الفاء فى قوله سوف تعملون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها فى قوله سوف تعملون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإيكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعملون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف

مطيعين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (سوف تعملون) (للتفنن)

(وما أنت علينا بعزيز) كريم (قال يا قوم ارهطى) قومى (أعز عليكم من الله) من كتابه ودينه ويقال عقوبة رهطى اشد عليكم من عقوبة الله (واتخذتموه) نبذتموه (وراءكم ظهرياً) خلف ظهركم ما جئت به من الكتاب (ان ربي بما تعملون) بعقوبة ما تعملون (محيط) عالم (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) على دينكم فى منازلكم بهلاكى (انى عامل) بهلاككم (سوف تعملون)

من يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينما يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه وأينما هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون والأتیان بالوجهين للتفنن في البلاغة وأبلغهما ﴿٣٥٧﴾ الاستئناف {سورة هود} (وارتقبوا) وانتظروا

العاقبة وما أقول لكم (اني معكم رقيب) منتظر والرقب بمعنى الرقيب من رقبته كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشرين بمعنى المعاشراً وبمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهم وقعا بعد ذكر الموعود وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذي هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخران فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطف بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فاصبحوا

من يأتيه عذاب يخزيه ﴿ سبق مثله في سورة الانعام والفاء في سوف تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فإذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ﴾ ومن هو كاذب ﴿ عطف على من يأتيه لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما وعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعبذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ﴿ وارقبوا ﴿ وانتظروا ما أقول لكم ﴿ اني معكم رقيب ﴿ منتظر فاعل بمعنى الرقيب كالضرب أو المراقب كالعشرين أو المرتقب كالرفيع ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ﴿ انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية ﴿ واخذت الذين ظلموا الصيحة ﴿ قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جائعين ﴿ ميتين واصل الجثوم للزوم في المكان ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴿ كأن لم يقيموا فيها

للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴿ يعني بسبب عمله السيئ أو أينما الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ﴿ ومن هو كاذب ﴿ يعني فيما يدعيه ﴿ وارقبوا ﴿ يعني وانتظروا العاقبة وما يؤل اليه أمرى وأمركم ﴿ اني معكم رقيب ﴿ أي منتظر والرقب بمعنى المراقب ﴿ ولما جاء أمرنا ﴿ يعني بعذابهم واهلاكهم ﴿ نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ﴿ يعني بفضل منابن هديناهم للايمان ووقفناهم للطاعة ﴿ واخذت الذين ظلموا ﴿ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس ﴿ الصيحة ﴿ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت ارواحهم وماتوا جميعاً وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فاتوا جميعاً ﴿ فاصبحوا في ديارهم جائعين ﴿ يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطأ بالارض ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴿ يعني كأن

في ديارهم جائعين (الجائهم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين

من يأتيه) الى من يأتيه (عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ومن هو كاذب) على الله (وارتقبوا) انتظروا والهلاكي (اني معكم رقيب) منتظر لهلاككم (ولما جاء امرنا) عذابنا (نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا) بنعمة منا (واخذت الذين ظلموا) أشركوا يعني قوم شعيب (الصيحة) بالعذاب (فاصبحوا في ديارهم) فصاروا في مساكنهم (جائعين) ميتين رمادا (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يكونوا في الارض

مترددين (ألا بعد المدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشداً لا ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البناءين واحد وهو تقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانا للخير والشر فقالوا وعدوا وعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها أبهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أى {الجزء الثاني عشر} الملاء (أمر فرعون ٣٥٨) وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل

لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله بعزل عن الألوهية وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلّموا ان مع موسى الرشداً والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشداً قط أو المراد وما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيمة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيراً له وايضاً حاوى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشداً يستعمل في كل ما يحمى ويرتضى كما استعمل النفي في كل ما يندم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فاوردهم النار) ادخلهم وجيء بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه قيل قط (ألا بعد المدين) لقوم

﴿ألا بعد المدين كما بعدت ثمود﴾ شبههم بهم لان عذابهم كان ايضاً بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان انكسر تغير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا﴾ بالتوراة أو المعجزات ﴿وسلطان مبين﴾ وهو المعجزات القاهرة أو العصا وفردها بالزكر لانها أبهرها ويجوز ان يراد بهما واحداً أى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطاناً له على نبوته واصله في نفسه أو موضعاً ايها فان ابان جاء لازماً ومتعدياً والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمدين يخص بما فيه جلاء ﴿الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون﴾ فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فتابعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقتة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فسادته على من له ادنى مسكة من العقل لقرط جهالتهم وعدم استبصارهم ﴿وما أمر ما فرعون برشيد﴾ مرشداً أو ذى رشداً وانما هو غنى محض وضلال صريح ﴿يقدم قومه يوم القيمة﴾ الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم ﴿فاوردهم النار﴾ ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى

لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنياً به عن غيره ﴿ألا بعدا﴾ يعنى هالكا ﴿لمدين كما بعدت ثمود﴾ قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ﴿يعنى﴾ بحججنا والبراهين التى اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته ﴿وسلطان مبين﴾ يعنى ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضاً قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطاناً لان صاحب الحجة يتقهر من لاجبة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمى السلطان سلطاناً لانه حجة الله فى الارض ﴿الى فرعون وملئه﴾ يعنى اتباعه وأشراف قومه ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ يعنى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ يعنى وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حيد العاقبة ولا يدعوا الى خير ﴿يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار﴾ يعنى كان تقدم قومه فادخلهم البحر فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة

شعيب من رحمة الله (كما بعدت ثمود) قوم صالح من رحمة الله وكان عذاب قوم صالح وقوم شعيب (فيدخلهم) سواء كلاهما كان الصيحة بالعذاب اصابهم حر شديد فتقوم صالح اتاهم من تحت ارجلهم العذاب وقوم شعيب اتاهم من فوق رؤسهم العذاب (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة بينة والآيات هى حجة بينة (الى فرعون وملئه) رؤسائه (فاتبعوا أمر فرعون) وتركوا قول موسى (وما أمر فرعون) قول فرعون (برشيد) بصواب (يقدم قومه) يتقدم ويقود قومه (يوم القيمة فاوردهم النار)

يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم . في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس الورد) المورد (المورد) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد المورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وأتبعوا في هذه) أى الدنيا (لعنة ويوم القيمة) أى يلعنون في الدنيا ويلعنون ﴿ ٣٥٩ ﴾ في الآخرة (بئس { سورة هود } الرشد المرفود) رفدهم

أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصد عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها عافى الاثر كالزراع القائم عافى ساقه والذي حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلا كنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب

فأدخلهم النار (وبئس الورد المورد) بئس المدخل فرعون وبئس المدخل قومه ويقال بئس الداخل فرعون وبئس المدخل قومه ويقال بئس الداخل فرعون وقومه وبئس المدخل النار (وأتبعوا في هذه لعنة) اهلكوا في هذه الدنيا بالفرق (ويوم القيمة) لهم لعنة أخرى وهى النار (بئس الرشد المرفود) يقول بئس الفرق ورفده النار ويقال

اتباعها موردا ثم قال ﴿ وبئس الورد المورد ﴾ أى بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الالكاد وتسكين العطش والنار بالصد والآية كالدليل على قوله وما صفرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشداً أو تفسيره على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة جيدها ﴿ واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة ﴾ أى يلعنون في الدنيا والآخرة ﴿ بئس الرشد المرفود ﴾ بئس العون المعان أو العطاء المعطى واصل الرشد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أى رفدهم وهو اللعنة في الدارين ﴿ ذلك ﴾ أى ذلك النبأ ﴿ من أنباء القرى ﴾ المهلكة ﴿ نقصد عليك ﴾ مقصوص عليك ﴿ منها قائم ﴾ من تلك القرى باق كالزراع القائم ﴿ وحصيد ﴾ ومنها عافى الاثر كالزراع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس يصح اذلا واو ولا ضمير ﴿ وما ظلمناهم ﴾ باهلا كنا اياهم ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بان

فدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار ﴿ وبئس الورد المورد ﴾ معنى وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء مجودا عند الواردين لانه يكسر العطش قل في حق فرعون وأتباعه فأوردتهم النار وبئس الورد المورد لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفطاعة ﴿ وأتبعوا في هذه ﴾ معنى في هذه الدنيا ﴿ لعنة ﴾ معنى طردا وبعدا عن الرحمة ﴿ ويوم القيمة ﴾ معنى واتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا ﴿ بئس الرشد المرفود ﴾ معنى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رعد للنعنة في الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ذلك من أنباء القرى ﴿ معنى من أخبار أهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية ﴿ نقصد عليك ﴾ معنى نخبرك بديا محمد لتخبر قومك أخبارهم لولهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب ﴿ منها ﴾ معنى من القرى التي اهلكنا أهلها ﴿ قائم وحصيد ﴾ معنى منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم بمعنى الحيطان بغير سقوف ومنها ما قدحى أثره بالكلية شبه الله تعالى بالزراع الذي يعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود ﴿ وما ظلمناهم ﴾ معنى بالعذاب والاهلاك ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ معنى بالكفر والمعاصي

بئس العون وبئس المعان (ذلك) الذى ذكرت (من أنباء القرى) فى الدنيا من أخبار قرى الماضى (نقصد عليك) ننزل عليك جبريل بأخبارها (منها قائم) ينظر اليها قد بادا هالها (وحصيد) منها ما قد خرب وهلك أهلها (وما ظلمناهم) باهلا كنهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والشرك وعبادة الاوثان

ما به أهلكوا (فإغنت عنهم آلهتهم) فاقدرت أن ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) عذابه ولما منصوب بما أغنت (وما زادهم غير تنبيذ) تخسير يقال تب اذا خسرو وتببه غيره أوقعه في الخسران يعني وما أفادتهم { الجزء الثاني عشر } عبادة غير الله ﴿ ٣٦٠ ﴾ شيئاً بل اهلكتم (وكذلك) محل

الكاف الرفع أي ومثل ذلك
الاخذ (أخذ ربك اذا
أخذ القرى) أي أهلها
(وهي ظالمة) حال من
القرى (ان أخذه أليم
شديد) مؤلم شديد صعب على
المأخوذ وهذا تحذير لكل
قرية ظالمة من كفار مكة
وغيرها فعلى كل ظالم ان يبادر
التوبة ولا يغتر بالامهال (ان في
ذلك) فيما قص الله من قصص
الامم الهالكة (لآية) عبرة
(لمن خاف عذاب الآخرة)
أي اعتقد صحته ووجوده
(ذلك) اشارة الى يوم
القيامة لان عذاب الآخرة
دل عليه (يوم مجوع له
الناس) وهو مرفوع
بمجموع كما يرفع فعله اذا قلت

(فإغنت عنهم آلهتهم
التي يدعون) يعبدون
(من دون الله) من عذاب
الله من شيء (لما جاء امر
ربك) حين جاء عذاب ربك
(وما زادهم) عبادة الاثان
(غير تنبيذ) غير تخسير
(وكذلك) اخذ ربك
عذاب ربك (اذا اخذ
القرى) عذب أهل القرى
(وهي ظالمة) مشركة كافر

عرضوا له بارتكاب ما يوجب ﴿ فإغنت عنهم ﴾ فأنفقتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم
بل ضررتهم ﴿ آلهتهم ﴾ التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴿ حين جاءهم عذابه
ونقمته ﴾ وما زادهم غير تنبيذ ﴿ هلاكاً وتخسير ﴾ وكذلك ﴿ ومثل ذلك الاخذ ﴾ اخذ
ربك ﴿ وقرى ﴾ اخذ ربك بالفعل فعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿ اذا
أخذ القرى ﴾ أي أهلها وقرى اذ لان المعنى على المضي ﴿ وهي ظالمة ﴾ حال من القرى
وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفانبتها الاشعار بانهم
أخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظم نفسه وغيره من وخامة العاقبة ﴿ ان اخذه أليم شديد ﴾
وجيع غير مرجو اخلاص عنه وهو مبالغه في التهديد والتحذير ﴿ ان في ذلك ﴾ أي
فيما نزل بالامم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم ﴿ لآية ﴾ عبرة ﴿ لمن خاف عذاب
الآخرة ﴾ يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة
أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بان من الممختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من
انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب
فلكية اتفقت في تلك الايام للذنوب المهلكين بها ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى يوم القيامة
وعذاب الآخرة دل عليه ﴿ يوم مجوع له الناس ﴾ أي يجمع له الناس والغير
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه الاحتمال وان الناس لا ينفكون عنه فهو
ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من الحاسبة والمجازاة

﴿ فإغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ يعني بعذابهم أي لم
تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب ﴿ وما زادهم غير تنبيذ ﴾ يعني غير تخسير وقيل غير
تدمير ﴿ وكذلك أخذ ربك ﴾ يعني وهكذا أخذ ربك ﴿ اذا أخذ القرى ﴾ وهي ظالمة ﴿ الضمير
في وهي عائذ على القرى والمراد أهلها ﴾ ان أخذهم أليم شديد ﴿ (ق) ﴾ عن أبي موسى
الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليبيد للنظام حتى اذا أخذهم لم يفلتهم ثم قرأ
وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم أليم شديد فالآية الكريمة والحديث
دليل على ان من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والالابة ورد الحقوق الى أهلها
ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية
حكمها مختص بظالمى الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم ﴿ قوله
عز وجل ﴾ ان في ذلك لآية ﴿ يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة
﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعني ان اهلك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ
بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار
في الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به
فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ﴿ ذلك يوم مجوع له الناس ﴾ يعني يوم القيامة

(ان أخذه) عذابه (أليم) وجيع (شديدان في ذلك) فيما ذكرت لك (لآية) عبرة (لمن خاف عذاب) (تجمع)
(الآخرة) فلا يقتدى بهم (ذلك) يوم القيامة (يوم مجوع له الناس) يجمع فيه

يجمع له الناس وانما آثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه أثبت أيضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه فأتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أى بشهد ٣٦١ فيد الخلائق الموقب { سورة هود } لا يغيب عنه أحد (وما يؤخره)

أى اليوم المذكور (الا لأجل معدود) الا لاجل يطبق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فعنى قوله وما يؤخره الا لانتهاء مدة معدودة تحذف المضاف أو ما يؤخر هذا اليوم الا لتنتهى المدة التى خسرناها بقضاء الدنيا (يوم يأت) وبالياه مكى وافقه أبو عمرو ونافع وعلى فى الوصل وثابت الياء هو الاصل اذ لايلة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم يجمع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لا تنكلم) أى لا تنكلم (نفس الاباذنه) أى لا يشفع أحد الاباذن الله من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه (ففهم) الضمير لاهل الموقب لدلالة لا تنكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله يجمع له الناس (شقى) معذب (وسعيد)

الاولون والآخرون (وذلك يوم مشهود) يشهده أهل السماء

وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجرائه الظرف مجرى المفعول به كقوله

فى محفل من نواصى الناس مشهود

اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان اسائر لا يام كذلك وما يؤخره أى اليوم (الا لأجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وازادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأتى أى الجزء أو اليوم لقوله ان تأتيم الساعة على ان يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيمهم الله ونحوه * وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة يأت تحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تنكلم نفس لا تنكلم بما ينفع وينجى من جواب أو شفاعاة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه اكتفاء باضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف (الاباذنه) الاباذن الله كقوله لا تنكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقب وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقب آخر أو المأذون فيه هى الجوابات الحققة والمنموعة عندهى الاعذار الباطلة (ففهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقب

تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدى رب العالمين وذلك يوم مشهود يعنى يشهده أهل السماء وأهل الارض وما يؤخره الا لأجل معدود يعنى وما يؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلم أحد الا الله تعالى يوم يأت يعنى ذلك اليوم لا تنكلم نفس الاباذنه قيل ان جميع الخلائق يسكتون فى ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتى كل نفس نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام فى ذلك اليوم قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة فى بعض الاحوال لا يتسددون على الكلام لشدة الاهوال وفى بعض الاحوال يؤذن لهم فى الكلام فيتكلمون وفى بعضها تنحرف عنهم تلك الاهوال فيحتاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تنكلم نفس الاباذنه الشفاعاة يعنى لا تشفع نفس لنفس شىء الا أن يأذن الله لها فى الشفاعاة (ففهم) يعنى فمن أهل الموقب (شقى وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصالح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهى السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية

وأهل الارض (وما يؤخره) يعنى ذلك اليوم (قاو خا ٤٦ لث) (الا لأجل معدود) لوقت معلوم (يوم يأت) ذاك اليوم (لا تنكلم نفس) لا تشفع نفس صالحة لا أحد (الاباذنه) بأمره (ففهم) من الناس يومئذ (شقى) قد كتب عليه الشقاوة (وسعيد) قد كتب له السعادة

أى ومنهم سعيد أى منعم (فأما الذين لم الجزء الثانى عشر) شقوا فى النار ﴿ ٣٦٢ ﴾ لهم فيها زفير) هو اول نهيق الحمار

(وشهيق) هو آخره أو هما
اخراج النفس ورده والجللة
فى موضع الحال والعامل
فيها الاستقرار الذى فى النار
(خالدين فيها) حال مقدرة (ما
دامت السموات والارض)
فى موضع النصب أى مدة
دوام السموات والارض
والمراد سموات الآخرة
وأرضها وهى دائماً مخلوقة
للأبد والدليل على ان لها
سموات وأرضا قوله يوم
تبدل الارض غير الارض
والسموات وقيل مادام فوق
وتحت ولأنه لا بد لاهل
الآخرة مما يقلمهم ويظلمهم
اماماء أو عرش وكل ما
أظلم فهو سماء أو هو عبارة
عن التأبيد ونفى الانقطاع
كقول العرب ملاح كوكب
وغير ذلك من كلمات

(فأما الذين شقوا) كتب
عليهم الشقاوة (فى النار لهم
فيها زفير) صوت كزفير
الحمار فى صدره وهو أول
ما ينهق (وشهيق) كشهيق
الحمار فى حلقه وهو آخر ما
يفرغ من نهيقه (خالدين
فيها) دائمين فى النار
(مادامت السموات
والارض) كدوام السموات
والارض منذ

وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أول للناس ﴿ فاما الذين شقوا فى
النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول
النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ونغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت
الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بصوات الحيرة وقرئ شقوا
بالضم ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والارض ﴾ ليس لارتباط دوامهم فى النار
بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد
والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قيل المفهوم
لان دوامهما كالمزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد

وهى الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشق من سبقت له الشقاوة فى الازل والسعيد
من سبقت له السعادة فى الازل (ق) عن على بن أبى طالب قال كنا فى جنازة فى بقيع
الفرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخضرة فكس
وجعل ينكت بمخضرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده
من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق
له أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة
فسيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتق وصدق بالحسن فسنيسره
لليسرى الآية بقيع الفرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم والمخضرة
كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من
فوق ضرب الثنى بتلك المخضرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض
العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لاثالث لهما
وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت
حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف فى قول والاطفال والمجانين الذين لاحسنات
لهم ولاسيئات فهو لاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة
يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث
﴿ فاما الذين شقوا فى النار لهم فيها ﴾ أى فى النار من العذاب والهوان ﴿ زفير
وشهيق ﴾ أصل الزفير ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق
رد النفس الى الصدر أو الزفير مده و اخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير
الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول
صوت الحمار والشهيق آخره اذا رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير فى الحلق
والشهيق فى الجوف ﴿ خالدين فيها ﴾ يعنى لآبئين مقيمين فى النار ﴿ مادامت السموات
والارض ﴾ قال الضحاك يعنى مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولا بد لاهل
الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تقلمهم فكل ما علاك فإظلك فهو سماء وكل

هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنمية ونوهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار أيا ما فهمؤلا لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأييد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم

خلقت الى ان تقضى (الاماشاء ربك) وقد شاء ربك أن يخلدوا في النار ويقال يخلد من كتب عليه الشقاوة مادامت السموات والارض وبنو آدم الا ماشاء ربك أن يحوله من الشقاوة الى السعادة بقوله يحو الله ما يشاء ويثبت ويقال يكونون دائمين في النار مادامت السموات والارض سماء النار وأرض النار الا ماشاء ربك أن يخرجهم من أهل التوحيد من كانت شقاوته بذنب دون الكفر فيدخله الجنة بإيمانه خالصا

سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فاعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه (الاماشاء ربك) استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهو المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فنههم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقى أو مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين أو لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفقور برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا في النار حين يأتى اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الالهنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديعان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض

ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال أهل المعانى هذه عبارة عن التأييد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأييد وقوله سبحانه وتعالى (الاماشاء ربك) اختلف العلماء في معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشقاوة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخارى ومسلم * عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعدما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين * وفي رواية ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحمته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل

(ان ربك فعال لما يريد) بالشق والسعيد (وأما الذين سعدوا) سعدوا حزة وعلى وحفص سعد لازم وسعد يسعد متعدد
(ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم
سوى الجنة ما هو أكبر { الجزء الثاني عشر } منها وهو رؤيته الله ﷻ ٣٦٤ تعالى برضوانه أو معناه الا من

شاء أن يعذبه بقدر ذنبه
قبل أن يدخله الجنة وعن
أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الاستثناء في الآيتين
لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا
أنه لا يكون للمسلم العاصي
الذي دخل النار خلود
في النار حيث يخرج منها
ولا يكون له أيضا خلود
في الجنة لانه لم يدخل
الجنة ابتداء والمعتزلة لما
لم يروا خروج العصاة
من النار ردوا الاحاديث
المروية في هذا الباب وكفى
بها غامبين (عطاء غير مجذوذ)
غير مقطوع ولكنه ممتد الى
غير نهاية كقوله لهم أجر

(ان ربك فعال لما يريد) كما
يريد (وأما الذين سعدوا)
كتب لهم السعادة (ففي الجنة
خالدين فيها) دائمين في الجنة
(مادامت السموات
والارض) كدوام السموات
والارض منذ خالقتهما
(الا ما شاء ربك) وقد شاء
ربك أن يحولهم من السعادة
الى الشقاوة لقوله يحول الله
ما يشاء من السعادة الى
الشقاوة ويثبت ويترك
ويقال يكونون في الجنة

﴿ان ربك فعال لما يريد﴾ من غير اعتراض ﴿وأما الذين سعدوا﴾ في الجنة خالدين
فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴿غير مقطوع وهو تصريح
دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير
وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم
الجنة ﴿ان ربك فعال لما يريد﴾ وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات
والارض الا ما شاء ربك ﴿أن يدخله النار﴾ لا ثم يخرجهم منها فيدخله الجنة لحاصل
هذا القول ان الاستثنائيين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة
سعداء أصابوا ذنوباً استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان
اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبداً وقبل ان الاستثنائيين يرجعان الى الفريقين
السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتسابهم في البرزخ وهو ما بين
الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شاء ربك سوى
ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك من
الزيادة على ذلك وهو كقولك لقلان على ألف الا ألفين أى سوى ألفين وقيل الا
بمعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو
كقوله تمجد وتعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أى ولا الذين ظلموا
وقيل معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها
قل الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقوله والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك
وعزمه أن يضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو
القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج
من أراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجال في حال الفريقين فاما على التفصيل
فقوله الا ما شاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد
حصول الزفير والشهيق مع خلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل
فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ما شاء
ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب
الاشقياء معناه الا ما شاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والزفير وروى في جانب
السعداء معناه الا ما شاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول
الاول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج
منها بل هو خالد فيها ﴿وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء﴾ ﴿عطاء غير مجذوذ﴾

دائمين مادامت السموات والارض سماء الجنة وأرض الجنة الا ما شاء ربك أن يعذبه في النار قبل أن يدخله (يعنى)
الجنة ثم يخرجهم من النار ويدخله الجنة فيكون بعد ذلك دائماً في الجنة (عطاء) ثواباً لهم (غير مجذوذ) غير منقوص وغير مقطوع

غير ممنون وهو نصب على المصدر أى أعطوا عطاء قليل كفرت الجهنمية بآربع آيات عطاء غير مجذوذاً كلها دأتم وما عند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكراً أحل بهم من نعمة وما أعد لهم من عذابه قال (فلأتك في مربة مما يعبد هؤلاء) أى فلأتشك بعد ﴿ ٣٦٥ ﴾ ما نزل عليك { سورة هود } من هذه القصص في سوء عاقبة

عبادتهم لما اصاب أمثالهم قبلهم تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعده بالانتقام منهم ووعدا لهم ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المربة وما في وما وكا مصدرية أو موصولة أى من عبادتهم وعبادتهم أو ما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (وانا لموفوهم نصيهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصاء هم (غير منقوص) حال من نصيهم أى كما لا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (واولا كلمة سبقت من ربك) انه

بان الثوب لا ينقطع وتنبه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولا جله فرق بين الثواب والعقاب في التأيد * وقرأ حزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعد الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أى اعطوا عطاء أو الحال من الجنة ﴿ فلأتك في مربة ﴾ شك بعدما نزل عليك من مآل امر الناس ﴿ مما يعبد هؤلاء ﴾ من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤدى الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ﴿ ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ استئناف معناه تعليل النهى عن المربة أى هم وآباؤهم سواء في الشرك أى ما يعبدون عبادة الا كهادة آباؤهم أو ما يعبدون شيئاً الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباؤهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضى التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف دلالة قبل عليه ﴿ وانا لموفوهم نصيهم ﴾ حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبهم ﴿ غير منقوص ﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ يعنى كلمة

يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً وعن أبي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبي هريرة فمحمول عند أهل السنة على اخلاء أماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون محمولا على اخراج الكفار من حرائر النار الى برد الزمير ليزدادوا عذاباً فوق عذابهم والله اعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فلأتك في مربة مما يعبد هؤلاء ﴾ يعنى فلأتك في شك يا محمد في هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ﴿ ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ يعنى انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدها مثلهم ﴿ وانا لموفوهم نصيهم غير منقوص ﴾ يعنى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم في الآخرة كاملاً موفراً غير ناقص ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ فاختلف فيه ﴾ يعنى في الكتاب فهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾

(فلأتك في مربة)
في شك (مما يعبد هؤلاء)
أهل مكة (ما يعبدون)
الا كما يعبد آباؤهم من قبل)
من قبلهم وهلكوا على ذلك
(وانا لموفوهم نصيهم) عقوبتهم

(غير منقوص) ويقال نزلت هذه الآية وانا لموفوهم نصيهم غير منقوص في القدرية (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) في كتاب موسى آمن به بعض وكفر به بعض (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عن

لا يماجلهم بالعذاب (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل (وانهم انى شك منه) من القرآن أو من العذاب (مريب) من أرباب الرجل اذا كان ذريعة على الاسناد المجازى (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم أى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) تخفف بصري وعلى ما مضى جىء بها ليفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم تحذوف واللام فى الماموطة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبح بمكس الاول أبو بكر تخففان مكى ونافع على اعمال التخفيف على الثقل اعتبارا لاصالها الذى هو التثليل ولان ان تشبه { الجزء الثانى عشر } الفعل والفعل ٣٦٦ يعمل قبل الحذف وبعبه نحو لم يكن

ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل وأحسن ما قيل فيه انه من لممت الشئ جمعه لماثم وقب فصار لماثم أجرى الوصل بجري الرقب وجاز أن يكون مثل الدعوى والثوى وما فيه ألب التأنيث من المصادر وقرأ الزهرى وان كلا بالتنوين كقوله أكلأ ما هو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلا ملمومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة لآلهم أجمعون وقال صاحب الانجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصارا كأنه قيل وان كلا لما بعشوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائى ايسر لى تشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت)

الانظار الى يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ بانزال ما يستحقه المبطّل ليعتبر به عن الحق ﴿ وانهم ﴾ وان كفار قومك ﴿ انى شك منه ﴾ من القرآن ﴿ مريب ﴾ موقع للريبة ﴿ وان كلا ﴾ وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لمسا ليوفينهم ربك أعمالهم ﴿ اللام الاولى موطنه للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مضى للفصل بينهما • وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما قبلت النون ميلا لا دغما فاجتمعت ثلاث ميّات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما معنى الاوقد قرئ به ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾ فلا ينوت عنه شئ منه وان خفى ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ لما بين امرين مختلفين فى التوحيد والنبوة واطنب فى شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما مر بها وهى شاملة للاستقامة فى المقامات كالوسط بين التشديد والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ لقضى بينهم ﴾ يعنى لمذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم ﴿ وانهم انى شك منه ﴾ يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد ﴿ مريب ﴾ يعنى انهم قد وقعوا فى الريب والتهمة ﴿ وان كلا ﴾ يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب ﴿ لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ اللام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت ففقه وعدل المحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذبين الكافرين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فاستقم كما أمرت ﴿ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر فى فاستقم للتأكيد لان

(النى)

استقامة مثل الاستقامة لى أمرت بها غير عادل

أمتك (لقضى بينهم) لفرغ من هلاكهم ولجاء هم العذاب (وانهم انى شك منه مريب) ظاهر الشك (وان كلا) كلا الفريقين (لما ليوفينهم) يقول يوفىهم (ربك أعمالهم) ثواب أعمالهم بالحسن حسنا وبالسى سيئا (انه بما يعملون) من الخير والشر والثواب والعقاب (خبر فاستقم) على طاعة الله (كما أمرت) فى القرآن

عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وجاز للفصل يعني فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله
مخلصا (ولا تظفوا) ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿٣٦٧﴾ (انه بما { تعملون بصير } فهو مجازيكم

فاتقوه قيل ما نزلت على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آية كانت أشق عليه
من هذه الآية ولهذا قال
شيبتي هود (ولا تركنوا
الى الذين ظلموا) ولا تميلوا
قال الشيخ رحمه الله هذا
خطاب لاتباع الكفرة أي
لا تركنوا الى القادة
والكبراء في ظلمهم وفيما
يدعونكم اليه (فتمسك
النار) وقيل الركون اليهم
الرضا بكفرهم وقال قتادة
ولا تلحقوا بالمشركين وعن
الموفق انه صلى خاف الامام
فلما قرأ هذه الآية غشى
عليه فلما أفاق قيل له فقال
هذا فيمن ركن الى من ظلم
فكيف بالظالم وعن الحسن
جعل الله الدين بين لائين
ولا تظفوا ولا تركنوا وقال
سفيان في جهنم وادلا يسكنه
الانقراء الزأرون للماء
وعن الاوزاعي ما من شيء
أغضب الى الله من علم يزور
عاملا وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من دعا الظالم
بالبقاء فقد أجب أن يعصى
الله في أرضه واقدس سئل
سفيان عن ظلم أشرف
(ومن تاب معك) من الكفر

والاعمال من تباعج الوحي وبين الشرائع كما نزل والقيام بوظائف العبادات من غير
تضييق وإفراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام شيبتي سورة هود ﴿٣٦٧﴾ ومن تاب معك ﴿٣٦٧﴾ أي ومن تاب من الشرك والكفر
وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وإن لم يؤكد بفصل لقيام الفصل مقامه
﴿٣٦٧﴾ ولا تظفوا ﴿٣٦٧﴾ ولا تخرجوا عما حذر لكم ﴿٣٦٧﴾ انه بما { تعملون بصير } فهو
مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع
النصوص من غير تصرف وانحراف بخو قياس واستحسان ﴿٣٦٧﴾ ولا تركنوا الى الذين
ظلموا ﴿٣٦٧﴾ ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالزني بزبهم وتعظيم
ذكرهم ﴿٣٦٧﴾ فتمسك النار ﴿٣٦٧﴾ بركونكم اليهم وإذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما
كذلك فإظنك بالركون الى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم

النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقاء قم حتى
آتيك أي دم على مأنت عليه من القيام حتى آتيك ﴿٣٦٧﴾ ومن تاب معك ﴿٣٦٧﴾ يعني ومن
آمن معك من أمتك فليستقيوا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب
الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه وغان الثعلب (م) عن
سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت لرسول الله قل لي في الاسلام قول لا أسأل عنه احدا
بعدك قل قل آمنت بالله ثم استقم ﴿٣٦٧﴾ ولا تظفوا ﴿٣٦٧﴾ يعني ولا تتجاوزوا أمرى الى غير
ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم عنه ﴿٣٦٧﴾ انه بما { تعملون
بصير } يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس
ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال
شيبتي هود وأخواتها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للدين
يسر وإن يشاد الدين أحد الأغلب فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشئ من الدلجة قوله إن للدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل
في الدين وترك التشدد فإن هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب وإن يتقاوى
فسددوا أي أقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا أي أطلبوا المقاربة
وهي التمسك الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والروحة الرجوع
عشيا والمراد منه اعلموا أطراف النهار وقتا وقتا والدلجة سير الليل والمراد منداعلوا
بالنهار واعلموا بالليل أيضا وقوله شئ من الدلجة إشارة الى تعاقبه ﴿٣٦٧﴾ وقوله تعالى
﴿٣٦٧﴾ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴿٣٦٧﴾ قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة
والميل بالقلب وقال أبو العباس لا ترضوا بأعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة
وعن عكرمة لا تظفهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا ﴿٣٦٧﴾ فتمسك النار ﴿٣٦٧﴾ يعني

والشرك أيضا فليستقم معك (ولا تظفوا) لا تكفروا ولا تعصوا بما أنزل القرآن من الحلال والحرام (انه بما { تعملون بصير } من الخير
والشر { بصير } ولا تركنوا) لا تميلوا (الى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي (فتمسككم) فتمسككم (النار) كانصبيهم

نفسه والانياس فيدولعل الآية باغ ما تصور في النهي عن الظلم والتعدي عليه وخلاص
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معد من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي
المدل فان الزوال عن الباطل الى احد طرفي افراط وتفرط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم
في نفسه وقرى تركوا فتسكن النار بكسر التاء على لغة عجم وتركوا على البناء للمفعول من
اركنه ومالك من دون الله من اولياءكم من انصار يعنون العذاب عنكم والواو للعصال
ثم لا تنصرون ثم أي ثم لا ينصركم كما الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم ثم
لاستبعاد نصره اياه وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلة منزلة
الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يتقدر على نصرهم انفع ذلك انهم
لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية واتصبا على الظرف لانه

فتصيبكم النار بحرها ومالك من دون الله من اولياءكم يعني أعوانا وأنصارا يمتدونكم
من عذابه ثم لا تنصرون ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله
غدا في القيامة ففقدوا عيدين ركن الى الظلمة اوردني ما عملهم أو أحبه فكيف حال الظلمة
في انفسهم تعود ذلته من الظلم قوله عن وجل واقم الصلوة طرفي النهار بسبب زول
هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو
أطيب منه فدخلت من البيت فاهوت اليها فقبضت فابتكرت ذلك لم فقال استر على
نفسك وتب ولا تخبر أحدا في أصبر فقلت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك
وتب ولا تخبر أحدا في أصبر فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له
فقال أخلفت نظرا في سيدك الله في أهله مثل هذا حتى تخني الله ما يكن أسوأ من ذلك
الساعة حتى ظن أنه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بطورا
حتى أوحى الله اليه واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرني
لذا كرى قال أبو اليسر فأتته فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيتها رسول الله
ألهذا خاصة أم للناس عامة قال للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب
وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله
ابن مسعودان رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له
فنزلات وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألي
هذه الآية قل لمن عل بها من أمي وفي رواية فقال رجل من القوم يأنى الله هذه له
خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل
فقال يا رسول الله أرأيت رجلا لي امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتى الرجل الى
أمرأة شي الا قد أتى هو وهما الا ان لم يجامعا قال فانزل الله عن وجل واقم الصلوة
طرفي النهار وزلفا من الليل ان النساء يذهبن السيآت ذلك ذكرني لهذا كرى
قاصد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويعمل في معاذ فقلت يا رسول الله أعني له
خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث

على الهالك في برية هل
يسقى شربة ماء فقبل لا فقبل
لدي موت قال دعه يموت (وما
لكم من دون الله من اولياء)
حال من قوله فتسكن النار
أي فتسكن النار وأنتم على
هذه الحالة وماء ومالك
من دون الله من اولياء
يتقدرون على منعكم من
عذابه ولا يتقدر على منعكم
منه غيره (ثم لا تنصرون)
ثم لا ينصركم هو لانه حكم
بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد
أي النصرة من الله مستبعدة
(واقم الصلوة طرفي النهار)
غدوة وعشية

(ومالك من دون الله)
من عذاب الله (من اولياء)
من اقرباء تحفظكم من
عذاب الله (ثم لا تنصرون)
لا تمنعون مما اراد بكم
(واقم الصلوة) اتم الصلوة
(طرفي النهار) صلاة الغداة
والظهر ويقال صلاة الغداة
والناهر والعصر

(وزلفا من الليل) وساعات
من الليل جمع زلفه وهي
ساعاته القريبة من آخر
النهار من أزلفه اذا قرب
وصلاة الغدوة والفجر وصلاة
العشية الظهر والعصر
لان ما بعد الزوال عشي
وصلاة الزلف المغرب
والعشاء وانصب طرفي
النهار على الطرفين لانهما
مضافان الى الوقت كقولك
أقمت عنده جميع النهار
وأنت نصف النهار وأوله
وأخره تنصب هذا كله
على اعطاء المضاف حكم
المضاف اليه ان الحسنات
يذهبن السيئات ان الصلوات
الخمس يذهبن الذنوب
وفي الحديث ان الصلوات
الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب
أو الطاعات قال عليه السلام
اتبع السيئة الحسنة تمحها
أو سبحان الله والحمد لله
ولاله الا الله والله اكبر

(وزلفا من الليل) دخول
الليل صلاة المغرب والعشاء
(ان الحسنات) الصلوات
الخمس (يذهبن السيئات)
يكفرن السيئات دون الكبائر
ويقال سبحان الله والحمد لله
ولاله الا الله والله اكبر

مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات مندقريبة من النهار فانه من أزلفه اذا قرب وهو
جمع زلفه وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية
العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وقرى زلفا بضمين وخمة وسكون كبسر وبسرى بسرة وزلفى بمعنى زلفه كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا أتى النبي صلى الله تعالى
ليس يتمسك لان عبدالرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذة أما التفسير فقوله سبحانه
وتعالى وأقم الصلوة طرفي النهار يعنى صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار
يعنى صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال
مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعنى
صلاة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب
والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعنى صلاة الصبح والمغرب
قال الامام فخر الدين الرازى كثرت المذاهب فى تفسير طرفي النهار والاشهر أن الصلوة
التي فى طرفي النهار هى الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس
والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون
صلاة المغرب لانها داخلية تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني
على صلاة العصر وزلفا من الليل يعنى واقم الصلوة فى زلف من الليل وهى
ساعته واحدها زلفه وأصل الزلفه المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء ان
الحسنات يذهبن السيئات يعنى ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م)
عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى
الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية ما لم تنفش الكبائر وزاد فى رواية أخرى ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) عن أبي هريرة أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل
يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذاك مثل الصلوات الخمس يحو الله
بها الخطايا (خ) عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات
الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال
الحسن وما يبق من الدرر قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات
مثل الصلوة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر
من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الشرط الاول
الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه
فى المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى
وقال مجاهد فى تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولاله الا الله والله

(ذلك) إشارة الى فاستقم فابعده أو القرآن (ذكرى لذا كرين) عظة للمتعبين نزات في عربون غزوية الانصارى بائع التمرد
لامرأة في البيت تمراجعود دخلت قريبا فاندتم فناء حاكيا با كيف انزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة
ألك فتقبل ألم خاصة بل للناس عامة (واصبر) على امثال ما أمرت بدو الانتهاء عما نهيت عند فلا يتم شيء منه الا به
(فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتق على جميع الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من
الحسنات (فولولا كان من القرون الجزء الثاني عشر { من قبلكم } ٣٧٠) فهذا كان وهو موضوع للتخصيص

ومخصوص بالفعل (أولوا
بقية) أولو فضل وخير
وسمى الفضل والجودة
بقية لان الرجل يستبقى
مما يخرج جوده وأفضله
فصار مثلا في الجودة
والفضل ويقال فلان من
بقية القوم أى من خيارهم
ومند قولهم في الزوايا
وفي الرجال بقايا (يرون

عن الفساد في الارض) عجب
محمد عليه السلام وأمتد ان
لم يكن في الامم التي ذكر
الله اهل اكهم في هذه السورة
جماعة من أولى العقول
والدين يرون غيرهم عن
الكفر والمعاصي (الاقيلا
من انجينا منهم) استثناء
منقطع أى ولكن قليلا
من انجينا من القرون نهوا
عن الفساد وسائرهم تاركون
لانهى ومن في من انجينا
لبيان لا للبعث لان النجاة
لناهيين وحدهم بدليل

عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير انى لم آتيا فنزلت ذلك إشارة الى قوله فاستقم
وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى لذا كرين عظة للمتعبين واصبر على الطاعات وعن
لما مضى فان الله لا يضيع أجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المتعود ودليلا
على ان الصلاة والصبر احسان واثابا لا يمتد بهما دون الاخلاص فلو لا كان فهذا كان
من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأى والعقل أو أولو فضل وانما سمى بقية لان الرجل
يستبقى افضل ما يخرج جوده منه يقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا
كالتقية أى ذروا بقاء على انفسهم وصيانة لهما من العذاب ويؤيدانه قرى بنية وهى المرة
من مصدر بقاء ببقية اذا راقب يهون عن الفساد في الارض الا قليلا من انجينا منهم
لكن قليلا منهم انجينا هم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء
من النفي اللازم للتخصيص

أكبر والقول الاول أجمع انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس
وابن المسيب ومجاهد في إحدى الروايتين عندوكعب القرظي والضمح والجمهور المفسرين
من ذلك إشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو إشارة الى
القرآن ذكرى لذا كرين معنى عظة للمؤمنين المطيعين واصبر على الخطاب
لله تعالى الله عليه وسلم معنى واصبر يا محمد على أذى قومك وما نالهم منهم وقيل
معناه واصبر على الصلاة فان الله لا يضيع أجر المحسنين أى أى أعمالهم قال ابن
عباس معنى المسلمين قوله سبحانه وتعالى فلو لا كان من القرون فلهذا
كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم أى يا أمة محمد أولوا بقية أى
أولو تحيز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية
من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة حمودة يهون عن الفساد
في الارض أى يعنى يقومون بالنهى عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ
يعنى لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم الا
قليلا هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا من انجينا منهم أى من آمن من
الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا يهون عن الفساد في الارض

(واتبع)

قولا انجينا الذين يهون عن سوء واخذنا الذين ظلموا

(ذلك ذكرى لذا كرين) توبة للتائبين ويقال كفارات لذنوب التائبين نزات في شأن رجل تمار يقال له أبه اليسرين عمرو
(واصبر) يا محمد على ما أمرت وعلى أذا هم (فان الله لا يضيع) لا يبطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول
والفعل (فلولا كان من القرون) يقول لم يكن من القرون الماضية (من قبلكم أولوا بقية) من المؤمنين (يهون عن الفساد
في الارض) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وسائر المعاصي (الا قليلا من انجينا منهم) من المؤمنين

(واتبع الذين ظلموا) أى التاركون للنهى عن المنكر وهو عطف على مضمرة أى الاقليات من أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (ما ترفوا فيه) أى اتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والترفيه من حب الرياسة والثروة وطالب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الامر ٣٧١ - بالمعروف والنهى { سورة هود } عن المنكر ونبذوه وراء

ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفي (بظلم) حال من الفاعل أى لا يصح أن يهلك الله القرى ظالماتها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيه الذات عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمنون الى شركهم فسادا آخر (ولو شاء ربك لجلد الناس امة واحدة) أى متفتقين على الايمان والطاعات عن الاختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هى مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) فى الكفر والايمان أى ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار

(واتبع الذين ظلموا) اشتغل الذين اشركوا (ما ترفوا فيه) بما نعيموا فيه فى الدنيا من المال (وكانوا

واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه) أى ما نعيموا فيه من الشهوات واهتوا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فساد الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف على مضمرة دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينها عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقضى واتبع أى واتبعوا جزاء ما ترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة وبعضه تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرى وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمنون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لغرط رحمة ومساخطة فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراجم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجلد الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لانكاد

واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه) يعنى واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ما نعيموا فيه والترفع التمتع والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وابتار اللذات على الآخرة ونعيمها وكانوا مجرمين كافرين (وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم) يعنى لا يهلكهم بظلمهم (وأهلها مصلحون) يعنى فى أعمالهم واكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل فى معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والساد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا أماعذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المساخطة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق والتشديد قوله عز وجل ولو شاء ربك لجلد الناس امة واحدة يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ولا يزالون مختلفين يعنى على اديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا فى دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبوداود والترمذى بنحوه عن معاوية رضى الله عنه قال قام فينا رسول

مجرمين) مشركين (وما كان ربك ليهلك) أهل (القرى بظلم) منهم (وأهلها مصلحون) فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم وأهلها مصلحون مقيمون على الطاعة مستمسكون بها (ولو شاء ربك لجلد الناس امة واحدة) لجمعهم على ملّة واحدة ملّة الاسلام (ولا يزالون) ولكن لا يزالون (مختلفين) فى الدين والباطل

الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذى علم انهم يصيرون اليه من اختلاف أو اتفق ولم يخلفهم لغير الذى علم انهم يصيرون اليه كذا فى شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلم بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (مانتبت به فؤادك) بدل من كلا

(الامن رحم) اعصم (ربك) من الباطل والاديان المختلفة وهم المؤمنون (ولسانك خلقهم) لدرجة خلق أهل الرحمة والاختلاف خلق أهل الاختلاف (وتمت كلمة ربك) يجب قبول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس) من كفار الجن والانس (أجمعين وكلا نقص عليك) كما بينت لك (من أنباء الرسل) من أخبار

تجد اثنين يفتقران مطلقا إلى الامن رحم ربك { الاناس اهداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه } ولذلك خلقهم { ان كان الضمير للناس فلا إشارة الى الاختلاف والالام للعاقبة أو اليه الى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة } وتمت كلمة ربك { وعيده أو قوله للملائكة } لأملأن جهنم من الجنة والناس { أى من عصائهم } أجمعين { او منهم أجمعين } لامن احدهما { وكلا } وكل نبأ { نقص عليك من أنباء الرسل } نخبول به { مانثبت به فؤادك } بيان لكلا أو بدل مندوفائده التنيه على المقصود من الاختصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار أو مفول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع

الله صلى الله عليه وسلم فقال لأن من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود قال الخطيبى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى فيد دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمتيه وقول غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعدد كاخوارج والتدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله { وقوله سبحانه وتعالى } { الا من رحم ربك } يعنى لكن من رحم ربك فمن عايد بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون { ولذلك خلقهم } قل الحسن وعطاء والاختلاف خلقهم قل أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس وعبيد وقسادة والنخول والرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقل القراء خلق أهل الرحمة لدرجة خلق أهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لأن يختلفوا وخلق الجنة وخلق أهل أهلا وخلق النار وخلق أهل أهلا فحاصل الآية ان الله خلق اهل الباطل وجماعهم مختلفين وخلق اهل الحق وجماعهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة وبدل على نسخة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى { وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين } وهذا صرح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقههم لأعمال أهل الجنة وخلق أقواما للخلافة والنار فخذاهم ومنعهم من الهداية { قوله سبحانه وتعالى } { وكلا نقص عليك من أنباء الرسل } مانثبت به فؤادك { لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل

(وجاءك في هذه الحق) أى في هذه السورة أوفى هذه الانباء المقتصة ما هو حق (وموعظة و ذكرى للمؤمنين) ومعنى تثبت فتواده زيادة يقينه لان تكرار الادلة أثبت للقلب (وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا على مكاتكم) على حالكم وجهتكم ﴿٣٧٣﴾ التى أنتم ﴿سورة هود﴾ عليها (انا عاملون) على مكاتنا (وانظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون)

أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما جرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (والله العابد) وماربك بغافل عما تعملون ﴿انت وهم فيما جازى كلا ما يستحقه﴾ قرأ نافع وابن

يعنى من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما ثبت به فتوادك يعنى ما تقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومك وأمكنه الصبر عليه ﴿وجاءك﴾ يا محمد ﴿في هذه الحق﴾ اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فتبيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيد بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاء الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يازم من تخصيص هذه السورة بالذكر أن لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها ﴿وموعظة و ذكرى للمؤمنين﴾ أى وهذه السورة موعظة تعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعلموا على مكاتكم﴾ فيه وعيد وتهديد يعنى اعلموا ما أنتم عاملون فستعملون عاقبة ذلك العمل فهو كقولهم اعلموا ما شئتم ﴿انا عاملون﴾ يعنى ما أمرنا به ربنا ﴿وانظروا﴾ يعنى ما بعدكم به الشيطان ﴿انا منتظرون﴾ يعنى ما يحل بكم من تقمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الآخرة ﴿ولله غيب السموات والارض﴾ يعنى يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء ﴿والله يرجع الامر كله﴾ يعنى الى الله يرجع امر الخلق كله في الدنيا والآخرة ﴿فاعبده﴾ يعنى ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشغل بعبادة غيره ﴿وتوكل عليه﴾ يعنى وثق به في جميع أمورك فانه يكفيك ﴿وماربك بغافل عما تعملون﴾ قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها

(وجاءك في هذه) السورة (الحق) خبر الحق (وموعظة) من المعاصي (وذكرى) للمؤمنين (وقل للذين لا يؤمنون) بالله وباليوم الآخر وباللائكة وبالكتب وبالنبين (اعملوا على مكاتكم) على دينكم في منازلكم بهلاكى (انا عاملون) في هلاككم (وانظروا) هلاكى (انا منتظرون) (ولله غيب السموات

والارض) ما غاب عن العباد (والله يرجع الامر) الى الله يرجع امر العباد (كله) في الآخرة (فاعبده) (وتوكل عليه) ثقبه (وماربك بغافل عما تعملون) من

هذه الآية وفي الحديث من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ﴿سورة يوسف عليه السلام وهي مائة وأحدى﴾ الجزء الثاني عشر ١ عشرة آية - ٣٧٤ ﴿شامى واثناعشرة مكي﴾

عامر وحفص بالتاء عن ابي آخر الزنل * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى
 - سورة يوسف عليه السلام مكية وآيهامائة واحدى عشر -
 - قيل الاثلاث آيات من اولها -

- بسم الله الرحمن الرحيم -

الرتك آيات الكتاب المبين ﴿تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها انهما من عند الله أو لليهود ماسأوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت نبيء فيجزي احسن باحسانه والمسيء باساءته قل كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده واسرار كتابه

- تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام -

وهي مكية باجاءهم وهي مائة واحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قمصت علينا فانزل الله تعالى أرتك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثانى رواه الضعيف عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل أرتك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

- بسم الله الرحمن الرحيم -

* قوله عز وجل ﴿الر﴾ تقدم تفسيره فى أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴿تلك﴾ اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التي أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالرهاة ﴿آيات الكتاب المبين﴾ وهو القرآن أى البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بيند الله ببركته وهده ورشده فهذا من بان أى ظهر وقل الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من بان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الر﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها انهما من عند الله أو لليهود ماسأوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت نبيء فيجزي احسن باحسانه والمسيء باساءته قل كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده واسرار كتابه

المعاشى ويقال ببارك عقوبة ما تعملون كالم يغفل ﴿ومن السورة التي يذكر فيها يوسف وهي كلها مكية آياتها مائة واحدى عشرة وكلها ألف وستمائة وست وستون حرفا فيها سبعة آلاف ومائة وست وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبأسناده عن ابن عباس فى

قوله تعالى (الر) يقول أنا الله ارى ما تعملون وان ما تشرأع عليكم محمد صلى الله عليه وسلم هو كلامى (انا) ويقال قسم اقسامه (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين الحلال والحرام والامر

يوسف عليه السلام (انا أنزلناه ﴿٢٧٥﴾ قرآنا عربيا) أي ﴿سورة يوسف﴾ أنزلنا هذا الكتاب الذي

فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه ولوجهلائه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقةها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالتقص والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإيحاءنا إليك هذا هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لضافته إليه والخصوص محذوف لأن والهي (انا أنزلناه قرآنا عربيا) يقول انا أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد على عبري لغة العربية (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا ما رتبتم بدوامهم عنده (نحن نقص عليك) نبين لك (أحسن القصص) أحسن الخبر من

﴿ انا أنزلناه ﴾ أي الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ سمي البعض قرآنا لأنه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالقلبة ونعبد على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ علته لانزاله بهذه الصفة أي أنزلناه مجموعا أو مقروا ببلغتكم كي تفهموه ونحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فعملوا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يعلم القصص مجز لا يتصور الا بالايحاء ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ أحسن الاقتصاص لأنه اقتص على ابدع الاساليب أو أحسن ما ينقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والمعبر فعل بمعنى مفعول كالتقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه ﴿ بما أوحينا ﴾ أي بإيحاءنا ﴿ اليك هذا القرآن ﴾ يعني

﴿ انا أنزلناه ﴾ يعني هذا الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أي أنزلناه ببلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لمقات اليهود لمشركي مكة تساوا لحد أصلي الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبودية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لأنه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شيء غير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا غير العربية فتد قال غير الحق وأعظم على الله القول واحجج بهذه الآية انا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس وتجاهد وعكرمة أن في غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة والهم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح اختار لأن هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجد الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصححة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ يعني تفهمون أيها العرب لأنه نازل ببلغتكم ﴿ قوله تعالى ﴾ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴿ الاصل في معنى القصص اتباع الخبر ببعضه بعضا والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قص الاثر اذا تبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي ينقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والفرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والاماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الدرسية قال خالد بن معدان سورة يوسف سورة مريم يتفكهن بها أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف يحزون الاستراح اليها ﴿ وقوله تعالى ﴾ بما أوحينا إليك ﴿ يعني بإيحاءنا إليك يا محمد ﴿ هذا القرآن

أخبار يوسف واخوته (بما أوحينا إليك) بالذي أوحينا إليك جبريل به (هذا القرآن) في هذا القرآن

بما أوحى إليك هذا القرآن معن عنه والمراد باحسن الاختصاص انه اقتص على أبداع طريقة وأجيب أسلوب فانك لا ترى اقتصاصه في كتب الاولين مقار بالاختصاصه في القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فعناه نحن نقص عليك احسن ما ينقص من الاحاديث وانما كان احسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليست في غيره والظاهر انه احسن ما يقتص في باب كيقال فلان أعلم الناس أي في فندو الجزء الثاني عشر اشتقاق القصص من قص ٣٧٦ أثره اذا تبعه لان الذي يقتص الحديث

يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عذبان مخففة من الثقلية واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وان الشأن والحديث كنت من قبل ايجازاً اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل اشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر اذ قال (يوسف) اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربياً لانصرف لخواه عن سبب آخر سوى التعريف (لايبد) يعقوب (بأبت) ابت شامي وهي تاء التأنيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبها لان كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلت هاء في الوقت وجاز الحق تاء التأنيث بالذكر كما في رجل ربعة وكسرت التاء لئلا على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من ياءتواستبقى الفتحمة قبلها كما فعل من حذف الياء في

السورة ويجوز ان يحمل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرر سمك قط وهو تعليل لكونه موجي وان هي الخففة من الثقلية واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولاً بدلاً لاشتمال أو منصوب باختمار اذكر يوسف عبري ولو كان عربياً لصرّف وقرئ بفتح السين وكسرها على التعليل لاعلى انه مضارع بني للمفعول أو الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بحجته لا يبد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ياب ت اصله يابني فموض عن الياء تاء التأنيث لتناسبها في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقت ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها ولانه كان ياباً فحذف الالف وبقي الفتحمة وانما جازيا لتا ولم يجز يا بتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالياء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاسلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لا تقتصص رؤياك وقوله هذا أول رؤياي من قبل احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى

وان كنت أي وقد كنت من قبله يعني من قبل وحين اليك لمن الغافلين يعني عن هذه القصة وفيها من العجائب قل سمع بن أبي وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأله عليه زما فاقوا الوار رسول الله اوحى لنا فنزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قمصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرنا فنزل الله عز وجل ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل اذ قال يوسف لا يبد أي اذكر يا محمد لقوله قول يوسف لا يبد يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجزى فيه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمع في يوسف فسمي به ياب ت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

يا غلام (اني رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماؤها ببيان النبي عليه السلام جريان ولذالك (رأيتهم) والطارق وقابس وعودان والفاق والخضج والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه وأبوه وخالته (وان كنت) وقد كنت (من قبله) من قبل نزول جبريل عليك بالقرآن (لمن الغافلين) عن خبر يوسف واخوته (اذ قال) قد قال (يوسف لا يبد ياب ت اني رأيت) في منام النهار (أحد عشر كوكبا) نزلن من أما كهن وسجدن لي سجدة التحية زهم اخوته أحد عشر اخا (والشمس والقمر

والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء فى (رأيتهم لى ساجدين) لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء ^{٣٧٧} وهو السجود { سورة يوسف } وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالخال او الثانية كلام مستأنف

على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أى متواضعين وهو حال وكان ابن ثنى عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصر اخوته اليه أربعون سنة أو ثمانون (قال يابى) بالفتح حيث كان حفص (لا تنقص رؤياك) هى بمعنى الرؤيا لا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة وفرق بينهما بخبر فى التأنيث كافى القربة والقربى (على اخوتك فيكيدوا لك) جواب الشئ أى ان قصدتها عليهم كأدوك عرفت يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع اداة معنى الفعل المضمن فيكون أكيد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو ففتحوا لك الأترى الى تأكيده بالمصدر وهو (كيدا

عن جابر رضى الله عنده ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رأى يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جربان والطسارق والتدبال وقابس وعمودان والفليق والمصمغ والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين وآهنا يوسف والشمس والقمر نزان من السماء وسجدن له فقال اليهودى أى والله انها لاسماؤها ^{٣٧٧} رأيتهم لى ساجدين ^{٣٧٧} استأنف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بتواضعهم ^{٣٧٧} قال يابى ^{٣٧٧} تصغير ابن صغيره للشفقة أو لصغر السن لأنه كان ابن اثنى عشرة سنة ^{٣٧٧} وقرأ حفص هنا فى العاصفات بفتح الياء ^{٣٧٧} لا تنقص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ^{٣٧٧} ففتحوا لاهلاك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته وينفقه

رأيتهم لى ساجدين ^{٣٧٧} معناه قال أهل التفسير رأى يوسف فى منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم فى التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كاستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه فى قول قتادة وقال السدى القمر خالد لان أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثنى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لأنه كان فى ذلك الزمان التحية فيها بينهم السجود ^{٣٧٧} فان قلت ان الكواكب جهاد لا تعقل فكيف عبر عنها بكتابة من يعقل فى قوله رأيتهم ولم يقل رأيتهم او قوله ساجدين ولم يقل ساجدات ^{٣٧٧} قلت لما أخبرها بشئ من يعقل وهو السجود كنى عنها بكتابة من يعقل فهو كقولها يابى ^{٣٧٧} النمل ادخوها مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمجتهبين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكتابة من يعقل وهذا القول ليس بشئ ^{٣٧٧} والاول أسخ ^{٣٧٧} فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد لفظ الرؤيا تأنيذا فقال رأيتهم لى ساجدين ^{٣٧٧} ففائدة هذا التكرار ^{٣٧٧} قلت معنى الرؤيا الاولى رأى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قيل له وكتب رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلها وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديدا يحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان اخوته وأبويده يخضعون له فلهذا ^{٣٧٧} قال ^{٣٧٧} يعقوب ^{٣٧٧} يابى ^{٣٧٧} لا تنقص رؤياك على اخوتك ^{٣٧٧} معنى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها ^{٣٧٧} فيكيدوا لك كيدا ^{٣٧٧} أى ففتحوا

رأيتهم لى ساجدين يقول رأيت الشمس والقمر (قال و خا ٤٨ لث) نزل من أمكنتهما ومجسا لى سجدة التحية وهما أبواه راحيل ويعقوب (قال) يعقوب ليوسف فى السر (يابى) اذا رأيت رؤيا بعد هذا (لا تنقص) لا تخبر (رؤياك على اخوتك) لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيدا) ففتحوا لك حيلة يكون فيها هلاك

على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيتهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم
فترق بينهما بحر في التأنيث كالتقربة والتقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق
التخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها لما تكون باتصال النفس بالملكوت لمسا بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان التخيلة تحاكيه بصورة تناسبية فتربسها الى الحس المشترك فتصير
مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكيفية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والاحتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعدد
بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيذا ولذلك اكذبنا صدر وعلمه بقوله **ان الشيطان**
للانسان عدو مبين **ظاهر العداوة** كما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهدا في

في اهلا تلك فمره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحي وحق واللام في فيكيديوا
لك كيذا تأكيذا لاصلة كقولك نصحتك وانصحتك وشكرتك وشكرتك **ان الشيطان**
للانسان عدو مبين **يعنى** انه بين العداوة لان عداوته قديمة فنهيم ان أقدموا على الكيذا كان
ذلك مضافا الى تزوين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة رضى الله عنه قال كنت أرى
الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا
السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم
ما يكره فليبتل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره
(خ) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها ولا يحدث بها واذا رأى
غير ذلك فليكره فانها من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها
لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصدق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا
وليتحول عن جنبه الذى كان عليه **عن أبي رزين** العجلي رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعة **وفي رواية** جزء من ستة وأربعين جزءا من
النبوذة وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قل وأحسبه قل ولا يحدث
بها الا لبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذى ولأبي داود ونحوه قال الشيخ محي الدين النووى قال
المازرى مذهب أهل السند في حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخاق في قلب النائم اعتقادات كالتخلفات
في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يتعنه نوم ولا يقظة فاذا خاق هذه
الاعتقادات فكأنه جمعها علما على أمور أخر يجعلها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى
ولكن يخاق الرؤيا والاعتقادات اتى بجمعها علما على ما يضر بغير حضرة الشيطان
فاذا خاق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان
كار لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من
الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئا والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال

ان الشيطان للانسان عدو
مبين (ظاهر العداوة
فيجعلهم على الحسد والكيد
(ان الشيطان للانسان)
لبنى آدم (عدو مبين) ظاهر
العداوة يجعلهم على الحسد

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتناء الذي دلت عليه رؤياك (يحتيك ربك) يصطفيك والاجتناء والاصطفاء افعال من جيت
 شيء اذا حصلته لنفسك وجيت الماء ٣٧٩ في الحوض { سورة يوسف } جمته (ويعلمك) كلام مبتدأ

غير داخل في حكم التشبيه
 كأنه قيل وهو يعلمك (من
 تأويل الاحاديث) أي
 تأويل الرؤيا وتأويلها
 عبارتها وتفسيرها وكان
 يوسف أعب الناس للرؤيا
 أو تأويل أحاديث الانبياء
 وكتب الله وهو اسم جمع
 للحديث وليس بجمع
 أحادثة (ويتم نعمته عليك
 وعلى آل يعقوب) بأن
 وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة
 الآخرة أي جعلهم أنبياء
 في الدنيا وملوكا ونقلهم
 عنها إلى الدرجات العلى
 في الجنة وآل يعقوب أهله
 وهم نسله وغيرهم وأصل
 آل أهل بدليل تصغيره على
 أهله لأنه لا يستعمل إلا
 فيمن له خطر يقال آل
 النبي وآل الملك ولا يقال
 آل الحجاج ولكن أهله وإنما
 علم يعقوب أن يوسف يكون
 نبيا وأخته أنبياء استدلالا
 بضوء الكواكب فلذا قال
 وعلى آل يعقوب (كما
 أتمها على أبويك من قبل)
 أراد الجد وأبا الجد (ابراهيم
 واسحق) عطف بيان
 لأبويك

(وكذلك) هكذا
 (يحتيك) يصطفيك (ربك)

تسويلهم وأثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك أي وكما اجتنبك لمثل
 هذه الرؤيا الدالة على شرف وعن وكان نفس يحتيك ربك بالنبوة والملك أو
 لأمور عظام والاجتناء من جيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ
 خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لأنها
 احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس أو الشيطان ان كانت كاذبة أو من تأويل
 غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كما بطل اسم
 جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
 وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيده وأمله استدلال على نبوتهم بضوء الكواكب
 أو نسله كما أتمها على أبويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلقة والانجاء من النار وعلى
 اسحق بالتقادة من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل أي من قبلك أو من قبل هذا
 الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لأبويك

غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان
 كانتا جميعا من خلق الله وتديره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يخضر المكروهة
 ويرتشمها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذ رأى ما يكره فلا
 يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلثا ولا يتحول إلى جنبه الآخر
 فانهم الانضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا
 لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم قوله تعالى وكذلك يحتيك ربك يعني
 يقول يعقوب ويوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا
 الشريفة العظيمة كذلك يحتيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتناء الله تعالى العبد
 تخصيصه إياه بقبض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلاسعى من العبد وذلك
 مختص بالانبياء أو بعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين ويعلمك
 من تأويل الاحاديث يعني به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لأنه يؤل أمره إلى ما رأى في
 منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيمأرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة
 والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة
 والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة ويتم نعمته عليك يعني
 بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون
 درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتبة والمناصب
 وعلى آل يعقوب المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام
 النعمة عليهم كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق بأن جعلهما نبين
 وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله

بالنبوة (ويعلمك من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا (ويتم نعمته عليك) بالنبوة والاسلام أي يميئك على ذلك (وعلى آل يعقوب)
 بك أي ويتم نعمته على أولاد يعقوب بك (كما أتمها) نعمته بالنبوة والاسلام (على أبويك من قبل) من قبلك (ابراهيم واسحق)

معنى تنكيرها وإخلاؤها عن يوسف ولهذا الإبهام نصبت الظروف المهمة (يخل لكم وجه) أيكم يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم { الجزء الثاني عشر } والمراد ٣٨٢ سلامة محبته لهم ممن يشاركون فيها

منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المهمة ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ جواب الأمر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكلية عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد ﴿وتكونوا﴾ جزم بالمعطف على يخل أو نصب باضماران ﴿من بعده﴾ من بعد يوسف والفراغ من أمره أو قتله أو طرحه ﴿قوموا صالحين﴾ تأييداً إلى الله تعالى عما جئتم أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعد زعمه أنه أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم ﴿قل قائل منهم﴾ يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً وقيل روبيل ﴿لا تقتلوا يوسف﴾ فإن القتل عظيم ﴿والقوة في غيابة الجب﴾ في قعره سمى بدله فيؤبته عن عين الناظرين • وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كأنه تلك الجب غيابات • وقرئ

يخل لكم وجه أبيكم ﴿لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال أخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تباعد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل إلا باحد طريقين إما القتل مرة واحدة أو التغريب إلى الأرض يحصل اليأس من اخذاعه بأبيه بأن تفتريه الأسد والسباع أو يعوت في تلك الأرض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أبيكم والمعنى أنه قد شغله حب يوسف عنكم فإذا فعلتم ذلك بيوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته إليكم ﴿وتكونوا من بعده﴾ يعني من بعد قتل يوسف أو إبعاده عن أبيه ﴿قوموا صالحين﴾ يعني تأييد فتوبوا إلى الله يعف عنكم فتكونوا قوموا صالحين وذلك أنهم لما علموا أن الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا تتوب إلى الله من هذا الفعل وتكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أبيكم • فإن قلت كيف يليق أن تصدر هذه منهم وهم أنبياء قلت الجواب ما تقدم أنهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الأفعال قاذحة في عظمة الانبياء وإنما أقدموا على هذه الأفعال قبل النبوة وقيل إن الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبياً شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله ﴿قائل منهم لا تقتلوا يوسف﴾ يعني قال قائل من أخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً فيه فنهأهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح أن قائل هذه المقالة هو يهوذا لأنه كان أفرهم إليه سناً ﴿والقوة في غيابة الجب﴾ يعني القوة في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئاً وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمى بذلك لأنه لا ندب أي قطع ولم يظنوا وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب أن المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الأردن وقال مقاتل هو في أرض الأردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وإنما عنيوا ذلك الجب لليلة التي ذكروها وهي قولهم

فكان ذكر الإلهام تصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه وجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال وسبق وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفاً على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرخوا (قوموا صالحين) تأييداً إلى الله مما جئتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قل قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً (لا تقتلوا يوسف) فإن القتل عظيم (والقوة في غيابة الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني

(يخل لكم وجه أبيكم) يقول يقبل عليكم أبؤكم بوجهه (وتكونوا من بعده) من بعد قتله (قوموا صالحين) تأييداً من قتله ويقال صلحت حالكم مع أبيكم (قل قائل منهم) من أخوة يوسف وهو يهوذا

(يلتقطه)

لاخوته (لا تقتلوا يوسف والقوة) ولكن اطرخواه (في غيابة الجب) في أسفل الجب ويقال في ظلمته

(يلتقطه بعض السيارة)
 بعض الاقوام الذين
 يسيرون في الطريق
 (ان كنتم فاعلين) به شيئاً
 (قلوا يا ايانا مالك لا تأمننا
 على يوسف وانا له لناحقون)
 أى لم تخافنا عليه ونحن
 نريده الخير ونشفق عليه
 وأرادوا بذلك لما عزموا
 على كيد يوسف استنزاه
 عن رأيه وعادته في حفظه
 منهم وفيه دليل على أنه
 أحسن منهم بما أوجب ان
 لا يأمنهم عليه (أرسله معنا
 غدا نرتع) نتسع في كل
 الفواكه وغيرها والرتعة
 السعة (ونلعب) نتفرج
 بما يساه كالصيد والرمي
 والركض بالياء فيهما مدنى
 وكوفى وبالنون فيهما
 مكى وشامى وأبو عمرو
 وبكسر العين حجازى من
 ارتعى يرتعى افتعال من الرعى
 (يلتقطه) يرفعه
 (بعض السيارة) مارى
 الطريق من المسافرين
 (ان كنتم فاعلين) به أمرهم
 جاؤا الى أبيهم (قالوا)
 لايبهم (يا ايانا مالك لا تأمننا
 على يوسف وانا له لناحقون)
 حافظون (أرسله معنا غدا
 يرتع) يذهب ويحجى
 وينشط (ويلعب) يله

غنية وغيايات بالتشديد ﴿ يلتقطه ﴾ يأخذه ﴿ بعض السيارة ﴾ بعض الذين يسيرون
 في الارض ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ بمشورتى أو ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه
 ﴿ قالوا يا ايانا مالك لا تأمننا على يوسف ﴾ لم تخافنا عليه ﴿ وانا له لناحقون ﴾ ونحن
 تشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاه عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
 والمشهور تأمننا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما
 من كلمتين وتأمنا بكسر التاء ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ الى الصحراء ﴿ نرتع ﴾ نتسع في اكل الفواكه
 ونحوها من الرتعة وهى الخصب ﴿ ونلعب ﴾ بالاستباق والانتضال ﴿ وقرأ ابن كثير نرتع بكسر
 العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيد وفى يلعب ﴾ وقرأ الكوفيون ويعقوب
 بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف ﴿ وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر
 يلتقطه بعض السيارة ﴾ وذلك ان هذا الجب كان معروفاً رده عليه كثير من المسافرين والالتقاط
 أخذ الشئ من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض
 المسافرين ويذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ فيد اشارة الى ترك
 الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيئاً من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان
 كنتم فاعلين ذلك قال البغوى كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء الابعده وقيل لم
 يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا
 يا ايانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل
 فعلمهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير
 الذى لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعف الله عن ذلك
 كله حتى لا يأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله
 وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعاً وكل ذلك كان قبل ان نبأهم
 الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحبل ﴿ قالوا ﴾
 يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب ﴿ يا ايانا مالك لا تأمننا على يوسف ﴾ بدؤا بالانكار
 عليه فى ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا أنخافنا عليه اذا أرسلته معنا ﴿ وانا له
 لناحقون ﴾ المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والميل والمعنى وانا
 لما طفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير وذلك
 انهم قالوا لايبهم أرسله معنا فقال يعقوب انى ليحزنى ان تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك
 لا تأمننا على يوسف وانا له لناحقون ثم قال ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ يعنى الى الصحراء
 ﴿ نرتع ﴾ الرتع هو الاتساع فى الملاذ يقال رتع فلان فى ماله اذا انفق فى شهوته والاصل فى الرتع
 أكل البهائم فى الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير
 ﴿ ونلعب ﴾ اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصده
 مقصداً صحيحاً سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا
 يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح

(واناله لحافظون) من ان يناله مكروه (قال اني يحزنني ان تذهبوا به) أي يحزنني ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه) { الجزء الثاني عشر { غافلون) اعتذر ٣٨٤ الهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه

كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قالوا لئن أكله الذئب) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو في (ونحن عصبة) أي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (انا اذا لخاسرون) جواب ناقص مجزئ عن جزاء الشرط أي ان لم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا خسرها أو أجابوا عن عذره الثاني دون الاول لان ذلك كان يغيبهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) أي عزموا على القائه في البئر وهي بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره ففعلوا به فافعلوا من الاذى فتدروى (واناله لحافظون) مشفقون (قال) أي هوهم (اني يحزنني ان تذهبوا به) ولا أراه (وأخاف أن يأكله الذئب) لانه رأى في منامه ان ذئبا يشد عليه فمن ذلك قال وأخاف ان يأكله الذئب (وأنتم عنه غافلون) باللعب وسال مشفقون بعصاكم (قلوا)

العين ويلعب بالرفع على الابتداء (واناله لحافظون) ان يناله مكروه (قال اني يحزنني ان تذهبوا به) لشدة مفارقتها على وفلة صبري عنه (وأخاف ان يأكله الذئب) لان الارض كانت مذابة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همز هاء على الاصل ابن كثير ونازع في رواية قالون وابوعرو ووقفوا وعاسم وابن عامر درجاء ووقفوا وحزة درجاء واشتقاق من تدأبت امح اذا هبت من كل جهة (وأنتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالترع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن أكله الذئب) ونحن عصبة (اللام موطئة للقسم وجوابه) انا اذا لخاسرون (ضعفاء مغفونون أو مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن عصبة للحال (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) وعزموا على القائه في البئر بئر بيت المقدس أو بئر بارض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل ففعلوا به فافعلوا من الاذى فتدروى انهم

الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من التحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو وننشيط (واناله لحافظون) يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعني قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (اني يحزنني ان تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية أنه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين احدهما ان ذهابهم به ومفارقة اياه يحزنه لانه كان لا يتدبر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله (وأخاف ان يأكله الذئب) وأنتم عنه غافلون (يعني اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام ان ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب في أرضهم كثيرة (قالوا) يعني قال اخوة يوسف محبين ليعقوب (لئن أكله الذئب) ونحن عصبة (أي جماعة عشرة رجال) انا اذا لخاسرون (يعني عجزه وضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم تقدر على حفظ أخينا فكيف تقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا لخاسرون (قوله عن وجل (فلما ذهبوا به) ففعلوا باختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) يعني وعزموا على أن يلقوه في غيابة الجب

ذكر قصة ذهابهم يوسف عليه الصلاة والسلام

قل وهب وغيره من أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما تشاق ان

لايهمهم (ان أكله الذئب) ونحن عصبة (عشرة) انا اذا لخاسرون) اما جزون ويقال مغفونون بترك حرمة (نخرج) الوالد والاخ (فلما ذهبوا به) بعدما أذن لهم بذهابها (وأجمعوا أن يجعلوه) يقول اجتمعوا على ان يطرحوه (في غيابة الجب)

لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصة ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قصي اتواري به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه

تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له أنسل أباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ماتقول يا بني قال نعم يا أبت اني أرى من اخوتي اللين واللاطف فاحب ان تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقتهم ويحب مرضاته فاذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة واغلفوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا أبتاه يا يعقوب لورأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذوه رويلا وجلدوه الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف يهوذا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتي ما على هذا عاهدتموني الا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب اما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصه فقال يا اخوتاه ردوا على قصي لاستتربه في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني لم ارضأ فألقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه أئذعوني فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه ففهمهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرج له قيص ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين ألقى في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين ألقى في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما ألقى يوسف في الجب عذب مأوه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به

انهم لما برزوا به الى البرية أظهر والله العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه ففهمهم يهوذا فلما أرادوا ألقاه في الجب تعلق بثيابهم فترعوه ما من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قيصة ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم وادلوه في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تيممة علقها في عنق يوسف فاخرجه جبريل وألبسه اياه

في أسفل الجب

جبرائيل عليه السلام بالوحي كما قال ﴿واوحينا اليه﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مرادنا اوحى اليه في صغره كما وحي الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في ثنية علقها يوسف فاخرجه جبريل عليه السلام وألبسه اياه ﴿لتنبئهم بأمرهم﴾ هذا ﴿لتحدثهم بما فعلوا بك﴾ وهم لا يشعرون ﴿انك يوسف اعلو شأنك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناساله وتطيبها بقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل

فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذارهبت شيئا فقل يا صريح المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الحب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقى يوسف في الحب قال يا شاهدنا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فابات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقى في الحب فقال الضمك ست سنين وقال الحسن اثنا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الحب ثلاثة أيام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى ﴿واوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم﴾ يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه وبشره بالخروج وتخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغافي ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغوا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا أن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جملة نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من أرسل اليه قلت لا يمنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنده ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحى الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى ﴿وهم لا يشعرون﴾ يعني يا نجائنا اليك وأنت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما زاد حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك أنت يوسف المقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وأنه سيجلص مما هو فيه من الحنة ويصير

(واوحينا اليه) الى اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا (لتنبئهم بأمرهم هذا) أي لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف اعلو شأنك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على بده ثم نقره فظن فقال انه يخبرني هذا الجلام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وانكم ألقيتموه في غيابة الحب وقلتم لآبيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا أي أنساه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك

(وأوحينا اليه) الى يوسف أرسلنا اليه جبريل ويقال أهد (لتنبئهم) لتخبرنهم يا يوسف (بأمرهم) بصنيعهم (هذا) بك (وهم لا يشعرون) وهم لا يعلمون انك يوسف حتى تخبرهم ويقال لا يعلمون بوحينا الى يوسف

(وجاؤا أباهم عشاء) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يكون) حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فبالكم وأين يوسف (قالوا يا أبا نانا ذهبنا نستبق) أي نتسابق في العدو أو في الرمي والافتعال ﴿٣٨٧﴾ والتفاعل يشتركان {سورة يوسف} كالارتقاء والترامى وغير

ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سي الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قيصه بدم كذب) ذي كذب ووصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم ان يزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذنباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يزق عليه قيصه وقيل كان في قيص يوسف ثلاث آيات كان دليلاً ليعقوب على

ياوحيناى أنسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ أى آخر النهار وقرئ عشاء وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أى عشا ومن البكاء ﴿يكون﴾ متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بني وأين يوسف ﴿قالوا يا أبا نانا ذهبنا نستبق﴾ نتسابق في العدو أو في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ﴿بمصدق لنا﴾ ولو كنا صادقين ﴿لسوء ظنك بنا وفرت محبتك ليوسف﴾ وجاؤا على قيصه بدم كذب أى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو أى جاؤا كاذبين وكذب بالدال غير المعجمة أى كدروا وطرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قيصه فى موضع النصب على الظرف أى فوق قيصه أو على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور

مستوليا عليهم ويصبرون تحت أمره وقهره ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وجاؤا أباهم عشاء يكون﴾ قال المفسرون لما طر حوا يوسف في الحب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجتراء على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون وبصر خون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بني هل أصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فاصابكم وأين يوسف ﴿قالوا يا أبا نانا ذهبنا نستبق﴾ قال ابن عباس يعنى نتفضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وهو التناضل أيضا وسمى المتراميان بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهما وقال السدي يعنى نشدد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين أيهما أسرع عدوا وأخذ حركة وقال مقاتل تنصيد والمعنى نستبق الى الصيد ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ يعنى عند ثيابنا ﴿فأكله الذئب﴾ يعنى في حال استبقاينا وغفلتنا عنه ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ يعنى وما أنت بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ يعنى في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك تهمنى في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانهم تظهر عندك أماراة تدل على صدقتنا ﴿وجاؤا على قيصه﴾ يعنى قيص يوسف بدم كذب أى مكذوب فيه قال ابن عباس أنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمه على قيص يوسف ثم جاؤا أباهم وفي القصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قيصه فاتهم بذلك وقيل أنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فأطلقه الله

كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قدمن دبره ومحل على قيصه النصب على الظرف كأنه

(وجاؤا أباهم) الى أبيهم (عشاء) بعد الظهر (يكون) على يوسف (قالوا يا أبا نانا ذهبنا نستبق) نتفضل ونصطاد (وتركنا يوسف عند متاعنا) ليحفظه (فأكله الذئب) كآقلت (وما أنت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا) وان كنا (صادقين) في قولنا (وجاؤا على قيصه) لطخوا على قيصه (بدم كذب) دم جدى ويقال طرى

قيل وجاؤا فوق قميصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سوات) زينت أوسـمات (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جيل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فامرى صبر جيل أو فصبر جيل أجل وهو مالا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أي أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تصير من قبل مدين الى مصر وذلك { الجزء الثانى عشر } بعد ثلاثة ٣٨٨ أيام من ألقاء يوسف فى الحب فأخطوا

الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الحب فى قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فغذب حين ألقى فيه يوسف (فإرسلوا واردهم) هو الذى يرد الماء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) أرسل الدلو ليملاها

ان قرأت بالذال (قال بل سوات) زينت (لكم أنفسكم أمرا) فى هلاك يوسف ففعلتم (فصبر جيل) فعلى صبر جيل بلا جزع (والله المستعان) منه أستعين (على ما تصفون) على صبرى على ما تقولون من هلاكه ولم يصد قهم فى قولهم لانهم قالوا مرة أخرى قبل هذا قتله الاصوص (وجاءت سيارة) قافلة من المسافرين من قبل مدين يريدون مصر فتجهروا فى الطريق فأخطوا الطريق فجعلوا يهيمون فى الارض حتى وقعوا فى الاراضى التى فيها الحب وهى أرض دوثن بين مدين ومصر فنزلوا

روى انه لما سمع بنجر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذته وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذنبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يعزق عليه قميصه ولذلك قال بل سوات لكم أنفسكم أمرا أي سهلت لكم أنفسكم وهونت فى أعينكم امرا عظيما من السؤل وهو الاسترخاء (فصبر جيل) أي فامرى صبر جيل أو فصبر جيل اجل وفى الحديث الصبر الجليل الذى لا شكوى فيه أى الى الخلق (والله المستعان على ما تصفون) على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبأهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الحب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من ألقائه فيه (فإرسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فأرسلها فى الحب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه

عز وجل وقل والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهى قرابة لى فأخذونى وأتوا بى اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص المنطوخ بالدم (قال) يعقوب (بل سوات لكم أنفسكم أمرا) يعنى بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقدير معنى فى النفس مع الطمع فى اتمامه وقال صاحب الكشف سوات سهلت من السؤل وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيم ارتكبتوه من يوسف وهو تقوه فى أنفسكم وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون أكله الذئب بل سوات لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر جيل) أي فشأنى صبر جيل وقيل معناه فصبرى صبر جيل والصبر الجليل الذى لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا تزكى نفسك (والله المستعان على ما تصفون) يعنى من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حل ما تصفون (قوله عز وجل) وجاءت سيارة (وهم القوم المسافرون سموا سيارة لمسيرهم فى الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فنزلوا قريبا من الحب الذى كان فيه يوسف وكان فى قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما ألقى يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فإرسلوا واردهم) فادلى دلوه (قال والوارد الذى هو يتقدم الرفقة الى الماء فيبهي الارشية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها فى البئر ودأوتها اذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال

عليه (فإرسلوا واردهم) فأرسل كل قوم طالب الماء وهو ساقهم فوافق جب يوسف مالك بن ذعر (وكان) رجل من العرب من أهل مدين ابن أخى شعيب النبی عليه السلام (فادلى دلوه) فأرخصى دلوه فى جب يوسف فتعلق يوسف فلم يقدر على نزعه من البئر فنظر فيه فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى أصحابه

فتشبت يوسف بالدلو فتزعه (قال ٣٨٩ يا بشرى) { سورة يوسف } كوفي نادى البشرى كأنه

يقول تعالى فهذا أوانك
غيرهم بشرى على اضافتها
الى نفسه أو هو اسم غلامه
فناداه مضافا الى نفسه
(هذا غلام) قيل ذهب به
فلما دنا من أصحابه صاح
بذلك يد ربه (وأسر)
الضمير بوارده وأصحابه
أخفوه من الرفقة ولاخوة
يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا قد أبق فاشتروه
مناوسكت يوسف مخافة أن
يقتلوه (بضاعة) حال أى
أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة
ما يوضع من المال للتجارة
أى قطع (والله عليم بما
يعملون) بما يعمل أخوة
يوسف بأبيهم وأخبرهم من
سوء الصنيع (وشروه)
وباعوه .

(قال يا بشرى) هذا بشرى
يا أصحابي قالوا ما ذلك يا مالك
قال (هذا غلام) أحسن
ما يكون من الغلمان فاجتمعوا
عليه فأخرجوه من الحب
(وأسر) بضاعة) يكتفوه
من القوم وقالوا لنومهم
هذه بنة استبضعها أهل
الماء ليدلهم بمصر (والله
عليم بما يعملون) يوسف
يعنى أخوة يوسف ويقال
أهل القافلة (وشروه)
باعوه أخوته من مالك بن

(قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا
أوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى أى بالضافة
« وقرأ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشرى بالسكون على قصد الوقف » وأسروه أى
الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم
بمصر وقيل الضمير لآخوة يوسف وذلك أن يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ
فلم يجده فيها فأخبر أخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ببق منافا اشتروه فسكت يوسف
مخافة أن يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع
فانه ما يوضع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرهم أو صنيع
أخوة يوسف بأبيهم وأخبرهم (وشروه) وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه

وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوى بسند متصل أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمل من جدته
سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثنى
الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جمدا للشرع ضخم
العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والمضدين والساقين أخيص البطن
صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضوا حكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثنياه ولا
يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام
يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن دعر
كاحسن ما يكون من الغلمان (قال) يعنى الوارد وهو مالك بن دعر (يا بشرى)
يعنى يقول الوارد لأصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرأ يا بشرى بغير اضافة ومعناه
ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال ان جدران البئر بكت
على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد أسرهم مالك بن دعر وأصحابه
من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال الى مصر
وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان أخوة يوسف أسروا
شان يوسف يعنى انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا ببق وصدقهم
يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن دعر وأصحابه والقول الاول
أصح لان مالك بن دعر هو الذى أسرهم بضاعة وأصحابه (والله عليم بما يعملون)
يعنى من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه ان يصير ملك
مصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتي يوسف بالطعام فاتاه
فلم يجده فى الحب فأخبر أخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن دعر وأصحابه نزولا
قريبا من البئر فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا أبق منا ويقال انهم
هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك
قوله تعالى (وشروه) أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت

من اخوته **ثمن بنخس** مخسوس لزييف أو نقصان **دراهم** بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بالغ الاوقية ويمدون مادونها قليل كان عشرين درهما وقليل كان اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه **في يوسف** من الزاهدين **الراغبين** عند الضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملة على الشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بخذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول

الشيء بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه **ثمن بنخس** قال الحسن والضحك ومقابل والسدى بنخس أي حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بنخسا لانه مخسوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بنخس أي زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بنخس أي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشمي بنخس أي قليل وعلى الاقوال كلها فالبنخس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبنخس والباخس الشيء الطفيف **دراهم معدودة** فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون مادونها عددا فاذا بلغت أربعين درهما وهي أوقية وزنها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقاتدة كانت عشرين درهما فاقسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيد شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحدا عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما وكانوا فيه من الزاهدين **يعني** وكان أخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجد زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابتعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهرا قلة الرغبة فيه ليشتره **ثمن بنخس** قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد آبق أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يآبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطيفير قاله ابن عباس وكان قطيفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان

التي تكتب بظاهر **ثمن بنخس** **دراهم** بدل من الثمن (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يمدون مادون الأربعين يزنون الأربعين وما فوقها كانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بائنا الطفيف أو معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروى ان اخوته اتبعوه وقالوا استوثقوا منه لا يآبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كانه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه ذعر **(ثمن بنخس)** نقصان بالتوزن ويقال زيوف ويقال حرام (دراهم معدودة) عشرين درهما ويقال اثنين وثلاثين درهما (وكانوا فيه) في ثمن يوسف (من الزاهدين) لم يحتاجوا اليه ويقال كان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لم يعرفوا قدره ومنزلته عند الله تعالى ويقال كان أهل القافلة في يوسف من الزاهدين

(وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزان مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بنزته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ٣٩١ ثلاثين سنة وآتاه { سورة يوسف } الله الحكمة والعلم وهو ابن

ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أوزليخا والام متعلقة بقال لاباشراه (اكرمي مثواه) اجعل مقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي أحسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاشه وابن عباسه ووطي فراه (عسى أن ينفعنا) له اذا تدرب وراض الامور وفهم محاربا نستظهر به على بعض مانحن بسبيله (أو نتخذ ولدًا) أو نبناه وتقيم مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشدة فقل ذلك (وكذلك) اشار الى ما تقدمه الانجاء وعطف قلبه على الكاف منصوب تقديره وهئلك الانجاء والعطف (مكننا يوسف) أي كما انجينااه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكننا له (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيه بأمرنا (يوسف الذي اشتراه) يوسف (من مصر) في مصر

وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزان مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى اندا اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وابث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين واعطاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شرا له غير الاول فقل عشرين دينارا وزوجا نمل وثوبان ابيضان وقيل ملاء فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل أوزليخا اكرمي مثواه اجعل مقامه عندنا كريما أي حسنا والمعنى احسن تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا أو نتخذ ولدًا نبناه وكان عقيما تفرس فيه من الرشدة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخاف عررضي الله تعالى عنهما وكذلك مكننا يوسف في الارض وكما مكننا محبته في قلب العزيز أو كما مكننا في منزله أو كما انجينااه وعطفنا عليه العزيز مكننا له فيها

ابن الوليد بن زوان وكان من العماليق وقبل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حتى قال ابن عباس لما دخلوا عصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نمل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر يعني قطفير من أهل مصر لامرأته وكان اسمها راعيل وقيل زليخا اكرمي مثواه يعني اكرمي منزله وقامه عندك والمثوى موضع الإقامة وقبل اكرمه في المطعم والملبس والمقام عسى أن ينفعنا يعني ان أردنا بعد بعناه بريح أو يكفيننا بعض أمورنا ومصالحنا اذا اتوى وبلغ أو نتخذ ولدًا يعني نبناه وكان حصورا ليس له ولد قل ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذ ولدًا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لانيها استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وأبو بكر في رحيث استخاف بعد وكذلك مكننا يوسف في الارض يعني كما مكنه على يوسف بان ألقناه من القتل وأخرجناه من الحب كذلك مكننا في الارض

وهو العزيز خازن الملك وهو صاحب جنوده وكان يسمى قطفير (لامرأته) زليخا (اكرمي مثواه) قدره وميزانه (عسى أن ينفعنا) في ضيعتنا (أو نتخذ ولدًا) أو نبناه وكان اشتراه من مالك بن ذعر بعشرين درهما وحياة وثنين (وكذلك) هكذا (مكننا يوسف) ملكنا يوسف (في الارض) أرض مصر

ونبيه (ولتعلم من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتكفين (والله غالب على امره) لا يمنع عما شاء او على امر يوسف بتبليغه
 ما اراد : دون ما اراد اخوته { الجزء الثاني عشر } (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده)

منه بعداده .
 ان شاء الله تعالى .
 وعشرون (آتينا حكما
 وعلمنا) حكما وهو العلم مع
 العمل واجتناب ما يجهل
 فيه أو حكما بين الناس
 وفقها (وكذلك نجزي
 المحسنين) تنبيه على انه كان
 محسنا في عمله متقيا في عفوان
 امره (وراودته التي
 هوى في بيتها عن نفسه) أي
 طلبت يوسف أن يواقعها
 والمرادة مفاعلة من راد
 يرود اذا جاء وذهب وكان
 المعنى خادعته عن نفسه أي
 فعلت فعل الخادع لاجل حبه
 عن الشيء الذي لا يريد أن
 يخرج منه من يده يحتال أن
 يغلبه عليه ويأخذ منه وهو
 عبارة عن التمهيد لمواقعة
 اياها (وغلقت الابواب)
 وكانت سبعة (وقالت هيت لك)
 هو اسم تعال وأقول
 (وانما تأويل الاحاديث)
 تعبير للرؤيا (والله غالب
 على امره) على مقدوره
 لا يريد مقدوره أحد (ولكن
 أكثر الناس) أهل مصر
 (لا يعلمون) ذلك لا يصدقون
 ويقال لا يعلمون أن الله غالب
 على امره (ولما بلغ أشده)
 والاشد من ثمان عشرة سنة
 الى ثلاثين سنة (آتينا)

ولنعلم من تأويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه
 أي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معاني كتب الله
 واحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعملها ويستقل بتدبيرها
 قبل ان تحل كما فعل بسنية (والله غالب على امره) لا يردده شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على
 امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده (ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون) ان الامر كله بيده أو اطوائت صنعته وخفايا لطفه (ولما بلغ
 أشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل
 سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلم (آتينا حكما) أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل
 أو حكما بين الناس (وعلمنا) يعني علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزي المحسنين)
 تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عفوان امره
 (وراودته التي هوى في بيتها عن نفسه) طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود
 اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد
 للتكثير أو للمبالغة في الايثاق (وقالت هيت لك) أي اقبل وبادر أو تهيات والكلمة

أرض مصر فجملناه على خزائنها (ولنعلم من تأويل الاحاديث) أي مكانه في الارض
 لكي نعلم من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على امره) قيل
 الكناية في امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره بفعل ما يشاء ويحكم
 ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه
 ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى
 ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه
 (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدة وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال
 الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمان عشرة سنة
 الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (آتينا حكما وعلمنا) يعني آتينا
 يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلمنا
 بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم
 هو الذي يعمل بما يوجب العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي
 والعلم هو العلم النظري (وكذلك) يعني وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك
 (نجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعندنا أيضا المهتدين وقال الضحاك يعني
 الصابرين على النوائب كصابر يوسف (وراودته التي هوى في بيتها عن نفسه) أي ان
 امرأة العزيز طلعت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت
 الابواب) أي أطبقتهما وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية أو انها
 أغلقتها لشدته خوفا (وقالت هيت لك) أي اقبل واقبل قال أبو عبيدة كان الكسائي

أعني (حكما وعلمنا) فهم من نبوة (وكذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل والعلم والحكمة (يقول)
 (وراودته) طلبته (التي هوى في بيتها عن نفسه) ان تستمكن من نفسه (وغلقت الابواب) عليها وعلى يوسف (وقالت) ليوسف
 (هيت لك) هلم انالك ويقال تعال انالك ويقال تهيات لك معناه ان قرأت بنصب الهاء

وهو مبنى على الفتح هيت مكي بناء على الضم هئت مدنى وشامى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (أنه) أى ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فاجزأؤه ان اخونه فى أهله (انه لا يفلح الظالمون) ﴿٣٩٣﴾ اخائون أو الزناة ﴿سورة يوسف﴾ أو أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه

مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو المنصور ربه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل هم بها وشارف أن يهم بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أى لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلاً فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجاً ومن حق القارى اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على به ويبتدىء بقوله

على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كأمين واللام للتبيين كالتى فى سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيهاً له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيد وقرأ هشام كذلك الا انه يهمزها وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجبر وهئت كجئت من هاء يهى اذا تهيا وقرئ هيت وعلى هذا فاللام من صلته ﴿قال معاذ الله﴾ أعوذ بالله معاذاً ﴿انه﴾ أى الشأن ﴿ربى احسن مثواى﴾ سيدى قطفير احسن تهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فاجزأؤه ان اخونه فى أهله وقيل الضمير لله تعالى أى انه خالقى واحسن منزلى بان عطف على قلبه فلا اعصيه ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ المجاوزون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمنزى باهله ﴿واقدر همت به وهم بها﴾ قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشى قصدته والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشى امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمذبح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم كقولك قتلتهم ولم اخف الله ﴿لولا ان رأى برهان ربه﴾ فى قبح الزنا وسوء مغيبه مخالطتها

يقول هى لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناه تعالى وقال عكرمة أيضاً بالحوارانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشىء وقيل هى بالعبرانية وأصلها هيتا لج أى تعالى فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التور ولغة العرب الترك فى الفساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيات لك ﴿قال﴾ يعنى يوسف ﴿معاذ الله﴾ أى أعوذ بالله واعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتى اليه ﴿انه ربى﴾ يعنى ان العزيز قطفير سيدى ﴿أحسن مثواى﴾ أى أكرم منزلى فلا أخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى أحسن مثواى يعنى انه آوانى ومن بلاء الحب نجاني ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ يعنى ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴿الآية﴾ هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين ﴿الاول﴾ فى ذكر أقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت بالشىء اذا أردته وحدثك نفسك به وقاربته من غير

والتاء هلم لك وان قرأت بكسر الهاء وضم التاء والهمز تهيات لك وان قرأت بنصب الهاء ورفع

التاء تعال أنالك (قال) يوسف (معاذ الله) (قاو خا ٥٠ لث) أعوذ بالله من هذا الامر (انه ربى) سيدى العزيز (أحسن مثواى) قدرى ومنزلى لأخونه فى أهله (انه لا يفلح) لا يأمن ولا ينجو (الظالمون) الزانون من عذاب الله (ولقد همت به) المرأة (وهم بها) يوسف (لولا ان رأى برهان ربه) عذاب ربه لازم على نفسه ويقال رأى صورة آيةه ويقال لولا ان رأى برهان ربه لهم مقدم ومؤخر

لشبق الغلظة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعلوهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات دخول فيه فعنى قوله ولقد همت به أى أرادته وقصدته فكان همها به عزيمتها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصدوه وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن صابئ
البرجي

هممت ولم أفعل وكدت وايتنى * تركت على عثمان تبكي حلاله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بخالطته وهم بها أى وهم بخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه مخذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه خالطها قال البغوي وأما هم به فافروى عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز سراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما يخطر عن جسدي قالت ما أحسن عينيك قل هي أول ما يسيل على خدي في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقض حاجتي قال اذا ذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يخدم من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امرأة حسنة جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسيأتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية * أما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التي ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضامثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكذبوها عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكذبوها له حسنة فان عملها فاكذبوها له عشرة لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد في رواية

وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهممين وفسرهم يوسف بأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستقلة على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا ياك واياها مرتين فسمع ثالثا عرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أظفاره وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هي راودتني عن نفسي

الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب مخدوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام

أومحها ولن يهلك على الله إلا هالك * قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية فيهم يوسف إذا * وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المغفوع عنه هذا هو الحق فيكون أن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما برئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بخالفة النفس لما ذكره قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وإن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسها فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر إليها وقيل هم بضر بها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأ الله فالتقى عليه هيبة النبوة فشعلت هيبة كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله * وأما الامام فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الامام فخر الدين الرازي أن يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فإن الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت إلى ما نقله بعض المفسرين عن الأئمة المتقدمين فإن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من ذلك في هذه الواقعة لأنه لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك أيضا أن كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه * واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة الثلاث قطعن أيدينهن والمولود الذي شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان أن يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وأما بيان أن المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة

ولو كان ذلك مندا أيضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصر وفاغنه وقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء وقوله الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره

وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطغير وقيل نودى يابوسف انت مكتوب في الانبياء

يوسف ونزاهته فقوالها أنا راودته عن نفسه فاستعصم وتوالها الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لا غوinessهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين وبطل هذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روى عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن فحاشا ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فأنذره قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين . أحدهما انه تعالى أعلم يوسف أنه لوهم بدفعها لقتله فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك . الوجه الثاني أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت هي الخائنة فاعلم الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فثبت بذلك الشاهد حمله لاعليه * وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فتعال قنادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودى يابوسف أنواقها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جوال السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعها كمثلها اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيأ ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعها كمثلها اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى

كما كان لآدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه بمجاهدة أولى العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكفاف في

(كذلك) نصب أى مثل ذلك التثبيت بُتناه أو رفع أى الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث ﴿ ٣٩٧ ﴾ كان { سورة يوسف } مدنى وكوفى أى الذين

أخلصهم الله لطاعته وبكسر هاغيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار واىصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرع وراءه لتمنعه الخروج ووجد الباب وان كان جمعه فى قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتأثر ويسقط حتى خرج (وقدت قيضه من دبر) اجتذبت من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (والفيا سيدها لى الباب)

(كذلك) هكذا (لنصرف عنه السوء) القبيح (والفحشاء) يعنى الزنا (انه من عبادنا المخلصين) المعصومين من الزنا (واستبقا الباب) تبادرا الى الباب أراد يوسف

وتعمل عمل السفهاء ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التثبيت بُتناه أو الامر مثل ذلك ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ خيانة السيد ﴿ والفحشاء ﴾ الزنا ﴿ انه من عبادنا المخلصين ﴾ الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابوعمر وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام أى الذين اخلصوا دينهم لله ﴿ واستبقا الباب ﴾ أى تسابقا الى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فرمها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج ﴿ وقدت قيضه من دبر ﴾ اجتذبت من وراءه فانقد قيضه والقد الشق طولاً والقط الشق عرضاً ﴿ والفيا سيدها ﴾ وصادفازوجها ﴿ لى الباب

هارباً ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضاً على أصبعه يقول يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتاباً فى حائط فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً وفى رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن على بن الحسن قال كان فى البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترت به ثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف استحيين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئاً فانا أحق أن استحي من ربى فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه ﴿ أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجله الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما يليق فعلة ﴿ كذلك ﴾ يعنى كما أريناه البرهان كذلك ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ يعنى الاثم ﴿ والفحشاء ﴾ يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فنصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عبادته المخلصين وهو قوله ﴿ انه ﴾ يعنى يوسف ﴿ من عبادنا المخلصين ﴾ قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واختارناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل ﴿ قوله تعالى ﴾ واستبقا الباب ﴿ وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هارباً مبادراً الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبتة اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل ﴿ وقدت قيضه من دبر ﴾ يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه ﴿ والفيا سيدها لى الباب ﴾

ليخرج وأرادت المرأة لتغلق الباب على يوسف فسبقتة المرأة (وقدت قيضه) شقت قيض يوسف بنصفين (من دبر) من الخلف من

وسطه الى قدميه (وألفيا) ووجدا (سيدها) زوج المرأة ويقال ابن عم (لدى الباب) عند الباب

وصادفا بعلمها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رآته احتات لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعاني أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ماجزاء من أراد باهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) مانافية أي ليس جزاؤه إلا السجن { الجزء الثاني عشر } أو عذاب أليم ﴿ ٣٩٨ ﴾ وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا

لأنها قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وإنما التي الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبييا في المهد وسمى قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها (أن كان قيصة قدم من قبل فصدقت وهو من الكاذبين بالرفع عن نفسها أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدجيه

يعنى فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالس مع ابن عم المرأة فلما رآته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول ﴿ قالت ﴾ يعنى لزوجها ﴿ ماجزاء من أراد باهلك سوءا ﴾ يعنى الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه له فقالت ﴿ إلا أن يسجن ﴾ أي يحبس في السجن ويمنع التصرف ﴿ أو عذاب أليم ﴾ يعنى الضرب بالسياط وإنما بدأت بذكر السجن دون العذاب لأن المحب لا يشتهي إيلاهم المحبوب وإنما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمهما فلما سمع يوسف مقالها أراد أن يبرهن عن نفسه ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ يعنى طلبت منى الفحشاء فأبيت وفررت وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبييا في المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوى بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبييا ولكنه كان رجلا حكيما ذارأى وقال السدى هو ابن عم المرأة فحكم فقال ﴿ أن كان قيصة قد من قبل ﴾ أي من قدام ﴿ فصدقت وهو من الكاذبين

لأنها قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وإنما التي الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبييا في المهد وسمى قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها (أن كان قيصة قدم من قبل فصدقت وهو من الكاذبين

(قالت) المرأة لزوجها (ما) جزاء من أراد باهلك سوءا (زنا) إلا أن يسجن أو عذاب أليم (أو يضرب ضربا وجيعا) (قال) يوسف (هي راودتني عن نفسي) هي

دعتني وطلبت أن تستمكن من نفسي (وشهد شاهد) حكم حاكم (من أهلها) وهو أخوها ويقال ابن عمها (وان) (أن كان قيصة) قيصة يوسف (قد) شق (من قبل) من قدام (فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين)

وان كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قيصه وانما قد قيصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقام قيصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل وامتنكير قبل ودبر فمناه من جهة يقال ﴿ ٣٩٩ ﴾ لهما قبل ومن { سورة يوسف } جهة يقال لها دبر وانما

جمع بين ان التي الاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قيصه قد (فلما رأى) قطفير (قيصه قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءاً أو ان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيد كن) الخطاب لها ولامتها (ان كيد كن عظيم) لانهم ألفت كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلب الرجال والقصريات منهم معهن مالميس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال له ان كيد كن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريبه له وتلطيف لمحلله (اعرض عن هذا) الامر واكتبه

وان كان قيصه قد شق (من)

وان كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴿ لانه يدل على انها تبعت فاجتذبت ثوبه فقذته والشرطية محكمة على ارادة القول أو على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى اليوم فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمن على باحسنائك امنن عليك باحسنائك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقيل وبعد وبالفتح كأنهما جعلاهما للجهتين فنعا الصرف وبسكون العين ﴿ فلما رأى قيصه قد من دبر قال انه ﴾ ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءاً أو ان السوء أو ان هذا الامر ﴿ من كيد كن ﴾ من حيلتك والخطاب لها ولا مثالهوا لساثر النساء ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان كيد النساء أطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس أولانهم يواجهون به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة ﴿ يوسف ﴾ حذف منه حرف النداء لقربه وتقطنه للحديث ﴿ اعرض عن هذا ﴾

وان كان قيصه قد من دبر ﴿ أى من خلف ﴾ فكذبت وهو من الصادقين ﴿ وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يبسط يديه الى سيده ومنها انهم شاهدوا يوسف بعد وها ربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقداامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد به صدقه أيضا ﴿ فلما رأى قيصه قد من دبر ﴾ يعنى فلما رأى قطفير زوج المرأة قيص يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعنى قال لها زوجها قطفير ﴿ انه ﴾ يعنى هذا الصنيع ﴿ من كيد كن ﴾ يعنى من حيلتك ومكر كن ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لانهن من المكر والحيل والكيد في تمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيد كن ان كيد كن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة ﴿ يوسف ﴾ يعنى يا يوسف ﴿ اعرض عن هذا ﴾ يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره

دبر) من خلف فكذبت المرأة (وهو من الصادقين) في قوله انها راودتني (فلما رأى قيصه قد شق) (من دبر) من خلف (قال) أخوها (انه من كيد كن) من مكر كن وصنيع كن (ان كيد كن) مكر كن وصنيع كن (عظيم) يخلص الى البرى والسقيم ثم قال أخوها ليوسف (يوسف) يعنى يا يوسف (أعرض عن هذا) الامر

ولا تحدث به ثم قال لراعيل (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجين وامرأة { الجزء الثاني عشر } الحاجب ٤٠٠ والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها

غير حقيقى ولذا لم يقل قالت وفيه لقمان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراودفتاها) غلامها يقال فتاى وفتاى أى غلامى وجارىي (عن نفسه) لتناى شهوتها منه (قدشغفها حبا) تميز أى قدشغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وجلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (انالزها) في ضلال مبین) في خلأ وبعد عن طريق الصواب

ولا تخبر أحدا ثم اعرض الى المرأة وقال (واستغفري لذنبك) استعجلى واعتذرى الى زوجك من سوء صنعك أيتها المرأة (انك كنت من الخاطئين) من الخائئين لزوجك ففشا أمرهما بعد ذلك في المدينة (وقال نسوة في المدينة) وهن أربع نسوة امرأة ساقى الملك وامرأة صاحب سجنه

اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك ياراعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطي اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب (وقال نسوة) هى اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لفته فيها (في المدينة) ظرف لقال أى اشعن الحكاية في مصر وأوصفت نسوة وكن خسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجين وصاحب الدواب (امرات العزيز) تراود فتاها عن نفسه تطلب واقعة غلامها اياها والعزیز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم قتيان والقوة شادة (قدشغفها حبا) شق شغاف قلبها وهو حجاب حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شغفها من شغف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه (انالزها في ضلال مبین) في ضلال عن الرشيد وبعد عن الصواب

لاحدثنى لايفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يوسع لانكثرت بهذا الامر ولا تهم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفري لذنبك) يعنى توبى الى الله مما ريت يوسف به من الخطيئة وهو برى منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك انك كنت من الخاطئين يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو برى وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصده الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقولها وكانت من القانتين قوله عز وجل (وقال نسوة في المدينة امراء العزيز تراودفتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيد وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز يعنى زليخا تراودفتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قدشغفها حبا) يعنى قدعلقها حبا والشغاف جلدة تحيط بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيأ سواه (انالزها في ضلال مبین) يعنى في خطأ بين ظاهر حيث

وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه (امرات العزيز) زليخا (تراودفتاها) تدعو عبدها أن (تركت) يستمكنها (عن نفسه) من نفسه (قدشغفها حبا) قد شق شغاف قلبها حب يوسف ويقال بطنها حب يوسف ان قرأت بالشين والعين (انالزها في ضلال مبین) في خطأ بين في حب عبدها يوسف

(فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرًا
لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره و قيل كانت استكتمت سرها فافشيه عليها (أرسلت اليهن)
دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن ٤٠١ الخمس { سورة يوسف } المذكورات (وأعدت)

وهيات افعلت من العناد
(لهن متكا) ما يتكئن
عليه من نمارق قصدت بتلك
الهيئة وهي قعودهن
متكئات والسكاكين في
أيديهن أي يدهشن عند
رؤيته ويشغلن عن نفوسهن
فتقع أيديهن على أيديهن
فيقطعنها لان المتكى اذا
بهرت لشيء وقعت يده على
يده (وآت كل واحدة
منهن سكينًا) وكانوا لا
يأكلون في ذلك الزمان
الا بالسكاكين كفعول
الاعاجم (وقالت اخرج
عليهن) بكسر التاء بصرى
وعاصم وحزة وبضمها
غيرهم (فلما رأينه أكبرنه)
أعظمته ووهبن ذلك الحسن
الرائق والجمال الفائق
وكان فضل يوسف على

فلما سمعت بمكرهن) بقولهن
(أرسلت اليهن) ودعتهن
الى الضيافة (وأعدت لهن
متكا) وسائد يتكئن عليها
ان قرأت مشددة وان قرأت
مخففة يقول اترنجة وجاءت
باللحم والخبز فوضعت بين
أيديهن (وآت) أعطت
(كل واحدة منهن سكينًا)

فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماء مكرًا لانهن اخفونه كما يخفي الماكر مكره أو قلن
ذلك لترين يوسف أولانها استكتمت سرها فافشيه عليها أرسلت اليهن
تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (وأعدت لهن متكا)
ما يتكئن عليه من الوسائد (وآت كل واحدة منهن سكينًا) حتى يتكئن والسكاكين
بأيديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها
فيكئن بالحجة أو يهاب يوسف من مكرها اذا خرج واحد على أربعين امرأة في أيديهن
الخناجر وقيل متكا طعاما أو مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا
ولذلك نهى عند قال جيل

فظلنا نعمة واتكنا ، وشرنا الحلال من قلمه

وقيل المتكا طعام يحز حزانًا كان القاطع يتكى عليه بالسكين وقرئ متكا بخذف الهمزة ومتكا
باشباع الفتحه كمنزاج ومتكا وهو الأترج أو ما يقطع من مك الشيء اذا بتكده ومتكا من
تكى يتكا اذا اتكنا (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) أعظمته ووهبن حسنه
تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأجبت فتاها فلما سمعت بمكرهن
يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكرًا لانهن
طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجاله فقصدن أن يرينه وقيل
ان امرأة العزيز أوشت اليهن سرها واستكتمت سرها فافشيه ذلك عليها فلذلك سماء مكرًا
(أرسلت اليهن) يعنى انها لما سمعت بأنهن يلذنها على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم
عذرهما عندهن قال وهب اتخذت مأدبة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت
أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي عيرن (وأعدت لهن متكا)
يعنى ووضعت لهن نمارق وسائد يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن
وقتادة ومجاهد متكا يعنى طعاما وانما سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطلع
عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكى عليها فسمى الطعام متكا على الاستعارة
ويقال أتكنا عند فلان أى طعمنا عنده والمتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب
والحديث ولذلك جاء النهى عند في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تأكل
متكنا وقيل المتكا الأترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة
زينت البيت بألوان الفواكه والاطعمة ووضت الوسائد ودعت النسوة اللاتي
عيرن (وأت يوسف) وآت كل واحدة منهن سكينًا (يعنى وأعطت كل واحدة
من النساء سكينًا لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت
اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها
فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واختبأه في مكان آخر (فلما رأينه أكبرنه) يعنى
النسوة (أكبرنه) أعظمته ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر

تقطع بها اللحم لانهم كانوا لا يأكلون (قا و خا ٥١ لث) من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينهم (وقالت) زليخا ليوسف
(اخرج عليهن) يا يوسف (فلما رأينه أكبرنه) أعظمته

الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في أزقة مصر يرى تلاًؤ وجهه على الجدران وكان يشبه آدم في الجزء الثاني عشر في يوم خلقه ٤٠٢ ربه وقيل ورث الجمال

الفائق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلاًؤ وجهه على الجدران وقيل اكبر بمعنى حزن من اكبرت المرأة اذا حانت لانها تاكل الكبر بالحيش والهاء ضمير للمصدر او يوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أي حزن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واسترذا الجمال يبرقع * فان لحث حاضت في الخدور العواتق

وقطعن أيديهن * جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة * وقلن حاش الله * تنزيهاً له من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفة الاخيرة تخفيفاً وهو حرف فيد معني التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كافي قولك قبالك وقرى حاشا الله بغير لام بمعنى برآة الله وحاشا الله بالتونين على تنزيهه منزلة

الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاًؤاً وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن أمره وبهتت اليد وفي رواية عن ابن عباس قال اكبرنه أي حزن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حزن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حزنه لان حزن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمنا وجعلنا الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فزعت فرما أسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيش فرما كان من فزعهن وما هالهن من أمر يوسف حين رأيته قال الامام فخر الدين الرازي وعندى أنه يحتمل وجهها آخر وهو أنهم انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهى عدم الالتفات الى المطعم والمنكوح وعدم الاعتداد بهم وكان ذلك الجمال العظيم مقروناً بتلك الهبة والهيئة فتعجب من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمته ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحل الآية على هذا الوجه أولى * وقطعن أيديهن * يعنى وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الا لم لدهشتن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فاحسن الابالدم وقال قتادة ابن أيديهن حتى ألقينهاوا الاصم انه كان قطعاً من غير ابانة وقال وهب مات جاعة منهن * وقلن يعنى النسوة * حاش الله

من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حزن والهاء لاسكت اذا لا يقال النساء قد حزنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيش تخرج من حد الصغر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال يبرقع * فان لحث حاضت في الخدور العواتق * (وقطعن أيديهن) وجرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطع يدي تريد جرحها أى أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأين فخدشن أيديهن (وقلن حاش الله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيدوهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعنى حاشا الله براءة الله وتنزيهه وقراءة أبي عمرو حاشا لله نحو قولك سقيمالك كانه قال براءة ثم قال الله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش الله بحذف الالف

(ما هذا)

الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جيل مثله

(وقطعن) خدشن ونخشن (أيديهن) بالسكاكين من الدهشة والتحير مما رأين من حسن يوسف (وقلن حاش الله) معاذ الله

(ما هذا بشر ان هذا الاملك كريم) نفين عنه البشرية لغرابته جاله وأثبت له الملكية وبنتن بها الحكم لما ركز في الطباع ان
لأحسن من الملك كاركز فيها أن لا أفصح من الشيطان (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه ٤٠٣ تعنى انكن لم { سورة يوسف } تصورنه حق صورته والا

اعذرتني في الافتتان به
(ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم) الاستعصام بقاء
مباغة يدل على الامتناع
البلغ والتحفظ الشديد
كانه في عصمة وهو يجتهد
في الاستزادة منها وهذا
بيان جلي على ان يوسف
عليه السلام برى مما فسر به
أولئك الفريق الهمل البرهان
ثم قلن له أطع مولاناك
فقال راعيل (ولئن
لم يفعل ما أمره) الضمير
راجع الى ما وهى موصولة
والمعنى ما أمره به فحذف
الجار كما في قوله أمرتك
الخير أو ما مصدرية والضمير
يرجع الى يوسف أى
ولئن لم يفعل أمرى إياه
أى موجب أمرى ومقتضاه
(ليسجن) ليجسن والالب
في (وليكونا) بدل من نون
التأكيد الخفيفة (من
الصاغرين) مع السراق
والسفاك والاباق كاسرق
قلبي وأبق منى وسفك
دمى بالفراق فلا يأتى يوسف
الطعام والشراب والنوم
هنالك كما معنى هناك
ذلك ومن لم يرض بنلى
في الحرير على السرير أميرا
حصل في الحصر على الحصر
حسرا فلما سمع يوسف تهديدها

المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أى صار في
ناحية الله بما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير مهود للبشر وهو على انحاء الخجاز
في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهم فى نفي الحال وقوى بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى أى بعبد
مشتري لئيم ان هذا الاملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة
الباغة من خواص الملائكة والان جاله فوق جال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن
الذى لمتنني فيه أى فهو ذلك العبد الكنعاني الذى لمتنني في الافتتان به قبل ان تصورنه حق
تصوره ولو صورته بما عاينتن لعذرتني أو فهذا هو الذى لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا راعا
لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت
انهن بعذرنا كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما أمره أى ما أمره
فحذف الجار أو امرى إياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف عليه السلام ليسجن
وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير
من صغر بالضم صغرا وقوى ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه
ما هذا بشرا أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا ان هذا الاملك كريم
يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد
ركز في النفوس أن لاشئ أحسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل
لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التى تحصل للبشر
وصفنه يوسف بذلك قوله تعالى قالت فذلكن الذى لمتنني فيه يعنى قالت
امراة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتنني في محبته
وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امراة العزيز قد شغفها فتاها
الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن الخ بعدما قام من الجحاس وذهب وقيل صاحب
الكشاف قال فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلة في الحسن واستحقاق
أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني
تقول هو ذلك لعبد الكنعاني الذى صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امراة
العزيز صرحت بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم يعنى
فامتنع من ذلك الفعل الذى طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة
عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امراة العزيز قالت ولئن
لم يفعل ما أمره يعنى وان لم بطاوعى فيما دعوت اليه ليسجن أى ليعاقبن بالسجن
والحبس وليكونا من الصاغرين يعنى من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف
أطع مولاناك فيما دعتك اليه فاختر يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة

(ما هذا بشرا) آدميا (ان هذا) ما هذا (الاملك كريم) على ربه (قالت) زليخا لهن (فذلكن الذى لمتنني) عذرتني وعيبتني
(فيه واقدراودته عن نفسه) دعوته الى نفسه وطلبته لاستمكتن من نفسه (فاستعصم) فامتنع عنى بالمعصية (ولئن لم يفعل ما أمره
ليسجن) فى السجن (وليكونا من الصاغرين) من الذليالين فيد وقلن هؤلاء النسوة ليوسف أطع مولاناك

(قل رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه) اسند الدعوة اليهن لانهن قارن له ما عليك لو اجبت مولتك وافقتت كل واحد به فعدت الى نفسها سرا فالتجأ { الجزء الثاني عشر } الرب قال رب ٤٠٤ السجن أحب الى من ركوب المعصية

(والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى الله في طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة المبل الى الهوى ومنه الصب الان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعمسون بما يعلمون لان من لا جدوى له فهو ومن لم يعلم سواء او من السناه فلما كان في قوله والاتصرف عنى كيدهن معنى طاب الصرف والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العاليم) بحاله وحالهم (ثم بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسبحننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى والضمير

(قال) يوسف (رب) يارب (السجن أحب الى مما يدعونني اليه) من الزنا (والا تصرف) ان لم تصرف (عنى كيدهن) مكرهن (صب اليهن) أمل اليهن (وأكن من الجاهلين) بنعمتك ويقال من الزانين

بالاف كنسما على حكم الوف وذاك في الخفيفة شبهها بالتوين ﴿ قل رب السجن ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ﴿ احب الى مما يدعونني اليه ﴾ أى آثر عندى من وثاقتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما يشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفن من مخالفتها وزين له مطاوعها أو دعونه الى أنفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن اتقوله هذا وانما كان الاولى بدان يسأل الله العاقبة ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ﴿ والاتصرف ﴾ وان لم تصرف ﴿ عنى كيدهن ﴾ فى تحبب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة ﴿ أصب اليهن ﴾ أمل الى اجابتهن او الى أنفسهن بطبعي ومنه نفي شوقى والصبوة المبل الى الهوى ومنه الصب الان النفوس تستطبعها وتبل اليها وقرى أمب من الصبابة وهى الشوق ﴿ وأكن من الجاهلين ﴾ من السفهاء بار تكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعمسون بما يعلمون فانهم والجاهل سوا ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والاتصرف ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ فثبت له العصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثره على الذلة المتضمنة للمعصية ﴿ انه هو السميع ﴾ لدعاء الملتجئين اليه ﴿ العاليم ﴾ باحوالهم وما يصلحهم ﴿ ثم بدا لهم ﴾

بذلك ﴿ قل رب ﴾ أى يارب ﴿ السجن أحب الى مما يدعونني اليه ﴾ قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما أضافه اليهن جميعا خروجا من التصرح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان بخبرتهن قل بعضهم لولم يقل السجن أحب الى لم يتسل بالسجن والاولى بالعبد أن يسأل الله العاقبة ﴿ والاتصرف ﴾ عنى كيدهن ﴿ يعنى ما أردن منى ﴾ أصب اليهن ﴿ أى أمل اليهن ﴾ يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه ﴿ وأكن من الجاهلين ﴾ يعنى من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ يعنى فاجاب الله تعالى دعاء يوسف ﴿ فصرف عنه كيدهن انه هو السميع ﴾ يعنى لدعاء يوسف وغيره ﴿ العاليم ﴾ يعنى بحاله وفى الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلمه البلية بكيد النساء ودطالتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ثم بدا لهم ﴾ يعنى للعزير واصحابه فى رأى وذلك انهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكنتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم بانى قدر اودته عن نفسه فاما ان تأذنلى فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسـه

(فاستجاب له ربه) (فصرف عنه كيدهن) (مكرهن) (انه هو السميع) (للدعاء) (العاليم) (بالاجابة) (فرأى)

ويقال السميع لما قالتهن العاليم مكرهن (ثم بدا لهم) (ظهر لهم) يعنى للعزير

في لهم للعزیز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على برأته كقصد القميص وقطع الايدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليسجنه) لا بداء نذر الحال او ارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باستئصال المرأة لزوجها وكان مطواعا لها وحيلا ذلولا زمامه في يدها وقد طمعت أن يذللها السجين ويسخره لها وخافت عليه العيون وظنت فيد الظنون فاجأها الخجل من الناس والوجل من الناس ﴿٤٠٥﴾ الى ان رضى { سورة يوسف } بالحجاب مكان خوف

الذهاب لتشتفي بخبره اذا منعت من نظره (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجين فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فادخلا السجين ساعة أدخل يوسف لان مع يدل على معنى العجبة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجين مصاحبين لما قال أحدهما أي شرابيه (اني أراي) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خرا) أي عنبا تسمية للعنب بما يؤل اليه أو الخمر بلغة عمان

(من بعد ما رأوا الآيات) شق القميص وقضاء اخيهما (ليسجنه حتى حين) الى سنين ويقال الى حين يقطع مقالة الناس (ودخل معه السجين) بعد دخوله الى خمس سنين (فتيان) عبدان للملك صاحب شرابه وصاحب مطبخه غضب عليهما

من بعد ما رأوا الآيات ﴿ ثم ظهر للعزیز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على برأته يوسف كشهادة الصبي وقصد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وقاعل بداضمر يفسره ﴾ ليسجنه حتى حين ﴿ وذلك لانها خدعت زوجها وحوصلته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه ويحسب الناس انه المجرم فلبث في السجين سبع سنين وقرى بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم والعزيز ومن يلبد وعى بالغة هذيل ﴿ ودخل معه السجين فتيان ﴾ أي أدخل يوسف السجين وانفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهم ما يريدان ان يسماه ﴿ قال احدهما ﴾ يعني الشرابي ﴿ اني أراي ﴾ أي أرى في المنام هي حكاية حال ماضية ﴿ أعصر خرا ﴾

فرأى حبسه ﴿ من بعد ما رأوا الآيات ﴾ يعني الدالة على صدق يوسف وبرأته من قصد القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته ﴿ ليسجنه ﴾ أي ليحبس يوسف في السجين ﴿ حتى حين ﴾ يعني الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس وقول عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة ﴿ ودخل معه السجين فتيان ﴾ وهما غلامان كانا لواليد بن نزوان العمليق ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيد وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتاليه وقتله فضمنوا الهذين الغلامين مالا على أن يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فاني فاطم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجين جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فترأى اليه رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رآيا شيئا قال ابن مسعود مارأيا شيئا انما تحالما ليحربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رآيا رؤيا حقيقة فرأهما يوسف وهما مهمومان فسألتهما عن شأنهما فذكر انهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رآيا رؤيا تدغمهما فقال يوسف قصا على ما رأيتما فقصا عليه ما رآياه فذلك قوله تعالى ﴿ قل أحدهما ﴾ وهو صاحب شراب الملك ﴿ اني أراي أعصر خرا ﴾ يعني عنبا سمي

وادخلهما السجين (قال أحدهما) وهو الساقى (اني أراي) رأيت نفسي (أعصر خرا) عنبا وأسقى الملك وكان رؤياه انه رأى في منامه كأنه يدخل كرم ما فرأى في الكرم حيلة حسنة فيها ثلاثة قضبان وعلى قضبان عناقيد العنب فاجتنى العنب فعمصره وناوله الملك فقال له يوسف ما أحسن ما رأيت أما الكرم فهو العمل الذي كنت فيه وأما الحيلة فهي سلطانتك على ذلك رأما حسنهما فهو عزك وكرامتك في ذلك العمل وأما ثلاثة قضبان على الحيلة فهي ثلاثة ايام تكون في السجين فتخرج فتعود الى عملك وأما العنب الذي عصرت وناولت الملك فهو

اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (اني أراي أحل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبثا نبثا وبله) بتأويل مارأيناه (اننا نراك من المحسنين) من الذين { الجزء الثاني عشر } يحسنون عبارة ﴿ ٤٠٦ ﴾ الرؤيا أو من المحسنين الى أهل

السجن فانك تداوى المريض

وتعزى الحزين وتوسع على

الفقير فاحسن النيات وأويل

مارأينا وقيل انهما نحو الماله

ليتمتع به فقال الشراي أي

رأيت كأنني في بستان فاذا

بأصل حبلة عليها ثلاثة

عناقيد من عنب فقطعها

وعصرتها في كأس الملك

وسقيته وقال الخباز اني رأيت

كأن فوق رأسي ثلاث سلال

فيها أنواع الاطعمة فاذا سباع

الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما

طعام ترزقانه الانبأتيكما

بتأويله) أي ببيان ماهيته

ان يردك الى عملك

وبكرتك ويحسن اليك

(وقال الآخر) وهو

الخباز (اني أراي) رأيت

نفسى (احل فوق رأسي

خبزا تأكل الطير منه)

وكان رؤياد انه رأى في منامه

كأنه يخرج من مطبخ الملك

وعلى رأسه ثلاث سلال

من الخبز فوقع طير على أعلاها

وأكل منها فقال له يوسف

بئس ما رأيت اما خروجهك

من المطبخ وأن يخرج من

علاك واما ثلاث سلال

فهى ثلاثة أيام تكون في

السجن واما أكل الطير

من رأسك فهو ان يخرجك

الملك بعد ثلاثة أيام ويصلبك

وتأكل الطير من رأسك

أي عنباوسماه خرا باعتبار ما يؤل اليه ﴿ وقال الآخر ﴾ أي الخباز ﴿ اني أراي أحل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ﴾ تنهش منه ﴿ نبثا نبثا وبله اننا نراك من المحسنين ﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وانما قال ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين الى أهل السجن فاحسن النيات وأويل مارأينا ان كنت تعرفه ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبأ تكما بتأويله ﴾ أي بتأويل ما قصصتما على أوتأويل

العنب خرا باسم ما يؤل اليه يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأنني في بستان واذا فيه أصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فنجيتها وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه ﴿ وقال الآخر ﴾ وهو صاحب طعام الملك ﴿ اني أراي أحل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ﴾ وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها ﴿ نبثا بتأويله ﴾ أي أخبرنا بتفسير مارأينا وما يؤل اليه امر هذه الرؤيا ﴿ اننا نراك من المحسنين ﴾ يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واد الاحتاج أحد جمع له شيا وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاءهم وطال حزنهم فحبل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقلوا بآبارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقت وحديثك اقد بورك لنا في جوارك فمن أين أنت قل انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله استطعت خلعت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختراي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتين لما رأيا يوسف قالانا قد أحببناك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أشد كما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء فقد أحببني عني فدخل على من ذلك بلاء وأحبنى أي فالقيت في الحب وأحببني امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما واعرض عن سؤالهما وأخفى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته في العلم أعلى وأعظم مما عقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن الغيبات على سبيل القاطع واليقين وذلك مما يهجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان أحدهما سيصعب فأراد أن يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر له المعجزة لهذا السبب ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبأ تكما بتأويله ﴾ قيل أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام

وقال قبل تعبير (نبثا نبثا وبله) أخبرنا بتأويل رؤيانا (اننا نراك من المحسنين) الى أهل السجن ويقال من (ترزقانه) الصادقين فيما تقول (قال) لهما يوسف وأراد ان يعلمهما علمه بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام ترزقانه) (طعامانه) (الانبأ تكما بتأويله)

وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان أفترض ذلك فوصل به ووصف نفسه
عاهو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينشأ عنهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ووصف لهما ويقول
اليوم يأتيكما طعام من صقديت وكيت ٤٠٧ فيكون كذلك { سورة يوسف } وجعل ذلك تخلصا الى

أن يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان
ويزينه لهما ويقبح اليهما
الشرك وفيه ان العالم اذا
جهل منزلة في العلم
فوصف نفسه بما هو بصدده
وغرضه أن يقتبس منه
يكن من باب التزكية
(ذلكما) اشارة لهما الى
التأويل أي ذلك التأويل
والاخبار بالمغيبات (عما
علمي ربي) وأوحى به الى
ولم أقله عن تكلم وتكلم
(اني تركت) ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كفرون
يجوز أن يكون كلاما
مبتدأ وان يكون تعليلا
لما قبله أي علمي ذلك
وأوحى به الى لاني رفضت
ملة أولئك وهم أهل
مصر ومن كان الفتيان على
دينهم (واتبع ملة آبائي
ابراهيم واسحق ويعقوب)
وهي الملة الخنيفية
وتكريرهم للتوكيد وذكر
الآباء ليربها الله من بيت
النبوته بعد ان عرفهم الله
نبي يوحى اليه بما ذكر

الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهم الى التوحيد
ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء
عليهم السلام والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم
من الاخبار بالغيب ليدلهم على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما أي ذلك
التأويل { مما علمني ربي } بالالهام والوحى وليس من قيل التكهّن أو التنجيم { اني تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كفرون } تعليل لما قبله أي علمي ذلك لاني تركت
ملة أولئك { واتبع ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب } أو كلام مبتدأ لتهديد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوته لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز
ترزقانه في نومكما الا أخبركما خبره في الیقظة وقيل أراد به في الیقظة يقول لا يأتيكما
طعام من منازلكما ترزقانه يعني قطع ماله وتأكلانه الانبأ تكما بتأويله يعني أخبركما
بقدره ولونه والوقت الذي يعمل اليكما فيه { قبل ان يأتيكما } يعني قبل أن يصل اليكما
وأى طعام أكلتم وكما أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال
وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم فقال ليوسف عليه الصلاة والسلام حيث قال
من علم العرافين والكهنة فن أن لك هذا العلم فقال ما لنا بكاهن ولا عراف وانما ذلك
اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به { ذلكما بما علمني ربي } يعني ان هذا
الذي أخبركما به وحى من الله أوحاه الى وعلم علمني { اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله } فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام
كان داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فامعنى هذا الترك في قوله
تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء
والالتفات اليه بالمرّة وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع
عند الوجد الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز
وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان
الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله { وهم بالآخرة هم كفرون } فترك
ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم في قوله وهم بالآخرة هم
كفرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله { واتبع ملة آبائي ابراهيم واسحق
يعقوب } لما ادعى يوسف عليه السلام النبوته وأظهر المعجزة أظهر انه من أهل بيت

من اخباره بالغيب ليقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لانه كان فيه ثم تركه

بلونه وجنسه (قبل أن يأتيكما) كيف لا اعلم تعبير رؤيا كما (ذلكما) التعبير (مما علمني ربي اني تركت ملة قوم) لم أتبع دين قوم (لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كفرون) جاحدون (واتبع ملة آبائي) استقممت على دين آبائي (ابراهيم واسحق ويعقوب

(ما كان لنا) ماعنا لنامعشر { الجزء الثاني عشر } الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) أى شئ كان صما

أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد
(من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون) فضل الله
فيشركون به ولا يتهون
(يا صاحى السجين) ياساكنى
السجين كقول أصحاب النار
وأصحاب الجنة (أأرباب
متفرقون خير أم الله
الواحد القهار) يريد
الفرق في العدد والتكاثف
أى ان تكون أرباب شتى
يستعبد كما هذا ويستعبد كما
هذا خير لكما أم يكون لكما
رب واحد قهار لا يغالب
ولا يشارك في الربوبية وهذا
مثل شربه لعبادة الله وحده
ولعبادة الاصنام

(ما كان لنا) ما جاز لنا
(ان نشرك بالله من شئ)
شياً من الاصنام (ذلك) الدين
القيم النبوة والاسلام اللذان
أكرمنا الله بهما (من فضل
الله علينا) من من الله علينا
(وعلى الناس) إرسلنا
اليهم ويقال على المؤمنين
بالإيمان (ولكن أكثر الناس)
أهل مضر (لا يشكرون)
لا يؤمنون بذلك (يا صاحى
السجين) قال هذا السجين
ولاهل السجين (أأرباب
متفرقون خير) تقول عبادة
آلهة شتى خير (أم الله الواحد
القهار) أم عبادة الله الواحد

للخامل العالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرر الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتأكيدهم بالآخر (ما كان لنا) ماعنا لنامعشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ)
أى شئ كان (ذلك) أى التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس)
وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتبديهم عليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم
(لا يشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون أو من فضل الله علينا وعليهم
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها
كن يكفر النعمة ولا يشكرها (يا صاحى السجين) أى ياساكنىه أو ياساحى فيه فاضافها
اليه على الاتساع كقوله

ياسارق الليلة اهل الدار

(أأرباب متفرقون) شتى متعددة متساوية الاقدام (خير أم الله الواحد) المتوحد
بالالوهية (القهار) الغالب الذى لا يعادله

النبوة وان آباء كلهم كانوا أنبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين
بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة أظهر
يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله
ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا) ان نشرك بالله من شئ (معناه
ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان
ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التى اختصنا بها قل الواحدى لفظته من فى
قوله من شئ زائده مؤكدة كقولك ما جاني من أحد وقال صاحب الكشف ما كان لنا
ماعنا لنامعشر الانبياء أن نشرك بالله من شئ أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلاً
أن نشرك به صغلاً لسمع ولا يصير (ذلك) من فضل الله (يعنى ذلك التوحيد وعدم
الاشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله) علينا وعلى الناس (يعنى بما نصب لهم من
الدلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على
عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعنى ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه
النعم التى أنعم الله عليهم لانهم تركوا عبادة وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال
(يا صاحى السجين) يريد يا صاحى فى السجين فاضافهما الى السجين كاتقول ياسارق
الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ومحوز أن يريد ياساكنى السجين كقوله أصحاب النار
وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يعنى آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب
وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون فى الصفة وهى مع ذلك لا تضر ولا تنفع
(خير أم الله الواحد القهار) يعنى ان هذه الاصنام أعظم صفة فى المدح واستحقاق اسم
الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل
هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والتظير وليس كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة
لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لا مثل
له ولا يشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذى قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة
وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شئ وذله فاستسلم وانقاد وذله

(ماتعبدون) خطاب لهما ولما كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الاسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) أى سميت
 ما لا يستحق الالهية آلهتهم طفقتم تعبدونها ﴿ ٤٠٩ ﴾ فكأنكم { سورة يوسف } لاتعبدون الاسماء لامسيات

لهما ومعنى سميتوها سميت بها
 يقال سميت زيدا وسميته يزيد
 (ما أنزل الله بها) بتسميتها
 (من سلطان) حجة (ان
 الحكم) فى أمر العباد
 والدين (الاله) ثم بين
 ما حكم به فقال (أمرألا
 تعبدوا الاياه ذلك الدين
 القيم) الثابت الذى دلت
 عليه البراهين (ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون)
 وهذا يدل على ان العقوبة
 تلزم العبد وان جهل اذا
 أمكن له العلم بطريقه ثم
 عبر الرؤيا فقال (ياصاحبى
 السجن أما أحذركا) يريد
 الشرابى (فيسقى ربه) سيده
 (خرا) أى يعود الى عمله
 (وأما الآخر) أى الخباز
 (فيصلب)

(ماتعبدون من دونه)
 من دون الله (الاسماء)
 أصناما أمواتا (سميتوها)
 أنتم وآباؤكم (الآلهة) ما
 أنزل الله بها (بعبادتكم لها)
 (من سلطان) من كتاب
 ولا حجة (ان الحكم) ما الحكم
 بالامر والنهى ويقال ما للقضاء
 فى الدنيا والآخرة (الاله)
 أمر (فى الكتب كلها) الا
 تعبدوا (ان لا توحدا) الا
 اياه (الاله) (ذلك)

ولا يقاومه غيره ﴿ ماتعبدون من دونه ﴾ خطاب لهما ولما على دينهما من أهل مصر
 ﴿ الاسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ﴾ ما أنزل الله بهما من سلطان ﴿ أى الاشياء باعتبار اسم
 اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فيها فكأنكم لاتعبدون الا الاسماء
 المجردة والمعنى انكم سميت ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم
 تعبدونها باعتبار ما اطلقون عليها ﴿ ان الحكم ﴾ فى امر العباد ﴿ الاله ﴾ لانه المستحق
 لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد لكل والمالك لأمره ﴿ أمر ﴾ على لسان
 انبيائه ﴿ ألا تعبدوا الاياه ﴾ الذى دلت عليه الحجج ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ الحق وأنتم
 لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزمام الحجة بين لهم أولار جحان
 التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها
 لا تستحق الالهية فان استحقاق العباد اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنهما ثم نص
 على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه
 ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فيخبطون فى جهل لانهم ﴿ يا صاحبى السجن اما
 احذركا ﴾ يعنى الشرابى ﴿ فيسقى ربه خرا ﴾ كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه
 ﴿ واما الآخر ﴾ يريد الخباز ﴿ فيصلب ﴾

والمعنى ان هذه الاصنام التى تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها واهانتها
 قد مر عليه والله هو الواحد فى ملكه القهار لعباده الذى لا يغلبه شئ وهو الغالب
 لكل شئ سبحانه وتعالى ﴿ ثم بين عجز الاصنام وانها لاشئ البتة فقال ﴾ ماتعبدون
 من دونه ﴿ يعنى من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بثنائية فى المخاطبة
 لانه أراد جمع من فى السجن من المشركين ﴿ الاسماء سميتوها ﴾ يعنى سميتوها
 آلهة وأربابا وهى حجارة خالية عن المعنى لاحقيقة لها ﴿ أنتم وآباؤكم ﴾
 يعنى من قبلكم سموها آلهة ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ يعنى ان تسمية
 الاصنام آلهة لاجحة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله
 أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ ان الحكم الاله ﴾
 يعنى ان الحكم والقضاء والامر والنهى لله تعالى لا شريك له فى ذلك ﴿ أمرألا تعبدوا
 الاياه ﴾ لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى سميتوها آلهة ﴿ ذلك الدين
 القيم ﴾ يعنى عبادة الله هى الدين المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك ولما
 فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما
 فقال ﴿ يا صاحبى السجن أما أحذركا فيسقى ربه خرا ﴾ يعنى ان صاحب شراب الملك يرجع
 الى منزله ويسقى الملك خرا كما كان يسقيه أولا والعنايد الثلاثة هى ثلاثة أيام يبقى
 فى السجن ثم يدعوه الملك ويرده الى منزله التى كان عليها ﴿ واما الآخر فيصلب ﴾ يعنى

التوحيد (الدين القيم) وهو الدين القائم الذى (قاو خا ٥٢ لث) يرضاه وهو الاسلام (ولكن أكثر الناس) أهل مصر
 (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون ثم بين تعبير رؤيا الفتين فقال (يا صاحبى السجن اما احذركا) وهو الساقي فيرجع الى مكانه وسلاطانه
 الذى كان فيه (فيسقى ربه) سيده الملك (خرا واما الآخر) وهو الخباز يخرج من السجن (فيصلب)

فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضاة الثلاثة فانها ثلاثة أيام غص في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أي { الجزء الثاني عشر } ما يجرا اليه من العاقبة ﴿ ٤١٠ ﴾ وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر

(وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطرق الوحي فالظان هو الشراي أو يكدون الظن بمعنى اليقين (اذ كرنى عند ربك) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى ويخلصنى من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الشراي (ذكر ربه) ان يذكره لربه أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفي الحديث رحم الله أخى يوسف لولم يقل اذ كرنى عند ربك لما لبث في السجن سبعة

فتأكل الطير من رأسه) ففزعاً لتعبير رؤيا الاخباز وقال جميعاً ما رأينا شيئاً قال لهما يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) تسألان فكما قلتما وقات لكما كذلك يكون رأيتما أولم تريا (وقال للذي ظن)

فتأكل الطير من رأسه ﴿ فقال كذبتا فقال ﴿ قضى الامر الذي فيه تستفتيان ﴾ أي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤل اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما ﴿ وقال للذي ظن انه ناج منهما ﴾ الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكر عن وحي فهو الناجي الان يأول الظن باليقين ﴿ اذ كرنى عند ربك ﴾ اذ كرنى حالى عند الملك كي يخلصنى ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ فأنسى الشراي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر للاستعانة أو على تقدير ذكر اخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخى يوسف لولم يقل اذ كرنى عند ربك لما لبث في السجن سبعة بعد الخس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محجوبة

يعنى صاحب طعام الملك واللال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعوه الملك فيصليبه ﴿ فتأكل الطير من رأسه ﴾ قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سمعنا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالاً ما رأينا شيئاً انما كنا نلعب قال يوسف ﴿ قضى الامر الذي فيه تستفتيان ﴾ يعنى فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكمه الله عليكما بالذى أخبرتكما به رأيتما شيئاً أم لم تريا ﴿ وقال ﴾ يعنى يوسف ﴿ للذي ظن ﴾ يعنى علم وتحقق فالظن بمعنى العلم ﴿ أنه ناج منهما ﴾ يعنى ساقى الملك ﴿ اذ كرنى عند ربك ﴾ يعنى سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاماً محبوساً مظلوماً طال حبسه ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ في هاء الكناية في فأنساه الى من تعود قولاً أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك قالوا الان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثانى وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بالخلق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالخلق في دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهى منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذاً بهذا القدر فان حسنات الابراسيات المقربين • فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكر ربه • قلت بشغل الخاطر وألقاء الوسوسة فانه قد صبح في الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فاما النفسان الذى هو عبارة عن ترك الذكر

علم (انه ناج منهما) من السجن والقتل وهو الساقى (اذ كرنى عند ربك) عند سيدك الملك انى مظلوم عدا (وازاته) على اخوتى فباعونى وأنا حرو حسبت في السجن وأنا مظلوم (فأنساه الشيطان ذكر ربه) فاشغله الشيطان حتى نسى ذكر يوسف عند سيده الملك ويقال وسوس له الشيطان ان ذكرت السجن للملك يرجعك الى السجن فلذلك لم يذكره ويقال فأنساه الشيطان انسى الشيطان يوسف ذكر ربه حتى ترك ذكر ربه وذكروا خلقاً قاده

(فلبث في السجن بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات ٤١١ خضر وأخريابسات) { سورة يوسف } لما دنا فرج يوسف رأى ملك

مصر الريان بن الوليد رؤيا عجبية هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت المهازيل السمان ٤١٢ وسبع سنبلات خضر ٤١٣ قد انعقد حباها ٤١٤ وأخر يابسات ٤١٥ وسبعا أخريابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التميز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء ٤١٦ فلبث في السجن بضع سنين ٤١٧ والبضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع ٤١٨ وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ٤١٩ لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان ٤٢٠ وسبع سنبلات خضر ٤٢١ قد انعقد حباها ٤٢٢ وأخر يابسات ٤٢٣ وسبعا أخريابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التميز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

وازاله عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه ٤٢٤ وقوله سبحانه وتعالى ٤٢٥ فلبث في السجن بضع سنين ٤٢٦ اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساق اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً طيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فرزنا عنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلًا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخطائين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني أن استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لألبئك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عن راض قال نعم قال اذا لا بألى وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حبيبك الى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجبية هالته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شي ولم يتبين على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حباها وسبع سنبلات أخريابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبدين وقص عليهم رؤياه التي رآها فذلك قوله تعالى ٤٢٧ وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخريابسات

(فلبث) فكث (في السجن بضع سنين) سبع سنين عقوبة بترك ذكر الله وكان قبل هذا في السجن خمس سنين (وقال الملك اني أرى) رأيت في المنام (سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يأكلهن) يتلعهن (سبع عجاف) بقرات هالكات من الهزال خرجن

من بعد السمان ولم يستبين عليهن شيء (وسبع سنبلات خضر وأخريابسات) التوين على الخضر وغلبن خضرتهن ولم يستبين عليهن

على النظر والنقيض على النقيض وفي الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لان الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والجفاف والسنبال الخضر فوجب أن يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا آخر (يا أيها الملأ) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء (أفتونى في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام في الرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضدها تقول { الجزء الثاني عشر } عبرت الرؤيا ٤١٢ وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان

كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أوحال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعه حتى تبلغ آخر عرضة وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمدته الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمدير (قالوا أضغاث أحلام) أى هى أضغاث أحلام أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعبرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من احلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايد في

لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حل على سمان لانه نقيضه (يا أيها الملأ أفتونى في رؤياى) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبرة الرواى وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان أو لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تتدبون عبارة الرؤيا (قالوا أضغاث أحلام) أى هذه أضغاث أحلام وهى تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطان كقولهم فلان يركب الخيل أى لتضمنه اشياء مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعدول في جهلهم بتأويله وقال الذى نجما منهما (من صاحى السجى

يا أيها الملأ أفتونى في رؤياى) يعنى يا أيها الاشراف أخبرونى بتأويل رؤياى (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعنى ان كنتم يحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير يختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعنى قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعنى أخلاط مشبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التى يراها الانسان فى منامه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذى نجما منهما

وصف الحلم بالبطان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل) يعنى (الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تأويل الاحلام بخبرين (وقال الذى نجما) من القتل (منها)

شئ (يا أيها الملأ) يعنى العرافين والسحرة والكهنة (أفتونى في رؤياى) فى تعبیر رؤياى (ان كنتم للرؤيا تعبرون) تعلمون (قالوا) يعنى العرافين والكهنة والسحرة (أضغاث أحلام) هذه أباطيل أحلام كاذبة مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام) يقول بتعبير رؤيا الاحلام (بعالمين وقال الذى نجما منهما)

من صاحبي السجن (وادكر) بالدال هو الفصحى واصله اذ تكرر فأبدلت الدال دالا والتاء دالا وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكرو وجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أى تذكر يوسف وما شاهد منه (بعدامة) بعدمدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عن عنده علمه (فارسلون) وبالياء يعقوب أى فابعثوني اليه لاسأله فارسلوه الى ٤١٣ يوسف فانه لم سورة يوسف فقال (يوسف أيها

الصديق) أيها الصديق في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) الى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون

وهو الشرابى) وادكر بعدامة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرى أمة بكسرة الهمزة وهى النعمة أى بعد ما انعم عليه بالنجاة واهه أى نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول) أنا أنبئكم بتأويله فارسلون) أى الى من عنده علمه الى السجن) يوسف أيها الصديق) أى فارسل الى يوسف فاجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق هو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه) أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) أى فى رؤيا ذلك) لعلى أرجع الى الناس) اعود الى الملك ومن عنده أو الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه) لعلهم يعلمون) تأويلها أو فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيها لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم) قال تزرعون يعنى وقال الساقى الذى نجى من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز) وادكر بعدامة) يعنى انه تذكر قول يوسف اذ كرى عنديك بعدامة يعنى بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة) أنا أنبئكم) يعنى أخبركم) بتأويله) وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة الصحرة والكهنة والمعبين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدي الملك وقال ان فى السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا) فارسلون) فيه اختصار تقديره فارسلنى أيها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن فى المدينة) يوسف) أى يا يوسف) أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذى لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق فى تعبير رؤياه التى رآها فى السجن) أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا) لعلى أرجع الى الناس) يعنى أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته) لعلهم يعلمون) يعنى بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم) قال) يعنى قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخضبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجذبة فذلك قوله تعالى) تزرعون) وهذا خبر

فجاءه فقال ليوسف يا (يوسف أيها الصديق) الصادق فى تعبير الرؤيا الاولى (أفتنا في سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يأكلهن) يتلعهن (سبع عجاف) هزال هالكات (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) التوين على الخضرة وغلبن خضرتهن (لعلى أرجع الى الناس) الى الملك (لعلهم يعلمون) لكى يعلموا رؤيا الملك فقال يوسف نعم اما السبع بقرات السمان فهن سبع سنين مخضبة وأما السبع سنبلات الخضر فهن الخصب والرخص فى السنين المخضبة وأما السبع بقرات الهزال الهالكات فهى سبع سنين مجذبة وأما السبع سنبلات اليابسات فهى القحط والغلاء فى السنين المجذبة ثم علمهم يوسف كيف يصنعون (قال تزرعون

(سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأباً) بسكون الهمزة وحفص بحركة وهم مصدر دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دأبين (فاحصدتم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الا قليلاً مما تأكلون) في تلك الجزء الثاني عشر من السنين ٤١٤ (ثم يأتي من بعد ذلك سبع

شدادياً كلن) هو من اسناد الجاز جعل أكلهم مسنداً اليهم (ما قدمتم لهم) أي في السنين الخصبه (الاقليلاً مما تحصنون) تحرزون وتخبطون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي يجاب مستغيثهم أو من الغيث أي يعطرون يقال غيث البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) الغناب والزيتون والسمسم فيحذون الاشربة والادهان يعصرون حزمة قاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدية ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يحى مباركاً كثير الخير عزيز النعم وذلك من جهة الوحي

(سبع سنين) الخصبه (دأباً) دائماً كل عام (فاحصدتم) من الزرع (فذروه في سنبله) في كوافره ولا تدوسوه لانه ابقى له (الاقليلاً

سبع سنين دأباً) أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دأبين أو المصدر باضممار فعله أي تدأبون دأباً وتكون الجملة حالا . وقرأ حفص دأباً بفتح الهمزة كلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امرأه في صورة الخبر مبالغة لقوله (فاحصدتم فذروه في سنبله) لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة (الاقليلاً مما تأكلون) في تلك السنين (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادياً كلن ما قدمتم لهم) أي يأكل اهلهم ما دخرتم لاجلهم فاسند اليهم على المجاز تطبيقين المعبر والمعبره (الاقليلاً مما تحصنون) تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يعطرون من الغيث أو يغاثون من القمح من الغوث (وفيه يعصرون) ما يعصر كالغناب والزيتون الكثير الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حزمة والكسائي بالتاء على تغليب المستقوى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاء ويحتمل ان يكون المبنى للفعل منه أي يغنيهم الله ويغنيهم بعضاً أو من اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبه والعجاف واليابسات بسنين مجدية

بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأباً) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجهد واجتهاد (فاحصدتم فذروه في سنبله) انما امرهم بترك ما حصده من الخنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان (الاقليلاً مما تأكلون) يعني ادرسوا قليلاً من الخنطة لئلا كل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضاً وهو وقت السنين المجدية وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المخصبه (سبع شدادياً) يعني سبع سنين مجدية ممحلة شديدة على الناس (يأكلن) يعني يفتين (ما قدمتم لهم) يعني يؤكل فيهن كل ما أعدتم وادخرتم لهم من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام (الاقليلاً مما تحصنون) يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين المجدية (عام فيه يغاث الناس) أي يعطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون الغناب خرا والزيتون زيتاً والسمسم دهناً أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة

مما تأكلون) تقول بقدر ما تأكلون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المخصبه (سبع شدادياً) سبع سنين قحطة (والجذب) (يأكلن ما قدمتم لهم) ما رقت لهم للسنين المجدية في السنين المخصبه (الاقليلاً مما تحصنون) تحرزون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المجدية (عام فيه يغاث الناس) اهل مصر بالطعام والمطر (وفيه يعصرون) الكروم والادهان والزيت فرجع الرسول وأخبر الملك بذلك

وقال الملك اثنتونى به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) اى الملك (فاسئله ما بال النسوة) اى حال النسوة (اللاتى قطعن ايديهن) انما ثبت وتأتى فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عمارى به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجهلوه سلما الى حظه نزلته لديه ولئلا يقواوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد فى نفى التهم ٤١٥ واجب وجوب { سورة يوسف } اتقاء الوقوف فى موافقها

وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخرجتهم حتى أشرطان يخرجونى واقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه وابثت فى السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر ان كان حلما ذأناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقصر على ذلك المقطعات أيديهن (ان ربي بكيدهن علم) أى ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازين عليه فرجع الرسول الى الملك

(وقال الملك اثنتونى به) يوسف (فلما جاءه الرسول) وهو الساقى الى يوسف فقال ان الملك يدعوك (قال) له يوسف (ارجع الى ربك)

وابتلاع الجفاف السمان بأكل ما جمع فى السجن المخصصة فى السجن المحبذة ولعله علم ذلك بالوحى أو بان انتهاء الجذب بالخصب أو بان السند الالهية على ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم وقال الملك اثنتونى به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه وقال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما أتى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وتفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح أمره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد فى نفى التهم وبتقى مواقعها وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهيجاله على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيده مع ما صنعت به كرمها ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن علم حين قلن لى اطعم مولاناك

والجذب قوله عز وجل وقال الملك اثنتونى به وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذى قاله كائن لا محالة فقال اثنتونى به حتى أبصر هذا الرجل الذى قد عبر رؤياى بهذه العبارة فرحم الساقى الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى فلما جاءه الرسول فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص قال يعنى قال يوسف للرسول ارجع الى ربك يعنى الى سيدك وهو الملك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أذبا واحتراما لها (ق) عن أى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولبثت فى السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعى اخرجه الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث فى السجن وراسل الملك فى كشف أمره الذى سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله ان ربي بكيدهن علم يعنى ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن فى هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف

الى سيدك الملك (فاسئله ما بال النسوة) يقول قل لملك حتى يسأل عن خبر النسوة (اللاتى قطعن) خدشن وخشن (أيديهن ان ربي) سيدى (بكيدهن) بمكرهن وصنيعهن (علم) فرجع الرسول وأخبر الملك فجمع الملك هؤلاء النسوة كلهن وكن أربع نسوة امرأة ساقيه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وامرأة العزيز أيضا ولم يكن فى مصر أعظم منهن

من عند يوسف برسلته فدعا الملك النسوة المقطعات أيدين ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ماخطبكن) ما شأنكن (اذراودتن يوسف عن نفسه) هل وجدت من ميلالكين (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت) الجزء الثاني عشر ٤١٦ - الآن حصص الحق) ظهر

واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتن عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن له للبراءة والتزاهة واعترافهن على أنفسهن بانه لم يتعلق بشئ مما قذف به ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أي أمتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أني لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب في حرمة وألغى حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو هو غائب عني أو ليعلم الملك أني لم أخن العزيز (وإن الله) أي وليعلم أن الله (لا يهدي كيد الخائنين) لا يسدده وكأنه تعريض بامرائه في خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مكرها ويبين

دون الملك (قال) لهن (الملك) ما خطبكن (ما شأنكن وما حالكن) اذراودتن

وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن ﴿ قال ما خطبكن ﴾ قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحب ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ﴾ تنزيهه وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿ ما علمنا عليه من سوء ﴾ من ذنب ﴿ قالت امراء العزيز الآن حصص الحق ﴾ ثبت واستقر من حصص البعير اذا التقى مباركة ليناخ قال فححص في صم الصفا ثناته • وناه بسلمى نوء ثم صمما

او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه • وقرئ على البناء للمفعول ﴿ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ في قوله هي راودتن عن نفسي ﴿ ذلك ليعلم ﴾ قاله يوسف لما عاد اليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك الثبت ليعلم العزيز ﴿ اني لم أخنه بالغيب ﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وانا غائب عنه أو هو غائب عني أو ظرف أي بكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة ﴿ وإن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾

الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و ﴿ قال ﴾ لهن ﴿ ما خطبكن ﴾ أي ما شأنكن وأمركن ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه ﴾ انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب ﴿ قلن ﴾ يعني النسوة جميعا محبات للملك ﴿ حاش لله ﴾ يعني معاذ الله ﴿ ما علمنا عليه من سوء ﴾ يعني من خيانة في شئ من الاشياء ﴿ قالت امراء العزيز الآن حصص الحق ﴾ يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعزرنها وقيل خافت أن يشهدن عليها فأقرت فقالت ﴿ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ يعني في قوله هي راودتن عن نفسي واختلفوا في قوله ﴿ ذلك ليعلم ﴾ أني لم أخنه بالغيب ﴿ على قولين ﴾ أحدهما انه من قول المرأة ووجد هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه في حال غيبته وهو السجود ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تأكيد هذا القول فقالت ﴿ وإن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ يعني اني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم اني اقتضيت لان الله

يوسف عن نفسه قلن حاش لله) معاذ الله (ما علمنا عليه) ما رأينا منه (من سوء) من قبيح (قالت امراء العزيز الآن (لا يرشد) حصص الحق) الآن تبين الحق ليوسف ويقال الآن خبر الصدق (أنا راودته عن نفسه) نادعوته الى نفسي (وانه لمن الصادقين) في قوله انه لم يراودني قال يوسف (ذلك ليعلم) العزيز (اني لم أخنه) في امرائه (بالغيب) اذا غاب عني (وان الله لا يهدي) لا يصبوب ولا يرضى (كيد الخائنين) عمل الزانين

لا ينفذه ولا يسدده أولا يهدي الخائنين بكيدهم فاقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه

لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه الصلا والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبرر وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما باغ يوسف قول المرأة أنا راودته عن نفسه وان لم يصدقين قال يوسف ذلك أى الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم أى العزير أنى لم أخنه في زوجته بالغيب يعنى في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموضه فيدلانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملائكة فاذنوا من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقاً لها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين * أحدهما انه كان في السجن وذلك انما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبى صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهى اشارة للغائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الأنباري قل للغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذى يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم أنى لم أخنه بالغيب أى لم أخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعنى انى لو كنت خائناً لما خلاصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لا يهدي أى لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا

ان ما فيه من الامانة بتوفيق
الله وعصمته فقال

فقال له جبريل عليه السلام
ولاحين هممت بها يا يوسف
فقال يوسف

الحزب الثالث عشر

فانه خير حافظا . وسمي ارحم الراحمين

بقوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ أي لا أنزهها تنبيهها على انه لم يرد بذلك تركية نفسه والعجب بحاله بل اظهر ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال لي علم اني لم اخذ بالغيب قال له جبريل ولاحين هممت فقال ذلك ﴿ان النفس لأماراة بالسوء﴾ من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في قوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ من قول من على قواين أيضا أحدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك لي علم اني لم أخذه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من صراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك لي علم اني لم أخذه بالغيب قال له جبريل ولاحين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك لي علم اني لم أخذه بالغيب خاف ان يكون قد ذكركي نفسه فقال وما أبرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففي قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس في مقام العصمة والتركبة ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيئات المقربين ﴿ان النفس لأماراة بالسوء﴾ والسوء لفظ جامع لكل ما يهيم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة الفعلية القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ماهي فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي

(وما أبرئ نفسي) من الزلل
وما أشهد لها بالبراءة الكلية
ولا أزكيها في عوم الاحوال
أو في هذه الحادثة لما ذكرنا
من الهم الذي هو الخطرة
البشرية لا عن طريق
القمع والعزم (ان النفس
لأماراة بالسوء) أراد
الجنس أي ان هذا الجنس
يأمر بالسوء ويحمل عليه
لما فيه من الشهوات

(وما أبرئ نفسي) قلبي
من الهم (ان النفس) يعني
القلب (لأماراة) للحمس
(بالسوء) بالقبيح من العمل

(الامارحمرى) الالبعض الذى رحه ربى بالعصمة ويجوز ان يكون ما رحى فى معنى الزمان أى الاوقت رحه ربى يعنى انها أماره بالسوء فى كل وقت الاوقت العصمة ﴿٤٢١﴾ أو هو استثناء { سورة يوسف } منقطع أى ولكن رحه

ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخذه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قد قدته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الامارحمرى ربى الانفسا رحه الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربى غفور رحيم) استغفرت ربه واسترحته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولادليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقبل هذا من تقديم القرآن وتأخيريه أى قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) أجعله خالصا لنفسي (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحتسب

(الامارحمرى) عصم ربى

فى اثرها كل الاوقات ﴿الامارحمرى﴾ الاوقت رحه ربى أو الامارحمرى الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن رحه ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرا به . وعن ابن كثير ونافع بالسوء على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ﴿ان ربى غفور رحيم﴾ يغفرهم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحه مما ارتكبه ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصا لنفسي ﴿فلما كلمه﴾ أى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشده والدهاء

صفات انفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهى النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فالامتياز على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس أماره بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة ﴿وقوله﴾ الامارحمرى ربى ﴿قال ابن عباس﴾ معناه الامن عصم ربى فتكون مابعنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعنى من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحى ربى فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ﴿ان ربى غفور﴾ يعنى غفور لذنوب عباده ﴿رحيم﴾ بهم ﴿قوله تعالى﴾ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴿وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعنى بيوسف أستخلصه لنفسي أى أجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشئ من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركون فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده فى يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاده الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيا أسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴿فلما كلمه﴾ فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بالامارة فاجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تهم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار فى كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلاء وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربى من دنياى وحسبى ربى من خلقه عز جبارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمى اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان

(ان ربى غفور) متجاوز (رحيم) لما هممت (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) اخضه لنفسي دون العزيز (فلما كلمه) بعد ما جاء اليه وفسر رؤياه

(قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شئ روى ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا { الجزء الثالث عشر } وسبعون ٤٢٢ مراكبا وبعث اليه لباس الملوك فقال أحب الملك

وقال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جدد فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمي اسماعيل ودعاه بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلّمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنايل واما كنهها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راغيل فوجد لها عذراء وولده منها افرائيم وميشا

أيضا قال يوسف هذا لسان آباي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدائته سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و قال انك اليوم لدينا مكين أمين يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها بما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن اسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها الملك رأيت سبع بقران سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فظلمن من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نصب النيل فغار ماؤه وبدا يسه فخرج من جأته سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضرور ولا اخلاف ولهن أسياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلفن بالسمان فاقترسن السمان كافتراس السبع فاكن الحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذ سبع سنبلات حضر طريات ناعمات مملئات حبا وماء والى جانبيه سبع أخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما أنت تقول في نفسك أي شئ هؤلاء خضر ثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الثرى والماء اذهبت ريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شئ فاشأن هذه الرؤيا وان

فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تغم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاعخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جدد فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلّمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب أن اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصت لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنايل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الاهرام فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه

(قال) له الملك (انك)

(كان)

اليوم لدينا) عندنا (مكين) لك قدر ومنزلة (أمين) بالامانة ويقال بماوليتك

(قال) يوسف (اجعلنى على خزان { ٤٢٣ } الارض) ولنى { سورة يوسف } على خزان ارضك يعنى مصر

(انى حفيظ) أمين أحفظ
ما تستحفظنيه (عليم) عالم
بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية
وهما طلبه الملوك ممن يولونه
وانما قال ذلك ليتوصل الى
امضاء أحكام الله واقامة
الحق وبسط العدل
والتمكن مما لاجله بعث
الانبياء الى العباد ولعلمه
ان احدا غيره لا يقوم مقامه
فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه
الله لالحب الملك والدنيا
وفى الحديث رحم الله أخى
يوسف لولم يقل اجعلنى على
خزان الارض لاستعمله
من ساعته ولكنه أخر ذلك
سنة قالوا فيه دليل على انه
يجوز ان يتولى الانسان عماله
من يد سلطان جائر وقد
كان السلف يتوانون القضاء
من جهة الظلمة واذا علم النبي
أو العالم أنه لا سبيل الى
الحكم بأمر الله ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر
أو الفاسق فله أن يستظهر
به وقيل كان الملك يصدر
عن رأيه ولا يعترض عليه
فى كل ما رأى وكان فى حكم
التابع له

(قال اجعلنى على خزان

الارض) على خراج مصر

(انى حفيظ) بتقديرها (عليم) بساعة الجوع حين يقع ويقال حفيظ لما وليتنى عليم بجميع السن الغبراء الذين يأتونك

قال اجعلنى على خزان الارض ولنى امرها والارض ارض مصر انى حفيظ
من لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره
لا محالة أثر ما تم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طاب التولية واطهارانه مستعد
لها والتولى من يد الكافر اذ علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به

كان عجباً فافه باعجب مما سمعت منك وما ترى فى تأويل رؤى ايهما الصديق قال
يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً فى هذه السنين
المنحصنة وتجعل ما يمتص من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له فيكون
ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم أيضاً
فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعه لاهل مصر ومن حوالها وتأتيك الخلق من سائر
النواحي للميرة ويجمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال
الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك قال يعنى
يوسف اجعلنى على خزان الارض يعنى على خزان الطعام والاموال وأراد
بالارض ارض مصر أى اجعلنى على خزان ارضك التى تحت يدك وقال الربيع
ابن أنس اجعلنى على خزان خراج مصر ودخلها انى حفيظ عليم أى حفيظ
للخزان عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعنى
عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتىنى وقال الكلبي حفيظ
بتقديره فى السنين المنحصنة للسنين المجدة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك
عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى يوسف
لولم يقل اجعلنى على خزان الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فان
قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما روى من النهى
عنها مع كراهية طلبها لما صبح من حديث عبدالرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عبدالرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها
وان أوتيتها عن غير مسئلة أعنت عليها أخرجاه فى الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة
اذا لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما
يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى
والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفاً برعاية المصالح ولا يمكنه
ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل
قسط وشدة اما بطريق الوحي من الله أو بغيره وربما أفضى ذلك الى هلاك
معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه
طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم
والله تعالى يقول فلا تذكروا أنفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل

وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده ﴿ وكذلك مكنا يوسف في الارض ﴾ في ارض مصر ﴿ يتبوأمنها حيث يشاء ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون

التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا بهد يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك مكنا يوسف في الارض ﴿ وكذلك اشارة الى ما تقدم يعنى وكما أنعمنا على يوسف بأن أنجبناه من الحب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قرب به وأدنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعنى ارض مصر ومعنى التمكين هو أن لا ينافعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله ﴿ يتبوأمنها حيث يشاء ﴾ لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلله بخاتمه ووضع له سريراً من ذهب مككلاً بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشاً وستون ماريلاً وضرب له عليه كلة من استبرق وأمره أن يخرج فتخرج متوجلاً به كالثعلب ووجهه كاتمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الأكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قل ابن اسحق قل ابن زيد وكان للملك مصر خزان كثير فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاه نافذاً في مملكته قلوا انهم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قل لها أليس هذا خيراً مما كنت تريد قل قالت له أيها السديق لا تلمنى فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كما ترى في ملك وذنبا وكان صاحبي لا يأتني النساء وكنت كما جعلك الله في حسنتك وهيتك فقلبتى نفسي وعصمتك الله قلوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحببه الرعايا والنساء فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجع فيها الطعام للسنين الجيدة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنين الخصبية ودخلت السنين الجيدة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاء نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أول اوان القحط فهلك في السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه في السنة الخصبية فجعل أهل مصر يتبعون الطعام من يوسف فباعهم في

(وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف في الارض) ارض مصر وكانت أربعين فرسخاً في أربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة (يتبوأمنها حيث يشاء) أى كل مكان أراد أن يتخذ منزلاً لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكى

(وكذلك مكنا يوسف) هكذا مكنا يوسف (في الارض) ارض مصر (يتبوأ) ينزل (منها) فيها (حيث يشاء) يريد

(نصيب برحمتنا) بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة ان نشاءه ذلك (ولا نضيع اجر المحسنين) في الدنيا (ولا اجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا لا يتروى أن الملك توج يوسف وخقه بخاعه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكلا بالدر والياقوت فقال أما ﴿٤٢٥﴾ السرير فاشدبه {سورة يوسف} ملكك وأما الخاتم فأدبر به

أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطيفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشاو أقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدرهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالخلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم باولادهم السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتازين أكثر

﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ولا نضيع اجر المحسنين﴾ بل نوفي أجورهم بما جلاو آجالا ﴿ولا اجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه ﴿وجاء اخوة يوسف﴾ روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدة وعم القحط السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذ منهم وباعهم في السنة الثانية بالخلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس مبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أنى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر مارأينا كاليوم ما كنا أجمل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يبيع من الطعام في تلك الايام فقل له أتجوع ويدك خزاين الارض فقال أخاف ان شبع أنسى الجائع وأمري يوسف طبأخي الملك أن يجعوا غداه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار قال بجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتنطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأمنها حيث يشاء ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ يعني نخضع بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا ﴿ولا نضيع اجر المحسنين﴾ قال ابن عباس يعني الصابرين ﴿ولا اجر الآخرة﴾ يعني ولثواب الآخرة ﴿خير﴾ يعني أفضل من اجر الدنيا ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ﴿قوله تعالى﴾ وجاء اخوة يوسف

من جل بهير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب (قاو ح ٥٤ لث) بمصر فارسل يعقوب بنيه ليتاروا وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف

(نصيب برحمتنا) نخضع برحمتنا النبوة والاسلام (من نشاء) من كان أهلا لذلك (ولا نضيع) لا نبطل (اجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (ولا اجر الآخرة) ثواب الآخرة (خير) من ثواب الدنيا (للذين آمنوا) بالله وجملة الكتب والرسول (وكانوا يتقون) الكفر والشرك والفواحش (وجاء اخوة يوسف) الى مصر

مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها أولا بالدرهم والدنانير حتى لم يبق
 منهم شيء منهما ثم بالحلل والجواهر ثم بالذواب ثم بالضياع والعقار ثم بقرابهم حتى استرقهم
 جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان
 قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه
 للميرة **﴿﴾** فدخلوا عليه فعرّفهم وهم له منكرون **﴿﴾** أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول
 العهد ومفارقة ايام من الحداثه ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأود عليها
 فدخلوا عليه فعرّفهم وهم له منكرون **﴿﴾** قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم
 ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف
 لا يعطي أحدا أكثر من حل ببيروان كان عظيمًا تقسيطًا ومساواة بين الناس ونزل بال
 يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف
 لأمه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم
 بالعربيات من أرض فلسطين والعربيات تغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم
 يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال يا بني أن بعصر منك صالحا لبيع الطعام فجهز والده واقصدوه
 لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرّفهم
 قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه
 وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين ان يذفوه في الحب وبين
 دخولهم عليه مدنا أربعين سنة فذلك أنكره ووقل عطاء الخليل يعرفوه لانه كان على سرير الملك
 وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد ايسر زى من ملك مصر عليه ثياب حرير وفي
 عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف
 وقد اجتمعت فيه وقبل ان يعرفان التمتع في القاب بخاق الله تعالى له فيه وار الله سبحانه
 وتعالى لم يخاف ذلك العرفان في تلك الساعة في ملوهم تحقيقا لما أخبر أنه سيبيئهم بأمرهم
 هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة يوسف عليه الصلاة والسلام فلما انفس اليهم يوسف
 وكلموه بالامبرانية كلمهم بالسائهم فقال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم
 قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما اصاب الناس فحشنا فحشا فقال يوسف
 لعلكم جنتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله مانحن بجواسيس انما نحن اخوة نواب
 واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوكم أنتم قلوا كنا
 اثني عشر فذهب أخنا لما عالى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبنائنا فكم أنتم الآن
 قالوا عشرة قالوا أين الآخر قالوا هو عند أبنائنا لأخواته هلك لأمه فابونا يتسلى به قال
 فمن يعلم ان الذي تقولون حق قلوا أيها الملك اننا بلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فأتوني
 بأخيك الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فلما راض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه
 وسنأوده عنه قال فدعوا عنكم عندى رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت
 القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى

فدخلوا عليه فعرّفهم () وهم له
 منكرون () لتبدل الزى
 ولانه كان من وراء الحجاب
 ولطول المدة وهو أربعون
 سنة روى انه لما رآهم
 وكلموه بالامبرانية قال لهم
 أخبروني من أنتم وما
 شأنكم قالوا نحن قوم من
 اهل الشام رعاة أصابنا
 الجهد فحشنا فحشا فقال
 لعلكم جنتم عيوننا تنظرون
 عورة بلادى فقالوا معاذ
 الله نحن بنو نبي حزين
 لفقد ابن كان أحبنا اليه
 وقد أمسك أخله من أمد
 يستأنس به فقال اتوني
 به ان صدقتم

وهم عشرة (فدخلوا عليه)
 على يوسف (فعرّفهم)
 يوسف انهم اخوته (وهم
 له منكرون) لا يعرفون انه
 أخوهم يوسف

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد ٤٢٧ منهم حل في سورة يوسف { بعير وقرى بكسر الجيم

شاذاً (قال أتوني باخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل) أتمه (وأنا خير المتزئين) كان قد أحسن انزالهم وضيافتهم رغبتهم بهذا الكلام على الرجوع إليه (قال لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) فلا أبيكم طعاماً (ولا تقربون) أي فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو بمعنى النهي (قالوا سنراود عنه أباه) سنخادعه عند ونحتال حتى نزرعه من يده (وأنافاعلون) ذلك لا محالة لأن شرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهناً فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف (وقال لفتياناه) كوفي غير أبي بكر لفتيتاه غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان (ولما جهزهم بجهازهم) كال

من حاله حين فارقه وقلته تأملهم في حلاله من التهييب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) أصلهم بعدتهم وأو قروا كبشهم بما جاؤوا لأجله وأصل الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما زف به المرأة إلى زوجها وقرى بجهازهم بالكسر (قال أتوني باخ لكم من أبيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلمكم عبون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا اثنا عشر فذهب احدنا الى البرية فهاك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فابن الحادي عشر قالوا عندنا يتسلى به عن الهالك قال فن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احدهمنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني باخكم من أبيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطى لكل نفر حلاً واحداً زائداً لاخ لهم من أبيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتموه ليعلم صدقهم (ألا ترون أني أوفي الكيل) أتمه (وأنا خير المتزئين) للاضياف والمضيفين لهم وكان أحسن انزالهم وضيافتهم (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) أي ولا تقربوني ولا تدخلوا ديارى وهو امانهى أوتقى معطوف على الجزاء (قالوا سنراود عنه أباه) سنخادعه في طلبه من أبيه (وأنافاعلون) ذلك لا نتوانى فيه (وقال لفتيتاه) لعلانه الكياليين جمع فتى وقرأ حجة والكسائي وحفص لفتيانه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله

(ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزاً اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصحى جيدة وعليها الاكثر من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حل لكل واحد منهم بعير من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قال أتوني باخ لكم من أبيكم) يعنى الذى خلفتموه عنده وهو بنيامين (ألا ترون أني أوفي الكيل) يعنى انى أتمه ولا أنخس منه شيئاً وأزبدكم حل بعير آخر لأجل أخيكم أكرمكم بذلك (وأنا خير المتزئين) يعنى خير المضيفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضمن قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انه جواسيس ومن يشافهم بهذا الكلام فلا يلىق به أن يقول لهم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المتزئين وأيضاً يعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقاً أن يقول لهم انتم جواسيس وعبون مع أنه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يلىق بالصديق ثم قال يوسف (فإن لم تأتوني به) يعنى بأخيكم الذى من أبيكم (فلا كيل لكم عندي) يعنى لست أكيل لكم طعاماً (ولا تقربون) يعنى ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادى وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فمئذ ذلك (قالوا) يعنى اخوة يوسف (سنراود عنه أباه) يعنى سنخدعه ونحتال حتى نزرعه من عنده (وأنافاعلون) يعنى ما أمرتنا به قوله عز وجل (وقال لفتيانه) يعنى

(قالوا سنراود عنه أباه) سنطلبه من أبيه ونغري أباه (وأنافاعلون) لضا منون اناس نجى به (وقال) يوسف (لفتيانه) لخدمته

في أخ وفلة لاقلة وفعلان { الجزء الثالث عشر } لكثرة أى لثمانه ﴿ ٤٢٨ ﴾ الكيالن (اجملوا بضاعتهم في

﴿ اجملوا بضاعتهم في رحالهم ﴾ فانه وكل بكل رحل واحدا يعني فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت فعلا وادما وانما فعل ذلك توسعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندا به ما يرجعون به ﴿ لعلمهم يعرفونها ﴾ لعلمهم يعرفونها ﴿ لعلمهم يعرفونها ﴾ حق ردها أولكى يعرفوها ﴿ اذا انقلبوا ﴾ انصرفوا ورجعوا ﴿ الى اهلهم ﴾ وفتحوا وأوعيتهم ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع ﴿ فلما رجعوا الى ابيهم ﴾ قالوا يا ابانا منع من الكيل ﴿ حكم بنعمه بعد هذا ان لم نذهب بنيامين ﴾ فارسل معنا اخانا نكتل ﴿ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ أى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالننا وقال يوسف اقبانيه وهم علمانه وأتباعه ﴿ اجملوا بضاعتهم في رحالهم ﴾ أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكي الضحك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره ﴿ لعلمهم يعرفونها ﴾ يعني يعرفون بضاعتهم ﴿ اذا انقلبوا الى اهلهم ﴾ يعني اذا رجعوا الى اهلهم ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ النبال واختفوا في السبب الذي من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقبل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيهم ثم ذلك على الرجوع اليه سريرا وقيل انه خاف ان لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى ان أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لوم شدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلاحظ فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان دينهم وأمانتهم تحمله على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد رد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيهم ولاخوته على شدة الزمان ﴿ فلما رجعوا الى ابيهم ﴾ قالوا يا ابانا ﴿ انما قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعت الى ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان انا يصلى عليك ويدعوك بما أوليتنا ثم قل لهم أين شمعون قلوا ارتبته ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا ﴿ منع من الكيل ﴾ وفيد قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف باخيم من أبيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيهما المختلف عند أبيهم فنعمهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع من الكيل اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع من الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع من الكيل ان لم نحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى اخبار عنهم ﴿ فارسل معنا أخانا ﴾ يعني بنيامين ﴿ نكتل ﴾ قرئ بالياء يعني يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعا والياء معنا

رحالهم) أوعيتهم وكانت فعلا أوادما أوورقا وهو ألقى بالدس في الرحال (لعلمهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى أهائهم) وفرعوا ظروفهم (لعلمهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع اليها أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمن (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا ابانا منع من الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فارسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع (اجملوا بضاعتهم) دسوا دراهمهم (في رحالهم) في جواليقهم كي لا يعلمون (لعلمهم يعرفونها) لكي يعرفوا هذه الكرامة مي ويقال لكي يعرفوا انها دراهمهم فبردوها الى (اذا انقلبوا الى أهائهم) اذ ارجعوا الى أبيهم (لعلمهم يرجعون) مرة أخرى (فلما رجعوا الى أبيهم) بكنعان

(قالوا يا ابانا منع من الكيل) فيما يستقبل ان لم ترسل معنا بنيامين (فارسل معنا أخانا) بنيامين (يكتل) يشتر لنفسه (وانا)

من الكيل ونكتل من الطعام ما يحتاج اليه يكتل حزة وعلى أي يكتل أخونا فينضم اكتبنا الى اكتبنا (واناله لحافظون) عن ان يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما آمنتم على أخيه من قبل) يعني انكم قتلتم في يوسف أرسله مع غدا يرتع ويلعب واناله لحافظون كما تقولونه في أخيدتم ختم بضمناكم فايأمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفي غير أبي بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال أو تميز ﴿٤٢٩﴾ ومن قرأ حفظا { سورة يوسف } فهو تميز لا غير (وهو أرحم

الراحين) فأرجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزنى وجلالى لاردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبا ناسي) ماللتني أي ماني في القول ولا تتجاوز الحق أو ماني شيأوراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أي أي شيء نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

جلا ويقال نشتره جلاان قرأت بالنون (واناله لحافظون) ضامنون برده اليك (قال) لهم يعقوب (هل آمنكم عليه) على بنيامين (الا كما آمنتم على أخيه من قبل) من قبل يوسف يقول هل أقدر أن آخذ عليكم العهد والميثاق أكثر مما أخذت عليكم في يوسف (فالله خير حافظا) منكم (وهو أرحم الراحمين) وهو

﴿واناله لحافظون﴾ من ان يناله مكروه ﴿قال﴾ يعقوب لهم ﴿هل آمنكم عليه الا كما آمنتم على أخيه من قبل﴾ وقد قتلتم في يوسف واناله لحافظون ﴿فالله خير حفظا﴾ فأتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحفظا على قراءة حزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرى خير حافظ وخير الحافظين ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ فأرجو أن ينعم بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم﴾ وقرى ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل ﴿قالوا يا أبا ناسي﴾ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أولا نطلب وراء ذلك احسانا أولا نبني في القول ولا نتربد فيما حكينا لك من احسانه وقرى ماني على الخطاب أي أي شيء نطلب وراء هذا من الاحسان أو من الدليل على صدقنا ﴿هذه بضاعتنا ردت الينا﴾ استئناف

﴿واناله لحافظون﴾ يعني زرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة ﴿قال﴾ يعني يعقوب ﴿هل آمنكم عليه الا كما آمنتم على أخيه من قبل﴾ يعني كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيد يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه وقتلتم واناله لحافظون فافعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال ﴿فالله خير حافظا﴾ يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والعلاج لما كبروا فأرسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجهم الى ذلك ﴿قوله تعالى﴾ ولما فتحوا متاعهم ﴿يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام﴾ وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴿يعني انهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس في متاعهم﴾ قالوا يا أبا ناسي ﴿يعني ماذا نبني وأي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على إرسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أو في لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم ﴿هذه بضاعتنا ردت الينا﴾

أرحم به من والديه ومن اخوته (ولما فتحوا متاعهم) جواليقهم (وجدوا بضاعتهم) دراهمهم ثمن طعامهم (ردت اليهم) مع طعامهم (قالوا يا أبا ناسي) ما نكذب بما قلنا من احسان الرجل ولطفه بنا ويقال ما طلبنا هذا منه (هذه بضاعتنا) دراهمنا التي أعطيناه ثمن الطعام (ردت الينا) مع الطعام وهذا من احسانه الينا قال

جملة مستأنفة موصوفة بقوله مانبي والجل بعد هام مطوفة عليها أي ان بضاعتنا ردت إلينا فنسـتظهر بها (ونغير أهلكنا) في رجوعنا إلى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلد (ونحفظ أخانا) في ذهابنا وحيثنا فإيصيه شيء مما نخافه (ونزداد كيل بعير) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر لا يتعاضده (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياه مكي (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما أتوكم به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقاً له {الجزء الثالث عشر} لان الحلف ٤٣٠ مما يؤكده اليهود وقد أذن الله في

ذلك وهو ان يصدق الله في جواب الذين لان المعنى حتى تحلفوا للتأني به (الان يحاط بكم) (الان تغلبوا فمطيعوا) الايمان به فهو مفعول له والكلام مثبت وهو قوله لتأنتي به في تأويل النفي أي لا تعتصموا من الايمان به الا للاحاطة بكم يعني لا تعتصموا منه لعل من العلل الاعلى واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه لهم أبوهم بل يحرككم الرجل بهذا ردوا هذه الدراهم اليه (ونغير أهلكنا) ننتار أهلكنا (ونحفظ أخانا) في الذهاب والنحيب بنيامين (ونزداد كيل بعير) وقر بعير اذا كان هو منا (ذلك كيل يسير) جل يسير نعطي بسببه ويقال هذا أمر يسير وحاجة

موضح لقوله مانبي ونغير أهلكنا مطوف على محذوف أي ردت إلينا فنسـتظهر بها ونغير أهلكنا بالرجوع إلى الملك ونحفظ أخانا عن اخاوف في ذهابنا وإيابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب أخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل مطوفة على مانبي أي لانبي فيما نقول ونغير أهلكنا ونحفظ أخانا ذلك كيل يسير أي مكيل قليل لا يكفيها استقلوا ما كيل لهم فاردوا ان يضاعفوه بالرجوع إلى الملك أو يزدادوا اليه ما يكال لآخيهـم ويجوز ان تكون الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك شيء قليل لا يسايقه فيه الملك ولا يتعاضده وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان جل بعير شيء يسير لا يخاطر بمثله بأوله قال لن أرسله معكم اذ رأيت منكم مارأيت حتى تؤتون موثقاً من الله حتى تعطوني ما أتوكم به من عند الله أي عهداً مؤكداً كراثة لتأنتي به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأنتي به (الان يحاط بكم) (الان تغلبوا فلا تطيعوا ذلك أو الا ان تهلكوا جميعاً وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأنتي به على كل حال الاحال الاحاطة بكم أو من اعم العلل على ان قوله لتأنتي به في تأويل النفي أي لا تعتصموا من الايمان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله ان فعلت أي ما طالب لا فلتك فلما آتوه موثقهم عهدهم ونغير أهلكنا يقال مارأله بعيرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى انما نشترى لاهلنا الطعام ونحمله اليهم ونحفظ أخانا يعني بنيامين مما نخاف عليه حتى نرده اليك ونزداد كيل بعير يعني ونزداد لاجل أخينا على أهلكنا حمل بعير من الطعام ذلك كيل يسير يعني ان ذلك الجمل الذي نزداده من الطعام هين على الملك لانه قد أحسن البنا وأكرمنا بأكثر من ذلك وقيل معناه ان النبي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا وأهلكنا قال يعني قل لهم مقبوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله يعني لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهداً من الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد واليمين وحلف هو مؤكداً بالله عليه لتأنتي به دخلت اللام لاجل اليقين والتدبير حتى تحلفوا بالله لتأنتي به (الان يحاط بكم) قال مجاهد الا أن تهلكوا جميعاً فيكون عندكم عندى لا ارب تقول أحيط بخلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تغلبوا جميعاً فلا تقربوا إلى الرجوع فلما آتوه موثقهم

هيئة تطلب منك (قال) لهم أبوهم (لن أرسله معكم بهذه المقابلة) (حتى تؤتون) (تعطوني) (موثقا) عهداً (يعني) (من الله لتأنتي به) لتردنه على (الان يحاط بكم) الا أن ينزل عليكم أمر من السماء ويقال الآن يصيبكم أمر من السماء أو من الارض (فلما آتوه) اعطوا أباهم (موثقهم) عهدهم من الله على رده إلى أبيهم

السلام (قال) بعضهم يسكت

عليه لان المعنى قال يعقوب
(الله على ما نقول) من ملتب
الموثق واعطائه (و كيل)
رقيب مطلع غير ان السكنة
تفصل بين القول والمقول
وذا لا يجوز فالاولى ان يفرق
بينهما بالصوت فيقصد
بقوة النعمة اسم الله (وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة)
الجمهور على انه خاف عليهم
العين لجلالهم وجلالة امرهم
ولم يأمرهم بالتفرق في
الكرة الاولى لانهم كانوا
مجهولين في الكرة الاولى
فالعين حق عندنا وجوده بان
يحدث الله تعالى عند النظر
الى الشئ والاعجاب به نقصانا
فيه وخلا وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يعوذ الحسن
والحسين رضى الله عنهما
فيقول اعينك بكلمات
الله التسامة من كل هامة
ومن كل عين لامة وأنكر
الجبائي العين وهو مردود
بما ذكرنا وقيل اني أحب
ان لا يظن بهم اعداؤهم
فيحتالوا لاهلاكهم

(قال) يعقوب (الله على ما نقول
و كيل) شهيد ويقال كفى
(وقال) لهم (يا بني لا تدخلوا
من باب واحد) من سكة
واحدة (وادخلوا من ابواب
متفرقة) من سلك مختلفة

قال الله على ما نقول ﴿ من طلب الموثق وتبينه وكيلى رقيب مطلع ﴾ وقال يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴿ لانهم كانوا ذوى جلال وابهة
مشهورين في مصر بالقربة والكرامة سد المليك فخلف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فما نوا واهله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعي
اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام
يعنى فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له ﴿ قال الله على ما نقول و كيل ﴾ يعنى قال يعقوب
الله شاهد على ما نقول كأن الشاهد و كيل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد
وقيل و كيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب قاله خير حفظا
قال الله تعالى وعزنى و جلالى لأردن عليك كليهما بعدما توكلت على وفوضت
امرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد
الجهد لم يجد يعقوب بدامن ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله
ومفوضا أمره اليه ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب ﴾ وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴿ وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب
قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعنى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة ابواب وقال السدى أراد الطرق
للا بواب يعنى من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم
كانوا قد أعطوا جلالا وقوة وامتدادا قامة وكانوا اولاد رجل واحد فأمرهم ان
يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يعصبوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة وجهور المفسرين (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته
العين واذا استغسلتم فاغسلوها ﴿ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن
فيتوضأ ثم يغسل من الماين أخرجه ابوداود وقال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله تعالى
المازرى أخذ جواهر العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المتبعة
والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا في نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا فساد
دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وسبب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه
وانكاره وقيل لا بد من فرق بين تكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم
بعض الطبائعين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالعين
فيهلك أو يفسد فلو لا يتنعم هذا كما لا يتنعم السمات قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل
بالمادوغ فيهلك وان كان غير محسوس لما شككنا العين فى المازرى وهذا غير مسلم
لانا بنينا فى كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى . بينا فساد القول بالطبائع وبيننا
ان المحدث لا يفعل فى غيره شئ فاذا تقرر هذا بطل ما قلناه ثم نقول هذا المنبعث

في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة من كل عين لامة ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴾ ﴿ مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فان الحذر لا يمنع القدر ﴾ ان الحكم الاله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سواء ولا ينفعكم ذلك ﴿ عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ جمع بين الحرفين في عطى الجملة على الجملة انقدم الصلاة للاختصاص كأن ائواو له طم والفاء لافادة التسبب فان فعل الانباء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم ﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ أى من ابواب متفرقة في البلد

من العين اما جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهرًا لان الجواهر مجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولى من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقة قالها من يتحمل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تذهب جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتصل بالعين فتتحلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد وبهلك عند انظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثمه جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنى الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فن قطع من اطباء الاسلام ما نبهوا الجواهر فبدأ خطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بأوضوه لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن فذكر في كتب شروح الحديث ومعرفة عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزى عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا أن الله تعالى لم يأذن له في اظهاره ذلك فلما بعث أبناء السيد قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول أسح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴾ يعنى ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم بحجته كستم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر ﴿ ان الحكم الاله ﴾ يعنى وما الحكم الاله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في أموره كلها الى الله تعالى ﴿ عليه توكلت ﴾ يعنى عليه اعتمدت في أموري كلها لا على غيره ﴿ وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ يعنى من الابواب المتفرقة وكان مدينة مصر وقيل مدينة القرماء أربعة ابواب فدخلوا من أبوابها كلها

(وما أغنى عنكم من الله من شيء) أى ان كان الله أراد بكم سواء لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الاله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين

(وما أغنى عنكم من الله) من قضاء الله فيكم (من شيء ان الحكم) ما الحكم بالقضاء فيكم (الاله عليه توكلت) اتكلت وفوضت أمري وأمركم اليه (وعليه فليتوكل المتوكلون) فليثق الواثقون ويقال على المؤمنين ان يتوكلوا على الله وكان خاف عليهم يعقوب من العين لانهم كانوا أصحاب الوجوه جالا فن ذلك خاف عليهم (ولما دخلوا) مصر (من حيث أمرهم) كما أمرهم (أبوهم)

(ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئاً قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرفة إليهم واقتضاحهم بذلك وأخذ أخيرهم بوجدان ﴿٤٣٣﴾ الصواع { سورة يوسف } في رحله وتضاعف المصيبة

على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتهم عليهم (وإنه لدو علم) يعني قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الخذر (لما علمناه) تعليلنا إياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على

يوسف آوى إليه أخاه) ضم إليه بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئنا بك ففعل لهم أحسنهم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لاجلسني معه فقال يوسف بقي أخركم وحيداً فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أنجب إن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا

ما كان يغني عنهم من الله) من قضاء الله فيهم (من شيء) (الا حاجة) حرازة (في نفس يعقوب) في قلب يعقوب (قضاها) أبداها (وإنه) يعني يعقوب (لدو علم) حفظ

﴿ ما كان يغني عنهم ﴾ رأى يعقوب واتباعهم له ﴿ من الله من شيء ﴾ مما اقتضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسر قوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام ﴿ الا حاجة ﴾ في نفس يعقوب ﴿ استثناء منقطع ﴾ أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقتهم عليهم حرازة من أن يدانوا ﴿ قضاها ﴾ أظهرها ووسى بها ﴿ وإنه لدو علم ﴾ للمعلماء ﴿ بالوحى ﴾ ونصب الحجج ولذلك قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ سر القدر وإنه لا يغني عن الخذر ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴾ ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روى أنه أضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لاجلس معي فاجلسه معه على

﴿ ما كان يغني عنهم من الله من شيء ﴾ وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيقال وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴿ لا حاجة ﴾ في نفس يعقوب قضاها ﴿ هذا استثناء منقطع ليس من الأول ﴾ في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو أنه أشفق عليهم اشتاق الآباء على الأبناء وذلك الخوف عليهم من العين أو خوف عليهم حسداً أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعده ﴿ وإنه ﴾ يعني يعقوب ﴿ لدو علم ﴾ يعني صاحب علم ﴿ لما علمناه ﴾ يعني لتعلمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وإنه لدو علم للشيء الذي علمناه والمعنى التمام معناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء وقيل وإنه لدو حفظ لما علمناه وقيل إنه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل إنه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعمل لا يكون عالماً ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعني لا يعلمون ما كان يغنيهم يعقوب لأنهم لم يسألوا طريق إصابة العلم وقال ابن عباس لا يعمل المشركون ما ألهم الله وأولياءه ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴾ قال المفسرون لما دخل أخوة يوسف على يوسف قوا إليها الملك هذا أخونا الذي أمرنا أن تأتينا به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم أنه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقلوا كن له أخ فهاك قال لهم فأنما أجلسه معي فأخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بنقل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريقه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثمن وسأشتمه إلى فيكون معي في منزلي ثم أنه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال رويلاً ما رأينا مثلاً

(لما علمناه) من الذي علمنا من الإحكام والحدود (قا و خا ٥٥ ث) والقضاء والقدر علم أنه لا يكون إلا ما قضى الله (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه) ضم إليه (أخاه) من أبيه وأمه وحبس

مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف وعانقه ثم (قال له) انى انا اخوك (يوسف) فلا تبئس (فلا تحزن
(بما كانوا يعملون) بنافينا { الجزء الثالث عشر } مضى فان الله عز وجل ٤٣٤ قد أحسن النيا وجمعنا على خبر ولا

مأثدنه ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لانانى له فيكون معى فبات معه وقال له أحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجداخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكي يوسف وقام اليه وعانقه ﴿ قال انى انا اخوك فلا تبئس ﴾ فلا تحزن افعال
من البؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ فى حقنا فيما مضى ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ﴾
المشربة ﴿ فى رحل اخيه ﴾ قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى
الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرى وجعل على حذف جواب
فلما تقدروا امهالهم حتى انطلقوا ﴿ ثم اذن مؤذن ﴾ نادى مناد

هذا فذلك قوله آوى اليه اخاء يعنى ضمه وأنزله معه فى منزله فلما خذله قال له
يوسف ما سمعت قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدته أمه
هالكت قن وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشرينين قال فهل
من أخ لامك قال كان لى أخ فهل لك قال يوسف أحب أن أكون أخاك بدل أخيك
الهالك قال بنيامين ومن يجداخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
وبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه ﴿ وقال له ﴾ انى انا اخوك ﴿
يعنى يوسف ﴿ فلا تبئس ﴾ يعنى لا تحزن وقال أهل اللغة تبئس تفعل من البؤس
وهو الضرر والشدة والابتئس اجتلاب الحزن والبؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾
يعنى فلا تحزن بشئ فعملوه بنيا فيما مضى فان الله قد أحسن النيا ونجانا من الهلاك
وجمع بيتنا وقيل ان يوسف صفع عن اخوته وصفاهم فزاد ان يجعل قلب أخيه
بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لايخيه بنيامين لاتعلم اخوتك بشئ مما
أعلمت به ثم انه أوفى لايخوته الكيل وزاد لكل واحد حل بعير وبنيامين حل
بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت فى رحل أخيه بنيامين قال السدى وهو
لا يشعر وقال حكيم لما قل له يوسف انى انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال
يوسف قد علمت اعظام والدى على فاذا حبستك عندى ازداد غم ولا يمكننى هذا
الا بعد أن أشهرك بامر فظيع وأنسبك الى ملايئيم قد لا أبالى ففعل ما بدا لك فانى
لا افارقك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم نادى عليكم بالسرقة ليهيألى رذك بعد
تسريحك قن فافعل ما شئت فذلك قوله عن رحل ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية فى رحل أخيه ﴾ وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت
من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة
من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكبلا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها
والسقاية والصواع اسم لانا واحد وجعلت فى وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا
راجعين الى بلادهم فامهالهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا
من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوفهم وحبسهم ﴿ ثم اذن مؤذن ﴾ يعنى نادى

تعليمهم بما أعلمتكم وروى
انه قال له فانا لا افارقك
قال لقد علمت اعظام والدى
بى فان حبستك ازداد غم
ولا سبيل الى ذلك الا ان
أنسبك الى ملايئيم قد لا
أبالى فافعل ما بدا لك قال
فانى أدس صاعى فى رحلك
ثم نادى عليك بانك
سرقتك ليهيألى رذك بعد
تسريحك معهم فقال افع
(فلما جهزهم بجهازهم)
هيا أسابهم وأوفى الكيل
لهم (جعل السقاية فى رحل
أخيه) السقاية هى مشربة
يسقى بها وهى الصواع
قيل كان يسقى بها الملك ثم
جعلت صاعا يكال به لعزة
الطعام وكان يشبه الطاس
من فضة أو ذهب (ثم اذن
مؤذن) ثم نادى منادى
آذنه أى اعلمو اذن اكبر

سائر اخوته على الباب (قال
انى انا اخوك) منزلة اخيك
الهالك (فلا تبئس) فلا
تحزن (بما كانوا يعملون)
بك اخوتك من الجفاء
ويقولون لك من السب
والتعير (فلما جهزهم
بجهازهم) كالهم كيلهم
(جعل السقاية فى رحل

أخيه) دس سقايتة التى كان يشرب فيها ويكل بها فى رحل أخيه من أيده وأنه ثم أمرهم بالرحيل ثم أرسل (مناد)
خلفهم فنى (ثم اذن مؤذن) نادى مناد وهو فنى يوسف

الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك مندر وى انهم ارتحلوا وأمهلم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمرهم فادركوا وحسوا ثم قيل لهم (أيها العير) هي الابل التي عليها الاحال لانها تعير أي تذهب وتجيى والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أبيه (قاوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قالوا نفقد صواع الملك (هو الصاع) ولمن جاءه حل يعيروا نابه زعيم يقول المؤذن يريدوا نابه يحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاءه وأراد وسق يعير من طعام جعل لمن حصله

(أيها العير) أهل القافلة (انكم لسارقون) قالوا وأقبلوا عليهم يقول أقبلوا عليهم وقالوا (ماذا تفقدون) ما تطلبون (قالوا نفقد) نطلب (صواع الملك) اناه الملك الذي كان يشرب فيه ويكيل وكان اناه من الذهب وقد اتهمنى الملك (ولمن جاءه حل يعيروا نابه زعيم) كفيل قال لهم هذا القول فتى

أيها المير انكم لسارقون * امله لم يقله باصر يوسف عليه الصلاة والسلام أو ان تعيبة السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيدوا وأنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحال لانها تعير أي تتردد فتقبل لأصحابها كقولها صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقت فعل به ما فعل ببض تجوز به لقافلة الخير ثم استعير لكل قافلة * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * أى شئ ضاع عنكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه * وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا * قالوا نفقد صواع الملك * وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواع من الصياغة * ولمن جاءه حل يعير * من الطعام جعل له * وانه زعيم *

منادوا علم معلم والاذان فى اللغة الاعلام * (أيها العير) * وهى القافلة التى فيها الاحال وقال مجاهد العير الحير والبغال وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحال سميت بذلك لانها تعير أى تذهب وتجيى وقيل هى قافلة الحير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيها العير أراد أصحاب العير * انكم لسارقون * ففقدوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء * فان قلت هل كان هذا النداء بامر يوسف أم لافان كان بأمره فكيف يلقى يوسف مع علو منصبه وشرف رتبة من النبوة والرسالة ان بهم أقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لاختيه انه أخوه قال لست أفارقك قال لاسبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق قال رضى بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قدرضى به فلا يكون ذنبه الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه لانهم ما ظهروا هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولانهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود * قالوا * يعنى المؤذن وأصحابه * نفقد صواع الملك * الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لفة فيه وجمعه صيعان * ولمن جاءه * يعنى بالصواع * حل يعير * يعنى من الطعام * وأنا به زعيم * أى كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن

(قَالُوا تَاللّٰهِ قَسِمٌ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ {الجزء الثالث عشر} مَا أَضْيَفَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٣٦﴾ لَمَّا دَعَلْتُمْ مَا جِئْنَا نَفْسِدُ فِي

(الارض) استشهدوا بهلهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأهواهرواحلهم مشدودة لثلاث تناول زرعاً وطعاماً لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فما جزاؤه) النضير للصواع أي فاجزاء سرقة (ان كنتم كاذبين) في جعودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقة أخذه من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسرق سنة فذلك استفتوا في جزائه وقواهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه وبدأ الجملة الشرطية كما هي خبره (كذلك تجزي الظالمين)

يوسف (هـ) قلوا لله (والله (لنفسنا علم) يا أهل مصر (ما جئنا لنفسد في الأرض) أرض مصر بالسرقة ومضرة الناس (وما كنا سارقين) ما تطلبون (قالوا) . يعني فتى يوسف (فما جزاؤه) يعني ما جزاء السارق (ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه) السارق

كفيل أو ديه الى من رده وفيه دلائل على جواز الجمالة وثمان الجعل قبل تمام العمل
﴿ قلوا تالله ﴾ قسم فيه معنى التعجب والتاء يدل من الباء مختصة باسم الله تعالى ﴿ لقد
علم ما جئتكم به في الارض وما كنا سارقين ﴾ استشهدوا بعلامهم على براءة انفسهم لما
عرفوا منهم في كرتي مجنتهم ومداخلتهم للملك فابدل على شرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحلتهم وكم لدواب الثلاثة ولزرع أو لعام لاجد ﴿ قلوا فاجزأؤه ﴾
فاجزأ السارق أو السرقة أو الصواع على حذف المضارع ﴿ ان كنتم كاذبين ﴾ في ادعاء
البراءة ﴿ قلوا اجزأؤه من وجد في رحله فهو جزأؤه ﴾ أي جزاء مبرقته اخذ من وجد
في رحله واسترققه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزأؤه تقرير
للحكم والزام له أو خبر من والفاء تضمنها معنى الشرط أو جواب لها على انها شرطية
والجملة كما هي خبر جزأؤه على قيمة الظاهر فيها ما قام الضمير كما يدل قبل جزأؤه من وجد
في رحله فهو هو ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ بالسرقة

وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في قوله اجعل ثارهم والحبل المكفل . فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يمتنع شيئا . قلت لما كانوا سارقا في الحقيقة فيعمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جملة وامل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه ﴿ قَالُوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ والله يعلم ان الله يدل من اولو ولا يدخل الا على اسم الله في حين خاصة تقديره والله ﴿ الحمد عليهم ما جعلنا الفساد في الارض وما كنا سارقين ﴾ ان المنسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما جازوا لاجل الفساد في الارض والثاني انهم ما جازوا سارقين وانما قالوا هذه المقابلة لانه كان قسطنطين من اخوانهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا موافقين على انواع الخير والبطالة والبر حتى يقع من امرهم انهم شدوا اولو ودوابهم للثاؤذي زرع الناس ومن ثبات هذه صفة والفساد في حقه ممتنع وأما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين ولا انهم قد كانوا ردوا البطالة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحووا أخذها ومن كانت هذه صفة فليس بسارق ولا جمل ذلك قائل الله عليهم ما جعلنا الفساد في الارض وما كنا سارقين فلما ثبتت برائتهم من هذه التهمة ﴿ قَالُوا ﴾ يعني اخوت يوسف وهو المنادي وأصحابه ﴿ فاجزأوه ان كنتم كاذبين ﴾ يعني فاجزأه السارق ان كنتم كاذبين في قوالكم ما جعلنا الفساد في الارض وما كنا سارقين ﴿ قَالُوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ جزأوه من وجد في رحله ﴾ يعني جزأه السارق الذي وجد في رحله ان يسلم برقبته الى مسروق منه فيسرقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضيق قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجرى مجرى القطع في شرعنا فاراد يوسف ان يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزأه السارق ان يستبد سنة جزأه على جرمه وسرقته ﴿ فهو جزأوه ﴾ يعني هذا الجزأه جزأوه وكذلك تجزى الثمانين ﴾ يعني مثل هذا الجزأه وهو ان يسرق السارق سنة تجزى

(من وجد في رحله السرقة فهو جزاؤه) (يقول الاستيعاد جزاء سرقة) (كذلك تجزى الظالمين) (الظالمين)

أى السارق بالاسترقاق
(فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه)
فبدأ باوعيتهم قبل وعاء
أخيه (فبدأ بتفتيش أوعيتهم
قبل وعاء بنيامين انفى التهمة
حتى بلغ وعاءه فقال
ما أظن هذا أخذ شيئاً
فقالوا والله لا نتركك حتى
تنظر في رحله فإنه أطيّب
لنفسك وأنفسنا (ثم
استخرجوها) أى الصواع
(من وعاء أخيه) ذكر
ضمير الصواع مرثاً ثم
أنه لأن التأنيث يرجع
إلى السقاية لأن الصواع
يذكر ووث الكاف في
(كذلك) في محل نصب
أى مثل ذلك الكيد
العظيم (كدنا ليوسف)
يعنى علمناه إياه

السارقين بارضنا (فبدأ) فتى
يوسف (باوعيتهم) ففتشها
(قبل وعاء أخيه) فلم يجدها
فيها (ثم استخرجوها من وعاء
أخيه) من إبيه وأمه فقال له
فتى يوسف فرجك الله كما
فرجتنى (كذلك) هكذا
(كدنا) صنعنا (ليوسف)
أكرمناه بالعلم والحكمة
والفهم والنبوة والملك

﴿فبدأ باوعيتهم﴾ فبدأ المؤمن وقل يوسف لانهم ردوا الى مصر ﴿فبدأ باوعيتهم﴾
بنيامين فبالا التهمة ﴿ثم استخرجوها﴾ أى السقاية او الصواع لانه يذكر ووثت ﴿من وعاء
أخيه﴾ وقرى بضم الواو وقلها همزة ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الكيد ﴿كدنا ليوسف﴾
بان علمناه إياه واوحينا به اليه

الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب
يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب
يوسف كذلك نجزي الظالمين يعنى السارقين ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فبدأ باوعيتهم قبل وعاء
أخيه﴾ قل أهل التفسير ان اخوة يوسف لما قرءوا ان جزاء السارق ان يسترق سنة
قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه
فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا
قال قتادة ذكر لنا انه كان يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الاستغفر الله تأثما مما قد فهم به حتى لم
يبق الا رحل بنيامين قل ما أظن هذا أخذ شيئاً قل اخوته والله لا نتركك حتى تنظر
في رحله فإنه أطيّب لنفسك وأنفسنا فلما فتحو ما تساعده وجدوا الصواع فيه فذلك قوله
﴿ثم استخرجوها﴾ من وعاء أخيه ﴿انما آتت الكناية لانه ردوا الى السقاية وقيل ان
الصواع يذكر ووثت فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤسهم
من الخياء وأقبلوا على بنيامين يومونه ويقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل انزال لنا منك بلاد متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل
ما زال هم منكم بلاد ذهبت باخي فهلكتموه في البرية أن الذي وضع هذا الصواع في رحلي
الذى وضع البضاعة في رحالكم قتلوا فخذ بنيامين رقيقاً وقيل ان المتأذى وأصحابه هم
الذين تولوا تفتيش رحالهم وهما الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه
برقبته وردوه الى يوسف ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا
ليوسف وهو إشارة الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أى مثل ذلك
الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكما به يوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة
وهذا في حق الله عز وجل محل فحجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بحلال الله سبحانه
وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا ليوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد
من اخلاق الخيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا اخوة يوسف ان حكموا ان جزاء
السارق ان يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه اليه
على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعراب الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى
كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرنا من الله
عز وجل على خلاف معناه فى أوصاف المخاوتين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحت
احتيال وهو فى موضع فعل الله معرى من المعانى المذمومة وتخلص بانه وقع عن يديه
تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالذى يكون
من أحل أن المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمه له من الذى تقع به من

(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك أي في سيرته للسارق أن يغرم مثلي مأخذ لان يستعبد (الآن يشاء الله) أي ما { الجزء الثالث عشر } كان ليأخذه ٤٣٨ لا بمشيئة الله واردة فيه (ترفع درجات)

بالتنوين كوفي (من نشاء)
أي في العلم كما رفنا درجة
يوسف فيه (وفوق كل
ذي علم عليم) فوقه أرفع
درجة منه في علمه أو فوق
العلماء كلهم علمهم هم دونه
في العلم وهو الله عز وجل
(قالوا أن يسرق فقد سرق
أخاه من قبل) أرادوا يوسف
قبل دخل كنيسة فأخذ
تمثالا صغيرا من ذهب كانوا
يعبدونه فدفنوه وقيل كان
في المنزل دحاجة فاعطاها
لسائل وقيل كانت منطقة
لأبراهيم عليه السلام يتوارثها
أكابر ولده فوارثها اسحق
ثم وقت إلى ابنته وكانت
أكبر أولاده فحضنت
يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه
(ما كان ليأخذ) يقول لم
يأخذ (أخاه في دين الملك)
في قضاء الملك (الآن يشاء
الله) وقد شاء الله أن ليأخذ
أخاه في دين الملك وكان
قضاء الملك للسارق أنه
يضرب ويغرم ويقال يقطع
ويغرم ويقال الآن يشاء الله
الاماعل يوسف أنه يرضى الله
من قضاء الملك فكان يأخذ
بذلك (ترفع درجات)
فضائل (من نشاء) كما رفع

ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك * ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون
الاسترقاق وهو بيان للكيد * الآن يشاء الله * ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فلا يستأمن من
اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعاً أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وأذنه * ترفع درجات
من نشاء * بالعلم كما رفنا درجته * وفوق كل ذي علم عليم * ارفع درجة منه واحتج
به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذاعلم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد
كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العالم هو الله تعالى ومناه الذي له العلم البالغ
ولانه لا فرق بيندوين قولنا فوق كل العلماء عليهم وهو مخصوص * قالوا أن يسرق *
بنيامين * فقد سرق أخاه من قبل * يعنون يوسف عليه السلام قبل ورثت عمته من ابيه
منطقة إبراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحميه فلما شب اراد يعقوب ان يزاعدها
فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه
فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امدصم فسرقدوا كسره والقاء في الجيف وقيل
كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطى السائل وقيل

الكيد فهو من الله تعالى استر اذ هو ما ختم الله به عاقبه والذي وقع باخوة يوسف من كيد
الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتعماد الدعمة وحيث جرى الامر
على غير ما قدروا من اهلاكه وخوص ابيه له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى
وحنى لطفه سمع كيدا لانه أشبه كيد الخاقين فعلم هذا يكون كيد الله عز وجل
ليوسف عليه السلام عائدا الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير
اخوته من غير أن يشعروا بذلك * وقوله تعالى * ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك *
يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعف قيمة
المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فليتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك والله
تعالى أكرم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك * الآن يشاء الله * يعني أن ذلك الامر
كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهام من الله ايوسف واخوته حتى جرى الامر على
وفق المراد * ترفع درجات من نشاء * يعني بالعلم كما رفنا درجته يوسف على اخوته وفي هذه
الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف
ورفع درجته على اخوته بالعلم وعنا الهمة على وجه الهداية والصواب في الامور كلها * وفوق
كل ذي علم عليم * قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينهى العلم الى الله تعالى فالله فوق كل عالم
لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف
أعلم منهم قال ابن الأنباري يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمو هب ربه تعالى
ولا يطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه * قوله تعالى * قالوا * يعني اخوة
يوسف * ان يسرق * يعني بنيامين الصواع * فقد سرق أخاه من قبل * يعني يوسف
ظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه

في الدنيا وفوق كل ذي علم عليم) وفوق كل ذي علم عالم حتى ينهى الى الله فليس فوقه أحد ويقال الله عالم وفوق كل عالم (الذي)
فليس فوقه أحد (قالوا) اخوة يوسف (ان يسرق) ان سرق بنيامين حقايقه الملك (فقد سرق أخاه من قبل) من قبله أخوه لا يبيد وأمه

وكانت لاتصبر عنه فلما شب أراد يعقوب ﴿٤٣٩﴾ ان ينزعه منها ﴿سورة يوسف﴾ فعمدت الى المنطقة

فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم اقبل به ماشئت منه فخلاله يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فتسال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبت باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذى وضع البضاعة في رحالكم (فأسرها) أى مقالتهم انه سرق كأنه لم يسمعها (يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شرمكانا) تميز أى أنتم شرمزلة في السرقة لانكم سرقتم اخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا) يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا في السن أو في القدر صنما (فأسرها يوسف) جواب هذه الكلمة (في نفسه ولم يبدها لهم) جوابها

دخل كنيسة واخذ ثيالا صغيرا من الذهب ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابه أو المقالة أو نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله ﴿قال انتم شرمكانا﴾ فانه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه انتم شرمكانا أى منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم يوسف أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيها باعتبار الكلمة والجملة وفيد نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون ﴿قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا﴾ الذى هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام ان السنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهم امن أم أخرى غير أمنا واختلفوا في السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقنادة كان لجدته أبى أمه صنم وكان يعبد فآخذ يوسف سر او كسره وألقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فآخذ بيضة من البيت فنالها له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذى كان في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة لفقره وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحسنته عمته وأحبته حببا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فآجبته فقال لآخته يا اختاه سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقالها والله ما أبا تاركه عندك فقالت دعه عندى أياما أنظر اليه امل ذلك بسلمى عند ففعل ذلك فعمدت الى المنطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه سلمى لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلمك فامسكته عندها حتى مات فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخله من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الأنبارى وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها شبه السرقة بغيره بهاء عند الغضب ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التى بعدها وهى قوله تعالى ﴿قال﴾ يعنى يوسف ﴿أنتم شرمكانا﴾ روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التى قالوها في حقهم وهى قولهم فقد سرق أخله من قبل وهذا معنى قول أبى صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التى قالوها في حقهم ولم يجبه عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال أنتم شرمكانا يعنى منزلة عند الله ممن رميتوه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانكم حقيقة ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ يعنى بحقيقة ما تقولون ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿قالوا﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿يا أيها العزيز﴾ مخاطبون بذلك الملك ﴿ان له أباشيخا كبيرا﴾ قال أصحاب الاخبار والسير ان يوسف

(قال) في نفسه (انتم شرمكانا) صنما من يوسف (والله أعلم بما تصفون) تقولون من أمر يوسف (قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا)

في السن أو القدر ذكر والده حاله استعظافا له عايد ﴿ فخذنا أحدا مكانه ﴾ بدله
 فان أباه فكان على أخيه الهالك مستأنس به ﴿ اننا نراك من المحسنين ﴾ اليسا فأنتم
 احسانك أو من المتعودين بالاحسان فلا تغربوا ذاتك ﴿ قال معاذ الله ان نأخذ الامن وجدنا
 متاعنا عنده ﴾ فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احداكم مكانه ﴿ اننا اذا الظالمون ﴾
 في مذبحكم هذا أو ان مراده ان الله ان اخذ من وجدنا الساع في رحله لمسلخند
 عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بذيامين نقره وأدناه الى أذنه
 ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم الظالمون بلخ
 لكم من ايكم فبعثوه قتل بذيامين انما الهالك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره
 ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تصابني عن صاحبي وقد رأت مع من كنت
 قتلوا فغضب روييل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطرقوا وكان روييل اذا
 غضب لم يسم لغيره شي وكان اذا صاح ألق كل حامل جهما اذا سمعت صوته وكان
 مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخرة وأشدهم
 وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه كان لاخوته كم من الاسواق
 بمصر قتلوا عشرة قال اكنوني انتم لاسواق ولما اكنتم الهالك اكنوني انتم
 الهالك ولما اكنتم الاسواق فسخوا على يوسف قتل روييل ايم الهالك اكنوني انتم
 أحنا ولا نسمع صيغة لا يبي بمصر امرأة حامل لا وضعت ولدها وقت كل شجرة
 في جسد روييل حتى خرجت من ثيابه فقتل يوسف لان له صغيرا في جنب هذا
 فمسه أو خذ يده فاني له فلما مسه سكن غضبه فقتل لاخوته من سبي منكم قتلوا لم
 يصيبك منا أحد فقتل روييل ان هذا يكره من يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فم
 اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بالذئبة فوقع على الارض وقيل انهم يكره
 العبرانيين تزعمون ان لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا ان لا سبيل الى
 تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا ليه اننا نأخذ كبرا يعني في السن ونجعل ان
 يكون كبيرا في القدر لانه نبي من اولاد الالياه ﴿ فخذنا أحدا مكانه ﴾ يعني بدلا عنه
 لانه يحبه ويتولى به عن أخيه الهالك ﴿ اننا نراك من المحسنين ﴾ يعني في أفعالكم كلها
 وقيل من المحسنين اليه في توفية الكيل وحسن الشيافة ورد البضاعة اليه وقيل ان
 رددت بذيامين اليه وأخذت أحدا مكانه كنت من المحسنين ﴿ قال معاذ الله ﴾ يعني
 قال يوسف أعوذ بالله معاذنا ﴿ ان نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده ﴾ لم نل من سرق
 تحرزا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق ﴿ اننا اذا الظالمون ﴾ يعني ان
 اخذنا بريئا بذنب غيره فان قتل كيف استحوذ يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال
 باييد ولم يخبره بمكانه وحبس أخيه أينما عنده مع علمه بشدة وجده عليه فزيد
 ما فيه من العقوف وقبيلة الرحم وقبلة الشفقة وكيف يجوز لـ يوسف مع عو منصبه
 من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما به من الالياه

(فخذنا أحدا مكانه) بدله
 على وجه الاستعانة
 أو الاستعداد فان أباه يتسلى
 به عن أخيه المفقود (اننا
 نراك من المحسنين) اليسا
 فأنتم احسانك أو من عادتكم
 الاحسان فاجر على عادتكم
 ولا تغربوا (قال معاذ الله
 ان نأخذ الامن وجدنا
 متاعنا عنده) أي أعوذ بالله
 معاذنا ان نأخذ من ضيف
 المتصدر الى المفعول به
 وحذف من (اننا اذا
 الظالمون) اذا جواب
 ايم وجزاء لان المعنى ان
 اخذنا بامه غامنا وهذا لانه
 وحسب على قضية فتواكم
 اخذ من وجد الصاع في
 رحله واستعباده فلو اخذنا
 غيره كان ذلك ظمنا في
 مذبحكم فلم تطلبون ما عرفتم
 يفرح به ان رددناه (فخذ
 أحدا) هذا (مكانه اننا نراك)
 ان فعلت ذلك (من المحسنين)
 اليسا (قال) ايم يوسف
 (معاذ الله) أعوذ بالله (ان
 نأخذ) بالسرقة (الامن وجدنا
 متاعنا عنده) اننا اذا الظالمون
 نحس من لم نجد متاعنا عنده

أنه ظلم (فلما استيأسوا) يئسوا وزيادة السنين والتاء للمبالغة كما مر في استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلاصوا)
انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم ﴿ ٤٤١ ﴾ سواهم (نجيا) ﴿ سورة يوسف ﴾ ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى

مناجيا للمناجاة بعضهم بعضا أو
تخفصوا تاجيا لاستجماعهم
لذلك وافاضتهم فيه بجد
واهتمام كأنهم فى أنفسهم
صورة التناجى وحقية مقته
فالتنجى يكون بمعنى
المناجى كالسمير بمعنى المسامر
وبمعنى المصدر الذى هو
التناجى وكان تاجيهم فى
تدبير أمرهم على أى صفة
يذهبون وماذا يقولون
لأنهم فى شأ أخيمهم (قال
كبيرهم) فى السن وهو
روبول أو فى العقل والرأى
وهو يهوذا أو رئيسهم وهو
شمعون (ألم تعلموا أن أباكم
قد أخذ عليكم موثقا من الله
ومن قبل ما فرطتم فى يوسف)
ماصلة أى ومن قبل هذا
قصرتم فى شأن يوسف ولم
تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية
ومحل المصدر الرفع
على الابتداء وخبره الظرف
وهو من قبل ومعناه وقع
من قبل تفرطكم فى يوسف
(فلان أبرح الارض) فلن
أفارق أرض مصر (حتى
يأذن لى أبى) فى الانصراف
اليه (أويحكم الله لى)

(فلما استيأسوا منه) استيأسوا منه
(خلاصوا نجيا) خلاصوا نجيا

ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما ﴿ فلما استيأسوا منه ﴾ يئسوا من يوسف واجابته
اياهم وزيادة السنين والتاء للمبالغة وعن البرى استيأسوا بالالتفات وفتح الياء من غير همزة
واذا وقع حمزة التى حركة الهمزة على الياء على أصله ﴿ خلاصوا ﴾ انفردوا واعتزلوا
﴿ نجيا ﴾ متعاجين وانما وحده لأنه مصدر أو بزمته كما قيل هم صديق وجمعه النجوة
كندى واندية ﴿ قال كبيرهم ﴾ فى السن وهو روبيل أو فى الرأى وهو شمعون وقيل
يهوذا ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ﴾ عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم
بالله موثقا منه لأنه باذن منه وتأكيدهم من جهة ﴿ ومن قبل ﴾ ومن قبل هذا ﴿ ما فرطتم
فى يوسف ﴾ قصرتم فى شأنه وما منيدة ويجوز أن تكون مصدرية فى موضع النصب
بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين لعاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم
ان وخبره فى يوسف أو من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيد نظرا لان قبل اذا
كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الانضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة أى ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه فى حقد من الخيانة ومحلها تقدم ﴿ فلان أبرح الارض ﴾ فلن افارق ارض
مصر ﴿ حتى يأذن لى أبى ﴾ فى الرجوع ﴿ أويحكم الله لى ﴾ أو يقضى الله لى بالخروج

اهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها
وأصحها أنه إنما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لأعن أمره وانما أمره الله بذلك لينبذ بلاءه
يعتوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آباءه الماضين والله تعالى اسرار
لا يعلمها أحد من خلقه فهو المنصرف فى خلقه بما يشاء وهو الذى أخفى خبر يوسف
عن يعقوب فى طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم باحوال
عباده ﴿ قوله عن وجل ﴾ فلما استيأسوا منه ﴿ معنى أيسوا من يوسف أن يخبرهم لما
سأوه وقيل أيسوا من أخيم أن يرد عليهم وقال أبو عبيدة استيأسوا أى استيقنوا
ان الاخ لا يرد اليهم ﴿ خلاصوا نجيا ﴾ يعنى خلاصوا بعضهم بعضا يتعاجون ويتشاورون
ليس فيهم غيرهم ﴿ قال كبيرهم ﴾ يعنى فى العقل والى فى السن قال ابن عباس
الكبير هو يهوذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته
وقال قتادة والسدى والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فى يوسف
لأنه نهاهم عن قتله ﴿ ألم تعلموا أن أباكم ﴾ يعنى يعقوب ﴿ قد أخذ عليكم موثقا ﴾
يعنى عهدا ﴿ من الله ﴾ ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ﴿ يعنى قصرتم فى أمر يوسف
حتى ضيعتموه ﴾ فلان أبرح الارض ﴿ يعنى الارض التى أنا فيها وهى أرض مصر
والمعنى فلان أخرج من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة ﴾ حتى يأذن لى
أبى ﴿ يعنى فى الخروج من أرض مصر فيدعون اليه ﴾ أويحكم الله لى ﴿ برد أخى

للمناجاة فيما بينهم (قال كبيرهم) أو شيوخهم فى العقل (قا و خا ٥٦ لث) وهو يهوذا (ألم تعلموا) يا اخوتاه (ان أباكم قد أخذ
عليكم موثقا من الله) انزله على (ومن قبل) من قبل هذا الغلام (ما فرطتم) ما تركتم عهدكم وميثاقه (فى يوسف فلان أبرح لارض)
أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) بالرجوع ويقال يأذن لى أبى حتى اناجزهم القتل (أويحكم الله لى) فى رداخى

منها أو بخلاص أخى منهم أو بالمقاتلة معهم تخليصه روى أنهم نكوا العزيز في اطلاقه فقال روييل إيه الملك والله لتتركنا أو لاصبحن صيحة تغضع منها الحوامل ووقفت شهور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لا بدقم الى جنبه فسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فسه الآخر ذهب غضبه فقال روييل من هذا ان في هذا البلد نور من نور يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق

ارجعوا الى ابيكم فتولوا يا بانان ابنك سرق على ماشاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا نألف لباطن الحال حافظين فلا ندرى انه سرق أو سرق ودس الصاع في رحله أو ما كنا نألف باطنه فلا ندرى ان اعطيك الموثق انه على أو بخروجي معكم وترك أخى أو يحكم الله بالسيف فقلنا هم حتى استرد أخى وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الاتجاه الى الله تعالى في إقامة عذره عند ولده يعقوب عليه السلام وارجعوا الى ابيكم يعنى يقول الاخ الكبير الذى عزم على الإقامة بقصر لاختوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فتولوا له يا بانان ابنك سرق انما قلوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لافي حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقدروا عليه بالسرقة قواهم وما شهدنا الا بما علمنا يعنى ولم نقل ذلك الا بعد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشدة في عمرنا على شئ الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لأننا نشهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس وانضحك سرق بضم السين وكسر الزاء وتشديد هاء أى نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة الا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعنى وما قلنا هذا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشدة في عمرنا على شئ الا بما علمنا وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب أنه سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبانه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم حتى يكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كافر

بالخروج منها أو بانوت أو بقتالهم وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل ارجعوا الى ابيكم فتولوا يا بانان ابنك سرق وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقة وتبيننا اذ الصواع استخرج (وهو خير) أفضل (الحاكمين) في رده الى ثم قل لهم يهودا (ارجعوا) يا اخوتي (الى ابيكم فتولوا) يا بانان ابنك سرق (صواع الملك انا من ذهب وبقال أخذ بالسرقة ان قرأت بضم السين وخفض الزاء بالتشديد) وما شهدنا الا بما علمنا (رأينا ان السرقة أخرجت من رحله

من وعائه (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق (واسئلكم القرية التي كنا فيها) يعني مصر اى
ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة ﴿ ٤٤٣ ﴾ (والعير التي { سورة يوسف } أفبنا فيها) وأصحاب العير

وكانوا قوما من كنعان من
جيرار يعقوب عليه
السلام (وانا الصادقون)
في قولنا فرجعوا الى آبهم
وقالوا ما قال لهم أخوهم
(قال بل سولت لكم
أنفسكم أمرا) أردتموه
والافن أدري ذلك الرجل
ان السارق يسترق لولا
فتواكم وتعلمكم (فصبر
جيل عسى الله أن يأتي
بهم جميعا) يوسف وأخيه
وكبرهم (انه هو العليم)
بحالي في الحزن والاسف
(الحكيم) الذي لم يتأني
بذلك الاحكامه (وتولى
عنهم) واعرض عنهم

(وما كنا للغيب حافظين)
يقول لو علمنا الغيب ما ذهبنا به
ويقال ما كذاله بالليل
حافظين (واسئلكم القرية)
أهل القرية (التي كنا فيها)
وهي قرية من قرى مصر
(والعير) أهل العير (التي
أفبنا فيها) جننا معهم وكان
صحبهم قوم من كنعان
(وانا الصادقون) فيما
قلنا لك فقالوا ليعقوب هذا
القول (قال) يعقوب لهم
(بل سولت) زيت (لكم
أنفسكم أمرا) ففعلتموه

سيسرق أو أنك تصاب به كما أصبت يوسف ﴿ واسئلكم القرية التي كنا فيها ﴾ يعنون
مصر أو قرية بقرها لحقهم المذاق فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة
﴿ والعير التي أفبنا فيها ﴾ وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم ﴿ وانا الصادقون ﴾
تأكيد في محل القسم ﴿ قال بل سولت ﴾ أى فلما رجعوا الى آبهم وقالوا ما قال لهم
أخوهم قال بل سولت أى زينت وسهلت ﴿ لكم أنفسكم أمرا ﴾ أردتموه ففعلتموه
والافن أدري الملك ان السارق يؤخذ بسرقة ﴿ فصبر جيل ﴾ أى فامسى صبر جيل
أو فصبر جيل اجل ﴿ عسى الله أن يأتيهم جميعا ﴾ يوسف وبنيامين وأخيهما الذي
توقفت مصر ﴿ انه هو العليم ﴾ بحالي وحالهم ﴿ الحكيم ﴾ في تدبيره ﴿ وتولى عنهم ﴾

﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ قال مجاهد وقتادة يعنى ما كنا نعلم ان ابنك يسرق
ويصير أمرا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به منا وانا قلنا ونحفظ أخانا مالمال الى
حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا ليله ونهاره ومجيبه وذخايبه حافظين وقيل
معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فعمل الصواع دس
في رحله ونحن لا نعلم بذلك ﴿ واسئلكم القرية التي كنا فيها ﴾ يعنى واسئلكم أهل
القرية الا أنه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من الاجاز مشهور في كلام
العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قسجى
فيها حديث السرقة والنقيش ﴿ والعير التي أفبنا فيها ﴾ يعنى واسئلكم القرية التي
كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيرار يعقوب ﴿ وانا الصادقون ﴾ فيما
قلنا وانا أمرهم أخوهم الذي أقام بمصر بهذه الممانلة مبالغة في ازالة التهمة عن أنفسهم
عند آبهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم
أمرا ﴾ فبدا خسران تقديره فرجعوا الى آبهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك
وقال لهم كبرهم وأمرهم أن يتولوا لا ينهم ففعل ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعنى
بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حال أخيك معكم الى مصر لئلا تنفع عاجل قال امركم
الى مدال وقيل معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق ﴿ فصبر جيل ﴾ تقدم
تفسيره في أول السورة ﴿ وقوله ﴾ عسى الله أن يأتيهم جميعا ﴿ يعنى يوسف وبنيامين
والاخ الثالث الذي أقام بمصر انما كان يعقوب هذه الممانلة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه
ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا وتخرجاه عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله
عن وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى
عليه وعلى بني من أدل الامر وهو رؤيا يوسف وقوله يأتى لا تقتصر رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدها فلما تنهى الامر قال عسى الله أن يأتيهم جميعا ﴿ انه هو العليم ﴾
يعنى بحزنى ووجدى عليهم ﴿ الحكيم ﴾ فيما يدبره ويتقصد ﴿ وقوله تعالى ﴾ وتولى
عنهم ﴿ يعنى وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تنهى حزنه

(فصبر جيل) فعلى صبر جيل بالاجزع (عسى الله) لعل الله (أن يأتيهم جميعا) يوسف وأخيه من أبيه وأمه
بنيامين ويهوذا (انه هو العليم) بمكانهم (الحكيم) بردهم على (وتولى عنهم) خرج

كراهة لما جاؤ به (وقال يا أسفا على يوسف) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الأسف (الجزء الثالث عشر) ويوسف ﴿ ٤٤٤ ﴾ غير متكلف ونحوه أثاقتم الى الارض أرضيتم

وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبأ بذأ وانما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتدأى أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على ان الزرع فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وابيضت عيناه) اذ اكثرت الاستتار ومحقت العبرة سواد العين وقلبه الى بياض كدر وقيل قدمى بصره وقيل كان قد يدرك ادرا كاضعيفا (من الحزن) لان الحزن سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عيناه يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجد الارض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للمنى عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك جد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزع والعين تدمع

فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أى يا سفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رؤؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان وثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم ان الله وانا ليد راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لم الاترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا أسفا ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت - وادها ما قيل ضعف بصره وقيل عى وقرى من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط واشتد بلاؤه وبلغ جهده وھج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ الأسف أشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادف حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كقول مقيم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك يقول أنبكي كل قبر رأيتہ • لقبر ثوى بين للوى والله كاذك فقلت له ان الاسى يبعث الاسى • فدعنى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف وبنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقد عترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاة واطهار جزع فلا يليق بعلومه بهذه ذلك وليس الامر كذلك هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكالى الله لا مند فتقول يا أسفا على يوسف معناه يارب ارحم أفى على يوسف وقد ذكر ابن الأنبارى عن بعض الثعورين انه قال نادى يعقوب بالاسف فى المنطق من الجزع يعنى به غير المظهر فى اللفظ وانفسد باللهى ارحم أسفى أو أنت رأى أفى أو هذا أسفى فنادى الأسف فى المنطق ولمنادى سواء فى المعنى ولا مانع اذ لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى اشكو الى الله شدة أفى على يوسف ولم يشكه الى أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكو بشى وحزنى الى الله ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ أى عى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأ است سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج

الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزون ﴿ فهو كظيم ﴾ مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرفته اذا ردها في جوفه ﴿ قالوا لله تفتؤا تذكر يوسف ﴾ أى لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه لحذف لا كافى قوله

فقلت يمين الله ابرح قاعدا

لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ مر بضم مشفيا على الهلاك وقيل الحرص الذى اذا به هم أو مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والذمت بالكسر كدنف ودنف • وقد قرئ به وبضمين كجب

ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزون واما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتزيق الثياب (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذا نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه (قالوا لله تفتؤا) أى لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذا وكان اثباتا لم يكن بدمن اللام والنون ومعنى لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا)

من العين ﴿ فهو كظيم ﴾ أى مكظوم وهو الممتلى من الحزن الممسك عليه لا يشده قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل الاخيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حبر أبيه الى يوم النقا ثمانون سنة لم نجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى اطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله يا طهر الظاهرين وابن السالحين المخلصين قال يوسف كيف لى باسم الصديقين وتمدنى من الصالحين المخلصين الظاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك فى محبة ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بأبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قل نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين شكلا قال فما له من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افتراى لاقية قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما بألى مما لقيت ان رأيتك ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا ﴿ يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لا بهم ﴾ قاله تفتؤا تذكر يوسف ﴿ يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتت عن حبه يقال مافتى يفعل كذا أى مازال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول الامرى القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

(فهو كظيم) مغموم يتردد حزنه فى جوفه (قالوا) ولده وولد ولده (تالله) والله (تفتؤا) لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) حتى تكون دنفا

أى لأبرح قاعدا • وقوله ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرص مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد العقل له والحرص الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرص الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل

﴿ أوتكون من الهالكين ﴾ من الميتين ﴿ قال انما اشكوبنى وحزنى ﴾ همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر ﴿ الى الله ﴾ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكابتى

يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف ﴿ أوتكون من الهالكين ﴾ يعنى من الاموات فان قت كبرت حزنوا على شئ لم يعلموا حقيقة قطعه فقلت انهم بنوا الامر على الاغلب المظاهر أى نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى يعقوب عند ما رأى قولهم له وغلظتهم عليه ﴿ انما اشكوبنى وحزنى الى الله ﴾ اصل البث اثاره الشئ وتفريقه وبث النفس ما نطوت عليه من الغم والشغل قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هماً فاذا ذكره لغيره كان بثاً والبث أشد الحزن والحزن الهم فعل هذا يكون المعنى انما اشكوب حزنى العظم وحزنى القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قال لعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرى وما الذى قوس ظهرى قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تسكنى ان تشكو الى غيرى فقال انما اشكوبنى وحزنى الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقبل الله دخل على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب ما الذى أراك قد تهشمت بالدمع وفيت ولم تبع من السن ما بلغ أبوانك فقال هشمتى وفيتى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خاتى فقال يا رب خليلية أختها ما فاعفها لما قد قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكوبنى وحزنى الى الله وقبل ان الله أوحى اليه عنى الى جلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما اشكوبنى وحزنى الى الله ثم قال أى رب اما ترجم الشيخ الكبير أذهبت بصرى وقوس ظهرى فاردد على رجليه فأتتهما شمة قبل ان أموت ثم اصنع ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزنى لو كانا ميتين لنشر الله ما أنسى لم وجدت عيك لأنكم ذبحتم شاة فقام على باكم فلان المسكين وهو سائم فأتعصمه منها شيئاً وان أحب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاماً وادع اليه المساكين فصنع طعاماً ثم قال من كان صائماً فليطعم الرأفة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا نادى أمره نادياً ينادى من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أفطروا أمر أن ينادى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقل وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عيك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلاً بين يدى أمه وهى تخور فلم يرجعها فان قلت هل فى هذه الروايات ما يقدح فى عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وانما يطلب من الانبياء من

مشيئة على الهالك مرصدا
(أوتكون من الهالكين قال انما اشكوبنى وحزنى الى الله) البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيدته الى الناس أى ينشره أى لا أشكوا الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكوا الى ربي داعي الله وملتجئ اليه فخلونى وشكابتى وادعنى الى يعقوب انما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكيناً فأتعصمه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى (أوتكون من الهالكين) بالموت (قال) يعقوب (انما اشكوبنى) ادفع غمى (وحزنى الى الله)

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من صنعه ورحمته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع المتجنيء اليده أو من الله بنوع من الإلهام ﴿مَالَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في منام فسأله عند فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى تخبره اختوه سجدوا ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾ من يوسف وأخيه ﴿فَتَعَرَّفُوا مِنْهُمْ﴾ وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب

الأعمال على قدر منصبهم وشريف رتبهم وبعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره إلى الله فأبراهم عليه الصلاة والسلام أتى في النار فصبر ولم يشك إلى أحد وإسماعيل ابتلى بأنح فصبر وفوض أمره إلى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك إلى أحد ويعقوب ابتلى بتفقد ولده يوسف وبمده بنيامين ثم عني بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك إلى أحد شيئا مما نزل به وإنما كانت شكايته إلى الله عز وجل بدليل قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجليل في الدنيا والدرجات العلى في الآخرة مع من سلف من أبويه إبراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذم ولا عقوبة لأن ذلك ليس إلى اختيار الإنسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده إبراهيم عند موته وقال إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وما نقول إلا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الإنسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على أحد من الناس ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ مالا تعلمون ﴿يَعْنِي﴾ أنه تعالى من رحمته وإحسانه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب وفيه إشارة إلى أن كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه إليه وروى أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ربحنا الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الأرواح فقال لا قطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه وأعلم أن رؤيا يوسف حق وصدق وإني وأنتم سنجده وقل السدى لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكال حاله في جميع أمواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني يعقوب ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾ من يوسف وأخيه ﴿التَحَسَّسُ﴾ طلب الخبر بالحاسة وهو قرب من الجسس بالجيم وقيل إن التحسس بالخاء يكون في الخير وبالجميم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الأنباري يقال تحسسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف وأخيه لأنه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة أن يعقوب كتب كتابا إلى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب إسرائيل الله بن اسحق ذبح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى إبراهيم فشدد يده ورجلاه وأتى في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما بنى فشدد

عنت (وأعلم من الله مالا تعلمون) وأعلم من رحمته أنه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب وروى أنه رأى ملك الموت في منام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبوه وعلم هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصى غيرك فرج عني (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس (وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنا السجدة له ويقال أعلم من رحمة الله وحيل نظره وصنعه مالا تعلمون ويقال أعلم أن يوسف حي لم يمت لأنه دخل عليه ملك الموت فقال له هل قبضت روح ابني يوسف فحين قبضت قال لا فمن ذلك قال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فاستخبروا واطلبوا خبر يوسف وأخيه بنيامين

وهو المعرفة (ولا تيأسوا) الجزء الثالث عشر { من روح الله } ٤٤٨ ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه)

ان الامر والشأن (لا ييأس من روح الله) (لا ييأس الكافرون) لان من آمن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في نعمته فييأس من رحمة فخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقار لها من أزجيته اذا دفعته وطردته قبل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ لا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فأوف لنا الكيل)

(ولا تيأسوا من روح الله) من رحمة الله (انه لا ييأس من روح الله) (لا ييأس الكافرون) بالله وبرحمته (فلما دخلوا عليه) على يوسف في المرة الثالثة (قالوا يا أيها العزيز مسنا) اصابتنا (وأهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) بدراهم لا تنفق في الطعام وتنفق فيما بين الناس ويقال بتناع الجبل كالصنوبر والحبة الخضراء ويقال بتناع

الاحساس (ولا تيأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من فرجه وتنفسه وقرى من روح الله أي من رحمة التي يحيي بها العباد (انه لا ييأس من روح الله) الا القوم الكافرون (بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يقنط من رحمة في شيء) من الاحوال (فلما دخلوا عليه) قالوا يا أيها العزيز (بعدما رجعوا الى مصر) رجعة ثانية (مسنا وأهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة أو قليلة ترد وتنفق رغبة عنها من أزجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل (فأوف لنا الكيل) فاتم لنا الكيل

يداء ورجلاه ووضع السكين على قنائه ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قدأ كله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت أنه سرق وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلدسارقا فان رددته الى والادعوت عليك دعوة تدرك الساجع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاءه وعبل صبره وأظهر نفسا لاختوته على ما سذكروه ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تيأسوا) أي ولا تقنطوا (من روح الله) يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله) الا القوم الكافرون (يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك) قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزب القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أي الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء لينساق كترجيبة الرخ السحاب ومنه قول الشاعر

وحاجة غير مزجاة من الحاج

يعنى هي قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلعة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما لقصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت حلق الغرأثر والخيال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لنُدفع بها الزمان وليست بما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فأوف لنا الكيل) يعنى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى اننا نريد أن نقيم لنا الزائد مقام

العرب مثل الاقط والصوف والجبن والسمن (فأوف لنا الكيل) يقول وفر لنا الكيل كما توفر بالدراهم (الناقص)

﴿وتصدق علينا﴾ بردأخينا وأبالمساحة وقبول المزجة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنذ قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يتبعه به ثواب من الله تعالى ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه﴾ أي هل علمتم قبجه فبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع

الذي هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمساحة والانغاض عن رداة البضاعة أو زدنا على حقنا أو هب لنا أخانا (ان الله يجزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يملك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أي هل علم قبجه ما فعلتم بيوسف (وأخيه

الحياد (وتصدق علينا) ما بين الثمين ويقال بين الكيلين (ان الله يجزى المتصدقين) في الدنيا والآخرة (قال) لهم يوسف (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه

الناقص والجيد مقام الردي ﴿وتصدق علينا﴾ يعني وتفضل علينا بما بين الثمين الجيد والردي ولا تفتننا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المساحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبيا قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبيا قبل نبينا عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواء وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه أن يجزيهم على عادتهم من المساحة وايحاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لانفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا بمن يتبعى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يتبعى الثواب قل اللهم اعطني وتفضل على وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني بردأخينا علينا ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن ﴿قال﴾ يعني قال يوسف لأخوته ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ وقد اختلفوا في السبب الذي من أجله حل يوسف وهججه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي أنهم لما كلوه بهذا الكلام أدركته رقعة على اخوته فباح بالذي كان يكتهم وقبل انما أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبه بيمينه من مالك وفي آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فعاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منافيك اذ انما الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابث بامتعتنا الى أيدنا فانه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرجة فبكي وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليه لم يملك أن يبكي وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفضيع الامر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقي ما فعلتم بيوسف

اذا أنتم جاهلون) لا تعلمون
قبجه أو اذ أنتم في حد
السفاه والطيش وفعلمهم
باخيد تعريضهم إياه لغيره
عن أخيه لا يسهل وأمه
وايضاؤه له بانواع الأذى
(قلوا أنك) بهمزتين
كوفي وشامي (لأنك
يوسف) الام لام الابتداء
وأنت مبتدأ ويوسف خبره
والجمله خبران (قال أما
يوسف وهذا أخي) وانما
ذكر أخاه وهم قد سألوهم عن
نفسه لأنه كان في ذكر أخيه
بيان لما سألوهم عنه (قد
من الله علينا) بالافعة بعد
الفرقة وذكر نعمة الله
بالسلامة والكرامة ولم
يبدأ بالسلامة (انه من يتق)
الفتحشاء (ويصبر) عن
المعاصي وعلى الطاعة
(فان الله لا يضيع أجر
الحسنين) أي أجرهم
فوضع الحسنين موضع
انضمير لاشتماله على المتقين
والصابرين وقيل من يتق
مولاه ويصبر على بلواه
لا يضيع أجره في دنياه وعقباه

اذا أنتم جاهلون) شبان غافلون
(قلوا أنك لأنك يوسف
قال أنا يوسف وهذا أخي)
من أبي وأمي (قدم الله علينا)
بالصبر (انه من يتق)
في النعمة (ويصبر) في الشدة

ان يكلمهم الابحزوذلة) اذا أنتم جاهلون) قبجه فلذلك اقدمتم عليه أو عاقبته وانما قال
ذلك تضيياعهم وتخريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكهم لامعانة
وتثريا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكر والده ما هو فيه من الحزن
على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال أولانهم
كانوا حينئذ صبيانا طياشين) قلوا أنك لأنك يوسف) استفهام تقرير ولذلك
حقيق بان ودخول اللام عليه وقراءتان كثير على الايجاب قيل عرفوه برواهه وشماله
حين كلمهم به وقيل تبسم يعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فأوا علامة بقرنه
تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثبها) قال أنا يوسف وهذا أخي) من
أبي وأمي ذكره تعريف نفسه به وتفخيما لشأنه وادخاله في قوله) قدم من الله علينا) أي
بالسلامة والكرامة) انه من يتق) أي يتق الله) ويصبر) على البليات أو على
الطاعات وعن المعاصي) فان الله لا يضيع أجر الحسنين) وضع الحسنين موضع

وأخيه من تسليم الله إياهما من المكروه. واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا
إليه أن ننبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون. فان قلت الذي فعلوه يوسف معلوم ظاهر فما
الذي فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا أرادوا
ذلك. قلت أنهم لما عرفوا بينهم وبين أخيه يوسف تفصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر
يوسف وقيل أنهم قوا له لما أنهم بأخذ الصواع ما رأيتكم باني رحيل خيرا) اذا أنتم
جاهلون) هذا خبر مجرى الخبر المجري يعني انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر
حال كونكم جاهلين وهو وقت الصاوحلة الجهل وقيل جاهلون بما يقول اليد أمر يوسف
قوله عز وجل) قلوا أنك لأنك يوسف) قرى على سبيل الاستفهام وحجة
هذه القراءة قال ابن عباس هل علم ما فعلهم يوسف وأخيه تبسم فأوا شيئا كما وأوا
تشبه ثناياه يوسف وشبهه يوسف فقالوا استفهاما أنك لأنك يوسف وقرى على الخبر وجهته
ما قال ابن عباس أيضا في رواية أخرى عنه أن اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج
عن رأسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان يعقوب مثبها ولا يحق مثلها ولسارة
مثلهما يعرفوه بها وقوا أنت يوسف وقيل قواه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى) قل
أنا يوسف) قل بعض العلماء انما أظهر الاسم في قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما
لما نزل به من ظن أخوته له وما عود الله من الصبر والظفر والملك فكانه قال أنا يوسف
المظالم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلني بأن القيتوني في الحب ثم يعقوني بأخس الأثمان ثم صيرت
إلى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قل) وهذا أخي) وهم
يعرفونه لأنه قصد به أيضا وهذا أخي المظالم كما ظلمتموني ثم صيرت أنا هو إلى ماترون
وهو قوله) قدم من الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والآخرة
وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيا) انه من يتق ويصبر) يعني يتق الزنا ويصبر على
العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل يتق الله باداء
فرائضه ويصبر عما حرم الله) فان الله لا يضيع أجر الحسنين) يعني أجر من كان هذا حاله

(قالوا لله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا خاطئين) وان شأنا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين لللاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لاثريب عليكم) لاثريب عليكم (اليوم) متعلق بالاثريب أو ببغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة الاثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتداء فقال ﴿ ٤٥١ ﴾ (يغفر الله لكم) سورة يوسف { فعدا لهم بغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك

ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادني باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لاثريب عليكم اليوم وروى ان اباسفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله فاقبل عليه قال لاثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكك فيهم فأنهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون

الضمير للتنبية على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكل السيرة ﴿ وان كنا خاطئين ﴾ والحال ان شأنا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ﴿ قال لاثريب عليكم ﴾ لاثريب عليكم تفعل من الثرب وهو الشعم الذي يغشى الكرش لازالة كالتجديد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه ﴿ اليوم ﴾ متعلق بالاثريب أو بالمقدر للجوار واقع خبرا للاثريب والمعنى لا أثربكم اليوم الذي هو مظنته فاظنكم بسائر الايام أو بقوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ لانه سفع عن جريبتهم حينئذ واعترفوا بها ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾

﴿ قالوا ﴾ يعنى قال اخوة يوسف معتذرين اليه بمصدر منهم في حقه ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ أى اختارك وفضلك علينا يقال آثر الله إثارا أى اختارك واستعار الاثر لتفضل والايثار لتفضل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل الذي أعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل في ذلك وأجيب بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان أفضل من خص بالنبوة فقط ﴿ وان كنا خاطئين ﴾ يعنى وما كنا في صنعنا بك الا خاطئين واهذا الخير لفظ الخاطي على الخطي والفرق بينهما أن يقال خطي خطأ اذا عمدا وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن يكون أثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآتى لان خاطئين أشبه بما قبلها ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ لاثريب عليكم ﴾ يعنى لاثريب ولا توبخ عنكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليجدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب أى لا يعيرها بانزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله ﴿ اليوم ﴾ قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لاثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبخ وأنا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبدأ بقوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفي عنهم التوبخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال

سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أى من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أى اذا رحمتكم وأنا الفقير القصور فما ظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عفى من كثرة

(قالوا) اخوة يوسف ليوسف (تالله) والله (لقد آثرك الله علينا) فضلك الله علينا (وان كنا) وقد كنا (خاطئين) مسيئين بك عاصين لله (قال) لهم يوسف (لاثريب عليكم اليوم) يقول لا أعيركم بعد اليوم (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) من الوالدين

يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى (فلقوه على وجهه أني أت بصيرا) يصير بصيرا تقول جاء البناء محكما أى صار أو أت الى وهو بصير قال بهوذا أنا أجل قيصر الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حبله وهو حاف حاسرا من مصر الى كنعان وبينه مامسيرة ثمانين فرسخا (وأترني باهلكم أجمعين) لينعموا بأثار ملكي كما اعتقوا بأخبار هلكي (ولما فطمت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا ذ الفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبرهم) لولد ولده ومن حوله من قومه (اننى لأجد ربح يوسف) أوجده الله ربح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة (اذهبوا بقميصي هذا) وكان قميصا كسوة من الجنة (فلقوه على وجهه أني أت بصيرا) يرجع بصيرا (وأترني باهلكم أجمعين) وكانوا نحو سبعين انسانا (ولما فطمت العير) خرجت العير من العريش وهى قرية

فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على النساب ومن كرم يوسف عليه السلام انه لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منافيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث عابوا انكم اخوتي وانى من حفة ابراهيم عليه السلام ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ القميص الذي كان عليه وقيل المتوارث الذي كان في التمويذ ﴿ فلقوه على وجهه أني أت بصيرا ﴾ يرجع بصيرا أى ذا بصير ﴿ وأترني ﴾ انتم وابي ﴿ باهلكم أجمعين ﴾ بنسبتكم وذراريكم ومواليكم ﴿ ولما فطمت العير ﴾ من مصر وخرجت من عمرانها ﴿ قال أبوهم ﴾ لمن حضره ﴿ انى لأجد ربح يوسف ﴾ اوجده الله ربح ما عبق بقميصه من ربحه حين أقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا ﴿ لولا أن تفندون ﴾ تنسبونى أبى يعادى قولا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قميصه وقال ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ قال الضحك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى في النار عرايا أنه جبريل بقميص من حرير الجنة فلبسها فبأن ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قسبة من قسبة وسدر أسنانه بها في عرق يوسف كالعنود لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفرقه فلما أتى يوسف في البئر عرايا أنه جبريل وأخرج له ذلك القميص وأنسبه اليه فلما كان هذا الوقت جاء جبريل قامره أن يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى في الوقت فرفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا ﴿ فلقوه على وجهه أني أت بصيرا ﴾ قال المحققون ان علم يوسف ان أقاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد العسر كان يوحى اليه ذلك ويمكن أن يقول ان يوسف لما علم أن أباءه قد عرئ من كثرة البكاء عليه وضييق الصدر بعث اليه قميصا ليجد ربحه فيزول بكأؤه وينشرح صدره ويخرج قلبه ففقد ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القميص تمكن معرفته من جهة العقل ﴿ وقوله ﴾ (وأترني باهلكم أجمعين) قال الكلبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة ﴿ ولما فطمت العير ﴾ يعنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى أرض كنعان ﴿ قال أبوهم ﴾ يعنى قال يعقوب لولد ولده ﴿ اننى لأجد ربح يوسف ﴾ قيل ان ربح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بربح يوسف قبل أن يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ربح فاحتملت ربح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فلم أنه ليس في الارض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فلم بذلك أنه من ربح يوسف فلذلك قال انى لا يجد ربح يوسف ﴿ لولا أن تفندون ﴾ أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأى وقال ابن

الى الفسد وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفسد والمعنى لولا تنفيذكم اياي لصدمتوني (قالوا) اى اسباطه (تالله
انك انى ضاللك القديم) انى ذهابك ﴿٤٥٣﴾ عن الصواب { سورة يوسف } قديما فى افراط محبتك

ليوسف أوفى خطئك

القديم من حب يوسف

وكان عندهم انه قدمات

(فلما أن جاء البشير) أى

يهوذا (ألقاه على وجهه)

طرح البشير القميص على

وجهه يعقوب أو ألقاه

يعقوب (فارتد) فرجع

(بصيرا) يقال رده فارتد

وارتده اذا ارتجمه (قال

ألم أقل لكم) يعنى قوله انى

لاجدريج يوسف أو قوله

ولا تياسوا من روح الله

وقوله (انى أعلم من الله مالا

تعلمون) كلام مبتدأ لم

يقع عليه القول أو وقع عليه

والمراد قوله انما أشكوبنى

وحزنى الى الله وأعلم من

الله مالا تعلمون وروى انه

سأل البشير كيف يوسف

قال هو ملك مصر فقال

ما صنع بالملك على أى دين

تركته قال على دين الاسلام

قال الآن تمت النعمة (قالوا

يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا

كنا خاطئين) أى سئ الله

مغفرة ما ارتكبنا فى حقك

وحق ابنك انا بننا واعترفنا

فيما أقول (قالوا) ولده وولد

ولده الذين كانوا عنده

(تالله) والله (انك انى

ضاللك القديم) فى خطئك

الى الفسد وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفسدة لان نقصان عقلها
ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدمتوني أولقلت انه قريب ﴿٤٥٣﴾ قالوا ﴿٤٥٣﴾ أى
الحاضرون ﴿٤٥٣﴾ تالله انك انى ضاللك القديم ﴿٤٥٣﴾ انى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط
فى محبة يوسف واكثر ذكره والتوقع للقاء ﴿٤٥٣﴾ فلما ان جاء البشير ﴿٤٥٣﴾ بهوذا روى انه قال
كما حزنتم بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه ﴿٤٥٣﴾ ألقاه على وجهه ﴿٤٥٣﴾
طرح البشير القميص على وجهه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسا ﴿٤٥٣﴾ فارتد بصيرا ﴿٤٥٣﴾
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة ﴿٤٥٣﴾ قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون ﴿٤٥٣﴾ من
حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تياسوا
من روح الله أو انى لا جدرىج يوسف ﴿٤٥٣﴾ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ﴿٤٥٣﴾

الانبارى أفند الرجل اذا خرف وفسد اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي
اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولا أن تفندونى أى
تنسبونى الى الخرف وقيل تنفونى وقيل تلومونى وقيل تجهلونى وهو قول ابن
عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله ﴿٤٥٣﴾ قالوا ﴿٤٥٣﴾ يعنى
اولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان اولاده اصلبه كانوا غائبين عنده ﴿٤٥٣﴾ تالله انك انى
ضاللك القديم ﴿٤٥٣﴾ يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان
قدمات وهلك ويرون ان يعقوب قد ابلج بذكره فلذلك قالوا تالله انك انى ضاللك
القديم يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب ﴿٤٥٣﴾ فلما ان جاء البشير ﴿٤٥٣﴾ وهو
المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه هو يهوذا قال السدى قل يهوذا أما ذهبت بالقميص الملطخ بالدم الى يعقوب
وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأما أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حى فافرحه
كما حزنتم قل ابن عباس سمعته يهوذا وخرج به حافيا حامرا بعدد ومعه سبعة أرغفة
فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا ﴿٤٥٣﴾ ألقاه على وجهه ﴿٤٥٣﴾
يعنى فلقى البشير قميص يوسف على وجهه يعقوب ﴿٤٥٣﴾ فارتد بصيرا ﴿٤٥٣﴾ يعنى فرجع بصيرا
بعد ما كان قد عصى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن ﴿٤٥٣﴾ قال ألم أقل
لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون ﴿٤٥٣﴾ يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى
ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما صنع
بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ﴿٤٥٣﴾ قوله تعالى ﴿٤٥٣﴾ قالوا
يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴿٤٥٣﴾ يعنى قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه
عما صنعوا به ويوسف استغفر لنا أى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله ﴿٤٥٣﴾ انا كنا خاطئين ﴿٤٥٣﴾

الاول فى ذكر يوسف (فلما أن جاء البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) صار بصيرا (قال) لبنيه وبني بنيه
(ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون) يقول ان يوسف حى لم يمت (قالوا) ولده وولد ولده (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) ادعوا
الله ان يغفر لنا ذنوبنا (انا كنا خاطئين) مسيئين

ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة ﴿ قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم ﴾ اخره الى السحر أو الى صلاة الليل أو الى ليلة الجمعة تحرير الوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهم الاذلة خاضعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد موثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾ روى انه وجه اليه درواخل واموالا ليتجهز اليه عن ماله واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه

بخطا يانا (قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) آخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة وليتعرف حالهم في صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه عن ماله فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر باجمعهم فلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف

عاصين لله (قال) لهم (سوف استغفر لكم ربي) أدعوا لكم ربي ليلة الجمعة آخر السحر (انه هو الغفور المتجاوز) (الرحيم) لمن تاب (فلما دخلوا على يوسف

يعنى في صنعنا ﴿ قال سوف استغفر لكم ربي ﴾ قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدماء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزئى على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادى ما أنوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين قل عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قل وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طائوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعي سوف استغفر لكم ربي قل حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي ﴿ انه هو الغفور ﴾ يعنى لذنوب عباده ﴿ الرحيم ﴾ بجميع خلقه قل عطاء الخراف انى طلب الخوانج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لآخوته لا توب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قل اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجى أبى وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يدايته يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قل ياهوذا هذا فرعون مصر قل لابل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعاقبا وفعلوا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابي يا أبت بكيت على حتى ذهب بعصرك ألم تعلم ان القيامة تجيء منا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب ذلك ففعلت بذا وبذلك فلذلك قوله تعالى ﴿ فلما دخلوا على يوسف

آوى اليه) ضم اليه (أبويه) واعتنقهما قبل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والخاله أم كان البعم أب ومنه قوله واله آبائك
ابراهيم واسماعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم أنزلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له
ثمة فدخلوا عليه وضم اليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصر ان شاء الله آمين) من ملوكها وكانوا لا يدخولونها
الا بجوار أو من القحط وروى انه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف
يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ﴿٤٥٥﴾ ان القيامة { سورة يوسف } تجتمعنا فقال بلى ولكن

خشيت ان يسلب دينك
فيحال بني وبينك وقيل ان
يعقوب وولده دخلا
مصر وهم اثنان وسبعون
مابين رجال ونساء
وخرجوا منها مع موسى
ومقاتلهم ستمائة ألف
وخسمائة وبضعة

وسبعون رجلا سوى
الذرية والهرمي وكانت
الذرية الف الف ومائة
ألف (ورفع أبويه على
العرش وخر واله سجدا)
قيل لما دخلوا مصر
وجلس في مجلسه مستويا
على سريريه واجتمعوا اليه
أكرم أبويه فرعهما على
السرير وخر واله يعنى
الاخوة الاحد عشر
والابوين سجدا وكانت
السجدة عندهم جارية
مجرى التحية والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليدين وقال الزجاج سنة
التعظيم في ذلك الوقت ان
يسجد للمعظم وقيل ما كانت

مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام
ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمي ﴿آوى اليه أبويه﴾
ضم اليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك
ابراهيم واسماعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امد والرابية تدعى اما
﴿وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين﴾ من القحط واصناف المكارة والمشيمة متعلقة
بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم
﴿ورفع أبويه على العرش وخر واله سجدا﴾ تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم

آوى اليه ﴿يعنى ضم اليه﴾ أبويه ﴿قال﴾ أكثر المفسرين هو أبوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه
قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها
واشهرها من قبرها حتى تسجد لـ يوسف لتحقيق رؤياه والاول أصح ﴿وقال ادخلوا مصر﴾ قيل
المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال
ادخلوا مصر يعنى البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثانى
الاستيطان بها أى ادخلوا مصر مستوطنين فيها ﴿ان شاء الله آمين﴾ قيل ان هذا الاستثناء
عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول
فعلى هذا يكون قد قل ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار
فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل
ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف
ادخلوا مصر آمين على أنفسكم وأهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك
فهو كقوله صلى الله عليه وسلم انا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم ﴿ورفع
أبويه على العرش﴾ يعنى على السرير الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى
العاو ﴿وخر واله سجدا﴾ يعنى يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ
السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض
على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له أبوه وهو أكبر
منه وأعلى مناصبا في النبوة والشيوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه

الانحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يا أباه وقيل وخر واله سجدا يوسف سجدا لله شكر اوفيه نبوة

آوى اليه أبويه) ضم اليه أباه وخالته لان أمه كانت ماتت قبل ذلك (وقال ادخلوا) انزلوا (مصر ان شاء الله)
وقد شاء الله (آمين) من العدو والسوء ويقال ادخلوا مصر آمين من العدو والسوء ان شاء الله مقدم ومؤخر (ورفع
أبويه على العرش) على السرير (وخر واله سجدا) خضعوا له بالسجود أبواه واخوته وكان سجودهم تحيتهم فيما بينهم كان يسجد
الوضيع للشريف والشاب للشيوخ والصغير للكبير كهية الركوع نحو

يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سبحانه شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو
لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخروروان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمهما ﴿ وقال
ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ التي رأيتها أيام العسب ﴿ قد جعلها ربى حقا ﴾
صدقا ﴿ وقد أحسن بى اذا خرجنى من السجن ﴾ ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا

ثم فى معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحيّة كما تقدم فلا اشكال
فيه والقول الثانى انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان
السجود على هذه الصورة لا يذنب ان يكون الله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان
السجود كان فى الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالتبلة كما سجد
الملائكة لآدم ويذل على سبيل سعة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا
وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرى خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف
لكل قبل الصعود لان ذلك أبلغ فى التواضع وان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم
لى ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف
عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى خروا لله سجدا لاجل يوسف
واجبة عليهم وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهى ان اخوة
يوسف ربما احتقنهم الانفة والكره عن السجود ليوسف فلما رأوا ان أباهم قد سجد له سجدوا
له أيضا فكون هذا السجدة على سبيل التحيّة والتواضع لاعلى سبيل العبادة وكان ذلك
جائزا فى ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه التبلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
﴿ وقال ﴾ يعنى قول يوسف عندما رأى ذلك ﴿ ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾
يعنى هذا تصديق لرؤيا التي رأيت فى حال الصغر ﴿ قد جعلها ربى حقا ﴾ يعنى فى اللحظة
واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد أربعون سنة
وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقيل سبعين جبر وعكرمة والسدي
ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة
وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الأقوال كلها ابن الجوزى وزاد غيره عن
الحسن ان يوسف كان عمره حين أتى فى الجب سبع عشرة سنة وأقام فى العبودية والسجن
والمناك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله
وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿ وقوله ﴾ وقد أحسن بى ﴿ يعنى انعم على يقال احسن بى
والى بمعنى واحد ﴿ اذا أخرجنى من السجن ﴾ انما ذكر انعام الله عليه فى اخراجه من
السجن وان كان الجب أصعب منه استعلا للدب والكرم لئلا يخجل اخوته بهـدان
قل لهم لا تثرىب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه فى اخراجه من السجن كانت
أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله
فى العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله
الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه

أيضا واختلف فى استنبأهم
(وقال ياأبت هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها
أى الرؤيا (ربى حقا) أى
صادقة وكان بين الرؤيا
وبين التأويل أربعون
سنة أو ثمانون أو ست
وثلاثون أو ثمان وعشرون
(وقد أحسن بى) يقال
أحسن اليه وبه وكذلك
أساء اليه (اذا أخرجنى
من السجن) ولم يذكر الجب
لنوله لا تثرىب عليكم اليوم
فعل الاعاجم (وقال ياأبت
هذا) السجود (تأويل) تعبير
(رؤياي من قبل) من قبل
هذا (قد جعلها ربى حقا)
صدقا (وقد أحسن بى)
الى (اذا أخرجنى من السجن)
ونجاني من العبودية

عليهم ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو ﴿ من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ﴾ افسد بيننا وحرش من نزع الرابض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ لطيف التدبير له اذا ما من صعب الاوتنفذ فيده مشيئته ويتسهل دونها ﴿ انه هو العليم ﴾ بوجوه المصالح والتدابير ﴿ الحكيم ﴾ الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بايمدهما الصلاة والسلام في خزائمه فلما ادخله خزانه القراطيس قال يا بنى ماعذك عذرك هذه القراطيس وما كنت الى على ثمان سراجل قال امرنى جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط من اليد فاسأله فقال جبريل الله امرنى بذلك لقولك

عليه ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ يعنى من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض بدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية ﴿ من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ﴾ يعنى افسد ما بيننا بسبب الجسد وأصل النزغ دخول في امر لافساد واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله وازاد النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كافي الاحسان والتم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان وازادته اليه على سبيل الجواز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله افسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقتضائه وقدره ليس للشيطان فيدخل الا بالقائه الوسوسة والخرش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ يعنى انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللفظ عما تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أى حسن الاستخراج تنبيه على ما وصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الحب وقيل ان اجتماع يوسف بايمه واخوته بعد طول الفارقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمراً هياً أسبابه ﴿ انه هو العليم ﴾ يعنى بمصالح عباده ﴿ الحكيم ﴾ في جميع أفعاله قل اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعاً وعشرين سنة في أنها عيش وأنعم بأن وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه أسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمر به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولدا

(وجاء بكم من البدو)
من البادية لانهم كانوا
اصحاب مواشى ينقلون
في المياه والمناجم (من بعد
ان نزع الشيطان بيني
وبين اخوتي) أى افسد
بيننا وأغرى (ان ربي
لطيف لما يشاء) أى لطيف
التدبير (انه هو العليم
الحكيم) بتأخير الآمال
الى الآجال أو حكم بالاختلاف
بعد الاختلاف

(وجاء بكم من البدو) من
البادية (من بعد ان نزع)
أفسد (الشيطان بيني وبين
اخوتي) بالحسد (ان ربي
لطيف لما يشاء) لما جمع بيننا
(انه هو العليم) بما أصابنا
(الحكيم) بالجمع والفرقة

(رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعض
اذلم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت ولي في الدنيا والآخرة)
أنت الذي تتولاني بالنعمة الجزء الثالث عشر في الدارين وتوصل ٤٥٨ الملك الفاني بالملك الباقي (توفى

مسلم) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب تولد ولا تموت الا وانتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التستري مسلما اليك أمرى وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقعدى به قومه ومن بعده ممن ليس بنأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم (والحقني بالصالحين) من آباءى أو على العموم روى ان يوسف أحذيد يعقوب فطاق به في خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يا بنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانية مراحل فقال أمرنى جبريل قال أو ما تسأله أنت قال أنت أبسط اليه منى فأسأله فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلاخفتنى وروى ان يعقوب أقام معه أربعة وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه الحق

واخاف ان يأكله الذئب قال فهلاخفتنى ﴿ رب قد آتيتنى من الملك ﴾ بعض الملك وهو ملك مصر ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ الكتب أو الرؤى ومن ايضا للتبعض لانهم يؤت كل التأويل ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى أو منادى برأسه ﴿ أنت ولي ﴾ ناصرى أو متولى أمرى ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ أو الذى يتولاني بالنعمة فيهما ﴿ توفى مسلما ﴾ اقضى ﴿ والحقني بالصالحين ﴾ من آباءى أو بعامه الصالحين في الرتبة والكرامة مروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه أربعة وعشرين سنة ثم توفى وأوصى ان يدفن بالشام الى جنب في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمره رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والحائمة الصالحة فقال ﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ قد آتيتنى من الملك ﴾ يعنى من ملك مصر ومن هنا للتبعض لانهم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ يعنى تعبير الرؤيا ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ يعنى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أو جده وأبدعه ﴿ أنت ولي ﴾ يعنى معينى ومتولى أمرى ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ توفى مسلما ﴿ أى اقضى اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال أم لاعلى قوانين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى والقول الثانى انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يمتن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفى اذا توفيتنى على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للدارين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعل ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الزوال وان نعيم الآخرة باقى دائم لانفساده ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يتمن أحدكم الموت اضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضرر يزول الالاء مكروه والصبر عليه أمر مأمور وقوله ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ أراد به بدرجة آباءه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ

(رب) يارب (قد آتيتنى من الملك) اعطيتنى ملك مصر أربعين فرسخا في أربعين فرسخا (وعلمتني من (عاش)

تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يا خالق السموات والارض (أنت ولي) ربى وخالقى ورازقى وحافظى وناصرى (في الدنيا والآخرة توفى مسلما) مخلصا بالعبادة والتوحيد (والحقني بالصالحين) بآباءى المرسلين في الجنة

ففى نفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طابت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ماتناه بنى قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وشاحوا في دفنه كل غيب أن يدفن في محاتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقاً من مرمر **٤٥٩** وجعلوه فيه **١** سورة يوسف **١** ودفنوه في البئر فكان يمر

عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربع مائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشاو ولد لافرائيم نون ولنون يوشع فنى موسى ولقد توارثت الفراعة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بنى يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يعكرون) بيوسف وينفون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بنى يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيه في البئر

(ذلك) الذى ذكرت لك يا محمد من خبر يوسف

أبيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة ثم نأقت نفسه الى الملك الخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعاً فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشاو ووجد يوشع بن نون ورجة امرأة ايوب عليه السلام **٢** ذلك **٣** اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ **٤** من أنباء الغيب نوحيه اليك **٥** خبران **٦** وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يعكرون **٧** كالل دليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف

عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشاو ورجة امرأة ايوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محله ثم رجاء بركته حتى هموا ان يقتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجذب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجذب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدره بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة **٨** قوله عز وجل **٩** (ذلك) يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق **١٠** من أنباء الغيب **١١** يعنى أخبار الغيب **١٢** نوحيه اليك **١٣** يعنى الذى أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذى نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فلم بذلك ان الذى أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر **١٤** وقوله تعالى **١٥** وما كنت لديهم **١٦** يعنى وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب **١٧** إذا جمعوا أمرهم **١٨** يعنى حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في البئر **١٩** وهم يعكرون **٢٠** يعنى

واخوته (من أنباء الغيب) من أخبار الغائب عنك (نوحيه اليك) نرسل اليك جبريل به (وما كنت لديهم) عندهم (إذا جمعوا أمرهم) اجتمعوا على ان يطرحوا يوسف في البئر (وهم يعكرون) يريدون بذلك هلاك يوسف

(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وماتسألهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (أزهو الأذكار) ما هو الا موعظة (للمؤمنين) وحث على طلب النجاة على لسان رسول { الجزء الثالث عشر } من رساله (وكأين ٤٦٠ من آية) من علامة ودلالة على

الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعترفون بها والمراد ما يرون من آثار الالهيّة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي وما يؤمن أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خالق السموات والارض الا هو، مشرك بعبادة الوثن الجمهور على انها نزات في المشركين لانهم يقولون ان الله خالقهم ورازقهم واذاحزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية (وما أكثر الناس) أهل مكة (ولو حرصت) لوجهدت كل الجهد مقدم ومؤخر (بمؤمنين) بالكتب والرسول (وماتسألهم) يا محمد (عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (أزهو) ما هو يعنى القرآن (الأذكار)

حين عزموا على ما هموا به من ان يجهلوه في غيابة الجب وهم يعكرون به وبأيديهم من معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصّة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قولك من قبل هذا (وما أكثر الناس ولو حرصت) على إيمانهم وبالفات في اظهار الآيات عليهم (بمؤمنين) انما دعاهم وتصمّمهم على الكفر (وماتسألهم عليه) على الانبياء أو القرآن (من أجر) من جعل كفضله - سلة الاخبار (أزهو الأذكار) عظة من الله تعالى (للمؤمنين) عامة (وكأين من آية) وكمن من آية والمعنى وكأين عدد شئته من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكل قدرته وتوحيده (في السموات والارض يرون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها) معرضون (لا يتفكرون فيها ولا يعترفون بها) وقرئ (والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يرون فيكون لها خبر في علمها وبالصب على ويطأون الارض وقرئ والارض بشون علمها أي يترددون فيها يرون آثار الالهيّة وما يؤمن أكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وحقائقه الا وهم مشركون بعبادة غيره أو بخلافه الاحبار ربي ولسانك أي يده أو قولي ورواية في الاسباب ونحو

بيوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) استغاب لاني صلى الله عليه وسلم والمبني وما أكثر الناس يحمّد ولو حرصت على إيمانهم يؤمنون وذلك ان اليهود وقرشاً سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصّة يوسف فذاخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة فسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقل له لهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم فقلّده تسابله (وماتسألهم عليه) أي على تبليغ الرسالة ولده إلى الله من أجر أي جراً وجلا إلى ذلك (من أجر) أي من أجر القرآن (الأذكار) أي عظة وتذكير (للمؤمنين) وكأين من آية أي وكمن من آية دالة على التوحيد (في السموات والارض يرون عليها) أي لا يتفكرون فيها ولا يعترفون بها (وهم عنها) معرضون (لا يتفكرون فيها ولا يعترفون بها) وقرئ (والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يرون فيكون لها خبر في علمها وبالصب على ويطأون الارض وقرئ والارض بشون علمها أي يترددون فيها يرون آثار الالهيّة وما يؤمن أكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وحقائقه الا وهم مشركون بعبادة غيره أو بخلافه الاحبار ربي ولسانك أي يده أو قولي ورواية في الاسباب ونحو

عظة (للمؤمنين) الجن والانس (وكأين من آية) من علامة (في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (العرب) وغير ذلك (والارض) وما في الارض من الجبال والنجار والشجر والدواب وغير ذلك (يعرون عليها) أهل مكة (وهم عنها) معرضون (مكذبون بها لا يتفكرون فيها) وما يؤمن أكثرهم أهل مكة (بالله) في السر ويقل ببودية الله (الا وهم مشركون) بوحدة الله في العلانية

من أثبت قدرة الخلق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق إلا الله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشاهم (من عذاب الله أو تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة ﴿ ٤٦١ ﴾ إلى الإيمان { سورة يوسف } والتوحيد سبيلي والسبيل

والطريق يذكران ويؤثنان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أي أدعوا إلى دينه مع حجة واضحة غير غيباء (أنا) تأكيد للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه أي أدعوا إلى سبيل الله أنا ويدعوا لي من اتبعني أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على أنا خبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى (وسبحان الله) وأنزهه عن الشركاء (وما أنا من المشركين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) لأملاكنا لأنهم

ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ عقوبة تغشاهم وتشاهم ﴿ أو تأتيهم الساعة بغتة ﴾ فجأة من غير سابقة علامة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ باتيانها غير مستعدين ﴿ قل هذه سبيلي ﴾ يعني الدعوة إلى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ﴿ ادعوا إلى الله ﴾ وقيل هو حال من الياء ﴿ على بصيرة ﴾ بيان وجهة واضحة غير غيباء ﴿ أنا ﴾ تأكيد للمستتر في ادعوا وفي على بصيرة لأنه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة ﴿ ومن اتبعني ﴾ عطف عليه ﴿ وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ وأنزهه تنزيها من الشركاء ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ﴾ رد لقولهم لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وقيل معناه العرب وذلك أنهم كانوا يقولون في تلييتهم ليك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل عطاء هذا في الدماء وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ يعني عقوبة تجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقعة وقال الضحاك يعني الصواعق والتوابع ﴿ أو تأتيهم الساعة بغتة ﴾ يعني فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ هذه سبيلي ﴾ يعني طريق التي ﴿ أدعوا ﴾ إليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الإسلام وسمى الدين سبيلا لأنه الطريق المؤدي إلى الله عز وجل وإلى الثواب والجنة ﴿ إلى الله ﴾ يعني إلى توحيد الله والإيمان به ﴿ على بصيرة ﴾ يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل ﴿ أنا ومن اتبعني ﴾ يعني من آمن بي وصدق بما جئت به أيضا يدعوا إلى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قل حق على من اتبعه و آمن به أن يدعوا إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله أدعوا إلى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن اتبعني يعني أنا على بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قل ابن عباس أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معادن العلم وكثر الإيمان وجسد الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنفا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعظمها علما وأفلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم ﴿ وقوله ﴾ وسبحان الله ﴿ أي قل سبحان الله يعني تنزيها له عما يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ يعني قل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ﴿ يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجالا مثلك

(أفأمنوا) أهل مكة (أن تأتيهم) ن لا تأتيهم (غاشية) من عذاب الله (عذاب الله) مثل يوم بدر (أو تأتيهم الساعة) الساعة (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) ينزل العذاب (قل) يا محمد لاهل مكة (هذه) يعني ملة إبراهيم (سبيلي) ديني (ادعوا إلى الله) آمن بي يدعون إلى الله أيضا

على بصيرة على دين وبيان (وسبحان الله) نزه نفسه عن الولد والشريك (وما أنا من المشركين) مع المشركين على دينهم (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (إلا رجالا)

بالتون حفص (اليهم من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة) أى ولدار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) اشركوا أنوا به (أفلا تعقلون) وبالياء مكى وأبو عمرو وحزرة وعلى (حتى إذا استيأس الرسل) يئسوا من إيمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن

نوحى اليهم (نزل اليهم جبريل كما أرسل اليك) من أهل القرى (منسوب إلى القرى) مثلك (أفلم يسيروا) أهل مكة (في الأرض فينظروا) فيفكروا (كيف كان عاقبة) كيف صار آخر أمر (الذين من قبلهم) من الكفار (ولدار الآخرة) الجنة (خير للذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش وآمنوا بالله وتحمده عليه السلام والقرآن (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية ان الآخرة خير من الدنيا ويقال ان الدنيا تقفى والآخرة تبقى ويقال أفلا تصدقون بما أصاب الاولين حيث كذبوا الرسل (حتى إذا استيأس الرسل) فلما أيس الرسل

نفى استنباء النساء ﴿ يوحى اليهم ﴾ كما يوحى اليك ويعيرون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى في كل القرآن ووافقه حزة والكسائى في سورة الانبياء ﴿ من أهل القرى ﴾ لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين بالدنيا المتهاكلين عليها فيقطعوا عن حبها ﴿ ولدار الآخرة ﴾ ولدار الحال أو الساعة أو الحياء الآخرة ﴿ خير للذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصى ﴿ أفلا يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء جلا على قوله قل هذه سبيل أى قل لهم أفلا تعقلون ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام أى لا يفررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى أيس الرسل من النصر عليهم في الدنيا أو من إيمانهم لانهما كهم في الكفر مترفين متمدين فيه من غير وازع ﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ أى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعده الايمان وقيل الضمير للرسل اليهم أى وظن المرسل اليهم ان ولم يكونوا ملائكة ﴿ يوحى اليهم ﴾ هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بهت الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك ﴿ من أهل القرى ﴾ يعنى انهم من أهل الامصار والمدن لا من أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل وأعلموا أكل علة من أهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفافهم ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ يعنى هؤلاء المشركين المكذبين ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء هم وما حل بهم من عذابنا ﴿ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ﴾ يعنى فعلنا هذا بابا لبائنا وأهل طاعتنا اذا نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه ﴿ أفلا يعقلون ﴾ يعنى يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى إذا استيأس الرسل قال صاحب الكشف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى إذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحزرة والكسائى كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أى لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو على والضمير في قوله

من اجابة القوم (وظنوا) علموا وايقنوا يعنى الرسل (أنهم) يعنى قومهم (قد كذبوا) كذبوهم بما (وظنوا)

الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول المرسل اليهم والثاني للرسل أى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد ابن عباس رضى الله عنهما ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما بهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي

وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنون بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمنع حل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى في قوله أفلم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أى مكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أى وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشف وظنوا انهم قد كذبوا أى كذبهم أنفسهم حتى حدثهم بانهم لا ينصرون أو رجاءهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والمداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاوت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا ينصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشر او تلافوا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فإبال رسل الله الذين هم أعرف الناس برهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدى عن ابن الأنبارى انه قال هذا غير معمول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متاول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على أن أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعنى وأيقنوا يعنى الرسل ان الائم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن يعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم

الرسل ان قومهم كذبوهم
وبالتخفيف كوفى أى وظن
المرسل اليهم ان الرسل قد
كذبوا أى أخلفوا وأو ظن
المرسل اليهم انهم كذبوا من
جهة الرسل أى كذبهم الرسل
في انهم ينصرون عليهم ولم
يصدقوهم فيه

جاءوا به من الله ان قرئت
مشددة ويقال وظنوا يعنى
القوم انهم يعنى الرسل قد
كذبوا اخلف وعد الرسل
ان قرئت مخففة

والإمهال على سبيل القليل. وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدهوهم. وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا العاثرا. جاءهم نصرنا فنبجي من نشاء. النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان تشاء نجاتهم لا يشاركون فيه غيرهم. وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبني للمفعول. وقرئ فنبجي ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين. اذ انزل بهم وفيه بيان المشيئين. لقد كان في قصصهم. في قصص الانبياء واممهم أوفى قصة يوسف واخوته. عبرة لأولى الألباب. لذوى العقول المبرأة من شوائب الالام والركون الى الحس

لشدة المحنة والبلاء واستبطوا النصر أناهم النصر وعلى هذا القول الظن معنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم معنى وظنوا بالرسل ظن حسبان انهم قد كذبوهم في وعد الظفر والنصر لا بطأه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لأنهم كذبوهم في كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لأنه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الذين بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القواين جميعا ذاكناية في وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استأيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قلوبهم فقلت والله لقد استأيسوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة أجل لقد استأيسوا بذلك فقلت لعلمها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك برها قلت فهاذا الآية قالت هم اتبع الرسل الذين آمنوا برهم وصدقوهم فطأ عليهم البلاء واستأخروهم النصر حتى اذا استأيس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استأيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هناك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال ففقت عروة بن الزبير وذكريت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعى الله رسوله من شيء قط الا علم انه كان قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون معهم من قومهم من يكذبوهم وكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة. وقوله تعالى. جاءهم نصرنا. يعنى جاء نصر الله البين. فنبجي من نشاء. من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنبجي المؤمنين المطيعين. ولا يرد بأسنا. يعنى عذابنا. عن القوم المجرمين. عن المشركين. قوله تعالى. لقد كان في قصصهم. يعنى في خبر يوسف واخوته. عبرة. أى موعظة. لأولى الألباب. يعنى يعلل بها أولو الألباب والعقول السخيفة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجدنا الاعتبار بهذه القصة ان الذي قدر على خراج يوسف

(جاءهم نصرنا) الانبياء

والمؤمنين بهم فجاءة من غير احتساب (فنبجي)

بنون واحدة وتشديد الجيم

وقتح الياء شامى وعاصم على

لفظ الماضى المبني للمفعول

والقائم مقام الفاعل من

الباقون فنبجي (من نشاء)

أى النبى ومن آمن به (ولا

يُرد بأسنا) عذابنا (عن

القوم المجرمين) الكافرين (

لقد كان في قصصهم) أى

في قصص الانبياء واممهم

أوفى قصة يوسف واخوته

(عبرة لأولى الألباب)

حيث نقل من غاية الحب

الى غيبة الحب ومن الحسير

الى السرير فصارت عاقبة

الصبر سلامة وكرامة

ونهاية المكر وخامة وندامة

(جاءهم نصرنا) يعنى عذابنا

بهم لان قومهم (فنبجي من نشاء)

يعنى الرسل ومن آمن بالرسل

(ولا يرد بأسنا) عذابنا

(عن القوم المجرمين)

المشركين (لقد كان في قصصهم)

في خبرهم في خبر يوسف

واخوته (عبرة) أى (لأولى

الألباب) لذوى العقول من

الناس

(ما كان حديثاً يفتري) ما كان القرآن حديثاً مفتري كازعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنن والاجاع والقياس (وهدي) من الضلال (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبياؤه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرفاءكم سورة يوسف فاعبدوا تالها وعلها ﴿٤٦٥﴾ أهله وما ﴿سورة يوسف﴾ ملكك عينه هون الله عليه

سكرات الموت واعطاه القوة أن لا يحسد مسلمات الشيخ أبو منصور روجه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريب كانه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك في الدين أخرى ان تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم ﴿سورة الرعد مكية وهي ثلاث أربعون آية وفي خمس وأربعون آية شامية﴾

(ما كان حديثاً يفتري) يعني القرآن ليس بحديث يخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) موافق التوراة والانجيل وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الشرائع وخبر

﴿ما كان حديثاً يفتري﴾ ما كان القرآن حديثاً مفتري ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب الالهية ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط ﴿وهدي﴾ من الضلال ﴿ورجة﴾ ينال بها خير الدارين ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقونه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أرفاءكم سورة يوسف فانه اياهم تالها وعلها أهله وما ملكك عينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلماً

﴿سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين﴾

﴿كفروا الآية وهي خمس وأربعون آية﴾

من الجب بعد لقائه فيه واخراجه من السجن وتخليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واثبات دينه وان الاخبار بهذه القصة الجبيلة جارية مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها ﴿ما كان حديثاً يفتري﴾ يعني ما كان هذا القرآن حديثاً يفتري ويخلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتريه أو يخلق له لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتري ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزل من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم ﴿وهدي﴾ يعني الى كل خير ﴿ورجة﴾ يعني أنزلناه رجة ﴿لقوم يؤمنون﴾ لانهم هم الذين يتفهمون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الرعد﴾

يوسف (وتفصيل كل شيء) تبيان كل شيء (قا و خا و هـ لث) من الحلال والحرام (وهدي) من الضلالة (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بحمد الله عليه السلام والقرآن الذي انزل اليك من ربك والله أعلم بأسرار كتابه ﴿ومن السورة التي يذكر فيها الرعد وهي مكية غير آيتين قوله ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم ما صنعوا قارعة الى آخرها وقوله ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب فانهم امدنيتان آياتها خمس وأربعون وكلماتها ثمانمائة وخمس وخسون وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة وأحرف﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الجزء الثالث عشر ﴾ (المر) أن الله ﴿ ٤٦٦ ﴾ أعلم وأرى عن ابن عباس رضى الله

عنهما (تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب) أريد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها (والذي أنزل اليك من ربك) أى القرآن كله (الحق) خبر والذي (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقول له محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذى رفع السموات) أى خلقها مرفوعة لان تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذى رفع السموات (غير عمد) حال وهو جمع عمد او عمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أى ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان اولى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لعمد أى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المر ﴾ قيل معناه أن الله أعلم وأرى ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آيات أى تلك الآيات السورة الكاملة أو القرآن ﴿ والذي أنزل اليك من ربك ﴾ هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو احدى الصفتين على الاخرى أو الرفع بالابتداء وخبره ﴿ الحق ﴾ والجملة كالجملة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو عام من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ لا خلاصهم بالنظر والتأمل فيه ﴿ الله الذى رفع السموات ﴾ مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر ﴿ بغير عمد ﴾ اساطين جمع عمد كاهاب واهب أو عود كاديم وادم وقرى عمد كرسل ﴿ ترونها ﴾ صفة لعمد

قال ابن الجوزى اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طحمة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين أحدهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والآخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلًا والقول الثانى انها مدنية رواه عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الايتين نزلاتا بمكة وهما قوله ولو أن قرأنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدنى منها قوله هو الذى يريك البرق الى قوله دعوة الحق وهى ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخسون كلمة وثلاثة آلاف وخسمائة وستة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ المر ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أن الله الملك الرحمن ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أى آيات السورة لكاملة العجيبة في بابها ﴿ ثم قال تعالى ﴾ والذي أنزل اليك من ربك الحق ﴿ يعنى من القرآن كله هو الحق الذى لا من يد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والغفص أى الاخبار والغفص التى قصصتها عليك يا محمد هى آيات النوراة والانجيل والكتب الهية القديمة المنزلة والذى أنزل اليك يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أى هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذى هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك من ربك هو الحق الذى لا شك فيه ولا تناقض ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ يعنى مشركى مكة نزات هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمد يقول من تلقا نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ﴾ جمع عمود وهى الاساطين والدعائم التى تكون تحت السقف وفى قوله ﴿ ترونها ﴾ قولان أحدهما

(بسم الله الرحمن الرحيم) وبإسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (المر) أن الله علم وأرى ما تعملون وتقولون ويقال قسم قسم به (تلك آيات الكتاب) ن هذه السورة آيات القرآن (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يقول القرآن هو الحق من ربك (ولكن أكثر الناس) اهل مكة (لا يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن

(الله الذى رفع السموات) تجلق السموات ورفعهما على الارض (بغير عمد ترونها) يقول ترونها بغير عمد (ان)

بغير عمد مرئية (ثم استوى
على العرش) استوى
بالقدار ونفوذ السلطان
(وسخر الشمس والقمر)
لنافع عباده ومصالح بلاده
(كل يجري لأجل
مسمى) وهو انقضاء
الدنيا (يدبر الامر) أمر
ملكوته وربوبيته (يفصل
الآيات) بين آياته في كتبه
المنزلة (لعلكم بقاء ربكم
توقنون) لعلكم توقنون
بان هذا المدبر والمفصل
لأبدلكم من الرجوع اليه
ويقال بعمد لا ترونها (ثم
استوى على العرش) كان
الله على العرش قبل ان رفع
السموات ويقال استقر
ويقال امتأ به ويقال
استوى عنده القرب
والبعد على معنى العلم والقدرة
(وسخر الشمس والقمر)
ذل ضوء الشمس والقمر
لبنى آدم (كل يجري لأجل
مسمى) الى وقت معلوم
(يدبر الامر) ينظر في
أمر العباد ويثبت الملائكة
بالوحي والتنزيل والمصيبة
(يفصل الآيات) بين
القرآن بالامر والنهي
(لعلكم بقاء ربكم توقنون)
لكي تصدقوا بالبعث بعد

أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم
فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجريمة واختصاصها بما يقتضى
ذلك لأبدوان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض
بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ﴿ثم استوى على العرش﴾ بالحفظ
والتدبير ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذللهما لئلا يراد منهما كالحركة المستمرة على حد من
السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ لمدة معينة يتم
فيها ادوارها أو غاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت ﴿يدبر الامر﴾ أمر ملكوته من الابدان والاعدام والاحياء والاماتة وغير
ذلك ﴿يفصل الآيات﴾ ينزلها ويبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد
﴿لعلكم بقاء ربكم توقنون﴾ لكي تفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان

ان الرؤية ترجع الى السماء معنى وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعنى ليس من دونها
دعامة تدعها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد في العمدة الكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة
على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقادة وجهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن
عباس والقول الثانى ان الرؤية ترجع الى العمدة والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم
ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا
والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس
والقول الاول أصح وقوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ تقدم تفسيره والكلام
عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ يعنى ذللهما لنافع
خلقه فهم امتهوران بحريان على ما يريد ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ يعنى الى وقت
معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما
ومنازلهما يعنى انهما بحريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها
وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة
بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة ﴿يدبر الامر﴾ يعنى انه تعالى يدبر أمر
العالم العلوى والسفلى وبصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله
شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالابدان والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على
كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورجته داخلون تحت
قهره وقضائه وقدرته ﴿يفصل الآيات﴾ يعنى انه تعالى بين الآيات الدالة على
وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسما الاول
الموجودات المشاهدة وهى خلق السموات والارض وما فيها من العجائب وأحوال
الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثانى الموجودات
الحادثة في العالم وهى الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير
ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكما قدرته
﴿لعلكم بقاء ربكم توقنون﴾ يعنى أنه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكما

من قدر على خلق هذه الاشياء وتديرها قدر على الاعادة الجزء وهو الذي مد الارض بسطها طولاً وعرضاً تثبت عليها الاقدام وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها راسي جبب الاثواب من رسي الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل اولاً لمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلاً واحداً من حيث ان الجبال اسباب اتولدها ومن كل اثرات متعاق بقوله جعل فيها زوجين اثنين أي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى الليل النهار بلبسه مكانه فيصير الجو مظلماً بعدما كان مضيئاً وقرأ حزة والكسائي وابوبكر يغشى بالتشديد ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دال على وجود صانع حكيم

قدرته لكي توفوا وتصدقوا بقاء المصير اليه بعدما موت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاد واحيائه بعد موته واليتين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون النهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم قوله تعالى وهو الذي مد الارض لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكل قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل لارضية نقل وهو الذي مد الارض أي بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض محبقة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول لما صبح اذا قيل ان الارض منسطة كالاكف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة وكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح كبير العظم فحصل الجمع ومع ذلك فله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وأنه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطیح والله تعالى صدق قولا وأمين دليلاً من أصحاب الهيئة وجعل فيها يعني في الارض رواسي يعني جبباً ثابتة يقال رسا الشئ يرسو اذا ثبت وأرساه غيره أثبته قل ابن عباس كن أبو قيس أول رجل وضع على لارض وأنهارا يعني وجعل في الارض أنهاراً حارية لتذوق الحلق ومن كل اثرات جعل فيها زوجين اثنين يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً يغشى الليل النهار يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار ان في ذلك الذي تقدم ذكره من عجائب صنعه وعجائب قدرته الدالة على وحدانيته آيات مأمى دلالات لقوم يتفكرون يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القاب في طاب الاشياء ونقل صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة لا علم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القاب ولهذا روى تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزهاً ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل في طاب المعاني وهو فرك الامور وبحسب طلبا

(وهو الذي مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسي) جبباً ثابت (وأنهاراً) حارية (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أي الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعدما كان أبيض مضيئاً يغشى حزة وعلى وأبوبكر (ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان لها صانعاً علماً حكماً

الموت (وهو الذي مد الارض) بسط الارض على الماء (وجعل فيها رواسي) خالق في الارض الجبال الثواب أو تادها (وأنهاراً) أجرى فيها أنهاراً (ومن كل الثمرات) من الوان كل الثمرات (جعل فيها) خلق فيها (زوجين اثنين) الحامض والحلو وزوج الابيض والاحمر زوج (يغشى الليل النهار) يغطي الليل بالنهار والنهار بالليل يقول يذهب بالليل ويحيى بالنهار وينذهب بالنهار ويحيى بالليل (ان في ذلك) في اختلاف ما ذكرت (آيات) اعلامات (لقوم يتفكرون) لكي يتفكروا فيه

قادرا (وفي الارض قطع متجاورات) ٤٦٩ بقاع مختلفة { سورة الرعد } مع كونها متجاورة

متلاصقة طيبة الى سبخة
وكريمة الى زهيدة وصلبة
الى رخوة وذلك دليل
على قادر مدبر مرشد موقع
لافعاله على وجه دون وجه
(وجنات) معطوفة على قطع
(من أعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان)
بالرفع مكى وبصرى وحفص
عطف على قطع غيرهم
بالجر بالعطف على أعناب
والصنوان جمع صنو وهي
التخلة لها رأسان وأصلها
واحد وعن حفص بضم
الصاد وهما لغتان (تسقى
بماء واحد) وبالياء عاصم
وشامى (ونفضل بعضها
على بعض) وبالياء حزة
وعلى (فى الاكل) فى الثمر
وبسكون الكاف نافع
(وفي الارض قطع)
أمكنة (متجاورات)
ملتزقات ارض سبخة رديئة
وبجنبها ارض طيبة عذبة
جيدة (وجنات من أعناب)
من كروم (وزرع) حرث
(ونخيل صنوان) مجتمع
اصولها فى اصل واحد
عشرة أو أقل أو أكثر
(وغير صنوان) فترق
اصولها واحدة واحدة
(يسقى بماء واحد) بماء
المطر أو بماء النهر (ونفضل
بعضها على بعض فى الاكل)

دبر امرها وهياً اسبابها * وفي الارض قطع متجاورات * بعضها طيبة وبعضها سبخة
وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع
فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية
من حيث انها متضامة متشاربة فى النسب والاوزاع * وجنات من أعناب وزرع ونخيل *
وبساتين فيها انواع الاشجار والزرع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله * وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان بالرفع عطف على وجنات * صنوان *
نخلات اصلها واحد * وغير صنوان * ومتفرقات مختلفات الاصول * وقرأ حفص بالضم
وهو انه بنى تميم كقنوان فى جمع قنو * تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل *
فى الثمر شكلا وقدرًا ورائحة وطعما وذلك ايضا لما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافا
مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار * وقرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله

للووصول الى حقيقة قوله عز وجل * وفي الارض قطع متجاورات * يعنى
متقاربات بعضها من بعض وهى مختلفة فى الطباع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لاتنبت
وهذه قليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع * وجنات * يعنى بساتين والجنة كل بستان
ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمى جنة لانه يستر بأشجاره الارض واليه
الاشارة بقوله * من أعناب وزرع ونخيل صنوان * جمع صنو وهى النخلات يجتمع
من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عبد العباس عم الرجل صنو ابىه يعنى
انهما من أصل واحد * وغير صنوان * هى التخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع
وغير الصنوان المتفرق * يسقى بماء واحد * يعنى أشجار الجنات وزروعها والماء جسم
رقيق مانع به حياة كل نام وقيل فى حده جوهر سيال به قوام الارواح * ونفضل
بعضها على بعض فى الاكل * يعنى فى الطعم ما بين الحلو والحامض والمفص وغير ذلك
من الطعام * عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى
ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قل الدقل والترسيان والحلو والحامض أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثلى بنى آدم صالحهم وخبيثهم
وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة
واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعاً متجاورات وأنزل على وجهها ماء
السما فخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها
وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء
كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع
وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد
الاقام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

ومكي (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وانوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنوارها وأزهارها وثمارها { الجزء الثالث عشر } (وان تعجب) يا محمد ٤٧٠ من قولهم في انكار البعث (فجعب قولهم) خبر ومبتدأ أي

فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عده عليك كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أنذا كنا ترابا أنثاني خلق جديد) في محل الرفع بدل من قولهم قرأ عصم وحزة كل واحد بهمزتين (اولئك الذين كفروا برهم) اولئك الكافرون المتكفرون في كفرهم (وأولئك الاغلال في اعناقهم) وصف لهم بالاصرار أو من جلة الوعيد (وأولئك أصحاب النار فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر

في الحمل والطم (ان في ذلك) في اختلافها وأوانها (لآيات) اعلامات (لقوم يعقلون) يصدقون انها من الله (وان تعجب) من تكذيبهم اياك (فجعب قولهم) فتقولهم اعجب حيث قالوا (أنذا كنا) سرنا (ترابا) رميا (أنثاني خلق جديد) نجد بعد الموت وفينا الروح (أولئك) أهل انكار البعث

يدبر الامر ﴿ ان في ذلك آيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكير ﴿ وان تعجب ﴾ يا محمد من انكارهم البعث ﴿ فجعب قولهم ﴾ حقيق بأن تعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ﴿ أنذا كنا ترابا أنثاني خلق جديد ﴾ بدل من قولهم أو مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أنثاني خلق جديد ﴿ أولئك الذين كفروا برهم ﴾ لانهم كفروا بقدرته على البعث ﴿ وأولئك الاغلال في اعناقهم ﴾ مقيدون بالضلالة لا يرجي خلاصهم أو يغفلون يوم القيامة ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴿ وقوله تعالى ﴾ ان في ذلك ﴿ يعني الذي ذكر ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته ﴿ وقوله تعالى ﴾ وان تعجب فجعب قولهم ﴿ العجب تبعيد النفس رؤبة المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه انك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت تعرف بالصادق الامين فجعب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بأن الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقدر أو من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال ما زأوا فجعب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله فجعب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله وقد تقرروا في النفوس ان الاعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم ﴿ أنذا كنا ترابا ﴾ يعني بعد الموت ﴿ أنثاني خلق جديد ﴾ يعني نعماد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ﴿ ثم ان الله تعالى قال في حقهم ﴾ أولئك الذين كفروا برهم ﴿ وفيه دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر ﴿ وأولئك الاغلال في اعناقهم ﴾ يعني يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يعني انهم مقيمون

(الذين كفروا) هم الذين كفروا (برهم وأولئك) أهل الكفر (الاغلال في اعناقهم) والسلاسل في (فيها) أي انهم مشدودة الى أعناقهم (وأولئك) أهل الاغلال والسلاسل (أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) مقيمون لا يموتون ولا يخرجون

(ويستجولونك بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلاث) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سبيته مثلها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال ﴿٤٧١﴾ أى ظالمين {سورة الرعد} لانفسهم قال السدى

يعنى المؤمنين وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة نزيلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أوهما جميعا فى المؤمنين لكنهم معلق بالمسيئة فيها أى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيّل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفاهم من سوء العاقبة وناحيا كفرهم من الرسل وما عليك الا الايمان بما يصحبه انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى

﴿ويستجولونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استجولوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء ﴿وقد خلت من قبلهم المثلاث﴾ عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثل للعصا وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلاث بالتحفف والمثلاث باتباع الفاء العين والمثلاث بالتحفيف بعد الاتباع والمثلاث بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيد المغفرة والتقيد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغار المكفرة لمجئ الكبار أو اول المغفرة بالستر والامهال ﴿وان ربك لشديد العقاب﴾ للكفار أو لمن يشاء وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزة لما هنا أحد العيش ولولا وعيده وعقابه لأتكل كل أحد ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى عليهما السلام ﴿انما أنت منذر﴾ فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ويستجولونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ الاستجوال طلب تجيل الامر قبل مجئ وقته والمراد بالسيئة هنا هى العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿وقد خلت من قبلهم المثلاث﴾ يعنى وقد مضت فى الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثاء المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجمل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلاث بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما اثنان ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا ﴿وان ربك لشديد العقاب﴾ يعنى للمصريين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ﴿قوله تعالى﴾ ويقول الذين كفروا ﴿يعنى من أهل مكة﴾ لولا ﴿أى هلا﴾ أنزل عليه ﴿يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم﴾ آية من ربه ﴿يعنى مثل عصا موسى وناقته صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رآوا من الآيات التى جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم﴾ انما أنت منذر ﴿

منها أبدا (ويستجولونك) يا محمدا (بالسيئة) بالعذاب استهزاء (قبل الحسنة) قبل العافية لا يسألونك العافية (وقد خلت) مضت (من قبلهم المثلاث) العقوبات فبين هلاك (وان ربك لذو مغفرة) تجاوز (لنناس) لاهل مكة (على ظلمهم) على شركهم ان تابوا وآمنوا (وان ربك لشديد العقاب) لمن تاب عن الشرك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لولا أنزل عليه) هلا أنزل عليه (آية) علامة (من ربه) لنبوته كما أنزل على رسله الاولين (انما أنت) يا محمد (منذر) رسول مخوف

بها (ولكل قوم هاد)

من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بأية تخص بها لا يتأيدون ويتحكمون (الله يعلم ما تحمل كل أمة وما تفيض الارحام وما تزداد) ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة أى يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأوثة وتام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تفيض الارحام أى ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أيا ما تزداده والمراد عدد الولد فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عندنا وإلى أربع عند الشافعى وإلى خمس عند مالك أو مصدرية أى يعلم كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازيادها

(ولكل قوم هاد) نبي ويقال داع يدعوهم من الضلالة الى الهدى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) كل حامل ذكره أو أنثى (وما تفيض) وما تنقص (الارحام) في الحمل من التسعة (وما تزداد)

على التسعة في الحمل

مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما ينزل لعله بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهديهم لسبق قضائه عليهم بالكفره وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقعت وقب بالياء في هذا الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقيون يصلون بالتنوين ويقفون بغيرها فقال (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أى حملها أو ما تحمله وانه على أى حال هو من الاحوال الحاضرة والمترتبة (وما تفيض الارحام وما تزداد) وما تنقصه وما تزداده في الجئة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنن عند ابى حنيفة روى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدله وقيل نهاية ما عرف به اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله اخبرني شيخ بايمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازيادته وغاض جاء متمديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى أو لما فيها

أى ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شئ (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادى هو الله وهذا قول سعيد بن جبيرة وعكرمة ونجاهد والضحاك والغنى والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادى هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضمى الهادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادى هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادى هو القائد الى الخير لا الى الشر (قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكان علمه وانه عالم بما تحمل كل أنثى يعنى من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تفيض) يعنى وما تنقص (الارحام) وما تزداد (قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فنقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالتقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستسكان الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالتقصان في الغذاء زيادة في مدة الحمل وقيل التقصان

(وكل شيء عنده بمقدار) بقدر واحد ﴿٤٧٣﴾ لا يجاوز ولا ينقص له سورة الرعد ﴿٤﴾ عنده لقوله انا كل شيء

خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوا (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء في الخاين مكي (سواء منكم من أسرار القول ومن جهربه) أي في علمه (ومن هو مستخف بالليل) متوار (وسارب بالنهار) ذاهب في سره أي في طريقه وجهه يقال سرب في الأرض سربا وسارب عطف على من هو مستخف لأعلى مستخف أو على مستخف غير أن من في معنى الاثنين والضمير في (له) مردود على من كانه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفي (وكل شيء) من الزيادة والنقصان وخروج الولد والمكث (عنده بمقدار عالم الغيب) ما غاب عن العباد (والشهادة) ما علمه العباد ويقال الغيب ما يكون والشهادة ما كان ويقال الغيب هو الولد في الأرحام والشهادة هو الذي خرج من الأرحام (الكبير) ليس شيء أكبر منه (المتعال) ليس شيء أعلى منه (سواء منكم) عند الله بالعلم (من أسرار القول) والفعل (ومن جهربه) من أعلن بالقول

﴿٤﴾ وكل شيء عنده بمقدار ﴿٥﴾ بقدر لا يجاوز ولا ينقص عند كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهما له اسبابا مسبوقة اليد تنقص ذلك ﴿٦﴾ عالم الغيب ﴿٧﴾ الغائب عن الحس ﴿٨﴾ الشهادة ﴿٩﴾ الخاين له ﴿١٠﴾ الكبير ﴿١١﴾ العظيم الشأن الذي لا يبرح عن علمه شيء ﴿١٢﴾ المتعال ﴿١٣﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن نعمت المخلوقين وتعالى عنه ﴿١٤﴾ سواء منكم من أسرار القول ﴿١٥﴾ في نفسه ﴿١٦﴾ ومن جهربه ﴿١٧﴾ غير ﴿١٨﴾ ومن هو مستخف بالليل ﴿١٩﴾ طالب للخفا في غتبا بالليل ﴿٢٠﴾ وسارب ﴿٢١﴾ بارز بالنهار ﴿٢٢﴾ يراه كل احد من سرب سربا اذا برز وهو عطف على من أو مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله

نكن مثل من ياذئب يصطخبان

كاندقل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقرررة لكمال علمه وشموله ﴿٢٣﴾ له ﴿٢٤﴾ لمن أسر أو جهر أو استخفي أو سرب

السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيبها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل ستان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحك ولد لستين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال جادين أبي سلمة انما سمى هرامين حبان هراما لانه بقي في بطن أمه أربع سنين وعندها ان أكثر مدة الحمل خمس سنين ﴿٢٥﴾ وكل شيء عنده بمقدار ﴿٢٦﴾ معنى بتقدير وحد لا يجاوز ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفته على أكل أو جوده وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادث من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئة الازلية وإرادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره ﴿٢٧﴾ عالم الغيب والشهادة ﴿٢٨﴾ يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدونه وقيل الغيب هو المعلوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس ﴿٢٩﴾ الكبير ﴿٣٠﴾ أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وأنه تعالى استحق الصفات الكمال ﴿٣١﴾ المتعال ﴿٣٢﴾ يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دلائل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتزهد عن جميع النقائص ﴿٣٣﴾ قوله تعالى ﴿٣٤﴾ سواء منكم من أسرار القول ومن جهربه ﴿٣٥﴾ أي مستوونكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره أو أعلنه والمعنى أنه قد استوى في علم الله تعالى المسرب بالقول والجهر به ﴿٣٦﴾ ومن هو مستخف بالليل ﴿٣٧﴾ أي مستتر بظلمته ﴿٣٨﴾ وسارب بالنهار ﴿٣٩﴾ أي ذاهب بالنهار في سره بظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ربيعة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس أنه يرى من الانم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا ظهرته وأخفيت اذ اكتمه وسارب بالنهار أي متوار دخل في السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به اللسان وسواء من أقدم على القبايح مستترا في ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل ﴿٤٠﴾ له

والفعل يعلم الله ذلك منه (ومن هو مستخف) (قاو خا ٦ لث) بالليل) مستتر (وسارب) ظاهر (بالنهار) يقول أو علم الله ذلك منه (له)

ومن سرب (معقبات)
جاءات من الملائكة تعقب
في حفظه واصل معقبات
فادغمت الناء في القاف أو
هو مفعلات من عقبه اذا جاء
على عقبه لان بعضهم يعقب
بعضاً أولانهم يعقبون من يكلم
به فيكتبونه (من بين يديه
ومن خلفه) أي قدامه
ووراءه (يحفظونه من
أمر الله) هما صفتان جميعا
وليس من أمر الله بصلاته
للحفظ كانه قيل له معقبات
من أمر الله أو يحفظونه
من أجل أمر الله أي من
أجل ان الله تعالى أمرهم
بحفظه أو يحفظونه من بأس
الله وتقمته إذ اذنب بدمهم
معقبات) أيضا الملائكة تعقب
بعضهم بعضا يعقب الملائكة
الليل الملائكة النهار والملائكة
النهار الملائكة الليل (من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه)
مقدم ومؤخر (من أمر الله)
بأمر الله ويدفعونه إلى

معقبات) الملائكة تعقب في حفظه جمع معقبه من عقب مباغته عقبه اذا جاء على عقبه
كأن بعضهم يعقب بعضاً أولانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها أو تعقب فادغمت الناء
في القاف والفاء المبالغة أولان المراد بالمعقبات جاءات وقرى معاقب جمع معقب أو معقبه على
تعويض الياء من إحدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه أو من الاعمال
ما تقدم وآخر يحفظونه من أمر الله من بأسه متى اذنب بالاستعمال أو الاستغفار له
معقبات يعنى لله الملائكة يعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت الملائكة الليل عقبتهما
الملائكة النهار والتعقيب العود بعد البعد وانه ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة
ذكورا بحسب اللفظ مفردا لان واحدها معقب وجمعها معقبه ثم جمع المعقبه معقبات كقيل
البنوات سعد ورجالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنده أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يعاقبون فيكم الملائكة بالليل والملائكة بالنهار ويعتدون في صلاة النحر وصلاة العصر
ثم يرج الذين يتوفى فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم
وهم يصلون وأتيهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بنى آدم ملكين ملك عن
يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكانت الحسنات أمين
على كتب السيئات فذا عمل العبد حسنة كتبها له بمشر أمثاله واذ عمل سيئة قل صاحب
الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث
مرات فان هو كاتب منها أو الأقل اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا
تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله عز وجل وضعه بها وملك موكل
بعينه يحفظهما من الأذى وملك موكل بغيبه لا يدخل في فيه شئ من الهوام يؤذيه
فهو لاهثة أملا لا موكلون العبد في أمله وخساسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى
وقدرته وكان شفقتك عليك يا العبد المسكين وهو قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من أمر الله يعنى يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من أمر الله
بأمر الله واذنه بالمعنى التقدير فاذا جاءه خلو اعتد وقيل معناه انهم يحفظونه بعد أمر الله به من
الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقتله من الجن والانس
والهوام فاما من شئ يؤذيه يؤذيه الاقل له ملك وراءه لا ينسى يؤذن الله فيه فيعيده وقال كتب
الاحبار أولاً ان الله تعالى وكل بكم الملائكة فيكون عنكم في مطعمكم ومشرابكم وعوراتكم
لتحفظكم الجن وقال ابن جرير معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على
قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات
وقال عكرمة الآية في الامراء وحرهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في
قوله لمراجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية الحمد صلى الله عليه
وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار
وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأرباب بن ربيعة وهما من بنى
عامر بن زيد وكانت قصتهما على مارواه النكابي عن ابى صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن
طفيل وأرباب بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حاس

أو يحفظونهم من أن رأوا رقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى هو قد قرى به وقيل من بعض الباء وقيل من أمر الله صفة ثمانية لمعقبات وقيل المعقبات الحُرث والجلالوزة حول السلطان يحفظونهم في توهم من قضاء الله تعالى ﴿ان الله لا يغير ما بقوم﴾ من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ من الاحوال الجميلة باحوال القبيحة ﴿واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له﴾ فلا مرد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب

في المسجد في نفر من أصحابه قد دخل المسجد فاستدبرف الناس لجمال عامر وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان ير الله به خير ايمده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي ان أسلمت قال لك مال المسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فتجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى الى اربد بن ربيعة اذ ارأى أني أكله فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خائف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صقوا فاضرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لا ملائمة عليك خيلا جرذا وشبابا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الله من ذلك وابنا قبيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في أصل اذنه أخذه مند مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كعدة البعير وهوت في بيت سلوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانشدتهما برحمتي فارسل الله اليه ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالظمن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الى قومه له معقبات من بين يديه ومن خلفه من يعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه أمر الله أي بأمر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله ﴿ان الله لا يغير ما بقوم﴾ خطاب لهذين عامر بن الطفيل وأربد ابن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي أنعم بها عليهم ﴿حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ يعني من الحالة الجميلة فيعضون ربهم ويحجدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نعمته بهم وهو قوله تعالى ﴿واذا اراد الله بقوم سوءا﴾ يعني هلاكا وعذابا ﴿فلا مرد له﴾

(ان الله لا يغير ما بقوم)
من العافية والنعمة (حتى)
يغيروا ما بانفسهم (من الحال)
الجميلة بكثرة المعاصي (واذا)
أراد الله بقوم سوءا (عذابا)
(فلا مرد له) فلا يدفعه شيء

المقادير (ان الله لا يغير ما بقوم)
من أمن ونعمة (حتى يغيروا)
ما بانفسهم (بترك الشكر)
(واذا أراد الله بقوم سوءا)
عذابا وهلاكا (فلا مرد له)
لقضاء الله فيهم

(وما لهم من دونه من وال) من دون الله ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كأنه فى نفسه خوف وطمع أو على ذاخوف وذاطمع أو من المخاطبين أى خائفين وطماعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويضع الجزء الثالث عشر فى الفيتقال ٤٧٦ أبو الطيب هفتى كاستحاب الجون

يخشى ويرجى ويرجى
أحياء منه وتخشى الصواعق
أو يخاف المطر من له فيه
ضرر كالمسافر ومن له بيت
يكفه ومن البلاد لا يرفع
أهلها بالمطر كاهل مصر
ويطمع فيه من له نفع فيه
(ويخشى السحاب) هو اسم
جنس وإرادة سحابة
(الثقل) بالهاء وهو جمع
ثقلية تقول سحابة ثقلية
وسحاب ثقال (ويسبح الرعد
بحمده) قيل يسبح سامع
الرعد من العباد الخارجين
للمطر أى يصيحون سبحان
الله والحمد لله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول
الرعد ملك موكل بالسحاب
معدن برق من نار يسوق
بها السحاب والصوت الذى
يسمع زجره السحاب حتى
يتقى إلى حيث أمر
(والملائكة من خيفته)
ويسبح الملائكة من هيبة
واجلاله

(وما لهم) لمن أراد الله
هلاكهم (من دونه)
من دون الله (من وال)

وما لهم من دونه من وال ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محل هو الذى يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا فى الفيت وانتصبا بها على الملة تقدير المضاف أى إرادة خوف وطمع أو التأويل بالأخافة والاطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على استمرار ذوق الطلاق مصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من ضرره ويطمع فيه من ينفعه ويخشى السحاب الغيم المسحب فى الهواء الثقال وهو جمع ثقلية كما وصف بالسحاب لأن اسم جنس فى معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده متبیین به فيصيحون سبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفذه على وحدانيته تعالى وكما قرأه متبسا بالذلال على فساده ونزول رحمة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معدن برق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته معنى لا يستر أحياء يرد ما نزل الله بهم من قضاء وقدر وما لهم من دونه من وال معنى وليس لهم من دون الله من وال يلى أمرهم ويسرهم وينزع العذاب عنهم قوله عن النبي هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ماخوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا أراد الله بقوم سوء أو أكره فى شأنهم أنزلنا من عليهم قسرة ما يشبه النعم من وجهه وكسرة العذاب من وجهه ففى معنى هو الذى يلى أمرهم السوى يريكم البرق والبرق معروف وهو ما نزل يظهر من خلال السحاب وفى مسكونته خوفا وطمعا وجوده الأول أن عند لمع البرق يخاف من الصواعق ويسمع فى نزول المطر الذى فى الله يخاف من البرق من يضرر بالمطر كالمسافر ومن فى جريته معنى يضره الضر والريب والطمع ونحو ذلك ويطمع فيه من له فى نزول المطر نفع كالمزارع ونحوه الثالث أن المطر يخاف منه إذا كان فى غير مكانه وزمانه ويطمع الله إذا كان فى مكانه وزمانه فإن من البلاد ما إذا أمطرت شطت وإذا لم تمطر أخسبت ويخشى السحاب الثقال بمعنى بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبدأها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالى من الماء وأصل السحب الجر ومن السحاب سحبا أما لجر الرشح له أو لجره الماء أو لانجراره فى سيره ويسبح الرعد بحمده أكثر المفسرين على أن الرعد اسم لما لك الذى يسوق السحاب والصوت المستوع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله والملائكة من خيفته وإذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما لملك من الملائكة وإنما افردة

مانع من عذاب الله ويقال من ملجأ للنجون اليد (هو الذى يريكم البرق) المطر (خوفا) للمسافر بالمطران (بالذكر)
تبذل ثيابه (وطمعا) للمقيم أن يسقى حرثه (ويخشى) يخلق ويرفع (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد بحمده) بأمره وهو ملك
ونقل صوت السماء (والملائكة) وتسبح الملائكة (من خيفته) وهو خائفه ومنه الله

النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والظني عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفده من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان أريد أخالييد ابن ربيعة العاصري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين قتله فرمى الله عامرا بغدة كهنة البعير وموت في بيت سلاوية وأرسل على أريد صاعقة فقتلته أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد

(ويرسل الصواعق) يعني

النار (فيصيب بها من يشاء)

فيهلك بالنار من يشاء يعني زيد بن قيس أهلكت الله بالنار وأهلك صاحبه

من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ فيهلك ﴿وهم يجادلون في الله﴾ حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفده من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد بالذكر تشريفه على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهودالي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقدها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجته الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع غرقاق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابه صاعقة فعلى دينه وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده وملائكته من خيفته وكان يقول ان الوعد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو أن عبدي أماعون لست غافل عنهم الا بالمطر والليل واليوسف عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جوير عن الضمك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان يعور الماء في تفرقة اياه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تزيين الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خاضعون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى ﴿ويرسل الصواعق﴾ جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تشأ منها ﴿فيصيب بها﴾ يعني بالصواعق ﴿من يشاء﴾ يعني فيهلك بها كما أصاب أريد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكراً ﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني يخاصمون في الله وقيل الجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدات الحبل اذا حكمت قتله نزات

عامر بن الطفيل بطعنة في خاصرته (وهم يجادلون) يخاصمون (في الله) في دين الله مع محمد صلى الله عليه وسلم

في الخصومة من الجدل وهو القتل والواو اما لطف الجملة على الجملة أو للتحال فإنه روى ان
 عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا ليدوفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدين
 لقتله عليه السلام فاخذ عامر بالجدل ودأرا ربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
 صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله
 ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلوابة وكان يقول غدة كعدة البعير وموت في بيت سلوابة
 فترات وهو شديد الخيال في المماحلة والمكايبة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده
 وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلم استعمال الخلية والامل اصله الخلل بمعنى التقطع وقيل
 فعال من الخلل بمعنى القوة وقيل مفعول من الخول أو الخيلة اعل على غير قياس وبعضه انه
 قرئ بفتح الميم على انه مفعول من حال خول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى التنازع فيكون
 في شأن اربد بن ربيعة حين قال انبي صلى الله عليه وسلم بان آمن درأ من باقوت أم من ذهب
 فترات صاعقة من السماء فأحرقتا وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان
 رجل من طواغيت العرب يمشي اليه النبي صلى الله عليه وسلم فينظر من أصحابه يدعونه الى الله
 والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه هل هو من ذهب
 أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
 يا رسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعنى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه
 فلم يزددهم على مقاتله الاولى شي بل قال أجيب محمدا الى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقاتله الاولى شي
 بل قال أخبرني فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فيبيناهم عنده يدعونه وينزعونه وهو
 لا يزيدهم على مقاتله شي اذا ارتفعت سخابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت
 ورمت بصاعقة فأحرقت الكافروهم جلوس عنده فرجعوا اليه يهابون النبي صلى الله
 عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم
 احترق صاحبكم قلوا من أين علمتم ذلك قلوا قد أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم
 ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو
 فتقيل واوا الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان
 اربدا جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه
 تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد الخيال
 أي شديدا لاخذ بالعقوبة من قواهم تمحل به محلا اذا أراد به سوءا وقيل هو من
 قولهم تمحل به اذا سمى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلم استعمال
 الخيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد الخيال باعدائه حتى يهلكهم
 بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل الخل من الخول وهو الخيلة والميم زائدة ثم اختلفت
 عبارات المفسرين في معنى قوله شديد الخيال فقال الحسن معناه شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة
 شديد القوة وقال ابن عباس شديد الخول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك

(وهو شديد الخيال) أي
 المماحلة وهي شدة المماكرة
 والمكايبة ومنه تمحل لكذا
 اذا تكلم لاستعمال الخيلة
 واجتهد فيه ومحل بفلان
 اذا كاده وسمي به الى
 السلطان والمعنى انه شديد
 المكر والكيد لاعدائه
 يأتيهم بالهلكة من حيث
 لا يحتسبون

(وهو شديد الخيال)
 شديد العقاب

(له دعوة الحق) أضيفت الى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملازمة للحق وانها بمنزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقا بانه يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ﴿٤٧٩﴾ ما لا ينفع ﴿ سورة الرعد ﴾ ولا يجدي دعاؤه واتصل شديد الحال وله دعوة الحق بما قبله

على قصة أرب بد ظاهر لان اصابت بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد للكفرة على محادتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (الا كباط) كفيه الى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء من المصدر أى من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لان الفعل بحرف وفيدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الاستجابة كاستجابة باسط

مثلا في القوة والقدرة كتولهم فساد الله اشد وموساهم دعوة الحق ﴿ الدعاء الحق ﴾ فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره أوله الدعوة لاجابة فان من دعا، اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وازداده الدعوة اليه لما بينهما من الملازمة وعلى تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملة ان كانت الآيت في عامر واربدان اهلا كهما من حيث لم يشعر ارب محال من الله اجابة لدعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فلما رد وعيد الكفرة على محادتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحاول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عايمهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم ﴿ والذين يدعون ﴾ أى والا صنم الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة ﴿ من دونه ﴾ عليه ﴿ لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ من الطلبات ﴿ الا كباط ﴾ كفيه كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ﴿ يطلب مندان يباغده ﴾ لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدا لا منهم ﴿ قوله تعالى ﴾ له دعوة الحق ﴿ رضى الله دعوة السديق ﴾ قال على دعوة التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال صاحب الكشف دعوة الحق فيها وجهان احدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو تقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملازمة للحق مختصة به وانها بمنزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يعنى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان محلها له فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقا بانه يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع فيد ولا جدوى فيرد دعاءه الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي سمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجدنا سال هذين الوصفين بما قبلهما قلت أما على قصة أرب بد فظاهر لان اصابت بالصاعقة كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن طفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على محادتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه أن دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الاخلاص لا يكون الا لله تعالى ﴿ والذين يدعون ﴾ من دونه ﴿ يعنى ﴾ والذين يدعوهم آلهة من دون الله وهى الاصنام التي يعبدونها ﴿ لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ يعنى لا يحييونيهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر ان يدعوهم ﴿ الا كباط ﴾ كفيه الى الماء ليبلغ فاه

كفيه الى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب مندان يباغده فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطش وحاجته اليه ولا يتقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يتقدر على نفعهم واللام في ليبلغ متعلق بباسط (له دعوة الحق) دين الحق شهادة أن لا اله الا الله وهى كلمة الاخلاص (والذين يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) ينفع ان يدعوهم (الا كباط كفيه) الا كاد يديه (الى الماء) من بعد (ليبلغ فاه) لكي يبلغ

كفيدة (وما هو ببالغه) وما
الماء ببالغ فقه (وما دعاه
الكافرين الا في ضلال)
في ضياع لا منصفه فيه لانهم
ان دعوا الله ثم شبههم وان
دعوا الاصنام لم يستمع
اجابهم (ولله سبحانه من
في السموات والارض)
سجودا عبدوا القباد (طوعا)
حال من الملائكة والمؤمنين
(وكرها) يعني المنصفين
والكافرين في حال الشدة
والنفيق

الماء الخ فيه (وما هو ببالغه)
بذلك الحق الماء الخ فيه أيضا
يقول كما لا يخفى الماء طوعا
الرجل كذا لا ترفع
الاصنام من عبده (وما دعاه
الكافرين) عبادة الكافرين
(لا في ضلال) في باطل بطل
عظيم (ولله سبحانه من
ويعبد) من في السموات
من الملائكة (والارض)
من المؤمنين (طوعا)
السماء لان عبادتهم بغير مشقة
(وكرها) على الارض لان
عبادتهم المشقة طوعا
لاهل الاصلاح وكرها
لاهل التناق ويتن طوعا
لمن ولد في الاسلام وكرها
لمن أدخل في الاسلام جبرا

وما هو ببالغه (وما هو ببالغه) لانه جاد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والايان بغير ما جبل عليه
وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلته جدوى دعائهم لها عن ارادان يغترف الماء ليشرب فيسقط
كفيدة ليشربه موقري تدعون بالناه وباسط بالتزوين (وما دعاه الكافرين الا في ضلال)
في ضياع وخسارة وباطل (ولله سبحانه من في السموات والارض طوعا وكرها)
يحتمل ان يكون السجود على حقيقة فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا
حالة الشدة والرخاء والكفيرة كرها حالة الشدة والضرورة

وما هو ببالغه (وما هو ببالغه) يعني الاستجابة كما تستجيب الماء لمن يسقط كفيدة اليه يطاب منه ان يبلغ فقه والماء
جاد لا يشعر بدسطة كفيدة ولا بعشقه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فقه وكذلك ما
يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستجيب اجابته ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلته
جدوى دعائهم لآلهتهم عن ارادان يغترف الماء بيده ليشربه فيسقط منه ما نأشرا أصابعه
فولاق كفيدة شيئا أو يبلغ طابته من شربه وقيل ان التقاض على الماء نأشرا أصابعه لا
يكون في شيء منه شيء ولا يخفى في شيء منه شيء كذا الذي يدعوا الاصنام لانها لا تضر
ولا تنفع ولا تفيد مني شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه
فيمشي بكفيدة الى الماء ويدعوه بشدة فلا يأخذ أبدا هذا معنى قول سجاهد وعن عطية
كان عطشان الجالس على شفير البئر وهو يحسب الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر يخرج الماء
ولا ماء يرتفع اليه فلا ينفعه يسقط الكعب الى الماء ودعاه لا يرفع فقه كذا كذا
يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقد ابن عباس كان عطشان اذا بسط كفيدة في الماء لا ينفعه
فانه لا يعرف به من الماء ولا يبلغ الماء فادعاه باسطة كفيدة وهذا مثل شربه الله تعالى
بكفر ودعائهم لا ينفعهم لانه لا يسمع دعائهم فاقوله (وما دعاه الكافرين)
يعني اصنامهم (لا في ضلال) يعني بطل غلبهم ان احسن جوابا اليه قل ابن عباس في
هذا الآية دعوتهم شجوية عن الله تعالى (وما دعاه الكافرين) في السموات
والارض طوعا وكرها (وما هو ببالغه) في هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على
الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان أحدهما
ان المنفصل وان كان المراد من الخفوس فقوله ولله سبحانه من في السموات
يعني الملائكة ومن في الارض من الاناس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من
يسجد لله طوعا وهم المؤمنون الخاضعون لله العبادات وكرها يعني المنصفين الداخليين
في المؤمنين والذين آمنوا منهم فان مجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على مجودهم
ثوابا ولا يفتنون على تركه عقابا بل مجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجد الثاني
هو حال الخلق على العموم وعلى هذا في المنفصل اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين
من الجن والاناس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار
من الجن والاناس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى
ثم يجيب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فغير بالوجوب عن
الوقوع والاعمال وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف

(وظلالهم) معطوف على من
 جمع ظل (بالغدو) جمع غداة
 كقنى وقناة (والآصال) جمع
 اصل جمع أصيل قيل ظل كل شئ
 يسجد لله بالغدو والآصال
 وظل الكافر يسجد كرها
 وهو كاره وظل المؤمن
 يسجد طوعا وهو طائع
 (قل من رب السموات
 والارض قل الله) حكاية
 لاعترافهم لانه اذا قال لهم
 من رب السموات والارض
 لم يكن لهم بد من أن يقولوا
 الله دليله قراءة ابن مسعود
 وأبى قالوا الله أو هو تلقين
 أى فان لم يجيبوا فلقنهم فانه
 لاجواب الا هذا

(وظلالهم) ظلال من يسجد
 لله أيضا تسجد (بالغدو
 والآصال) غدوة وعشية
 غدوة عن أيانهم وعشية
 عن شمائهم (قل) يا محمد
 لاهل مكة (من رب) من
 خالق (السموات والارض)
 فان أجابوك وقالوا الله والا
 (قل الله) خالقهما

﴿ وظلالهم ﴾ بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده منهم شاؤا أو كرهوا
 وانقياد ظلالهم لتصرفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة
 وقوله ﴿ بالغدو والآصال ﴾ ظرف لیسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال
 وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغد وجمع غداة كقنى جمع قنات
 والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغد ومصدر ويؤيده انه قرئ
 به والايصال وهو الدخول فى الاصيل ﴿ قل من رب السموات والارض ﴾ خالقهما
 ومتولى امرهما ﴿ قل الله ﴾ اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين

بالعظمة والعبودية وكل من فى السموات من ملك ومن فى الارض من أنس وجن فانهم
 يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
 والارض ليقولن الله والقول الثانى فى معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك
 الامتناع فكل من فى السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته
 ومشئته نافذة فى الكل فهم خاضعون منقادون له ﴿ وقوله تعالى ﴾ وظلالهم بالغدو
 والآصال ﴿ الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من
 طلوع النجم الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشايا جمع
 عشية وهى ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص
 يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع
 وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزاج جاء فى التفسير ان الكافر يسجد
 لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانبارى لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا
 وأفهاما تسجد بها وتخضع كما جعل للحيوان أفهاما حتى سجدت لله مع داود وقيل المراد
 بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع
 الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر فى هذين
 الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للتارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته
 واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ قل من رب السموات والارض ﴿ أى
 قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعنى
 من مالک السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان
 الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله
 رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب
 أنت فامر الله أن يجيبهم بقوله ﴿ قل الله ﴾ أى قل يا محمد لله وقيل انما جاء السؤال والجواب
 من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شئ فلما لم ينكروا ذلك وأجاب
 النبی صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام

(قل أفأتخذتم من دونه أولياء) أريد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرر عنها فكيف يستطيعونه اغيهم وقد أثرتموهم على الخالق الرازق المتيب المعاقب فأبين ضلالتكم { الجزء الثالث عشر } (قل هل يستوى العاقل والبصير) أى الكافر

والمؤمن أو من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء (أم هل تستوى الظلمات والنور) ملل الكفر والايان يستوى كوفى غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجمعوا ومعنى الهمة الانكار (خلقتوا كخلقهم) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بتخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخالق كما قدر الله عليهم فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبدون ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل) يا محمد (أفأتخذتم) عبدتم (من دونه) من دون الله (أولياء) أربابا من الآلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا) جرالنفع (ولا ضرا) دفع الضرر (قل) لهم يا محمد (هل

الذى لا يمكن المراء فيه أولقنهم الجواب به) قل أفأتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (أولياء) لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون ايقاع الخير ودفع الضرر عنه وهو دليل ثان على ضلالتهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء ان يشفعوا لهم (قل هل يستوى الاعى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم (أم هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد . وقرأ حزة والكسائى وابوبكر بالياء (أم جعلوا لله شركاء) بل أجمعوا والهمة للانكار وقوله (خلقتوا كخلقهم) صفة لشركاء داخلية في حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يشابهه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق

بقوله (قل) أى قل يا محمد للمشركين (أفأتخذتم من دونه) يعنى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام وأولى الناس والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعنى الاصنام (لا يملكون) يعنى وهم لا يملكون (لا أنفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف اغيهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعى والبصير) قل ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعنى الشرك والايان والمعنى كما لا يستوى الاعى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايان وانما شبه الكفار بالاعى لان الاعى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعنى جعلوا لله شركاء (خلقتوا كخلقهم) يعنى خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقرأ وجبالا وبحارا وجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا لاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشبه عليهم الامر بل اذا شكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيئا حتى يشبهه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد

يستوى الاعى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعنى الكفر والايان (لزمتهم) (أم جعلوا لله) وصفوا لله (شركاء) من الآلهة (خلقتوا) كخلق الله (فتشابه الخلق) فتشابه كل الخلق (عليهم) فلا يدرون خلق الله من خلق آلهتهم

(قل الله خالق كل شئ)

أى خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (النهار) لا يغالب وماعده محبوب ومقهور (أنزل) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسات أودية) جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (بقدرها) أى الواحد القهار الذى علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار

(قل) يا محمد (الله خالق كل شئ) بأن منه لا آلهة الا هو (وهو الواحد القهار) الغالب على خلقه ثم ضرب مثل الحق والباطل فقال (أنزل من السماء ماء) يقول أنزل جبريل بالقرآن وبين فيه الحق والباطل (فسات أودية بقدرها) فاحتمت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها ونورها

﴿ قل الله خالق كل شئ ﴾ أى لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب للعبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عما سواه ليدل على قوته ﴿ وهو الواحد ﴾ المتوحد بالاهوية ﴿ والقهار ﴾ الغالب على كل شئ ﴿ أنزل من السماء ماء ﴾ من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فان المبادئ منها ﴿ فسات أودية ﴾ انها رجع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تنارب بين البقاع ﴿ بقدرها ﴾ بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغير والكبير

لزمهم الحجة وهو قوله تعالى ﴿ قل الله خالق كل شئ ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شئ مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شئ من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شئ وهو غير مخلوق ﴿ وهو الواحد ﴾ يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها ﴿ القهار ﴾ لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارا دته وقوله عز وجل ﴿ أنزل من السماء ماء ﴾ لما شبه الله عز وجل الكافرين بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعنى المطر ﴿ فسات أودية بقدرها ﴾ أودية جمع واد وهو المخرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسات أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال في الوادى فهو كايقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في دلالة الكلام عليه بقدرها قل مجاهد بثلثها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما نكر أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعنى قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسات أودية بقدرها يريد بالاولدية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاولدية لان الاولدية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبى موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبثت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فاعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الخشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والدادال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين وهى الارض التى لا تنبت الكلأ

(فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ماء على وجه الماء من الرغوة والماء في علاه زبد (رابيا) منتفخا مرتفعاً على وجه السيل (ومما توقدون عليه) وبالباء كوفي (الجزء الثالث عشر) غير أبي بكر ٤٨٤ ومن لا ابتداء اغاية أي ومنه ينشأ زبد منه

زبد الماء أي للتبعيض أي وبعضه زبد (في النار) حال من الضمير في عليه أي ومما توقدون عليه ثابتاً في النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني وما يتبع به في الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أي زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعمت له ومما توقدون خبر له أي لهذه التلذذات اذا غليت زبد مثل زبد

(فاحتمل السيل) القابوب المظلمة (زبد رابيا) باطلا كثيرا بهواها (ومما توقدون عليه في النار) وهذا مثل آخر يقول ومما تطرحون في النار من الذهب والفضة فيه خبث مثل زبد البحر الملح (ابتغاء) طلب (حلية) تلبسونها يقول مثل الحق مثل الذهب والفضة ينتفع بهما كذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل مثل خبث الذهب والفضة لا ينتفع به كذلك لا ينتفع

فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضرا القليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه الهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية أي طلب حلي أو متاع كالاولانى وآلات الحرب والحراث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله أي ومما توقدون عليه

جمع جذب على غير قياس وقياسه أجذب والجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاء من الزرع والقيمان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي أصابها المطر قل العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع المطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغ الهدى وغير ذلك من العلم فيعني به قايده ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهم النوع الثاني من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام فابقى ما عندهم من العلم حتى يحيجوا المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذ منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض ارض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام فابقى ما عندهم من العلم لا ينتفعون به في انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم وقوله تعالى فاحتمل السيل زبدا الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالخبث وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وهما تم المثل ثم ابتداء بمثل آخر فقال تعالى ومما توقدون عليه في النار الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء ليزدوب ابتغاء حلية يعني اطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما أو متاع يعني أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالخديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب ويتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتبع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع زبد مثله يعني ان ذلك الذي يوقد

بالباطل صاحبه (أو متاع) أو حديد أو نحاس (زبد مثله) يقول يكون له خبث أي مثله مثل زبد الماء وهذا مثل (عليه) آخر يقول مثل الحق كمثل الحديد والنحاس ينتفع بهما فكذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل كمثل

الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أى متلاشي وهو ما تقذفه القدر عند الغيان والبحر عند الطغيان والجفء الرمي وجفوت الرجل سرعته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلى والاولانى (فيمكث في الارض) يثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الامثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم بانواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به في صوغ الحلى منه واتخاذ الاولانى والآلات المختلفة وذلك ما كثر في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة مطاولة وشبهه ﴿ ٤٨٥ ﴾ الباطل في سرعة { سورة الرعد } اضمحلاله ووشك زواله

بزبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن الابتداء أول التبعيض وهو قرأ حزمة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واخماره للعالمية ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في اقامته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والغنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به في صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة مطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبد هما وبين ذلك بقوله ﴿ فاما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يخفأ به ان يرمى به السيل أو الفلز المذاب وان تصابه على الحال وقرئ جفأ والمعنى واحد ﴿ واماما ينفع الناس ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿ فيمكث في الارض ﴾ ينتفع به اهلها ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ لا يوضح المشتبهات

عليه في النار اذا اذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذى لا ينتفع به وهو قوله ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يعنى ضاءا باطلا والجفاء ما رمى به الوادى من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل وبذهب ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ يعنى الماء الصافي والجواهر الحيد من هذه الاجسام التى تذاب ﴿ فيمكث في الارض ﴾ يعنى يثبت ويبقى ولا يذهب ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ قال أهل التفسير والمعانى هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يحرقه ويبطله ويحمل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذى يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي

المدة بالاخلاص المدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد في الرياء والخلل والملل والكسل واللام في خبث الحديد والنحاس لا ينتفع به كما لا ينتفع بخبث الحديد والنحاس (كذلك يضرب الله) يبين الله (الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء) يقول يذهب كاجاء لا ينتفع به فكذلك الباطل لا ينتفع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والذهب والفضة والحديد والنحاس (فيمكث في الارض) ينتفع به فكذلك الحق ينتفع به (كذلك يضرب الله الامثال) يبين الله أمثال الحق والباطل

المدة بالاخلاص المدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد في الرياء والخلل والملل والكسل واللام في

خبث الحديد والنحاس لا ينتفع به كما لا ينتفع بخبث الحديد والنحاس (كذلك يضرب الله) يبين الله (الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء) يقول يذهب كاجاء لا ينتفع به فكذلك الباطل لا ينتفع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والذهب والفضة والحديد والنحاس (فيمكث في الارض) ينتفع به فكذلك الحق ينتفع به (كذلك يضرب الله الامثال) يبين الله أمثال الحق والباطل

(الذين استجابوا) أى أجابوا متعلقة بـ يضرب أى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهى صفة لمصدر استجابوا { الجزء الثالث عشر } اى استجابوا ٤٨٦ الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له أى

وللذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لربهم الحسنى﴾ الاستجابة الحسنى ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بـ يضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهم اوقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ﴿لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان ما لغير المستجيبين ﴿اولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو المناقشة فيديان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ ﴿وماؤاهم﴾ مرجعهم ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ المستقر والمخصوص بالنظم محذوف ﴿أفمن يعلم ان ما نزل اليك من ربك الحق﴾ فيستجيب الذى ينفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذى هو الكدر وهو ما ينفيه الكبر بما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا فى وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايان كمثل الماء الصافى الذى يتنفع به الناس ومثل الكافر وخبط اعتقاده كالزبد الذى لا يتنفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذى يحصل فى قلوب العباد على ما قسم لها فى الازل لان الوادى اذا سال كنس كل شئ فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك اذا سال وادى قلب العبد بالنور الذى قسم له على قدر ايمانه ومعرفة كنس كل ضلّة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فينكث فى الارض يعنى يذهب الباطل وهى الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهى الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال ﴿وقوله تعالى﴾ للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴿قيل اللام فى الذين متعلقة بـ يضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعنى أجابوا الى ما دعاهم اليه من توحيده والايان به وبرسوله وللذين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجهور المفسرين يعنى الجنة وقيل الحسنى هى المنفعة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ يعنى الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه ﴿لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ يعنى ليدلوا ذلك كد دعاء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة ﴿اولئك﴾ يعنى الذين لم يستجيبوا لربهم ﴿لهم سوء الحساب﴾ قل ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كد ولا يغفر له منه شئ ﴿وماؤاهم﴾ يعنى فى الآخرة ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ يعنى وبئس ما مد لهم فى الآخرة وقيل المهاد الفراش يعنى وبئس الفراش يفرش لهم فى جهنم ﴿وقوله تعالى﴾ أفمن يعلم ان ما نزل اليك من ربك الحق

(الذين استجابوا لربهم) بالتوحيد فى الدنيا (الحسنى) لهم الجنة فى الآخرة (والذين لم يستجيبوا له) لربهم بالتوحيد (لو ان لهم ما فى الارض)

من الذهب والفضة (جميعا ومثله معه) ضعفه معه (لافتدوا به) افتادوا به انفسهم (اولئك لهم سوء الحساب) شدة العذاب (يعنى) (وماؤاهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش والمصير (أفمن يعلم) يصدق (أنا نزل اليك من ربك) يعنى القرآن (الحق) هو

فاستجاب بمنزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كن هو أعشى) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولوا الالباب) ٤٨٧ أي الذين علموا { سورة الرعد } على قضايا عقولهم فنظروا

واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبي الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولى الالباب واول اول وجه وعهد الله ماعقدوه على أنفسهم من الشهادة برؤيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقربات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والخيران والرفقاء في السفر

﴿كن هو أعشى﴾ عى القلب لا يستبصر فتستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابهها بعد ما ضرب من المثل ﴿انما يتذكر أولوا الالباب﴾ ذووا العقول المبرات عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ بناء عقدوه على انفسهم من الاعتراف برؤيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الرحم وموالات المؤمنين والايان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس

يعنى فيؤ من به ويعمل بما فيه ﴿كن هو أعشى﴾ يعنى اعشى البصيرة لا اعشى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في حزة بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابى جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابى جهل فالاول هو حزة أو عمار والثانى هو ابو جهل وحل الآية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعشى لان الاعشى لا يهتدى لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتدى للرشد وهما واقعان في المهلكة ﴿انما يتذكر أولوا الالباب﴾ يعنى انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين يتفكرون بالمواظظ والاذكار ﴿قوله عز وجل﴾ الذين يوفون بعهد الله يعنى الذى عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجه من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ بل يوفون به فهو تأكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعنى يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثر على ان المراد به صلة الرحم ﴿عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتة اخرجه داود والترمذى (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعته الله (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأله في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم ومنه القطع قوله وان ينسأله في اثره الاثر هنا الاجل وسعى الاجل اثر الانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان

الحق (كن هو أعشى) كافر (انما يتذكر) يتعظ بما أنزل اليك من القرآن (أولوا الالباب) ذوو العقول من الناس (الذين يوفون بعهد الله) يمتون فراض الله (ولا ينقضون الميثاق) لا يتركون فرائض الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام ويقال من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

(ويخشون ربهم) أى وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على ما ذكره النفس ويخالفه الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلب الرضاء لتحزوا وسمعة ونحوهما (وأقاموا الصلوة) المفروضة (وأنفقوا مآرزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيد والثاني ان يزيد في عمره زيادة حقيقة والله يفعل ما يشاء (ق) عن جابر بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان معنى قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصولون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومثراة في المال ومنسأة في الاثر اخرجته الترمذى وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعنى انهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعنى على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال عطاء على المناسبات والنواب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصى وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوايب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصى من الحسد والحقد والغيرة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمناسبات وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عند الصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر للدلايل على الجزع وقد يصبر لئلا تشتم به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها غير الله تعالى النوع الثانى الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخلى تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعنى صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعنى الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بانقامتها اتمام أركانها وهيأتها (وأنفقوا مآرزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متها بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسرا ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية الناس

(ويخشون ربهم) أى وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على ما ذكره النفس ويخالفه الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلب الرضاء لتحزوا وسمعة ونحوهما (وأقاموا الصلوة) المفروضة (وأنفقوا مآرزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيد والثاني ان يزيد في عمره زيادة حقيقة والله يفعل ما يشاء (ق) عن جابر بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان معنى قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصولون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومثراة في المال ومنسأة في الاثر اخرجته الترمذى وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعنى انهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعنى على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال عطاء على المناسبات والنواب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصى وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوايب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصى من الحسد والحقد والغيرة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمناسبات وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عند الصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر للدلايل على الجزع وقد يصبر لئلا تشتم به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها غير الله تعالى النوع الثانى الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخلى تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعنى صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعنى الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بانقامتها اتمام أركانها وهيأتها (وأنفقوا مآرزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متها بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسرا ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية الناس

(ويدرون بالحسنة السيئة) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سي غيرهم أو إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفاوا وإذا قطعوا وصلوا وإذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أتابوا ﴿٤٨٩﴾ وإذا رأوا ﴿سورة الرعد﴾ منكرا أسروا بتغيره فهذه

لمن عرف به ﴿ويدرون بالحسنة السيئة﴾ ويدفعونها بها فيجوزون الاساءة بالاحسان أو يدفعون السيئة الحسنة فتمحوها ﴿أو تلك﴾ لهم عقبي الدار ﴿عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل أهلها وهي الجنة والجنة خير الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جلت صفات لاولى الابواب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات ﴿جنات عدن﴾ بدل من عقبي الدار أو مبتدأ خبر ﴿يدخلونها﴾ والعدن الإقامة أى جنات عدن يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ عطفت على المرفوع في يدخلون وانما صاغ للفعل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من آهالهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعالهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تملأ بالشفاعة أو ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انفسهم والتقييد بالصالح ما يؤيد به الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى ﴿ويدرون بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحبها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانسكت حلقته ثم عمل أخرى فانسكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكابئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقيل القبيي معناه اذا سفته عليهم حملوا والسفاهة لسيئته وقل قتادة ردوا عليهم دا معروفا وقال الحسن اذا حردوا أعطوا واذا ظلموا عفاوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عدخلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعالمين به من الثواب فقال تعالى ﴿أو تلك﴾ يعنى من أتى بهذه الاعمال ﴿لهم عقبي الدار﴾ يعنى الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب ﴿جنات عدن﴾ بدل من عقبي الدار يعنى بساتين إقامة يتنقل عدن المكان اذا أقام به ﴿يدخلونها﴾ يعنى الدار التي تقدم وصفها ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ يعنى ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا يتنفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد ودلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدى والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطمع

ثمانية أعمال تشير الى ثمانية أبواب الجنة (أو تلك لهم عقبي الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا وراجع أهلها (جنات عدن) بدل من عقبي الدار (يدخلونها ومن صلح) أى آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرئ صلح والفتح أفصح ومن في محل الرفع بالعطف على ضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار قاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصالح ليعلم ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد أبو كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم

(ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون بالكلام الحسن لكلام السيئ اذا أوردعاهم (أو تلك) أهل هذه الصنة من قوله انما يتذكر الى ههنا (لهم عقبي الدار) يعنى الجنة ثم بين أى الجنات لهم فقال (جنات عدن) وهي مقصورة الرحمن وهي معدن الانبياء

والصديقين والشهداء والصالحين (قا و خا ٦٢ لث) (يدخلونها ومن صلح) من وحد (من آبائهم) يدخلونها أيضا (وأزواجهم) من وحد من أزواجهم يدخلها أيضا (وذرياتهم) من وحد من ذرياتهم يدخلون أيضا جنات عدن

وأمرهم (والملائكة) الجزء الثالث عشر { يدخلون } ٤٩٠ عابهم من كل باب) في قدر كل يوم

دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من ابواب المنازل أو من ابواب الفتح والتحف قائمين ﴿ سلام عليكم ﴾ بشارة بدوام السلامة بما صبرتم ﴿ متعلق بعايكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية أو لبدلية ﴿ فنعم عقي الدار ﴾ وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين ينقل كسرته الى الفاء وغيره ﴿ والذين ينقضون عهد الله ﴾ يعني مقابلي الاواين ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ من بعد ما وثقوه به من الاقرار والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به أن يوصل

سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التميز بين زوجة وزوجة وامل الاولى من مات عنها أو مات عنه وروى انه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم لانها فسأته أن لا يفضل ووهبت يومها اعائشة فامسكها رجاء ان تحشر في جملة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه ﴿ وقوله تعالى ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ يعني من ابواب الجنة وقبل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد به النحية من الله والتحف والهدايا ﴿ سلام عليكم ﴾ يعني يقولون سلام عليكم فاضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه ﴿ بما صبرتم ﴾ يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوبا لافعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم ﴿ وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سمطان من خدم وعند طرف السماطين باب محبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فإذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول اندنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن اندنوا له ويقول الذي يليه اندنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف ﴿ فنعم عقي الدار ﴾ يعني فعم العقي عقي الدار وقيل معناه فنعم عقي الدار ما أنتم فيه ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ما ميثاقه من بعد ما وثقوه به على أنفسهم بالاعتراف والقول ﴿ ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ﴾ يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم

وايلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذا المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه (فنعم عقي الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أو ثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يقول لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراع يدخل عليهم من كل باب ملك يقولون (سلام عليكم بما صبرتم) هذه الجنة بما صبرتم على أمر الله والمرادى (فنعم عقي الدار) نعم الجنة لكم (والذين ينقضون عهد الله) يتركون فرائض الله (من بعد ميثاقه) تغليظ وتشديده وتأكيده (ويقطعون ما

ويفسدون في الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الا بعدا من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها (الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحوا بالحياة الدنيا) بما يسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب ميم الآخرة ليس الاشياء نورا يتمتع به ﴿ ٤٩١ ﴾ كعجالة الراكب ﴿ سورة الرعد ﴾ وهو ما يتعجله من تميزات

أوشربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه

ويفسدون في الارض ﴿ بالظلم وتهيج الفتن ﴾ أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿ عذاب جهنم أوسوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار ﴾ الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يوسع ويضيقه ﴾ وفرحوا ﴿ أي اهل مكة ﴾ بالحياة الدنيا ﴿ بما يسط لهم في الدنيا ﴾ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴿ أي في جنب الآخرة ﴾ الا متاع ﴿ لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ﴾ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ﴿ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴾ ويهدي اليه من أناب ﴿ اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتهكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل آية ويهدي اليه

(ويفسدون في الارض) بالكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (أولئك) أهل هذه الصفة (لهم اللعنة) السخطة في الدنيا (ولهم سوء الدار) يعني النار في الآخرة (الله يسط الرزق لمن يشاء) قال ابن عباس وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا البسط ولو صرفوا الى غيره لكان شرهم وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا التقير ولو صرفوا الى غيره لكان شرهم أي يوسع المال على من يشاء في الدنيا وهو

والقاربة ﴿ ويفسدون في الارض ﴾ يعني بالكفر والمعاصي ﴿ أولئك ﴾ يعني من هذه صفته ﴿ لهم اللعنة ﴾ يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار ﴿ قوله تعالى ﴾ الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله ﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا ﴾ يعني مشركي مكة لما يسط الله عليهم الرزق أشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بذيل المشتهي وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴾ يعني بالنسبة الى الآخرة ﴿ الا متاع ﴾ أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصة والقدر ينفعها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ يعني من أهل مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعني هال انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ ان الله يضل من يشاء ﴾ فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله ﴿ ويهدي اليه من أناب ﴾ يعني ويرشد الى دينه والايمان به من أناب

مكر منه (ويقدر) يقتدر على من يشاء وهو نظر منه (وفرحوا بالحياة الدنيا) رضوا بما في الحياة الدنيا من النعيم والسرور (وما الحياة الدنيا) ما في الحياة الدنيا من النعيم والسرور (في الآخرة) عند نعيم الآخرة في البقاء (المتاع) الاشئ قليل كمتاع البيت مثل السكرجة والقدح والقدر وغير ذلك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لولا انزل عليه) هال انزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) لنبوته كما كانت للرسل الاولين بزعمه (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن دينه من كان أهلا لذلك (ويهدي) يرشد (اليه) الى دينه (من أناب) من أقبل الى الله

(الذين آمنوا) هم الذين أو علمه الجزء الثالث عشر من النصب بدل من ٤٩٢ من (وتطمئن قلوبهم) نسكن (بذكر الله)

على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا يذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتداً (طوبى لهم) خبره وهو مصدر من طاب كبشري ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً وعملها النصب أو الرفع كقولك طيباً لك وطيب لك وسلاماً لك وسلام لك واللام في لهم للبيان مثلها في سقياً لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضممة ما قبلها كموثق والقراءة في

(الذين آمنوا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وتطمئن قلوبهم) ترضى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) القرآن ويقال بالحلف بالله (ألا يذكر الله) القرآن والحلف بالله (تطمئن القلوب) أي تسكن وترضى القلوب (الذين آمنوا) محمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فينا بينهم وبين ربهم (طوبى لهم) غبطة لهم ويقال طوبى شجرة في الجنة ساقها من ذهب وورقها الخلل وثمرها من كل لون وأغصانها متواليات في الجنة ونحتها كشبان المسك والعنبر والزعفران

من أناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من أو خبر مبتداً محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسابه واعقاداً عليه ورجاء منه أو بذكر رحمة بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى المجيزات ألا يذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتداً خبره طوبى لهم وهو فاعل من الطيب قلبت يائوه واوانضممتها قبلها مصدر انطاب كبشري وزانى ويجوز فيه الرفع والنصب بتقدير رجع اليه بكليته الذين آمنوا بدل من قوله من أناب وتطمئن قلوبهم يعنى وتسكن قلوبهم بذكر الله قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقاوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما يكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك ألا يذكر الله تطمئن القلوب يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقل ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استعمار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحدة قلت انما يكون الوجع عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم اختلاف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرعة عين وقيل عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية أخرى عندان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيراً وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابية لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بالافناء وعن بلاذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لئن لا نقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقيل سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالخشبى وروى عن أبى امامة وأبى هريرة وأبى الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله اوتوا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينا الكافور والسلسيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليهم املك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن أبى سعيد الخدرى ان رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفع من طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والخلل وان أغصانها ترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفاً عن أبى هريرة قال ان في الجنة

ولذلك قرئ ﴿ وحسن مآب ﴾ بالنصب ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ﴿ ارسلناك في امة قد دخلت من قبلها ﴾ تقدمتها ﴿ اثم ﴾ ارسلوا اليهم فليس يبدع ارسالك اليها ﴿ لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك ﴿ وهم يكفرون بالرحن ﴾ وحالهم انهم يكفرون بالبلغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل

شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبالغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هزمها ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أعلى تلك الشجرة قال ابغوى وهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها انتقي لعبدى عما يشاء فتفقد له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتقد له عن الراحلة برجلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته وقرؤا ان شئتم وظل ممدود ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ وحسن مآب ﴾ يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلون ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ كذلك ارسلناك في امة قد دخلت من قبلها اثم ﴾ يعني كما ارسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبياء قبلك الى امة قد دخلت ومضت ﴿ لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك ﴾ يعني لتقرأ على أمتك الذي اوحينا اليك من القرآن وشرايع الدين ﴿ وهم يكفرون بالرحن ﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جرير هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح وانفقوا على ان يكتبوا كتاب لصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى بن أبى طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرحمن الا صاحب النمامة يعنون مسيلة الكذاب اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحن يعني أنهم ينكرونه ويحسدونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الهها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحن الائمة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله وادعوا الرحمن أي اماندعو افله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى

(وحسن مآب) مرجع بالرفع والنصب تدل على محلها (كذلك ارسلناك) مثل ذلك الارسال ارسلناك ارسلاله شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (في امة قد دخلت من قبلها اثم) أي أرسلناك في امة قد تقدمتها اثم كثيرة فهي آخر الامم وأنت خاتم الانبياء (لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب والعظيم الذي اوحينا اليك (وهم يكفرون بالرحن) وحال هؤلاء انهم يكفرون (بالرحن) بالبلغ الرحمة الذي وسعت رحته كل

(وحسن مآب) المرجع في الجنة (كذلك ارسلناك في امة) يقول هكذا ارسلناك الى امة (قد دخلت) مضت (من قبلها اثم) لتقرأ عليهم (الذي اوحينا اليك) أنزلنا اليك جبرائيل به يعني القرآن (وهم يكفرون بالرحن) يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلة الكذاب

شيء (قل هوربي) ورب كل شيء (لا اله الا هو) أي هوربي الواحد المتعالي عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (واليه متاب) مرجعي فيشيني على { الجزء الثالث عشر } مصابرتكم ٤٩٤ متابي وعقابي وما بي في الحالين يعقوب

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الأرض) حتى تتصدع وتزابل قطعاً (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجبب لكن هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف فحواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتبديهم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أنزلنا اليهم الملائكة

(قل) الرحمن (هوربي لاله الا هو عليه توكلت) انكلت ووثقت (واليد متاب) المرجع في الآخرة ثم نزل في شأن عبدالله بن أمية الخنزومي وأصحابه لقولهم أذهب عنا جبال مكة بقرآنك وأنبع فيها العميون كما كان لداود عين القطر بزعمك وأنتابريخ نركب عليها الى الشام ونجى عليها كما كانت سليمان بزعمك وأحى موتانا كما أحيا عيسى ابن مريم بزعمك فقال الله (ولو أن قرآنا غير قرآن محمد صلى الله عليه وسلم) سيرت به الجبال) أذهبت به الجبال عن وجه الأرض

نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن خالق ومتولى أمرى لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو أن قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن كتابا عززت به الجبال عن مقارها أو قطعت به الأرض تصدعت من خشية الله عند قراءته أو تشققت فجملت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فتقرأه أو فتسمع وتجبب عند قراءته لكن هذا القرآن لانه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والانذار أو لما آمنوا به لقوله ولو أنزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سررك ان تبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تسع لنا فتخذف فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الرمح أنركبها ونجمر الى الشام أو ابعث لنا به قضى بن كلاب وغيره من آبائنا اليكم ونافيك فتزلات وعلى هذا فتقطع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحن وما بينهما اعتراض وتذكير كالم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الختبقى

قل أي قل يا محمد ان الرحمن الذي أنكرتم معرفته هوربي لاله الا هو عليه توكلت يعني عليه اعتمدت في أموري كلها واليه متاب يعني واليه توجي ورجوعي قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية نزلات في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خيل النبي صلى الله عليه وسلم فأنعمهم وقيل انه سرهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبدالله بن أبي أمية ان سررك ان تبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفخ فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنفرس الاشجار ونزرع وننخذ البساتين فليست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر انسا الرمح لتركها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت سليمان كما زعمت فليست باهون على ربك من سليمان أو احى لنا جنة قسبا أو من شئت من موتانا للنساءه عن أمرك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيي الموتى وليست باهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فذهبت عن وجه الأرض أو قطعت به الأرض يعني شتقت فجملت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بقرعة السامع مراده وتقديره ولو أن قرآنا فعل به كذا وكذا كان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فاقسم لو شئ أنانا رسوله • سواك ولكن لم نحدلك مدفعا

أراد لو شئ أنانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فيهم كما قال ولو أنزلنا اليهم الملائكة

(أو قطعت به الأرض) أي قصد به البعد (أو كلم به الموتى) أو أحى به الموتى لكن بقرآن محمد صلى الله عليه وسلم (وكلمهم)

الآية (بل لله الامر جيعا)

بل لله القدرة على كل شيء
وهو قادر على الآيات التي
اقترحوها (أفلم يأس الذين
آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم
من النخع وقبل انما استعمل
اليأس بمعنى العلم لتضمنه
معناه لان اليأس عن الشيء
عالم بانه لا يكون كما استعمل
الذسيان في معنى الترك
لتضمن ذلك دليله قراءة على

رضى الله عنه أفلم يتبين
وقيل انما كتبه الكاتب
وهو ناعس مستوى السنان
وهذه والله فربة ما فيها
صرية (أن لو يشاء الله
لهدى الناس جيعا ولا

يزال الذين كفروا تصيبهم بما
صنعوا) من كفرهم وسوء
أعمالهم (قارعة) داهية
تقرعهم بما يحل الله بهم في
كل وقت من صنوف البلايا
والمصائب في نفوسهم

(بل لله الامر جيعا) بل الله
يفعل ذلك جيعا ان شاء (أفلم
يأس الذين آمنوا) أفلم
يعلم الذين آمنوا بمحمد
عليه السلام والقرآن
(أن لو يشاء الله لهدى الناس
جيعا) لاكرم الناس كلامهم
بدينه (ولا يزال الذين كفروا)
بالكتب والرسول يعني كفار
مكة (تصيبهم بما صنعوا)
في كفرهم (قارعة) سهرية

بل لله الامر جيعا ﴿ بل لله القدرة على كل شيء وهو اضرب عن ما تضمنته لوم من معنى
النفي أي بل الله قادر على الاتيان بما افترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعدم بانه
لان الذين له شكيتهم وروى بذلك قوله ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ عن ايمانهم مع ما رأوا من
احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه أفلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجاعة من العجاجة
والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس
بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المايوس منه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ﴿ ان
لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ﴾ فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم
وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره أفلم يأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان
لو يشاء الله لهدى الناس جيعا او بآمنوا ﴿ ولا يزال الذين كفروا ﴾ تصيبهم بما صنعوا ﴿
من الكفر وسوء الاعمال ﴾ قارعة ﴿ داهية تقرعهم وتقلعهم

وكلمهم الموت وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا ثم قال تعالى ﴿ بل لله
الامر جيعا ﴾ يعني في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿ أفلم يأس
الذين آمنوا ﴾ قال اكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل
هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد ألم يأس
ألم يعلم واستدلوا بهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب اذ يأسروني • ألم تياسوا أنى ابن فازس زهدم

يعنى ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

ألم يأس الاقوام انى أنا ابنه • وان كنت عن أرض العشيرة نائبا

يعنى ألم يعلم الاقوام قال قطرب يئس بمعنى علم لغة للعرب قاوا ووجه هذه اللغة انه
انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشيء ويقينك به يئسك من غيره وقيل لم يرد
ان اليأس في موضع من كلام العرب لا علم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك
يقضى ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت
العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف
لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات
اشرب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجمعوا على الايمان فقال الله تعالى
أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا ﴿ أن لو يشاء الله لهدى الناس
جيعا ﴾ يعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندى ان معناه أفلم يأس الذين
آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جيعا وحاصله ان في معنى الآية
قولين أحدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين
ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا على ان الله
لم يشأ هداية جميع الخلائق ﴿ ولا يزال الذين كفروا ﴾ تصيبهم بما صنعوا ﴿
والاعمال الخبيثة ﴾ قارعة ﴿ أى نازلة داهية تقرعهم بانواع البلايا أحيانا مارة

وأولادهم وأموالهم (أوتحل قريباً من دارهم) أوتحل القارعة قريباً منهم فيفزعون ويتطايرون عليهم شرراً وهاوية حتى اليهم
 شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيام أو لا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب
 قارعة لان جيش رسول الله الجزء الثالث عشر { يفرحون } ٤٩٦ مكة ويختطف منهم أوتحل أنت يا محمد

قريباً من دارهم بحيث
 يوم الحديبية حتى يأتي
 وعد الله أي فتح مكة
 (ان الله لا يخلف الميعاد)
 أي لا خلف في مواعده
 (ولقد استهزئ برسول
 من قبلك فأمليت للذين
 كفروا) الاملاء الامهال
 وأن يترك ملاوة من الزمان
 في خفض وأمن (ثم أخذتهم
 فكيف كان عقاب) وهذا
 وعيدهم وجواب عن
 اقتراحهم الآيات على
 رسول الله استهزاء به
 وتسليته (أفمن هو قائم)
 احتجاج عليهم في امثراكهم
 بالله يعني أفمن الذي هو
 رقيب (على كل نفس)
 صالحة أو طالحة (بما
 كسبت) بعد خيره وشره
 وبعد لكل جزاء كمن
 ليس كذلك ثم استأنف
 فقال (وجعلوا لله شركاء)
 ويقال صاعقة (أوتحل قريباً)
 أوتحل مع أصحابك قريباً
 (من دارهم) من مدنتهم مكة
 يوسفان (حتى يأتي وعد الله)
 فتح مكة (ان الله لا يخلف
 الميعاد) فتح مكة ويقال البعث
 بعد الموت (واقداستهزئ

أوتحل قريباً من دارهم فيفزعون منها وهاوية عليهم شرراً وهاوية في كفار مكة فانهم
 لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاند عليه الصلاة والسلام كان
 لا يزال بهت السرايا عليهم فغير حوا اليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون نحل
 خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريباً من دارهم عام الحديبية حتى
 يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) لا متاع الكذب
 في كلامه (واقداستهزئ برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا) تسليته لرسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد المستهزئين به والمفترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
 من الزمان في دعة وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أي عقابي اياهم (أفمن هو
 قائم على كل نفس رقيب عليه) بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من
 اعمالهم ولا ينفوت عنه شيء من جزئهم والخبر مخدوف تقديره كمن ليس كذلك
 (وجعلوا لله شركاء) استأنف أو عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية ويجوز
 بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والامر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا
 التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (أوتحل) يعني السرايا أو البنية
 قريباً من دارهم وقيل معناه أوتحل أنت يا محمد قريباً من دارهم حتى يأتي
 وعد الله يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل
 أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يحجمهم فيه فيجازيهم بما عملهم (ان الله لا يخلف
 الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعله
 بأن الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسول من قبلك) وذلك
 ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فنزل الله هذه الآية تسلياً
 للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما ظنوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء
 وكذلك قد استهزئ برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا (يعني فأمهلتهم وأطلت
 لهم المدة) ثم أخذتهم (يعني بالماذب بعد الامهال فعذبهم في الدنيا بالنقض
 والقتل والامر وفي الآخرة بالنار) فكيف كان عقاب (يعني فكيف كان
 عقابي لهم) أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت (يعني أفمن هو حافظها ورازقها
 وعالم بها وبما عملت من خير أو شر ويجزيها بما كسبت فيثيبها ان أحسنت ويعاقبها ان
 أساءت وجوابه مخدوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان
 عاجزاً عن نفسه فهو عن غيره أنجز وهي الاصنام التي لا تنضر ولا تنفع (وجعلوا لله
 شركاء) يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوا لله شركاء

يرسل من قبلك) استهزأ به قومك قريباً (فأمليت للذين كفروا) فأمهلت للذين كفروا بعد (على)
 الاستهزاء (ثم أخذتهم) بالعذاب (فكيف كان عقاب) انظر كيف كان تعييرى عليهم بالعذاب (أفمن هو قائم على كل نفس) يقول الله
 قائم على حفظ كل نفس (بما كسبت) من الخير والشر والرزق والدفع (وجعلوا لله) وصفوا الله (شركاء) من

أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم ونبؤه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض) على أم المنقطعة أى بل أنبؤنه بشركاء لا يعلمهم فى الارض ﴿٤٩٧﴾ وهو العالم بما فى السموات {سورة الرعد} والارض فاذا لم يعلمهم علم

انهم ليسوا بشئ والمراد نفى أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أنسموهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ماتعبدون من دونه الأسماء سميتموها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للإسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفى وبفتحها غيرهم ومعناه صدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضل الله فله من هاد) من هاد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحياة الدنيا بالقتل والاسر وأنواع المحن) ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه

ان يقدر ما يقع خبرا للبتدأ ويعطف عليه وجعلوا أى أفن هو بهذه الصفة لم يوحده وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر قيد موضع الضمير لتبديد على انه المستحق للعبادة وقوله ﴿قل سموهم﴾ تبديد على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ﴿أم تنبؤنه﴾ بل أنبؤنه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف ﴿بما لا يعلم فى الارض﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أم تسموهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج ببلغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للإسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ سبيل الحق وقرئ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتووين ﴿ومن يضل الله﴾ بخذلانه ﴿فاله من هاد﴾ يوفقه للهدى ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ لشدة ودوامه

﴿قل سموهم﴾ يعنى له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هى أهل لان تعبد ﴿أم تنبؤنه﴾ يعنى أم تخبرون الله بما لا يعلم فى الارض يعنى انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون الخلق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان لعلم والمراد من ذلك نفى العلم بان يكون له شريك ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعنى انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لأصله وقيل معناه بل بظن من القول لا ملون حقيقة ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يتدبر أحد ان يتصرف فى الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان ألقاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضل الله فاله من هاد وقوله ﴿وصدوا عن السبيل﴾ قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ ﴿وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أى عن الايمان﴾ ومن يضل الله فاله من هاد ﴿الوقت عليه بسكون الدال وحذف الياء فى قراءة أكثر القراء﴾ لهم عذاب فى الحياة الدنيا يعنى بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه عظيمهم ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ يعنى أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب

عليه وسلم والقرآن (مكرهم) قولهم وفيلهم (قا و خا ٦٣ لث) (وصدوا عن السبيل) صرفوا عن الدين (ومن يضل الله) عن دينه فاله من هاد) من موفق (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل يوم بدر (ولعذاب الآخرة أشق) أشد من عذاب الدنيا

(ومالهم من الله من عذاب) من عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون) الجزء الثالث عشر من حافظ ٤٩٨ من عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون)

﴿ومالهم من الله﴾ من عذابه أو من رحمة ﴿من واق﴾ حافظ ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ على طريقة قولك صفة زيد اسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة ﴿أكلها دائم﴾ لا ينقطع ثمرها ﴿وظلها﴾ أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تلك﴾ أي الجنة الموصوفة ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ ما لهم ومنهمى أمرهم ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ لا غير وفي ترتيب التثمين الطماع للمتقين واقتطاع للكافرين ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك﴾ يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصراري وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثان وثلاثون بالحبيشة أو عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما وافق كتبهم ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني كفبرتهم الذين تحزبوا على

من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع ﴿ومالهم من الله﴾ يعني من عذاب الله ﴿من واق﴾ من مانع يمنعهم من عذابه ﴿نوله تعالى﴾ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴿أي صفة الجنة التي وعد المتقون﴾ تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم ﴿لا ينقطع أبدا﴾ وظلها ﴿يعني﴾ انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جههم وأصحابه فانه يقولون ان نعم الجنة يغنى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاسمي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تغنى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الآن الذي نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من آيتين أحدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم ففحص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين وقوله تعالى ﴿تلك﴾ عقبى الذين اتقوا ﴿يعني﴾ ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ يعني في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ﴿في المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذين أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما تجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والخسر بعد الموت بتجدد نزول القرآن ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني الجماعات الذين تحزبوا

صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد اسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقبى الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصراري بارض الحبيشة (يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب)

(ومالهم من الله) من عذاب الله (من واق) من مانع وملجأ يلجئون اليه (مثل الجنة) صفة الجنة (التي وعد المتقون) الكفر والشرك والفواحش (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أنهار الخمر والماء والمسل واللين (أكلها دائم) ثمرها دائم لا يغنى (وظلها) دائم لا يخل فيه (تلك) الجنة (عقبى) مأوى (الذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش (وعقبى) مأوى (الكافرين النار والذين آتيناهم) أعطياهم (الكتاب) علم

التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (يفرحون بما أنزل اليك) من ذكر الرحمن (ومن الأحزاب) يعني اليهود (على)

ي ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والمقاب واشياعهما (من ينكر ٤٩٩) بعضه لانهم { سورة الرعد } كانوا لا ينكرون الا قاصيص

وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قل انما امرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمنكرين أي قل انما امرت فيما أنزل الى بان أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (اليه ادعوا) خصوصاً لا ادعو الى غيره (واليه) لا الى غيره (مآب) مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) مثل ذلك الانزال أنزلناه مأموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية

(من ينكر بعضه) بعض القرآن سوى سورة يوسف وذكر الرحمن ويقال من الاحزاب يعني كفار مكة وغيرهم من ينكر بعضه بعض القرآن ما فيه ذكر الرحمن

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والمقاب واشياعهما (من ينكر بعضه) وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يخالف ما حرفوه منها (قل انما امرت أن أعبد الله ولا أشرك به) جواب للمنكرين أي قل انما امرت فيما أنزل الى بان أعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقري ولا أشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعوا) لا الى غيره (واليه مآب) واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والام فلا معنى لانكاركم مخالفة فيه (و كذلك) ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها (أنزلناه حكما) يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب

على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحنن وقادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن بجملة لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيده الله واشبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد باهله الذين أسنوا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الارحن اليمامة يعنون مسيلة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أي قل يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرك به) شيئا (اليه ادعوا) أي الى الله والى الايمان به أدعوا الناس (واليه مآب) يعني مرجعي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد

(قل) يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) مخلصا (ولا أشرك به) شيئا (اليه ادعوا) خلقه (واليه مآب) مرجعي في الآخرة (وكذلك أنزلناه) هكذا أنزلنا جبرائيل بالقرآن (حكما) القرآن كله حكم الله (عربيا) على مجرى لغة العربية

مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يشاركون فيها قبل (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أي بعد ثبوت ٥٠٠ العلم بالحج القاطمة والبراهين

يسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها كقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حوات عنها ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ ينسخ ذلك ﴿مالك من الله من ولي ولا واثق﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لا طمعهم وتهيج للمؤمنين على الثبات في دينهم ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ بشراً مثلك ﴿وجعلناهم أزواجاً وذرية﴾ نساء وأولاداً كما هي لك ﴿وما كان لرسول﴾ وما سمع له ولم يكن في وسعه ﴿أن يأتي بآية﴾ تقترح عليه وحكم يلمس منه ﴿الاباذن الله﴾

هذا الكتاب وهو القرآن عربياً بلسانك ولسان قومك وإنما سمي القرآن حكماً لأن فيه من التكليف والأحكام والحل والحرمان والنقض والإبرام فلما كان القرآن سبباً لتعكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل إن الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكماً لذلك المعنى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ قال جمهور المفسرين إن المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آبائهم فتوعد الله على اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم في الصلاة ليت المتدس ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ يعني بأنك على الحق وإن قبلت الكعبة هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدراً وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى ﴿مالك من الله من ولي ولا واثق﴾ يعني من ناصر ولا حافظ قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ روى أن اليهود وقيل المشركين قالوا إن هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة إلا في النساء فأنزل الله ذلك وقالوا لو كان كما يزعم أنه رسول الله لكان مشغولاً بالزهد وترك الدنيا فأجاب الله عن وجل عن هذه الشبهة وغالبهم به بقوله عن وجل ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يا محمد ﴿وجعلناهم أزواجاً وذرية﴾ فانه قد كان سليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة حرة وسبع مائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضاً في نبوته وكيف يعيرون عليك ذلك ويحملونه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ﴿وما كان لرسول﴾ أن يأتي بآية الاباذن الله ﴿هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في إثبات النبوة وقد أنعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يحجز عن مثلها البشر فإلههم أن يقترحوا عليه شيئاً وإتيان

الساطعة (مالك من الله من ولي ولا واثق) أي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واثق وهذا من باب التهيج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وإن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمسائك بالحنة والأفكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات فكان وكما هو يعيرونه بالزواج والولادة فتقترح عليه الآيات ويحذرون المسح من (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية) نساء وأولاداً (وما كان لرسول أن يأتي بآية الاباذن الله) أي ليس في وسعه إتيان الآيات على ما تقترح قومه وإنما ذلك إلى الله

(ولئن اتبعت أهواءهم) دينهم وقبلتهم (بعد ما جاءك من العلم) البيان بدين إبراهيم وقبلته (مالك من الله من ولي ولا واثق) من عذاب الله (من ولي) قريب ينفعك (ولا واثق) لا مانع يمنعك (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) كما أرسلناك (وجعلناهم أزواجاً) أكثر

من أزواجك مثل داود وسليمان (وذرية) أكثر من ذريتك مثل إبراهيم واسحق ويعقوب نزلت هذه الآية (الرسول) في شأن اليهود لقولهم لو كان محمد نبياً شغلته النبوة عن التزوج (وما كان لرسول أن يأتي بآية) بعلامة (الاباذن الله) بأمر الله

فانه الملى بذلك ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استحلالهم ﴿ يحو الله ما يشاء ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخته ﴿ ويثبت ﴾

الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤوا ذلك وقد كانوا يستجلبون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاء كتابا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجل الله كتابا قد أثبتته فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه ﴿ يحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقول من تلقاء نفسه أحاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ﴿ ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنظفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر أم أتى فيقضى ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقال ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص اخرجه مسلم

(ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون عنقة مثل ذلك ثم يكون مضغعة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وشتى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا أو الشقي سعيدا وقد سمع في فضل صلة الرحمن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحتم أن يموت قبله أو بعده وهو قوله

(لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما يقتضيه حكمته (يحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخا (ويثبت) بدله ما يشاء أو

(لكل أجل كتاب) لكل كتاب أجل مهلة مقدم ومؤخر (يحو الله ما يشاء) من ديوان الحفظه مالا ثواب ولا عقاب له (ويثبت)

ما تقتضيه حكمته وقيل يحوسب ثبات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يحسب من كتاب الحفظه ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أو ثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يحسب قرنا ويثبت آخر وقيل يحسب الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر

تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بإجابة الصحيح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعماره أوقاته بما ينفعه في الآخرة ومصائبها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها أنها بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمر زيد مثلا ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الأزل ما يقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يحسب الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة ولما انقلب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر أيضا لأن الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة إلى الشقاوة والأصل في هذا الاعتبار باختامة عند الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الأزل الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل نحو اذهب أثر الكتابة وضده الإثبات فمن العلماء من حل الآية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والإيمان بالله والكفر ونحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر أن كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبته في أهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبته في أهل الشقاوة فامحني منها واثبتني في أهل السعادة والمغفرة فالك نحو ما تشاء ويثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار أن الرجل يكون قريبا من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيدلى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند * وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حل معنى الآية على الخصوص في بعض الأشياء دون بعض فقال المراد بالنحو والإثبات نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل إن الحفظه يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظه مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربة دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة

يتركه غير منسوخ أو يحسب من ديوان الحفظه ما يشاء ويثبت غيره أو يحسب كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه ويثبت مدني وشامي وحجرة وعلى يترك له الثواب والعقاب

وحجة والكسائي وثبت بالتشديد ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ﴿ واما نرينك ﴾ بعض الذي نعدمه أو نتوفينك ﴿ وكيف ما دارت الحال ﴾ اربناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ لا غير ﴿ وعلينا الحساب ﴾ للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعدمهم فانما ناعلون له وهذا طائفة ﴿ أولم يروا انا انآنى الارض ﴾ أرض الكفرة ﴿ ننقصها

الله ثم يود لمعصية الله فيوت على ضلاله فهو الذي يحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يحو الله ما يشاء يعنى من جاء أجله فيذعبه ويثبت من لم يحيى أجله وقال سعيد بن جبير يحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقول عكرمة يحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يحو الله ما يشاء يعنى التمر ويثبت الشمس وقول الربع هذا فى الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محامه وأمسكده من أراد بقاءه أثبتته ورده الى صاحبه وقيل ارأته يثبت فى أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة تحاد وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو فى الحن والمصائب فهمى مثبتة فى الكتاب ثم يحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير ساقطة وقد جف التلم عما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا الخو والاثبات قلت الخو والاثبات مما جف به التلم وسبق به القدر فلا يحوشى ولا يثبت شيأ الا ما سبق به علمه فى الازل وعلية يترتب القضاء والقدر

مسئلة

استدل الرافضة على مذهبهم فى البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعتد شيأ ثم يظهر له خلاف ما اعتد به وتمسكوا بقوله يحو الله ما يشاء ويثبت واجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلى وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محلا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازى فى تفسير هذه الآية ﴿ وقوله تعالى ﴾ وعنده أم الكتاب يعنى أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذى لا يغير شيأ منها وروى عطية عن ابن عباس قال ان الله لو حافظ مائة سنة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفنان من ياقوتة لله فيد كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون ﴿ واما نرينك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ بعض الذى نعدمه ﴾ يعنى من العذاب ﴿ أو نتوفينك ﴾ يعنى قبل أن نريك ذلك ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ يعنى ليس عليك الاتباع الرسالة اليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ ﴿ وعلينا الحساب ﴾ يعنى وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فيجازيهم باعمالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أولم يروا انا انآنى الارض ننقصها

(وعنده أم الكتاب) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما نرينك بعض الذى نعدمه أو نتوفينك) وكيف ما دارت الحال أربناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) فما يجب عليك الاتباع الرسالة فحسب (وعلينا الحساب) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهملك اعراضهم ولا تستعجل بعدمهم (أولم يروا انا انآنى الارض) أرض الكفرة (ننقصها)

(وعنده أم الكتاب) أصل الكتاب يعنى اللوح المحفوظ لا يزاد فيه ولا ينقص منه (واما نرينك بعض الذى نعدمه) من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) نقبضك قبل أن نريك (فانما عليك البلاغ) التبليغ عن الله (وعلينا الحساب) الثواب والعقاب (أولم يروا) ينظروا أهل مكة (انا انآنى الارض) نأخذ الارض (ننقصها) نفحقها لمحمد صلى الله

من أطرافها ﴿ بفتحها ﴾ على المسلمين منها ﴿ والله يحكم ﴾ لا معقب لحكمه ﴿ لا راد له وحقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يتقو غريمه بالافتضاء والمعنى انه حكم الاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كأن لا يمكن تغييره ومحل

من أطرافها ﴿ يعني أولم يركفار مكة الذين سألو امحدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنا أنأتى الارض يعنى ارض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه قبح دار الشرك فان مازاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا أنأتى الارض ففتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أولا يعتبرون فيتمظنون وهذا قول ابن عباس وقناة وجاعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه ويخزله ما وعد وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا أنأتى الارض ففتحها ونهلك أهلها أولا يخافون أن نعمل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعمى نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجاعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب النباه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق علما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقل سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ماء لامة هالك الناس قال هالك العلماء فبلى هذا القول فلما راد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللغة بقول الفردق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى • أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازى ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقديره أن يقال أولم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فالذى ومنهم أن قلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلا بعد ما كانوا عزيزين ومتهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز ارسال الكلام ناقله ﴿ قوله تعالى ﴾ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴿ يعنى لا راد لحكمه ولا ناقض اقتضائه والمعقب هو الذى يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه

من أطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فنقتض دار الحرب ونزيد في دار السلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذى جلت ولا تتم ما وعدناك من النصر والظفر (والله يحكم لا معقب لحكمه)

لا راد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وحققته الذى يعقبه أى يقف به بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يتقو غريمه بالافتضاء والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لامعقب لحكمه النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لاعامة على رأسه ولا تنسوه له تريد حاسرا

عليه وسلم (من أطرافها) من نواحيها ويقال هو موت العلماء (والله يحكم) بفتح البلدان وموت العلماء (لا معقب) لا تغير (الحكمه

تيز (ومن عنده علم الكتاب) قبل الجزء الثالث عشر هو الله عز وجل ﴿٥٦﴾ والكتاب الوحي المحفوظ دال على قراءته من قرأ

ومن عنده علم الكتاب أي
ومن لديه علم الكتاب لأن علم
من علم من فعله واطفد وقيل
ومن هو من علماء أهل
الكتاب الذين أسلموا لأنهم
يشهدون بصدق كتبهم وقيل
ابن سلام في نزات هذه
الآية وقيل هو جبريل
عليه السلام ومن في موضع
الحرب بالمعطف على لفظ الله
أو في موضع الرفع بالمعطف
على محمل الجار والمختار
إذا التقدير كفي الله وعلم الكتاب
يرتفع بالمعطف في الظرف
فيكون قاعلا لأن الظرف
صالح من ومن هنا معنى الذي
والتقدير من ثبت عنده علم
الكتاب وهذا لأن الظرف
إذا وقع صلة يعمل عمل الفعل
نحو صمرت بالذي في الدار
أخوه فآخوه فاعل كما تقول
بالذي استقر في الدار أخوه
وفي القراءة بكسر ميم من
يرتفع العلم بالابتداء ﴿٥٦﴾ سورة
ابراهيم عليه السلام مكية
اثنتان وخمسون آية ﴿٥٦﴾

(ومن عنده علم الكتاب)

يعني عبد الله بن سلام وأصحابه
ان قرأت بالنصب ويقال هو
آصف بن برخيا لقوله تعالى
قال الذي عنده علم من الكتاب
ومن عنده من عند الله علم

فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ﴿٥٦﴾ ومن عنده علم الكتاب ﴿٥٦﴾
علم القرآن ومما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام واذن ربه أو علم
الوحي المحفوظ وهو لله تعالى أي وكفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم في الوحي المحفوظ
الا هو شهيدنا فيجزي الكذب منا وبؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر علم الكتاب
وعلى الاول يرتفع بالظرف فنه قد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره
وهو متبين لثانية وتري ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن
كل صحاب مضي وكل صحاب يكون الى يوم القيامة وبث يوم القيامة من الموفين بهد لله تعالى
﴿٥٦﴾ سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية ﴿٥٦﴾

المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات
القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبي امره من عند الله ﴿٥٦﴾ ومن عنده علم الكتاب ﴿٥٦﴾ يعني ومن
عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحته واختلافه في الذي عنده علم الكتاب من
هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود
بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لم يجحد من لدلائل
الدالة على نبوته فيها شهد بذلك من شهادته وانكره من أنكره منهم وقيل انهم مؤمنوا أهل
الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قل قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشبي هذا وقيل هذه
السورة مكية وعبد الله بن سلام أسيا بالدين المذمومة وقيل يونس اسيد بن جبر ومن عنده علم
الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقيل
الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي
يستحق العبادة والذي لا يعلم ما في الوحي المحفوظ الا هو شهيدنا بيني وبينكم قل الزجاج
الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه غيره وهذا قول مشكل لأن عطف العطف على الموصوف
وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهيد هذا زيدو الفقهاء بل يقال شهيد هذا زيد
الفقهاء لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال
وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عنده علم الكتاب
ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي
جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن
الأمم الماضية فن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
﴿٥٦﴾ تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل ﴿٥٦﴾

﴿٥٦﴾ الصلاة والسلام ﴿٥٦﴾

﴿٥٦﴾ وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا

الكتاب تبين القرآن ان قرأت باخضض وهو الكتاب الذي أنزلناه اليك ﴿٥٦﴾ ومن السورة التي (الى)
يذكر فيها ابراهيم وهي كلها مكية آياتها خمسون وكلماتها ثمانمائة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الركناب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه إليك) في موضع الرفع صفة للسكر (لتخرج الناس) بدعائك أيهم (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى (بإذن ربهم) بتدبيره وتسهيله مستعار ﴿٥٠٧﴾ من الإذن الذي {سورة إبراهيم} هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (إلى صراط) بدل من النور بتكرير العامل (العزیز) الغالب بالانتقام (الحديد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجري غيرهما على أنه عطف بيان للعزیز الحديد (الذي له ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملاك

ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعدهم الكافرين بالويل وهو تقيض الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد)

واحدى وثلاثون وحرورها ثلاثه آلاف وأربعمائه وأربع وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (أر) يقول أنا الله أرى ما تقولون وما تعملون ويقال قسم أقسم به (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه إليك) أنزلنا إليك جبريل به (لتخرج الناس) لتدعو أهل مكة (من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان (بإذن ربهم) بتدبيره وتسهيله مستعار ﴿٥٠٧﴾ من الإذن الذي {سورة إبراهيم} هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (إلى صراط) بدل من النور بتكرير العامل (العزیز) الغالب بالانتقام (الحديد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجري غيرهما على أنه عطف بيان للعزیز الحديد (الذي له ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملاك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الركناب) أي هو كتاب ﴿أنزلناه إليك﴾ لتخرج الناس ﴿بإذن ربهم﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صفة لتخرج أوحا من فاعله أو مفعوله ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه وإضافة الصراط إلى الله تعالى إماما لأنه مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتبديع على أنه لا يدل سبيله ولا ينجب سائله ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر والله خبر مبتدأ محذوف والذي صغته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزیز لأنه كالعالم لا يختصا صده بالمعبود على الحق ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من

إلى آخر الآيتين وهي إحدى وقبل اثنتان وخمسون آية وثمنامائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل ﴿ألر كتاب أنزلناه إليك﴾ يعني هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الإيمان قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فمخرج عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الإيمان والهدى بالنور وهو قلقة مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والإيمان فليس الا واحدا ﴿إذن ربهم﴾ بمعنى باسم ربهم وقيل بعلم ربهم ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ يعني إلى دين الإسلام وهو دينه الذي أمر به عباده والعزیز هو الغالب الذي لا يعطب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد ﴿الله﴾ قرئ بأرفع على الاستئناف وخبر ما بعده وقرئ بالجري نعتا للعزیز الحميد وقال أبو عمرو قراءة الخفس على التثنية والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني ملكا وما فيهما عبيده ﴿وويل للكافرين﴾ يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات وما في الأرض وعبدوا من لا يملك شيأ البتة بل هو مملوك لله لانه من جلة خلق الله تعالى ومن جلة ما في السموات وما في الأرض ﴿من عذاب شديد﴾ يعني معذبتهم في الآخرة ثم

ربهم) بأمر ربهم تدعوهم (إلى صراط) إلى دين (العزیز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحميد) لمن وحده ويقال المحمود في فعاله (الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) من الخلق والعجائب (وويل) واد في جهنم من أشدها حرا وأضيقها مكانا وأبعدها قرا فتقول يارب قد اشتد حري وضاق مكاني وبعد قمرى فأذن لي حتى أنتقم ممن عصاك ولا تجعل شيأ ينتقم مني (للكافرين من عذاب شديد) غليظ

وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويغفونها عوجا) يطلبون سبيل الله زيفاً وعوجاً والاصل ويغفون لها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك في ضلال بعيد) الجزء الثالث عشر { عن الحق } ٥٠٨ ووصف الضلال بالبعد من الاسناد

المجازي والبعد في الحقيقة للضلال لانه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جدجده أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعنى الذين أو هم الذين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الامتكلما بلغتهم (ليبين لهم) ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نعلم ما خوطب به فان قلت ان رسولنا صلى الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعاً بقوله قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان يزل بجميع الاسنة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الاسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل وتعين أن يزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى بالتميين لانهم أقرب اليه ولا بد أبعد من التحريف والتبديل

الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو الحجة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصدده وهو منقول من صدصودوا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويغفونها عوجا ويغفون لها زيفاً ونكوباً عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أو على انه مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد أى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضلال فوصف به فعله للمبالغة أو الامر الذي به الضلال فوصف به لما يستدعي وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه الاباغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عند يسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه الى لغيتهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوه واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولاً ولو نزل على من بعث الى ائمة مختلفة كتب على سنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة وصفهم فقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ويصدون عن سبيل الله أى ويغفونها عوجاً ويغفون لها زيفاً وعوجاً وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائدين عن القصد وقيل الهاء في ويغفونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام أولئك أى من هذه صفته في ضلال بعيد أى عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد أى فيه بعد لان الضلال بعد عن الطريق قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى بلغته قومد ليفهموا عند ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ليبين لهم ما أمرناهم وما ينذرونه فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعاً بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانسان وهم على السنة مختلفة ولغات حتى وقوله بلسان قومد وليس قومد سوى العرب يقتضى بظاها انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثاً الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل

(الذين يستحبون الحياة الدنيا) يختارون الدنيا (على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دين (يحتمل) الله وطاعته (ويغفونها عوجاً) يطلبونها غيراً (أولئك) الكفار (في ضلال بعيد) عن الحق والهدى ويقال في خطابين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) بلغته قومد (ليبين لهم) بلغتهم ما أمرهم وما نهوا عنه ويقال بلسان يقدر ان يتعلموا منه

(فيضل الله من يشاء) من آثر سبب ﴿ ٥٠٩ ﴾ الضلالة (ويهدى) سورة ابراهيم { من يشاء } من آثر سبب

الاقتداء (وهو العزيز)
فلا يغالب على مشيئته
(الحكيم) فلا يخذل الا
أهل الخذلان (ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا) التسع (أن
أخرج قومك) بأن أخرج
أرأى أخرج لان الارسل
فيه معنى القول كانه قيل
أرسلناه وقلناه أخرج
قومك (من الظلمات الى
النور وذكرهم بأيام الله)
وأنذرهم بوقائمه التي
وقعت على الامم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه
أيام العرب لحروبها وملاحمها
أو بأيام الانعام حيث ظل
عليهم الغمام وأنزل عليهم
المن والسلوى وخلق لهم

(فيضل الله) عن دينه (من
يشاء) من كان أهلاً لذلك
(ويهدى) لدينه (من يشاء)
من كان أهلاً لذلك (وهو
العزيز) في ملكه وسلطانه
ويقال العزيز بالنعمة لمن لا
يؤمن به (الحكيم) في أمره
وقضائه ويقال الحكيم
بالاضلال والهدى) ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا) التسع
اليد والعصا والطوفان
والجراد والقمل والضفادع
والدم والسنين ونقص
من الثمرات (ان أخرج
قومك) ان ادع قومك

واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وفي اتعاب
القرائح وكذا النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كرش
وريش ولسن بضمين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعد وقيل الضمير في قومه لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه
السلام أو كل نبي بلغته المنزل عليهم وذلك يرد قوله ليعين لهم فانه ضمير القوم والتوراة
والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب ﴿ فيضل الله من يشاء ﴾ فيخذه عن الايمان
﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق له ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يغلب شئ على مشيئته ﴿ الحكيم ﴾
الذي لا يضل ولا يهدى الاحكامه ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ يعني اليد والعصا
وسائر معجزاته ﴿ ان أخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ بمعنى أى أخرج لان في
الارسل معنى القول أو بان أخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فتصح
ان يوصل به ان الناصبة ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ بوقائمه التي وقعت على الامم الدارجة

يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير
جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكانت
دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم
في ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهمه لمن
يحتاج الى ذلك من غير أهله واذا كان الكتاب واحداً بلغة واحدة مع اختلاف الامم
وتباين اللغات كان ذلك أبغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغوامضه
وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله ﴿ فيضل الله من يشاء ويهدى من
يشاء ﴾ يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء
﴿ وهو العزيز ﴾ يعني الذي يغلب ولا يغلب ﴿ الحكيم ﴾ في جميع أفعاله ﴿ قوله عن
وجل ﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴿ المراد بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه
الصلاة والسلام مثل العصا واليد وخلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة
﴿ أن أخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ أى أن أخرج قومك بالدعوة من ظلمات
الكفر الى نور الايمان ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ قال ابن عباس وأبى بن كعب ومجاهد
وقناة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب
أى بوقائعهم وانما اراد بما كان في أيام الله من النعمة والنقمة فاخبر بذكر الايام عن
ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظمهم بالترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى
من قبلهم بمن آمن بالرسول فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس
الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله وقيل بأيام الله في حق موسى أن
يذكر قومه بأيام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم
سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين

(من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (وذكرهم بأيام الله) بأيام عذاب الله ويقال بأيام رجة

البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على البلاء (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا قال موسى اقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجياكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظفر للنعمة بمعنى الانعام { الجزء الثالث عشر } أى انعامه ٥١٠ ﴿ عليكم ذلك الوقت أو بدل

اشتمال من نعمته الله أى اذكروا وقت انجياكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بالواو وهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جمل تفسيراً للعذاب وبسبب ناله وحيث أثبت الواو جمل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر (ويستحيون نساءكم) وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أوالى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر

الله (ان في ذلك) في اذ ذكرت (لآيات) املامات (لكل صبار) على الطاعة (شكور) على النعمة (واذا قال موسى لقومه) وقد قال موسى لقومه بنى اسرائيل (اذكروا نعمت الله عليكم) منة الله عليكم (اذ أنجياكم من آل فرعون) من فرعون وقومه القبط (يسومونكم سوء العذاب) يذبونكم بأشد العذاب (ويذبحون أبناءكم)

وايام امرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ﴿ ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ يصبر على البلاء ويشكر نعمائه فانه اذا سمع بانزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تذكيراً على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن ﴿ واذا قال موسى اقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجياكم من آل فرعون ﴾ أى اذكروا نعمته وقت انجاءكم ﴿ ويجوز ان يذنب بعلينكم ان جملة مستقرة غير سائلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلاً من نعمته الله بدل الاشتمال ﴿ يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ احوال من آل فرعون أو من ضمير الخاطئين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب أو استعمالهم واستعمالهم بالأعمال الشاقة ﴿ وفي ذلكم ﴾ من حيث انه باقدار الله تعالى ايهاهم وامهالهم فيه ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ ابتلاء منو ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة

﴿ ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالبلاء بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المستفوعون بها دون غيرهم فهنا خمسة بالآيات فكانها امست لغيرهم فهو كقولهم ربهى المتقين ولان لا تنفع بالآيات لا يمكن حسنة الامن يكون صار اشاكر اماً من لم يكن كذلك فلا ينفع بها البتة ﴿ واذا قال موسى اقوم اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بأيام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا نعمته الله عليكم ﴿ اذ أنجياكم ﴾ من آل فرعون ﴿ أى اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذى أنجياكم فيه من آل فرعون ﴾ يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ﴿ فان قلت قل في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو والفرق وقت انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاني القوم زيد وعمر واذ أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضاً فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لانه تفسير للعذاب ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ يعنى يتركونهن أحياء ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا

صفارا (ويستحيون) يستحون (نساءكم) كبارا (وفي ذلكم) في ذبح الابناء واستخدام النساء (بلاء من ربكم عظيم) بلية من ربكم عظيمة ابتلاكم بها ويقال وفي ذلكم في انجاء الله لكم بلاء من ربكم عظيم نعمة من ربكم

والخير فتنة (واذ تأذن ربكم) أى أذن ونظير تأذن وأذن توعده وأوعده ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كانه قيل واذا أذن ربكم ايذا نابليغا تفتي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذا قل موسى لقومه اذكروا ﴿٥١١﴾ نعمة الله {سورة ابراهيم} عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لازيدنكم) نعمة الى نعمة (وائن كفرتم ان عذابي لشديد) فاملى اعذبكم على الكفر ان عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على انه مجرى مجرى قول لانه ضرب منه ﴿٥١٢﴾ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا ﴿٥١٣﴾ من الثقلين ﴿٥١٤﴾ فان الله افنى ﴿٥١٥﴾ عن شكركم النعمة ﴿٥١٦﴾ حديد ﴿٥١٧﴾ مستحق الحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات الخلق فاما ضررتكم بالكفر ان الانفسكم حيث حرمتوها من زيادة الانعام

﴿٥١٨﴾ واذا تأذن ربكم ﴿٥١٩﴾ ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى أذن كتوعده وأوعده غير انه اباع لما في الفعل من معنى التكلف والمبالغة ﴿٥٢٠﴾ ائن شكرتم ﴿٥٢١﴾ يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايان والعمل الصالح ﴿٥٢٢﴾ لا يزيدنكم ﴿٥٢٣﴾ نعمة الى نعمة ﴿٥٢٤﴾ وائن كفرتم ان عذابي لشديد ﴿٥٢٥﴾ فاملى اعذبكم على الكفر ان عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على انه مجرى مجرى قول لانه ضرب منه ﴿٥٢٦﴾ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا ﴿٥٢٧﴾ من الثقلين ﴿٥٢٨﴾ فان الله افنى ﴿٥٢٩﴾ عن شكركم النعمة ﴿٥٣٠﴾ حديد ﴿٥٣١﴾ مستحق الحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات الخلق فاما ضررتكم بالكفر ان الانفسكم حيث حرمتوها من زيادة الانعام

الوجود أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تدافع الانباء فيد لاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيون من ويتكفون من تحت أيديهم كالامم فكان ذلك بلاء ﴿٥٣٢﴾ واذا تأذن ربكم ﴿٥٣٣﴾ هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن أذن أى أعلم ولا بد في فعل من زيادة معنى ليس في أفعل كانه قيل واذا أذن ربكم ايذا نابليغا تفتي عنده الشكوك والشبه والمعنى واذا تأذن ربكم فقال ﴿٥٣٤﴾ ائن شكرتم ﴿٥٣٥﴾ يعني يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايان الخالص والعمل الصالح ﴿٥٣٦﴾ لا يزيدنكم ﴿٥٣٧﴾ معنى نعمة الى نعمة ولا ضائف لكم ما آتيتكم قبل شكر الموجود صيد المفقود وقيل ائن شكرتم بالطاعة لا يزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واطهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أفسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تتأكد محبة عبد الله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله ﴿٥٣٨﴾ وائن كفرتم ﴿٥٣٩﴾ المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ﴿٥٤٠﴾ ان عذابي لشديد ﴿٥٤١﴾ يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها ﴿٥٤٢﴾ وقال موسى ان تكفروا ﴿٥٤٣﴾ يعني يا بني اسرائيل ﴿٥٤٤﴾ أنتم ومن في الارض جميعا ﴿٥٤٥﴾ يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم بحرمانها الخير كله ﴿٥٤٦﴾ فان الله افنى ﴿٥٤٧﴾ يعني عن جميع خلقه ﴿٥٤٨﴾ حديد ﴿٥٤٩﴾ أى

عظيمة أنعمكم بها (واذا تأذن ربكم) قال ربكم وأعلم ربكم في الكتاب (لئن شكرتم) بالتوفيق والعصمة والكرامة

والنعمة (لازيدنكم) توفيقا وعصمة وكرامة ونعمة (وائن كفرتم) بى أو بنعمتي (ان عذابي لشديد) لمن كفر (وقال موسى ان تكفروا) بالله (أنتم ومن في الارض جميعا فان الله افنى) عن ايمانكم (حديد) لمن وحده

(ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم في الجزء الثالث عشر في قوم نوح وعاد ٥١٢ ونمود) من كلام موسى لقومه

وأبتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثيرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبابا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضميران يعودن الى الكفرة أى أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجبا أو عضوا عليها تغيظا أو أثنائي يعود الى الانبياء أى رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما (ألم يأتكم) بأهل مكة (نبا) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) يعنى قوم هود (ونمود) يعنى قوم صالح (والذين من بعدهم) من بعد قوم صالح قوم شعب وغيرهم كلف اهلكهم الله عند التكذيب (لا يعلمهم) لا يعلم

وعرضتموها للعذاب الشديد (ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد ونمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا أو الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) فعضوها غيظا لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الفيظ أو وضعوها عليها تعجبا مندأ واستهزاء عليه كمن غلب الضحك أو اسكتا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرا لهم باطباق الأفواه وأشاروا بها الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا نبيها على ان لا جواب لهم سواه أو ردوها في أفواه الانبياء ينعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا

محمود في جميع أفعاله لانه متفضل وعادل (ألم يأتكم نبا) يعنى خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد ونمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم به لانه من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكركم بذلك أمم القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم (والذين من بعدهم) يعنى من بعد هؤلاء الامم الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) يعنى لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شئ الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفي الله علم ذلك عن الابداد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يذكره أن ينسب الانسان نفسه أبأبأ الى آدم لانه لا يعلم أولئك الآباء الا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الايدى والأفواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أى كذبتة وقال الكلبي يعنى ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعنى انهم وضعوا الايدى على الأفواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلب الضحك . القول الثاني ان المراد بالايدي والأفواه غير الجارحتين فقل المراد بالايدي النعم وممناء ردوا ما لوقبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندى

عددهم وعذابهم أحد (الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات (فردوا أيديهم في أفواههم) (يد) على أفواههم يقول ردوا على الرسل ما جاؤا به ويقال وضعوا أيديهم على أفواههم وقالوا للرسل اسكتوا

أرسلوا به (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا في شك مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد (مريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) ٥١٣ أدخلت همزة { سورة ابراهيم } الانكار على الظرف لان

الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا في شك (فاطر السموات والارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجئ مع من الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوا وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكأن ذلك للفرقة بين الخطابين ولذا يسوى بين الفريقين في الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أي

والاسكتهم (وقالوا) للرسول (انا كفرنا) جحدنا (بما أرسلتم به) من الكتاب والتوحيد (وانا في شك مما تدعوننا اليه) من الكتاب والتوحيد (مريب) ظاهر الشك فيما تقولون (قالت رسلهم أفي الله شك) أفي وحدانية الله شك

وقيل الايدي بمعنى الايدي أي ردوا الايدي الانبياء التي هي مواضعهم وما وحى اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه ﴿وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم ﴿وانا في شك مما تدعوننا اليه﴾ من الايمان موقري تدعوننا بالادغام ﴿مريب﴾ موقع في الريبة أو ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء ﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي انما تدعونكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه و اشار الى ذلك بقوله ﴿فاطر السموات والارض﴾ وهو صفة أو بدل وشك مرتفع بالظرف ﴿يدعونكم﴾ الى الايمان بعبثا يانا ﴿ليغفر لكم﴾ أو يدعونكم الى المغفرة كقولك دعوتك لينصرتني على اقامة المفعول له مقام المفعول به ﴿من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يحبه دون المظالم وقيل جئ بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيدان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك في تناول الخروج عن المظالم ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم ﴿قالوا﴾

يدأى نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ماأمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيدا اذا أمسك عن الجواب فلا يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم ﴿وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به﴾ يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقرروا بانهم أرسلوا اليهم لانهم لو أفروا بان الرسل أرسلوا اليهم لكنا مؤمنين ﴿وانا في شك مما تدعوننا اليه مريب﴾ يعني يوجب الريبة أو يوقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم قالوا أولا انا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا في شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك ﴿قالت رسلهم﴾ يعني محبين لاممهم ﴿أفي الله شك﴾ يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه ﴿فاطر السموات والارض﴾ يعني هل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما ﴿يدعونكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها اصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يماجلكم بالعذاب ﴿قالوا﴾ يعني الامم محبين للرسول

(فاطر السموات) خالق السموات (قاو خا ٦٥ لث) (والارض يدعوكم) الى التوبة والتوحيد (ليغفر لكم) بالتوبة والتوحيد (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم) يؤجلكم بلاعذاب (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم يعني الموت (قالوا) للرسول

القوم (ان أنتم) ما أنتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدوا عما كان يعبد آباؤنا) يعنى الاصنام (فأنونا بسلطان مبین) بحجة بينة وقد جاءتهم رسالهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تمتنا ولجأنا (قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم) تساميم اقوالهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده) بالايان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله) جواب اقوالهم فأنونا بسلطان { الجزء الثالث عشر } بين والمعنى ٥١٤ **﴿﴾** أن الاتيان بالآية التي قد اقترحتوها ليس اليها

ولا في استطاعتنا وانما هو امر يتعلق بعشيرة الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كانهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايدانكم ألا ترى الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) معناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هداانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل مناسبه الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبر على ما آذيتونا) جواب قسم مضمير أى حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يسكوا عن دعائهم

ان أنتم (ما أنتم) (الابشر) آدمي (مثلنا تريدون ان

ان أنتم الابشر مثلنا) لافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا **﴿﴾** بهذه الدعوة **﴿﴾** فأنونا بسلطان مبین يدل على فضلهم واستحقاقهم بهذه المزية أو على صحة ادعائكم بالنبوة كما أنهم لم يعتبروا ما جازاه من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تمتنا ولجأنا **﴿﴾** قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده **﴿﴾** سلّموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجع بعض الجزئات على بعض بعشيرة الله تعالى **﴿﴾** وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله **﴿﴾** أى ليس لنا الاتيان بالآيات ولا استبدبه استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتوه وانما هو امر متعلق بعشيرة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات **﴿﴾** وعلى الله فليتوكل المؤمنون **﴿﴾** فالتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألا ترى قوله تعالى **﴿﴾** وما لنا أن لا نتوكل على الله **﴿﴾** أى أى عذر لنا في أن لا نتوكل عليه **﴿﴾** وقد هداانا سبلنا **﴿﴾** التي بها نمرقدون علم ان الامور كلها بيده وقرأ أبو عمرو والتخفيف ههنا وفي المنكوت **﴿﴾** ولنصبرن على ما آذيتونا **﴿﴾** جواب قسم مخذوف اكدوا به توكلهم وعدم ميالاتهم بما يحزى من

﴿﴾ ان أنتم (ما أنتم) (الابشر مثلنا) يعنى في الصورة الظاهرة لستم ملائكة **﴿﴾** تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا **﴿﴾** يعنى ما تريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها **﴿﴾** فأنونا بسلطان مبین **﴿﴾** معنى حجة بينة واضحة على صحة دعواكم **﴿﴾** قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم **﴿﴾** يعنى ان الكفار لما قالوا الرسالهم ان أنتم الابشر مثلنا قالت لهم رسالهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قسم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لانكر ذلك **﴿﴾** ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده **﴿﴾** يعنى بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف **﴿﴾** وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله **﴿﴾** يعنى وايس انامع ما خصنا الله من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتىكم بآية وبرهان ومجزة تبدل على صدقنا الا باذن الله به لنا في ذلك **﴿﴾** وعلى الله فليتوكل المؤمنون **﴿﴾** يعنى في دفع شرور أعدائهم عنهم **﴿﴾** وما لنا أن لا نتوكل على الله **﴿﴾** يعنى ان الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيدنا شئ الا بقضاء الله وقدره فنحن نشق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا **﴿﴾** وقد هداانا سبلنا **﴿﴾** يعنى وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد **﴿﴾** ولنصبرن **﴿﴾** الام لام القسم تدبره والله لنصبرن **﴿﴾** على ما آذيتونا **﴿﴾**

تصدونا (تصدفونا) عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأنونا بسلطان مبین) بكتاب وجملة (قالت لهم رسالهم ان نحن) (يعنى) مانحن (الابشر) آدمي (مثلكم) يقول خلق مثلكم (ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده) بالنبوة والاسلام (وما كان لنا) ما ينبغي لنا (ان نأتىكم بسلطان) بكتاب وجملة (الا باذن الله) بأمر الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول وعلى المؤمن ان يتوكلوا على الله فقالوا الرسل توكلوا انتم على الله حتى تروا ما يفعل بكم فقات الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هداانا سبلنا) اكرمنا بالنبوة والاسلام (ولنصبرن على ما آذيتونا)

(وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكراراً (وقال الذين كفروا الرسولهم) سبلنا الرسولهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن في ملتنا) أى ليكون أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحافوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو ٥١٥ كثير في كلام سورة ابراهيم العرب أو خاطبوا به كل

رسول ومن آمن معه فقبلوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فاوحى اليهم ربهم لهم لكن الظالمين) القول مضمر أو أجرى الايجاز مجرى القول لانه ضرب منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أى أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك والاسكان أى ذلك الامر حق (لمن خاف مقامى) موقفى وهو موقفى وهو موقفى الحساب أو لمقام متعجب أو خاف قيامى عليه بالعلم كقوله أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابى وبالباء يعقوب (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى

الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون أحد الامرين اما اخراجهم للرسول أو عودهم الى ملتهم وهو معنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فقبلوا الجماعة على الواحد (فاوحى اليهم ربهم) أى الى رسوله (لنهلكن الظالمين) على اضممار القول أو اجراء الايجاز مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أى أرضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرى ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لاوحى كقوله اقسم زيد لنخرجن ذلك إشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام متعجب وخاف وعيد أى رعى عدى بالعذاب أو عذابى الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة

بمعنى به من قول أو فعل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثانى فيه اشارة الى السعى فى التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا معنى ليكون أحد الامرين اما اخراجكم أبها الرسل بن بلادنا وأرضنا واما عودكم في ملتنا فان قلت هذا يومهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم في أول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيدوجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أمهم فلما أرسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعواهم الى الله فقالوا اللهم لتعودن في ملتنا ظناهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجاع الامم على ان الرسل من أول الامر انما نشؤا على التوحيد لا يعرفون غيره (فاوحى اليهم ربهم) معنى ان الله تعالى أوحى الى رسوله وأنبأه بهذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) معنى ان عاقبة أمرهم الى الهلاك فلا تخافوهم (ولنسكننكم الارض من بعدهم) معنى من بعد هلاكهم ذلك معنى ذلك الاسكان لمن خاف مقامى معنى خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف أفعالها الى أنفسها كقولهم ندمت على ضربى اياك وندمت على ضربك مثله وخاف وعيد أى وخاف عذابى قوله عز وجل (واستفتحوا) معنى واستنصروا قال ابن عباس معنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أمهم وذلك انهم لما

في ابداننا بطاعة الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثب الواثقون (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا) من مدينتنا (أو لتعودن) تدخلن (في ملتنا) في ديننا (فاوحى

اليهم) الى الرسل (ربهم) ان اصبروا (لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم) لنزائكم (الارض) أرضهم وديارهم (من بعدهم) من بعد هلاكهم (ذلك) التسكين (لمن خاف مقامى) القيام بين يدي (وخاف وعيد) عذابى (واستفتحوا) استنصروا كل

فنصر واوظفروا وأفلحوا
وخاب كل جبار عنيد وهم
قومهم وقيل الضمير للكفار
ومعناه واستفتح الكفار
على الرسل ظنا منهم بأنهم
على الحق والرسل على
الباطل وخاب كل جبار عنيد
منهم ولم يفلح باستفاحه
(من ورائه) من بين يديه
(جهنم) وهذا وصف حاله
وهو في الدنيا لأنه مرصد
لجهنم فكان بين يديه وهو
على شفيرها أو وصف حاله
في الآخرة حيث يبعث
ويوقف (ويسقى) معطوف
على محذوف تقديره من
ورائه جهنم باقى فيها ما يتقى
ويسقى (من ماء صديد)
ما يسيل من جلود أهل النار
وصديد عطف بيان لماء
لأنه بهم فين بقوله صديد
(يتجرعه) يشربه جرعة
جرعة (ولا يكاد يسيغه)
ولا يتقارب أن يسيغه
فكيف تكون الاساغفة
كقوله لم يكدر براها أي لم
قوم على نبيهم (وخاب كل
جبار) خسر عند الله
من النصر كل متكبر ختال
(عنيد) معرض عن الحق
والهدى (من ورائه) من قدام
هذا الجبار بعد الموت (جهنم
ويسقى من ماء صديد) مما
يخرج من جلودهم من القيح والدم

كقوله ربنا اقم بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاجى والضمير للأنبياء عليهم
الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفرقيين فان كلهم سألوه ان ينصر الحق ويهلك
المطل. وقرئ بلفظ الامر عطفًا على انه لكان ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ أي ففتح لهم
فأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان
الاستفتاح من الكفرة أو من القبياتين كان اوقع ﴿من ورائه جهنم﴾ أي من بين يديه فانه
مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته
وحقيقته ما توارى عنك ﴿ويسقى من ماء﴾ عطف على محذوف تقديره من ورائه
جهنم باقى فيها ما يتقى ويسقى من ماء ﴿صديد﴾ عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود
أهل النار ﴿يتجرعه﴾ يتكلم جرعه وهو وصف لماء أو حال من الضمير في يسقى ﴿ولا يكاد
يسيغه﴾ ولا يتقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغرس به فيطول عذابه والسوغ جواز
أيسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالهدى ﴿وخاب﴾ يعني
وخسر وقيل هلك ﴿كل جبار عنيد﴾ والجبار في صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه
بإدعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه
أحد أو قيل الجبار المتكبر في نفسه المتكبر على أقرانه والعبد الماند للحق ومجاهد لمجاهد
وقيل ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي بأبي أن يقول
لا اله الا الله وقيل العبد هو الموجب لعائده وقيل العبد الذي يماند ويخالف ﴿من ورائه
جهنم﴾ يعني هي أمامه وهو دائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد يعني أنه يقال
وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني أنه
سأيتك ﴿يسقى﴾ يعني في جهنم ﴿من ماء صديد﴾ وهو ما يسيل من الجلود والمخيم من انقيح
جمل ذلك شراب أهل النار وقت محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يستقاه الكافر
وهو قوله ﴿يتجرعه﴾ أي يحمسه ويشربه لاجرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لم يراثة
وحرارته وكرهه وتنته ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب
في الحق إذا سهل التحذره فيقال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمضى تجرعه ولا يسيغه وقال
صاحب الكشاف دخلت بكاد للمبالغة يعني ولا يتقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغفة
وقيل بعضهم ولا يكاد يسيغه أي يسيغه بعد ابتلاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أي قت
بعد ابتلاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه
يكاد لا يسيغه ويسغه فيؤلى في جوفه ﴿عن أبي أمامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه
فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاه حتى يخرج من دبره
قال وسقوا ماء جيمًا فقطع أمعاهم وقال وان يستفيشوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه
بئس الشراب وساءت مرتفقًا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله وقعت فروة
رأسه أي جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها ﴿وقوله تعالى

يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفتيح لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وما هو بعيت) لانه لومات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب ٥١٧ غليظ) أى { سورة ابراهيم } فى كل وقت يستقبله ينال

عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى الاجساد (مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا بربه) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الريح

مدنى (فى يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال الكفرة المنكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعتيق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح

(ويأتيه الموت) غم الموت (من كل مكان) من تحت كل شعرة ويقال تأخذه النار من كل مكان من كل ناحية (وما هو بعيت) من ذلك

الشراب على الخاق بسهولة وقبول نفس ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان ﴾ أى أسبابه من الشدائد فحيط به من جميع الجهات وقبل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجليه ﴿ وما هو بعيت ﴾ فيستريح ﴿ ومن ورائه ﴾ ومن بين يديه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى يستقبل فى كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المظفر فى سديهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فنجب رجاؤهم فلم يستقموا واعد لهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقيهم صديد اهل النار ﴿ مثل الذين كفروا بربه ﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة وقوله ﴿ أعمالهم كرماد ﴾ وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ﴿ اشتدت به الريح ﴾ حملت واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الريح ﴿ فى يوم عاصف ﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للبالغه كقولهم نهارة صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتيق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفه الله تعالى والتوجه به اليه أو أعمالهم

﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بعيت ﴾ أى ان الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التبي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدمه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بعيت فيستريح وقال ابن جرير تعلق نفسه عند خنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفذ الحياة ﴿ ومن ورائه ﴾ يعنى أمامه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى شديد قيل هو الخلود فى النار ﴿ قوله تعالى ﴾ مثل الذين كفروا بربه أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ﴿ هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيديوه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقول المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا بربه فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليد وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربه أعمالهم كرماد كقولك فى صفة زيد عرسه مصون وماله مبذول والمادة مروف وهو ما يسقط من الخطب والفهم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعنى ففسفته وطيرته ولم تبق منه شيأ فى يوم عاصف وصب اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحار والمطر توجد فيهما وقيل معناه فى يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التى لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو

العذاب (ومن ورائه) من بعد الصديد (عذاب غليظ) شديد أشد من الصديد (مثل الذين كفروا بربه أعمالهم) يقول مثل أعمال الذين كفروا بربه (كرماد اشتدت) ذرت (به الريح فى يوم عاصف) قاصف شديد من الريح

العاصف (لا يقدر) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له اثر من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) إشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الصواب (المتر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد { الجزء الثالث عشر } (أن الله خالق السموات والارض) خالق مضافا

حزوة على (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على اعدام الموجود ويجاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر (وبرزوا لله جميعا) وبرزون يوم القيامة وانما جى به بلفظ الماضي لان ما أخبر به عن

(لا يقدر) مما كسبوا على شيء (يقول لا يجدون ثواب شيء مما عملوا من الخير في الكفر كما لا يوجد من الرماد شيء اذا ذرته الريح) (ذلك) الكفر والعمل غير الله (هو الضلال البعيد) الخطأ البعيد عن الحق والهدى (المتر) ألم تخبر يا محمد خايب بذلك نبه و اراد به قومه (ان الله خلق السموات والارض بالحق) لبيان الحق والباطل ويقال للزوال والفناء (ان يشأ يذهبكم) يهلككم أو يمتكم يا أهل مكة (ويأت بخلق

للانسان برما يطيرته الريح العاصفة لا يقدر) يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثر من الثواب وهو فذلك التمثيل ذلك إشارة الى ضلالهم مع حساباتهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق المتر خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقبل لكل واحد من الكفرة على التلويح ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حجة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليةهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير المطابع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يتمتع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بتقدير دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان مؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقبل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كلها وقبل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجد خسراتهم أنهم أنعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينفعوا بها فصارت وبالاعلهم وقيل أراد بالاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الرياح وصار هباء لا ينفذ به وهو قوله تعالى لا يقدر) مما كسبوا معنى في الدنيا على شيء يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم وفي الآخرة ذلك هو الضلال البعيد يعني ذلك الخسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح ان يشأ يذهبكم يعني أيها الناس ويأت بخلق جديد يعني سواكم أطوع الله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم واماتهم ويجاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قبل هذا خطاب لكفار مكة يريد بمتكم يامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع وما ذلك على الله بعزيز يعني بمتع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا

جديد) يخلق خلقا آخر خيرا منكم وأطوع الله (وما ذلك على الله بعزيز) بشديد يقول ليس على الله بشديد (يعني) أن يهلككم ويخلق خلقا آخر (وبرزوا لله) خرجوا من القبور بامر الله (جميعا)

وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد نحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرزه أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية أخرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو (للذين استكبروا) بهم السادة ﴿٥١٩﴾ والرؤساء الذين ﴿سورة إبراهيم﴾ استغفواهم وصدوهم

عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم (أنا كنا لكم تبعاً) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) فهل تقدرُونَ على دفع شيء مما نحن فيه ومن الأولى للتبدين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أو هما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان

أى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لا مر الله تعالى ومحاسبته أوله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه ﴿فقال الضعفاء﴾ الاتباع جميع ضعيف يريده ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ﴿للذين استكبروا﴾ لرؤسائهم الذين استتبواهم واستغفواهم ﴿أنا كنا لكم تبعاً﴾ في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة أو على اختصار مضاف ﴿فهل أنتم مغنون عنا﴾ دافعون عنا من عذاب الله من شيء ﴿من الأولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المنقول أى بعض الشيء الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز أن تكونا للتبعيض أى بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب ماسبق ويحتمل أن تكون الأولى مفعولاً والثانية مصدرأى فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء ﴿قالوا﴾ أى الذين استكبروا جواباً عن ماتبية الاتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم ﴿لو هدانا الله﴾ الإيمان ووفقنا له ﴿لهديناكم﴾ ولكن ضللنا فاضلناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيانا عنكم كما عرضنا لكم له لكن سدد دوتنا طريق الخلاص ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر

يعنى وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز حصل في البراز وذلك أن يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى القضاء وأورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكأن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود ﴿فقال الضعفاء﴾ يعنى الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم القادة والرؤساء ﴿أنا كنا لكم تبعاً﴾ يعنى في الدين والاعتقاد ﴿فهل أنتم﴾ يعنى في هذا اليوم ﴿مغنون عنا﴾ يعنى دافعون عنا ﴿من عذاب الله من شيء﴾ من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرُونَ على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا ﴿قالوا﴾ يعنى الرؤساء والقادة والمتبعون للتابعين ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ يعنى لو أُرشدنا الله لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ يعنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن

طريق النجاة كما سلكتناكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى أنهم يقولون في النار أما الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم القادة والسفلة (فقال الضعفاء) السفلة (للذين استكبروا) عن الإيمان وهم القادة (أنا كنا لكم تبعاً) مطيعين أمراً بآمرنا (فهل أنتم مغنون) حاملون (عنا من عذاب الله من شيء) شيئاً من عذاب الله (قالوا) يعنى القادة (لو هدانا الله) لدينه (لهديناكم) لدعوناكم إلى دينه (سواء علينا) العذاب (أجزعنا) أضمرنا (أم صبرنا) سكنا

طريق النجاة كما سلكتناكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى أنهم يقولون في النار أما الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم القادة والسفلة (فقال الضعفاء) السفلة (للذين استكبروا) عن الإيمان وهم القادة (أنا كنا لكم تبعاً) مطيعين أمراً بآمرنا (فهل أنتم مغنون) حاملون (عنا من عذاب الله من شيء) شيئاً من عذاب الله (قالوا) يعنى القادة (لو هدانا الله) لدينه (لهديناكم) لدعوناكم إلى دينه (سواء علينا) العذاب (أجزعنا) أضمرنا (أم صبرنا) سكنا

الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون { الجزء الثالث عشر } أنفسهم وإياهم ٥٢٠ لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا

﴿ مالنا من محيص ﴾ منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو المدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالليت ومصدرا كالغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا ﴿ وقال الشيطان لما قضي الامر ﴾ احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في اشقياء من الثقلين ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ وعدا من حقه ان ينجز أو وعدا النجزة وهو الوعد بالبعث والجزاء ﴿ ووعدتكم ﴾ وعد الباطل وهو ان لا يبعث ولا حساب وان كانوا فالانصام تشفع لكم ﴿ فاخلفكم ﴾ جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ تسلط فالجنكم الى الكفر والمعاصي ﴿ الا ان دعوتكم ﴾ الادعاء اياكم البهاتسولي وهو ايس من جنس السلطان ولكنه

لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطع عنه ﴿ مالنا من محيص ﴾ يعنى من مهرب ولا منجى مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله تعالى وقال الذين في النار خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا ألم تك تأتيناكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا ومادعاء الكافرين الا في ضلال فلما يسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألو الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ما كنتم فلما يسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال الشيطان ﴿ يعنى ابليس ﴾ لما قضي الامر ﴿ يعنى لما فرغ منه وأدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يأخذ اهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع عليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ فيه اخمار تقديره فصدق في وعده ﴿ ووعدتكم ﴾ فآخفتكم ﴿ يعنى الوعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولاجنة ولا نار ﴾ وما كان لي عليكم من سلطان ﴿ يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به ﴾ الا ان دعوتكم ﴿ هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم

مجتعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيع ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جعنا (وقال الشيطان لما قضي الامر) حكم بالجنة والنار لاهليهما وفرغ من الحساب ودخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بان لا يبعث ولا حساب ولا جزاء (فاخلفكم) كذبتكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا ان دعوتكم) لكنى دعوتكم الى الضلالة بوسوسى وتزيين والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس (مالنا من محيص) من غيب وملجأ (وقال الشيطان) يقول الشيطان وهو ابليس

(لما قضي الامر) أدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيقول لاهل النار في النار (ان الله وعدكم وعد الحق) (فاستجيتم) ان الجنة والنار والبعث والحساب والميزان والصراط حق (ووعدتكم) ان لاجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ولا ميزان ولا صراط (فاخلفتم) كذبت لكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من جهة وعذر ومقدرة (الا ان دعوتكم) الى طاعتي

السلطان (فاستجبت لي) فاسر عثم اجابتي (فلان لموني) لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى امر قبيح مع ان الرجن قد قال لكم لا يقتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الاتمكين ولا من الشيطان الاتزين باطل لقوله لو هدا الله أي الى الايمان لهديناكم كما مر (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا ينبغي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيبه والاصراخ الاغائة بمصرخي حزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لثلاث تجتمع الكسرة والياء أن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع ﴿ ٥٢١ ﴾ والثانية ضمير ﴿ سورة ابراهيم ﴾ المتكلم (اني كفرت بما

أشركتمون) وبالياء بصرية وما مصدرية (من قبل) متعلق بأشركتموني أي كفرت اليوم بأشراككم ايأي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بأشراكهم ايأ تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتموني وهو الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى أشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزنيدهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين

على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجمع ونحو ان يكون الاستثناء منقطعا ﴿ فاستجبت لي ﴾ اسر عثم اجابتي ﴿ فلان لموني ﴾ بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بما مال ذلك ﴿ ولوموا أنفسكم ﴾ حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لمادعاكم واحتجت المعتزلة بما مال ذلك على استئلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي نقوله اصحابنا ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ بغيثكم من العذاب ﴿ وما أنتم بمصرخي ﴾ بغيثي وقرأ حزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما يفيد من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكم وحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿ اني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾ ما اما مصدرية ومن متعلقة بأشركتموني أي كفرت اليوم بأشراككم ايأي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخر كن لنا ومن متعلقة بكفرت أي كفرت بالذي أشركتموني وهو الله تعالى بطاعتكم ايأي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل أشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ﴿ ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ تمة كلام أو ابتداء ﴿ فاستجبت لي ﴾ فلان لموني ولوموا أنفسكم ﴿ يعني ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الى ولا تسموا قولي فلما رجعتهم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى باجابتي ومتابعتي من غير حجة ولا دليل ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ يعني بغيثكم ولا منقذكم ﴿ وما أنتم بمصرخي ﴾ يعني بغيثي ولا منقذي مما أنا فيه ﴿ اني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾ يعني كفرت بجهلكم ايأي شريكاله في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحدا بما يقدمه الكفار فيه من كونه شريك الله وتبرأ من ذلك ﴿ ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي

هم عذاب أليم) قول الله عز وجل (قا و خا ٦٦ لث) وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما يقول في ذلك الوقت ليكون لطفا

فاستجبت لي طاعتي (فلان لموني) في دعوتي لكم (ولوموا أنفسكم) باجابتي ايأي (ما أنا بمصرخكم) بغيثكم ومنجيكم من النار وما أنتم بمصرخي بغيثي ومنجي من النار (اني كفرت بما أشركتموني) بالذي أشركتموني به (من قبل) ان أشركتموني . ويقال اني كفرت اليوم بما أشركتموني يقول تبرأت منكم ومن دينكم واجابتكم من قبل هذا من قبل في الدنيا (ان الظالمين) لكافرين (لهم عذاب أليم)

خالدين فيها) عطف على برزوا (باذن ربهم) متعلق بادخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (تحييتهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تركب ضرب الله مثلا) أى وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الأمير زيدا كسائه حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيبة

وجميع بخاص وجهه الى قلوبهم (وادخل الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فيها (باذن ربهم) بأمر ربهم (تحييتهم) كرامتهم (فيها) فى الجنة (سلام) يسلم بعضهم على بعض اذا تلاقوا (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (كيف ضرب

كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وأمره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحييتهم فيها سلام) أى تحييتهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (ألم تركب ضرب الله مثلا) كيف اعتقه ووضع (كلمة طيبة كشجرة طيبة) أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة وان تكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء

صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى فيأذن الله لى ان أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شمتها أحد حتى أتى ربي فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى ظهر قدى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمتها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية (وقوله تعالى) (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان اثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخاصة اليها الاشارة بقوله وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دأمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله (تحييتهم فيها سلام) فيحتمل ان بعضهم يحى بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييتهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحيتهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة (قوله عز وجل) (ألم تركب ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترى بعين قلبك فعلم علم يقين باعلاى اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وبدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شها والمثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولاً فى شئ آخر بينهما مشابة ليتبين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيهه شئ بشئ آخر (كلمة طيبة) هى قول لا اله الا الله فى قول ابن عباس وجهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعنى كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن

(أصلها ثابت) أى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء) والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها على الاركان وكان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملا لما مؤمن مؤمن وان لم يكن حاملا ولكن الاشجار ٥٢٣ لا تراد {سورة ابراهيم} الاثمار فأقوات النار الا

من الاشجار اذا اعتادت الاخفار فى عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور

على انها النخلة فمن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ماهى فوقه الناس فى شجر البوادي وكنت صبيافوقه فى قلبى انها النخلة فهبت رسول الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة فقال عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت ووقته الله لا ثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها

(أصلها ثابت) يقول قلب المؤمن المخلص ثابت بلا اله الا الله (وفرعها فى السماء) يقول بها يقبل عمل المؤمن المخلص (تؤتى أكلها كل حين) يقول بعمل المؤمن المخلص كل حين طاعة لله

﴿ أصلها ثابت ﴾ فى الارض ضارب بعروقه فيها ﴿ وفرعها ﴾ وأعلاها ﴿ فى السماء ﴾ ويجوز ان يريد وفرعها أى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وتقرئ ثابت أصلها والاول على أصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ ﴿ تؤتى أكلها ﴾ تعطى ثمرها ﴿ كل حين ﴾ وقته الله تعالى لا ثمارها ﴿ باذن ربها ﴾

مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة شبيه الرجل أو قال الرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة قال فلما قلنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها النخلة فقال مامنعك ان تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت ان أتكلم أو أقول شيأ فقال عمر لان تكون قلتها أحب الى من كذا وكذا . وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ماهى فوقه الناس فى شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع فى نفسى انها النخلة فاستحييت ان أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهى يا رسول الله قال هى النخلة . وفى رواية عن ابن عباس انها شجرة فى الجنة . وفى رواية أخرى عنه انها المؤمن وقوله ﴿ أصلها ثابت ﴾ يعنى فى الارض ﴿ وفرعها ﴾ يعنى أعلاها ﴿ فى السماء ﴾ يعنى ذاهبة فى السماء ﴿ تؤتى أكلها ﴾ يعنى ثمرها ﴿ كل حين ﴾ باذن ربها يعنى بامر ربها والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير وما اختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعنى من وقت طلوعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال على بن أبى طالب ثمانية أشهر يعنى ان مدة جلها باطنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور جلها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت أن يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعنى غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلان ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فاكلها دأثم فى كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه . أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت فى قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة فى الارض . الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه

وخيرا (باذن ربها) يقول بامر ربها ويقال صفة كلمة طيبة فى النفع والمصلحة كشجرة طيبة وهى النخلة شجرة طيبة ثمرها كذلك المؤمن أصلها ثابت يقول أصل الشجرة ثابت فى الارض بعروقه فكذلك المؤمن ثابت بالحجة والبرهان وفرعها فى السماء يقول أغصان النخلة ترفع نحو السماء وكذلك عمل المؤمن المخلص يرفع الى السماء تؤتى أكلها كل حين يقول تخرج ثمرها كل ستة أشهر باذن ربها

وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة { الجزء الثالث عشر } الكفر (كشجرة ٥٢٤ خبيثة) هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث انها شجرة الخنظل (اجتثت من فوق الارض) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجنة كلها وهو في مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أي استقرار يقال قرار الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم

بارادة ربها فكذلك المؤمن المتخلص بعمل كل حين طاعة وخيرا بأمر ربه (ويضرب الله الامثال) هكذا يبين الله الامثال صفة توحيدة (لناس لعلهم يتذكرون) لكي يتعظوا ويرغبوا في توحيدة في قول الله جل ذكره (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك بالله (كشجرة خبيثة) وهو الشرك يقول الشرك مذموم ليس له مدحة كما ان المشرك مذموم ليس له مدحة ويقال كشجرة خبيثة وهي الخنظلة ليس لها منفعة ولا حلاوة فكذلك الشرك ليس فيه منفعة ولا مدحة (اجتثت)

بارادة خالقها وتكوينه * ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون * لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحسن * ومثل كلمة خبيثة كشجرة * كمثل شجرة * خبيثة اجتثت * استؤصلت واخذت جثتها بالكلمة * من فوق الارض * لان عروقها قريبة منه * مالها من قرار * استقرار واختلاف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق وامل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما عرّب عن حق أو دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالخنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك * ثبت الله الذين آمنوا

يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركاتها وثوابها وخيرها ومنعمتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خفتت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تخمّل حتى تلقي بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله سبحانه وتعالى * ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون * يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصويرا للمعاني وتذكيرا ومواعظا لمن تذكر واتعظ * قوله تعالى * ومثل كلمة خبيثة * وهو الشرك * كشجرة خبيثة * يعني الخنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنده ايضا انها الثوم وعنده ايضا انها الكافر لانه لا يقبل عليه فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء * اجتثت * يعني استؤصلت وقطعت * من فوق الارض مالها من قرار * يعني مال هذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة * عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفنّاع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هي الخنظلة أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح * قوله سبحانه وتعالى * ثبت الله الذين آمنوا

اقتلعت (من فوق الارض مالها من قرار) من ثبات على وجه الارض كذلك المشرك ليس له حجة يأخذ بها كان (بالقول) ليس لشجرة الخنظلة أصل ثبت عليه ولا يقبل مع الشرك عمل (ثبت الله الذين آمنوا)

بالقول الثابت ﴿الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم﴾ ﴿في الحياة الدنيا﴾ فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنتهم اصحاب الاخدود ﴿وفي الآخرة﴾ فلا يتلثمون اذا سئلوا عن معتقدتهم في الموقف ولا يدهشهم احوال يوم القيامة وروى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من

بالقول الثابت ﴿لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعنى بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين ﴿وقوله﴾ ﴿في الحياة الدنيا﴾ يعنى في القبر عند السؤال ﴿وفي الآخرة﴾ يعنى يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أنه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبداً لك الله به مقعداً من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعاً قل قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية واما الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا نلت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ومسلم بعناه زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبغون ذراعاً ويملاً عليه خضراً الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أنه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شيء بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتاً في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره أنه ملك فينفضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا نلت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين

عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (في الحياة الدنيا) حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزالوا كما ثبت الذين فتنتهم اصحاب الاخدود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر بتقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال آمنوا يوم الميثاق بطيبة الانفس وهم أهل السعادة (بالقول الثابت) شهادة أن لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) لكى لا يرجعوا عنها (وفي الآخرة)

ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول

وأخرجه النسائى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أنه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع الى أهلى فأخبرهم فيقولان نعم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليه فلتتم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فأتته الى القبر ولما لحده بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وبيده عودينكت به فى الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك ومادينك ومن نبيك وفى رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له ومادينك فيقول دبنى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ربيحها وطيبها ويفسح له فى قبره مدبصره وان كان الكافر فذكر موته قال فتمادى روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاهاه لا أدري فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار واقموا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد فى رواية ثم يقبض له أعصى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبالا لصارت رابا فيضربه بها ضربة يسمعه من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقب عليه وقال استغفروا لآخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن ثمامة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل

ملكنا فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت جيدا ثم نومة العروس يعنى فى القبر اذا سئل عنها

مواقف الفتن وتذل أقدامهم
أول شيء وهم في الآخرة
أضل وأزل (ويضل الله ما
يشاء) فلا اعتراض عليه في
تثبيت المؤمنين واضلال
الظالمين (ألم تر إلى الذين بدلوا
نعمت الله أي شكر نعمته الله
(كفرا) لان شكرها الذي
وجب عليهم وضعوا مكانه
كفرا فكانهم غيروا الشكر
الى الكفر وبدلوه تبديلا
وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد
عليه السلام فكفروا ونعمة الله
بدل ما لزمهم من الشكر
(وأحلوا قومهم) الذين
تابصوهم على الكفر
(دار البوار) دار الهلاك

(ويضل الله) يصرف الله
(الظالمين) المشركين عن قول
لا اله الا الله في الدنيا لكي
لا يقولوا بطبيعة النفس ولا
في القبر ولا اذا أخرجوا
من القبور وهم أهل
الشقاوة (ويضل الله
ما يشاء) من الاضلال
والثبوت ويقال من صرف
منكر ونكير (ألم تر) ألم تخبر
يا محمد (الى الذين) عن الذين
(بدلوا نعمت الله) غير وائمة
الله بالكتاب والرسول
(كفرا) بالكفر أي كفروا
بمحمد عليه السلام والقرآن
وهم بنو أمية وبنو المغيرة
المطعمون يوم بدر (وأحلوا

الثابت ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاعتصار على التقليد فلا يبتدون
الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾ من تثبيت بعض واضلال
آخرين من غير اعتراض عليه ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ﴾ أي شكر نعمته
كفرا بان وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا هاسلت منهم فصاروا
تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمة وجعلهم
قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرقهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا
ذلك فمخطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة
موصوفين بالكفرة وعن عمرو على رضى الله تعالى عنهما من قريش بنو المغيرة
وبنو أمية فامابنو المغيرة فكفيتوهم يوم بدر واما بنو أمية فتمتعوا الى حين ﴿ وأحلوا
قومهم ﴾ الذين شايعهم في الكفر ﴿ دار البوار ﴾ دار الهلاك بحملهم على الكفر

ابنه يقول ما يبكيك يا أبا عبد الله أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه
وقال ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله
وفيه فاذا أنامت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفتنوني فشنوا على التراب شنائم أقيموا حول
قبري قدر ما تخرج جزور ويقسم لهما حتى استأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى أخرجه
مسلم بزيادة طويلة فيد قبل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يشبههم في
القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته
على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغى للعبد المسلم ان يكثر من
قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع
حركاته وسكناته فعمل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص
التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله
التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شيء
قدير ﴿ وقوله تعالى ﴾ ويضل الله الظالمين ﴿ يعنى ان الله تعالى لا يهدى المشركين
الى الجواب بالصواب في القبر ﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾ يعنى من التوفيق والخذلان
والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ﴿ (خ) عن ابن
عباس في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم
والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وأحلوا
قومهم دار البوار ﴾ قال النار يوم بدر وعن علي رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجرروا
يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الا فجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما
بنو المغيرة فقد كفيتوهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد تمتعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله
كفرا معناه ان الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وأنزل
عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان

(جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة أو في التسمية (ليضلوا عن سبيله) وبفتح الياء مكي وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا والمراد به الخذلان والتخليع وقال ذو النون التمتع ان يقضى العبد ما استطاع من {الجزء الثالث عشر} شهوته (فان مصيركم) ﴿٥٢٨﴾ إلى النار) مرجعكم اليها (قل لعبادي

الذين آمنوا) خصهم بالاضافة اليد تشريفا وبسكون الياء شامى وجزوة وعلى والاعشى (يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم) المقول محذوف لان قل تقتضى مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلوة وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدير ليقموا وانفقوا وحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء محذوف اللام لم يحذف (سرا وعلانية) انتصبا على الحال أى ذوى سر وعلانية يعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى اتفاق سر واتفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب (جهنم يصلونها) يدخلونها يوم القيامة (وبئس القرار) المنزل والمصير جهنم (وجعلوا لله) قالوا ووصفوا الله (أندادا) أعدا لا من الاوثان فعبدها (ليضلوا) بذلك (عن سبيله) عن دينه وطاعته (قل) يا محمد

جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها أو من القوم أى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار أى وبئس المقر جهنم وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وايس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كغرض ﴿قل تمتعوا﴾ بشهواتكم أو بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يجمع بها وفى التهديد بصفة الامر ايدان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامر بن كتمان لا محالة ولذلك علمه بقوله ﴿فان مصيركم الى النار﴾ وان الخطاب لانها كما فيه كالمأمور به من أمر مطاع ﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ خصهم بالاضافة تنويعا لهم وتنبهها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه أى قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وأنفقوا ﴿يقيموا الصلوة وينفقوا﴾ مما رزقناهم فيكون ايدانا بانهم انفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر ابلاد الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله

يحد تند نفسك كل نفس . اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وأنفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا ﴿سرا وعلانية﴾ منتصبان على المصدر أى اتفاق سرا وعلانية أو على الحال أى ذوى سر وعلانية أو على الظرف أى وقتى

وغير وانعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلا وشكر نعمة الله عليهم كفرها لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أنابوا للكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعنى من تبهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعنى دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى ﴿جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ يعنى المستقر ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ يعنى أمثالا وأشباها من الاصنام وايس لله تعالى ندولا شبيهه ولا مثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ يعنى ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق ﴿قل تمتعوا﴾ أى قل يا محمد هؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا أياما فلائس ﴿فان مصيركم الى النار﴾ يعنى في الآخرة ﴿قوله تعالى﴾ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة ﴿يعنى أقيموا او ليقموا الصلوة الواجبة واقامتها تمام أركانها﴾ وينفقوا مما رزقناهم ﴿قل أراد به﴾ هذا الاتفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جمع الاتفاق في جميع وجوه الخير والبر وحله على الموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والاتفاق في جميع وجوه البر ﴿سرا وعلانية﴾ يعنى يتفنون أموالهم في خال السر وحال العلانية

لاهل مكة (تمتعوا) عيشوا في كفركم (فان مصيركم الى النار) يوم القيامة (قل) يا محمد (لعبادي الذين آمنوا) بى (وقيل) وبالكاتب والرسول (يقيموا الصلوة) الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها (وينفقوا) يتصدقوا (مما رزقناهم) ما أعطيناهم من الاموال (سرا) خفيا (وعلانية) جهرا

(من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق) أي لا انتفاع فيه بعبادة ولا مخالطة ولا خلاق الخالصة وإنما ينتفع فيه بالانتفاع لوجه الله بفهمهما مكي وبصرى والباقيون بالرفع والتنوين (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأُنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار

وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه) لا فداء فيه (ولا خلاق) لا مخالطة للساكنين والصالح تنفعه خلطته ثم وحد نفسه فقيل (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرج به) فأنبت بالمطر (من الثمرات) من ألوان الثمرات (رزقا لكم) طعاما لكم ولسائر الخلق (وسخر) ذلل (لكم الفلك) يعني السفن (لتجري) الفلك (في البحر بأمره) بأذنه وأرادته (وسخر) ذلل (لكم الانهار) تجري حيث تشاؤون

سر وعلائية والاجب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به ﴿ من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدى به نفسه ﴿ ولا خلاق ﴾ ولا مخالطة فيشفع لك خليلك أو من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بعبادة ولا مخالطة وإنما ينتفع فيه بالانتفاع لوجه الله تعالى ﴿ وقرأ ابن كثير وابوعرو وبعقوب بالفتح فيهما على النفي العام ﴾ الله الذي خلق السموات والارض ﴿ مبتدأ وخبر ﴾ وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴿ تعيشون به ﴾ وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال مندو محتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعللة أو المصدر لان اخرج في معنى رزق ﴿ وسخر لكم الفلك لتجربى في البحر بأمره ﴾ بمشيئته الى حيث توجهتم ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم وقيل أراد بالسردقة التطوع وبالعلائية اخراج الزكاة الواجبة ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعنى لا فداء في ذلك اليوم ﴿ ولا خلاق ﴾ يعنى ولا خلطة وهو المودة والصداقة التي تكون مخالطة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالطة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلطة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا والملتقين قلت الآية الدالة على نفى الخلطة محمولة على نفى الخلطة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلطة وثبوتها محمولة على الخلطة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراء أثبتها للملتقين فقط ونفاهما عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالطة لله في محبة قوله عز وجل ﴿ الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر هنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذي لا يعجزه شئ أراد ففعله تعالى الله الذي خلق السموات وارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعنى من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمار اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقديقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا ثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات ﴿ وسخر لكم الفلك لتجربى في البحر بأمره ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده يتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ يعنى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائبين وهو حال من الشمس والقمر أى يدأبان في سيرهما وانارتهم ماودرهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض { الجزء الثالث عشر } والابدان والنبات ﴿ ٥٣٠ ﴾ (وسخر لكم الليل والنهار)

كيفية اتخاذها ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ يدأبان في سيرهما وانارتهم ماو اصلاح ما يصلحانه من المكونات ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يتعاقبان اسباتكم ومعاشكم ﴿ وآناكم من كل ما سألتموه ﴾ أى بعض جميع ما سألتموه بمعنى من كل شئ سألتموه شيئاً فان الوجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى وامل المراد بما سألتموه ما كان حقيقة بان يسأل لاحتياج الناس اليد سئل أولم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتبوين أى وآناكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون مانافية في موقع الحال أى وآناكم من كل شئ غير سائله ﴿ وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستقراق بالاضافة ﴿ ان الانسان اظلم ﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها ويظلم نفسه بان يعرضها للخرمان ﴿ كفار ﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة يجمع ومنع

كان ماء البحر لا ينتفع به في سقى الزرع والثمرات ولا في الشراب أيضاً ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتنجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ الدأب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائماً فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دأبها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة الله أى في سيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يعنى يتعاقبان في النسيان والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم ﴿ وآناكم من كل ما سألتموه ﴾ لماذا ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتى على بعضها العد والحصر والمعنى وآناكم من كل ما سألتموه شيئاً فمحذف شيئاً اكتفاء بدلالة الكلام على التبعض وقيل هو على التكاثر يعنى وآناكم من كل شئ سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى ﴿ وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ يعنى ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرتها ﴿ ان الانسان ﴾ قال ابن عباس يريد بأباهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصده الكافر ﴿ لظلم كفار ﴾ يعنى ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغيره من أنعم

يتعاقبات خلفه لما شكم وسباتكم) وآناكم من كل ما سألتموه) من التبعض أى آناكم بعض جميع ما سألتموه أو وآناكم من كل شئ سألتموه ومالم تسألوه فاموصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرايل تقيم الحر من كل عن أبى عمرو وما سألتموه فنى ومحله النصب على الحال أى آناكم من جميع ذلك غير سائله أو ما موصولة أى وآناكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال) وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدها وبلغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجال وأما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان لظلم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وظلوم في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة يجمع ومنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه

(وسخر لكم) ذلل لكم (الشمس والقمر دائبين) دائمين الى يوم القيامة (وسخر) ذلل

(لكم الليل والنهار) يحى، ويذهب (وآناكم) أعطاكم (من كل ما سألتموه) ومالم تحسبوا ان تسألوا (وان تعدوا نعمت) (عليه) (الله) منة الله (لا تحصوها) لا تحفظوها ولا تشكروها (ان الانسان) يعنى الكافر (اظلم) مشرك (كفار) كافر بالله وبنعمته

﴿ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد ﴾ بلدة مكة ﴿ آمنا ﴾ ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصديره آمنا وفي الثاني جملة من البلاد الآمنة ﴿ واجنبني وبنى ﴾ بعدنى واياهم ﴿ ان نعبد الاصنام ﴾ واجعلنا منها في جانب وقري واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بنو فيق الله تعالى وحفظ اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجابه وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا

عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحد لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفر ان لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ﴿ يعنى ذا أمن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثانى أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا ﴿ واجنبني وبنى ﴾ أى يبتنى وأدمنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أى ثبتنا على الاسلام (وبنى) أراد بنيه من صلبه (ان نعبد الاصنام) من أن نعبد الاصنام

(واذ قال) وقد قال (ابراهيم) بعد ما بنى البيت (رب) يارب (اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) من ان يهاج فيه ويأمن فيه الخائف (واجنبني) احفظنى (وبنى) أن نعبد الاصنام من عبادة الاصنام والنيران ويقال اعصمنى

لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد فى الصحيح عن أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نجرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخر جاء فى الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثانى أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن فى بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من النجباء الى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلها انه لا يهجمها أحد فى الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها

(واذ قال ابراهيم) واذكر اذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد) أى بلد الحرام (آمنا) ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما فى البقرة انه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التى يأمن أهلها وفى الثانى أن يخرج من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وبعدى أى يبتنى وأدمنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أى ثبتنا على الاسلام (وبنى) أراد بنيه من صلبه (ان نعبد الاصنام) من أن نعبد الاصنام

(واذ قال) وقد قال (ابراهيم) بعد ما بنى البيت (رب) يارب (اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) من ان يهاج فيه ويأمن فيه الخائف (واجنبني) احفظنى (وبنى) أن نعبد الاصنام من عبادة الاصنام والنيران ويقال اعصمنى

(رب انهن أضللن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسييب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم (فمن تبعني) على ملتي وكان خنيقا مسلما مثلي (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصي به (ومن عصاني) فيمادون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا اني أسكنت من ذريتي) عش أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه

(رب) يارب (انهن أضللن كثيرا من الناس) أي أضل بهن كثير من الناس ويقال ضل بهن كثير من الناس (فمن تبعني) تبع ديني وأطاعني (فانه مني) على ديني (ومن عصاني) فخالفت ديني (فانك غفور) متجاوز لمن تاب منهم أي يتوب عليهم (رحيم) لمن مات على التوبة (ربنا) ياربنا (اني أسكنت) أنزلت (من ذريتي) اسماعيل وأمه هاجر

حجراتهم بمنزلته ﴿ رب انهن اضللن كثيرا من الناس ﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستمذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرهم الحياة الدنيا ﴿ فمن تبعني ﴾ على ديني ﴿ فانه مني ﴾ أي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ﴿ ومن عصاني فانك غفور رحيم ﴾ تقدر ان تغفر له وترجعه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فاته ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ﴿ ربنا اني اسكنت من ذريتي ﴾ أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضمًا لنفسه و اظهارًا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورجته وان أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهاذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاءه لابنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لابنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صفات الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن أذن الله أن يدعوه فكأنه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بينه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام لمخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدلائل عليه أنه قال في آخر الآية ﴿ فمن تبعني فانه مني ﴾ وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم برأيه وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ رب انهن ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اضللن كثيرا من الناس ﴾ وهذا مجاز لان الاصنام جادات وحجارة لا تعقل شيأ حتى تفصل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فتنتهم لدنيا وغرهم وانما غرهم وواغروا بسببها ﴿ فمن تبعني فانه مني ﴾ يعنى فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعنى المتدينين بدينى المتسكين بحبلى كما قال الشاعر اذا حاولت في أسد فجورا • فاني لست منك ولست مني أرادولست من المتسكين بحبلى وقيل معناه فانه مني حكمه حكمى جار مجراى فى القرب والاختصاص ﴿ ومن عصاني ﴾ يعنى فى غير الدين ﴿ فانك غفور رحيم ﴾ قال السدى ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيمادون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصاني فخالفتني فى بعض الشرائع وعقائد النوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلم الله أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لآبويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف أنهم ما غير مغفور لهم اتبرأ منهما والوجه الآخر ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفر له وترجعه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم ﴾ ﴿ ربنا اني أسكنت من ذريتي

وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم ﴿ بواد غير ذى زرع ﴾ يعنى وادى مكة فانها اجربة لا تنبت ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ الذى حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممعنا تهابه الجبابة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا أى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ماسيؤل اليه روى ان هاجر كانت اسارة رضى الله عنها فوهبته لابراهيم عليه السلام فقارت عليهما فولدت منه اسمعيل عليه السلام فنادته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيوراً فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأواهما وعندهما

بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ﴿ (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم سمعيل اتخذت منطقة لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهاماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فبعثته أم سمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه ائيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يصيبنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى يبلغ بشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فنهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صد تريد نفسها ثم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غوث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا فجعلت تعرف من الماء فى سقاءها وهو ينفور بعدما تعرف وفى رواية قد مرما تعرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم سمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكانت زمزم عيانا مينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بنىه هذا العلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عاثفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أنا ذنبن لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس

(بواد) هو وادى مكة
(غير ذى زرع) لا يكون فيه شئ من زرع فط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حراما لمكانه أولاده لم يزل ممعنا به كل جبار أولاده محترم عظم الحرمة لا يحل انتهاكها كنه أولاده حرم على الطوفان أى منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه

(بواد) فى واد (غير ذى زرع) ايس به زرع ولا نبات (عند بيتك المحرم) يعنى مكة

عين فقالوا أشركنا في ما نك نشارك في البنا ففعلت ﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام
لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم هذا الوادي البقع من كل مرتفق ومرتق
الاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه الأشعار بانها المقصودة
بالذات من أسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها ﴿ فاجعل أفئدة
من الناس ﴾ أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبويض ولذلك قيل وقال أفئدة الناس
لأزدحت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو الابتداء كقولك القلب منى
سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ أفئدة وهو
يحتفل ان يكون مقنوب أفئدة كأدر في أدور وان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة
أذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفئدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجد في آخر اجها
بين بين ويجوز ان يكون من أفند ﴿ تهوى اليهم ﴾ تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ

قال النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فزولوا وأرسلوا الى
أهلهم فزولوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم
وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته باسرة منهم وماتت أم اسمعيل فجهاد ابراهيم بمد
ما تزوج اسمعيل بطالع تركته أخرجته البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله
في تفسير سورة البقرة ﴿ وأما تفسير الآية فقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي من للتبويض أي
بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع لانه واد بين
جبلين جبل أبي قبيس وجبل اجباد وهو وادي مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه
يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبارة فلم ينالوه بسوء وحرم
التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما ملكا وشرفه وقيل لانه حرم على
الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزائر من المحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة
لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لانه أعق من الجبارة أو من الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك
المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما يراه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتفل ان الله عز وجل أوحى اليه
وأعلمه أن له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم
وقيل يحتفل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتفل
أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علك أنه سيحدث في هذا المكان
﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام في ليقموا متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قوما من ذريتي
وهو اسمعيل وأولاده هذا الوادي الذي لازرع فيه ليقموا أي لاجل أن يقيموا
أو لكي يقيموا الصلاة ﴿ فاجعل أفئدة من الناس ﴾ وقال البغوي جمع الوفد ﴿ تهوى
اليهم ﴾ تحن وتشفق اليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال
ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلهذا جمعه فؤاد قال
ان النبي اري واعا عبر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب

(ربنا ليقموا الصلوة) اللام
متعلقة بأسكنت أي ما
أسكنتهم هذا الوادي البقع
الالقيموا الصلاة عند بيتك
المحرم ويعمره بذلك
وعبادك (فاجعل أفئدة
من الناس) أفئدة من أفئدة
الناس ومن للتبويض لما
روى عن مجاهد لو قال
أفئدة الناس لزا حجتكم
عليه فارس والروم والترك
والهند أو الابتداء كقولك
القلب منى سقيم تريد قلبي
فكأن قيل أفئدة ناس
ونكرت المضان اليه في
هذا التمثيل للتكثير أفئدة
لانها في الآية نكرة ليتناول
بعض الأفئدة (تهوى اليهم)
تسرع اليهم من البلاد
الشامعة وتطير نحوهم شوقا
(ربنا) ياربنا (ليقموا
الصلوة) لكي يقيموا
الصلوة نحو الكعبة (فاجعل
أفئدة من الناس) قلوب
بعض الناس (تهوى اليهم)
تشفق وتنزع اليهم كل سنة

تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب
وتعديته بالي لتضمين معنى الزرع ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ مع سكناهم واديا لالنبات
فيه ﴿ اعلمهم يشكرون ﴾ تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا
يجي اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم
واحد ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ﴾ تعلم سرنا كما تعلم علنا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بنفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكننا ندعوك اظهارا لعبوديتك
وافقارا الى رحمتك واستعجالا لئلا يماخذك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من
التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمباغة في التضرع واللجاء الى الله تعالى
﴿ وما يخفى على الله من شئ ﴾ في الارض ولا في السماء ﴿ لان العالم بعلم ذاتي يستوى نسبته

والقواد جار حنين وقال الجوهرى القواد القلب والجمع افئدة فجعلها جارحة
واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبويض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاخمتكم
فاس وروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والجوس
ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوى
هويا اذا سقط من علوا الى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم تريدكم كما تقول رأيت فلانا
يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تخط
اليهم وتحد وتزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال
ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان أن حنين
الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لالاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج
البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بانهم ينفقون بمن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت
فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت
بركاته ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع
فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد
جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجي اليه ثمرات
كل شئ ﴿ وقوله تعالى ﴾ اعلمهم يشكرون ﴿ يعنى اعلمهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها
عليهم وقيل معناه اعلمهم بحدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما
هو ليستعان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن ﴾ يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما
يصطنعنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك
اظهارا للعبودية لك وتحشعا لعظمتك وتذلالا لعزتك وافقارا الى ما عندك وقيل معناه
تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث اسكنتهما بواد غير ذي ررع وما نعلن
يعنى من البكاء وقيل ما نخفي يعنى من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعنى ما جرى
بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلمنا قال
الى الله قالت اذا لا يضيعنا ﴿ وما يخفى على الله من شئ ﴾ في الارض ولا في السماء ﴿ قيل

(وارزقهم من الثمرات)
مع سكناهم واديا ما فيه
شئ منها بان تجلب اليهم من
البلاد الشاسعة (اعلمهم
يشكرون) النعمة في أن
يرزقوا أنواع الثمرات
في واد ليس فيد شجروا لاما
(ربنا) النداء المكرر دليل
التضرع واللجاء الى الله
(انك تعلم ما نخفي وما نعلن)
تعلم السر كما تعلم العلن (وما
نخفي على الله من شئ) في
الارض ولا في السماء (من
كلام الله عز وجل تصديقا
لابراهيم عليه السلام أو من
كلام ابراهيم وبن للاستغراق
كانه قيل وما يخفى على الله

(وارزقهم من الثمرات)
من ألوان الثمرات (اعلمهم
يشكرون) لكي يشكروا
نعمتك (ربنا) يا ربنا (انك
تعلم ما نخفي) من حب اسماعيل
(وما نعلن) من حب اسحق
ويقال ما نخفي من وجد
اسمعيل وما نعلن من الجفاء له
(وما يخفى على الله من شئ)
من عمل خير او شر
(في الارض ولا في السماء)

شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسماعيل واسحق) روى ان اسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروى انه ولد له اسماعيل لاربع وستين واسحق لتسعين { الجزء الثالث عشر } وانما ذكر حال ٥٣٦ الكبر لان المنة بهية الولد فيها أعظم

الى كل معلوم ومن الاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واطهارا لما فيها من آياته اسماعيل واسحق روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسمع الدعاء أي لجييد من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتدبه وهو من ابنية المبالغة العاملة على الفعل اضيف الى مفعوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المحجاز وفيه اشعار بأنه دعاربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤاله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واحلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبويض لعل باعلام

هذا من تمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الا كثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق قال ابن عباس ولد اسماعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم واسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسماعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسمحق بعد اسماعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عند ما بشر باسمحق وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه بهية ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسماعيل وأمه لان الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال ان ربي لسمع الدعاء كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسمع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتدبه وقبله رب اجعلني مقيم الصلوة يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها ومن ذريتي أي واجعل من ذريتي ممن يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتبويض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه

لأنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربي لسمع الدعاء) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما أكرمه به من اجابته وازافة السمع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسمع الدعاء وقد ذكر سيويوه فعلا في جملة ابنية المبالغة العاملة على الفعل كقولك هذا رحم آياه (رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة

الحمد لله (الشكر لله) (الذي وهب لي على الكبر) بعد الكبر (اسماعيل واسحق) وكان ابن مائة سنة وامرأته (قد) سارة بنت تسع وتسعين سنة حيث ولد هما (ان ربي لسمع الدعاء) مجيب الدعاء (رب) يا رب (اجعلني مقيم الصلوة) مقيم الصلاة (ومن ذريتي) أيضا يقول أكرمني وأكرم

(ربنا وتقبل دعاء) بألiale في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو وحزة في الوصل الباقرن بلاياء أي استجب دعائي أو عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴿٥٣٧﴾ (ربنا اغفر لي ولوالدي) {سورة إبراهيم} أي آدم وحواء أو قاله قبل

النبي واليأس عن إيمان أبيه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي ثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا مثل وأسأل القربة (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تهيئة عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقولهم ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخرو كما جاء في الأمر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الأيدان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقولهم والله بما تعملون

ذريتي باتمام الصلاة (ربنا) ياربنا (وتقبل دعائي) عبادتي (ربنا) ياربنا (اغفر لي) ذنوبي (ولو لوالدي) لأبائي المؤمنين (وللمؤمنين) وللسائر المؤمنين والمؤمنات (يوم يقوم

الله أو استقرأ عادته في الأمم الماضية أنه يكون في ذريته كفار ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائي أو تقبل عبادتي ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ وقرئ لأبوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل أراد بهما آدم وحواء ﴿وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ ثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم إليه أهله فحذف المضاف واسند إليه قيامهم مجازا ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تهيئة على ما هو عليه من أنه مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لاحالة أو أكل من توهم

قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلماذا قال ومن ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لإبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه ﴿ربنا اغفر لي﴾ فإن قلت طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له . قلت المقصود منه الاتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والانتكال على رحمته ﴿ولو لوالدي﴾ . فإن قلت كيف استغفر إبراهيم لأبيه وكانا كافرين . قلت أراد أنهما إن أسما وتابا وقيل إنما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل إن أمه أملت فدعاها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء ﴿وللمؤمنين﴾ يعني واغفر للمؤمنين كلهم ﴿يوم يقوم الحساب﴾ يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليفه إبراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴿الغفلة﴾ معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتبظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم وإعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم . فإن قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . قلت إذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقولهم ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقولهم سبحانه

الحساب) يوم يكون الحساب وتقوم الحسنة (قاو خا ٦٨ لث) والسيئة فن زادت لها الحسنة وجبت لها الجنة ومن زادت له السيئة وجبت له النار ومن استوت له حسنة وسيئة فهو من أصحاب الأعراف (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) يقول تارك عقوبة

غفلته جهلا بصفاته واغترارابامهاله وقيل انه تسلية للظلم وتهديد للظالم ﴿ انما يؤخرهم ﴾ يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو بالنون ﴿ ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ أي تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنهما من هول ماترى ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين الى الداعي أو مقبئين بابصارهم لا يظرقون هيبه وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء ﴿ مقبئ رؤسهم ﴾ رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم ﴿ بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف أو لا يرجع اليهم نظره فينظرون الى انفسهم ﴾ وأفندتهم هواه ﴿ خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الخيرة والدهشة ومنه يقال الاحق والحبان قلبه هواه أي لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواه

وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق ﴿ وانذر الناس ﴾ يا محمد ﴿ يوم يأتيهم العذاب يوم القيامة أو يوم الموت

وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالتهمي عن سبحانه غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبونه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فاجله بصفاته ﴿ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ يقال تشخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يظرفهما وشخص البصر يدل على الخيرة والدهشة من هول ماترى في ذلك اليوم ﴿ مهطعين ﴾ قال قتادة مسرعين وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتافين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فخير سبحانه وتعالى انهم مع شخص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت ﴿ مقبئ رؤسهم ﴾ الاقتاع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرئ ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى ﴿ لا يرتد اليهم طرفهم ﴾ أي لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم ﴿ وأفندتهم هواه ﴾ أي خالية قل قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآية ان أفندتهم خالية فارغة لا تبقى شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد ابن جبير وأفندتهم هواه أي مترددة تهوى في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ تله عن أماكنها وابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشده ﴿ وانذر الناس ﴾ يعنى وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يوم يأتيهم العذاب

أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي (مقبئ رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظره فينظروا الى أنفسهم (وأفندتهم هواه) صفر من الخير لا تبقى شيئا من الخوف والهواء الخلاء

الذى لم تشغله الاجرام فوصفه فقيل قلب فلان هواه اذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا عقول لهم (وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أي يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذر لا ظرف اذا الانذار لا يكون

ما يعمل المشركون (انما يؤخرهم) يؤجلهم (ايوم تشخص فيه الابصار) ابصار الكفار وهو يوم القيامة (مهطعين) مسرعين قاصدين ناظرين الى الداعي (مقبئ رؤسهم) مطأطئي رؤسهم ويقال رافعي رؤسهم ويقال مادي أعناقهم (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم ابصارهم من الهول والفرع (وأفندتهم) قلوبهم (هواه) خالية من كل خير ويقال لا عائدة ولا خارجة (وانذر

في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أي الكفار (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) أي ردنا الى الدنيا وأمهلتنا الى أمد واحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أنقسمتم من قبل مالكم من زوال) أي حلقتم في الدنيا أنكم اذا تم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنقلون الى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ومالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أنقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين انيل مالنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالمداد العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء ﴿ ٥٣٩ ﴾ الملائكة بلا بشرى { سورة ابراهيم } فانهم يسألون يومئذ أن

يؤخرهم ربهم الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو البث والاصل تعديته بنى نحو قر في الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقل سكن الدار كما قيل تنوأها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيب النفوس سائر في سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحذونها بما لقي الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيمتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالاخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمردل عليه الكلام أي

فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ بالشرك والتكذيب ﴿ ربنا أخرنا الى اجل قريب ﴾ اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلتنا الى حد من الزمان قريب أو اخر آجالنا وابتنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك ﴿ نجب دعوتك وتبع الرسل ﴾ جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ﴿ أولم تكونوا أنقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أنقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقل أقسموا انهم لا ينقلون الى دار أخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴿ بالكفر والمعاصي كعادوثمود واصل سكن ان يمدى بنى كقرو غنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوي فيجري مجراه كقولا سكنت الدار ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزلهم وما تواتر عنكم من اخبارهم ﴿ وضربنا لكم الامثال ﴾ من احوالهم أي يدلكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال

فيقول الذين ظلموا ﴿ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ﴾ ربنا أخرنا الى أجل قريب ﴿ يعني أمهلتنا مدة يسيرة قال بعضهم طابو الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فينفذ ذلك وهو قوله تعالى ﴿ نجب دعوتك وتبع الرسل ﴾ فاجيبوا بقوله ﴿ أولم تكونوا أنقسمتم من قبل ﴾ يعني في دار الدنيا ﴿ مالكم من زوال ﴾ يعني مالكم عنها النقال ولا بعث لا نشور ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعادوثمود وغيرهم ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ يعني وقد عرقتكم كيف كانت عقوبتنا اياهم ﴿ وضربنا لكم الامثال ﴾ يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم الخالية والقرون

تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله (فعلناهم) أي أهلكناهم وانقمنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم

يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أشركوا (ربنا) يا ربنا (أخرنا الى أجل قريب) مثل أجل الدنيا (نجب دعوتك) الى التوحيد (وتبع الرسل) نطع الرسل بالاجابة فيقول الله لهم (أولم تكونوا أنقسمتم) حلقتم (من قبل) من قبل هذا في الدنيا (مالكم من زوال) من الدنيا ولا بعث (وسكنتم) نزلتم (في مساكن) في منازل (الذين ظلموا أنفسهم) بالشرك والتكذيب فلم يتعظوا بهلاكهم (وتبين لكم كيف فعلناهم) في الدنيا (وضربنا) بينا (لكم الامثال) في القرآن من كل وجه من الوعد والوعيد والرحمة

(وقدمكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطشان الاسلام (وعند الله مكرهم) { الجزء الثالث عشر } وهو مضاف ٥٤٠ الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب

عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو الى المفعول أى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأنيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لنزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لنزول أمر النبي صلى الله عليه وسلم فغير عن أمر النبي عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان نامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى وخال أن نزول الجبال يمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعها لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتحكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وينفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أى وان كان مكرهم من الشدة بحيث نزول منه الجبال وتنقطع عن أما كتبها فان مخففة من ان

والعذاب (وقد مكروا مكرهم) صنعوا صنيعهم بالكذب بالرسل (وعند الله مكرهم) عقوبة صنيعهم (وان كان مكرهم لنزول منه الجبال) لى تخزئنه

المضروبة * وقد مكروا مكرهم * المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل * وعند الله مكرهم * ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطال الله * وان كان مكرهم * فى العظم والشدة * لنزول مندا الجبال * مسوى لازالة الجبال ومعدالها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا لنزول ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتحكنا من آيات الله تعالى وشرائعها * وقرأ الكسائى انزول بالفتح والرفع على انها مخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم

الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك * قوله سبحانه وتعالى * وقد مكروا مكرهم * اختلغوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكروا فقليل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا يمكركم الذين كفروا الآية والمعنى وأندب الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى بسبب مكرهم بك * وقوله تعالى * وعند الله مكرهم * يعنى جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليحجزهم به يوم القيامة * وان كان مكرهم لنزول منه الجبال * يعنى وان كان مكرهم لا ضعف من أن نزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا ينزل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو ثابت كشوت الجبال وقد حكى عن علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه في الآية قولاً آخر وهو انها نزلت في عمرو الجبار الذى حاح ابراهيم في ربه فقال عمرو ان كان ما يقول ابراهيم حقاً فلا أنهى حتى أسعد الى السماء فاعلم ما بها فعمد الى أربعة أفراس من النصور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له باباً من أعلى وباباً من أسفل ثم جوع النصور ونصب خشبات أربعة في أطراف التابوت وجعل على رأس تلك الخشبات لحماً أجراً وقعد هو في التابوت وأبعد معه رجلاً آخر وأمر بالنصور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النصور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النصور يوماً أجمع حتى بعدت في الهواء فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النصور يوماً آخر وارتفعت حتى حالت الرمح بينها وبين الطيران فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودى أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حل

الجبال ان قرأت بخفض اللام الاولى ونصب اللام الاخرى ويقال وان كان مكرهم وقد كان مكرهم مكر عمرو (القوس) الجبار انزول منه الجبال لتخر مندا الجبال حيث سمع دوى التابوت والنصور ان قرأت بنصب اللام الاولى ورفع اللام الاخرى

واللام مؤكدة (فلا تحسبن الله) ٥٤١ ﴿ خلف وعده ﴾ سورة ابراهيم ﴾ (يعني قوله انا لننصر

رسلا كتب الله لاغبين
أناورسلى مخلف مفعول
ثان لتحسبن وأضاف
مخلف الى وعده وهو
المفعول الثانى والاول
رسله والتقدير مخلف
رسله وعده وانما قدم
المفعول الثانى على الاول
ليعلم انه لا يخلف الوعد
أصلا كقوله ان الله لا يخلف
الميعاد ثم قال رسله لبؤذن
انه اذا لم يخلف وعده أحد
فكيف يخلفه رسله الذين
هم خيرته وعفوته (ان
الله عزيز) غالب لا يماكر
(ذوانتقام) لاوليائه من
أعدائه وانتصاب (يوم
تبدل الارض غير الارض
والسموات) على الظرف
للانتقام أو على اضمار
اذكر والمعنى يوم تبدل
هذه الارض التى تعرفونها
أرضا أخرى غير هذه المعروفة
وتبدل السموات غير
(فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله) لرسله بنجاتهم وهلاك
أعدائهم (ان الله عزيز) فى
ملكه وسلطانه (ذوانتقام)
ذوقمة من أعدائه فى الدنيا
والآخرة (يوم تبدل
الارض) أى فى يوم تغير
الارض (غير الارض) على
حال سوى هذه الحال
وتبديلها ان يزداد فيها وينقص منها وسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض (والسموات) مطويات بيمينه

وقرى بالفتح والنصب على لغة من يفتح لامكى وقرى وان كاده مكرهم ﴿ فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله ﴾ مثل قوله انا لننصر رسلا كتب الله لاغبين أناورسلى واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذا ناباه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
واذا لم يخلف وعده احد فكيف يخلف رسله ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب لا يماكر قادر لا يدافع
﴿ ذوانتقام ﴾ لاوليائه من أعدائه ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض ﴾ بدل من يوم تأتيهم
أوظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل
ان لا يعمل فيما بعده ﴿ والسموات ﴾ عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات
والتبديل يكون فى الذات كقولاك بدلت الدارهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها
وفى الصفة كقولاك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله

القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة
قذفت بنفسها فى بحر فى الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم
ملطخا بالدم قال كفى لله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشببات الى
أسفل وينكس اللحم فذل فهبطت النصور بالتأبوت فسمعت الجبال خفيق التأبوت
والنصور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت
تزلزل عن أركانها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزلزل منه الجبال واستبعد
بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل
هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بناويل
الآية البتة ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ (يعنى فلا تحسبن الله يا محمد مخلف
ما وعده رسله من النصر واعلاء الكلمة وازهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه
ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده ﴿ ان الله
عزيز ﴾ أى غالب ﴿ ذوانتقام ﴾ (يعنى من أعدائه) قوله عز وجل ﴿ يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات ﴾ ذكر المفسرون فى معنى هذا التبديل قولين
أحدهما انه تبدل عفة الارض والسماء لاذاتهما فامتا تبدل الارض بتغيير صفتها
وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدكدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب
أشجارها وجيع ما عليها من عارة وغيرها لا يبقى على وجهها شئ الاذهب وتدمد الاديم
وأما تبديل السماء فهو أن تذتر كواكبها وتطمس شمسها وقرها ويكوران وكونها تارة كالدخان
وتارة كالهلل وبهذا القول قال جماعة من العلماء ويبدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل
بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجاه فى الصححين العفراء بالعين المهملة وهى البيضاء
الى حرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المائل الى حرة كان
النار ميلت بياض وجهها الى الحمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد
تبدل هيئتها وزوال جبالها وجيع بناؤها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثانى هو تبدل

وتبديلها ان يزداد فيها وينقص منها وسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض (والسموات) مطويات بيمينه

سيئاتهم حسنات والآية تحتلها وعن علي رضي الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض
بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض
وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه
وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمدد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا أمتا واعلم انه لا يلزم على اوجد الاول ان يكون الحاصل بالتبدل ارضا وسماء على
الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما يشعر به

ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبدل فقال
ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الارض بارض كأن فضة بيضاء نقية لم يسفك بها
دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الارض من فضة
والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبدل بان تصير الارض نيرانا والسماء
جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة
بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤوها الجبار بيده كما
يتكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة أخرجه في الصحيحين بزيادة فيه
قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزول فبضم النون
والزاء ويجوز اسكان الزاء وهو ما يمد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء
وقال أهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة يتكفؤوها بالهمز بيده أي يحملها من يد
إلى يد حتى تجتمع وتسوى لأنها ليست منبسطة كالرقافة وقد حقهنا الكلام في اليد
في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارية عليه ليس كمثلته شيء
ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالظلمة أي الرغيف العظيم وتكون
طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شيء قديره فان قلت اذا فسرت التبدل بما ذكرت
فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل
ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل أولا صفاتها مع بقاء ذاتها كما
تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها
بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فان يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال علي الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان ان
حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الارض
غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند في هذين الحديثين
دليل على ان تبدل الارض ثانی مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار

السموات وانما حذف
لدلالة ما قبله عليه والتبديل
التغيير وقد يكون في الذوات
كقوله بدلت الدارهم
دنانير وفي الاوصاف
كقوله بدلت الحلقة خاتما
إذا أذبتها وسويتها خاتما
فنقلتها من شكل الى شكل
واختلف في تبدل الارض
والسموات فقيل تبدل
أوصافها وتسير عن الارض
جبالها وتفجر بحارها
وتسوى فلا ترى فيها عوجا
ولا أمتا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي تلك
الارض وانما تغير وتبدل
السماء بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف
قمرها وانشقاقها وكونها
أبوابا وقيل تخلق بدلها
ارض وسموات أخرى وعن
ابن مسعود رضي الله عنه
يحشر الناس على أرض
بيضاء لم يخطئ عليها أحد
خطيئة وعن علي رضي الله
عنه تبدل ارضا من
فضة وسموات من ذهب

(وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة (وترى الجرمين) الكافرين (يومئذ يوم القيامة) (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين ﴿٥٤٣﴾ أو قرنت أيديهم {سورة ابراهيم} الى أرجلهم مغالين (في

الاصفاد) متعلق بمقرنين أى يقربون في الاصفاد أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود والاعلال (سرايلهم) قصصهم (من قطران) هو ما يتحلب من شجر يسمى الابل فيطبخ فيه ثأبه الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته

وحره ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرايل ليجمع عليهم لذع القطران وحرقة واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ومنتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ماعده الله أو أوعده به في الآخرة فيبينه وبين ما شاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ماعذنا منه الا الاسامى والسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطران زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناه

قوله تعالى كالان كتاب الابرار في عليين وقوله ان كتاب الفجار في سجين ﴿وبرزوا﴾ من اجداثهم ﴿لله الواحد القهار﴾ لحسابته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار ﴿وترى الجرمين يومئذ مقرنين﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة والملكات الباطلة أو قرنت أيديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لما أخذتهم على ما اقترفته أيديهم وارجلهم ﴿في الاصفاد﴾ متعلق بمقرنين أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخليل قد لاقى صفادا . بعض يساعد وبعض ساق

واصله الشد ﴿سرايلهم﴾ قصصانهم ﴿من قطران﴾ وجاء قطران وقطران لغتين فيد وهو ما يتحلب من الابل فيطبخ فيه ثأبه الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقصص ليجمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ومنتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة كتابه ﴿وقوله تعالى﴾ وبرزوا ﴿يعنى﴾ وخرجوا من قبورهم ﴿لله﴾ يعنى لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب ﴿الواحد القهار﴾ صفتان لله تعالى فالواحد الذى لا ثانى له ولا شريك معه المنزه عن الشبهة والفسد والتد والقهار الغالب الذى يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿قوله تعالى﴾ وترى الجرمين يومئذ مقرنين ﴿يعنى﴾ مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شدته معه فى رباط واحد ﴿في الاصفاد﴾ يعنى فى القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقال ابو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهى القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض ﴿سرايلهم﴾ يعنى قصصهم واحداها سربال وقيل السربال كل مالبس ﴿من قطران﴾ القطران دهن يتحلب من شجر الابل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم قطران سرايل لانه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود ولو أراد الله المبالغة فى احراقهم بغير ذلك لقدرة ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطران على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب

(وبرزوا لله) خرجوا وظهروا لله (الواحد القهار) خلقه بالموت (وترى الجرمين) المشركين (يومئذ) يوم القيامة مسلسلين (مقرنين) ويقال مقيدين (في الاصفاد) في القيود مع الشياطين (سرايلهم) قصصهم (من قطران) من نار سوداء كالقطران ويقال من قطران

(وتفتشى وجوههم النار) تملوها باشتعالها وخص الوجه لانه أعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يفعل بالجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس مجرمة أو مطيعة لانه { الجزء الثالث عشر } اذا عاقب ٥٤٤ المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب

المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أى ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) هذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أى لينصحووا ولينذروا (وليلعولوا أنا هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما نذروا به عنهم دعمت الخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كله (وليذكروا الاولوالالباب) ذوو العقول .

من صفر حارة قد انتهى حره (وتفتشى) تملو (وجوههم النار ليجزى الله) وهذا مقدم ومؤخر يقول ورزوا لله الواحد القهار ليجزى الله (كل نفس) مرة أو فاجرة (ما كسبت) من الخير والشر (ان الله سريع الحساب) شديد العقاب ويقال اذا

والهيآت الوحشة فيجب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآتى المتناهي حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في مقرنين ﴿ وتفتشى وجوههم النار ﴾ وتفتشها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانه فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يحسبون في النار على وجوههم ﴿ ليجزى الله كل نفس ﴾ أى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة ﴿ ما كسبت ﴾ أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لانه اذا بين ان الجرمين يعاقبون لاجرامهم عيان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ لانه لا يشغله حساب عن حساب ﴿ هذا ﴾ اشارة الى القرآن أو السورة أو ما فيه من العظة والتذكير وما وصفه من قوله ولا تحسبن الله ﴿ بلاغ للناس ﴾ كفاية لهم في الموعظة ﴿ ولينذروا به ﴾ عطف على محذوف أى لينصحووا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى . وقرئ بفتح الياء من نذربه اذا عليه واستعمله ﴿ وليلعولوا أنا هو اله واحد ﴾ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة على ما يدل عليه ﴿ وليذكروا الاولوالالباب ﴾ فيرتدعوا عما يرد بهم ويتدبروا عما يحظيهم . واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

والآن الذي انتهى حره ﴿ وتفتشى وجوههم النار ﴾ يعنى تملوها وتجلها ﴿ ليجزى الله كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خير أو شر ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ يعنى هذا القرآن فيد تبليغ وموعظة للناس ﴿ ولينذروا به ﴾ يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره ﴿ وليلعولوا أنا هو اله واحد ﴾ يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى ﴿ وليذكروا الاولوالالباب ﴾ يعنى وليتقوا بهذا القرآن وما فيه من الموعظ أو لوالعقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

حاسب فحسابه سريع (هذا بلاغ للناس) أبلغهم عن الله ويقال بيان لهم بالاسروا النبي والوعود والوعيد والحلال والحرام (ولينذروا به) لكي يخوفوا بالقرآن (وليلعولوا) لكي يعلموا ويقروا (أنا هو اله واحد) بلا ولد ولا شريك (وليذكروا) لكي يتعظوا بالقرآن (أو لوالالباب) ذوو العقول من الناس (قوله وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخ) هذا الحديث رواه ابن مردويه والتعليق والواحدى وهو موضوع ايضا كما ذكره العراقي رحمه الله تعالى .

الحجر الرابع عشر

اللهم يا مقبب القلوب ثبت قلوبنا على دينك

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أول تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (الإشارة إلى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتكثيره لتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا مبين الرشيد

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع

وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله سبحانه وتعالى (أول تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب بالقرآن المبين الكتاب الذي وعده الله به محمد صلى الله عليه وسلم وتكثير القرآن لتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لأنه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لأنه لم يجز لتوراة والانجيل ذكر حتى يشار إليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفائدة وهم التفخيم والتعظيم والمدين الذي بين الحلال والحرام والحق

سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم (أول تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتكثير القرآن لتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في

ومن السورة التي يذكر فيها الحجر وهي كلها مكية وكلها ستمائة وخمسون وأربع وحروفها ألفان وسبعمائة وستون

بسم الله الرحمن الرحيم وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (أول) يقول أما الله أرى ويقال قسم أقسم بالآلاف والالام والراء (تلك آيات الكتاب) إن هذه السورة آيات الكتاب (وقرآن مبين) يقول واقسم بالقرآن المبين بالحلال والحرام والام

حرف يجر ما بعده ويختص
بالاسم التكررة فاذا كفت
وقع بعدها الفعل الماضي
والاسم وانما جاز (بود الذين
كفروا) لان المترقب في
أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي
المتطوع به في تحققة فكانه
قيل ربما ودوا واداتهم
تكون عند النزاع أو يوم
القيامة اذا عانوا حالهم
وحال المسلمين أو اذاروا
المسلمين يخرجون من النار
فيتمنى الكافر لو كان مسلما
كذاروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما (لو كانوا
مسلمين) حكاية ودادتهم
وانما جئ بها على لفظ الغيبة
لانهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل
حلف بالله لافعلن ولو كنا
مسلمين لكان حسنا وانما
قل رب لان أهوال القيامة
تشغلهم عن التمنى فاذا أفاقروا

والنهي (ربما يود) يتمنى
(الذين كفروا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن
(لو كانوا مسلمين) في الدنيا
يقول ربما أى على الكافرين
يوم يتمنى أنه كان مسلما
ولهذا كان القسم وذلك اذا
أخرج الله من النار من كان
مؤمنًا مخلصا بآيمانه وأدخله
الجنة فعند ذلك يتمنى الكافر
أنه كان مسلما في الدنيا

من التنى بيا غريبا ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ حين عانوا حال المسلمين
عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ
ربما بالقح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وقمعه مع التشديد والتخفيف وبتاء الأيـ
ودونها وما كافتة تكفه عن الجـر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما
كان المترقب في أخبار الله تعالى كالماضى في تحققة أجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله
ربما تكرر النفوس من الاله رله فرجة لكل العقال
ومعنى التقليل فيه الايدان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف
وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغية في حكاية

من الباطل ﴿ ربما ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكـم للتكثير
وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت
جملت ما بمنزلة شئ كأنك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ ﴿ يود الذين كفروا ﴾
وقيل ما في ربما بمعنى حين أى رب حين يود يعنى يتمنى الذين كفروا والان التمنى هو تشهى حصول
ما يودونه واختلف المفسرون في الوقت الذى يتمنى الذين كفروا ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ على
قولين أحدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافرانـ
كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمنى قال الضحاك هو عند
حالة المعاينة والقول الثانى ان هذا التمنى يكون في الآخرة وذلك حين يعانـون أهوال
يوم القيامة وشدائده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أهوال العذاب ورأى حالا من
أحوال المسلم ودلوا قل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرجم المسلمين ويشنع
بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمنى حين يخرج الله المؤمنين من النار ﴿ عن
أبى موسى الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار في النار
ومهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة أستم مسلمين
قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا
بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمة فيأمر الله بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون
منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوى بغير سند وكذا ذكره ابن
الجوزى وقال اليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء
وأبو العالية وابراهيم يعنى النخعي فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا
لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
قلت قال صاحب الكشف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك
وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون في تدممه ولا يقصدون تقييله ولكنهم أرادوا
لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لاتقبل هذا الفعل لان العقلاء

من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعنى بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرف أهل اللغة لانها وضعت للتقليل (ذرهم) أسرا هانة أى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعمهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة واخلهم (يأكلوا) الجزء الرابع عشر { ويتمتعوا } بدنيهم ٥٤٨ (ويلهمهم الامل) ويشغلهم

أملهم وأمانهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جلة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كافي وما أهلكنا من قرية الا الهام منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذا الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجئى بالواو تأكيداً لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالاً للقرية لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لاوصفاً وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلاً الذى كتب في اللوح المحفوظ وبين الا ترى الى قوله (ما سبق من أمة أجلاً) في موضع كتابها (وما يستأخرون) أى عنه وحذف لانه معلوم وأنشأ الأمة أولاً (ذرهم) اتركهم يا محمد (يأكلوا) بلاجة ولاهمة ما فى الغد (ويتمتعوا) يعيشوا

ودادتهم كالفية في قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعمهم (يأكلوا) ويتمتعوا بدنيهم (ويلهمهم الامل) ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ارعوائهم وايدانهم بانهم من أهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغالهم بالاطائل تحت وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التمتع وما يؤدى اليه طول الامل (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة للقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا الهام منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيداً للصوقها بالموصوف (ما سبق من أمة أجلاً) وما يستأخرون أى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى

يتحززون من التعرض للغم المظنون كما يحززون من المتيقن ومن القابل منه كما يحززون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجراً لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الاعلى الماضى فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل . قلت لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به في تحققه كانه قال ربما يود قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلهمهم الامل) يعنى ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعنى اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فتنى بينا العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتمتع في الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى طالب انما أخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل يندى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعنى من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الاولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتهم الا في الوقت الذى حداهم في اللوح المحفوظ (ما سبق من أمة أجلاً) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاني من أحد يعنى أحد وقيل هى على أصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي أكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وانما أدخل الهاء في

في الكفر والحرام (ويلهمهم الامل) ويشغلهم الامل الطويل عن طاعة الله (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) (أجلاً) عند الموت وفي القبر ويوم القيامة ماذا يفعل بهم (وما أهلكنا من قرية) من أهل قرية (الاولها كتاب معلوم) فيه أجل معلوم مؤقت لهلاكهم (ما سبق من أمة أجلاً) يقول لا تموت ولا تهلك أمة قبل أجلاً (وما يستأخرون) ولا تؤخر أمة عن أجلاً

ثم ذكرها آخرها جلا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن (انك المجنون) يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم المجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون ﴿٥٤٩﴾ والتعكيس في كلامهم للاستهزاء ﴿سورة الحجر﴾ واتهمك سائغ ومنه فبشرهم

بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعى ان الله نزل عليك الذكر (لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لوركت مع لا وما لا متناع الشيء لوجود غيره أول التحضيض وهل ركت مع لا للتحضيض لحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهرون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا (مانزل الملائكة) كوفي غير أبي بكر تنزل الملائكة أي تنزل غيرهم (الابالحق) الا تنزيلا ملتبس بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا اذا منظرين (انما نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ نادوا به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على التهمك ألا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم ﴿انك المجنون﴾ ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم المجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين ندعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر وهو القرآن ﴿لوما تأتينا﴾ ركب لوم مع ما كركب مع للمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض ﴿بالملائكة﴾ ليصدقون ويعضدوا على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كانت الائم المكذبة قبل ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في دعواك ﴿ما ينزل الملائكة﴾ بالياء ونصب الملائكة على ان الضمير لله تعالى وقرأ جزء والكسائي وحفص بالنون وابوبكر بالياء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تنزل ﴿الابالحق﴾ الا تنزيلا ملتبس بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتاله بالايمان وقيل الحق الوحي أو العذاب ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين ﴿انما نحن نزلنا الذكر﴾ رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه

أجلها الارادة الامة وأخرجهما من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال ﴿قوله عز وجل﴾ وقالوا ﴿يعنى مشركي مكة﴾ يا أيها الذي نزل عليه الذكر ﴿يعنى القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم﴾ انك المجنون ﴿انما نسبه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فرمى به الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأنى هذا القرآن العظيم أنكره ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده وعتقاد أصحابه وأتباعه انك المجنون في ادعائك الرسالة ﴿لوما﴾ قال الزجاج والقرء لوما ولو لا افتتان ومناهما هلا يعنى هلا ﴿تأتيها الملائكة﴾ يعنى يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى في قولك وادعائك الرسالة ﴿مانزل الملائكة الابالحق﴾ بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ يعنى لو نزلت الملائكة اليهم لم يعملوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفارا مكة كانوا ياطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا نزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا ﴿انما نحن نزلنا الذكر﴾ يعنى القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انما نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه

(وقالوا) عبدالله بن امية المخزومي وأصحابه لمحمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر)

جبريل بالقرآن بزعمك (انك المجنون) تختلق (لوما تأتينا) هلا تأتينا (بالملائكة) من السماء فيشهدوا لك انك رسول الله (ان كنت من الصادقين) في مقاتلك قال الله (مانزل الملائكة) من السماء (الابالحق) بالهلاك وقبض ارواحهم (وما كانوا اذا منظرين) مؤجلين اذا نزلت عليهم الملائكة (انما نحن نزلنا الذكر) جبريل

(واناله لحافظون) وهو رد { الجزء الرابع عشر } لانكارهم ٥٥٠ واستهزاؤهم في قواهم يأباه الذي نزل عليه

الذكر ولذلك قال انما نحن
فاكد عليهم انه هو المنزل
على القطع وانه هو الذي
نزله محفوظا من الشياطين
وهو حافظه في كل وقت
من الزيادة والنقصان
والتحريف والتبديل بخلاف
الكتب المتقدمة فانه لم
يتسول حفظها وانما
استحفظها الربانيين و
الاحبار فاختفوا فيما بينهم
بغيا فوق التحريف ولم
يكل القرآن الى غير حفظه
وقد جعل قوله واناله
لحافظون دليلا على انه
منزل من عنده آية اذ لو
كان من قول البشر أو غير
آية لتطرق عليه الزيادة
والنقصان كما تطرق على
كل كلام سواه أو الضمير
في له لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كقوله والله يصمك

(ولقد أرسلنا من قبلك في
شيع الاولين) أي واقد
أرسلنا من قبلك رسالا في
الفرق الاولين والشيعه
الفرقة اذا اتفقوا على

بالقرآن (واناله) للقرآن
(لحافظون) من الشياطين
حتى لا يزيدوا فيه ولا
ينقصوا منه ولا يغيروا حكمه
ويقال اناله للمحمد صلى الله
عليه وسلم لحافظون من

الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (في شيع الاولين) في فرق

(في شيع)

وقرره بقوله واناله لحافظون أي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه مجزا
مباينا للكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي تطرق الخلل اليه
في الدوام بضمان الحفظ له كما نفي ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع
شيعه وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعدا ذاتهم واصله الشيعاء وهو
الخطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجلا فيهم وجعلناهم رسالا فيما بينهم

هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم واناله لحافظون الضمير في له يرجع
الى الذكر يعني وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيد والنقص منه
والتغيير والتبديل والتحريف قال القرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر
أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة
وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف
والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى مصونا الى الابد
محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله
عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون ممن أراد به سوءه فهو كقوله تعالى والله يصمك من الناس
ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو
محمد صلى الله عليه وسلم فحين صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما الان لقول الاول
أصبح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشبه بظاهر التبريل ورد الكناية الى أقرب مذكور
أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختل في كيفية
حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله مجزا بانيامباينا لكلام البشر
فحجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لغير
نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله
حفظه وصانه من المعارضة فيقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز
الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجده من اوجوه ففيض الله العلماء الراغبين بحفظه لئلا
يبدون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله
وافساده فيقدروا على ذلك بحمد الله تعالى قوله سبحانه وتعالى ولقد أرسلنا من قبلك
في شيع الاولين لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالطوه بالسفاهة
وهو قواهم انك لن تحنوا وأسأوا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر
على أذى قومك بجميع الانبياء فبه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره
ولقد أرسلنا رسالا من قبلك يا محمد فمحذوف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه
وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعه هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء
الشيعه هم الاتباع وشيعه الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله

مذهب وطريقة (وما يأتهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الاكناوبه يستهزؤن) ﴿ ٥٥١ ﴾ يعزى نبويه عليه { سورة الحجر } السلام (كذلك نسلكه

في قلوب المجرمين) أى كما
 سلكنا الكفر أو الاستهزاء
 في شيع الاولين نسلكه أى
 الكفر أو الاستهزاء في قلوب
 المجرمين من أمتك في اختيار
 ذلك يقال سلكت الخيط في
 الابرة وأسلكته اذا دخلته
 فيها وهو حجة على المعتزلة
 في الاصلح وخلق الافعال
 (لا يؤمنون به) بالله أو
 بالذكرو هو حال (وقد خلت
 سنة الاولين) مضت طريقته

التي سنّها الله في أهلاكم
حين كذبوا رسله وهو وعيد
لأهل مكة على تكذيبهم
(ولو فتحنا عليهم بابا من
السماء) واو أظهرنا لهم
أوضح آية وهو فتح باب
من السماء (فظلوا فيه
يعرجون) يصعدون

الاولين (وما يأنىهم من رسول)

مرسل الیہم (الاکانوابہ)

بارسل (یستہزؤن) بسحر و ن

(کذا) (کذا) (نسلک)

نترك التكذيب (في قلوب

المجرمين) المشرکین (لا

یؤمنون بہ) لکی لایؤمنوا

محمد صلى الله عليه وسلم
التي آتيناها للناس

والفرار و نزول العذاب
عاب (مقد خات) مضت

(سنة الامانة) سنة

﴿ وما يأتيهم من رسول إلا كانوا يستهزؤن ﴾ كما فعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما للحال لا تدخل الامصارا بهناه أو ما ضايق ربنا من هذا على حكاية الحال الماضية ﴿ كذلك نسلكه ﴾ ندخله ﴿ في قلوب الخمرمين ﴾ والسالك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الخيط والرمح في المطعون والضمير الاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله ﴿ لا يؤمنون به ﴾ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السالك نسلك الذكر في قلوب الخمرمين كذباً غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالاً من الضمير لجواز ان تكون حالاً من الخمرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل بقويته ﴿ وقد خلت سنة الاولين ﴾ أي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيد الالهة مكية ﴿ ولو فتحنا عليهم ﴾ على هؤلاء المقتدر حين ﴿ باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ يصعدون اليها

في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف ﴿ وماياتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسله في قلوب المجرمين ﴾ السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والساك ادخال الشيء في الشيء كادخال الحيط في الخيط ومعنى الآية كما نسلنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسله أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدريّة والمعتزلة وهى أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليست حسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احمج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسله أى كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وماياتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسله عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسله في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿ وقوله تعالى ﴿ لا يؤمنون به ﴾ ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن ﴿ وقد خلت سنة الاولين ﴾ فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من المذاب ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يرجون ﴾ يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لوماتنا بينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا

الاولين يتكذب الرسل كما كذب قومك ومضت سيرة الله فيهم بالعذاب والهلاك من الله لهم عند التكذيب (ولو قمنا عليهم)
على أهل مكة (بابا من السماء) يدخلون فيه (فظلوا فيه) فصاروا فيه (يعرجون) يصعدون وينزلون يعني كالملائكة

صبرت أو جست من الابصار
من السكر أو من السكر سكرت
مكى اى حبست كما يحبس
النهر من الجرى المعنى ان هؤلاء
المشركين باغ من غلوهم
فى العناد ان وقع لهم باب
من أبواب السماء ويسر
لهم معراج يصعدون فيه
اليهاور أو امن العيان مارأوا
لقاوا هو شئ نحايله
لاحقيقة له و قالوا (بل
نحن قوم مسحورون) قد
سحرنا بمحمد بذلك أو الضمير
للملائكة أى لو أريناهم
الملائكة يصعدون فى السماء
عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجمل عروجهم
بالنهار ليكونوا مستوضحين
لما يرون وقال انما ايدل
على أنهم يتون القول بان
ذلك ليس الا تسكيرا لالبصار
(ولقد جعلنا فى السماء)
خلقنا فيها (بروج) نجومها
أو قصورا فيها الحرس أو
منازل للنجوم (وزيناها)
أى السماء

(لقالوا) كفار مكة (انما
سكرت ابصارنا) أخذت
أعيننا (بل نحن قوم
مسحورون) مغلوبو العقل
قد سحرنا (ولقد جعلنا فى
السماء بروج) قصورا ويقال
نجومها وهى النجوم التى
يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر
(وزيناها) يعنى السماء

ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا)
من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار
بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة
من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا بمحمد بذلك كما قالوه عند ظهور
غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لاحقيقة له
بل هو باطل خيل ما خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء بروج) أى عشر
مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناها)

فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يعرجون
يعنى يصعدون والمعارض المصاعد وفى المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان
أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحك والمعنى لو كشف عن أبصار
هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثانى
أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون فى ذلك
الباب فيظنون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم
ولقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس
سدت أبصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو
من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع
للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت أبصارنا
وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن
النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى سحرنا بمحمد وعمل فينا سحره وحاصل
الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة
فيروهم عينا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه
عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة قوله (سبحانه وتعالى)
(ولقد جعلنا فى السماء بروج) البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها
برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه
البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلاث منزل وقد تقدم
ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة وستين
درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تتم دورة
الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد
بروج الشمس والقمر يعنى منازلها وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس
وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه
البروج وهى نجوم على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها)

بالاشكال والهيآت البهية ﴿لِلنَّازِطِينَ﴾ الْمُعْتَبِرِينَ الْمُسْتَدْلِينَ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ مَبْدَعِهَا وَلَوْ حِدْصَانِهَا ﴿وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ فَلَا يَقْدِرَانِ يَصْعَدُ إِلَيْهَا وَيُوسُوسُ أَهْلُهَا وَيَتَصَرَّفُ فِي أَمْرِهَا وَيَطْلُعُ عَلَى أَحْوَالِهَا ﴿الْأَمِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ﴾ بَدَلَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَاسْتَرَقَّ السَّمْعُ اخْتِلَاسُهُ سِرَاشِبُهُ خَطْفَتُهُمُ الْيَسِيرَةُ مِنْ قِطَانِ السَّمَوَاتِ لَمَّا بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَاسِبَةِ فِي الْجَوْهَرِ أَوْ بِالْإِسْتِدْلَالِ مِنْ أَوْضَاعِ الْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِهَا وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُمَا كَانُوا لَا يَحْجُبُونَ عَنِ السَّمَوَاتِ فَلَمَّا وَلَدَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنَعُوا مِنْ ثَلَاثِ سَمَوَاتٍ فَلَمَّا وَلَدَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَعُوا مِنْ كُلِّهَا بِالشَّهْبِ وَلَا يَقْدَحُ فِيهِ تَكُونُهَا قَبْلَ الْمَوْلَدِ لِحَوَازِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سَبَابُ آخَرٍ وَقِيلَ الْإِسْتِثْنَاءُ مَنْقُطَعٌ أَيْ وَلَكِنْ مِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ فَتَبَعَهُ وَلَحَقَهُ ﴿شَهَابٌ مَبِينٌ﴾ ظَاهِرٌ

يَعْنِي السَّمَاءَ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ﴿لِلنَّازِطِينَ﴾ يَعْنِي الْمُعْتَبِرِينَ الْمُسْتَدْلِينَ بِهَا عَلَى تَوْحِيدِ خَالِقِهَا وَصَانِهَا وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي أَوْحَدَ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ ﴿وَحَفَظْنَاهَا﴾ يَعْنِي السَّمَاءَ ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أَيْ مَرْجُومٍ فَمِيلَ بِعَيْنٍ مَفْعُولٌ وَقِيلَ مَاعُونٌ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَتِ الشَّيَاطِينُ لَا يَحْجُبُونَ عَنِ السَّمَوَاتِ وَكَانُوا يَدْخُلُونَهَا وَيَأْتُونَ بِأَخْبَارِهَا إِلَى الْكَهْنَةِ فَيُلْقُونَهَا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا وَلَدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنَعُوا مِنْ ثَلَاثِ سَمَوَاتٍ فَلَمَّا وَلَدَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَعُوا مِنْ السَّمَوَاتِ أَجْمَعِ فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَرَقَّ السَّمْعَ الْارْمِي بِشَهَابٍ فَلَمَّا مَنَعُوا مِنْ تِلْكَ الْمَقَاعِدِ ذَكَرُوا ذَلِكَ لِابْلِيسَ فَقَالَ لَقَدْ حَدَّثَ فِي الْأَرْضِ حَدَثٌ فَبِعَثْمٍ يَنْظُرُونَ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فَقَالُوا هَذَا وَاللَّهِ حَدَثٌ ﴿الْأَمِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطَعٌ مَعْنَاهُ لَكِنْ مِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ أَيْ لَحَقَهُ ﴿شَهَابٌ مَبِينٌ﴾ وَالشَّهَابُ شَمَلَةٌ مِنْ نَارٍ سَاطِعَةٍ سَمِيَ الْكَوْكَبُ شَهَابًا لِأَجْلِ مَا فِيهِ مِنَ الْبَرِيقِ شَبَّهَ بِشَهَابِ النَّارِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ الْأَمِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ يَرِيدُ الْخَطْفَةَ الْيَسِيرَةَ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَرَقُونَ السَّمْعَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَرْمُونَ بِالْكَوَاكِبِ فَلَا تَخْطِي أَبَدًا فَمِنْهُمْ مَنْ تَقْتُلُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ تَحْرُقُ وَجْهَهُ أَوْ جَنْبَهُ أَوْ يَدَهُ أَوْ حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ تَحْبِلُهُ فَيَصِيرُ غَوْلًا يَضِلُّ النَّاسَ فِي الْبُؤَادَى (خ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سُلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الَّذِي قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مَسْتَرَقُوا السَّمْعِ وَمَسْتَرَقُوا السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ وَوَصَفَ سَفِيَانٌ بِكَفِّهِ فُحْرَهَا وَبَدَدِيْنِ أَصَابِعَهُ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يَدْرَكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةً فَيَقَالُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا كَذَا وَكَذَا فَيَصْدُقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعْتَ مِنَ السَّمَاءِ

فصل

اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه

(لِلنَّازِطِينَ وَحَفَظْنَاهَا)
أَي السَّمَاءِ (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) مَلْعُونٌ أَوْ مَرْمَى
بِالنُّجُومِ (الْأَمِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ) أَيْ الْمَسْمُوعُ وَمَنْ
فِي مَحَلِّ التَّعَسُّبِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ
(فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ) نَجْمٌ
يَنْقُضُ فَيَعُودُ (مَبِينٌ)
ظَاهِرٌ لِلْمُبْصِرِينَ قِيلَ كَانُوا
لَا يَحْجُبُونَ عَنِ السَّمَوَاتِ
كُلِّهَا فَلَمَّا وَلَدَ عِيسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ مَنَعُوا مِنْ ثَلَاثِ
سَمَوَاتٍ فَلَمَّا وَلَدَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَعُوا مِنْ
السَّمَوَاتِ كُلِّهَا

بِالْكَوَاكِبِ (لِلنَّازِطِينَ)
أَي هِيَ النُّجُومُ الَّتِي زِينَتْ
بِهَا السَّمَاءُ (وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) مَلْعُونٌ
مَطْرُودٌ بِالنُّجُومِ الَّتِي يَرْجُرُونَ
بِهَا عَنْ اسْتِمَاعِ الْمَلَائِكَةِ يَعْنِي
الشَّيَاطِينَ (الْأَمِنْ اسْتَرَقَّ
السَّمْعُ) الْأَمِنْ اخْتِلَاسُ خَلْسَةِ
(فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مَبِينٌ) يُلْحَقُهُ
نَجْمٌ مَضَى حَارًا وَمَوْقِدٌ

لمبصرين كالزينة والشهاب شملة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق
وسلم أم لأعلى قولين . أحدهما أنها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم
وبدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه
في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء
وأرسلت عليهم الشهب أخرجا في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على أن هذا
الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي وبعضه
ما روى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال أول من فزع للرمي بالنجوم
هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج
وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى
ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء
من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طى
الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا
لامر أراد الله من الخلق قال الزجاج وبدل على أنها كانت بعد مولد النبي صلى الله
عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم
ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله تعالى عليه وسلم استعملت
الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية • مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما
بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال
نعم قلت أفرايت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها
حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم • وبدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس
قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينما هم جلوس
ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذ رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة
رجل عظيم أومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها
لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سجع حلة العرش ثم سجع أهل
السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حلة العرش لحلة
العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ
الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى أوليائهم ويرمون فاجاؤابه
على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة
ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا

❦ والارض مدناها ❦ بسطناها ❦ وألقينا فيها رواسي ❦ جبالاً ثوابت ❦ وأنبثنا فيها ❦ في الارض أوفياء وفي الجبال ❦ من كل شيء موزون ❦ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر أوله وزن في ابواب النعمة والمنفعة ❦ وجعلنا لكم فيها معاش ❦ تعيشون بها من المطاعم والملابس

وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالمرير هقها الغبار وجحشها • ينقض خلفهما انقضاء الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدرى يتبعه • تقع يثور تخاله طنباً

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجوداً قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراسها صونا لآخبار الغيوب والله أعلم ❦ قوله سبحانه وتعالى ❦ والارض مدناها ❦ يعني بسطناها على وجه الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مدناها بأن الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض ❦ وألقينا فيها رواسي ❦ يعني جبالاً ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء ماتت ورجفت فأنبت بها بالجبال ❦ وأنبثنا فيها ❦ أي في الارض لان أنواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور ولقوله تعالى ❦ من كل شيء موزون ❦ وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازاً لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عني به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسباً حسناً بعيداً من الخطأ والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون أيضاً وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقداران بالوزن ❦ وجعلنا لكم فيها معاش ❦ جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس

(والارض مدناها) بسطناها

من تحت الكعبة والجهور

على انه تعالى مدها على وجه

الماء (وألقينا فيها رواسي)

في الارض جبالاً ثوابت

(وأنبثنا فيها من كل شيء

موزون) وزن بميزان

الحكمة وقدر بمقدار

تقتضيه لاتصلح فيه زيادة

ولا نقصان أوله وزن وقدر

في أبواب النعمة والنعمة

أو ما يوزن كالزعفران

والذهب والفضة والنحاس

والحديد وغيرها وخص

ما يوزن لانتهاه الكيل

الى الوزن (وجعلنا لكم

فيها) في الارض (معاش)

ما يعيش به من المطاعم جمع

معيشة وهي بياض صريحة

بخلاف الخبائث ونحوها

فان تصریح الياء فيها خطأ

(والارض مدناها)

بسطناها على الماء

(وألقينا فيها) على الارض

(رواسي) جبالاً ثوابت

أو نادالها (وأنبثنا فيها)

في الجبال ويقال في الارض

(من كل شيء) من النبات

والثمار (موزون) مقدور

مقسوم معلوم ويقال من كل

شيء موزون يوزن مثل

الذهب والفضة والحديد

والصفر والرصاص وغير

ذلك (وجعلنا) خلقنا (لكم

فيها معاش) في الارض من النبات والثمار

وما تأكلون وتشربون وتلبسون

فيها معاش

(ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالهطف على معاش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا { الجزء الرابع عشر } لكم فيها معاش ﴿ ٥٥٦ ﴾ ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال

والممالك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وأياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من جراب الهطف على الضمير المجرور في لكم لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار (وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) ذكر الخزانة تمثيل والمعنى ومامن شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والاعمال به وما نعطيها الا بمقدار معلوم فضرر الخزانة مثلا لا قدره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حلت وضدها المقيم الريح سوزة

(ومن لستم له برازقين) يقول ويرزق من لستم له برازقين يعني الطير والوحش ويقال الجنة في البطون (وان من شيء) ومامن شيء من النبات والثمار والأمطار (الا عندنا خزائنه) مفاتيحه يقول بيدنا مفاتيحه لا يديكم (وما ننزله)

وقرى بالهمزة على التشبيه بشمائل ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ عطف على معاش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والممالك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم وأياهم وذلك الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقه وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحده ويبيده ثم بالغ في ذلك وقال ﴿ وان من شيء الا عندنا خزائنه ﴾ أي ومامن شيء الا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرر الخزانة مثلا لا قدره أو شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد ﴿ وما ننزله ﴾ من يفاع القدرة ﴿ الا بقدر معلوم ﴾ حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الاوقات مشتقلا على بعض الصفات والحالات لا بدله من مخصص حكيم ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ حوامل شبد الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر

ونحو ذلك ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ يعني الدواب والوحش والطير أنتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم يعني مالان من لمن يعقل ومالمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من عصى على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أسلمها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش ﴿ وان من شيء الا عندنا خزائنه ﴾ الخزانة جمع خزائنه وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء اذا أحرزه فقل أراد مفاتيح الخزانة وقيل أراد بالخزانة المطر لأنه سبب الرزاق والمعاش ابني آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا أنه في حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره ﴿ قوله تعالى ﴾ وما ننزله الا بقدر معلوم ﴿ يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطرا ولا معها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يعطى قوما ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شر صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والتقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتجبه في السحاب ثم تمربه

يعني المطر (الا بقدر معلوم) بكيل ووزن معلوم بعم الخزان (وأرسلنا الرياح لواقح) تلقح الشجر والسحاب (قدر)

بالحامل كما شبهه ما لا يكون كذلك بالعميم أو ملقحات للشجر أو السحاب ونظيره الطوائع بمعنى المطيحات في قوله

وختبط مما تطيح الطوائع

وقرى وأرسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدر ﴿فأسقيناكموه﴾ فجعلناه لكم سقيا ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ قادرين متمكنين من إخراجهم نفي عنهم ما أثبتته لنفسه أو حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم كاتل حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه يتنفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقه دون حده لا بدله من سبب مخصص ﴿وانالحن نحي﴾ بإيجاد الحياة في بعض الأجسام

فندر كاتدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الأرض قائم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجمله ركما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والأظهر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عباس لا تنظر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمع معه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد اللواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذف الميم وردت إلى الأصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقح وان ألحق غيرها لأن معناها النسبة كما يقال درهم وازن أي ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعنى لأنه كان يجب أن يصح اللاحق بمعنى ذات لقم حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازى عنه بأن قال هذا ليس بشئ لأن اللاحق هو المنسوب إلى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة إلى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أي ذات لقاح وقيل إن الريح في نفسها لاقح لأنها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى إذا ألقت سحابها تبالأى حلت فملى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقحت إذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير وورد في بعض الأخبار أن الملحق رياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب إلا وأبعت عينا غدة (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الريح قال اللهم انى أسالك خيرا وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوى بسنده إلى الشافعى إلى ابن عباس قال ما هبت ريح قط إلا جئت النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وقال اللهم اجعلها رجة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل أنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ فأنزلنا من السماء ماء ﴿يعنى الماطر﴾ فأسقيناكموه ﴿يعنى جعلنا لكم الماطر سقيا﴾ يقال أسقى فلان فلانا إذا جعل له سقيا وسقاه إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا إذا كان لسقيه فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ما شربه يقال أسقيناها ﴿وما أنتم له﴾ يعنى للماطر ﴿بخازنين﴾ يعنى أن الماطر في خزائنا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بمانعين ﴿وانالحن نحي

(فأنزلنا من السماء ماء)
 (فأسقيناكموه) فجعلناه
 لكم سقيا (وما أنتم
 له بخازنين) نفي عنهم
 ما أثبتته لنفسه في قوله وان
 من شئ إلا عندنا خزائنه
 كانه قال نحن الخازنون
 للماء على معنى نحن القادرون
 على خلقه في السماء وانزاله
 منها وما أنتم عليه بقادرين
 دلالة عظيمة على قدرته
 وعجزهم (وانالحن نحي)

للبعث

القابلة لها ﴿ونميت﴾ بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴿ونحن الوارثون﴾ الباقون اذا مات الخلائق كلها ﴿واقعد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاص الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتياج على كمال قدرته فانه ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصف الاول فازدجوا عليه فترت وقيل ان امرأة حسناء كانت

ونميت ﴿يعني بيدنا احياء الخلق وامانهم لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا نحن نفيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ﴿ونحن الوارثون﴾ وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا يزيل ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداء منه تعالى فاذا فني جميع الخلائق رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على الخراز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴿عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول للابراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا رجع نظر من تحت ابطينه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فرما كان من الرجال من في قلبه رغبة في تأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها رغبة فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فترت هذه الآية فمعد ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله والمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني فهم ما قال الاوزاعي أراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال ابن عباس في رواية أخرى عن ابن عديان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدجوا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فترت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير

ونميت (أي نمحي بالابحاد ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الآجال ونمحي لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير اذا والوا للجمع المطلق (ونحن الوارثون)

الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فناءه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من اصلاص الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو في صف الحرب ومن تأخر

(ونميت) في الدنيا (ونحن الوارثون) المالكون على ما في السموات والارض بعد موت أهلها وقبل موت أهلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم) يعني الاموات من الآباء والامهات ويقال المستقدمين منكم في الصف الاول (ولقد علمنا المستأخرين) يعني الاحياء من البنين والبنات ويقال المستأخرين في الصف الآخر

تصلي خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزات ﴿ وان ربك هو يحشرهم ﴾ لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى بحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله ﴿ انه حكيم ﴾ باهر الحكمة متقن في افعاله ﴿ عليم ﴾ وسع علمه كل شئ ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ﴾ طين يابس يصلصل أى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل ﴿ من جاء ﴾ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من جاء ﴿ مسنون ﴾ مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنيينا ﴿ والجنان ﴾ ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الخنس كما هو الظاهر من الانسان

المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائفتهم وناصيتهم لا يخفى عليه شئ من احوال خلقه ﴿ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ﴾ يعنى على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يمت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ما ماتوا عليه ﴿ م ﴾ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد خلقنا الانسان يعنى آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمى انسانا لظهوره وادراك البصراياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه نفسى ﴿ من صلصال ﴾ يعنى من الطين اليابس الذى اذا انقرته سمعت له صلصلة يعنى صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا انضب عند الماء تشقق فاذا حرك تشقق وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائى وقال هو من صل اللحم اذا انتن ﴿ من جاء ﴾ يعنى من الطين الاسود ﴿ مسنون ﴾ أى متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صيبته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالنفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخره حتى اسود وأنتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من جاء مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صورته صورة انسان أجوف فلما جف وبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالنفخار وهو الطين اليابس اذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا ﴿ قوله تعالى ﴾ والجنان

(وان ربك هو يحشرهم)
أى هو وحده يقدر على
حشرهم ويحيط بحشرهم
(انه حكيم عليم) باهر الحكمة
واسع العلم (ولقد خلقنا
الانسان) أى آدم (من صلصال)
طين يابس غير مطبوع
(من جاء) صفة اصلصال أى
خلقه من صلصا كائن من جاء
أى طين أسود متغير (مسنون)
مصور وفى الاول كان ترابا
فمجن بالماء فصار طينا فكث
فصار جاء فخلص فصار سلاله
فصور وبس فصار صلصالا
فلاتناقض (والجنان) أبا
الجن كآدم للناس أو هو
ابليس وهو منصوب بفعل
مضمر بفسره

(وار ربك هو يحشرهم)
الاولين والآخرين
(انه حكيم) حكم
عليهم بالحشر (عليم)
بحشرهم وبشواهم وعقابهم
(ولقد خلقنا الانسان) يعنى
آدم (من صلصال) من طين
يتصلصل (من جاء) من طين
(مسنون) منتن ويقال
مصور (والجنان) أبا الجن

لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسمه مخلوقا منها وانتصابه بفعل بفسره قوله ﴿ خلقناه من قبل ﴾ من قبل خلق الانسان ﴿ من نار السموم ﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يتمتع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يتمتع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بده خلق الثقلين فهو للتنبه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء ﴿ واذ قال ربك ﴾ واذكر وقت قوله ﴿ للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ﴾ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ خلقناه من قبل ﴿ يعنى من قبل آدم عليه السلام فل ابن عباس الجان أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا شترأكم في الاستتار سمو اجنا لتوارهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاني المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ﴿ من نار السموم ﴾ يعنى من ربح حارة تدخل مسام الانسان من اطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلاهذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلق الملائكة من النور ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذ قال ربك للملائكة ﴿ أى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة ﴿ اني خالق بشرا ﴾ سمي آدمى بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد ﴿ من صلصال من حمأ مسنون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فاذا سويته ﴾ يعنى عدلت صورته وأتممت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسياى

(خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قبل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك اواذكر وقت قوله (للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) أتممت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) وحملت فيه الروح وأحييته وليس تمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص

(خلقناه من قبل) من قبل آدم عليه السلام (من نار السموم) من نار لادخان لها (واذ قال) وقد قال (ربك للملائكة) الذين كانوا في الارض وهم كانوا عشرة آلاف (اني خالق) اخلق (بشرا من صلصال) من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) من طين متنن (فاذا سويته) سويت خلقه باليدين والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي)

(ففعواله ساجدين) هو أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض يعنى اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع بال تخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمال تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى ﴿٥٦١﴾ منه وعن الحسن { سورة الحجر } ان الاستثناء منقطع ولم

يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملهونا وقال في الكشف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتم الا هذا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى إياك السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفي أى لا يصح منى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من جامسنون

اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن تنقعا وازدادة الروح الى نفسه كما مر فى سورة النساء ﴿ ففعواله ﴾ فاستطوله ﴿ ساجدين ﴾ امر من وقع يقع ﴿ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ﴾ اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل الاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا محتملين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لاننا كذا ﴿ لا ابليس ﴾ ان جعل منقطعا اتصل به قوله ﴿ أبى ان يكون مع الساجدين ﴾ أى ولكن ابليس أبى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد ﴿ قال يا ابليس مالك ألا تكون ﴾ أى غرض لك فى أن لا تكون مع الساجدين ﴿ لا دم ﴾ قال لم اكن لأسجد ﴿ اللام ﴾ لتأكيد النفي أى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد ﴿ لبشر ﴾ جسمانى كثيف وناملك روحانى ﴿ خلقته من صلصال من جامسنون ﴾ وهو اخس العناصر وخالقته من نار وهى اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاسل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف

الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى ﴿ ففعواله ساجدين ﴾ الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم انى خالق بشر امرهم بالسجود لا دم بقوله ففعواله ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة ﴿ فسجد الملائكة كلهم ﴾ يعنى الذين أمروا بالسجود لا دم ﴿ أجمعون ﴾ قال سيويه هذا تأكيد بعد تأكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قل فسجد الملائكة لاحتمال أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ان التذلل الاحتمال فظهر هذا انهم سجدوا بأسرهم ثم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا فى اوقات متفرقة أو فى دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حلالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لا دم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لا دم فسجدوا ﴿ لا ابليس أبى ان يكون مع الساجدين ﴾ يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لا دم فسجدوا ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله ﴿ يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ يعنى ابليس ﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من جامسنون ﴾ أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابليس نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه أفضل من آدم ولم يدرك الخبيث ان الفضل فيما

جاءت الروح فيه (ففعواله) فخر والله (ساجدين) بالتحية (فسجد الملائكة) لا دم صلوات الله عليه (كلهم

أجمعون الا ابليس) رئيسهم (أبى) (قا و خا ٧١ لث) تعظم (ان يكون مع الساجدين) بالسجود لا دم عليه السلام (قال) الله تعالى (يا ابليس) يا آيس من رحمتى (مالك ألا تكون مع الساجدين) بالسجود لا دم (قال لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال) من طين يتصلصل (من جامسنون) من طين متين يقول لا ينبغي لى ان اسجد للطين

قال فاخرج منها) من السماء ومن الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان { الجزء الرابع عشر } عليك اللعنة ٥٦٢ الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حد اللعنة

لانه ابعد غاية يضر بها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب فانظرنى) فاخرنى (الى يوم يبعثون) قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خوفاً بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث اُحد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم ومصدرية وجواب القسم لازين لهم والمعنى أقسم

(قال) الله له (فاخرج منها) من صورة الملائكة ويقال من كرامتى ورحمتى ويقال من الارض (فانك رجيم) ملعون مطرود من رحمتى (وان عليك اللعنة) لعنتى ولعنة الملائكة والخلائق (الى يوم الدين) يوم الحساب

(قال فاخرج منها) من السماء أو الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة وان من يطرد يرجع بالحجر أو شيطان يرجع بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين (فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذا مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضر بها الناس أو لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فانظرنى) فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسحة فى الاعواء ونجاة من الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فغير عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانياً بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التسليل وثالثاً بالمعلوم اوقعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعنه يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه مخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم ومصدرية وجوابه

فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أى طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون فى السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانه الفاعلية فهل ينقطع اللعن عنديوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذاباً الى اللعنة التى عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذاباً دائماً مستمرا لا انقطاع له (قال رب فانظرنى) يعنى آخرنى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبداً لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيها أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبداً فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال اكراماً له بل كان ذلك الامهال زيادة له فى البلاء وشقائه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون أجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عينت وسأت الانظار اليه (قال رب بما أغويتنى)

(قال) ابليس (رب) يارب (فانظرنى) فأجعلنى (الى يوم يبعثون) من القبور أراد الملعون أن لا يدوق الموت (الباء) (قال) الله (فانك من المنظرين) من المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) النفخة الاولى (قال رب) يارب (بما أغويتنى)

باغوائك اياى (لا زين لهم) المعاصى ونحو قوله بما أغويتى لازين لهم فبعزتك لاغونهم فى أنه أقسام الا أن أحدهما أقسام بصفة الذات والثانى بصفة الفعل ﴿ ٥٦٣ ﴾ وقد فرق { سورة الحجر } الفقهاء بينهما فقال

العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس يمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما نارف الناس الحلف به يكون يميناً وما لا فلا والآية حجة على المعتزلة فى خلق الافعال وحملهم على التسبب عدول عن الظاهر (فى الارض) فى الدنيا التى هى دار الغرور وارادانى أقدر على الاحتيال لآدم والتزين لداكل من الشجرة وهو فى السماء فانا على التزين لآدم لاده فى الارض أقدر (ولا غونهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لايعمل فيهم ولايقبلونه منه (قال هذا صراط على مستقيم

كما ضللتني عن الهدى (لا زين لهم) لى آدم (فى الارض) الشهوات والذات (ولا غونهم) لأضلهم (أجمعين) عن الهدى (الا عبادك منهم المخلصين) المصومين منى

﴿ لا زين لهم فى الارض ﴾ والمعنى اقسام باغوائك اياى لا زين لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انقضاء القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اووا الاغواء بالنسبة الى الغنى أو التسبب له بامر اياه بالسجود لآدم عليه السلام أو بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسلطه على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه ومن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى انار امهل أولم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب ﴿ ولا غونهم أجمعين ﴾ ولا حلتهم أجمعين على الغواية • ﴿ الا عبادك منهم المخلصين ﴾ الذين اخلاصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى • وقرأ ابن كثير وابن عامر وابوعرو بالكسر فى كل القرآن أى الذين اخلاصوا نفوسهم لله ﴿ قال هذا صراط على ﴾ حق على ان اراعيه ﴿ مستقيم ﴾ لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أو الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال

الباء للقسم فى قوله بما وما مصدرية وجواب القسم ﴿ لا زين ﴾ والمعنى فباغوائك اياى لا زين لهم فى الارض وقيل هى باء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لا زين لهم فى الارض ﴿ يعنى لا زين لهم حب الدنيا ومعاصيك ﴾ ولا غونهم أجمعين ﴿ يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال ﴿ الا عبادك منهم المخلصين ﴾ يعنى المؤمنين الذين اخلاصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الامن اخلاصته واصطفيته لتوحيده وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا لله عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من أعمال الطامات فلا يخاو اما ان يكون مراده بتلك الطاعة وجد الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أى الجانبين رجح أخذه ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله تبارك وتعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يرجع الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لاتنقلت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق

ويقال الموحدين ان قرأت بكسر اللام ثم (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) كريم شريف ويقال على ممر من أطاعك وممر من دخل معك ويقال هذا صراط طريق مستقيم قائم برضاه وهو الاسلام ويقال هذا صراط على رفيع ان قرأت بكسر اللام ورفع الياء

وقرى على من علو الشرف ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع محالب الشيطان عنهم أو تكذيبه فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بتخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضاله الى تناقض الاستثناءين ﴿وان جهنم لموعدهم﴾ لموعدهم الغوين أو المتبعين ﴿اجمعين﴾ تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد أن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فان لا يعمل ﴿اولها سبعة ابواب﴾ يدخلون فيها الكثرتهم أو طبقات يتزاونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى الحسوس ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أولان اهلها سبع فرق ﴿لكل باب منهم﴾ من الاتباع ﴿جزء مقسوم﴾ افترزله فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمعوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابوبكر جزؤ بالثقل وقرى جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل بخبرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن فى الظرف لافى مقسوم لان العسفة لاتعمل فيما تقدم بوصفها على ولى يؤدى الى كرامتى ورضونى ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ أى قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لأزليان اهلهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الابدك منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين وبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عباده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعانى ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقىهم فى ذنب يضيق عند غفوى وهؤلاء خاصته أى الذين هداهم واجتباهم من عباده ﴿الامن اتبعك من الغاوين﴾ يعنى الامن اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به ﴿وان جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يعنى موعدهم ابليس وأشباعه وأتباعه ﴿اولها﴾ يعنى لجهنم ﴿سبعة ابواب﴾ يعنى سبع طبقات قال على بن أبى طالب تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشئ وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجرى اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه

ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (أى هذا طريق حق على أن أراعيده وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى الا من اختار اتباعك منهم لغاويته وقيل معنى على الى على يعقوب من علو الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم اجمعين) الضمير للغاوين (اولها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار اطباقها وادرا كهافاء لاهل الموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمعوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين

(ان عبادى) المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) ملك ولاقدرة (الامن اتبعك) الاعلى من أطاعتك (من الغاوين) من الكافرين (وان جهنم لموعدهم) مصيرهم بمن أطاعتك (أجمعين) لها سبعة أبواب (بعضها اسفل من بعض أعلاها جهنم وأسفلها الهاوية) (لكل باب منهم) من الكفار (جزء مقسوم)

(ان المتقين في جنات وعيون) وبضم العين مدني وبصري وحذف المتق على الاطلاق من يتق ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال في الشرح ان دخل اهل الكبار في ٥٦٥ قوله لها سبعة ابواب لكل { سورة الحجر } باب منهم جزء مقسوم

فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبار والافراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن في القلب أى ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضي الله عنه أرجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألق فيها التوادد والتحاب (اخوانا) حال (على سرر

حظ معلوم) (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش يعنى أبابكر وعمر وأصحابهما (في جنات) في بساتين (وعيون) ماء طاهر (ادخلوها) يقول الله تعالى لهم يوم القيامة ادخلوا الجنة (بسلام) مع سلام وتحية ويقال بسلامة ونجاة من (آمنين) من الموت

﴿ان المتقين﴾ من اتبعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة ﴿في جنات وعيون﴾ اكل واحد الجنة وعين أول لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ﴿ادخلوها﴾ على ارادة القول وقرئ بقطع الهزمة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين ﴿بسلام﴾ سالمين أو مسلما عليكم ﴿آمنين﴾ من الآفات والزوال ﴿ونزعنا﴾ في الدنيا بما الف بين قلوبهم أو في الجنة بتطيب نفوسهم ﴿ما في صدورهم من غل﴾ من حقد كان في الدنيا وعن على رضي الله تعالى عنه أرجوان اكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب ﴿اخوانا﴾ حال من ضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله ﴿على سرر

ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدرر الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴿عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ﴿قوله سبحانه وتعالى ﴿ان المتقين في جنات وعيون﴾ المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد ﴿ادخلوها﴾ أى يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته ﴿بسلام آمنين﴾ يعنى ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحنة والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد ﴿اخوانا﴾ يعنى في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب ﴿على سرر

والزوال (ونزعنا) أخرجننا (ما في صدورهم من غل) غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا (اخوانا) في الآخرة (على سرر

متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبي عبادي انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلك ما سبق من الوعد والوعيد وتقريره وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف

جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيباً للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاء الى الجابية متقابلين بمعنى يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم فيها يعني في الجنة نصب أي تعب ولا عياء وما هم منها يعني من الجنة بمخرجين هذا نص من الله في كتابه على خاود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكال بلا نقصان وفوز بلا حرمان قوله سبحانه وتعالى نبي عبادي انا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أضحكون وبين أيديكم النار فتزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد ثم تقطع عبادي ذكره البغوي بغير سند وأن عذابي هو العذاب الاليم قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لجمع نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة درجة فامسك عنده تسع وتسعين درجة وادخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى بعبد له لئلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أني وثانيها انا وثالثها ادخل الالب واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في

متقابلين) كذلك قيل تدورهم الاسرة حيث اداروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً (لا يمسهم فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبادي أني انا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) تقريراً لما ذكر وتمكينه في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف

متقابلين (في الزيارة (لا يمسهم فيها) لا يصيبهم في الجنة (نصب) تعب ولا مشقة (وما هم منها) من الجنة (بمخرجين نبي عبادي) خبر عبادي (أني انا الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن مات على التوبة (وأن عذابي هو العذاب الاليم) الوجع لمن لم يتب ومات على الكفر

(ونبئهم) على نبي عبادى وأخبر أمتك ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سحق الله وانتقامه من المجرمين وتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أى أضيائه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يحى واحدا وجماله انه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أى ابراهيم (انامكم وجلون) خائفون لا متناعمهم ﴿٥٦٧﴾ من الاكل { سورة الحجر } أولد خولهم بغير اذن وبغير

وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أى انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وقع النون جزء (بغلام عليم) هو اسحق لقوله فى سورة هود فبشرناها باسحق (قال أبشرتمنى على أن مسنى الكبر) أى أبشرتنى مع مس الكبر بان يولدلى أى ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التجب كأنه قيل فبأى أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكى والاصل تبشروتنى فادغم نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليه تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشروتنى فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قالوا بشركناك بالحق) باليقين

﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴾ على نبي عبادى تحقيق لما بما يعتبرون به ﴿ اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ﴾ أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما ﴿ قال انامكم وجلون ﴾ خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت أولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره ﴿ قالوا لا توجل ﴾ وقرئ لا تأجل ولا توجل من اوجله ولا توجل من واجله بمعنى اوجله ﴿ انا نبشرك ﴾ استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حزة بشرك من البشر ﴿ بغلام ﴾ هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق ﴿ عليم ﴾ اذا بلغ ﴿ قال أبشرتمنى على أن مسنى الكبر ﴾ تجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه أو انكار لان بشرته فى مثل هذه الحالة وكذلك قوله ﴿ فبم تبشرون ﴾ أى فبأى أعجوبة تبشرون أى فبأى شئ تبشرونى فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استئثالا لاجتماع المثنيين ودلالة باقيا نون الوقاية على الياء ﴿ قالوا بشركناك بالحق ﴾

الزمام المفقرة والرحمة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴾ هذا معطوف على ما قبله أى وأخبر يا محمد عبادى عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع فى عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيغان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط ﴿ اذ دخلوا عليه ﴾ يعنى اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام ﴿ فقالوا سلاما ﴾ أى نسلم سلاما ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ انا منكم وجلون ﴾ أى خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه ﴿ قالوا لا توجل ﴾ يعنى لا تخف ﴿ انا نبشرك بغلام عليم ﴾ يعنى أنهم بشروه بولد ذكر غلام فى صغره عليم فى كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته ﴿ قال أبشرتمنى ﴾ يعنى بالولد ﴿ على أن مسنى الكبر ﴾ يعنى على حالة لكبر قاله على طريق التجب ﴿ فبم تبشرون ﴾ يعنى فبأى شئ تبشرون وهو استفهام بمعنى التجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر ﴿ قالوا بشركناك بالحق ﴾ يعنى بالصدق الذى قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا

(ونبئهم) أخبرهم (عن ضيف ابراهيم) عن أضياف ابراهيم جبريل واثني عشر ملكا معه (اذ دخلوا عليه) على ابراهيم (فقالوا سلاما) سلموا عليه (قال) لهم ابراهيم حين لم يطعموا من طعامه (انامكم وجلون) خائفون (قالوا لا توجل) لا تفرق يا ابراهيم منا (انا نبشرك بغلام) بولد (عليم) فى صغره حليم فى كبره (قال أبشرتمنى) بالولد (على أن مسنى الكبر) بعدما أصابنى الكبر (فبم تبشرون) فبأى شئ تبشرون الآن (قالوا بشركناك بالحق) بالولد

الذي لابس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصرى وعلى (من) رحمة ربه الا الضالون) الا الخطئون طريق الصواب والالكافرون كقوله انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون أى لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمة ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها (قال فما خطبكم) فاشأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) الجزء الرابع عشر أى قوم لوط ﴿٥٦٨﴾ (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين

والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالأجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كأنه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناء لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعنى انهم أرسلوا الى القوم الجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم الجرمين كارسال السهم الى المرمى في انه في معنى التعمد والاهلاك كأنه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جيما يهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء وإذا انقطع الاستثناء جرى (انا المنجوه أجمعين) مجرى (فلا تكن من القانطين) من

بما يكون لاحالة أو باليقين الذي لابس فيه أو بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره ﴿فلا تكن من القانطين﴾ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجز عاقرو كان استجواب ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾ الخطئون طريق العرفه فلا يعرفون سعة رحمة الله وكان علمه وقدرته كإفان لا يأس من روح الله الا القول الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي قنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيها قنط بالفتح ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أى فاشأنكم الذي أرسلتم لاجله سوى البشارة وامله علم ان كان المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عدا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام أولانهم بشروه في تضاعف الحال لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا تبدأوا بها ﴿قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنى قوم لوط ﴿الا آل لوط﴾ ان كان استثناء من قوم كان منقطعاً اذ القوم مقيد بالأجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلاً والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا أرسلنا الى قوم أجرم كلهم الا آل لوط منه لتلك الجرمين وتنجى آل لوط وبدل عليه قوله ﴿اما المنجوه أجمعين﴾ أى ما يعذب به القوم وهو استثناء اذا اتصل الاستثناء ومتصل

تكثر ذريته وهو اسحق ﴿فلا تكن من القانطين﴾ يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير ﴿قال﴾ يعنى ابراهيم ﴿ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾ يعنى من يأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دلائل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يحتمل كونه تعالى قادرا على ما يريد ومن يحتمل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للاستدلال ﴿قال﴾ يعنى ابراهيم ﴿فما خطبكم﴾ يعنى فاشأنكم وما الامر الذي جئتم فيه ﴿أيها المرسلون﴾ والمعنى ما الامر الذي جئتم به سوى ما بشرتموني به من الولد ﴿قالوا﴾ يعنى الملائكة ﴿انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنى لهلاك قوم مجرمين ﴿الا آل لوط﴾ يعنى أشياعه وأتباعه من أهل دينه ﴿انا المنجوه أجمعين﴾

(الآيسين من الولد) (قال) ابراهيم (ومن يقنط) يئس (من رحمة ربه الا الضالون) الكافرون بالله أو بنعمته (الامرأته) (قال) ابراهيم لجبريل واعوانه (فما خطبكم) فاشأنكم وبما ذا جئتم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) مشركين استبرأوا الهلاك على أنفسهم بعملهم الخبيث يعنون قوم لوط (الا آل لوط) ابتداء عوراد وريثا وامراته الصالحة (انا المنجوه) من الهلاك (أجمعين)

خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فاحال آل لوط فقالوا ان المنجوه (الامرأته) مستثنى من الضمير المجزور في المنجوه وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكناهم الا آل لوط الامرأته وهذا قد اختلف الحكماء لان آل لوط متعلق بارسلنا أو بمجرمين والامرأته متعلق بمنجوه فكيف يكون استثناء من استثناء المنجوه بالتخفيف حزة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر ﴿ ٥٦٩ ﴾ (انها لمن الغابرين) { سورة الحجر } الباقي في العذاب قيل لو

لم تكن الام في خبرها لوجب قبح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقرهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم أي ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فاخاف ان تطرقوني بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما كنا لاجله بمتنكرون لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تشوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي يشكون ويكذبونك (وأنتناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا

بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله ﴿ الامرأته ﴾ استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل ان المنجوه اعتراضا وقرأ حزة والكسائي المنجوه مخففا ﴿ قدرنا انها لمن الغابرين ﴾ الباقي مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا ههنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا مجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فضل الله تعالى لمالهم من القرب والاختصاص به ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون ﴾ تنكركم نفسي وتفرغ عنكم مخافة ان تطرقوني بشر ﴿ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾ أي ما جئناك بما تنكرون لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه ﴿ وأنتناك بالحق ﴾ باليقين من عذابهم ﴿ وانا لصادقون ﴾ فيما اخبرناك به ﴿ فأسر باهلك ﴾ فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجاز يان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى

الامرأته ﴿ يعني امرأة لوط ﴾ قدرنا ﴿ يعني قضينا وانما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بأمر الملك ﴿ انها لمن الغابرين ﴾ يعني لمن الباقي في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهاالكين ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون ﴾ وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط ﴿ قال انكم قوم منكرون ﴾ وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زى شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الاقوام أنتم ولا لأي غرض دخلتم على فعند ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾ يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه ﴿ وأنتناك بالحق ﴾ يعني باليقين الذي لا شك فيه ﴿ وانا لصادقون ﴾ يعني فيما اخبرناك به من اهلاكهم ﴿ فأسر باهلك

(قا و خا ٧٢ لث) (لصادقون) في الاخبار بنزوله بهم (فأسر باهلك

الامرأته) واعلة المناقفة (قدرنا) عليها (انها لمن الغابرين) لمن الباقيين المخلفين بالهلاك (فلما جاء آل لوط) الى لوط (المرسلون) جبريل واعوانه (قال انكم قوم منكرون) في بلدنا هذا لم نعرفكم ولم نعرف سلامكم فن أجل ذلك قال انكم قوم منكرون يعني جبريل واعوانه (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يشكون من العذاب (وأنتناك بالحق) أي جئناك بخبر العذاب (وانا لصادقون) في مقالتنا ان العذاب نازل عليهم (فأسر بأهلك) فأد الج بأهلك

بقطع من الليل) في آخر الليل أو بعد ما يغشى شئ صالح من الليل (واتبع أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعاعليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيقولوا هم أوجس من النبي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني { الجزء الرابع عشر } والتوقف لان ٥٧٠ من يلتفت لا بدله في ذلك من أدنى

وقفه (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالي لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفي ايهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التي ضرب بقاضيا المثل في الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعاً منهم في ركوب الفاحشة (قال لوط) ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لان من أساء

(بقطع من الليل) بهض من آخر الليل عند السحر (واتبع أدبارهم) امش وراءهم نحو صعر (ولا يلتفت) لا يتخلف (منكم أحد وامضوا) سيروا (حيث تؤمرون) نحو صعر (وقضينا اليه ذلك الامر) أمرناه الانيان الى صعر ويقال

موقري فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحى الباب وانظري في النجوم • كم علينا من قطع ايل بهم

• واتبع ادبارهم • وكان على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطاع على حالهم • ولا يلتفت منكم احد • اينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما اصابهم أو لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل تهو عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة • وامضوا حيث تؤمرون • الى حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع • وقضينا اليه • أي أوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالي • ذلك الامر • مبهم بفسره • ان دابر هؤلاء مقطوع • ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم الامر وتعظيم له • وقري بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد • (مصبحين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع ووجه الحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء • وجاء أهل المدينة • سدوم • يستبشرون • باضياف لوط طمعا فيهم • قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون •

بقطع من الليل • يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشئ • وبعضه • واتبع أدبارهم • يعنى واتبع آثار أهلك وسر خلفهم • ولا يلتفت منكم أحد • يعنى حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات الى وراه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشاك ولا تخرج على شئ وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف أحد منهم فينال العذاب • وامضوا حيث تؤمرون • قل ابن عباس يعنى الى الشام وقيل الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ماعل اهلها ماعل قوم لوط • وقضينا اليه ذلك الامر • يعنى وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله • ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين • يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما بهم الامر الذى قضاه عليهم أولا وفسره ثانياً تفخيماً له وتعظيماً لثانته • وجاء أهل المدينة • يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط • يستبشرون • يعنى يبشرون بعضهم بعضاً باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردداً في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعاً منهم في ركوب الفاحشة • قال • يعنى قال لوط لقومه • ان هؤلاء ضيفي • وحق على الرجل اكرام ضيفه • فلا تفضحون • يعنى فيهم

اخبرناه (ان دابر) غابر (هؤلاء) قوم لوط (مقطوع) مستأصل (مصبحين) عند الصبح (وجاء أهل المدينة) (يقال) الى دار لوط (يستبشرون) بعملهم الخبيث (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي) أى اضيافى (فلا تفضحون) فيهم

الى ضيفي فقد آساء الى (واتقوا الله ولا تحزون) أي ولا تذنبون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وبالباء فيه ما يعقوب (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن نجبر منهم أحدا أو ندفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتي) فأنكحوهن ﴿ ٥٧١ ﴾ وكان نكاح { سورة الحجر } المؤمنات من الكفار جائزا

ولا تعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك انهم لفي سكرتهم) أي في غوايتهم التي أذهب عقولهم وتميزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتخيرون فكيف يقبلون قولك ويصفون الى نصيحتك

أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الانهم خصصوا القسم بالفتوح ايثارا للاخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس

(واتقوا الله) اخشوا الله

بفضيحة ضيفي فان من آسي الى ضيفه فقد آسي اليه ﴿ واتقوا الله ﴾ في ركوب الفاحشة ﴿ ولا تحزون ﴾ ولا تذنبوني بسببهم من الخزي وهو الهوان أو ولا تخجلوني فيهم من الخزية وهو الحياء ﴿ قالوا أولم ننهك عن العالمين ﴾ عن أن تجبر منهم أحدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمتنعهم عند بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وانزالهم ﴿ قال هؤلاء بناتي ﴾ يعني نساء القوم فان نجي كل أمة بمنزلة آبائهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ قضاء الوطر أو ما قول لكم ﴿ لعمرك ﴾ قسم بحياة المخاطب والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لا يثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم ﴿ انهم لفي سكرتهم ﴾ لفي غوايتهم أو شدة غلتهم التي ازال عقولهم وتميزهم بين خطيئهم والصواب الذي يشار به اليهم ﴿ يعمهون ﴾ يتخيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعني هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام ﴿ مشرقين ﴾

يقال فضحه يفضحهم اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه ﴿ واتقوا الله ﴾ يعني خافوا الله في أمرهم ﴿ ولا تحزون ﴾ يعني ولا تخجلون ﴿ قالوا ﴾ يعني قوم لوط الذين جاؤا اليه ﴿ أولم ننهك عن العالمين ﴾ يعني أولم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل معناه أولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد ننهيك أن تكلمنا في أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة ﴿ قال ﴾ يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه ﴿ هؤلاء بناتي ﴾ أزوجكم ايها من ان أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالأولاد لا امت ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ يعني ما أمركم به ﴿ لعمرك ﴾ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه ﴿ انهم لفي سكرتهم ﴾ يعني في حيرتهم وضلالهم وقيل في غفلتهم ﴿ يعمهون ﴾ يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلبسون ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتماؤه حين أشرقت الشمس

في الحرام (ولا تحزون) لا تذنبون في اضيافي (قالوا أولم ننهك) يالوط (عن العالمين) عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتي) ويقال بنات قومي انا أزوجكم (ان كنتم فاعلين) متزوجين (لعمرك) أقسم بعمر محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بدينه (انهم) يعني قوم لوط (لفي سكرتهم) لفي جهلهم (يعمهون) لا يبصرون (فأخذتهم الصيحة) بالعذاب (مشرقين) عند طلوع الشمس

فجعلنا عاليها سافلها) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين) { الجزء الرابع عشر للمتفرسين المتأملين كأنهم } ٥٧٢ يعرفون باطن الشئ بسمه ظاهرة

(وانها) وان هذه القرى
يعنى آثارها (لبسبيل مقيم)
ثابت يسلكه الناس لم يندرس
بمدوهم يصرون تلك
الآثار وهو تنبيه لقريش
كقوله وانكم لترون عليهم
مصحين وبالليل (ان في
لآية للمؤمنين) لانهم
المتفكرون بذلك (وان كان
أصحاب الايكة) وان الامر
والشان كان أصحاب الايكة
اى الفيضة (الظالمين) لكافرين
وهم قوم شعيب عليه السلام
(فانتقمنا منهم) يهلكناهم
لما كذبوا شعيبا (وانها)
يعنى قرى قوم لوط والايكة
(لبأمام)

(فجعلنا عاليها سافلها) أعلاها
أسفلها وأسفلها أعلاها
(وأمطرنا عليهم) على
شذاذهم ومسافريهم (حجارة
من سجيل) من سماء الدنيا
ويقال من سجن ووحل مطبوع
كأنه جبر (ان في ذلك) فيما
فعلنا بهم (لآيات) لهلامات
وعبرات (للمتوسمين)
للمتفرسين ويقال للمتفكرين
ويقال للناظرين ويقال
للمتبرين (وانها) يعنى قريات
لوط (لبسبيل مقيم) طريق
دائم عمرون عليها (ان في ذلك)
في هلاكهم (لآية) لعلامة
(للمؤمنين) وان كان (يعنى وقد
كان) (أصحاب الايكة) يعنى
أصحاب الفيضة والايكة

داخلين في وقت شروق الشمس ﴿ فجعلنا عاليها ﴾ على المدينة أو على قراهم
﴿ سافلها ﴾ فصارت منقلبة بهم ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ من طين
متحجراً أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة
هود ﴿ ان في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته ﴿ وانها ﴾ وان المدينة أو القرى ﴿ لبسبيل مقيم ﴾
ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ﴿ ان في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ بالله ورسوله
﴿ وان كان أصحاب الايكة الظالمين ﴾ هم قوم شعيب عليه السلام كانوا
يسكنون الفيضة فبعث الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلمة والايكة الشجرة
المكاثفة ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالاهلاك ﴿ وانها ﴾ يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها عن الآخر ﴿ لبأمام

﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ تقدم تفسيره في سورة هود ﴿ ان في
ذلك ﴾ يعنى الذى نزل بهم من العذاب ﴿ لآيات للمتوسمين ﴾ قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة
للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ﴿ ويمض هذا التأويل ما روى عن أبى
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ
ان في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب الفراسة بالانكسار سم من
قولك تفرست في فلان الخير وهى على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه
الله في قلوب أوليائه فيعملون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر
والظن والتثبت . والدواعى الثانی ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك
أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين
في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشئ وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة
الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أى عرفت وسم ذلك وسمته ﴿ وانها ﴾ يعنى قرى
قوم لوط ﴿ لبسبيل مقيم ﴾ يعنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلل ليس بخفى ولا
زائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندثر
ولم يخف والذين يعمرون عليها من الحجاج الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره ﴿ ان
في ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم ﴿ لآية للمؤمنين ﴾ يعنى المصدقين
بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وان كان أصحاب الايكة لظالمين ﴾ يعنى كان أصحاب
الايكة وهى الفيضة والالام في قوله لظالمين لتأكيدهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب
غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا
رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ يعنى بالعذاب وذلك ان الله
سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سعة أيام حتى أخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله
سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم
نارا فاحرقهم جميعا ﴿ وانها ﴾ يعنى مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الايكة ﴿ لبأمام

الشجر وهم قوم شعيب (الظالمين) لشركين (فانتقمنا منهم) في الدنيا بالعذاب (وانها) يعنى قريات لوط وشعيب (لبأمام) (مبين)

مبين (بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر وادبهم وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم يعني صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسول جميعا فن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كاقيل الخبيثون في ابن الزبير وأصحابه (وآيتناهم ﴿ ٥٧٣ ﴾ آياتنا فكانوا { سورة الحجر } عنهما معرضين) أى أعرضوا

عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أى ينقبون في الجبال بيوتا أو ينون من الحجارة (آمنين) لوفاة البيوت واستحكامها من ان تهدم ومن نقب للعذاب والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين)

في اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق لابطالا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء

مبين (بطريق واضح يبرون عليها (ولقد كذب أصحاب الحجر) قوم صالح (المرسلين) صالحا وجملة المرسلين (وآيتناهم) أعطيناهم (آياتنا) الناقة وغيرها (فكانوا عناهم معرضين) مكذبين بها (وكانوا ينحتون

مبين ﴿ بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ﴾ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴿ يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشام يسكنونها ﴾ وآيتناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ﴿ يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الادلة ﴾ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴿ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوفاةها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم ان الجبال تحميهم منه ﴾ فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴿ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد ﴾ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴿ الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وإزاحة فسادهم

مبين ﴿ يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعبي كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريد ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ قال المفسرون الحجر اسم وادكان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل ﴿ وآيتناهم آياتنا ﴾ يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات ﴿ فكانوا عنها ﴾ يعني عن الآيات ﴿ معرضين ﴾ يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ يعني خوفا من الخراب أو أن يتدفع عليهم الجبل أو الصقف ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعني العذاب ﴿ مصبحين ﴾ يعني وقت الصبح ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ يعني من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴿ يعني لاظهار الحق والعذاب وهو أن يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب

من الجبال (في الجبال) بيوتا آمنين (من ان تقع عليهم ويقال آمنين من العذاب (فأخذتهم الصيحة) بالعذاب (مصبحين) عند الصباح (فما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون ويعبدون من دون الله (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) من الخلق والجنائ (الا بالحق) لبيان الحق والباطل والحجة عليهم

على الاعمال (وان الساعة) أى القيامة لتوقعها كل ساعة (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح الصفح الجليل) فاعرض عنهم اعراضا جلابا و اغضاه قيل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم (العليم) { الجزء الرابع عشر } بحالك وحالهم ﴿ ٥٧٤ ﴾ فلا يخفى عليه ما يجري بينكم و هو

يحكم بينكم (ولقد آتيناك سبعا) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلص فى السابعة فقيل الانفال وبراء لانهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثنى) هى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما يتكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنوية صفة لآية وأما السور الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تنفى على الله واذا جعلت السبع مثنى فن للتبيين واذا جعلت القرآن مثنى فن للتبعض (والقرآن العظيم) هذا

(وان الساعة لآتية) لكائنة (فاصفح الصفح الجليل) أعرض عنهم اعراضا جلابا لا تخش ولا جزع وهى منسوخة بآية القتال (ان ربك هو الخلاق) الباعث لمن آمن به

من الارض ﴿ وان الساعة لآتية ﴾ فينتقم الله لك فيها من كذبك ﴿ فاصفح الصفح الجليل ﴾ ولا تجعل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ ان ربك هو الخلاق ﴾ الذى خلقك وخلقهم ويده امرك وامرهم ﴿ العليم ﴾ بحالك وبحالهم فهو حقيق بان تسلك ذلك اليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم الأصل لكم وقد علم ان الصفح اليوم اسلم وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ﴿ ولقد آتيناك سبعا ﴾ سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صفات وهى الأسباع ﴿ من المثنى ﴾ بيان للسبع والمثنى من التثنية أو الاثناء فان كل ذلك مثنى بكرر قراءته والفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والعجاز أو مثنى على الله بما هو اهل من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثنى القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعض ﴿ والقرآن العظيم ﴾

﴿ وان الساعة لآتية ﴾ يعنى وان القيامة لتأتى ليجازى المسن باحسنه والمسىء بأسائه ﴿ فاصفح الصفح الجليل ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعمو والصفح الصفح الخالى من الجزع والخوف ﴿ ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلمهم وما يصلحهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد آتيناك سبعا من المثنى والقرآن العظيم ﴿ قال ابن الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وف من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير فى يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدينى شئ ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت فى يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى غناها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله أعلم ﴿ وفى المراد بالسبع المثنى أقواله أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمرو على وابن مسعود وفى رواية عنه وابن

ولمن لم يؤمن (العليم) بثوابهم وعقابهم (ولقد آتيناك سبعا من المثنى) يقول اكرمناك بسبع آيات من القرآن تنفى فى كل (عباس) ركعة وسجدة تين وهى فاتحة الكتاب ويقال اكرمناك بأسباع القرآن لان القرآن كله مثنى أمر ونهى ووعد ووعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحققة ومجاز ومحكم ومتشابه وخبر ما كان وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم (والقرآن العظيم) يقول وأكرمناك

ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر

عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود الترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة * أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلأنها سبع آيات باجاء أهل العلم واختلغوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تنهى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء * ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لأن كلماتها مشاة مثل قوله الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين اهذهنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مشاة وقال الحسن بن الفضل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لأن الله سبحانه وتعالى استأنها وأدخرها لهذه الأمة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لأنها ثني أهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتغالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكوته وإذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لأن أفرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سوره لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطول وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثني مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفضل أخرجه البغوي بإسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثبتت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال غالبها مدييات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكيدة وأجيب عن هذا الايراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان

ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فاورداهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أى الجامع لهذين العتتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله

بالقرآن العظيم الكريم الشريف كما أنزلنا التوراة والانجيل على المقتسمين اليهود والنصارى

﴿ لا تمدن عينيك ﴾ لا تطمح ببصرك طموح راغب ﴿ الى مامتغابه ازواجهم ﴾ اصنافا من الكفار فانه مستحق بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضى الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيماء وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وفي باذرع سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها نواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينها ولا نفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم الممتعون به

الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السورة القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني مكان الزبور المثاني القول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس حجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثبت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الاعطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فاوراء من ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله ﴿ لا تمدن عينيك ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد ﴿ الى مامتغابه ازواجهم ﴾ يعني اصنافا منهم ﴿ يعني من الكفار متغيبا لانهم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاجتها اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شئ فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون مادام عينه الى الشئ اذا دام النظر اليه مستحسنه فيحسن له من ذلك معنى ذلك الشئ المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شئ من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ يعني ولا تنقم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففقد النعمى عن الالتفات الى أموال الكفار والالتفات اليهم أيضا وروى البغوى بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يعوت قيل لابن ابي مريم ما قاتلا لا يعوت قال النار (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى أسفل منه لفظ البخارى • وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل

(لا تمدن عينيك) أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى مامتغابه ازواجهم) اصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعنى قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) أى لا تنقم أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون

(لا تمدن عينيك) لا تنظرن بالرغبة (الى مامتغابه) أعطينا من الاموال (ازواجهم) رجالا من بنى قريظة والنضير ويقال من قريش لان ما أكرمناك به من النبوة والاسلام والقرآن أعظم مما أعطيناهم من الاموال (ولا تحزن عليهم) على هلاكهم ان لم يؤمنوا

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل انى انا النذير المبين﴾ انذرکم بیان وبرهان ان عذاب الله نازل بکم ان لم تؤمنوا ﴿کما انزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاشاعش الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر أو رهط الذين اقتسموا أى تقاسموا على ان يبتوا صالحا عليه السلام و قيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عندا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين أو اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسليية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(واخفض جناحك
للمؤمنين) وتواضع لمن
معك من فقراء المؤمنين
وطب نفسا عن ايمان الاغنياء
(وقل) لهم (انى انا النذير
المبين) أنذرکم بیان وبرهان
ان عذاب الله نازل بکم
(کما انزلنا) متعلق بقوله
ولقد آتيناك أى أنزلنا
عليك مثل ما أنزلنا (على
المقتسمين) وهم أهل
الكتاب

(واخفض جناحك للمؤمنين)
لين جانبك للمؤمنين يقول
کن رحیما عليهم (وقل انى
أنا النذير المبين) الرسول
الخوف بلغة تعرفونها من
عذاب الله (کما أنزلنا) يوم
بدر (على المقتسمين) أصحاب
العقبة وهو أبو جهل بن
هشام والوليد بن المغيرة
الخزومي وحنظلة بن أبي
سفيان وعتبة وشيبة ابنا
ربيعه وسائر أصحابهم الذين
قتلوا يوم بدر

منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان لا تذروا نعمة الله عليكم قال عوف
ابن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الاغنياء فما كان أحدا أكثرهما منى كنت أرى دابة
خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاستترحت
﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ واخفض جناحك ﴿يعنى لين جانبك﴾ للمؤمنين ﴿وارفق﴾
بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين
والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين ﴿وقل﴾ أى وقول لهم يا محمد ﴿انى انا
النذير المبين﴾ لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا والتواضع
للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والندارة بتبليغ مع تخويف والمعنى انى انا النذير
بالعقاب لمن عصانى المبين البين النذارة ﴿کما أنزلنا على المقتسمين﴾ يعنى أنذرکم عذابا
كذاب أنزلنا بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو
قول الحسن ومجاهد وقادة سمو بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه
فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور
القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى وانما فعلوا ذلك
استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها
وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار
قريش سمو بذلك لان أقوالهم تقسمت فى القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم
أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين وقال ابن السائب سمو بالمقتسمين لانهم
اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل
سنة عشر وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا فتركوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بکم
أهل الموسم فاذا سألوکم عن محمد فليقل بعضکم انه كاهن وليقل بعضکم انه شاعر وليقل
بعضکم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتکم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها
يقولون لمن سبهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة مناه فانه
مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوه

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضنة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة الى ويقول الآخر سورة آل عمران الى أو اريد بالقرآن ما يقرؤه من كتبهم وقد اقساموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين { الجزء الرابع عشر } منصوبا ٥٧٨ بالندبر اى انذار العضين الذى يجوزون

وقوله لا تمدن الخ اعتراضا بمدالها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضنة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضته اذا بهت وفي الحديث امن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المعضة والمستعضة وقيل اسحارا وعن عكرمة المعضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ أخبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم أو النسبة الى السحر فيجازيهم عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا وقوله سبحانه وتعالى الذين جاءوا القرآن عضين (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤهم اجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضنة من قولهم عضيت الشئ اذا فرقت وجعلته اجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضنة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به المعضة وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القرآن سحرا فو ربك لنسألنهم اجمعين أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين عما كانوا يعملون يعنى عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى نسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحملة على العموم أولى قال جاعدة من أهل العلم عن لاله الا الله عن انس عن النبی صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل علمت لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم علمتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسألنهم اجمعين سؤال توبخ وتقرير وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا أنه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيستلون فى بعض المواقف ولا يسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قوله سبحانه وتعالى

القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما نزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقساموا داخل مكة ايام الموسم فقدموا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدار لمعنى التسليية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا

(فاصدع)

من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى القرآن أو فى

(الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا فى القرآن أقاويل مختلفة قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم أساطير الاولين وقال بعضهم كذب يختلف من تلقاء نفسه (فوربك) يا محمد اقسام بنفسه (لنسألنهم) يوم القيامة (أجمعين عما كانوا يعملون) يقولون فى الدنيا ويقال عن تركهم لاله الا الله

فاجهر به واظهره يقال
صدع بالحجة اذا تكلم بها
جهارا من الصديق وهو
الفجر أو فاصدع فافرق
بين الحق والباطل من
الصدع في الزجاجة وهو
الابانة بما تؤمر والمعنى بما
تؤمر به من الشرائع فحذف
الجار كقوله

امرتك الخير فافعل ما
امرت به

(واعرض عن المشركين)
هو امر استهانة بهم (انا

كفييناك المستهزين)
الجمهور على انها نزلت في

خسة نفر كانوا يبالغون
في ابداء رسول الله صلى الله

وسلم والاستهزاء به فاهلكهم
الله وهم الوليد بن المغيرة

مر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه

فات والعاص بن وائل
دخل في اخمصه شوكة

فاتفتحت رجله فات
والاسود بن عبد المطلب

عمى والاسود بن عبد
يغوث جعل ينطح

رأسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات

والحرث بن قيس امتخط
قيحا ومات

(فاصدع بما تؤمر) يقول
اظهر امرك بحكمة (واعرض

عن المشركين انا كفييناك المستهزين)
رفعنا عنك مؤنة المستهزين

عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ فاجهر به من صدع
بالحجة اذ تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتبميز وما مصدرية
أو موصولة والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ فلا
تلتفت الى ما يقولون ﴿ انا كفييناك المستهزين ﴾ بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف
قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن المطلب يبالغون في ابداء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه

﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ قال ابن عباس أظهر ويروي عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل
الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبدالله بن
عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه
﴿ واعرض عن المشركين ﴾ أي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك
وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى
﴿ انا كفييناك المستهزين ﴾ أكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال
وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والاتفات اليهم فلا
يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفييناك المستهزين يقول الله عز وجل لانيه محمد صلى
الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيري فاني أنا كافيك وحافظك
من عاداك فانا كفييناك المستهزين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا
يستهزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان
رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد
العزي بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره
واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث
ابن قيس بن طاطلة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة
وقال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أتى
جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزون يطوفون بالبيت
فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فربه الوليد بن المغيرة فقال
جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبدالله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد
فرا الوليد برجل من خزاعة نبال يرش نبلا له وعليه برد عاني وهو يجرا زاره فتعلقت
شظية من النبل بازار الوليد فدمع الكبر ان يطأ طي رأسه فيزعها وجعلت تضربه في
ساقه فحدهشته ففرض منها فات ومر بهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف
تجد هذا يا محمد فقال بئس عبدالله فاشار جبريل الى أخمص قدمه وقال قد كفيته
فخرج العاص على راحلة يتنزه ومعه ابناه فتزل شعبا من تلك الشمام فوطي شبرقة
فدخل منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله

عن المشركين انا كفييناك المستهزين) رفعنا عنك مؤنة المستهزين

(الذين يحملون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون)
فيك أوفى القرآن أوفى { الجزء الرابع عشر } الله (فسمع محمد ربك) ٥٨٠ (وكن من الساجدين) فافزع

فيمانابك الى الله والفرع
الى الله هو الذكرا الدائم
وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغم

(الذين يحملون مع الله الها آخر) يقولون مع الله آلهة شتى
(فسوف يعلمون) ماذا يفعل
بهم فأهلكهم الله في يوم وليلة
كل واحد منهم بعذاب غير
عذاب صاحبه وكانوا خمسة
منهم العاص بن وائل السهمي
لدغته شئ فمات مكانه أبعد
الله ومنهم الحرث بن قيس
السهمي أكل حوتا مالحا
ويقال طريا فأصابه العطش
فشرب عليه الماء حتى انشق
بطنه فمات مكانه أنعس الله
ومنهم الاسود بن عبد المطلب
ضرب جبريل رأسه على
شجرة وضرب وجهه
بالشوك حتى مات نكسه الله
ومنهم الاسود بن عبد يغوث
خرج في يوم شديد الحر
فأصابه السموم فأسود حتى
عاد حبشيا فرجع الى بيته فلم
يقمحو عليه الباب فطع رأسه
ببابه حتى مات خذله الله
ومنهم الوليد بن المغيرة المخزومي
أصاب الحلة نبل فمات من
ذلك طرده الله وكلهم كانوا

السلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكفيكم فاوامأ الى ساق الوليد فر
بنال فتعلق بثوبه سهم فلم ينطف تعظما لاخذها فاصاب عرقا في عقبه فمقطعه فمات واوامأ الى
اخمس العاصي فدخلت فيه شوكة فاستفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات و اشار الى انف
عدي بن قيس فامتخط قبحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجمل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب
فعمى الذين يحملون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين ولقد
نعم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك
فسمع محمد ربك فافزع الى الله تعالى فيمانابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف
الغم عنك أو فترهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين

حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومريهما الاسود بن المطلب فقال جبريل
كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء وأشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته
فعمى قال ابن عباس رماء جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه
فجمل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أتاه جبريل وهو قاعد
في أصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجمل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه
بالشوك فاستفخت بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شئ غيرك فمات وهو
يقول قتلني رب محمد ومريهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد
فقال بنس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى
بطنه فمات وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فأصابه سموم فأسود وجهه حتى
صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقتوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد
ومريهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاوامأ
جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قبحا فقتله وقال ابن عباس أنه أكل
حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشد بطنه فمات فذلك قوله تعالى
انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن الذين يحملون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون يعني اذا نزل بهم العذاب فقيده وعيد وتهديد قوله سبحانه وتعالى ولقد
نعم انك يضيق صدرك بما يقولون يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمونه
من الاستهزاء به والعقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك
ضيق الصدر فمات ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله فسمع بمحمد ربك
قال ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين يعني من المتواضعين لله
وقال الضحاك فسمع بمحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني
من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال

يقولون قتلني رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد نعلم انك يضيق صدرك) يا محمد (بما يقولون) من التكذيب (بعض)
وبانك شاعر وساحر وكذاب وكاهن (فسمع بمحمد ربك) فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) مع الساجدين ويقال من

من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ﴿١﴾ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿٢﴾ أى الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة ﴿٣﴾ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعد المهاجرين والانصار والمستهزين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهى ﴿٤﴾

مائة وثمان وعشرون آية

بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقاتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه فزع الى الصلاة فكأنه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتنى ما أحب أو كفتنى ما أكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بى ما تشاء ﴿٥﴾ قوله تعالى ﴿٦﴾ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿٧﴾ يعنى الموت الموقن به الذى لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك فى جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت فى عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى فى سورة مريم وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا ﴿٨﴾ روى البغوى بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان سجد بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿٩﴾ وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا عليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريته له بمائتي درهم فدعاء حب الله وحب رسوله الى ماترون ذكره البغوى بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة النحل ﴿١٠﴾

مكية الا فوله تعالى وان عاقبتكم به فعاقبوا بمثل ما عاقبتكم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة فى قتل حجرة قاله ابن عباس وفى رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهى قوله ولا تشتروا بعهدينا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هى مكية الا خمس آيات وهى قوله ولذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتكم الى آخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهى مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

(واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت يعنى مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ﴿١﴾ سورة النحل مكية وهى

مائة وثمان وعشرون آية ﴿٢﴾

المطيعين (واعبد ربك) استقم على طاعة ربك (حتى يأتيك اليقين) يعنى الموت وهو الموقن ﴿٣﴾ ومن السورة التى يذكر فيها النحل وهى كلها مكية غير أربع آيات نزلت بالمدينة قوله وان عاقبتكم فعاقبوا الى آخره واصبر وما صبرك الا بالله الى آخر الآية وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الى آخر الآية وقوله والذين هاجروا من بعد ما ظلموا الى آخر الآية فهؤلاء الآيات الأربع

مدنيات آياتها مائة وعشرون وثمان آيات وكلها ألف وثمانمائة واحد وأربعون وحروفها ستة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ كانوا يستعجلون ما وعدهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قيام الساعة أو أهلاك الله تعالى إياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكديبا ويقولون ان سمع ما يقوله فلا صنم تشفع لنا وتخلصنا منه فنزل والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ تبرأ وجل عن ان يكون له شريك في دفع ما اراد بهم وقرأ جزء والكسائي بالهاء على وفق قوله تعالى فلا تستعجلوه والباقر على تلوين الخطاب أو على ان الخطاب للمؤمنين أولهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتي أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحي أو القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿أتى أمر الله﴾ يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أذاك الامر وهو متوقع المحيى بعدما أتى ومعنى الآية أني أمر الله وعدا ﴿فلا تستعجلوه﴾ يعني وقوعا والمراد به محيى القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيئا قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقتربت للناس حسابهم فاشتقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل اتي أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب محيى الشئ قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل ابن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احدهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتهما كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيوف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء واثننا بعذاب اليم فاستجبل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يعني تنزه الله وتعظيمه بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ يعني بالوحي

العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكديبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الآتى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه ﴿فلا تستعجلوه﴾ سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل وعز عن أن يكون له شريك وعن اشراكهم في موصولة أو مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف

مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبإسناده عن ابن عباس قال لما نزل قوله اقتربت للناس حسابهم الى آخر الآية وقوله اقتربت الساعة الى آخر الآية فكشوا على ذلك ما شاء الله ان يكشفوا ولم يتبين لهم شيئا فقالوا يا محمد متى يأتينا ما تعدنا من العذاب فأنزل الله (أتى أمر الله) أي عذاب الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فقام لا يشك ان العذاب قد أتى فقال الله (فلا تستعجلوه) بالعذاب فجلس النبي صلى الله عليه وسلم (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك

(وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (ينزل الملائكة) يعني جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) (من)

القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن اندروا) ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى اندروا (انه لا اله الا انا فاتقون) اعلموا ﴿ ٥٨٣ ﴾ بان الامر ذلك { سورة النحل } من نذرت بكذا اذا علمته

والمعنى اعلموا الناس
قولي لا اله الا انا فاتقون
فخافون وبالياء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وانه لا اله
الا هو بما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات
والارض وهو قوله (خلق
السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون) وباتاء
في الموضعين حزة وعلى
وخلق الانسان وما يكون
منده وهو قوله (خلق الانسان
من نطفة فاذا هو خصيم
مبين) أي فاذا هو منطبق
مجادل عن نفسه مكافح
لخصومه مبين لحجته بعدما
كان نطفة لا حس به ولا
حركة فاذا هو خصيم لربه
منكر على خالقه قائل من
يحيي العظام وهي رميم
وهو وصف للانسان
بالرقاحة والتأدي في كفران
النعمة وخلق ما لا بد له منه
من خلق البهائم لا كله
وركوبه وحل أثقاله وسائر
(من أمره) بالنبوة
والكتاب بامر (على من
يشاء من عباده) يعني محمدا
وغيره من الانبياء (أن اندروا)
خوفوا بالقرآن واقروا
حتى يقولوا (أنه لا اله الا انا

الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به وذنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابوعرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى
تنزل وقرأ ابوبكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل ﴿ من أمره ﴾ بامرهم ومن اجله
﴿ على من يشاء من عباده ﴾ الانبياء ان يتخذوه رسولا ﴿ ان اندروا ﴾ بان اندروا أي اعلموا ومن
نذرت بكذا اذا علمته ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ ان الشأن لا اله الا انا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر
والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة
لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب
بنزع الخافض أو مخففة من الثقلية والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان
حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو
اقصى كالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دلائل وحدانيته من
حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لقدرة على ذلك فيلزم التمانع ﴿ خلق السموات والارض بالحق ﴾
اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿ تعالى عما
يشركون ﴾ منها أو مما يفتقر في وجوده أو بقاءه اليها وبما لا يقدر على خلقهما وفيه
دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام ﴿ خلق الانسان
من نطفة ﴾ جاد لا حس لها ولا حر السائلة لا تحفظ الوضع والشكل ﴿ فاذا هو خصيم ﴾
منطبق مناظر مجادل ﴿ مبين ﴾ للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي
العظام وهي رميم روى ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم

﴿ من أمره ﴾ وانما سمي الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء
بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح
وهو جبريل ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ
الوحي الى الخلق ﴿ أن اندروا ﴾ يعني بأن أعلموا ﴿ أنه لا اله الا انا فاتقون ﴾ أي فخافون
وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله مناذرين يعني مخوفين بالقرآن ﴿ خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ خلق الانسان من نطفة فاذا
هو خصيم مبين ﴾ يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة نزات في أبي بن خلف
الجمحي وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله
يحيي هذا العظم بعدما رم فترأت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي
العظام وهي رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم
القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة
قدرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جمعهم نعم الله

فاتقون) فاطيعوني ووحدوني (خلق السموات والارض بالحق) للحق ويقال للزوال والفناء (تعالى) تبرا (عما يشركون) من الاوثان
(خلق الانسان) أبي بن خلف الجمحي (من نطفة) منتنة (فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) ظاهر الجدال لقوله من يحيي العظام

وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رم فتزلت ﴿والانعام﴾ الابل والبقر والغنم وانتصابها بفعل يفسره ﴿خلقها لكم﴾ أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له ﴿فيهادف﴾ ما يدفأ به فيق البرد ﴿ومنافع﴾ نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ﴿ومنها﴾ تأكلون ﴿أى﴾ تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى أولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى أو التفكه ﴿ولكم فيها جبال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها من مراعيها الى مراحيها بالمشى ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها بالعداء الى المراعى فان الافنية تنزى بها في الوقتين ويحل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الراحة لان الجبال فيها اظهر فانها تقبل ملائى البطون حافلة الضرور ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرى حيناً على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه

تعالى مع ظهورها عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ والانعام خلقها ﴿لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتداء فقال تعالى ﴿لكم فيها داف﴾ قال ويجوز أيضاً ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتداء فقال تعالى فيهادف قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقت عند قوله خلقها ثم يتبدى بقوله لكم فيهادف والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جبال والتقدير لكم فيهادف ولكم فيها جبال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيهادف وهو ما يستدفا به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشمار الحاصلة من الغنم ﴿ومنافع﴾ يعنى النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام ﴿ومنها﴾ تأكلون يعنى من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذى يعتمد الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فقير معتد به في الاغلب وأكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ولكم فيها جبال أى في الانعام ﴿جبال﴾ أى زينة ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ الراحة رد الابل

حاجاته وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هي الازواج الثمانية وأكثر ما يقع على الابل وانتصابها بضمير يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أى ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيها داف) وهو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر اشمر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنها تأكلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذى يعتمد الناس في معاشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه (ولكم فيها جبال حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحيها بالمشى (وحين تسرحون) ترسلونها بالعداء الى مسارحها من الله تعالى

وهى رميم (والانعام) يعنى الابل (خلقها لكم فيهادف) الادفاء من الاكسية وغيرها (ومنافع) في ظهورها والالبانها (ومنها تأكلون) من لحومها تأكلون (ولكم فيها جبال)

بالجمال بها كما من الانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى لان الرعيان اذ اروحوها بالعشى وسرحوها بالغداة تزيت
باراحتها وتسريحها الافنية وفرحت ٥٨٥ أربابها وأكسبتهم { سورة النحل } الجاه والحرمة عند الناس وانما

قدمت الراحة على
التسريح لان الجمال في
الراحة أظهر اذا قلبت
ملائى البطون حافلة
الضرع (وتحمل أثقالكم)
أحبالكم (الى بلد لم تكونوا
بالفيه الا بشق النفس)

وبفتح الشين أبو جعفر
وهما لغتان في معنى المشقة
وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه شقا وحقيقته
راجعة الى الشق الذى هو
الصدع وأما الشق فالنصف
كانه يذهب نصف قوته
لما ينال من الجهد والمعنى
وتحمل أثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالفيه لولم تخلق
الابل الا بالجهد ومشقة فضلا
أن تحملوا أثقالكم على
ظهوركم أو معناه لم تكونوا
بالفيه بالاشق الانفس وقيل
أثقالكم أبدانكم ومنه
الثقلان للجن والانس ومنه
وأخرجت الارض أثقالها
أى بنى آدم (ان ربكم لرؤف
رحيم) حيث رحكم بخلق
هذه الحوامل وتيسير هذه
المصالح (والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة)
عطف على الانعام أى وخلق

وتحمل أثقالكم أحبالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه ان لم تكن ولم تخلق
فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليد الا بشق النفس الا بكلفة ومشقة وقرى
بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه والصدع والمكسور بمعنى
النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحكم
بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيول والبغال والحمير عطف على الانعام
لتركبوها وزينة أى لتركبوها ولتزينوا بهازينة وقيل هى معطوفة على محل

بالعشى الى مراحمها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا أخرجوها بالغداة
الى المرعى قال اهل اللغة وأكثرت تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب
والكلا وخرجت العرب للجمعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه
وتعالى بالجمال بها فيه كما من الانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من
معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشى الى الافنية
والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء نغاء يجابون بعضها بعضا فند ذلك يفرح أربابها وتجمال
بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الراحة على التسريح قلت
لان الجمال في الراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل
من المرعى ملائى البطون حافلة الضرع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى
فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضرع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار
للمرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان الجمال في الراحة أكثر منه في التسريح فوجب
تقديمه وقوله سبحانه وتعالى وتحميل أثقالكم الاثقال جمع ثقل وهو متاع
السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر الى بلد يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة
الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجارتهم
وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخل الكافة في ذلك
من تخصيصه ببعض المحاطين لم تكونوا بالفيه يعنى بالغى ذلك البلد الذى تقصدونه
الا بشق النفس يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشى والمعنى
على هذا لم تكونوا بالفيه لانه نقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرؤف رحيم
يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المناقع قوله سبحانه وتعالى والخيول والبغال والحمير
لتركبوها هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها
والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرمط والنساء وزينة يعنى وجعلها
زينة مع المنافع التى فيها

فصل

احتم هذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال

(وتحمل أثقالكم) أمتعتكم
وزادكم (الى بلد)

يعنى مكة (لم تكونوا بالفيه الا بشق النفس) (ان ربكم لرؤف رحيم) بمن آمن (رحيم) بتأخير
العذاب عنكم (والخيل والبغال والحمير) يقول خلق الخيل والبغال والحمير (لتركبوها) فى سبيل الله (وزينة) لكم فيها ينظر حسن

لتركبوها وتغير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض ووقرى بغيره او وعلى هذا يحتمل ان يكون علته لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين او مترينين او متريناهما واستدل به على حرمة لحومها ولا دلائل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصده منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصادا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حُرمت عام خير ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بانزله من الخلاق

هذه للركوب واليدذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علما بتحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا الاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشرح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه وأحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسافا كلنا وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خير لحوم الخيل وجر الوحش ونهى النبی صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخارى ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خير الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابنا نخسة فنهاى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل . وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قائم اولهنا سكنت عن حل الانتقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حل الانتقال على الخيل وقال البغوى ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضى ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جماعة بين النصين والله اعلم ﴿ وقوله تعالى ﴾ ويخلق ما لا تعلمون ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي يتنفع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعد هاهما لا يتنفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجال لان مخلوقات الله عز وجل

هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سبقت لبيان النعمة اوليا بقى بالحكيم ن يذكر في مواضع المتأذنى العميتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفًا على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

(ويخلق ما لا تعلمون) يقول خلق من الاشياء ما لا تعلمون مما لم يسمه لكم

به غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به ﴿ ٥٨٧ ﴾ الجنس { سورة النحل } ولذا قال (منها جائر)

والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه الى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحج ومنها جائر أو من السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بانزل وأخبر اشرب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعنى الشجر الذى (وعلى الله قصد السبيل) هداية الطريق فى البر والبحر (ومنها) من الطريق (جائر) مائل لا يهتدى به (ولو شاء لهداكم أجعين) الى الطريق فى البر والبحر ويقال وعلى الله قصد السبيل الهدى الى التوحيد ومنها

ما لا علم لنسبه وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رجة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ﴿ ومنها جائر ﴾ حائل عن القصد أو عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طرق الضلالة أو لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر أى عن القصد ﴿ ولو شاء الله لهداكم أجعين ﴾ أى ولو شاء هدايتكم أجعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتمام ﴿ هو الذى أنزل من السماء ﴾ من السحاب أو من جانب السماء ﴿ ماء لكم منه شراب ﴾ ما تشربونه ولكم صلة انزل أو خبر شراب ومن تبيضية متعلقة به وتقديمها بوجه حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه بنابيع وقوله فاسكنناه فى الارض ﴿ ومنه شجر ﴾ ومنه يكون شجر يعنى الشجر

فى البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهذا ذكرها على الاجال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعنى مما أعد الله لاهل الجنة فى الجنة و لاهل النار فى النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة فى قوله ويخلق ما لا تعلمون يعنى السوس فى النبات والدود فى الفواكه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وعلى الله قصد السبيل ﴿ القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا دلك الى مطلوبك وفى الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ﴿ ومنها جائر ﴾ يعنى ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو موج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منه دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع ﴿ ولو شاء لهداكم أجعين ﴾ فيدليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة توفيد انتفاء الشئ لا انتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجعين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذى أنزل من السماء ماء ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال وهو الذى أنزل من السماء يعنى والله الذى خلق جميع الاشياء هو الذى أنزل من السماء ماء يعنى المطر ﴿ لكم منه ﴾ يعنى من ذلك الماء ﴿ شراب ﴾ يعنى تشربونه ﴿ ومنه ﴾ يعنى من ذلك الماء ﴿ شجر ﴾ الشجر فى اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل واحد عن أهل اللغة أنهم قالوا الشجر أصناف ما جل أو عظم وهو الذى يبقى على الشتاء وما دق وهو صنفان أحدهما

من الاديان جائر مائل ليس بمائل مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية ولو شاء لهداكم أجعين لدينه (هو الذى أنزل من السماء ماء) مطرا (لكم منه شراب) ما يستقر فى الارض فى الركيا والغدران (ومنه شجر) به

ترعاه المواشى (فيه تسميون) الجزء الرابع عشر من سامت الماشية ٥٨٨ اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها

وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالمرعى علامات فى الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا فى الجنة وانما أثبت فى الارض بعض من كلها للتذكيرة (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيستدلون به عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (يسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر

ينبت الشجر والنبات (فيه تسميون) ترعون انعامكم (ينبت لكم به) بالمطر (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب) يعنى الكروم (ومن كل الثمرات) من ألوان كل الثمرات (ان فى ذلك) فى ألوان ما ذكرت وفى طعمه (لآية) لعلامة وعبرة (لقوم يتفكرون) فيما خلق الله لهم (وسخر لكم) ذلالكم (الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) مذللات (بأمره) بآذنه

الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قل نعلفها اللحم اذا عر الشجر . والخليل فى اطعامها اللحم ضرر

فيه تسميون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلمها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالمرعى علامات ينبت لكم به الزرع وقراً ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل عيان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد واصل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بانها مسخرات بأمره حال من الجميع أى نفوكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى تبقى له أروحة فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق فى الشتاء كالقبول وقال أبو اسحق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشده نظمها اللحم اذا عر الشجر أرواهاهم يستقون الخليل اللبن اذا أجذبت الارض وقال ابن قتيبة فى هذه الآية يعنى الكلال ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر فيدعى فى الشجر تسميون يعنى ترعون مواشيك يقال أسمت السائمة اذا خلتها ترعى وسامت هى اذا رعت حيث شاءت ينبت لكم أى ينبت الله لكم وقرئ نبت على التعظيم لكم به أى بذلك الماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجالا ذكر فى الثمار تفصيلا واجالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبهه لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثالث بذكر النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه الخلطة فى المنفعة من التفكه والغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجالا لينبذ بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى ان فى ذلك لآية يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار لآية يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدايتنا لقوم يتفكرون يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدايته وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره فى سورة الاعراف مسخرات يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيدر على الفلاسفة والمجسمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعالة المتصرفة فى العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذللات بأمره يعنى باصمرها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء

جمع الآية وذكر العقل
لان الآثار العلوية أظهر دلالة
على القدرة الباهرة وأبين
شهادة للكبرياء والعظمة
(وما ذرأ لكم في الارض)
معطوف على الليل والنهار
أى ما خلق فيها من حيوان
وشجر وثمر وغير ذلك
(مختلفا) حال (ألوانه) ان في
ذلك لآية لقوم يذكرون
يتعظون (وهو الذى سخر
البحر لتأكلوا منه لحاطريا)
هو السمك ووصفه بالطراوة
لان الفساد يسرع اليه
فيؤكل سريعا طريا خيفة
الفساد وانما لا يحنث باكله
اذا حلف لا يأكل لحالان
مبنى الايمان على العرف ومن
قال اغلامه اشتر بهذه الدراهم
لحما ففجأ بالسمك كان حقيقا
بالانكار

(ان في ذلك) في تسخير
ما ذكرت (آيات)
العلامات (لقوم يعقلون)
يعلمون ويصدقون ان تسخيرها
من الله (وما ذرأ) يقول وما
خلق (لكم في الارض) مختلفا
ألوانه (أجناسه من النبات
والثمار وغير ذلك) (ان في ذلك)
في ألوان ما خلقت (لآية)
علامة وعبرة (لقوم يذكرون)
يتعظون بما في القرآن (وهو
الذى سخر) ذلل (البحر
لتأكلوا منه لحما) يعنى سمكا
(طريا)

خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو بحكمه وفيه إيدان بالجواب
عماسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فان ذلك
ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة
فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر ممي
جمع لاختلاف الانواع . وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون
تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا * ان في ذلك آيات
لقوم يعقلون * جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى
العقول اسلمية غير محوجة الى استيفاء فكريا حوال النبات * وما ذرأ لكم في الارض *
عطى على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات * مختلفا ألوانه *
اصنافه فانها تختلف بالون غالبا * ان في ذلك لآية لقوم يذكرون * ان اختلافها
في الطابع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم * وهو الذى سخر البحر *
جملة بحيث تمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص * لتأكلوا منه
لحاطريا * هو السمك ووصفه بالطراوة لانه رطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع

يختار وأنها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى
انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله * ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون * يعنى أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى
هو القمال اختار وان جمع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أرادهم منهم * وما ذرأ
لكم في الارض * يعنى وما خلق لكم في الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام
والاشجار والثمار * مختلفا ألوانه * يعنى في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان
المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبده بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال
قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى * ان في ذلك لآية لقوم يذكرون * يعنى
فيعتبرون بذلك * قوله سبحانه وتعالى * وهو الذى سخر * لكم * البحر * لما ذكر الله
سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق
الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير
ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده
بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من
الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو بالصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع
الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر * لتأكلوا منه لحاطريا * فبدأ بذكر الاكل
لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطرى من بدفائدة دالة على كمال قدرة
الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف
بالطرى لانه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه في غاية
العدوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلق له لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر

(وتستخرجوا منه حلية) { الجزء الرابع عشر } هي اللؤلؤ ٥٩٠ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسهم

لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بهن من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقاوا وتخشق الماء بحيزومها (فيد) في البحر (ولتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف أى لتبتغوا ولتبتغوا واجتاف الفضل التجارة (ولعلمكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وألقى في الارض رواسي) جبالا ثوابت (أن تميم بكم) كراهية أن تميم بكم وتضطرب أو لتلا تميم بكم لكن حذف المضاف أكثر قبل خلق الله الارض فجعلت تميم فقات الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة ثم خلقت (وأهرا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا) وتستخرجوا منه (من البحر) حلية (زهرة من اللؤلؤ وغيره) تلبسونها (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر) مقابلة ومدبرة (فيد) في البحر نجى وتذهب برنج واحدة (ولتبتغوا) لكي تطلبوا (من فضله) من عمله ويقال من رزقه (ولعلمكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته (وألقى في الارض

الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حانب ان لا يأك كل لما حدث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق ألا ترى ان الله تعالى سمي الكافر دابة ولا يثبت الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان أى تلبسها نساؤكم فاستند اليهم لانهم من جلتهم ولانهم يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك السفن) مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من الخمر هو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلمكم تشكرون أى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحققها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل الممالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش وألقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميم بكم كراهية ان تميم بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقه ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها متفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالانوار تاد الى تنمها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تميم فقات الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال (وأهرا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا)

على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجل فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى وترى الفلك يعنى السفن مواخر فيه جوارى فيه قل فتادة مقابلة ومدبرة وذلك انك ترى سبعينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان برنج واحدة وأصل الخمر في اللغة الشق يقال خمرت السفينة خمرا اذا شقت الماء بخوجؤها وقال مجاهد تخمر الرياح السفن يعنى أنها اذا جرت يسمع لها صوت قل أبو عبيدة يعنى صواخ والخمر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعنى مواقر أى مملوءة متاعا ولتبتغوا من فضله يعنى الارباح بالتجارة في البحر ولعلمكم تشكرون يعنى انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم وألقى في الارض رواسي يعنى جبالا ثقلا أن تميم بكم يعنى لتلا تميم بكم وتضطرب بكم والميسد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تميم فقات الملائكة ان هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة ثم خلقت الجبال (وأهرا) يعنى وجعل فيها أنهارا لان ألقى معنى جعل فقوله سبحانه وتعالى وأنهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الأنهار لان معظم عيون الأنهار وأصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة

رواسي) الجبال الثوابت (ان تميم بكم) الارض (وأهرا) وأجرى فيها أنهارا المنافعكم (وسبلا) (تسلكونها)

طرقاً (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم اولى تو حيدر بكم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم ٥٩١ في النجم مقحم سورة النحل فيدهم كانه قيل وبالنجم خصوصاً

هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد قريشاً لهم اهتداء بالنجوم في مسائرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أو جب عليهم والاعتبار أنزم لهم فخصصوا (أفمن يخلق) أي الله تعالى (كن لا يخلق) أي الاصنام وحي بن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولى العلم اولا ولان المعنى ان من يخلق ليس كن لا يخلق

من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهرة اياه لكونه الزاماً للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبهاً بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهاها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال

جعل فيها طرقاً (لعلكم تهتدون) لكي تعرفوا الطريق (وعلامات) من الجبال وغير

لعلكم تهتدون ﴿ لمقاصدكم اولى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴾ وعلامات ﴿ معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريج ونحو ذلك ﴾ وبالنجم هم يهتدون ﴿ بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم والحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم ﴿ أفمن يخلق ﴾ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتنهيه حكيمته والتفرد بخلق ما عدا من مبدعائه لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كن يخلق لكنه عكس تنبيهها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات المجزئة شبيهوا والمراد بكن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلباً فيه اولو العلم منهم أو الاصنام واجراها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم أو المشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كن لا يخلق من اولى العلم فكيف بمن لا علم عنده

تسلكونها في أفساركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ يعنى بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلّون ﴿ وعلامات ﴾ يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها في أفساركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتداء ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدان والجدى فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوماً للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ أفمن يخلق كن لا يخلق ﴾ لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعاً قل على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تنضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ أفمن يخلق يعنى هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كن لا يخلق يعنى هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئاً البتة لانها جادات لا تقدر على شئ فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق

لك للمسافرين (وبالنجم) وبالفرقدين والجدى (هم) يعنى المسافرين (يهتدون) بهم في البر والبحر (أفمن يخلق) وهو الله (كن لا يخلق) لا يقدر أن يخلق يعنى الاصنام

﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعرفوا عساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده
بادني تذكر وأنفات ﴿ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ لا تضبطوا عددها فضلا
ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزمام الحجة على تفرد باستحقاق العبادة تنبيهها على
ان وراء ما عدد نعمالا تحصر وان حق عبادته غير مقدور ﴿ ان الله اغفور ﴾ حيث يتجاوز عن
تقصيركم في اداء شكرها ﴿ رحيم ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يماجلكم بالعقوبة على
كفرانها ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف
هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعني ان هذا
القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر
فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر ﴿ بقي في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق
المراد به الاصنام وهي جادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل
والجواب عند ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها أجريت مجرى من
يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ
فخطابهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفن يخلق كمن لا يخلق لمقصود
منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف
قل على سبيل الاستفهام أفن يخلق كمن لا يخلق والجواب عند انه ليس المراد منه الاستفهام
بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه
وبين هذه الجادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من
يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الفاضلة كلها ويشغل بعبادة جادات لا يخلق شيأ
أبته والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴾ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴿ يعني ان نعم الله على العبد فيما
خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر والسمع والعقل السليم والسمع
الذي ينفع به الاشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه
في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمور الدين والدنيا لا تحصى
حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لجز عن معرفتها وحصرها فكيف
بنعمه المظلم التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجهدتم في ذلك وأتيتم نفوسكم لاتقديرون عليه ﴿ ان الله
اغفور ﴾ يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم ﴿ رحيم ﴾ يعني بكم
حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي ﴿ والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون ﴾ يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا
يمكرون بالني صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من ايدائه فاخبرهم الله
عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلايتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيقت
وفيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر
في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل معلومات سرها

(أفلا تذكرون) فتعرفون
فساد ما أنتم عليه (وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها)
لا تضبطوا عددها ولا تبلغه
طاقتكم فضلا أن تطيقوا
القيام بحقوقها من أداء
الشكر وانما اتبع ذلك
ما عدد من نعمه تنبيهها على
ان ما وراءها لا تحصر ولا
يعد (ان الله اغفور رحيم)
يتجاوز عن تقصيركم في أداء
شكر النعمة ولا يقطعها
عنكم لتفريطكم (والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون)
من أقوالكم وأفعالكم وهو
وعيد

(أفلا تذكرون) أفلا
تتعظون فيما خلق الله لكم
(وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها) لا تحفظوها
ويقال لا تشكروها (ان الله
اغفور) منجاوز (رحيم)
لن تاب (والله يعلم ما تسرون)
من الخير والشر (وما تعلنون)
من الخير والشر

(والذين يدعون) والآلهة الذين يدعواهم الكفار (من دون الله) وبالله غير عاصم (لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات) أى هم أموات (غير أحياء وما يشعرون) ٥٩٣ { أيان يبعثون } نفى عنهم { سورة النحل } خصائص الالهية بنفى

كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيد تهمكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الهكم اله واحد) أى ثبت بما مر أن الالهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن

(والذين تدعون) تعبدون (من دون الله لا يخلقون شيئاً) لا يتقرون أن يخلقوا شيئاً كخالقنا (وهم يخلقون) يمتحنون مخاوقة

للمشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله أى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه * وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثها بالياء لا يخلقون شيئاً لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئاً لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنفى الالهية فقال * وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفقورة الوجود الى الخلق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود * أموات * هم أموات لا تعترفهم الحياة أو أموات حالاً أو مآلاً * غير أحياء * بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حياً بالذات لا يعترفه الممات * وما يشعرون أيان يبعثون * ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالماً بالغيوب مقدر الثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف * الهكم اله واحد * تكرر للمدعى بعد إقامة الحجج * فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالباً للدلائل متأملاً فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان

وعلايتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى * والذين تدعون من دون الله * يعنى الاصنام التى تدعوها آلهة من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * فان قلت قوله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة أفن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئاً فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور فى تلك الآية فافائدة التكرار * قلت فأنته ان المعنى المذكور فى الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط والمذكور فى هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وأنهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار * أموات * أى جادات ميتة لا حياة فيها * غير أحياء * يعنى كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذى يستحق أن يعبد هو الحى الذى لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فن عبدتها فقد وضع العبادة فى غير موضعها وقوله * وما يشعرون * يعنى هذه الاصنام * أيان يبعثون * يعنى متى يبعثون وفيه دليل عن أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدرك الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون * قوله سبحانه وتعالى * الهكم اله واحد * يعنى ان الذى يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة * فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة * يعنى جاحدة لهذا المعنى * وهم مستكبرون * يعنى عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه

منهوتة (أموات) أذ نام أموات (غير أحياء) (قا و خا ٧٥ لث) وما يشعرون (يعنى الآلهة (أيان يبعثون) من الغيبور فيحاسبون ويقال ما يعلم الكفار متى يحاسبون ويقال ما تعلم الملائكة متى يحاسبون (الهكم اله واحد) يعلم ذلك لا الآلهة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (قلوبهم منكرة) بالوحد (وهم مستكبرون) عن الإيمان

الاقرار بها (لا جرم) (حقاً) ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (أى سرهم وعلايتهم فيجازيهم وهو وعيد) انه لا يجب (المستكبرين) عن التوحيد يعنى المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) ماذا منصوب بانزل أى أى شئ أنزل ربكم أو { الجزء الرابع عشر } مرفوع على { ٥٩٤ } الابتداء أى أى شئ أنزل ربكم واساطير

خير مبتداً مخذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير الاولين أى أحاديث الاولين وأباطيلهم وأحدثها أسطورة واذا رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وأنه نبي فهم الذين قالوا خيراً (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم) أى قالوا ذلك اضلالاً للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام لتعليل (بغير علم)

(لا جرم) (حقاً) ان الله يعلم ما يسرون (ما يخفون من البغض والحسد والمكر والخيانة) (وما يعلنون) ما يظهرون من الشتم والطعن والقتال (انه لا يجب المستكبرين) عن الايمان (واذا قيل لهم) للمقتسمين (ماذا أنزل ربكم) ماذا يقول لكم محمد صلى الله عليه

اتباعاً للاسلاف وركونا الى المأثوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والاتفات الى قوله والاول هو العمدة في السباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين (لا جرم) (حقاً) ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل) (انه لا يجب المستكبرين) فضلاً عن الذين استكبروا عن توحيدهم أو اتباع رسوله (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) القائل بعضهم على التهمك أو انوافدون عليهم أو المسلمون (قالوا اساطير الاولين) أى ماتدعون نزوله أو أنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلاً على التهمك أو على الفرض أى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيدوا القائلون له قيل هم المقتسمون (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة) أى قالوا ذلك اضلالاً للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة دروسهم في الضلال (ومن أوزار الذين يضلونهم) وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب (بغير علم) حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها

تكبرا (لا جرم) (بغير علم) ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يجب المستكبرين (يعنى عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيد وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الخيرة فعناه ينجير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقاً وقيل البطر التكبر يعنى أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئاً وكذا معنى غمضته أى انتقصته وازدريته وقوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعنى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) يعنى أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة) اللام في يحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعنى ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تنكفر عنهم شيئاً يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة وقوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعنى ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن

وسلم من ربكم (قالوا اساطير الاولين) كذب الاولين وأحاديثهم (ليحملوا أوزارهم) آثامهم (كاملة) وافرة (الايمان) (يوم القيمة ومن أوزار) مثل آثام (الذين يضلونهم) يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والايمان (بغير علم)

حال من المفعول أى يضلون
من لا يعلم أنهم ضلال
(الأساء مايزرون) محل
مارفع (قدمكر الذين
من قبلهم فأتى الله بنيانهم
من القواعد) أى من جهة
القواعد وهى الاساطين
وهذا تمثيل يعنى أنهم
سوا منصوبات ليكروابها
رسل الله فجعل الله هلاكهم
فى تلك المنصوبات كحال
قوم بنو بنينا وعمدوه
بالاساطين فأتى البنيان
من الاساطين بان ضعفت
فسقط عليهم السقف
وماتوا وهلكوا والجمهور
على أن المراد به عمرو بن
كنعان حين بنى الصرح
ببابل طوله خمسة آلاف
ذراع وقيل فرسخان فاهب
الله الريح فخر عليه وعلى
قومه فهلكوا فأتى الله أى
أمره بالاستئصال

بلاعلم ولا حجة (الأساء ما
يزرون) بنس ما يحملون
من الذنوب يعنى المقتسمين
(قدمكر الذين من قبلهم)
بأنبيائهم كما مكر المقتسمون
بمحمد عليه السلام وهو
عمرو الجبار الذى بنى الصرح
(فأتى الله بنيانهم) قلع بنيانهم
الصرح (من القواعد)
من الأساس

الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين الحق والمبطل
﴿الأساء مايزرون﴾ بنس شيئاً يزرونه فعلهم ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ سووا
منصوبات ليكروابها رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾
الايان مثل اوزار الاتباع ﴿والسبب فيه﴾ ما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص
ذلك من آثامهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن
سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه
أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من
الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع
الثواب أو العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل وبدل عليه
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال
الواحدى ولفظة من فى قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها
لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة
والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ولكنها للجنس أى ليحملوا من جنس اوزار
الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما
يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه
من العذاب الشديد ﴿الأساء مايزرون﴾ يعنى الألبس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد
لهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ يعنى من قبل كفار قريش
وهو عمرو بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه
وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحاً ببابل ليصعد الى السماء ويقاىل أهلها فى زعمه قال
ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان
طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم
وهم تحته ولما سقط تبللت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين
لساناً فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره
البعقوى وفى هذا نظر لان صالحاً عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان
أهل اليمن عرباً منهم جرهم الذى نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل
من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب
تكلموا فى قديم الزمان بالعربية وبدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى والله أعلم وقيل حمل قوله قدمكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون
الآية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير
﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ يعنى قصد تخريب بنيانهم

(فخر عليهم السقف من فوقهم { الجزء الرابع عشر } وأناهم العذاب ﴿ ٥٩٦ ﴾ من حيث لا يشعرون) من حيث

لا يحتسبون ولا يتوقعون
(ثم يوم القيمة يخزيهم)
يدلهم بعذاب الخزي سوى
ما عذبوا به في الدنيا (ويقول
أين شركائي) على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوحيهم بها على طريق
الاستهزاء بهم (الذين كنتم
تشاقون فيهم) تعادون
وتخاصمون المؤمنين في
شأنهم تشاقون نافع أى
تشاقوننى فيهم لان مشاققة
المؤمنين كانها مشاققة الله
(قال الذين أوتوا العلم)
أى الانبياء والعلماء من أمهم
الذين كانوا يدعونهم الى
الايمان ويعظونهم فلا
يلتفتون اليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شتمة بهم
أوهم الملائكة (ان الخزي
اليوم) الفضيحة (والسوء)
العذاب (على الكافرين

(فخر عليهم السقف) فوقهم
عليهم الصرح (من فوقهم
وأناهم العذاب) بالهدم
(من حيث لا يشعرون)
لا يعلمون (ثم) هو (يوم القيمة
يخزيهم) يعذبهم ويدلهم
(ويقول) الله يوم القيامة
(أين شركائي) يعنى الآلهة
التي زعمت انهم شركائي
(الذين كنتم تشاقون فيهم)
تخالفون لقبلهم وتعادون
أنبيائي لقبلهم (قال الذين

فأناها امره من جهة العمدة التي بنوا عليها بان ضعفت ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾
وصار سبب هلاكهم ﴿ وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ لا يحتسبون ولا
يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به عمرو بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة
آلاف ذراع ليرصد اصر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ﴿ ثم يوم
القيامة يخزيهم ﴾ يدلهم أو يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
﴿ ويقول اين شركائي ﴾ اضاف الى نفسه استهزاء أو حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم
قرأ البزى بخلاف عنه اين شركائي بغیر الهمزة والباقون بالهمز ﴿ الذين كنتم تشاقون
فيهم ﴾ تعادون المؤمنين في شأنهم ﴿ وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاققة المؤمنين
كمشاققة الله عز وجل ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ أى الانبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة ﴿ ان الخزي اليوم والسوء ﴾ الذلة
والعذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وفائدة قولهم اظهار الشتمة بهم وزيادة الاهانة وحكاية

من أصوله وذلك بان أناهم برح قصفت بنيانهم من أعلاه وأناهم بزلزل قلعت
بنيانهم من قواعده وأساسه هذا اذا جلنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر
اللفظ وان جلنا تفسير الآية على القول الثانى وهو حملها على العموم كان
المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده
أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو اينانا وثيقا شديدا
ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله
سبحانه وتعالى لمن مكر بأخر فاهلكه الله بكمه ومنه مثل السائر على السنة الناس
من حفر بئرا لآخيه أو قعد الله فيه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فخر عليهم السقف من
فوقهم ﴾ يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم لنا كيد لان السقف لا يخر
الامن فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم
علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم أهلكوا وماتوا تحت ﴿ وأناهم العذاب من حيث
لا يشعرون ﴾ يعنى في مآثمهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدهته كان ذلك
البنيان سبب هلاكهم ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار
بان العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ﴿ ويقول ﴾
يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة ﴿ أين شركائي ﴾ يعنى في زعمكم واعتقادكم ﴿ الذين
كنتم تشاقون فيهم ﴾ يعنى كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لان
المشاققة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم
لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم منازل بكم من العذاب والهوان ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾
يعنى المؤمنين وقيل الملائكة ﴿ ان الخزي ﴾ يعنى الهوان ﴿ اليوم ﴾ يعنى في هذا اليوم
وهو يوم القيامة ﴿ والسوء ﴾ يعنى العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وانما يقول المؤمنون
هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا وينكرون عليهم

أوتوا العلم) يعنى الملائكة (ان الخزي اليوم) العذاب يوم القيامة (والسوء) النار والشدة (على الكافرين) (احوالهم)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبالياء حزة وكذا ما بعده (ظلمى أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أى الصلح والاستسلام أى اختبأوا وجاءوا بخلاف ما كانوا ٥٩٧ عليه فى الدنيا { سورة النحل } من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من

سوء) ووجدوا ما وجد منهم من الكفران والعداوة فرد عليهم أولو العلم وقالوا (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من السمات وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن

الذين تتوفاهم الملائكة) قبضتهم الملائكة يوم بدر (ظلمى أنفسهم) بالكفر (فألقوا السلم) ردوا الجواب ويقال خضعوا لله (ما كنا نعمل من سوء) نعبد من شئ من دون الله وما كنا مشركين بالله (بلى) يقول الله بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) وتقولون وتعبدون من دون الله (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) مقيمين فيها لا تموتون ولا تخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) منزل الكافرين جهنم (وقيل للذين اتقوا)

لان يكون لطفًا ووعظا لمن سمعه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ وقرأ حزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الواجهة الثلاثة ﴿ ظلمى أنفسهم ﴾ بان عرضوها للعذاب المخلد ﴿ فألقوا السلم ﴾ فسالموا واختبأوا حين عاينوا الموت ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسيراً للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿ بلى ﴾ أى تعجبهم الملائكة بلى ﴿ ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانالم تكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوءاً واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله أو اولو العلم ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كل صنف باباً المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها ﴿ خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ جهنم ﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾ أى أنزل خيراً وفى نصبه دليل على انهم لم يتلغثوا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال

أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بانواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار السمات بهم فىكون أعظم فى الهوان والخزى ﴿ قوله تعالى ﴾ الذين تتوفاهم الملائكة ﴿ تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴾ ظلمى أنفسهم ﴿ يعنى بالكفر ﴾ فألقوا السلم ﴿ يعنى أنهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا ﴾ ما كنا نعمل من سوء ﴿ يعنى شركاً وانقادوا اذ كان من شدة الخوف ﴾ بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴿ يعنى فلافائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر ﴾ فادخلوا ﴿ أى فيقال لهم ادخلوا ﴾ أبواب جهنم خالدين فيها ﴿ يعنى مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ يعنى عن الايمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴿ وذلك ان أحياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يتعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب يحنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافد ان رجعت الى قومي من دون ان أدخل مكة فالتقاء فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقته وأمانته وان نبى مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً يعنى أنزل خيراً فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيراً قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب

الكفر والشرك والفواحش عبد الله بن مسعود وأصحابه (ماذا أنزل ربكم) ماذا يقول لكم محمد عليه السلام من ربكم (قالوا خيراً) توحيدها

السؤال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أى آمنوا وعملوا الصالحات أوقالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أى ثواب وأمن وغنية وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاى أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين { الجزء الرابع عشر } وجعل قولهم ﴿ ٥٩٨ ﴾ من جملة احسانهم (ولدار الآخرة

خير) أى لهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف مخصوص بالمدح لتقديم ذكره (جنات عدن) خبر لمبتدأ محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها)

حال (تجربى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم

وصلة (للذين أحسنوا) وحدوا (فى هذه الدنيا حسنة) الجنة يوم القيامة (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير) من الدنيا وما فيها (ولنعم دار المتقين) الكفر والشرك والفواحش الجنة (جنات عدن) وهى مقصورة الرحمن (يدخلونها) يوم القيامة (تجربى من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء

على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يمشون ايام الموسم من بأتهم بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك ﴿ للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ مكافأة فى الدنيا ﴿ ولدار الآخرة خير ﴾ أى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسير الخير على انه منتصب بقولوا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ دار الآخرة فحذفت لتقديم ذكرها وقوله ﴿ جنات عدن ﴾ خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون الخصوص بالمدح ﴿ يدخلونها تجربى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون ﴾ من انواع المستهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريد الا فى الجنة ﴿ كذلك يجزى الله المتقين ﴾ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى

المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بئنا مكشوفامعقولا لانزال فقالوا خبرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتداء بقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ يعنى للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابا حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وقال الضمك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعمل هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ولدار الآخرة خير ﴾ يعنى ما لهم فى الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ يعنى الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله ﴿ جنات عدن ﴾ يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان أى أقام به ﴿ يدخلونها ﴾ يعنى تلك الجنات لا يدخلون عنها ولا يخرجون منها ﴿ تجربى من تحتها الانهار ﴾ يعنى تجربى الانهار فى هذه الجنان من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم ﴿ لهم فيها ﴾ يعنى فى الجنات ﴿ ما يشاؤون ﴾ يعنى ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا ﴿ كذلك يجزى الله المتقين ﴾ أى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى

والعسل واللبن (لهم فيها) فى الجنة (ما يشاؤون) ما يشتهون ويمتنون (كذلك) هكذا (يجزى الله المتقين) الكفر (حسن) والشرك والفواحش (الذين تتوفاهم الملائكة) قبضتهم الملائكة (طيبين) طاهرين

انفسهم وقيل فرحين بشارة الملائكة اياهم بالجنة أو طيبين بقبض ارواحهم اتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس ﴿ يقولون سلام عليكم ﴾ لا يحيقكم بعد مكروه ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ حين تموتون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ ﴿ هل ينظرون ﴾ ما ينتظر الكفار المار ذكرهم ﴿ الا ان تأنيهم الملائكة ﴾ لقبض

(يقولون سلام عليكم) قيل
اذا أشرف العبد المؤمن
على الموت جاءه ملك فقال
السلام عليك يا ولي الله
الله يقرأ عليك السلام ويبشره
بالجنة ويقال لهم في الآخرة
(ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
بمعلمكم (هل ينظرون) ما
ينتظرون هؤلاء الكفار) الا
أن تأنيهم الملائكة لقبض
أرواحهم وباليد على وحشة

من الشرك (يقولون سلام
عليكم) من الله (ادخلوا الجنة)
بأيمانكم واقسموها (بما كنتم
تعملون) وتقولون من الخيرات
في الدنيا (هل ينظرون)
ما ينتظرون أهل مكة اذلا
يؤمنون (الا ان تأنيهم
الملائكة) لقبض ارواحهم

حسن فيدخل فيه انهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة ﴿ يقولون ﴾ يعني الملائكة لهم ﴿ سلام عليكم ﴾ يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبغفهم السلام من الله ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة . فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنني الله بفضله ورجته أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا يثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذأكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمة ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المناهضة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورتهموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على أن الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده ﴿ قوله تعالى ﴾ هل ينظرون ﴿ يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله ووجدوا نبوتك يا محمد ﴿ الا أن تأنيهم الملائكة ﴾ يعني

(أَوَيَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ) أَي الْعَذَابُ {الجزء الرابع عشر} المستأصل أو القيامة ﴿٦٠﴾ (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك

والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) يتدبرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الجحيرة والسائبة (أَوَيَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ) عَذَابُ رَبِّكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ (كذلك) كما قال بك قومك كذبوك وشتموك (فعل الذين من قبلهم) من قبل قومك بأنبيائهم كذبوهم وشتموهم (وما ظلمهم الله) بآلائهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالشرك وتكذيب الرسل (فأصابهم سيئات ما عملوا) عقوبة ما عملوا وقالوا من المعاصي (وحاق بهم) دار ونزل بهم (وما كانوا يستهزئون) عقوبة استهزائهم بالأنبياء ويقال العذاب الذي كانوا يستهزئون (وقال الذين أشركوا) بالله الأوثان يعني أهل مكة (لو شاء الله

أرواحهم وقرأ أحزوة والكسائي بالياء ﴿أَوَيَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ القيامة أو العذاب المستأصل ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ فأصابهم ما أصاب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدبيرهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أي جزاء سيئات أعمالهم على حذف المضاعف أو تسمية الجزاء باسمها ﴿وحاق بهم ما كانوا يستهزئون﴾ واحاط بهم جزاؤه والحق لا يستعمل إلا في الشر ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ إنما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الغائبة فيهما أو انكارا لقيع ما انكر عليهم من الشرك وتحريم الجائر ونحوها محتجين بأنها لو كانت مستقيمة لما شاء الله صدورها عنهم ولما خلافة ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب لقبض أرواحهم ﴿أَوَيَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة ﴿كذلك﴾ فعل الذين من قبلهم يعني من الكفر والتكذيب ﴿وما ظلمهم الله﴾ يعني بتدبيره إياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يعني باكتسابهم المعاصي والكفر والأعمال الشبيحة الخبيثة ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة ﴿وحاق بهم ما كانوا يستهزئون﴾ والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا﴾ يعني أن مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الأيمان لحصل جنت أو لم نجى ولو شاء الله منا الكفر لحصل جنت أو لم نجى وإذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا إن الكل من الله فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جاز مجرى طلب العلة في أحكام الله وفي أفعاله وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان في حكم الله وسنته في عباده إرسال الرسل إليهم لياصروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وإن الهداية والاضلال اليه فن هداة فهو الممتدى ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالإيمان به وينهاهم عن الكفر ثم إنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى الإيمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل إلى الأمم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لأنهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد وأما قوله تعالى ﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلو لا أن الله رضيها

مأعبدنا من دونه (من شيء) من الأصنام (نحن ولا آباؤنا) قبلنا (ولا حرمنا من دونه) من دون الله (من شيء) (لنا)

ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وجرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل
 الا البلاغ المبين) الا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله)
 بان وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) ٦٠١ - الشيطان يعني في سورة النحل طاعته (فمنهم من هدى

الله) لاختيارهم الهدى
 ومنهم من حققت عليه الضلالة
 أي لزمته لاختياره إياها
 (فسيروا في الأرض فانظروا
 كيف كان عاقبة المكذبين)
 حيث أهلكهم الله وأخلى
 ديارهم عنهم ثم ذكر عناد
 قريش وحرص رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على
 إيمانهم وأعلمه أنهم من قسم
 من حققت عليه الضلالة
 فقال (إن تحرص على
 هدايتهم فإن الله لا يهدي
 من يضل) بفتح الياء وكسر

عن الشبهتين * كذلك فعل الذين من قبلهم * فاشركوا بالله وجرموا حلاله وردوا
 رسوله * فهل على الرسل الا البلاغ المبين * الا البلاغ الموضح للحق وهو ان لم
 يؤثر في هدى من شاء الله هدايته لكنه مؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
 انما يجب وقوعه لامطابقا بل باسباب قدرهاله ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة
 الالهية في الامم كلها سببا لهدى من أراد اهتدائه وزيادة الضلال لمن أراد ضلاله
 كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويتقويه ويضر المحرف وينهيه بقوله تعالى
 * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت * يأمر بعبادة الله
 تعالى واجتناب الطاغوت * فمنهم من هدى الله * وفقهم الايمان بارشادهم * ومنهم
 من حققت عليه الضلالة * اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
 الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفضل الله تعالى وارادته من حيث
 انه قسم من هدى الله قد صرح به في الآية الاخرى * فسيروا في الأرض * يامعشر
 قريش * فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
 * ان تحرص * يا محمد * على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل * من يريد ضلاله وهو

لناغير ذلك ولهدانا الى غيره * كذلك فعل الذين من قبلهم * يعني ان من تقدم هؤلاء
 من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة
 الرسل كان قديما في الامم الخالية * فهل على الرسل الا البلاغ المبين * يعني ليس اليهم
 هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه * ولقد بعثنا في كل أمة
 رسولا * يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا * ان اعبدوا الله واجتنبوا
 الطاغوت * يعني ان الرسل كانوا يأمرهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت
 وهو اسم كل معبود من دون الله * فمنهم * يعني فن الامم الذين جاءتهم الرسل * من
 هدى الله * يعني هدايتهم الى الايمان به وتصديق رسوله * ومنهم من حققت عليه الضلالة *
 يعني ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالتقصير السابق في الازل حتى مات على الكفر
 والضلال وفي هذه الآية أبين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتعصر
 في عباده فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق
 علمه * فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * يعني فسيروا
 في الأرض متبشرين متفكرين لتعرفوا مال من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب
 والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصررتهم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم
 * قوله سبحانه وتعالى * ان تحرص على هدايتهم * الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص
 يا محمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد * فان الله لا يهدي من يضل *

لناغير ذلك ولهدانا الى غيره * كذلك فعل الذين من قبلهم * يعني ان من تقدم هؤلاء
 من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة
 الرسل كان قديما في الامم الخالية * فهل على الرسل الا البلاغ المبين * يعني ليس اليهم
 هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه * ولقد بعثنا في كل أمة
 رسولا * يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا * ان اعبدوا الله واجتنبوا
 الطاغوت * يعني ان الرسل كانوا يأمرهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت
 وهو اسم كل معبود من دون الله * فمنهم * يعني فن الامم الذين جاءتهم الرسل * من
 هدى الله * يعني هدايتهم الى الايمان به وتصديق رسوله * ومنهم من حققت عليه الضلالة *
 يعني ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالتقصير السابق في الازل حتى مات على الكفر
 والضلال وفي هذه الآية أبين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتعصر
 في عباده فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق
 علمه * فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * يعني فسيروا
 في الأرض متبشرين متفكرين لتعرفوا مال من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب
 والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصررتهم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم
 * قوله سبحانه وتعالى * ان تحرص على هدايتهم * الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص
 يا محمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد * فان الله لا يهدي من يضل *

ويقال الكاهن (فمنهم) من أرسلنا (قا وخا ٧٦ لث) اليهم الرسل (من هدى الله) لديه فاجاب الرسل الى الايمان (ومنهم
 من حققت) وجبت (عليه الضلالة) فلم يحب الرسل الى الايمان (فسيروا) سافروا (في الأرض فانظروا) فاعتبروا (كيف كان عاقبة
 المكذبين) آخر أمر المكذبين بالرسل (ان تحرص على هدايتهم) على توحيدهم (فان الله لا يهدي) لديه (من يضل) خلقه عن دينه

البياء وتصح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدى خبره (ومالهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم { الجزء الرابع عشر } ويدفعون عنهم ٦٠٢ عذابه الذي أعد لهم (واقسموا بالله

جهداً أيمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو أثبات لما بعد النفي أى بلى يبعثهم (وعدا عليه حقاً) وهو مصدر مؤكّد لمادل عليه بلى لأن يبعث موعدهم من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن وعده حق وأنهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بمادل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذى يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قوالهم لا يبعث الله من يموت ولا يكون أهلاً لمكة (ومالهم) لكفار مكة (من ناصرين) من ناصرين من عذاب الله (واقسموا بالله جهداً أيمانهم) حلفوا بالله جهداً أيمانهم وإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهداً يميناً (لا يبعث الله من يموت بعد الموت) (بلى وعدا عليه) على الله (حقاً) كما أنما واجبا أن يبعث من يموت (والكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ولا يدركون

المنع عن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى من يضل على البناء للمفعول وهو أبانج (ومالهم من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (واقسموا بالله جهداً أيمانهم لا يبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين أشركوا ايذاناً بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله تعالى عليهم أبانج رد فقال (بلى) يبعثهم وعداً مصدر مؤكّد لنفسه وهو مادل عليه بلى فإن يبعث موعدهم من الله تعالى (عليه) تجازاه لامتناع الخلاف في وعده أولاً لأن البعث مقتضى حكمته (حقاً) صفة أخرى للوعد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أمالهم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته برعاتها وأما قصور نظرهم بالمأثوف فيتوهمون امتناعه ثم أنه تعالى بين الأمرين فقال (ليبين لهم) أى يبعثهم ليبين لهم بعض (الذى يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو الميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال قرى بفتح الياء وكسر الدال معنى لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهتدى من أضله الله وقرى بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادى له (ومالهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من العذاب (واقسموا بالله جهداً أيمانهم) قال ابن الجوزى سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلمو الذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك لك أترجم أنك تبعث بعد الموت واقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فقلت هذه الآية قل له أبو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركون في انكار البعث بعد الموت أن الإنسان ليس هو الأهل هذه البنية الخاصة فإذا مات وتشرقت أجزاؤه وبلى المتاع عوده بعينه لأن الشيء إذا عديم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فقلان قوله تعالى واقسموا بالله جهداً أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قوالهم فقال تعالى (بلى) يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لأن لفظة بلى أثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأوجده من العدم ولم يك شيئاً فإلى أوجده بقدرته ثم أعده قادر على إيجاده بعد أعدائه لأن النشأة الثانية أهون من الأولى (وعدا عليه حقاً) يعنى أن الذى وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا يخلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يشعرون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ (ليبين لهم) الذى يختلفون فيه يعنى من أمم البعث ويظهر لهم الحق الذى لا يخلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعنى

(ليبين لهم) لامل مكة (الذى يختلفون فيه) يختلفون في الدين (وليعلم) أى يعلم (الذين كفروا) بجمعه (في) صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين) في الدنيا بأن لاجنة ولا نار لهم ولا حساب

(انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له ﴿٦٣﴾ كن فيكون) أى { سورة النحل } فهو يكون وبالنصب شامى

وعلى على جواب كن قولنا
مبتدأ وأن نقول خبره
وكن فيكون من كان التامة
التي بمعنى الحدوث والوجود
أى اذا أردنا وجود شئ
فليس الآن نقول له احدث
فهو يحدث بلا توقف
وهذه عبارة عن سرعة
الايحاد بين أن مراد
لا يتنع عليه وان وجوده
عند ارادته غير متوقف
كوجود المأمور به عند أمر
الأمر المطاع اذا ورد على
المأمور المطيع الممثل ولا
قول ثمة والمعنى ان ايحاد
كل مقدور على الله بهذه
السهولة فكيف يتمنع عليه
البعث الذى هو من بعض
المقدورات (والذين
هاجروا فى الله) فى حقه
ولو جهه (من بعدما ظلموا)
هم رسول الله وأصحابه
ظلمهم أهل مكة ففروا
بدينهم الى الله منهم من
هاجر الى الحبشة ثم الى
المدينة فجمع بين المهاجرين
ومنهم من هاجر الى المدينة

(انما قولنا لشيء) أمرنا لقيام
الساعة (اذا اردناه أن نقول له
كن فيكون والذين هاجروا
فى الله) فى طاعة الله من مكة
الى المدينة (من بعدما ظلموا)
من بعدما عذبهم أهل مكة

﴿٦٣﴾ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴿٦٣﴾ وهو بيان امكانه وتقريره ان تكون
الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والالزم التسلسل
فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بالاسبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده
ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفي بس فيكون عطف على نقول أوجوابا للامر ﴿٦٣﴾ والذين
هاجروا فى الله من بعدما ظلموا ﴿٦٣﴾ هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة أو المخبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس
وابوجندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله أى فى حقه

فى قولهم لا بعث بعد الموت ﴿٦٣﴾ انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون ﴿٦٣﴾ يعنى
ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيى الموتى ويبعثهم للحساب والحزاء فلا تعب
عليه فى احيائهم وبعثهم انما يقول لشيء أراده كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذى
لا يعجزه شئ أراده (ش) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تبارك وتعالى يشتمنى ابن آدم وما ينبغى له ان يشتمنى ويكذبى وما ينبغى له أن يكذبى
أما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وأما تكذيبه اياى فقول له ليس يعيدنى كما بدأنى وفى
رواية كذبى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك أما تكذيبه اياى فتقوله
ان يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فتقوله
انخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿٦٣﴾ وقوله
تعالى ﴿٦٣﴾ والذين هاجروا فى الله من بعدما ظلموا ﴿٦٣﴾ يعنى أودوا وعذبوا نزلت فى بلال
وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبى جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة
فجعلوا يعذبونهم ايرجعوا عن الاسلام الى الكفر وروهم المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه
يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويشدون ويحملون على صدره الحجارة وهو يقول أحد
أحد فاشتره منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين واما صهيب فقال لهم
انى رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه
فمر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باينهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخرجوا
عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم
من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلناهم
دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فأوهم ونصروهم وواسوهم
وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيد دليل على أن الهجرة
اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه
حديث انما الاعمال بالنيات وفيد فن كانت هجرته الى الله ورسوله فمجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فمجرته الى ما هاجر اليه الحديث
أخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﴿٦٣﴾ وقوله تعالى

يعنى عمار بن ياسر وبالا وصهيب وأصحابهم

(لنبوئهم في الدنيا حسنة) صفة للمصدر أى تبوئة حسنة أولنبوئهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آوأم أهلها ونصروهم (ولأجر آخرة { الجزء الرابع عشر } أكبر) الوقف ﴿ ٦٠٤ ﴾ لازم عليه لان جواب (لو كانوا

يعلمون) محذوف والضمير
للكفار أى لو علموا ذلك
لرغبوا فى الدين أو للمهاجرين
أى لو كانوا يعلمون لزادوا
فى اجتهدهم وصبرهم
(الذين صبروا) أى هم
الذين صبروا أو أعنى الذين
صبروا وكلاهما مدح أى
صبروا على مفارقة الوطن
الذى هو حرم الله المحبوب
فى كل قلب فكيف بقلوب
قوم هو مسقط رؤسهم
وعلى المجاهدة وبذل
لأرواح فى سبيل الله (وعلى
رهبهم يتوكلون) أى
يضعون الأمل الى رهبهم
ويرضون بما أصابهم فى دين
الله ولما قالت قريش الله
أعظم من أن يكون رسوله
بشرا نزل (وما أرسلنا
من قبلك إلا رجلا يؤتى
الإنس) على السنة الملائكة

(لبنوئهم فى الدنيا) لنزلهم
فى المدينة (حسنة) أرضا
كريمة آمنة ذات غنية
حلال (ولأجر الآخرة)
ثواب الآخرة (أكبر)
أعظم من ثواب الدنيا
(لو كانوا يعلمون) وقد كانوا
يعلمون (الذين صبروا) على
أذى الكفار (وعلى رهبهم
يتوكلون) لأعلى غيرهم، يعنى
الهم) بالامر والنهى

ولو وجهه ﴿١﴾ لنبوئهم في الدنيا حسنة ﴿٢﴾ بمائة حسنة وهي المدينة أو ثبوت حسنة ﴿٣﴾ ولا أجر الآخرة أكبر ﴿٤﴾ مما يجمل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما دخر لك في الآخرة أفضل ﴿٥﴾ لو كانوا يعلمون ﴿٦﴾ الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افقهوهم أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك نازدوا في اجتهداهم وصبرهم ﴿٧﴾ الذين صبروا ﴿٨﴾ على الشدائد كاذبي الكفرة ومفارقة الوطن ومحمله نصب أو الرفع على المدح ﴿٩﴾ وعلى ربهم يتوكلون ﴿١٠﴾ منقطعين إلى الله تعالى مفوضين إليه الأمر كله ﴿١١﴾ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحي إليهم ﴿١٢﴾ رد أقول قريش الله اعظم من أن يكون رسوله بشراً أي جرت السنة الإلهية بأن لا يثبت لادعوة العصاة إلا بشراً يوحي إليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ﴿١٣﴾ لنبوئهم في الدنيا حسنة ﴿١٤﴾ يعني لنبوئهم بترثة حسنة وهو الله تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئهم في الدنيا داراً حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما دخر لك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليحسن إليهم في الدنيا بأن يفتح لهم مكة ويعكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين ﴿١٥﴾ ولا أجر الآخرة أكبر ﴿١٦﴾ يعني أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا ﴿١٧﴾ لو كانوا يعلمون ﴿١٨﴾ قيل الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرجعوا إليه وقيل أنه راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما وعد الله لهم في الآخرة نازدوا في الجِد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين ﴿١٩﴾ الذين صبروا ﴿٢٠﴾ يعني في الله على ما نالهم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله ﴿٢١﴾ وعلى ربهم يتوكلون ﴿٢٢﴾ يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك إلى الله تعالى ومنتهاهما الصبر فهو في النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والحرمان والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق تعالى بالكلية فالأول هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه ﴿٢٣﴾ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحي إليهم ﴿٢٤﴾ نزلت هذه الآية جواباً للمشركي مكة حيث أنكروا نبوة

يتوكلون) لأعلى غير، يعني عاروا أصحابه (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (الأرجالا) آدميا مثلك (نوحى) محمد (اليهم) بالامر والنهى

نوحى حفص (فاسئلوا
 أهل الذكر) أهل الكتاب
 ليعلموكم ان الله لم يبعث
 الى الامم السالفة الا بشرا
 وقيل للكتاب الذكر لانه
 موعظة وتنبية للغافلين
 (ان كنتم لاتعلمون بالبينات
 والزبر) أى بالمعجزات
 والكتب والباء يتعلق
 برجالا صفته أى رجالا
 ملتبسين بالبينات أو بارسلنا
 مضمرا كأنه قيل بهم أرسل
 الرسل فقل بالبينات أو
 يوحى أى يوحى اليهم
 بالبينات أو لاتعلمون وقوله
 فاسئلوا أهل الذكر اعتراض
 على الوجوه المتقدمة وقوله
 (وأنزلنا اليك الذكر)
 القرآن (لتبين للناس ما نزل
 اليهم) فى الذكر مما مر وابه
 ونهوا عنه ووعدوا به
 وأوعدوا

والعلامات (فاسئلوا أهل
 الذكر) أهل التوراة
 والانجيل (ان كنتم لاتعلمون)
 ان الله لم يرسل الرسل
 الا انسيا (بالبينات) بالامر
 والنهى والعلامات (والزبر)
 خبر كتب الاولين (وأنزلنا
 اليك الذكر) جبريل
 باقرآن (لتبين للناس ما نزل
 اليهم) ما أمرهم فى القرآن

ذكرت فى سورة الانعام فان شككتكم فيه ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ أهل الكتاب أو علماء
 الاحبار ليعلموكم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ وفى الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة
 ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاءل الملائكة رسالا الى الملائكة أو الى
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الامثليين بصورة الرجال ورد
 بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو عليها
 مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم ﴿ بالبينات والزبر ﴾ أى ارسلناهم
 بالبينات والزبر أى المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بهم ارسلوا ويحوز ان يتعلق
 بما ارسلنا داخل فى الاستثناء مع رجالا أى وما ارسلنا الارجالا بالبينات كقولك ما ضربت
 الازيدا بالسوط أو صفة لهم أى رجالا ملتبسين بالبينات أو يوحى على المفعولية أو الحال
 من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسئلوا اعتراض أو لاتعلمون على ان الشرط
 للتبكيك والانزام ﴿ وأنزلنا اليك الذكر ﴾ أى القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة
 وتنبية ﴿ لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما مر وابه ونهوا
 عنه أو مما تشابه عليهم والتبين اعم من ان ينص بالمقصود أو يرشد الى ما يدل عليه كالتقاييس

محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث
 ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعنى مثلك
 نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا
 رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ يعنى
 أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار
 مكة كانوا يمتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل
 موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم
 بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن
 قلوبهم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم ياهؤلاء لاتعلمون ذلك
 ﴿ بالبينات والزبر ﴾ اختلفوا فى المعنى الجالب لهذه الباء فقل المعنى وما أرسلنا من
 قبلك بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر يعنى العلم
 فى قوله فاسئلوا أهل الذكر يعنى أهل العلم فاسئلوا أهل الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر
 ان كنتم لاتعلمون أنهم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يكامل به أمر الرسالة لان مدار
 أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى
 المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل ﴿ وأنزلنا اليك الذكر ﴾ الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وانما سماه ذكرا
 لان فيه موعظة وتنبية للغافلين ﴿ لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ يعنى ما أجل اليك من أحكام
 القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه
 وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان

ودليل العقل ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ و ارادة ان يتأملوا فيده فيتنبهوا للحقائق ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ أى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء أو الذين مكروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الايمان ﴿ ان يخسف الله بهم الارض ﴾ كما خسف بقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط ﴿ أو يأخذهم في تقلبهم ﴾ أى متقلبين فى مسائرهم ومتاجرهم ﴿ ففاهم يعجزين أو يأخذهم على تخوف ﴾ على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على ان ينقص شيأ بعد شئ فى انفسهم و اموالهم حتى يهلكوا من تخوفه اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه اقلنا التخوف التناقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقه تخوف الرحل منها تاما كما فرداه كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم يديوانكم لا تنصوا قولا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم

القرآن مجمل والحديث بين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فحكمه يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل وبطاب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ يعنى فيما أنزل اليهم فيعملوا به ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ فيه حذف تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبأقوالهم فى أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكروهم على انفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي فى اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة ﴿ أن يخسف الله بهم الارض ﴾ يعنى كما خسف بقارون من قبلهم ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعنى ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما هلك قوم لوط وغيرهم ﴿ أو يأخذهم فى تقلبهم ﴾ يعنى فى تصرفهم فى الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم فى السفر كما هو قادر على اهلاكهم فى الحضر وقال ابن عباس يأخذهم فى اختلافهم وقال ابن جريج فى اقبالهم وادبارهم يعنى انه تعالى قادر على أن يأخذهم فى ليلهم ونهارهم وفى جميع أحوالهم ﴿ ففاهم يعجزين ﴾ يعنى بسابقين الله أو يفتوتونه بل هو قادر عليهم ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ قال ابن عباس ومجاهد يعنى على تنقص قل ابن قتيبة التخوف التناقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشئ بعد الشئ حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيعمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أو لابل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال

(ولعلهم يتفكرون) فى تنبيهاته فيتنبهوا (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى بغتة (أو يأخذهم فى تقلبهم) متقلبين فى مسائرهم ومتاجرهم (ففاهم يعجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث

(ولعلهم يتفكرون) الذى يتفكرون وأما أمرهم فى القرآن (أفأمن الذين مكروا السيئات) الشرك بالله (أن يخسف الله) أن لا يغور الله (بهم الارض) أو يأتيهم (أو لا يأتيهم) العذاب من حيث لا يشعرون (بنزوله) (أو يأخذهم) (أو لا يأخذهم) (فى تقلبهم) فى ذهابهم ومجيئهم فى التجارة (ففاهم يعجزين) بضائتين من عذاب الله (أو يأخذهم) (أو لا يأخذهم) (على تخوف) على تنقص رؤسائهم وأصحابهم

﴿فان ربكم لرؤف رحيم﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ﴿أولم يره﴾ الى ما خلق الله من شيء ﴿استفهام انكار أى قدرأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها يظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وماموصولة مبهمة بيانها﴾ يتفيؤ ظلاله ﴿أى أولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفينة موقراً حزة والكسائى تروا بالناء وابوعرو تنفياً بالناء﴾ عن اليمين والشمال ﴿عن ايمانها وعن شمائلها الى عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمال باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله﴾ سجدا لله

الضحك والكلي هو من الخوف يعنى يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل فى الارض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتى الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله ﴿فان ربكم لرؤف رحيم﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ أولم يروا ﴿قرئ بالناء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة﴾ الى ما خلق الله من شيء ﴿يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الانفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشيء لتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به﴾ يتفيؤ ظلاله ﴿يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهمى من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى فى لانه من فاء بى اذا رجع من المغرب الى المشرق والى الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد ان تعصف النهار فالنفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرفت عند الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه اضافة الى ذوى الظلال ﴿عن اليمين والشمال﴾ قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلقك فاذا مالت الشمس الى الغرب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فاول النهار وأما الشمال فأخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع لا يجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشيء وهو واحد والشمال راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع ﴿سجدا لله﴾ فى معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النحلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشياء التى لها ظلال فهمى منقاد لله تعالى مستسلمة لامره غير متمتعة عليه فيما سخره له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال بشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير

لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أولم يروا) وبالناء حزة وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ماموصولة بخالق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيؤ ظلاله) أى يرجع من موضع الى موضع وبالناء بصرى (عن اليمين) أى الاعيان (والشمال) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء (فان ربكم لرؤف رحيم) لمن تاب ويقال بتأخير العذاب (أولم يروا) أهل مكة (الى ما خلق الله) من شيء (من الشجر والدواب يتفيؤ ظلاله) يتقلب ظلاله (عن اليمين) غدوة (والشمال) وعن الشمال عشية (سجدا لله) يسجدون لله وظلالهم غدوة وعشية أيضا تسجد لله

(وهم داخرون) صاغرون وهو الجزء الرابع عشر لم حال من الضمير ﴿٦٠٨﴾ في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق

الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من أوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أزلهم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفينة عن ايمانها وشئائها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب متقادة لله تعالى غير متمتعة عليه فيما سخرها له من التفريق والاجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة متقادة لافعال الله فيها غير متمتعة (والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا يدينون فيها كاندب الانامى في الارض أو بيان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكة تنين وبقوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله ومعنى الانقياد بجموعهم فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولوجيء بمن (وهم داخرون) مطعون (والله يسجد ما في السموات)

وهم داخرون ﴿٦٠٨﴾ وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت الخلة اذ ماتت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب أو سجد حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس والمحاذرها أو باختلاف مشارقها وغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب متقادة لما قدر لها من التفي أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة متقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جلتهما من يعقل أولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل عين الفلك وهو جابه الشرق لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له من الارض فان الظلال في اول النهار تبتدىء من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند انزال تبتدىء من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿٦٠٩﴾ والله يسجد ما في السموات وما في الارض ﴿٦١٠﴾ أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعيا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصيح اسناده الى عامة امم السموات والارض وقوله ﴿٦١١﴾ من دابة ﴿٦١٢﴾ بيان لهما لان الديب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض أو سماء ﴿٦١٣﴾ والملائكة ﴿٦١٤﴾ عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة لتعظيم أو عظم المجرىات على الجسمانيات وبه اخرج من قال ان الملائكة ارواح مجردة أو بيان لمسا في

ساجدته ﴿٦١٥﴾ وهم داخرون ﴿٦١٦﴾ أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما نأمره به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء متقادة لاسر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جها بالواو والنون وهو جمع العقلاء ﴿٦١٧﴾ قوله عز وجل ﴿٦١٨﴾ والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة ﴿٦١٩﴾ قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فتقوله والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأنى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم الاغلب كتغليب المذكور على المؤنث ولانه لو أنى عن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل الكل واللفظة الدابة مشتقة من الديب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة في قوله ﴿٦٢٠﴾ والملائكة ﴿٦٢١﴾ لانهم أولوا الجنة يطرون بها وأفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل أراد الله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة الصائم سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر

(وما في الارض من دابة) من الدواب والطيور (والملائكة) في السماء يسجدون لله (وهم)

بتناول العقلاء خاصة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علمته يخافون فمنه يخافونه ﴿ ٦٠٩ ﴾ أن يرسل عذابا من فوقهم وان

علمته برهم حالاً منده فغناه
يخافون ربهم غالباً لهم
قاهراً كقوله وهو القاهر
فوق عباده (ويفعلون
ما يؤمرون) وفيه دليل
على أن الملائكة مكلفون
مدارون على الأمر والنهي
وانهم بين الخوف والرجاء
(وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين انما هو اله واحد)
فان قلت انما جمعوا بين
العدد والمعدود فيما
وراء الواحد والاثنين
فقالوا عندى رجال ثلاثة
لان المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاص فاما رجل
ورجلان فمعدودان فيهما
دلالة على العدد فلا حاجة
الى أن يقال رجل واحد
ورجلان اثنان قلت الاسم
الحامل للمعنى الافراد
والثنائية دال على شيئين
على الجنسية والعدد
الخصوص فاذا أريدت
الدلالة على أن المعنى به
منهما هو العدد شفع بما
يؤكد فدل به على القصد
اليه والعناية به لا ترى أنك
لو قلت انما هو اله ولم تؤكد
بواحد لم يحسن وخيل أنك
ثبتت الالهية للوحدانية
(فايى فارهبون) نقل

الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها
من الحفظة وغيرهم ومما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع
القبيلان اولى من اطلاق من تغلبا للعقلاء ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ عن عبادته ﴿ يخافون
ربهم من فوقهم ﴾ يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله
تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير
لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ من الطاعة
والتيديروفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿ وقال الله
لا تتخذوا الهين اثنين ﴾ ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي
اليه أو إيماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله ﴿ انما هو اله واحد ﴾
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية أو للتنبية على ان الوحدة من لوازم
الالهية ﴿ فايى فارهبون ﴾ نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحاً

﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ يعنى الملائكة ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ هو كقوله وهو القاهر
فوق عباده وقد تقدم تفسيره ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ عن أبى ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لاترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تئط
ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبيكتكم كثيرا وماتلذذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم الى الصمدات تجأرون الى
الله تعالى قال أبو ذر لوددت انى كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذى وقال عن أبى ذر موقوفا

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها
وسماها ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ﴿ لما أخبر الله عز وجل
في الآية المتقدمتان كل ما في السموات والارض خاضعون لله منقادون لأمره عابدون له
وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين
فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين تأكيداً لقوله الهين وقال صاحب
النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعنى ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها
ولكن اتخذوا الها واحداً وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ انما هو اله واحد ﴾ لان الالهين لا يكونان
الامتساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية
للالهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعنى لا يجوز أن يكون في الوجود الهان
اثنان انما هو اله واحد ﴿ فايى فارهبون ﴾ يعنى فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب
وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ في الترهيب

للكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة (قاو خا ٧٧ لث) الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله فايى فارهبوا فارهبونى

(وهم لا يستكبرون) عن السجود لله (يخافون ربهم من فوقهم) الذى فوقهم على العرش (ويفعلون) يعنى ويقولون (ما يؤمرون) يعنى
الملائكة (وقال الله لا تتخذوا) لاتعبدا (الهين اثنين) نفسه والاوصنام (انما هو اله واحد) بلا ولد ولا شريك (فايى فارهبون) فخافون

يعقوب (وله ما في السموات { الجزء الرابع عشر } والارض ﴿ ٦١٠ ﴾ وله الدين) أى الطاعة (واصبا) واجبا

ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أو وله الجزاء دائما يعنى الثواب والعقاب (أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة) وأى شئ اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (فمن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقر والجذب (فاليه تجأرون) فما تنضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يرميكم بكم) الخاطب في وما بكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فتقوله منكم للبيان لا للبعوض كانه قال فاذا فريق كافروهم أنتم وبجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر

في عبادة الاصنام (وله ما في السموات والارض) من الخلق والعجائب (وله الدين واصبا) دائما ويقال خالصا (أفغير الله تتقون) تعبدون (وما بكم من نعمة فمن الله) فمن قبل الله لا من قبل الاصنام (ثم اذا مسكم الضر) أصابتكم الشدة (فاليه) الى الله

بالمقصود فكانه قد قل فاناذلك الاله الواحد فاي اى فارهبون لا غيرى ﴿ وله ما في السموات والارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ وله الدين ﴾ أى الطاعة ﴿ واصبا ﴾ لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ ولا ضرر سواه كمالا نافع غيره كما قال تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ أى وأى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شريطة أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا للحصول لها منه ﴿ ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ﴾ فتنضرعون الى الله والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يرميكم بكم ﴾

من قوله فاي اى فارهبوا فهو من بدع الكلام وبلغه وقوله فاي اى فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه الى كرمه وفضله واحسانه ﴿ وله ما في السموات والارض ﴾ لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لاشريك له في الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى ﴿ وله ما في السموات والارض ﴾ يعنى عبيدا وملكا ﴿ وله الدين واصبا ﴾ يعنى وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائمة أبدا ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ يعنى انكم عرقتم ان الله واحد لاشريك له في ملكه وعرقتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعده هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما بكم بنعمة فمن الله ﴿ يعنى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ﴿ ثم اذا مسكم الضر ﴾ أى الشدة والامراض والاستقام ﴿ فاليه تجأرون ﴾ يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومنه جوار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم ﴾ يعنى ثم اذا أزال الشدة والبلاء عنكم ﴿ اذا فريق منكم ﴾ يعنى طائفة وجاعة منكم ﴿ يرميكم بكم ﴾ يعنى انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف

(تجأرون) تنضرعون وتدعون (ثم اذا كشف الضر) رفع الشدة (عنكم اذا فريق) طائفة (منكم يرميكم بكم) (الضر)

فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ثم أوعدهم فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) هو عدول الى الخطأ ٦١١ على التهديد { سورة النحل } (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) أي

لآلهتهم ومعنى لا يعلمون أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لأنها جاد لا تضر ولا تنفع أو الضمير لما لا يعلمون للآلهة أي لاشياء غير موصوفة بالعالم ولا تشعر أجعلوا الهانصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (تالله لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل للتقرب اليها (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيهه لذاته من نسبة الولد اليه

الاصنام (ليكفروا) حتى يكفروا (بما آتيناهم) أعطيناهم من النعم فيقولوا بشفاعته آلهتنا هذا (فتمتعوا) فتمتعوا في الكفر والحرام (فسوف تعلمون) ماذا يفعل بكم (ويجعلون) يقولون (لما لا يعلمون نصيبا) حظا للرجال دون النساء ويقال لما لا يقولون ولا يعلمون يعني الاصنام (بما رزقناهم) أعطيناهم من الحرث والانعام ويقولون الله امرنا بهذا (تالله) والله (لتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تفترون) تكذبون على الله (ويجعلون لله البنات) يقولون الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيهه

وهم كفاركم ﴿ ليكفروا ﴾ بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركون كان من اللين فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من التبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجأهم الى البر فنفهم مقتصد ﴿ بما آتيناهم ﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة أو انكار كونها من الله تعالى ﴿ فتمتعوا ﴾ امر تهديد ﴿ فسوف تعلمون ﴾ اغلظ وعيده وقرى فتمتعوا مبني للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون ﴾ أي لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جاد فيكون الضمير لما أو التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تفهمهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف أو لجعلهم على ان ما مصدرية والمجمل له محذوف للعلم به ﴿ نصيبا مما رزقناهم ﴾ من الزروع والانعام ﴿ تالله لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ من أنها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيدهم عليه ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهه من قواهم وتعجب منه

الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ قيل ان هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليحجوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ﴿ فتمتعوا ﴾ لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فتمتعوا في اللذة التي أنتم فيها الى المدة التي ضربها الله لكم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ يعني عاقبة أمركم الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا ﴿ قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد الى المشركين يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعني ان الاصنام لانعم شيئا البتة لانها جاد والجاد لاعلمه ومنهم من رجع القول الاول لان نفي العلم عن الحى حقيقة وعن الجاد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين أولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجع القول الثاني قال لانا اذا قلنا انه عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا اله حق نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لاعلم لها ولا فهم ﴿ وقوله ﴿ بما رزقناهم ﴾ يعني ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام ﴿ تالله ﴾ أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿ لتسئلن عما كنتم تفترون ﴾ يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفتات من الغيبة الى الحضور وهو من بدع الكلام وبلغه ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا اللفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أول دخول لفظ التأنيث في تسميتهم ﴿ سبحانه ﴾

كنتم تفترون) تكذبون على الله (ويجعلون لله البنات) يقولون الملائكة بنات الله

أو تعجب من قولهم (ولهم { الجزء الرابع عشر { ما يشتهون }) ٦١٢ يعني البنين ويجوز في ما الرفع على

الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسميانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وجملا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا) أي صار فظلا وأسمى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مسود الوجه من الكتابة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء ما يشربه) يستخفي منهم من أجل سوء المشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر (أي مسكه على هون) أي مسكه ما يشربه على هون وذل (أم يدسه في التراب) أم يئده

والشريك (ولهم ما يشتهون) ما يختارون من الذكور (واذا بشر أحدهم بالانثى) بالجارية (ظل وجهه مسودا) صار وجهه مسودا من الغم (وهو كظيم) مكروب يتردد الغم في جوفه (يتوارى من القوم) يكتن من قومه (من سوء) من كره (ما يشربه) بالانثى كراهية الاظهار

ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجملة بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشي واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف (واذا بشر أحدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظل وجهه) صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكتابة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفي منهم (من سوء ما يشربه) من سوء المشر به (أي مسكه) محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه (على هون) (أم يدسه في التراب) أم يخفيه

نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم ما يشتهون) يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني البنين (واذا بشر أحدهم بالانثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تملو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله (واذا بشر أحدهم بالانثى) (ظل وجهه مسودا) يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدهم بالبنات لانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله سميانه وتعالى (وهو كظيم) يعني انه ظل متمنا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما يشربه) يعني انه يخفي من ذلك القول الذي يشربه وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى ان يعلم ما ولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت أنثى حزن ولم يظهر رأيا ما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (أي مسكه على هون) يعني على هوان وانما ذكر الضمير في أي مسكه لانه عائد الى ما يشربه في قوله (واذا بشر أحدهم) (أم يدسه في التراب) يعني أم يخفي ذلك الذي يشربه في التراب والدس اخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير ان مضر وخزاعة وتيمما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها تركها حتى اذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيتها حتى اذهب بها الى أجانها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فاذا باغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صمصمة عم الفرزدق اذا أحس بشيء من ذلك وجهه بابل الى والد البنت حتى يحسبها بذلك فقال الفرزدق يفخر بذلك

وعني الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم يواد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار أخرجه

(الاسماء ما يحكمون) حيث يحكمون ﴿٦١٣﴾ الولد الذي هذا محله ﴿سورة النحل﴾ عندهم لله ويجعلون لانفسهم

من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكرهه الاناث وأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العلى والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب في تنفيذ ما أراد (الحكيم) في امهال العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبى هريرة رضى الله عنه ان الجبارى لتوت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاذ الجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب

(الاسماء ما يحكمون) بئس ما يقضون لانفسهم الذكور ولله البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (مثل السوء) بغير النار (ولله المثل الاعلى) الصفة العلى الالهية والربوبية بلا ولد ولا شريك (وهو العزيز) بالنعم لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمر أن لا يعبد

فيه ويثده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما ﴿الاسماء ما يحكمون﴾ حيث يحكمون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكرهه الاناث وأدهن خشية الاملاق ﴿ولله المثل الاعلى﴾ وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ المنفرد بكمال القدرة والحكمة ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ما ترك عليها﴾ على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس أو الدابة عليها ﴿من دابة﴾ قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاذ الجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لواهلك الآباء بكفرهم لم يكن

أبو داود ﴿وقوله تعالى﴾ الاسماء ما يحكمون ﴿يعنى بئس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهم ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكور له الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الاسماء ما يحكمون فى وأد البنات ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكر وكرهتهم الاناث وقتلهم خوف الفقر ﴿ولله المثل الاعلى﴾ أى الصفة العلى المقدسة وهى أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا اله الا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله ﴿وهو العزيز﴾ أى الممتنع فى كبريائه وجلاله ﴿الحكيم﴾ يعنى فى جميع أفعاله ﴿قوله عز وجل﴾ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴿يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم﴾ فان قلت الساس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى آية أخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسّمهم فى تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان فى جنس الناس الانبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك اظلم عظيم وقوله ﴿ما ترك عليها﴾ يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض ﴿من دابة﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أباهريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الانفسه فقال بئس ما قلت ان الجبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب فى حجرها بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لا تقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض

غيره (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بشرهم (ما ترك عليها) على ظهر الارض (من دابة) من الجن والانس

(ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ويجعلون لله ما يكرهون (ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسالمهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولا صناعم أكرمها) (وتصفألسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهى الجنة ان كان البعث حقا كقوله { الجزء الرابع عشر } ولئن رجعت ٦١٤ الى ربي انى عنده للحسنى وأن لهم

الابناء * ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى * سماء لا عمارهم أولعنا بهم كى يتوالدوا * فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم * ويجعلون لله ما يكرهون * أى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسول واراذل الاموال * وتصفألسنتهم الكذب * مع ذلك وهو * أن لهم الحسنى * أى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى * وقرئ الكذب جمع كذوب صفة لللسنة * لا جرم ان لهم النار * رد كلامهم وأثبت اضده * وانهم مفرطون * مقدمون الى النار من افراطه في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصى * وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطه في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات * نالته لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم * فاصروا على

أحد * ولكن يؤخرهم * يعنى يمهلهم بفضلهم وكرم مدوحهم * الى أجل مسمى * يعنى الى انتهاء أجالهم وانقضاء أعمارهم * فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا ينقصون عند قيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون * ويجعلون لله ما يكرهون * يعنى لانفسهم وهى البنات * وتصفألسنتهم الكذب * أن لهم الحسنى * يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا الله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وانفراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال * لا جرم ان لهم النار * يعنى فى الآخرة لا الجنة * وأنهم مفرطون * قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لاسر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أى منسيون فى النار قال ابن عباس وقال سعيد بن جبيرة ومقاتل متروكون وقال قتادة مجعلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم * نالته لقد أرسلنا الى أمم من قبلك * يعنى كما أرسلناك الى هذه الامم لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلم الكذب ففیه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم * فزين لهم الشيطان أعمالهم * يعنى أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آله بالقاء

الحسنى بدل من الكذب (لا جرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر فالفتوح بمعنى مقدمون الى النار مجعلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته أو منسيون متروكون من أفرط فلانا خلفي اذا خلفت ونسيته والمكسور الخفف من الافراط في المعاصى

والمشدد من التفريط في الطاعات أى التقصير فيها (نالته لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى أرسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسول

أحدا (ولكن يؤخرهم) يؤجلهم (الى أجل مسمى) الى وقت هلاكهم (فاذا جاء أجلهم) وقت هلاكهم (لا يستأخرون ساعة) لا ينزكون عن الاجل قدر ساعة (ولا يستقدمون) لا يملكون قبل الاجل (ويجعلون لله ما يكرهون) يقولون لله البنات

ما لا يرضون لانفسهم (وتصفألسنتهم الكذب) يقولون بألسنتهم الكذب (أن لهم الحسنى) يعنى المذكور ويقال (الوسوسة) أن لهم الحسنى يعنى الجنة ويقال ان لهم الحسنى من اين لهم الجنة (لا جرم) (حقا) (أن لهم النار) وأنهم مفرطون) متروكون ويقال منسيون ويقال مفرطون بالقول والفعل وان قرأت بكسر الراء (نالته) والله (لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) دينهم

(فهو وليهم اليوم) أي قرينهم في الدنيا تولى اضلالهم بالغرور أو الضمير لمشركي قریش أي زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم أو هو على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) في القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم) للناس (الذي ﴿ ٦١٥ ﴾ اختلفوا فيه) هو ﴿ سورة النحل ﴾ البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورجة) معطوفان

على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب بالإفعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحياه به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع (وان لكم في الانعام لعلبة نسقيكم مما في بطونه) ويقع النون نافع وشامى وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجح الضمير اليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما في بطونه

فلم يؤمنوا (فهو وليهم اليوم) في الدنيا وقرينهم في النار (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) وجميع (وما أنزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (الا لتبين لهم الذي اختلفوا) خالفوا (فيه)

في الدين (وهدى) من الضلالة

قبائحها وكفروا بالمرسلين ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ أي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز ان يكون الضمير لقریش أي زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم والولى القرين أو الناصر فيكون نصيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في القيامة ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم ﴾ للناس ﴿ الذي اختلفوا فيه ﴾ من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال ﴿ وهدى ورجة لقوم يؤمنون ﴾ معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحياه به الارض بعد موتها ﴾ ائت فيها انواع النبات بعد يبسها ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر وانصاف ﴿ وان لكم في الانعام لعلبة ﴾ دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾ استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانته في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عدسبويه في المفردات المبنية على أفعال كاخلق واكاش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعث فان اللبن بعضها دون جميعها أو لواحد اوله على المعنى فان

الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما الوسوسة فقط فن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته ﴿ فهو وليهم ﴾ أي ناصرهم اليوم ﴿ ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما أسماء وليالهم لطاعتهم اياه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾ يعني في أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام ﴿ وهدى ورجة ﴾ يعني وما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورجة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم هم المنتفعون به ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ والله أنزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فأحياه ﴾ بالماء ﴿ الارض ﴾ يعني بالنبات والزروع ﴿ بعد موتها ﴾ يعني يبسها وجدوبتها ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا ﴿ لقوم يسمعون ﴾ يعني سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان فن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها النفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات ﴿ وان لكم في الانعام لعلبة ﴾ يعني اذا تفكرتم فيها عرفتكم كمال قدرتنا على ذلك ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾ الضمير عائدا الى الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكور وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والاعفش وقال

(ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) به (والله أنزل من السماء ماء) مطرا (فأحياه) بالمطر (الارض بعد موتها) حطها ويوسستها (ان في ذلك) في احياء ما ذكرت (لآية) لعلامة (لقوم يسمعون) يطيعون ويصدقون (وان لكم في الانعام لعلبة نسقيكم مما في بطونه)

المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر ويعقوب نسقيكم بالقح هنا وفي المؤمنين ﴿من بين فرث ودم لبناً﴾ فإنه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثاً واوسطه لبناً واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذى البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يسكبها ريثما يهضمها هضمًا ثانيًا فيحدث اخلاط اربعة معها مائبة فتميز القوة المميزة تلك المائبة بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغدنية البيض فيصير لبناً ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفه فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحته ومن الاولى تبعيضه لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك نسقيت من الخوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم أو حال من لبنا قدمت عليه لتكثيره وللتبنيه على انه موضع العبارة ﴿خالصاً﴾ صافياً لا يستحب لون الدم ولا رائحة الفرث أو مصفى عما يصعب من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه ﴿سائفاً للشاربين﴾ سهل المروء في حلقة هم

الكسائي انه رده الى ما ذكر يعنى ما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكتابة مردودة الى البعض وفيه اضمحار كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس لكلمة اللبن ﴿من بين فرث﴾ وهو ما في الكرش من السفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثاً ودم لبناً خالصاً يعنى من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان اسفله فرثاً واوسطه لبناً واعلاه دماً فالكبد مسيطرة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الثفل كما هو ﴿سائفاً للشاربين﴾ يعنى هنياً سهلاً يجرى في الحلق بسهولة قيل انه لم ينقص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء في ذلك فقل واقتل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحاً متواليًا وما رأى أحد في كرشها دماً ولا لبناً بل الحق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انساناً والى كرشها ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافياً انجذب الى الكبد وما كان كرشياً نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي

﴿من بين فرث ودم لبناً﴾ (من بين فرث ودم لبناً خالصاً) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه ويبنه ويهضمهما برزخ لا يبنى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها وطبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلى دماً والكبد مسيطرة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين فرث ودم (سائفاً للشاربين) سهل المروء في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الاولى لتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية لا ابتداء الفايقة وتعلق

من بين فرث ودم) (لبناً خالصاً سائفاً) (سهلاً للشاربين)

(ومن ثمرات النخيل والاعناب) يحذوف ﴿٦١٧﴾ تقديره ونسقيكم {سورة النحل} من ثمرات النخيل والاعناب

أى من عصيرهما وحذف
لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله
(تتخذون منه سكرا) بيان
وكشف عن كنه الاسقاء
أو تتخذون ومنه من تكرير
الظرف للتوكيد والضمير
في منه يرجع الى المضاف
الحذوف الذى هو العصير

والسكر الخمر سميت بالمصدر
من سكر سكرًا وسكرانحو
رشد رشدا ورشدا ثم فيه
وجهان أحدهما ان الآية
سابقة على تحريم الخمر فتكون
منسوخة وثانيهما أن يجمع
بين العتاق والمنة وقيل
السكر النبيذ وهو عصير

العنب والزبيب والتمر
إذا طغى حتى يذهب ثلثاه ثم
يترك حتى يشتد وهو حلال
عند أبي حنيفة وأبي يوسف
رحمهما الله الى حد السكر
ويحتجوا بهذه الآية ويقولون
عليه السلام الخمر حرام لعينها
والسكر من كل شراب
وباخبار جمة (ورزقا حسنا)

هو الخسل والرب والتمر
والزبيب وغير ذلك

ومن ثمرات النخيل
والاعناب (يعنى الكروم
(تتخذون منه سكرا) مسكرا
وهذا منسوخ ويقال لعامة
(ورزقا حسنا) حلالا
من الخل والدبس والزبيب

وغير ذلك

وقرى سيفا بالتشديد والتخفيف ﴿٦١٧﴾ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴿٦١٧﴾ متعلق بحذوف
أى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وقوله ﴿٦١٧﴾ تتخذون منه سكرا ﴿٦١٧﴾
استئناف لبيان الاسقاء أو تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لحذوف صفته
تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين
الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير أولان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمى به الخمر ﴿٦١٧﴾ ورزقا حسنا ﴿٦١٧﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة
على تحريم الخمر فدالة على كراهتهما والا فجمع بين العتاق والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل
الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرًا

أى تمقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من ثمنه

حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء
والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال
وأما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب فى الاوردة وهى
العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق
كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددى رخو أبيض فيقلب
الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الأبيض فيصير الدم
لبنا فهذا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما
يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء الماء كولة الحاصلة فى الكرش فاللبن تولد
أولاً من القرث ثم من الدم ثانياً صفاء الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين
قرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع يخلق الله عز وجل بلطف حكمته فى حلمة الثدي
ثقباً غاراً ومسام ضيقة فيجعلها كالصفاء لئلا ينسحق ما كان لطيفاً من اللبن خرج بالخص أو
الحلب وما كان كثيفاً احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة
الدم والقرث سائغا للشاربين يعنى جاريا فى حلوقهم سهلاً لذيذا هنيئاً مريئاً ﴿٦١٧﴾ قوله
عز وجل ﴿٦١٧﴾ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴿٦١٧﴾ يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم
من ثمرات النخيل والاعناب ﴿٦١٧﴾ تتخذون منه ﴿٦١٧﴾ الضمير فى منه يرجع الى ما تقديره ولكم
من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه ﴿٦١٧﴾ سكر أو رزقا حسنا ﴿٦١٧﴾ قال ابن مسعود ان
عمر والحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد وبرايم وابن أبى ليلي والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر
سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرًا وسكرًا وسكرًا الرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل و
الاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله
عز وجل فى معرض الانعام والامتنان قلت قال العلماء فى الجواب عن هذا ان هذه السورة
مكية وتحرم الخمر انما نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية فى الوقت
الذى كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه فى هذه الآية على تحريم الخمر
أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا
يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم

(ان اتخذى من الجبال بيوتا) هـى ٦١٩ أن المفسرة لان { سورة النحل } الايحاء فيه معنى القول قال

الزجاج واحد النحل نحلة
كنحل ونحلة والتأنيث باعتبار
هذا ومن فى من الجبال (ومن
الشجر ومما يعرشون) يرفعون
من سقوف البيت أو ما يبنون
للنحل فى الجبال والشجر
والبيوت من الاماكن التى
تعسل فيها للتبويض لانها لاتبنى
بيوتها فى كل جبل وكل
شجر وكل ما يعرش والضمير

فى يعرشون للناس وبضم
الراء شامى وأبو بكر (ثم
كلى من كل الثمرات) أى
ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة
تشبهها فاذا أكلتها (فاسلكى
سبل ربك) فادخلى الطرق
التي ألهمك وأفهمك فى
عمل العسل أو اذا أكلت
لثمار فى المواضع البعيدة

من بيوتك فاسلكى الى
بيوتك راجعة سبل ربك
لاتضلين فيها (ذلالا) جمع
ذلول وهى حال من السبل
لان الله تعالى ذلها وسهلها
أو من الضمير فى فاسلكى
أى وأنت ذلل منقاد لما
أمرت به غير متمتعة (يخرج
من بطونها شراب) يريد
العسل لانه مما يشرب تلقيه
من فيها (مختلف ألوانه)
منه أبيض وأصفر وأحمر

من الشباب والكهول والشيب

(أن اتخذى من الجبال بيوتا) فى

وقرى الى النحل بفحيتين (ان اتخذى) بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان
فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها لاتبنى فى كل جبل وكل شجر
وكل ما يعرش من كرم أو سقف ولا فى كل مكان منها وانما سعى ما تبنيه لتعسل
فيه بيتا تشبها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الآلات وانظار دقيقة واعل ذكره للتنبيه على ذلك * وقرى بيوتاً بكسر الباء
للباء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء (ثم كلى من كل الثمرات) من
كل ثمرة تشبهتها مرها وحاولها * فاسلكى * ما اكلت * سبل ربك * فى مسالكه التي
يحيل فيها بقدرته النور المرعسلا من اجوافك أو فاسلكى الطرق التي ألهمك فى عمل
العسل أو فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولا تلتبس * ذلالا * جمع
ذلول وهى حال من السبل أى مذلة ذلها الله تعالى وسهلها لك أو من الضمير فى فاسلكى
أى وأنت ذلل منقاد لما أمرت به * يخرج من بطونها * عدل به عن خطاب النحل
الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمتقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم
* شراب * يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار
والاوراق العطرة فيستحيل فى بطنها عسلا ثم تقى ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط
بافواها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها
ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه * مختلف
ألوانه * ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل

قال الزجاج يجوز أن يقال سعى هذا الحيوان لئلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل
الذى يخرج من بطونها بمعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهى مؤنثة فى لغة
الحجاز وكذا أنهما الله تعالى فقال (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)
يعنى يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجرة ويأوى
الى الكهوف ومن دأهلى وهو الذى يأوى الى البيوت ويربى به الناس عندهم وقد جرت العادة
ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أرا دالذى يعرشون الكروم
* ثم كلى من كل الثمرات * يعنى من بعض الثمرات لانها لاتأكل من جميع الثمار فلفظة
كل هنا ليست للعموم * فاسلكى سبل ربك * يعنى الطرق التي ألهمك الله أن تسلكيها
وتدخل فيها لاجل طلب الثمرات * ذلالا * قيل انها نعت للسبل يعنى انها مذلة لك الطرق
مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها
مذلة مستخرجة لاربابها طيبة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤوا
وأرادوا لاتستعصى عليهم * يخرج من بطونها شراب * يعنى العسل * مختلف ألوانه *
يعنى ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار

ال مسكنا (ومن الشجر) وفى الشجر أيضا (ومما يعرشون) يبنون (ثم كلى من كل الثمرات) من ألوان كل الثمرات (فاسلكى سبل ربك)
خلى طرق ربك (ذلالا) مذلا مستخرجا (يخرج من بطونها) من بطون النحل (شراب مختلف ألوانه) الاحمر والاصفر والابيض

أو على ألوان أعذيتها (فيه شفاء للناس) لأنه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كان كل دواء كذلك وتكثيره لتعظيم الشفاء الذي فيه وألان فيه بعض الشفاء لان النكرة في الاثبات تخص وشكار جل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فجاؤ وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصيح وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض ان المراد بالخل على وقومه وعن بعضهم ان رجلا قال عند المهدى انما النحل بنوها ثم يخرج من بطونها العسل فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونها فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوا خحوكة

(فيه) في العسل (شفاء للناس) من الداء ويقال فيه في القرآن شفاء بيان للناس

فيه شفاء للناس * اما بنفسه كما في الامراض الباغمية ومع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبويض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدره لله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتغذي به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فانا نشاهد ان النحل تغذي بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها باركل تجويف في داخل البدن يسمى بطنافقوله يخرج من بطونها يعنى من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجدونها ويريحها وطعمها فيه أيضا وبعضه هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الرغ التي أجدمك قال سقنتني حفصة شربة عسل قالت جرت نخله العرفط العرفط شجر الطلع وله صمغ يقال له المغافير كريحه الرائحة فعنى جرت نخله العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة ثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه ويريح طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو أظف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فيبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنافيه نظر لان لفظ البطن اذا أطلق لم يرده الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم * وقوله تعالى * فيه * يعنى في الشراب الذي يخرج من بطون النحل * شفاء للناس * وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذا ضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شئ الا لطنخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلا فلم يزد الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزد الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قدسقيته فأنفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فسقاه الله تعالى فبرى فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أولمابين الله من احوال النحل ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعاً انه لا بدله

صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل سهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملح الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها النخم والهيمات وقد أجمع الاطباء في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال أعينت مادامت القوة باقية فالماحبسها فضر عندهم واستجعال مرض فيحتمل أن يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه أو تقويته فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى الالهى أن العسل الذى أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعنى باستعجالك للشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده واسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فارقا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين يعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض أيضا ان قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته ونل مجزون من المعاجين الاوتامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافسه كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورجة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب أن يعود الى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير اليه لانه أقرب مذكور وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ يعنى فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا

من أصحابيكم (ان في ذلك
لآية لقوم يتفكرون) في
عجيب أمرها فيعلمون ان
الله أودعها علما بذلك وفطنها
كما أعطى أولى العقول
(ان في ذلك) فيما ذكرت
(لآية) لعلامة وعبرة (لقوم
يتفكرون) فيما خلقت

من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ﴾ بآجال مختلفة ﴿ ومنكم من يرد ﴾ يعاد ﴿ الى أرذل العمر ﴾ أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ﴿ ان الله عليم ﴾ بمقادير اعمارهم ﴿ قدير ﴾ عيت الشاب النشاط وبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الابتقدير قادر حكيم ركب ابنتهم

وقدرتنا قوله عز وجل ﴿ والله خلقكم ﴾ يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئاً ﴿ ثم يتوفاكم ﴾ يعني عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا ﴿ ومنكم من يرد الى أرذل العمر ﴾ يعني أرداه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها من النشو والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد ثم المرتبة الثانية من الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكال العقل ثم المرتبة الثالثة من الكهولة وهو من الأربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقس لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة من الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقس ويكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات. وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم اني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الحيا والممات ﴿ وقوله تعالى ﴾ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالنسي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئاً لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليرى ان الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته وحياته أنه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولاً عنه ولو قال ليرى ان الله من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل أنه قادر على احيائه بعد اماتته ليكون ذلك دليلاً على صحة البعث بعد الموت لكن أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ وقوله تعالى ﴾ ان الله عليم ﴾ يعني بما صنع بأوليائه وأعدائه ﴿ قدير ﴾

(والله خلقكم ثم يتوفاكم) يقبض ارواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقه وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (ان الله عليم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكل أو الى الافاء من الاحياء (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء

(والله خلقكم ثم يتوفاكم) يقبض ارواحكم عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أسفل العمر (لكي لا يعلم) حتى لا يفقه (بعد علم) العلم الاول (شيئاً) ان الله عليم بتحويل الخلق (قدير) على تحويلهم من حال الى حال

(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مما ليحكم وهم بشر مثلكم (فوالذين فضلوا) في الرزق يعني ﴿٦٢٣﴾ الملاك (برادى) يعطى ﴿١﴾ سورة النحل ﴿١﴾ رزقهم على ما ملكت

أيمانهم فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لانه جواب النفي بالقضاء وتقديره فوالذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا شركاء فقال لهم أنتم لاتسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيت أن تجعلوا عبيدى لى شركاء (أفبنعمة الله يحسدون) وباتاء أبوبكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم

(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) نزات هذه الآية في أهل نجران حين قالوا المسيح ابن الله فنزل قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق في المال والخدم (فوالذين فضلوا) بالمال والخدم (برادى رزقهم) هل يعطون ما لهم (على ما ملكت أيمانهم) لعبيدهم

وعدل امرجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ ﴿١﴾ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴿١﴾ فكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مما ليك حالهم على خلاف ذلك ﴿١﴾ فوالذين فضلوا برادى رزقهم ﴿١﴾ يعطى رزقهم ﴿١﴾ على ما ملكت أيمانهم ﴿١﴾ على ما ليكم فان ما يدرون عليهم رزقهم لذى جعله الله تعالى في ايديهم ﴿١﴾ فهم فيدسوا ﴿١﴾ فالموالى والمما ليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويحوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فوالذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على انهم رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووههم فيه ﴿١﴾ أفبنعمة الله يحسدون ﴿١﴾ حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويتخذوا الله من عند الله أو حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضا حها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا أبوبكر تحسدون بالباء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم ﴿١﴾ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴿١﴾ أى من جنسكم لتأسوا بها وليكون اولادكم

يعنى على ما يريد ﴿١﴾ قوله تعالى ﴿١﴾ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴿١﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثروا واحد وقل على آخر وكافضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والحجة والسقم والحسن والقمع والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية ﴿١﴾ فوالذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ﴿١﴾ يعنى من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومما ليكم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه فى جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل فى معنى الآية ان الموالى والمما ليك الله رزقهم جميعا ﴿١﴾ فهم فيه ﴿١﴾ يعنى فى رزقه ﴿١﴾ سواء ﴿١﴾ فلانحسبن أن الموالى يردون رزقهم على ما ليكم من عند أنفسكم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالى للمما ليك والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجمع خلقه وان الموالى والمما ليك فى الرزق سواء وان الممالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمما ليك والممالك هو الله سبحانه وتعالى ﴿١﴾ وقوله ﴿١﴾ أفبنعمة الله يحسدون ﴿١﴾ فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمة الله وعبدوا غيره ﴿١﴾ قوله عز وجل ﴿١﴾ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴿١﴾ يعنى النساء فخلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام بعم الكل

واما هم (فهم) يعنى المالك والمملوك (فيه) فى المال (سواء) شرع قالوا لا نفعل ذلك ولا نرضى فقال الله (أفبنعمة الله يحسدون) أفترضون لى ما لا ترضون لانفسكم وتكفرون بوحداية الله (والله جعل لكم من أنفسكم) آدميا مثلكم (أزواجا) نساء

(وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسى ونحفد واختلف فيه قليل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم {الجزء الرابع عشر} ويعينونكم ﴿٦٢٤﴾ (ورزقكم من الطيبات) أي بعضها لان

كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا انمزوج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو ما يعتقدهونه من منفعة الاصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أي الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما وبنعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) أي الصنم وهو جاد لا يملك أن يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئا أي لا يملك أن يرزق شيئا وان أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه أي قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا أي لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق (وجعل من أزواجكم من نسائكم بنين وحفدة)

مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم ﴿٦٢٤﴾ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴿٦٢٤﴾ وأولاد أولاداً وبنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يتخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ﴿٦٢٤﴾ ورزقكم من الطيبات ﴿٦٢٤﴾ من اللذائذ أو الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انمزوج منها ﴿٦٢٤﴾ أفبالباطل يؤمنون ﴿٦٢٤﴾ وهو ان الاصنام تنفعهم أو ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبخار والسوايب ﴿٦٢٤﴾ وبنعمة الله هم يكفرون ﴿٦٢٤﴾ حيث اضافوا نعمه الى الاصنام أو حرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاحتمام أوليهم التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ﴿٦٢٤﴾ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ﴿٦٢٤﴾ من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل ﴿٦٢٤﴾ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴿٦٢٤﴾ الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك نسى ونحفد أي تسرع الى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أحوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعوداً بضائهم أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجوهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أمانك فقد حفذك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويتخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يتمنون ويتخدمون من الأولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الأقوال متقاربة لان اللفظ يحمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة ﴿٦٢٤﴾ ورزقكم من الطيبات ﴿٦٢٤﴾ يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله ﴿٦٢٤﴾ أفبالباطل يؤمنون ﴿٦٢٤﴾ يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أن لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكارى أي ليس لهم ذلك ﴿٦٢٤﴾ وبنعمة الله هم يكفرون ﴿٦٢٤﴾ يعني أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه أنهم يحجدون ما أحل الله لهم ﴿٦٢٤﴾ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض ﴿٦٢٤﴾ يعني الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدر على اخراج النبات الذي في الارض معنده ﴿٦٢٤﴾ شيئا يعني لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون مالا يرزق شيئا

يعنى ولد الولد ويقال خدما وعبيدا ويقال أختانا (ورزقكم من الطيبات) جعل أرزاقكم ألين وأطيب (ولا يستطيعون) من رزق الدوب (أفبالباطل يؤمنون) أفبالشيطان والاصنام يؤمنون يصدقون (وبنعمة الله) بوحداية الله ودينه هم (يكفرون ويعبدون من دون الله مالا يملك) مالا يقدر (لهم) يعني الاصنام (رزقا من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (شيئا)

والضمير في (ولا يستطيعون) للمآل في معنى الآلهة بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يملكونهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضربوا الله الأمثال) فلا تجعلوا الله مثلاً فانه لا مثل له أي فلا تجعلوا له شركاء (ان الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأنتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف يضرب الأمثال سورة النحل ٦٢٥

الاول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلاً عبداً) هو بدل من مثلاً (مملوكاً لا يقدر على شيء) ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرا وجهراً (مصدران في موضع الحال أي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه وينفق منه ما شاء وقيد بالمملوك ليزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعاً اذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أي وحرار رزقناه ليطلق عبداً أو (ولا يستطيعون) لا يقدرون ذلك (فلا تضربوا الله الأمثال) فلا تصفوا الله ولداً ولا شريكاً ولا شيئاً (ان الله يعلم) ان لا ولداً ولا شريكاً له (وأنتم تعلمون) ذلك يا معشر الكفار ثم ضرب مثل المؤمن والكافر فقال (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً)

منصوب به والافضل منه (ولا يستطيعون) ان يملكوه أو لا استطاعة لهم اصلاً وجمع الضمير فيه وتوحيده في ما لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئاً من ذلك فكيف بالجناد (فلا تضربوا الله الأمثال) فلا تجعلوا له مثلاً تشريه به أو تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ما تعملون عليه من القياس على ان عبادة عبد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جرأتم فهو تعليل للنهي أو انه يعلم كنه الاشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا راأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا الله الأمثال فانه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلاً نفسه ولين عبد دونه فقال (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرا وجهراً

(ولا يستطيعون) يعني ولا يقدرون على شيء يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضرر (فلا تضربوا الله الأمثال) يعني لا تشبهوا الله بخلق فانه لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق أو الرازق بالمرزوق أو القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعني ما أنتم عليه من ضرب الأمثال له (وأنتم لا تعلمون) خطأ ما تضربون له من الأمثال قوله تعالى (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) ومن رزقناه منا رزقاً حسناً (لأنهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال لقلته عليهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بانه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضل وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء ألبتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما كان محروماً من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله ما لا فلم يقدم فيه خيراً صار كالعبد الذي لا يملك شيئاً والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقاً حسناً المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهراً في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهراً) فآباه الله الحنة على ذلك فان قلت لم قال عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء وكل عبده مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر

بين الله عبداً مملوكاً (لا يقدر على شيء) (قا و خا ٧٩ لث) من النفقة والاحسان وهو مثل الكافر لا يحيى منه خيراً (ومن رزقناه) أعطيناه (منارزقاً حسناً) ما لا كثيراً (فهو ينفق منه سرا) فيما بينه وبين الله (وجهراً) فيما بينه وبين الناس في سبيل الله وهذا مثل المؤمن المخلص

(الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بأن الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ) الأبكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أى ثقل وعيال على من بلى أمره ويعوله (أينما يوجهه لا يأت بخير) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفعه ولم يأت بنجح (هل يستوى هو من يأمر بالعدل) أى ومن هو سلم الخواص نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير

(هل يستوون) في الثواب والطاعة (الحمد لله) الشكر لله (أو الوجدانية لله) (بل أكثرهم) (لا يعلمون) أمثال القرآن ويقال نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان ورجل من العرب يقال له أبو العيص ابن أمية ثم ضرب مثله ومثل الأصنام فقال (وضرب الله مثلا) بين الله صفة (رجلين أحدهما أبكم) أخرس (لا يقدر على شئ) من الكلام وهو الصنم (وهو كل) ثقل (على مولاه) على وليه وقرابته عيال على عائله (أينما يوجهه) ويدعوه من شرق أو غرب (لا يأت بخير)

هل يستوون ﴿ مثل ما يشركه بالملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزق الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراف والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بالأصنام التى هي أعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقيد العبد بالملوك للتمييز عن المكاتب والمأذون من الحرفانه ايضا عبد الله وبسبب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والظاهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه الجنس من المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ﴿ الحمد لله ﴾ كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم ﴿ لا يقدر على شئ ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ﴿ وهو كل على مولاه ﴾ عيال وثقل على من بلى أمره ﴿ أينما يوجهه ﴾ حيث ما يرسله مولاه في أمره وتقرى بوجه على البناء للقول وبوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما وجه القيسدا وتوجه بافظ الماضى ﴿ لا يأت بخير ﴾ بنجح وكفاية مهم ﴿ هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ﴾ ومن هو فهم منطق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل

المملوك ايميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شئ احتريزه عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لانها يقدر ان على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شأ ﴿ هل يستوون ﴾ ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كالا يستوى هذا الفقير البخل والغنى السخى كذلك لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع وقال عطاء في قوله عبد املوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منار زقا حسنا هو أبو بكر الصديق ﴿ ثم قال تعالى ﴾ الحمد لله ﴿ حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المدغم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التى عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها جاد عاجزة لا يداها على أحد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا غيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والثناء الحسن ﴿ بل أكثرهم ﴾ يعنى الكفار ﴿ لا يعلمون ﴾ يعنى أن الحمد لله لاهذه الاصنام ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ هو الذى ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والأبكم الذى لا يفهم ولا يفهم ﴿ لا يقدر على شئ ﴾ هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ﴿ وهو كل على مولاه ﴾ أى ثقل على من بلى أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو تقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فتقوله وهو كل على مولاه أى غليظ ثقل على مولاه ﴿ أينما يوجهه ﴾ أى حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم ﴿ لا يأت بخير ﴾ يعنى لا يأت بنجح لانه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم ﴿ هل يستوى ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ هو ﴾ يعنى صاحب هذه الصفات المذمومة ﴿ ومن يأمر بالعدل ﴾ يعنى ومن هو سلم

لا يجيب من يدعوه بخير وهذا مثل صنم (هل يستوى) في النفع ودفع الضرر (هو) يعنى الصنم (ومن يأمر بالعدل) (الخواس)

(وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) ﴿ ٦٢٧ ﴾ على سيرة صالحة { سورة النحل } ودين قويم وهذا مثل ثان

ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحته ونعمته وللانصام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع (ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلمح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان أقل منه (أو هو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب ولكن المعنى كوننا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال

بالتوحيد (وهو على صراط مستقيم) بدعوى طريق مستقيم وهو الله (ولله غيب السموات والارض) ما غاب عن العباد (وما أمر الساعة) أمر قيام الساعة في السرعة (الا كلمح البصر) كطرف البصر (أو هو أقرب) بل

هو أقرب (ان الله على كل شيء) من البعث وغيره (قدير

الشامل بجميع الفضائل) وهو على صراط مستقيم ﴿ وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الاويلفه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كالما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللانصام لا بطلان المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ يختص به علم لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن أهل السموات والارض ﴿ وما أمر الساعة ﴾ وما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته ﴿ الا كلمح البصر ﴾ الا كرجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها ﴿ أو هو أقرب ﴾ أو امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو اقرب مبالغة في استقراجه ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احييهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال

الحواس نفاع ذو كفايات دور شد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير ﴿ وهو ﴾ في نفسه ﴿ على صراط مستقيم ﴾ يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحته وأطافه وللانصام التي هي أموات جاد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تنقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلال المؤمنين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الا بكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأتي بخير أبي ابن خلف والذي يأمر بالعدل حزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله ﴿ وما أمر الساعة ﴾ يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب ﴿ الا كلمح البصر ﴾ يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحها وهو طرف العين أيضا ﴿ أو هو أقرب ﴾ يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾ فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئا كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف

(الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بأن الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ) الأبكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله أيضا بوجهه لا يأت بخير) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفعه ولم يأت بنجح (هل يستوى هو من يأمر بالعدل) أى ومن هو سلم الخواص نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير

(هل يستوون) في الثواب والطاعة (الحمد لله) الشكر لله (أو الوحدةانية لله) (بل أكثرهم لا يعلمون) أمثال القرآن ويقال نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان ورجل من العرب يقال له أبو العيص ابن أمية ثم ضرب مثله ومثل الاصنام فقال (وضرب الله مثلا) بين الله صفة (رجلين أحدهما أبكم) أخرس (لا يقدر على شئ) من الكلام وهو الصنم (وهو كل) ثقل (على مولاه) على وليه وقرابته عيال على عائله (أيما بوجهه) ويدعوه من شرق أو غرب (لا يأت بخير)

هل يستوون ﴿ مثل ما يشرك به بالملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشرار والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بالاصنام التى هي اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالملوك للتمييز عن المكاتب والمأذون من الحر فانه ايضا عبد الله وبسبب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان الملوك لا يملك والظاهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه الجنس فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ﴿ الحمد لله ﴾ كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم ﴿ لا يقدر على شئ ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ﴿ وهو كل على مولاه ﴾ عيال وثقل على من يلى أمره ﴿ أيما بوجهه ﴾ حيث ما يرسله مولاه في أمره وتبرى بوجهه على البناء للمفعول وبوجهه معنى يتوجه كقوله « أيما الوجه القى سدا » وتوجه بافظ الماضى ﴿ لا يأت بخير ﴾ بنجح وكفاية مهم ﴿ هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ﴾ ومن هو فهم منطبق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحشمتهم على العدل

الملك لتمييزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شئ احتريزه عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شئ ﴿ هل يستوون ﴾ ولم يقل هل يستويان معنى هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كالا يستوى هذا الفقير البخل والغنى السخي كذلك لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع وقال عطاء في قوله عبد املوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منار زقا حسنا هو أبو بكر الصديق ﴿ ثم قال تعالى ﴾ الحمد لله ﴿ جد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه الممجد المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التى عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها جاد عاجزة لا بد لها على أحد ولا معروف فتحمده عليه انما الحمد الكامل لله لا غيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والشاء الحسن ﴿ بل أكثرهم ﴾ يعنى الكفار ﴿ لا يعلمون ﴾ يعنى أن الحمد لله لاهذه الاصنام ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ هو الذى ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذى لا يفهم ولا يفهم ﴿ لا يقدر على شئ ﴾ هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ﴿ وهو كل على مولاه ﴾ أى ثقل على من يلى أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو تقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذ ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه أى غليظ ثقل على مولاه ﴿ أيما بوجهه ﴾ أى حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم ﴿ لا يأت بخير ﴾ يعنى لا يأت بنجح لانه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم ﴿ هل يستوى ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ هو ﴾ يعنى صاحب هذه الصفات المذمومة ﴿ ومن يأمر بالعدل ﴾ يعنى ومن هو سليم

لا يجيب من يدعوه بخير وهذا مثل صنم (هل يستوى) في النفع ودفع الضر (هو) يعنى الصنم (ومن يأمر بالعدل) (الخواص)

(وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) ﴿ ٦٢٧ ﴾ على سيرة صالحة { سورة النحل } ودين قويم وهذا مثل ثان

ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحته ونعمته وللانعام التي هي أموات لا تنضر ولا تنفع (ولله غيب السموات والارض) أى يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطع عليه أحد منهم (ومأمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلمح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان أقل منه (أو هو) أى الامر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال

بالتوحيد (وهو على صراط مستقيم) ندعو الى طريق مستقيم وهو الله (ولله غيب السموات والارض) ما غاب عن العباد (ومأمر الساعة) أمر قيام الساعة في السرعة (الا كلمح البصر) كطرف البصر (أو هو أقرب) بل هو أقرب (ان الله على كل شئ) من البعث وغيره (قدير

الشامل بمجامع الفضائل ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾ وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كالما يقابلهما وهذا غيب ثان ضربه الله تعالى لنفسه والانعام لا بطلان المشاركة بينه وبينها أو المؤمن والكافر ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن أهل السموات والارض ﴿ وما امر الساعة ﴾ وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته ﴿ الا كلمح البصر ﴾ الا كرجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها ﴿ أو هو أقرب ﴾ أو امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذى يبدأ فيه فانه تعالى يحى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو اقرب مبالغة في استقربه ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر ان احيى امم متدرجا ثم دل على قدرته فقال

الحواس نفاع ذو كفايات ذور شدو ديانة يأمر الناس بالعدل والخير ﴿ وهو ﴾ في نفسه ﴿ على صراط مستقيم ﴾ يعنى على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحته والظافه وللانعام التي هي أموات جاد لا تنضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلال المؤمنين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذى لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذى يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذى يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذى يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الاتفاق في سبيل الله تعالى فهو الذى لا يأتى بخير وقيل المراد بالابكم الذى لا يأتى بخير أبى ابن خلف والذى يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شئ منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله ﴿ وما أمر الساعة ﴾ يعنى في قيامها والساعة هي الوقت الذى يقوم الناس فيه لموقف الحساب ﴿ الا كلمح البصر ﴾ يعنى في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحها وهو طرف العين أيضا ﴿ أو هو أقرب ﴾ يعنى ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شئ قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شئ كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتى في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف

هو أقرب (ان الله على كل شئ) من البعث وغيره (قدير

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وقمع الميم على اتباع الكسرة النون وبكسرهما حزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق { الجزء الرابع عشر } ف قيل اوراق ٦٢٨ وشذت زيادتها في الواحدة

(لا تعلمون شيئاً) حال أي غير عالين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أي وما رب فيكم هذه الاشياء الآلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤادك لاغربة في غراب وهو من جوع القلة التي جرت مجرى جوع الكثرة لعدم السماع في غيرها (ألم يروا) وبالله شامى وحزة (الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لهما من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك (في جوا السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو (ما يسكنهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الاله) بقدرته وفيه نفي لما يصوره الوهم

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً من الاشياء ويقال كل شيء (وجعل لكم السمع) تسمعون بها الخير (والابصار) تبصرون بها الخير (والافئدة) يعني القلوب تعقلون بها الخير

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴿﴾ وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة أو اتباع لما قبلها وحزة بكسرهما وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اوراق ﴿﴾ لا تعلمون شيئاً ﴿﴾ جهلاً مستصحبين جهل الجهادية ﴿﴾ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴿﴾ اداة تعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تنبهون بقلوبكم بمشاركات ومبانيات بينها بتكرار الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها ﴿﴾ لعلكم تشكرون ﴿﴾ كي تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكرون ﴿﴾ ألم يروا الى الطير ﴿﴾ قرأ ابن عامر وحزة ويعقوب بالله على انه خطاب للعامة ﴿﴾ مسخرات ﴿﴾ مذللات للطيران بما خلق لهما من الاجنحة والاسباب المواتية له ﴿﴾ في جوا السماء ﴿﴾ في الهواء المتباعد من الارض ﴿﴾ ما يسكنهن ﴿﴾ فيه ﴿﴾ الاله ﴿﴾ سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء ﴿﴾ قوله عز وجل ﴿﴾ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴿﴾ تم الكلام هنا لان الانسان خلق في أول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدى سبيلا ثم ابتداء فقال تعالى ﴿﴾ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴿﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتتقربوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا به اعجاب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظيمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على أن خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿﴾ وقوله تعالى ﴿﴾ لعلكم تشكرون ﴿﴾ يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم ﴿﴾ ألم يروا الى الطير مسخرات ﴿﴾ يعني مذللات ﴿﴾ في جوا السماء ﴿﴾ الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوائن عشريلا ولا ترتفع فوق ذلك ﴿﴾ ما يسكنهن الاله ﴿﴾ يعني في حال قبض اجنحتها

(لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته وتؤمنوا به (ألم تروا) ألم تنظروا يا أهل مكة حتى تعلموا قدرة الله (وبسطها) ووجدانيته (الى الطير مسخرات) مذللات (في جوا السماء) في وسط السماء أي بين السماء والارض يطرن (ما يسكنهن الاله)

من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) بان الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أى ما يسكن اليه وينقطع اليه ﴿٦٢٩﴾ من بيت وألف { سورة النحل } (وجعل لكم من جلود الانعام

بيوتا) هى قباب الادم (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) يسكنون العين كوفى وشاحى ويفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم فى منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن أصوافها) أى أصواف الضأن (وأوبارها) (وأشعارها) (أناثا) متاع البيت (ومتاعا) وشياً يتنفع به (الى حين) مدة من الزمان

بعد الطيران (ان فى ذلك) فى امساكهن من الهواء (آيات) لعلامات لوحداية الله (لقوم يؤمنون) يصدقون ان امساكهن من الله ثم ذكر نعمته لى يشكروا بذلك ويؤمنوا به فقال (والله جعل لكم من بيوتكم) بيوت المدر (سكنا) مسكنا وقرارا (وجعل لكم من جلود الانعام) من أصوافها وأوبارها وأشعارها (بيوتا) يعنى

فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ﴿ان فى ذلك آيات﴾ تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقه يمكن معها الطيران وخلق الجواب حيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها ﴿لقوم يؤمنون﴾ لانهم هم المتفهمون بها ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا﴾ موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول ﴿وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا﴾ هى القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها ثابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها ﴿تستخفونها﴾ تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها ونقلها ﴿يوم ظعنكم﴾ وقت ترحالكم ﴿ويوم اقامتكم﴾ ووضعها أو ضر بها وقت الحضر أو النزول ﴿وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه﴾ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز﴾ واصنافها الى ضمير الانعام لانها من جلوتها ﴿أناثا﴾ ما يلبس ويفرش ﴿ومتاعا﴾ ما يتجر به ﴿الى حين﴾ الى مدة من الزمان فانها الصلايتها تبقى مدة مديدة

وبسطها واصطفا فيها فى الهواء وفى هذا حث على الاستدلال بها على ان لها من سخرها ومذللها ولها وممسكا مسكها فى حال طيرانها ووقوفها فى الهواء وهو الله تعالى ﴿ان فى ذلك آيات لقوم يؤمنون﴾ انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها ويتفهمون بها دون غيرهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (والله جعل لكم من بيوتكم) يعنى التى هى من الحجر والمدر ﴿سكنا﴾ يعنى مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف أو بيت ﴿وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا﴾ يعنى الخيام والقباب و الاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثانى ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام والى الاشارة بقوله تعالى ﴿تستخفونها﴾ يعنى يخف عليكم حملها ﴿يوم ظعنكم﴾ يعنى فى يوم سيركم ورحيلكم فى أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك ﴿ويوم اقامتكم﴾ يعنى وتخف عليكم ايضا فى اقامتكم وحضركم والمعنى لا تنقل عليكم فى الحالين ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز ﴿أناثا﴾ يعنى تتخذون أناثا الاثاث متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثرت وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثرت قال ابن عباس أناثا يعنى مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك ﴿ومتاعا﴾ يعنى وبلاغا وهو ما تتمتعون به ﴿الى حين﴾ يعنى الى حين يبلى

الخيام والفساطيط (تستخفونها) تستخفون حملها (يوم ظعنكم) يوم سفركم (ويوم اقامتكم) يوم نزولكم (ومن أصوافها) أصواف الغنم (وأوبارها) (وأشعارها) (أناثا) مالا (ومتاعا) منفعة (الى حين) الى حين الفناء والابلاء

(والله جعل لكم مما خلق { الجزء الرابع عشر { ظلالا) كالاشجار ٦٣٠ والسقوف (وجعل لكم من الجبال

أوالى ممانكم أولى ان تقضوا منه وطاركم ﴿ والله جعل لكم مما خلق ﴿ من الشجر والجبل والابنية وغيرها ﴿ ظلالا ﴿ تنقيون به حرا الشمس ﴿ وجعل لكم من الجبال اكنانا ﴿ مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن ﴿ وجعل لكم سرايل ﴿ ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها ﴿ تقيكم الحر ﴿ خصه بالذكرا اكتفاء باحد الضدين أولان وقاية الحر كانت اهم عندهم ﴿ وسرايل تقيكم بأسكم ﴿ يعنى الدروع والجواشن والسربال يعنى كل ما يلبس ﴿ كذلك ﴿ كاتمام هذه النعم التى تقدمت ﴿ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴿ أى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه ﴿ وقرى تسلمون من السلامة أى تشكرون

ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت أى فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق ؟ قلت الاثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا ﴿ يعنى جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار ﴿ وجعل لكم من الجبال اكنانا ﴿ جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان إما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج فى سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغنى فيستحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة ﴿ وجعل لكم سرايل تقيكم الحر ﴿ يعنى وجعل لكم قمسا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعانى والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه ﴿ وسرايل تقيكم بأسكم ﴿ يعنى الدروع والجواشن وسائر ما يلبس فى الحرب من السلاح والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كقاف ومن أوصافها أو بارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ كذلك ﴿ يعنى كما انعم عليكم بهذه النعم ﴿ يتم نعمته عليكم ﴿ يعنى نعم الدنيا والدين ﴿ لعلكم تسلمون ﴿ يعنى لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الواحدانية والربوبية والعبادة

أكنانا) جمع كن وهو ما سترك من كهف أو غار (وجعل لكم سرايل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقي البرد أيضا الا انه اكتفى باحد الضدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وسرايل تقيكم بأسكم) ودروعهم سلاح الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك) يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون (أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به

(والله جعل لكم مما خلق) من الاشجار والحيطان والجبال اكنانا (ظلالا) كنانا لكم من الحر (وجعل لكم من الجبال) فى الجبال (اكنانا) يعنى الغيران والاسراب (وجعل لكم سرايل) يعنى القمص (تقيكم الحر) فى الصيف والبرد فى الشتاء (وسرايل) يعنى الدروع (تقيكم بأسكم) سلاح عدوكم (كذلك) هكذا (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) لى

وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن ﴿٦٣١﴾ الاسلام (فانما { سورة النحل } عليك البلاغ المبين) أى

فلا تبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمت الله) التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم اوفى الشدة ثم فى الرخاء (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن أنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لان ينكر (ويوم) انتصابه باذكر (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لاجمة لهم فدل بترك الاذن على

(فان تولوا) عن الايمان (فانما عليك البلاغ المبين) التبليغ عن الله بلغة تعلمونها فلما ذكر لهم النبى صلى الله عليه وسلم هذه النعمة قالوا نعم يا محمد هذه كلها من الله ثم أنكروا بعد ذلك وقالوا بشفاعت آلهتنا فقال الله

فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقبل تسلمون من الجراح بلبس الدروع ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا ولم يقبلوا منك ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ فلا يضررك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام السبب ﴿يعرفون نعمت الله﴾ أى يعرف المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ﴿ثم ينكرونها﴾ بعبادتهم غير المنعم باقوالهم انها بشفاعت آلهتنا أو بسبب كذا وبأعراضهم عن اداء حقوقها وقبل نعمة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها بالمجرات ثم أنكروا عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة ﴿واكثرهم الكافرون﴾ الجاحدون عنادا وذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل أو التفریط فى النظر أو لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كافى قوله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا﴾ وهو نبيا يشهد لهم وعليهم بالايان والكفر ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحققهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقنط الكلى على ما يغنون به من شهادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى ﴿فان تولوا﴾ يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لاعليك ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ﴿ثم ذمهم الله تعالى بقوله﴾ يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ﴿قال السدى﴾ نعمة الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقبل نعمة الله هى الاسلام لانه من اعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة أنكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم فى هذه السورة من النعم يقولون بانها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعت آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها فى طلب رضوانه ولا يشكرونها عليها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ انما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فمهر بالاكثر عن الباغين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجمع ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ﴿لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان أكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم فى الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على اممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ يعنى فى الاعتذار وقبل لا يؤذن

(يعرفون نعمت الله) يقولون ان هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) فيقولون بشفاعت آلهتنا (وأكثرهم الكافرون) كلهم كافرون بالله (ويوم نبعث من كل أمة) نحخرج من كل قوم (شهيدا) نبيا عليهم شهيد بالبلاغ (ثم لا يؤذن للذين كفروا)

أن لاجحة لهم ولا عذر (ولاهم يستعقبون) ولاهم يسترضون أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم انهم ينعون أى يتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أظلم وأغلب منها وهو انهم ينعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء { الجزء الرابع عشر } بحجة ٦٣٢ (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا

(العذاب فلا يخفف عنهم)
أى العذاب بعد الدخول
(ولاهم ينظرون) يمهلون
قبله (واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم) أو ثنائهم
التي عبدوها (قالوا ربنا
هؤلاء شركاؤنا) أى آلهتنا
التي جعلناها شركاء (الذين
كننا ندعو من دونك) أى
نعبده (فآلقوا الهم القول
انكم لكاذبون) أى اجابوهم
بالتكذيب لانها كانت
جادا لا يعرف من عبدها
ويحتمل أنهم كذبوهم في
تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها
لله عن الشرك (وألقوا)
يعنى الذين ظلموا (الى الله
يومئذ السلم) القاء السلم
الاستسلام لامر الله وحكمه
بعد الالباء والاستكبار في
الدنيا (وذل عنهم) وبطل
عنهم (ما كانوا

في الكلام) ولاهم يستعقبون)
يرجعون الى الدنيا (واذا
رأى الذين ظلموا) كفروا
(العذاب فلا يخفف عنهم)
لا يرفع عنهم (ولاهم ينظرون)
يؤجلون من عذاب الله
(واذا رأى الذين أشركوا
شركاءهم) آلهتهم (قالوا ربنا
يا ربنا هؤلاء شركاؤنا) آلهتنا
(الذين كننا ندعو) نعبده (من

ولاهم يستعقبون) ولاهم يسترضون من العتي وهى الرضى وانتصاب يوم بمحذوف
تقديره أذكر أو خوفهم أو يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب)
عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) أى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون
(واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) أو ثنائهم التي دعوها شركاء أو الشياطين الذين
شاركوهم في الكفر بالحل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كننا ندعو من دونك)
نعبدهم أو نطعمهم وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك أو التماس بأن يشطر عذابهم (فآلقوا
اليهم القول انكم لكاذبون) أى اجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء الله أو أنهم ما عبدهم
حقيقة وإنما عبدوا الهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به
حينئذ أو في أنهم جلوههم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (وألقوا) والى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) الاستسلام
لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا (وذل عنهم) وذل عنهم وبطل (ما كانوا

لهم في الكلام أصلا وقل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقل
لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقروهم على ذلك (ولاهم
يستعقبون) الاستعقاب طلب العتاب والمعتبة هى الغلظة والموجدة التى يجدها الانسان
في نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من
الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه
ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان
الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ورضوا ربهم
فلاستعقاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة (واذا
رأى الذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى (العذاب) يعنى عذاب
جهنم (فلا يخفف عنهم) يعنى العذاب (ولاهم ينظرون) يعنى لا يؤخرون ولا
يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا) يعنى يوم القيامة (شركاءهم) يعنى أصنامهم
التي كانوا يعبدونها في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كننا ندعو من دونك)
يعنى أربابا وكنا نعبدهم ونخدمهم آلهة (فآلقوا) يعنى الاصنام (اليهم) يعنى الى
عابديها (القول انكم لكاذبون) يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعنى
في تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جاد لا تتكلم فكيف يصح
منها الكلام قلت لا يبعد ان الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها
الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها أن تكذب الكفار
وبراها الكفار وهى في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وألقوا)
يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم
ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وذل عنهم) يعنى وزال عن المشركين (ما كانوا

دونك) أمرونا بعبادتهم (فآلقوا اليهم القول) ردوا اليهم الجواب يعنى الاصنام (انكم لكاذبون) في مقالكم (يفترون)
ما أمرناكم وما كنا نعلم بعبادتهم (وألقوا الى الله يومئذ السلم) استسلم العابد والمعبود لله تعالى (وذل عنهم) ما كانوا

يفترون) من أن الله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وجعلوا غيرهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أى عذابا بكفرهم وعذابا بصددهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين للناس بالصد (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبههم (يعنى نبههم لان كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم ٦٣٣ ﴿وَجَنَابُكَ﴾ يا محمد { سورة النحل } (شهيدا على هؤلاء) على

أمتك (ونزلنا عليك الكتاب

تبياناً) بليغا (لكل شئ)

من أمور الدين اما في الاحكام

المنصوصة فظاهروا وتنافوا

ثبت بالسنة أو بالاجماع أو

بقول الصحابة أو بالقياس

لان مرجع الكل الى الكتاب

حيث أمرنا فيه باتباع رسوله

عليه السلام وطاعته بقوله

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

وحشا على الاجماع فيه بقوله

ويتبع غير سبيل المؤمنين

وقدرى رسول الله صلى الله

عليه وسلم لآفته باتباع أصحابه

بقوله أحنابي كالنجوم بأيم

اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا

وقاسوا ووطأ طرق الاجتهاد

والقياس مع انه أمرنا به بقوله

فاعتبروا يا أولى الابصار

فكانت السنة والاجماع وقول

الصحابي والقياس مستندة

الى تبيان الكتاب فتبين

أنه كان تبياناً لكل شئ

يفترون) بطل افتراءهم

على الله ويقال اشتغل

بأنفسهم آلهم التي كانوا

يعبدون بالكذب (الذين

يفترون) من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا

وصدوا عن سبيل الله) بالنع عن الاسلام والجل على الكفر (زدناهم عذابا) لصددهم (فوق

العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصددهم (ويوم

نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبههم فان نبى كل أمة يبعث منهم (وجنابك

يا محمد) شهيدا على هؤلاء (على أمتك) ونزلنا عليك الكتاب (استئناف أو حال باضمار

قد) تبياناً) بليغا (لكل شئ) من أمور الدين على التفصيل أو الاجال بالاحالة الى السنة

يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين

كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعنى ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول

في الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعنى زدناهم هذه الزيادة

بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى واختلفوا

في هذه الزيادة ماهى فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال

وقال سعيد بن جبير حيات كالنخس وعقارب أمثال البغال تسرع احداها من اللسعة فيجد صاحبها

ألمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار

تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون

من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها

وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس

عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعنى ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم

عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم

نبعث في كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبى

شاهد على امته وهو أعدل شاهد عليها (من أنفسهم) يعنى منهم لان كل نبى انما

بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة

وعصيان (وجنابك) يعنى يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعنى على قومك وأمتك

وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (تبياناً

لكل شئ) تبياناً اسم من البيان قال مجاهد يعنى لما أمر به وما نهى عنه وقال أهل

المعاني تبياناً لكل شئ يعنى من أمور الدين اما بالنص عليه أو بالاحالة على ما يوجب

العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما فى القرآن

فروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قا و خا ٨٠ لث) (وصدوا عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (زدناهم

عذابا) عذاب الحيات والعقارب والجوع والعطش والزمهرير وغير ذلك (فوق العذاب) فوق عذاب النار (بما كانوا يفسدون)

يقولون ويعملون من المعاصى والشرك (ويوم نبعث في كل أمة) نخرج من كل جماعة (شهيدا) نبيا (عليهم) شهيدا بالبلاغ (من أنفسهم)

آدميا مثلهم (وجنابك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك ويقال من كمالهم (ونزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن

تبياناً لكل شئ) من الحلال والحرام والامر والنهى

أو القياس ﴿ وهدى ورجة ﴾ للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ خاصة ﴿ ان الله يأمر بالعدل ﴾ بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعلا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلق كالجود المتوسط بين البخل والتبذير ﴿ والاحسان ﴾ احسان الطاعات وهو ما يحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴿ وايتاء ذى القربى ﴾ واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للبالغة ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها ﴿ والمنكر ﴾ ما ينكر على متعاطيه في اثار القوة الغضبية ﴿ والبغى ﴾ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم

من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين ﴿ وهدى ﴾ يعنى من الضلالة ﴿ ورجة ﴾ يعنى لمن آمن به وصدقه ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ يعنى وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴿ قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب أن يكون أحاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شئ من غير زيادة في شئ ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك وقيل يأمر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الاماهو عدل ولا يقول الاماهو حسن ﴿ وايتاء ذى القربى ﴾ يعنى ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاه حسن وتودد ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ قال ابن عباس يعنى الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة ﴿ والمنكر ﴾ قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿ والبغى ﴾ يعنى الكبر والظلم وقيل البغى هو التناول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصي البغى ولو أن جباين بنى أحدهما على الآخر لذلك الباغى وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم

(وهدى ورجة وبشرى للمسلمين) ودلالة الى الحق ورجة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم أو هما الفرض والندب لان الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وايتاء ذى القربى) واعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغى) طلب التناول بالظلم والكبر

(وهدى) من الضلالة (ورجة) من العذاب (وبشرى للمسلمين) بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوحيد (والاحسان) باداء الفرائض ويقال بالاحسان الى الناس (وايتاء ذى القربى) يعنى صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن المعاصي كلها (والمنكر) ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغى) الاستطالة والظلم

(عظكم) حال أو مستأنف
 (لعلكم تذكرون) تتعظون
 بعواظ الله وهذه الآية
 سبب اسلام عثمان بن مظعون
 فانه قال ما كنت أسلمت
 الاحياء من عليه السلام لكثرة
 ما كان يعرض على الاسلام
 ولم يستقر الايمان في قلبي
 حتى نزلت هذه الآية وأنا
 عنده فاستقر الايمان في قلبي
 فقرأتها على الوليد بن المغيرة
 فقال والله ان له لحلاوة وان
 عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر
 وان أسفله لمغدق وما هو
 بقول البشر وقال أبو جهل
 ان الهة يأمر بكمكارم الاخلاق
 وهي أجمع آية في القرآن
 للخير والشر ولهذا يقرؤها
 كل خطيب على المنبر في آخر
 كل خطبة لتكون عظة
 جامعة لكل مأمور ومنهى
 (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)
 هي البيعة لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم على الاسلام ان
 الذين يبايعونك انما يبايعون الله
 (يعظكم) ينهاكم عن الفحشاء
 والمنكر والبغى (لعلكم
 تذكرون) لكي تتعظوا بامثال
 القرآن (وأوفوا بعهد الله اذا
 عاهدتم) نزلت هذه الآية
 في كعدة مراد ويقال أنما
 اليهود بالله اذا حلفتم بالله
 بالوفاء

فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في
 هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله
 عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله
 تعالى عنه ولولم يكن في القرآن غير هذه الآية لصديق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى
 ورجة للعالمين ولعل ابرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتبينة عليه ﴿يعظكم﴾
 بالامر والنهي والميز بين الخير والشر ﴿لعلكم تذكرون﴾ تتعظون ﴿وأوفوا بعهد الله﴾
 يعنى البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك
 انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله ﴿اذا عاهدتم﴾ وقيل
 ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر
 العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي
 ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عن ظلمك وتحسن الى
 من اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من أحسن اليك وذكر
 ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته
 البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ﴿ثم قال تعالى﴾ يعظكم لعلكم
 تذكرون ﴿يعنى انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتذكروا
 فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن خير وشر هذه
 الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبياناً
 لكل شئ بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجال فما من شئ
 يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية
 وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل
 الى آخر الآية فقال له يا ابن أخى أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة
 وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر ﴿قوله﴾
 عز وجل ﴿وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية
 المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجال ذكر في هذه الآية بعض ذلك
 الاجال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه أكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا
 بعهد الله اذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
 فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه
 الوعد أيضاً لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبي العهد يمين
 وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه
 صلاح فلا يجب الوفاء به لنوله صلى الله عليه وسلم من حلف يميناً ثم رأى غيرا خيراً
 منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام
 الذى خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا

(ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكدها وكلفتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقيا لان الكفيل مراعاة لحال المكفول به مهيمن عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من البر والحنث الجزء الرابع عشر فيما يزيدكم ٦٣٦ (ولا تكونوا) في نقض الايمان (كالتى

نقضت غزلهما من بعد قوة)
كالمرأة التي انحلت على غزلهما
بعد ان أحكمته وأبرمته
فجعلته (أنكاثا) جمع
نكث وهو ما ينكث فله قيل
هى ربطة وكانت حتماء تغزل
هى وجواربها من الغداة الى
الظهر ثم تأمرهن فينقضن
ماغزلن (تتخذون أيمانكم)
حال كأنكاثا (دخلا) أحد
مفعولى تخذى ولا تنقضوا
أيمانكم متخذين دخلا (بينكم)
أى مفسدة وخيانة (أن تكون
أمة) بسبب أن تكون أمة
يعنى جماعة قريش (هى أربى
من أمة) هى أزيد عددا
وأوفر ما من أمة من جماعة
المؤمنين (هى أربى مبتدأ
وخبر فى موضع الرفع صفة
لامة وأمة على تكون وهى
تامة وهى ليست بفصل
(ولا تنقضوا الايمان)
يعنى العهود فيما بينكم (بعد
توكيدها) تغليظها وتشديدها
(وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)
يعنى شهيدا ويقال له حفيظا
معناه وقد قلم الله شهيدا علينا
بالوفاء على كلا الفريقين
(ان الله يعلم ما تفعلون) من
النقض والوفاء (ولا تكونوا)

النذر وقيل الايمان بالله (ولا تنقضوا الايمان) أى ايمان البيعة أو مطلق الايمان (بعد
توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكذب قلب الواو همزة (وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا) شاعدا بتلك البيعة فان الكفيل مراعاة لحال المكفول به رقيب عليه (ان
الله يعلم ما تفعلون) فى نقض الايمان والعهود (ولا تكونوا كالتى) نقضت غزلهما (
ماغزله مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت غزلهما من بعد ابرام واحكام
(أنكاثا) طلاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلهما أو المفعول
الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هى ربطة
بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم)
حال من الضمير فى ولا تكونوا أو فى الجار الواقع موقع الخبر أى لا تكونوا متشبهين بامرأة
هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخلى ما يدخل الشئ ولم يكن
منه (ان تكون أمة) هى أربى من أمة (لان تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة

النأول قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة
(ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) يعنى تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على
أن المراد بالمعهد غير اليمين لانه أهم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيدا
بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ما تفعلون) يعنى من وفاء العهد ونقضه (ثم ضرب الله
سحابة وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعنى فى نقض العهد
(كالتى) نقضت غزلهما من بعد قوة (يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي
ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ربطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد
مناة بن تيم وكانت خرقاء حتماء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع
وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف
أو الشعر أو الوبر وتأمر جواربها بالغزل فكان يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا
انتهى نصف النهار أمرتهن بنقض جميع ماغزلن وكان هذا دأبها والمعنى ان هذه المرأة
تكف عن العمل ولاحين علمت كثرت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه
ولاحين عاهد وفيه (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد
القتل (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعنى دغلا وخيانة وخديعة والدخلى
ما يدخل فى الشئ على سبيل الفساد وقيل الدخلى والدغلى ان يظهر الرجل الوفاء
بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون) يعنى لان تكون (أمة) هى أربى من أمة (
يعنى أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يخالفون الحلفاء فاذا وجدوا
قوما أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وخالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم
العز بنقض العهد لان كانت أمة أى جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك

فى نقض العهد (كالتى) نقضت غزلهما (يعنى رائطة الحتماء) (من بعد قوة) ابرام واحكام (أنكاثا) انقاضا (تتخذون) (وامرهم)
أيمانكم (عهودكم) (دخلا) مكررا وخديعة (بينكم أن تكون أمة) بان تكون جماعة (هى أربى) أكثر (من أمة)

لوقوعها بين نكرتين (انما يسلوكم الله به) الضمير للمصدر أى انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قریش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم ﴿٦٣٧﴾ على أعمالكم بالثواب { سورة النحل } والعقاب وفيه تحذير عن

مخالفة ملّة الاسلام (ولو شاء الله

لجعلكم أمة واحدة) حنيقة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيذا عليهم واطهارا لعظمه (فتزل أقدمكم بثوبها) فتزل أقدمكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وجدت ان ان ونكرت لاستعفاء من رن قدم واحدة ^{بلفظ} سريق الحق بعد ان ثبت عليه فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) في الدنيا (بما صدقتم) بصددكم (عن سبيل الله)

من جماعة (انما يسلوكم الله به) يختبركم بالكثرة ويقال بنقض العهد (وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه) في الدين (تختلفون) مخالفتون (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) لجمعكم على ملّة واحدة ملّة الاسلام (ولكن يضل من يشاء) عن دينه من

والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقتلهم أولئكثرة منا بذيتهم وقوتهم كقریش فانهم كانوا اذارأوا شوكة في اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم ﴿ انما يسلوكم الله به ﴾ الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر أى يختبركم بكونكم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قریش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربي وقيل للامر بالوفاء ﴿ وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ اذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ﴿ ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة ﴾ متفقة على الاسلام ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ بالخذلان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق ﴿ ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ سؤال تنبكت ومجازاة ﴿ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ﴾ تصرّح بالنهاى عنه بعد التضمين تأكيذا ومبالغة في قمع المنهى ﴿ فتزل قدم أى محجة الاسلام ﴾ بعد ثبوتها ﴿ عليها والمراد اقدمهم وانما واحد ونكر للدلالة على ان زل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة ﴿ وتذوقوا السوء ﴾ العذاب في الدنيا ﴿ بما صدقتم عن سبيل الله ﴾ بسبب صدوقكم عن الوفاء او صدقكم غيركم عنه فان من نقض

وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا ﴿ انما يسلوكم الله به ﴾ يعنى يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو اعلم بكم ﴿ وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ يعنى في الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسىء المخالف ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة ﴿ يعنى على ملّة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ يعنى بخذلانه اياه عدلانته ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى ﴿ ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ يعنى في الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته أو يغفر له ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ﴿ يعنى خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى أيمانكم ويأمنوا اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيذا عليهم واطهارا لعظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهى الذين باعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهامهم عن نقض عهده لان الوعيد الذى بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يلىق بنقض عهد غيره انما يلىق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته ﴿ وقوله ﴾ فتزل قدم بعد ثبوتها ﴿ مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها ﴿ وتذوقوا السوء ﴾ يعنى العذاب ﴿ بما صدقتم عن سبيل الله ﴾

لم يكن أهلا لدينه (ويهدى من يشاء) لدينه من كان أهلا لذلك (ولتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تعملون) من الخير والشر في الكفر والايمان ويقال من النقض والوفاء (ولا تتخذوا ايمانكم) عهودكم (دخلا) دغلا ومكرا وخديعة (بينكم فتزل قدم) فتزلوا عن طاعة الله بكتازل قدم الرجل (بعد ثبوتها) قيامها (وتذوقوا السوء) النار (بما صدقتم) بما صرقت الناس (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

وخرجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا كأن قومامن الجزء الرابع عشر { أسلم بمكة زين لهم ٦٣٨ } الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة

قريش واستضعفهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان يرجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بابعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبتهتهم الله (ان ما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من أعراض الدنيا

البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله) ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد (ان ما عند الله) من النصر والتغني في الدنيا والثواب في الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينقد) ينقض ويفنى (وما عند الله) من خزائن رحته (باق) لا ينقد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق (ولنجزي الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفار وأعلى مشاق التكليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (بأحسن ما كانوا يعملون) بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى) بينه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فلنجزيه حياة طيبة)

(ولننجزيه) وبسوء مكي وعاصم (الذين صبروا) أمة أذى المشركين ومشاق يعني جالام (أجرهم) بأحسن (أمة) من يعملون من عمل صالحا (أمة) من المؤمنين (من هم يتناولون وعين الا ان ظاهره للذكور قين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين جميعا (وهو مؤمن) شرط الايمان لان أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنجزيه حياة طيبة)

يعنى بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعنى بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعنى ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (ان ما عند الله) يعنى فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعنى من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعنى فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم) ينقد يعنى من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب (وما عند الله باق) يعنى من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ولننجزي الذين صبروا) يعنى على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعنى ثواب صبرهم (بأحسن ما كانوا يعملون) عن أبى موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنيته فاتروا ما يلقى على ما يلقى وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فافادة الذكر والانثى قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكور دون الانثى فقلت من ذكر أرايتى على التبيين ليعم الموعد للنوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطاً في كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنجزيه حياة طيبة) قال سعيد بن

(ولكم عذاب عظيم) شديد في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) بالخلاف بالله كاذبا عرضا يسيرا من

الدنيا (انما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما عندكم من المال (ان كنتم) اذ كنتم (تعلمون) ثواب الله ويقال ان كنتم (جبير) تصدقون بثواب الله (ما عندكم) من الاموال (ينفى) (وما عند الله) من الثواب (باق) يبقى (ولننجزي الذين صبروا) عن اليمن وأقروا بالحق (أجرهم) ثوابهم في الآخرة (بأحسن ما كانوا يعملون) باحسنهم في الدنيا (من عمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه وأقربا لالحق (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) ومع ذلك مؤمن مخلص (فلنجزيه حياة طيبة) في الطاعة ويقال في القناعة ويقال في الجنة

أى فى الدنيا لقوله (ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون) وعنده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فاناهم الله ثواب الدنيا وحسن ﴿ ٦٣٩ ﴾ ثواب الآخرة وذلك { سورة النحل } ان المؤمن مع العمل الصالح

موسرا كان أو معسرا يعيش
عيشا طيبا ان كان موسرا
فظاهر وان كان معسرا فمعه
ما يطيّب عيشه وهو القناعة
والرضا بقسمة الله تعالى
واما الفاجر فامرّه بالعكس
ان كان معسرا فظاهر وان
كان موسرا فالحرص لا يذعه
أن يتهنأ بهيمشه وقيل الحياة
الطيبة القناعة أو حلاوة
الطاعة أو المعرفة بالله
وصدق المقام مع الله وصدق
الوقوف على أمر الله
والاعراض عما سوى الله
(فاذا قرأت القرآن) فاذا
أردت قراءة القرآن
(فاستعذ بالله) فعبّر عن
ارادة الفعل بلفظ الفعل
لانها سبب له والفاء للتعقيب
اذا القراءة المصدرة بالاستعاذة
من العمل الصالح المذكور
(من الشيطان) يعنى
ابليس (الرجيم)
المردود والملعون قال ابن
مسعود رضى الله عنه قرأت
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت أعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم
نفسوسملى قل أعوذ بالله من
جبه الامحمان الرجيم هكذا
الاشعرى مكة (يريل عليه السلام

في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ﴿ولنجزيهم اجرهم باحسن مما كانوا يعملون﴾ من الطاعة ﴿فاذا قرأت القرآن﴾ اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ فاسأل الله ان يعيدك من وسوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه الاستحباب وفيه دليل على ان

جبير وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلالة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم. واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتديره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتمب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان العيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتمبها وقال مجاهد وقناة في قوله فلنحيينه -ياة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قل لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها -ياة بلاموت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الآية ﴿ولنجزيهم اجرهم﴾ حسن ما كانوا يعملون ﴿لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة﴾ قوله عز وجل ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ الخطاب فيه لاني صلى الله عليه وسلم ولم يدخل فيه غيره من أمته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في ألقاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان ﴿عن جبير ابن معتم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثه وهمزته قال نفخته الكبير ونفثه السحر وهمزته الموتة أخرجه أبو داود * الموتة الجنون والفناء في قوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب من

ولنجز بهم أجرهم) ثوابهم في الآخرة (بأحسن ما كانوا يعملون) بأحسنهم في دنياهم (هذه في أول اقتراح الهمم (قد هم امرئ القيس الكندي في خصومة كانت بينهما في أرض (فاذا قرأت القرآن) نادرت يا محمد الرحمة الله أو غير الصلاة (فاستعذ بالله) فقل أعوذ بالله (من الشيطان الرجيم) اللعين المرجوم بالنار

المصلى يستعيز في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه
 لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايدان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن
 مسعود قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان
 الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا قرأني جبريل عن القلم عن اللوح
 المحفوظ ﴿انه ليس له سلطان﴾ تسلط وولاية ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾
 على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون
 وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد
 الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا ﴿انما سلطانه على الذين يتولونه﴾ يحبونه
 ويطيعونه ﴿والذين هم به﴾ بالله أو بسبب الشيطان ﴿مشركون﴾

﴿انه ليس له﴾ لا بليس
 ﴿سلطان﴾ تسلط وولاية
 ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم
 يتوكلون﴾ فالؤمن المتوكل
 لا يقبل منه وساوسه ﴿انما
 سلطانه على الذين يتولونه﴾
 يتخذونه وياوئطون
 وساوسه ﴿والذين هم به
 مشركون﴾ الضمير يعود الى
 ربهم أو الى الشيطان أى
 بسببه

﴿انه ليس له سلطان﴾
 سبيل وغلبة ﴿على الذين
 آمنوا﴾ بمحمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن ﴿وعلى
 ربهم يتوكلون﴾ لا على غيره
 ويفوضون أمورهم اليه
 ﴿انما سلطانه﴾ سبيله وغلبته
 ﴿على الذين يتولونه﴾ يطيعونه
 ﴿والذين هم به﴾ بالله ﴿مشركون﴾

ن

الصحابه والتابعين وهو قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجاعة وداود الظاهري
 قالوا الان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسوس في قلب قارئ
 هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسوس وبقي
 الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة
 وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية
 اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قم الى الصلوة
 فامسحوا بوجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله
 واذا أردت أن تسافر فتأهب وأيضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقدم
 الاستعاذة الى القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها
 ومذهب عدم انه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في
 غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه
 المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والاتجاء اليه من
 شر الشيطان وسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقبل هو اسم جنس يطلق على
 جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على ألقاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله
 اياهم على ذلك ﴿انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ لما أمر الله
 رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك أوهم ان له قدرة على
 التصرف في أبدان بني آدم فاذا زال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان
 يعنى ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له
 سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا
 حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة
 ولهذا قال المحققون لاحول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا
 بالله ثم قال تعالى ﴿انما سلطانه على الذين يتولونه﴾ يعنى يطيعونه ويدخلون
 تحت يده ﴿توليت اذا أطعته وتوليت عنه اذا أعرضت عنه﴾ والذين هم به
 يعنى الله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من أجله

(واذا بدلنا آية مكان آية) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتر) هو جواب اذا وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمداً يسخر بصاحبه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم ﴿٦٤١﴾ عنده غدا فيأتهم ﴿سورة النحل﴾ بما هو أهون ولقد افتر وافقد كان

ينسخ الاشق بالاهون
والاهون بالاشق (بل
أكثرهم لا يعلمون)
الحكمة في ذلك (قل نزل
روح القدس) أى جبريل
عليه السلام أضيف الى
القدس وهو الظاهر كما يقال
حاتم الجود والمراد الروح
المقدس وحاتم الجواد
والمقدس المظهر من المآثم
(من ربك) من عنده
وأمره (بالحق) حال أى
نزل ملتبساً بالحكمة (ليثبت
الذين آمنوا) ليبلوهم
بالنسخ حتى اذا قالوا
فيه هو الحق من ربنا
والحكمة لانه حكيم لا يفعل
الاماهو حكمة وصواب
حكم لهم بثبات القدم
وصحة اليقين وطمأنينة
القلوب (وهدى وبشرى)
مفعول لهما معطوفان على
محل ليثبت والتقدير تثبتنا لهم
وارشاداً وبشارة (للمسلمين)
وفيه تعريض بحصول تضداد
هذه الخ نال لغيرهم

واذا بدلنا آية) نزلنا جبريل
بآية ناسخة (مكان آية)
منسوخة (والله أعلم بما ينزل)
بصلاح ما أمر العباد (قالوا)
كفار مكة (انما أنت) يا محمد

واذا بدلنا آية مكان آية ﴿﴾ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظاً وحكماً ﴿﴾ والله أعلم بما ينزل ﴿﴾ من المصالح فعمل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة لأن فيثبته مكانه ﴿﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف ﴿﴾ قالوا ﴿﴾ أى الكفرة ﴿﴾ انما أنت مفتر ﴿﴾ متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدوك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبخ الكفار على قولهم والتنبيذ على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالاً ﴿﴾ بل أكثرهم لا يعلمون ﴿﴾ حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب ﴿﴾ قل نزل روح القدس ﴿﴾ يعنى جبريل عليه السلام واصنافه الروح الى القدس وهو الظاهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل ﴿﴾ من ربك بالحق ﴿﴾ ملتبساً بالحكمة ﴿﴾ ليثبت الذين آمنوا ﴿﴾ ليثبت الله الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا النسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رست عقائدهم واطمأن قلوبهم ﴿﴾ وهدى وبشرى للمسلمين ﴿﴾ المتقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أى تثبتنا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول تضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف

مشركون بالله ﴿﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿﴾ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ﴿﴾ وذلك ان المشركين من أهل مكة قالوا ان محمداً يسخر بصاحبه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكماً آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من النسخ وبما هو أصل خلقه وبما يغير ويبدل من أحكامه أى هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبخ وتقريع ككفار على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى ﴿﴾ قالوا انما أنت رسولهم أى تحتلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فبالله ينسبون محمداً تعالى تعالوا والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة ﴿﴾ بل أكثرهم لا يعلمون ﴿﴾ يعنى لا يعلمون فائدة النسخ وتبديل المنسوخ ﴿﴾ قل ﴿﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿﴾ نزل ﴿﴾ يعنى القرآن ﴿﴾ روح القدس ﴿﴾ يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الظاهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر ﴿﴾ من ربك ﴿﴾ يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد ﴿﴾ بالحق ليثبت الذين آمنوا ﴿﴾ يعنى ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايماناً و يقيناً ﴿﴾ وهدى وبشرى ﴿﴾ يعنى وهو هدى وبشرى ﴿﴾ للمسلمين ﴿﴾ قوله عز وجل

(مفتر) مختلف من تلقاء نفسه (بل أكثرهم لا يعلمون) (قالوا خا ٨١ لث) ان الله لا يأمر عباده الا بما يصلح لهم (قل) لهم يا محمد (نزل) يعنى نزل القرآن وانما شده لكثرة نزوله (روح القدس) جبريل المطهر (من ربك) يا محمد (بالحق) بالناسخ والمنسوخ (ليثبت) ليطيب ويطمئن اليه قلوب (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وهدى) من الضلالة (وبشرى للمسلمين)

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومي لعامر بن { الجزء الرابع عشر } الحضري أو عبدان ٦٤٢ جبر ويسار كانا يقرآن التوراة

والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه) وبتفتح الياء والحاء حمزة وعلى (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذين يميلون قواهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذوبيان وفصاحة رد القولهم وإبطال الاطعنهم وهذه الجملة أعنى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال ألد القبر ولحده وهو ملحد ولحدو اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل أماله عن استقامة فقالوا ألد فلان في قوله وألد في دينه ومنه المحدث لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها

بالجنة (ولقد نعلم) يا محمد (أنهم) يعني كفار مكة (يقولون إنما يعلمه) يعني القرآن (بشر) جبر ويسار (لسان الذي يلحدون اليه) يميلون ويشبهون وينسبون اليه (أعجمي) عبراني (وهذا

ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) يعنون جبراً الرومي غلام عامر بن الحضري وقيل جبراً ويساراً كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه أعجمي لغة الرجل الذي يميلون قواهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذوبيان وفصاحة والجلتان مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما ان ما سمعه منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي

ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا إنما يعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولونه إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاماً بنى المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد بعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى أبافكيهة ويقال لآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فترجمهما بهما النبي صلى الله عليه وسلم يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انهما في قعر بيتروحا بكلامهما فقال المشركون إنما يعلم محمد منهما وقال الفلاس مسته مشركون إنما يعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانياً وابنه الم وحسن اسلامه وكان أعجمياً وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنما يعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيباً لهم فيما روى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى لسان الذي يلحدون اليه يعني يميلون ويشيرون اليه أعجمي يعني هو أعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحاً بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب وهذا لسان عربي مبين يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصح الكلام ومحمد صلى الله

مختارين الكفر (ولهم عذاب أليم) في الآخرة على كفرهم (انما يفتري الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما أنت مفتر (وأولئك) إشارة الى الذين لا يؤمنون أي وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر جوزوا أن يكون (من كفر بالله من بعد إيمانه) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لانه جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب (الامن أكره)

(ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) محمد عليه السلام والقرآن (لا يهديهم الله) ليدنه من لم يكن أهلا ليدنه ويقال لا يهديهم الى الحق ولا ينجيهم من النار (ولهم عذاب أليم) وجميع (انما يفتري) يفتري (الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وأولئك

تفهمونه بآدي تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بلازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوق سمع منه في بعض اوقات مرور عليه كلمات اعجمية لعلمهم ان يعرف معناها فظنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) لا يصدقون انها من عند الله (لا يهديهم الله) الى الحق أو الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب أليم) في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اصاب شهادتهم وردطعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) لانهم لا يخافون عقابا بردهم عنه (وأولئك) إشارة الى الذين كفروا أو الى قریش (هم الكاذبون) أي الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب ولا يصرفهم عن دين ولا مروءة أو الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر انما يعلمه بشر (من كفر بالله من بعد إيمانه) بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليه غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله (الامن أكره) على الافتراء أو كلمة الكفر - تشاء متصل لان

عليه وسلم جاءكم هذا القرآن الفصح الذي عجزتم انتم عندوا ثم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أو جاء الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو أنى بد من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل اليه وروى ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني لا يصدقون انها من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني انما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لغول كفار قریش انما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تبارك وتعالى انما يفتري الكذب فامعنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله * روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت الما من يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (قوله تعالى) من كفر بالله من بعد إيمانه الامن أكره

(هم الكاذبون) على الله (من كفر بالله من بعد إيمانه) بالله فعليه غضب من الله (الامن أكره) الامن أجبر على الكفر

الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان ﴿١﴾ وقلبه مطمئن بالإيمان ﴿٢﴾ لم يتغير عقيدته وفيه
 وقلبه مطمئن بالإيمان ﴿٣﴾ نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه
 سمية وصهيبا وبلا وبخبايا وسالماء مذبوهم ليرجوه واعن الاسلام فامامة أم عمار فانهار بطت
 بين يعيرين ووجي قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا في الاسلام
 واما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قل قتادة أخذ بنوا المغيرة عمارا وغطوه
 في بئر ميمون وقالوا له اكفر بحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان عمارا كافر فقال كلا ان عمارا ملى أيمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه
 ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله قلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال
 مطمئنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم
 بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم
 بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانالانرا كم مناحي تهاجروا
 فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق فقتلوه عن دينهم فكفروا كارهين
 وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا في أول الاسلام قبل أن يؤسروا بالهجرة
 وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها
 وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامه وهاجرا الى
 المدينة والاولى أن يقال ان الآية عامة في كل من أكرهه على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان
 وان كان السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثنائه من الكافر
 فامعنى هذا الاستثناء في الامن أكرهه قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما يشبه ما يظهر
 من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

وقلبه مطمئن بالإيمان

ساكن به

(وقلبه مطمئن بالإيمان)

معتقد على الإيمان نزلت

هذه الآية في عمار بن ياسر

فصل في حكم الآية ﴿٤﴾

قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب
 بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايالات القوية مثل
 التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة
 أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فامارسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ففهم الله من أذى المشركين بعنه أبي طالب وأما أبو بكر ففهمه قومه وعشيرته وأخذ
 الآخرون وألبسوا أدرع الحديد وأجلسوا في حرا الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه
 وهو يقول أحدا أحدا حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد
 أوقدوا لي نارا ما أطفأها الا ودك ظهري وأجمعوا على ان من أكرهه على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ
 بكلمة تصرح بحابل يأتي بالمعاريض وبما يؤهم انه كفر فلما أكرهه على التصريح بباح له ذلك بشرط
 طمأنينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان
 ياسر وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلزم على ذلك قال العلماء

بالله من بعد ايمانه هم
 الكاذبون أو من اخبر الذي
 هو الكاذبون أي وأولئك هم
 من كفر بالله من بعد ايمانه
 وإن يتصب على الذم روى
 أن ناساً من أهل مكة فتنوا
 فارتدوا وكان فيهم من أكره
 فاجرى كلمة الكفر على
 لسانه وهو معتقد للإيمان
 منهم عمار وأما أبواه ياسر
 وسمية فقد قتلا وهما أول
 قتيلين في الإسلام فقيل
 لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم إن عمارا كفر فقال
 كلا إن عماراً ملئ إيماناً
 من قرنه إلى قدمه واختلط
 الإيمان بلحمه ودمه فاتى
 عمار رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو يبكي
 فجعل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يمسح عينيه
 وقال مالك إن عادوا لك
 فعد لهم بما قلت وما فعل
 أبوا عمار أفضل لأن في
 الصبر على القتل أعزاً
 للإسلام (ذلك) إشارة إلى
 الوعد وهو لحوق الغضب

والعذاب العظيم (بأنهم استنجبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أى بسبب إثارهم الدنيا على الآخرة

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) تكلم بالكفر طائعا (فعليه غضب من الله) سخط من الله (ولهم عذاب عظيم) شديدا شديدا يكون في الدنيا نزلت هذه الآية في عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ذلك) العذاب (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) اختاروا الدنيا (على الآخرة) والكفر على الأمان

(وان الله لا يهدي القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون في الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية { الجزء الرابع عشر } الغفلة ومنهاها ﴿ ٦٤٦ ﴾ (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون

ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (لأنهم هاجروا) من مكة أى انه لم يبق لهم لعلهم لا ينعوا انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محييا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتوا) بالعذاب والاكره على الكفر فتواشأ أى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الاكره (يوم تأتى) منصوب برحيم أوباذكر (كل نفس

(وان الله لا يهدي) لدينه ولا ينجي من عذابه (القوم الكافرين) من لم يكن أهلا لذلك (أولئك الذين طبع الله) ختم الله (على قلوبهم

عليها ﴿ وان الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ أى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم من الزيغ ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه ﴿ وأولئك هم الغافلون ﴾ الكاملون في الغفلة عما يراد بهم اذا غفلت الحالة الراهنة عن تدبر العواقب ﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾ اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ﴿ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا ﴾ أى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصرو ثم تباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقراء ابن عامر فتوا بالفتح أى بعد ما عذبوا المؤمنين كالخضرى اكره هؤلاء جبراحى ارتد ثم اسلموا وهاجروا ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ على الجهاد وما اصابهم من المشاق ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ من بعد الهجرة والجهاد والصبر ﴿ لغفور ﴾ بما فعلوا قبل ﴿ رحيم ﴾ ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد ﴿ يوم تأتى كل نفس

﴿ وان الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعنى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وأولئك هم الغافلون ﴾ يعنى عما يراد بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾ يعنى ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فاذا دخل النار بان خسارته وظهر غيبته لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا ﴾ يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ عن الايمان والهجرة والجهاد ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ يعنى من بعد الفتنة التى فتنها ﴿ لغفور رحيم ﴾ نزلت هذه الآية في عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاة وقيل كان أخا لأمه وفي أبى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعد ما أرادوا ليسلوا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابى سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخا لأمه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية في السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ يوم تأتى كل نفس

وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) عن أمر الآخرة تاركون لها ويقال غافلون عن التوحيد جاحدون به (تجادل) (لا جرم) حقا يا محمد (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) المغبونون نزلت في المستهزئين (ثم ان ربك) يا محمد (للذين هاجروا) من مكة الى المدينة (من بعد ما فتوا) عذبوا عذبهم أهل مكة عمار بن ياسر وأصحابه (ثم جاهدوا) العدو في سبيل الله (وصبروا) مع محمد صلى الله عليه وسلم على المرازى (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة (لغفور) متجاوز (رحيم) بهم (يوم تأتى) وهو يوم القيامة (كل نفس) برة

تجادل عن نفسها) وإنما أضيفت النفس الى النفس ﴿٦٤٧﴾ لأنه يقال لعين { سورة النحل } الشيء ذاته نفسه وفي نقيضه

منصوب برحيم أو باذكر ﴿ تجادل عن نفسها ﴾ تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها
لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى ﴿ وتوفى كل نفس ما عملت ﴾ جزاء ما عملت
﴿ وهم لا يظلمون ﴾ لا ينقصون اجرهم ﴿ وضرب الله مثلاً قرية ﴾ أى

تجادل عن نفسها ﴿ يعنى تخاصم وتخرج عن نفسها أى بما أسلفت من خير وشر اشتغلت
بالمجادلة لا تنفرغ الى غيرها فان قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس أخرى
فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد
يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته
والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها وذاتها أيضاً والمعنى يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته ولايهمه
غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك
من الاعتذارات ﴿ وتوفى كل نفس ما عملت ﴾ يعنى جزاء ما عملت فى الدنيا من خيراً أو شراً
﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعنى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً بل يوفون ذلك كاملاً من غير زيادة
ولا نقصان روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكتب الاحبار خوفاً فقال يا أمير المؤمنين
والذى نفسى بيده لو وافيت القيامة بنخل عل سبعين نبياً لانت عليك ساعات وأنت لا يهملك
الانفسك وان جهنم لتفرز فرقة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جئنا على ركبته حتى
ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لأسألك الانفسى وان تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم
تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ﴿ وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية قال ما تزال الخصومة
بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى بدأ بطش بها
ولارجل أمشى بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليست
لى بدأ بطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور
فبه نطق لسانى وبه أبصرت عينى وبه مشيت رجلى فضرب الله لهما مثلاً أعمى
ومقعده دخلاً حائطاً يعنى بستاناً فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعده لا يناله فحمل
الأعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب ﴿ قوله تزوجل ﴾ وضرب الله مثلاً
قرية ﴿ المثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولاً فى شئ آخر بينهما مشابة ليبين أحدهما
الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابة لغيره فى معنى من المعانى أى معنى كان
وهو أعم الالفاظ الموضوعه للمشابة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب
بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجوداً أو لم يكن وقد يضرب
بشئ موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئاً
مفروضاً ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل أن
تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على أنها مكة والاقراب انها غير مكة لانها
ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري فى كتابه الكشاف
وضرب الله مثلاً قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم
فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدره على

أو فاجرة (تجادل)
تخاصم (عن نفسها) لقبل
نفسها ويقال مع شيطانها
ويقال مع روحها (وتوفى)
توفر (كل نفس) برة أو فاجرة
(ما عملت) بما عملت من خير
أو شر (وهم لا يظلمون)
لا ينقص من حسناتهم ولا

يزاد على سياهم (وضرب الله مثلاً قرية) بين الله تعالى صفته أهل مكة أبى جهل والوليد وأصحابهما

جعلها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النعمة ولمكة
﴿ كانت آمنة مطمئنة ﴾ لا يزعم أهلها خوف ﴿ يأتيها رزقها ﴾ اقواتها ﴿ رغدا ﴾
واسعاً ﴿ من كل مكان ﴾ من نواحيها ﴿ فكفرت بأنعم الله ﴾ بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أوجع نعم كبؤس وأبؤس ﴿ فاذا قمها الله لباس الجوع
والخوف ﴾ استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتغل عليهم من

هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضره الله مثلاً لمكة
انذاراً من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشببه وههنا
ذكر المشبه ولم يذكر المشبه لوضوحه عند الخطابين والآية عند عامة المفسرين
نازلة في أهل مكة وما محتواه من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي
صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلاً لقريتهكم أى بين الله لها شبهاتم قال
قرية فيجوز ان تكون القرية بدلاً من مثلاً لانها هى الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى
ضرب الله مثلاً مثل قرية فخذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرين كلهم قالوا
أراد بالقرية مكة يعنون انه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفقتها ما ذكر وقال ابن الجوزى
في هذه القرية قولان أحدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقادة الجمهور وهو
الصحيح والثانى انها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبر فبعث الله عليهم
الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين
وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفتها كانت هذه
الصفات موجودة في أهل مكة فضره الله مثلاً لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا
مثل صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف
المذكور في هذه الآية في قوله فاذا قمها الله لباس الجوع والخوف هو البعث والسرايا
التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان
يبعث البعث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده
وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلاً قرية بمعنى مكة ﴿ كانت آمنة ﴾ يعنى ذات
أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم ﴿ مطمئنة ﴾ يعنى قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال
عنها للانجاء كما كان يحتاج اليه سائر العرب ﴿ يأتيها رزقها رغدا ﴾ يعنى واسعاً
﴿ من كل مكان ﴾ يعنى يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه
وتعالى يجي اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو
قوله وارزق أهله من الثمرات ﴿ فكفرت ﴾ يعنى هذه القرية والمراد أهلها
﴿ بأنعم الله ﴾ جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما
قابلوا نعم الله التي أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال
تعالى ﴿ فاذا قمها الله لباس الجوع والخوف ﴾ وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم

(كانت آمنة) من القتل
والسبي (مطمئنة) لا يزعمها
خوف لان الطمأنينة مع
الامن والانزعاج والقلق
مع الخوف (يأتيها رزقها
رغدا) واسعاً (من كل
مكان) من كل بلد
(فكفرت) أهلها (بأنعم
الله) جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع
وأدرع أوجع نعم كبؤس
وأبؤس (فاذا قمها الله لباس
الجوع والخوف)

(كانت آمنة) كان أهلها
آمنين من العدو والقتال
والجوع والسبي (مطمئنة)
مطمئناً أهلها (يأتيها رزقها)
يحمل اليها من الثمرات
(رغدا) موسعاً (من كل مكان)
ناحية واراض يحمل اليها
(فكفرت بأنعم الله) فكفر
أهلها بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن (فاذا قمها الله
لباس الجوع والخوف)
فما قب الله أهلها بالجوع سبع
سنين والخوف من خوف
حرب محمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه

الجوع والخوف وأوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا . غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء المعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه و اضاف اليه
الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر
الى المستعار كقولاه

ينازعني ردائي عبد عمرو . رويدك يا خاعمر وبن بكر
الى الشطر الذي ملكت عيني . ودونك فاعجب منه بشطر

بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو
الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه
الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا
هذه بك عادت الرجال فبال النساء والعبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس في حل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعنى خوف بعوث النبي صلى الله
عليه وسلم وسراياه الى كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم
من العرب فكان أهل مكة يخافونهم . فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فواحد صحتهما
والاذاقة المستمارة موقمة على اللباس المستعار فواجه صحة ايقاعها عليه وهو أن اللباس
لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذا قمهم الله طعم الجوع . قلت
قال صاحب الكشف أما الاذاقة فقد جرت عندهم بحري الحقيقة لشيوعها في البلايا
والشدائد وما عسى الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضرر وأذاقه العذاب شبه
ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به
لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتابس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة
على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ما يلبس فكانه قيل
فاذا قمهم ما غشاهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة
ما قل وقال الامام فخر الدين الرازي جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت
لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما تقدموا الطعام صاروا كأنهم
يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاط بهم من كل
الجهات فاشبه اللباس والحاصل أنه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق
وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذا قمهم الله لباس الجوع والخوف
الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا أنه تعالى عبر عن
التعريف بافظ الاذاقة وأصل الذوق بالفم ثم قد استعار فيوضع موضع التعرف وهو
الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها . وسيق الينا عذابها وعذابها

ولباس الجوع والخوف مظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير

بما كانوا يصنعون) الاذقة واللباس استعارتان والاذقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلاء والشدائد وما عسى الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضرر واذقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللباس ما غشى الانسان والتبس به الجزء الرابع عشر من بعض الحوادث ٦٥٠ وأما ايقاع الاذقة على لباس

الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما غشى منهما ويلبس فكانه قيل فاذا قمهم ما غشهم من الجوع والخوف (واقدهم رسولهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه الى أهل مكة في سنى القحط بطعام ففرق فمهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يدى محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طيبا) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصب وخبائث الكسب (واشكروا نعمت الله ان كنتم ايها تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عندهم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتبر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون يعنيهم واقدهم رسولهم يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما صاحبهم من الجرب الشديد أو موقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صداهم عن صنيع الجاهلية وذهابها الفاسدة ان كنتم ايها تعبدون تطيعون أو ان الحلال وكسوف البال كاتقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجود الثالث أن يحمل اللفظ الذوق والتبس على المماسسة فصار التقدير فاذا قمهم لباس الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وباتقوا في ايذائه وأرادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وأمره بالمهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم قوله سبحانه وتعالى واقدهم رسولهم يعني أهل مكة رسولهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها فكذبوه فاخذهم العذاب يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية وهم ظالمون يعني كفرون فكلوا مما رزقكم الله في مخاطبين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عادت الرجال فبال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاة الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا ياء عشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم حلالا طيبا يعني ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم واشكروا نعمت الله يعني التي أنعم بها عليكم ان كنتم ايها تعبدون

(بما كانوا يصنعون) يقولون ويعملون بمحمد صلى الله عليه وسلم من الجفاء (واقدهم رسول) محمد صلى الله عليه (انما) (منهم) من نسبهم عربى قرشى مثلهم (فكذبوه) بما جاءهم به (فاخذهم العذاب) عذاب الله بالجوع والقتل والسبي (وهم ظالمون) كفرون (فكلوا مما رزقكم الله) من الحرث والانعام والتعبي (حلالا طيبا واشكروا) اذكروا (نعمت الله ان كنتم ايها تعبدون) ان كنتم تريدون عبادة الله بتحريم الحرث والانعام فاستحلوا فان عبادة

وتحليلهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر رأى المحرم هذان البهيمة وأخواتها وباقي الآية قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) منصوب بالآية لا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها في قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا) ٦٥١ ﴿ حلال وهذا ﴾ سورة النحل { حرام } بدل من الكذب ولك ان

تنصب الكذب بتصف
وتجمل ما مصدرية وتعلق
هذا حلال وهذا حرام بلا
تقولوا أى ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام وهذا
لوصف ألسنتكم الكذب
أى ولا تحرموا ولا تحلوا
لاجل قول تنطق به ألسنتكم
ويجوز في أفواههم لا لاجل
حجة وبينة ولكن قول
ساذج ودعوى بلا برهان
وقوله تصف ألسنتكم
الكذب من فصيح الكلام
جعل قولهم كأنه عين
الكذب فاذا نطقت به
ألسنتهم فقد حلت الكذب
بجليته وصورته بصورته
كقولك وجهها يصف
الجمال وعينها تصف السحر
واللام في (تفتروا على الله
الكذب) من التعليل الذي
لا يتضمن معنى الغرض

الله في تحليله (انما حرم عليكم
الميتة) التي أمر بذبحها

صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته ﴿ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴾ لما امرهم
بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهاية عن
التحريم والتحليل باهوائهم فقال ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام ﴾ كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام
وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الاماضم اليه دلائل كالسباع
والحر الاهلية وانتصاب الكذب بالآية لا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه ومتعلق
بتصف على ارادة القول أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا
حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية أى ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لا تحرموا ولا تحلوا بمجرد قول تنطق
به ألسنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب
كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك
عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ
الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذب أو كذاب بالرفع صفة للالسة وبالنصب على
الدم أو بمعنى الكلام الكواذب ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ تعليل لا يتضمن المعنى الغرض

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴿ تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعد
هنا ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ يعنى ولا تقولوا لاجل
وصفكم الكذب ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب
لا غيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تنفعوا ذلك قال مجاهد
يعنى البهيمة والسائبة وقال ابن عباس يعنى قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من
عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾
يعنى لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم

(والدم) دم المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وما ذبح بغير اسم الله عمدا أو الاضنام (فمن اضطر) أجهدا الى ما حرم الله
عليه (غير باغ) على المسلمين ويقال غير مستحل لاكل الميتة (ولا عاد) قاطع الطريق ويقال متعمدا لاكل غير الضرورة (فان الله
غفور) متجاوزا بكل الميتة عند الضرورة (رحيم) اذ خص له أكل الميتة عند الضرورة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب) لا تقولوا بألسنتكم الكذب (هذا) يعنى الحرث والانعام (حلال) على الرجال (وهذا حرام) على النساء (لتفتروا) لتخلقوا
(على الله الكذب) بذلك

(ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعته قليلة وعذابهم عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعنى وعلى الذين هادوا حرمنا كل { الجزء الرابع عشر } ذى ظفر ٦٥٢ الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم

(ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فخرنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) في موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة الغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لأعصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم (رحيم) بتوشيق ما وثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه

(ان الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجون ولا يأمنون من عذاب الله (متاع قليل) عيشهم في الدنيا قليل (ولهم عذاب أليم) وجع في الآخرة (وعلى الذين هادوا) مالوا عن الاسلام يعنى اليهود (حرمنا) عليهم (ما قصصنا عليك) ما سمينا لك (من قبل) من قبل هذه السورة في سورة الانعام (وما ظلمناهم) بما حرمنا عليهم من الشحوم والمحرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يضررون أى بذنوبهم حرم الله

ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يقتضى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح ويند بقوله متاع قليل أى ما يفترون لاجله أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب أليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك أى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق بحرمنا أو بقصصنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوفوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون المضررة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها أو متدبرين بها التعم الجاهل بالله وعقابه وعدم التدبر فى العواقب الغلبة الشهوة والسوء يعنى الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور ذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان أمة توعداً لمفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يشوزون بخير لان الفلاح هو النور بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى متاع قليل يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه لا يبقاه له ولهم عذاب أليم يعنى فى الآخرة وعلى الذين هادوا يعنى اليهود حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعنى ما سبق ذكره وبيانه فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وما ظلمناهم يعنى بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعنى انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيرهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا يبنى وكل من عمل السوء فاما يضل به بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فانه يصدر عنه بسبب جهالة اما لجهالة بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهالة بقدر من بعصيته فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوءاً بجهالة ثم تاب وأصلح العمل فى المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك يعنى من بعد عمل ذلك السوء وأصلحوا يعنى أصلحوا العمل فى المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة ثم ان ربك من بعدها يعنى من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه لغفور يعنى لمن تاب وآمن رحيم يعنى بجميع المؤمنين والتائبين وقوله سبحانه وتعالى ان ابراهيم كان أمة حكى ابن الجوزى عن ابن الانبارى أنه قال هذا

عليهم (ثم ان ربك) يا محمد (للذين عملوا السوء بجهالة) بتعمد وان كان جاهلاً بركوبها (ثم تابوا من بعد ذلك) السوء (مثل) (وأصلحوا) العمل فيما بينهم وبين ربهم (ان ربك) يا محمد (من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) متجاوز (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان أمة) اماماً

كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار أو كان أمة بمعنى ٦٥٣ مأموم ومدا الناس { سورة النحل } ليأخذوا منه الخير (قانت الله)

هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه أن معاذ كان أمة قانت الله فتبيل له انما هو ابراهيم عليه السلام قتال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفا) مائلا عن الأديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفي عنه الشرك تكذيبا للكفار قريش لزعمهم انهم على ملة أبيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين (شاكر) لأنعمه (روى انه كان لا يغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيّلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم (اجتبا) اختصه واصطفاه للنبوّة (وهده الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام

لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الذائفة بالحجج الدافعة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما حله أو لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل وهي فعلة بمعنى مفعول كالحالة والخبرة من امد اذا قصدوا واقتدى به فان الناس كانوا يؤمنونه للاستفادة ويتقدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانت الله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه شاكر لأنعمه ذكر بافظ القلة للتنبيه على انه كان لا ينحل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتبا للنبوّة وهده الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله تعالى

مثل قول العرب فلان رجة وفلان علامة ونسابة يتصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فناده الملائكة وانما اداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الأمة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير يأتيهم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو ابن نضيل يبعث الله أمة وحده وانما قال في هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الأمة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو سبب الذي لاجله جمعت أمته ومن تبعه تمتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة في عبادة الله قانت الله يعني مطيعا لله وقيل هو القائم باوامر الله حنيفا مائلا عن الدين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختن وخشى وأقام مناسك الحج ولم يك من المشركين يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صفته الى كبره شاكر لأنعمه يعني انه كان شاكر الله على أنعمه التي أنعم بها عليه اجتبا أي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته وهده الى صراط مستقيم يعني هده الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم

يقتدى به (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مسلما مخلصا (ولم يك من المشركين) مع المشركين على دينهم (شاكر) لأنعمه (شاكر) لأنعم الله عليه (اجتبا) اصطفاه بالنبوّة والاسلام (وهده الى صراط مستقيم) ثبته على طريق قائم يرضاه

(وآتياء في الدنيا حسنة) نبوة وأموالا وأولادا أو تنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (وأنه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايذان بان أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيم وترك الاصطياذ فيه وهو الاسلام (وآتياء) أعطيناه (في الدنيا حسنة) ولد اصالحا وبقال ثناء حسنا ويقال الذكروا الثناء الحسن في الناس كلهم (وأنه في الآخرة لمن الصالحين) مع آباء المرسلين في الجنة (ثم أوحينا اليك) أمرناك يا محمد (أن اتبع ملة ابراهيم) أن استقم على دين ابراهيم (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) مع المشركين على دينهم (انما جعل السبت) حرم السبت (على الذين اختلفوا فيه) في الجمعة

﴿وآتياء في الدنيا حسنة﴾ بان حبيبه الى الناس حتى ان ارباب المال يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمر طويلا في السعة والطاعة ﴿وأنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ لمن أهل الجنة كما أنه بقوله والحنفى بالصالحين ﴿ثم أوحينا اليك﴾ يا محمد ﴿وتم املت عظيمة والتفبیه على ان اجل ما أوتي ابراهيم عليه الصلاة والسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته أو لراخي ايامه﴾ ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ﴿في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه﴾ وما كان من المشركين ﴿بل كان قدوة الموحدين﴾ انما جعل السبت ﴿تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة﴾ على الذين اختلفوا فيه ﴿أي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا انريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض﴾

﴿وآتياء في الدنيا حسنة﴾ يعنى الرسالة والخلقة وقيل هى لسان الصدق والثناء الحسن والقول العام في جميع الامم فانه الله حبيبه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلى في التشهد اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه اولادا أبرارا على الكبر ﴿وأنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ يعنى في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وأنه في الآخرة لمع الصالحين يعنى الانبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا على الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ﴿ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم﴾ يعنى دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الأصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الامانة منها وما لم يذبح صار شرعنا له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله ﴿حنيفا﴾ مسلما ﴿وما كان من المشركين﴾ تقدم تفسيره ﴿وقوله تعالى﴾ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ﴿يعنى انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعكم وستة أيام لمصنعكم فابوا عليه وقالوا انريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى انريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فيورك لهم فيها ﴿ق﴾ عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة يبدأ بهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتينا من بعدهم فهذا يوم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فقد لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم

فأزعمهم الله السبت وشدد الأمر عليهم وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الخيل وذكرهم
القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من
كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهذا اليوم الجمعة فجعل
الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون
يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم قال
العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول
الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو الا أنهم
• وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلوا فيه فهذا الله له قال القاضي عياض
الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكّل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم
فيه فاختلف اُخبارهم في تعيينه ولم يهدم الله له وفرضه على هذه الامة مبيناً ولم يكلفهم
الى اجتهادهم فغازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام
أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقبل له دعمهم قال القاضي
ولو كان منسوعاً عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محي
الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا بحدس ربحا ونص على عينه فاختلوا فيه هل يلزم تعيينه
أم لهم ابداله فأبدلوه وغلبوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين
اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت
كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود
اختلفوا فيهم من قال بالسبت ومنهم من لم يتقبل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد
الواحدى على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم
معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من
خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتداءً فيه بخلق
الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وإنما اختار الاحد النصارى
بعدهم بزمان طويل فان قلت ان اليهود إنما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا
على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق
يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في
هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى إنما بدأ بخلق الاشياء في
يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيداً لنا وهذان الوجهان معقولان فوجه فضل
يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيداً قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق
وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة
عيداً بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف
خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف
الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم

(وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجملوا في الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شردمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا الجزء الرابع عشر { اختلافهم في السبت } ٦٥٦ لان بعضهم اختاروه وبعضهم

اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بحرم الصيد فاطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعتابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو اهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة الصحيحة بالحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم انك تنصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخالط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظاة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة في الدين

ههنا تهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون * بالجازاة على الاختلاف أو مجازاة كل فريق بما يستحقه * ادع * من بعث اليهم * الى سبيل ربك * الى الاسلام * بالحكمة * بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة * والموعظة الحسنة * الخطابات المقنعة والعبارة النافذة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم * وجادلهم * وجادل معانديهم * بالتى هى احسن * بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة ولم يختاروا لانفسهم شيئا وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاروه غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحل بهم بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أى وبالسبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحل بهم بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قرده وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيئا وهم الناعون والقول الاول اقرب الى الصحة * وقوله تعالى * وان ربكم ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون * يعنى في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحققين بالثواب والمبطلين بالعقاب * قوله عز وجل * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة * يعنى ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهوانه لا يخفى عليهم انك تنصحهم وتقصد ما ينفعهم * وجادلهم بالتى هى أحسن * يعنى بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظاة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثابتة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى يتفعلوا ويتفعلوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم أصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة

(وان ربكم ليحكم بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيمة فيما كانوا فيه) في الدين (يختلفون) يخالفون (ادع الى سبيل ربك) (الحسنة) الى دين ربك (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) عظمتهم عواظ القرآن (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالقرآن ويقال بلا اله الا الله

(ان ربك هو أعلم عن
ضل عن سبيل وهو أعلم
بالمهتدين) أى هو أعلم بهم
فمن كان فيه خير كفاه الوعظ
القليل ومن لا خير فيه
عجزت عنه الحيل (وان
عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به)
سمى الفعل الاول عقوبة
والعقوبة هى الثانية لازدواج
الكلام كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها فالثانية ليست
بسيئة والمعنى ان صنع بكم
صنيع سوء من قتل أو نحوه
فقابلوه بمثله ولا تزيدوا
عليه روى ان المشركين
مثلوا بالمسلمين يوم أحد
بقروا بطونهم وقطعوا
مذاكيرهم فرأى النبي عليه
السلام حزة مبقور البطن
فقال أما والذي أحلف به
لأمثلن بسبعين مكانك
فنزلت فكفر عن يمينه وكف
عما أراد ولا خلاف في
تحريم المثلة لورود الاخبار
بالنهي عنها حتى بالكلب
العقور

(ان ربك هو أعلم عن ضل
عن سبيله) عن دينه
(وهو أعلم بالمهتدين)
لدينه (وان عاقبتهم) مثمتهم
(فعاقبوا) فمثلوا (بمثل
ما عوقبتهم) مثمتهم (به) بالاموات

من الرفق واللين واينار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع في تسكين
لهبهم وتبيين شغبهم ﴿ ان ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أى انما
عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والحجزة عليهما فلا اليك بل الله
اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم ﴿ وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ﴾ لما امره
بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم
فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح
في دين الاسلام والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى

الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاودة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله
وجادلهم بالتى هى أحسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن
يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم
بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتى هى أحسن
أى أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال
بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف ﴿ ان ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين ﴾ يعنى انما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعائهم بهذه الطرق
الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى كل عامل بمثله ﴿ قوله ﴾ سبحانه وتعالى
﴿ وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ﴾ نزلت هذه الآية بالمدينة في سبب شهداء أحد
وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تقير البطون والمثلة
السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبى عامر الراهب وذلك
أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا
ذلك اننأوا فظهر نال الله عليهم انزيبين على صديعهم وانمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب
بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عم حزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه
وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطونه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فوضعتها
ثم استرطبتها لتأكلها فأنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أما انهم لو أكلتها لم تدخل النار أبدا حزة أكرم على الله من أن يدخل شياً من جسده النار
فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عم حزة نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان اوجع
اقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الافعال
للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لمرنى أن أدعك حتى تحشر من
من أفواج شتى أما والله اننأى فظفرنى الله بهم لاثمان بسبب من منهم مكانك فانزل الله عز وجل
وان عاقبتهم فعاقبوا بمثله ما عوقبتهم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك
عما أراد وكفر عن يمينه عن أبى بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون
رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حزة فمثلوا بهم فقالت الانصار اننأى فظفرنى الله بهم لاثمان
هذا لئيبين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به

حزوة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لأمتان بسمين مكانك فنزلت فكفر عن عبته وفيه دليل على ان المقتص ان يثأل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو أمر بضاب قوله وان عاقبتهم فعاقبوا ونصرنا على الوجه الآ كذب قوله ولئن صبرتم لهو أي الصبر خير للصابرين من الانتقام المنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اولى الناس به لريادة علمه وثوقه عليه فقال وا صبر وما صبرك الا بالله لا بتوفيقه وتثبته ولا تحزن عليهم على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم ولا تلك في ضيق مما يذكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قرش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القول الاربعة اخرج الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثله ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثله امرا لله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبت في استيفاء القصاص فاقصصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلما ممتنع منه في عدل الله وشرعه ورجعت وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بان الترك اولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن عفوتهم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العافين

فصل

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قواين أحدهما انها نزلت قبل براءة تأسر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتل ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانما نزلت فيمن ظلم ظلامه فلا يحل له ان يثأل من ظلمه أكثر مما كان منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنفخي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم قوله عز وجل وا صبر وما صبرك الا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلم ان صبره بتوقيفه ومعونته ولا تحزن عليهم يعني على الكافرين واعراضهم عنه وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى رحمة الله ورضوانه ولا تلك في ضيق مما يذكرون يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب

(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) الضمير في لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وا صبر أنت فمزمع عليه بالصبر) وما صبرك الا بالله أي بتوفيقه وتثبته (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولا تلك في ضيق مما يذكرون) ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالتفصيل (ولئن صبرتم) عن المثلة (لهو خير للصابرين) في الآخرة (وا صبر) يا محمد على أذاهم (وما صبرك الا بالله) بتوفيق الله (ولا تحزن عليهم) على المستهزئين بالهالك (فلا تلك في ضيق) ولا يضيق صدرك (مما يذكرون) مما يقولون ويعصمون بك

وفي النمل وهما لفتان كالقول والقليل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ المعاصي ﴿ والذين هم محسنون ﴾ في اعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها أوليته كان له من الاجر كأنه مات واحسن الوصية

والقول والمعنى ولا يضيغن
صدرك من مكرهم فانه لا ينفذ
عليك (ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون) أي
هو ولي الذين اجتنبوا
السيئات وولي العاملين
بالطاعات قيل من اتقى في
أفعاله وأحسن في أعماله
كان الله معه في أحواله ومعيته
نصرته في المأمور وعصمته
في المحذور

(ان الله مع الذين اتقوا)
الكفر والشرك والفواحش
(والذين هم محسنون)
بالقول والفعل موحدون

قال الشهاب الدين الحفاجي
والحديث المذكور وقع في
التفسير مروياً عن أبي بن
كعب رضي الله عنه وهو موضوع
كما قاله العراقي

مكرهم فان الله كما يك وناسرك عليهم قرى في ضيق بفتح الضاد وكسرهما فليل هما لفتان وقال أبو عمرو والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأما ما كان في القلب والصدر فانه بالغم وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين واين واين فلي هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولاتك في أمر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلاً في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلاً فيك الا ان الفائدة في قوله ولاتك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي ﴿ والذين هم محسنون ﴾ يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني ان أردت أي الانسان ان يكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لاسم الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكال الانسان ان يعرف الحق لدانه واخير لاجل أن يعمل به وقيل لهم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيك بخواتم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

نعم محمد الله تعالى الجلد الثالث ربيع انشاء الله تعالى

الجلد الرابع اول سورة الاسراء

احمد الله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وخفياً وجهاً على اتمام طبع « الجلد الثالث » لقد بذلنا جهدنا وطاقتنا على حسب القوى البشرية في تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه مع رفيق المصحح في دار الطباعة العثمانية اعني الحاج طاهر افندي القنوي المدرس بجامع سلطان بايزيدولي فرحم الله امراً نظراً فيه بعين الانصاف فسامح ووقف في التصحيح على خطأ فأصلح واعوذ بالله من حاسد اذا حسد وبني واستغفره
جل اسمه من قلم زل وسهوى او حرف شيا

عن موضعه وطني وهو حسبي ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
وانا الفقير المصحح
في دار الطاعة العاصرة
احمد رفعت بن
عثمان حلمي

- ﴿ فهرست الجلد الثالث من التفسيرين الجليلين ﴾ الاول ﴿
- ﴿ المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل ﴾ الثاني المسمى ﴿
- ﴿ بلباب التأويل في معاني التنزيل ﴾

﴿ تفسير سورة الانفال ﴾

٢

- ٥ تفسير قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية
- ٦ عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة الحديث
- ٧ بيان اختلاف العلماء هل يجوز ان يقول انما مؤمن حقا أم لا ببيان استدلالهم
- ٨ عن ابي هريرة ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام الحديث
- ١٠ عن ابي سعيد ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا الحديث
- ١١ تفسير قوله عز وجل (واذا بعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) الآية
- ١٣ عن انس ان عمر بن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
- ١٤ تفسير قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني مدمكم) الآية
- ١٥ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل الحديث
- ٢٠ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) الآية

﴿ فصل في حكم هذه الآية ﴾

٢١

- ٢٢ تفسير قوله عز وجل (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) الآية
- ٢٣ عن عبد الرحمن بن عوف اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت الخ
- ٢٤ عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ماصع ابو جهل الخ
- ٢٥ عن عبيد الله بن مسعود مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت الخ
- ٢٧ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم) الآية
- ٢٨ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاي رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٩ عن ابي هريرة فتى القاعد فيها خير من الفائم الحديث
- ٣٠ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) الآية
- ٣١ تفسير قوله عز وجل (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) الآية
- ٣٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا) الآية
- ٣٣ بيان هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة
- ٣٥ تفسير قوله عز وجل (واذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونها لقلنا مثل هذا) الآية
- ٣٦ تفسير قوله عز وجل (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) الآية

﴿ الجزء العاشر ﴾

٤٤

- ٥٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا القيم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا) الآية
 ٥٣ عن عبدالله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه الخ
 ٥٤ تفسير قوله عز وجل (واذرين لهم الشيطان اعمالهم) الآية
 ٥٦ تفسير قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) الآية
 ٦١ تفسير قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يجزون) الآية

❦ وهرنا نع اماريت ❦

- ٠٠ الاول : عن ابي اسيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الخ
 ٦٢ الثاني : عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح الحديث
 ٠٠ الثالث : عن فقيم اللخمي قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين الخ
 ٠٠ الرابع : عن ابي نجيح السلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ الحديث
 ٠٠ الخامس : عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم الخ
 ٦٣ السادس : عن عمرو بن الجعد البارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل الحديث
 ٠٠ السابع : عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الحديث
 ٠٠ الثامن : عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس في سبيل الله الحديث
 ٠٠ التاسع : عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل الحديث
 ٦٦ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الآية
 ٦٨ تفسير قوله عز وجل (ما كان لني ان تكون له اسرى) الآية

❦ فصل ❦

٧٠

قد اسندل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء الخ

- ٧٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى) الآية
 ٧٥ تفسير قوله عز وجل (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) الآية

❦ تفسير سورة التوبة ❦

٧٧

❦ فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية ❦

❦ في اول هذه السورة ❦

❦ فصل ❦

٨١

قديتوهم متوهم ان في بعث على بن ابي طالب بقراءة اول براءة عزل ابي بكر الخ

- ٨٣ تفسير قوله عز وجل (ان الله برى من المشركين ورسوله) الآية
 ٨٨ تفسير قوله عز وجل (فان تابوا وقاموا الصلوة وآتوا الزكاة) الآية
 ٠٠ عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر الخ
 ٩٢ تفسير قوله عز وجل (ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله) الآية
 ٩٣ تفسير قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية
 ٩٤ عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد الحديث

- ٠٠ عن عثمان بن عفان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني الله مسجدا الحديث
 ٠٠ عن النعمان بن بشير كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما بالي الخ
 ٩٥ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى الخ
 ٠٠ عن بكر بن عبدالله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة الخ
 ٩٦ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واهوانكم اولياء) الآية
 ٩٨ تفسير قوله عز وجل (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين)

❦ تفصيل قصة حنين ❦

- ١٠٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) الآية
 ١٠٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن الحديث
 ٠٠٠ عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد شئس الحديث
 ١٠٥ تفسير قوله عز وجل (ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله) الآية

❦ فصل في بيان احكام الآية ❦

- ١٠٨ تفسير قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية
 ١١٢ تفسير قوله عز وجل (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) الآية
 ٠٠٠ عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار الحديث
 ١١٣ تفسير قوله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية
 ١١٤ عن زيد بن وهب قال مررت بالريذة فاذا بابي ذرقفت ما تترك الخ
 ١١٥ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته الحديث
 ١١٦ عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة الخ
 ١١٧ تفسير قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) الآية
 ١١٨ عن ابي بكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله الحديث
 ١١٩ تفسير قوله عز وجل (وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) الآية
 ١٢١ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) الآية
 ١٢٣ تفسير قوله عز وجل (ألا تنصروه فقد نصره الله اذا خرج الذين كفروا)
 ثاني اثنين (الآية)

١٢٤ عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار الخ

❦ ذكر سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخارى ❦

❦ شرح غريب الفاظ الحديث ❦

❦ فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على ❦

❦ فضل سيدى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ❦

- ١٣١ تفسير قوله عز وجل (واجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) الآية
 ١٣٢ تفسير قوله عز وجل (عفا الله عنك لم اذنت لهم) الآية

❦ فصل ❦

استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه

١٣٦ تفسير قوله عز وجل (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة) الآية

١٣٩ تفسير قوله عز وجل (انما يريد الله ليُعذبهم بها في الحياة الدنيا) الآية

١٤٠ عن ابى سعيد الخدرى قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ

١٤١ تفسير قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية

... ❦ فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى ❦

في بيان وجه الحكمة في انجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس الخ

١٤٢ ❦ المسئلة الثانية ❦ في ان الآية تبدل على انه لاحق لاحد في الصدقات الخ

... ❦ المسئلة الثالثة ❦ في بيان الاصناف الثمانية الاول الفقراء والثاني المساكين الخ

١٤٤ الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها)

... الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم)

١٤٥ الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب)

١٤٦ الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين)

... الصنف السابع قوله سبحانه وتعالى (وفي سبيل الله)

... الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل)

١٤٧ ❦ المسئلة الرابعة ❦ في احكام منفردة تتعلق بالزكاة الخ

١٤٨ تفسير قوله عز وجل (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) الآية

١٥٠ تفسير قوله عز وجل (ألم يعلموا أنه من يحاد دالله ورسوله فان له نار جهنم) الآية

١٥٣ تفسير قوله عز وجل (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر) الآية

١٥٦ تفسير قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) الآية

١٥٧ تفسير قوله عز وجل (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) الآية

... عن عمران بن حصين وابى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الخ

... عن ابى الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله الحديث

١٥٨ عن ابى موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة الحديث

... تفسير قوله عز وجل (ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم)

... عن ابى سعيد الخدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول الحديث

... تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين) الآية

١٦٢ تفسير قوله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية

وبيان امتناع التعلبة من الزكاة

١٦٤ عن ابى هريرة آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

... عن عبدالله بن عمرو اربع من كن فيه كان منافقا خالصا الحديث

١٦٥ تفسير قوله عز وجل (ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم) الآية

... عن ابى مسعود البدرى قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل الخ

١٦٦ تفسير قوله عز وجل (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة) الآية

١٦٧ عن ابن عمر قال لما توفي عبدالله يعنى ابن ابى بن سلول جاء ابنه الخ

- ١٦٨ تفسير قوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) الآية
 ١٦٩ عن ابي هريرة لوتعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
 ٠٠٠ عن انس يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتبوا كوا الحديث
 ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) الآية
 ١٧٠ عن عمر بن الخطاب امامات عبدالله بن ابي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
 ٠٠٠

❦ فصل ❦

قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبدالله بن ابي بن سلول المتناقض الخ

❦ الجزء الحادى عشر ❦ ١٨٠

- ١٨٣ تفسير قوله عز وجل (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار)
 وبيان اختلاف العلماء في السابقين الاولين الخ
 ١٨٥ تفسير قوله عز وجل (والذين اتبعوهم باحسان)
 ٠٠٠ عن عمران بن حصين خير الناس قرني ثم الذين يلونهم الحديث
 ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدرى لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا الحديث
 ١٨٩ تفسير قوله عز وجل (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية
 وبيان سبب نزولها على وجه التفصيل
 ١٩١ عن ابي هريرة ما تصدق احدكم بصدقة من كسب حلال طيب الحديث
 ١٩٣ تفسير قوله عز وجل (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا) الآية
 ١٩٦ تفسير قوله عز وجل (لمسجد اسس على التقوى من اول يوم) الآية
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة الحديث
 ٠٠٠ عن عبدالله بن زيد ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
 ٠٠٠ عن ام سلمة ان قوائم منبري هذا رواب الجنة
 ١٩٩ تفسير قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم) الآية
 ٢٠٠ تفسير قوله عز وجل (التائبون) الآية
 ٢٠٢ تفسير قوله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى) الآية
 وبيان اختلاف المفسرين في سبب نزولها وقال قوم نزلت في شأن ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والله على وفيه ذكر احاديث في وعدم ايمانه والله اعلم بحقيقة الحال
 ٢٠٧ تفسير قوله عز وجل (لقد تاب على النبي والمهاجرين والانصار) الآية
 ٢٠٩ بيان حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه
 ٢١٢ ❦ شرح غريب هذا الحديث ❦
 ٢١٤ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) الآية
 ٢١٦ تفسير قوله عز وجل (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا) الآية
 ٠٠٠ عن سهل بن سعد الساعدي رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها
 ٢١٧ عن ابي هريرة تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الاجهاد الحديث

- ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدرى اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل الخ
 ٠٠٠ عن ابي هريرة من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً بالله الحديث
 ٠٠٠ عن ابن عباس ما عبرت قدما عبد في سبيل الله قسمه النار
 ٠٠٠ عن ابي مسعود الانصارى البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الخ
 ٠٠٠ عن خريم بن فاتك من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف
 ٢١٨ تفسير قوله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) الآية
 ٢١٩ عن معاوية من يرد الله به خيرا يفقه في الدين الحديث
 ٢٢٠ عن ابي هريرة تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية الحديث
 ٠٠٠ عن ابن عباس فقيه واحد اشده على الشيطان الحديث
 ٠٠٠ عن ابي امامة فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم الحديث
 ٠٠٠ عن ابي هريرة من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث
 ٠٠٠ عن انس من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الحديث
 ٠٠٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل الحديث
 ٢٢٣ تفسير قوله عز وجل (لقد جاءكم رسول من انفسكم) الآية
 ٠٠٠ عن ابي هريرة بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا الحديث
 ٠٠٠ عن واثلة بن الاسقع ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل الحديث
 ٠٠٠ عن العباس بن عبد المطلب قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون الخ
 ٢٢٤ ﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾
 ٢٣١ تفسير قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) الآية
 ٢٣٣ عن ابي هريرة اللهم انى اتخذت عندك عهدا لن تخلفينه فانما ابشر الحديث
 ٢٣٥ عن ابي سعيد الخدرى ان الدنيا حاولة خضرة وان الله مستخلفكم فيها الحديث
 ٢٣٦ تفسير قوله عز وجل (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراككم) الآية
 ٢٣٧ عن ابن عباس انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة الخ
 ٠٠٠ عن عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة
 ٠٠٠ عن انس قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابوبكر الخ
 ٠٠٠ عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن سمعت انس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
 وبيان اختلاف العلماء في عمره صلى الله عليه وسلم
 ٢٣٩ تفسير قوله عز وجل (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا) الآية
 ٢٣٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم) الآية
 ٢٤٥ تفسير قوله عز وجل (والله يدعوا الى دار السلام) الآية
 ٢٤٦ عن جابر جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهونائم فقال بعضهم الخ
 ٠٠٠ عن النواس بن سمعان ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما الحديث
 ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) الآية
 ٠٠٠ بيان اختلاف العلماء وفي معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال
 القول الاول: ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجهه الكريم
 ونقل الدليل المنقول والمعقول على صحة هذا القول الخ
 ٢٤٨ القول الثاني: في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن ابي طالب الخ
 ٠٠٠ القول الثالث: ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الخ

... القول الرابع: ان الحسنى حسنة مثل حسنة الخ

٢٥١ تفسير قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) الآية

٢٥٣ تفسير قوله عز وجل (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق احق) الآية

٢٥٦ تفسير قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين) الآية

٢٦٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور) الآية

٢٦٦ تفسير قوله عز وجل (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الآية

وبين اختلاف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم الخ

٢٦٨ تفسير قوله عز وجل (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) الآية

وبين معنى البشرى بالدليل النقلى والعقلى على وجه التفصيل

٢٧٢ تفسير قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ نوح) الآية

٢٧٥ تفسير قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) الآية

٢٧٨ تفسير قوله عز وجل (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) الآية

٢٨١ تفسير قوله عز وجل (وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده) الآية

٢٨٢ تفسير قوله عز وجل (آلآن وقد عصيت قبل وقد كنت من المفسدين) الآية

... عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما غرق الله فرعون قال آمنت الحديث

٢٨٣ فصل فى الكلام على هذا الحديث لانه فى الظاهر

مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح

فصل: ووجه اشكاله ما عترض به الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره

٢٨٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) الآية

٢٨٩ تفسير قوله عز وجل (فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) الآية

٢٩٠ ذكر القصة فى ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود

وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم

٢٩٥ تفسير قوله عز وجل (قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) الآية

٢٩٦ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام

٣٠٢ الجزء الثانى عشر

٣٠٣ عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتى الخ

... عن ابى رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه الخ

٣٠٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض الحديث

٣٠٩ تفسير قوله عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها) الآية

٣١٠ عن ابى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الحديث

... عن ابن عمر من تعلم علما غير الله او اراد به غير الله الحديث

... عن ابى هريرة من تعلم علما ما بينى به وجه الله الحديث

- ٣١١ عن ابى هريرة تعوذوا بالله من جب الحزن الحديث
 ٠٠٠ قال البغوى وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر الحديث
 ٣١٣ تفسير قوله عز وجل (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) الآية
 ٣١٤ عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت الح
 ٣١٥ تفسير قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم) الآية
 ٣١٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) الآية

فصل

استدل بعضهم بهذه الآية يعنى (ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك) على تفضيل
 الملائكة على الانبياء الح

فصل

- وقد استدل بهذه الآية يعنى (فلانستلن ما ليس لك به علم) من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان
 قوله (انه عمل غير صالح) المراد منه السؤال وهو محذور فلهاذنهاه عنه الح
 ٣٣٣ تفسير قوله عز وجل (والى عاد اخاهم هوذا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية
 ٤٣٧ تفسير قوله عز وجل (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية
 ٣٤٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) الآية
 ٣٤٥ تفسير قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطاسى بهم وضاق بهم ذرعا) الآية
 ٣٥٠ تفسير قوله عز وجل (والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم) الآية
 ٣٥٧ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين) الآية
 ٣٦٢ تفسير قوله عز وجل (فاما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق) الآية
 ﴿فبها عمدة اماريت فليراجع﴾

- ٣٦٦ تفسير قوله عز وجل (فاستقم كما امرت) الآية
 ٢٦٧ عن سفيان بن عبدالله الثقفى قلت يا رسول الله قللى فى الاسلام قول لا الخ
 ٠٠٠ عن ابى هريرة ان الدين يسرو لن يشاد الدين احدا الحديث
 ٣٦٨ تفسير قوله عز وجل (واقم الصلوة طر فى النهار) الآية
 ٠٠٠ عن عبدالله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبلة
 ٠٠٠ عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارأيت رجلا الخ
 ٣٦٩ عن ابى هريرة الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات الحديث
 ٠٠٠ عن ابى هريرة ارأيت لوان نهر ابواب احدم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات الحديث
 ٠٠٠ عن جابر مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر الحديث
 ٣٧١ تفسير قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) الآية
 ٠٠٠ عن ابى هريرة تفرق اليهود على احدى وسبعين فرقة الحديث
 ٠٠٠ عن معاوية أأان من قبلكم من اهل الكتاب افرقوا الحديث
 ٣٧٢ تفسير قوله عز وجل (وتمت كلمة ربك لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) الآية
 ٣٧٤ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام
 ٣٧٧ تفسير قوله عز وجل (قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك) الآية

- ٣٧٨ عن ابي قتادة قال كنت اري الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
 ... عن ابي سعيد الخدري اذا رأى احدهم الرؤيا يحبها فانها من الله الحديث
 ... عن جابر اذا رأى احدهم الرؤيا يكرها فليصدق الحديث
 ... عن ابي رزين العقيلي رؤيا المؤمن جزء من اربعين الحديث

٣٨٤ ﴿ ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام ﴾

- ٣٨٨ تفسير قوله عز وجل (وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه) الآية
 ٣٩٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) الآية
 والكلام عليها في مقامين * الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الآية
 ٣٩٤ المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة الخ
 ٤٠٠ تفسير قوله عز وجل (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) الآية
 ٤٠٥ تفسير قوله عز وجل (ودخل معه السجن فتيان قال احدهما) الآية
 ٤١١ تفسير قوله عز وجل (فلبث في السجن بضع سنين) الآية

٤٢٠ ﴿ الجزء الثالث عشر ﴾

- ٤٢١ تفسير قوله عز وجل (وقال الملك اتوني به استخلصه لنفسى) الآية
 ٤٣١ تفسير قوله عز وجل (وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد) الآية
 ... عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق
 ... عن ابن عباس العين حق ولو كان شيء سابق القدر الحديث
 ... عن عائشة قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل الحديث
 ٤٣٣ تفسير قوله عز وجل (ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه) الآية
 ٤٣٩ تفسير قوله عز وجل (قالوا يا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا) الآية
 ٤٤٧ تفسير قوله عز وجل (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) الآية
 ٤٥٣ تفسير قوله عز وجل (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) الآية
 ٤٦١ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) الآية

٤٦٥ ﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

- ٤٧٣ تفسير قوله عز وجل (سواء منكم من امر القول ومن جهربه ومن هو مستخف بالليل) الآية
 ٤٧٤ عن ابي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث
 ٤٧٥ تفسير قوله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) الآية

٤٨١ ﴿ فصل ﴾

- وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة الخ
 ٤٨٣ عن ابي موسى الاشعري ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم الحديث
 ٤٨٦ تفسير قوله عز وجل (للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له) الآية
 ٤٨٧ تفسير قوله عز وجل الذين يوفون بعهدهم ولا ينقضون الميثاق) الآية

﴿ فهرست اماريت ﴾

- ... الاول : عن عبد الرحمن بن عوف قال تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن الحديث

- ... الثاني: عن عائشة الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله الحديث
- ... الثالث: عن أبي هريرة من سره ان يسقط في رزقه وان ينسأله في اثره الحديث
- ... الرابع : عن جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع
- ... الخامس: عن عبدالله بن عمرو بن العاص ليس الواصل بالمكافى الحديث
- ... السادس : عن أبي هريرة تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم الحديث
- ٤٨٩ تفسير قوله عز وجل (ويدرون بالحسنة السيئة) الآية
- ﴿ وفيه حديث فليجمع ﴾
- ٤٩٢ تفسير قوله عز وجل (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) الآية
- ﴿ وفيه عمدة اماريت فليجمع ﴾
- ٥٠٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية) الآية
- ٥٠١ عن حذيفة بن اسيد اذا امر بالطفة ثنتان واربعون ليلة الحديث
- ... عن ابن مسعود ان خلق احدكم يجمع في بطن امه نطفة اربعين يوما الحديث
- ٥٠٢ عن ابي الدرداء ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل الحديث
- ٥٠٣ فصل
- استدلّت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية (عجوا لله ما يشاء) الآية
- ٥٠٤ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان الله لا يقبض العلم انتزاعا الحديث
- ٥٠٦ تفسير سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
- ٥٠٨ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الآية
- ٥١٥ تفسير قوله عز وجل (وقال الذين كفروا لرسلمم لنخرجنكم من ارضنا) الآية
- ٥٢٠ تفسير قوله عز وجل (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق) الآية
- ٥٢٢ تفسير قوله عز وجل (ألم تركيف شرب الله مثلا كلمة طيبة) الآية
- ٥٢٣ عن ابن عمر كئنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة الخ
- ٥٢٤ تفسير قوله عز وجل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) الآية
- ﴿ وفيه ست اماريت ﴾
- ٥٢٥ الاول : عن ابن عازب ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد الحديث
- ... الثاني : عن انس ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه الحديث
- ٥٢٦ الثالث : عن أبي هريرة اذا قبر الميت اتاه ملكان الحديث
- ... الرابع : عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار الخ
- ... الخامس : عن عثمان بن عفان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت الخ
- ... السادس : عن عبد الرحمن بن ثمامة قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت الخ
- ٥٢٧ تفسير قوله عز وجل (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) الآية
- ٥٢٨ تفسير قوله عز وجل (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم) الآية
- ٥٣٠ تفسير قوله عز وجل (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) الآية

٥٣٢ تفسير قوله عز وجل (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) الآية

٥٣٣ عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل الخ

٥٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) الآية

٥٤١ تفسير قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) الآية

❖ فيه بحث فى معنى هذا التبديل ❖

٥٤٣ تفسير قوله عز وجل (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) فى الاصفاذ) الآية

❖ الجزء الرابع عشر ❖ ٥٤٦

❖ تفسير سورة الحجر ❖

٥٤٩ تفسير قوله عز وجل (وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) الآية

٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين) الآية

٥٥٢ تفسير قوله عز وجل (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للنظرين) الآية

٥٥٣ عن ابى هريرة اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها الحديث

❖ فصل ❖

... اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ

٥٥٥ تفسير قوله عز وجل (والارض مددناها والقينا فيها رواسى) الآية

٥٥٧ عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى

اسألك الحديث

٥٥٨ تفسير قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) الآية

٥٥٩ تفسير قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) الآية

٥٦٠ تفسير قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال

من حمأ مسنون) الآية

٥٦٥ تفسير قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات وعيون) الآية

٥٦٦ تفسير قوله عز وجل (نبي عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو

العذاب الاليم) الآية

... عن ابى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى

خلق الرحمة يوم خلفها الحديث

٥٧٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا) الآية

٥٧٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) الآية

وبيان اقوال الصحابة فى المثاني وسرد دليلهم على وجه التفصيل

٥٧٦ تفسير قوله عز وجل (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم) الآية

... عن ابى هريرة لا تنظرن فاجرا بنعمته فانك لاتدرى ما هو لاق الحديث

... عن ابى هريرة اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فليتنظر الى اسفل منه

٥٧٨ تفسير قوله عز وجل (الذين جعلوا القرآن عضين) الآية

٥٧٩ تفسير قوله عز وجل (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) الآية

٥٨١ ﴿ تفسير سورة النحل ﴾

٥٨٥ تفسير قوله عز وجل (والخیل والبغال والحمیر لتركبوها) الآية

﴿ فصل ﴾

احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل الخ

٥٨٩ تفسير قوله عز وجل (وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه لحطاطريا) الآية

٥٩١ تفسير قوله عز وجل (أفمن یخلق کمن لا یخلق) الآية

٥٩٢ تفسير قوله عز وجل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الآية

٥٩٣ تفسير قوله عز وجل (الهکم اله واحد فالذین لا یؤمنون بالآخرة قلوبهم منکرة) الآية

٥٩٤ عن ابن مسعود لا یدخل الجنة من کان فی قلبه مثقال ذرة من کبر الحدیث

٥٩٥ عن ابی هريرة من دعا الی هدی کان له من الاجر مثل اجر من تبعه الحدیث

٥٩٧ تفسير قوله عز وجل (وقیل للذین اتقوا ماذا انزل ربکم قالوا خیرا) الآية

٦٠٣ تفسير قوله عز وجل (والذین هاجروا فی الله من بعد ما ظلموا) الآية

٦٠٥ تفسير قوله عز وجل (وانزلنا الیک الذکر لتبین للناس ما نزل الیهم) الآية

﴿ فصل ﴾

٦٠٩

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن الخ

٦١٢ تفسير قوله عز وجل (واذا بشر احدہم بالانثی ظل وجهہ) الآية

٦١٣ تفسير قوله عز وجل (ولویؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترک علیہا) الآية

٦١٤ تفسير قوله عز وجل (تالله لقد ارسلنا الی امم من قبلك فزین لهم الشیطان اعمالہم) الآية

٦١٧ تفسير قوله عز وجل (ومن ثمرات النخیل والاعناب تتخذون منه سکر اورزقا حسنا) الآية

٦١٨ تفسير قوله عز وجل (واوحی ربک الی النخل) الآية

٦٢٠ تفسير قوله عز وجل (فیدشفاء للناس) الآية

وبیان اختلاف العلماء فی هذا الشفاء هل هو علی العموم لكل مرض او علی الخصوص الخ

٦٢٢ تفسير قوله عز وجل (والله خلقکم ثم یوفاکم ومنکم من یرد الی ارض العمر) الآية

... عن انس کان رسول الله صلی الله علیہ وسلم یقول اللهم انی اعوذ بک من العجز والكسل الحدیث

٦٢٣ تفسير قوله عز وجل (والله فضل بعضکم علی بعض فی الرزق) الآية

٦٢٥ تفسير قوله عز وجل (ضرب الله مثلا عبدا مملوکا لا یقدر علی شیء ومن رزقناه منارزقا

حسنا) الآية

٦٢٧ تفسير قوله عز وجل (والله اخرجکم من بطون امہاتکم لا تعلمون شیئا) الآية

٦٣١ تفسير قوله عز وجل (ویوم نبعث من کل امة شهیدا) الآية

٦٣٤ تفسير قوله عز وجل (ان الله یأمر بالعدل والاحسان وایتاء ذی القربی) الآية

٦٣٥ تفسير قوله عز وجل (واوفوا بعہد الله اذا عاہدتم) الآية

٦٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تتخذوا ايمانكم دخلاً بينكم فتنزل قدم بعد ثبوتها) الآية

٦٣٨ تفسير قوله عز وجل (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية

٦٣٩ تفسير قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الآية

٠٠٠ عن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الخ

٦٤٣ تفسير قوله عز وجل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية

٦٤٤ فصل في حكم الآية

٦٤٦ تفسير قوله عز وجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) الآية

٦٤٧ تفسير قوله عز وجل (وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) الآية

٠٠ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة الخ

٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب

وهم ظالمون) الآية

٦٥٤ تفسير قوله عز وجل (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) الآية

٦٥٦ تفسير قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية

٥٦٧ تفسير قوله عز وجل (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الآية

٦٥٨ فصل

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا الخ

معارف نظارت مجلہ سنہ ۲۵۳ و (۶۳۳) نور و لرینی ماری

رضیعتنا سید مطبع عامرہ

طبع اولی

۲۹۷۶۱۳

۱-۲

۲۹

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعد
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

۱۷۲۱

十一

۱۔ اور این کی مجلس فقار مجلس فقار
 مجلس شجاعت خضاب کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۲۔ اساتذہ جامعہ فائزہ دیو جات فقہ گروہ شجرہ داران جامعہ
 اور این الزمرہ قدس کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۳۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۴۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۵۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۶۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۷۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۸۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۹۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک
 ۱۰۔ علیہ السلام حضرت محمدؐ کی کتابیں ایک ایک اپنی ایک ایک

